مؤلف الرواية الأكثر مبيعا طبقا لصحيفة نيويورك تايمز

ديفيد بالدتشي

مؤلف رواية LAST MAN STANDING

التحكم التام

«قوية... مثيرة للرعب» وكالة أسوشييتد برس



الفصل الأول

كانت الشقة صغيرة وليست جميلة ، تملؤها رائحة كريهة تنم عن الإهمال لمدة طويلة . وعلى الرغم من ذلك كان الأثاث القليل والمتعلقات الشخصية بها نظيفة ومُرتبة بشكل جيد . فكانت هناك بعض الكراسى ومنضدة صغيرة يبدو عليها بشكل واضح أنها من التحف ذات الجودة العالية . وكان الجزء الأكبر من غرفة المعيشة الصغيرة يشغله دولاب كتب من خشب القيقب المصنوع بمنتهى الدقة ، وكانت المساحة المتبقية من الغرفة غير ملحوظة . أما معظم المجلدات المصفوفة بدقة على الأرفف فكانت تختص بالموضوعات المالية وما يتعلق بالسياسة النقدية الدولية ، ونظريات الاستثمار المُعقدة .

وكان الضوء الوحيد الذى يظهر فى الغرفة يأتى من مصباح موضوع على الأرض بجانب سرير غير مُرتب ، وكان قوس الإضاءة

الخافتة النابع منه يُظهر رجلاً طويلاً ونحيفاً جالساً وعيناه مغلقتان كما لو كان نائماً ، فى معصمه ساعة زهيدة تشير إلى الرابعة صباحاً . وكان الطرف الرمادى القديم لبنطال البدلة التى يرتديها يحيط بحذاء أسود لامع . وكان يرتدى حمالة خضراء فوق قميص أبيض . وكانت ياقة القميص مفتوحة ، ونهايات رابطة عنقه تتدلى حول رقبته . وكان ما يجذب الانتباه بشدة لحيته الكثة ذات اللون الرمادى والتى تكسو وجهه العريض المُغطى بخطوط عميقة ، وعندما فتح عينيه فجأة أصبحت جميع سماته الجسدية الأخرى غير مهمة ، حيث كانت عيناه بنيتى اللون وثاقبتين . وكان يبدو أنهما منتفختان لدرجة أنهما أطبقتا على محجريهما ، بينما كانتا تجوبان أرجاء الغرفة .

فجأة انتابه الألم دفعة واحدة وكاد يمزق نصفه الأيسر ، وكان هذا الألم ، فى حقيقة الأمر ، منتشراً فى جميع أجزاء جسمه إلا أنه كان أكثر قسوة وحدة فى صدره ، وصارت أنفاسه تخرج بقوة وبدا وجهه شديد العبوس .

تحركت يد الرجل إلى الجهاز المرفق بحزامه ، الذى كان يشبه فى شكله وحجمه جهاز التسجيل الصغير ، وما كان هذا إلا مضخة متصلة بقسطرة مختفية تماماً تحت قميص الرجل ، بينما كان طرفها الآخر مغروساً داخل صدره . أخذ يتحسس بأصابعه حتى عثر على الزر والجهاز الآلى الموجود داخل هذه المضخة الذى بدأ على الفور فى إرسال جرعة كافية من الدواء للقضاء على الألم ، بالإضافة إلى الجرعات التى يقوم بإرسالها تلقائياً على فترات منتظمة طوال اليوم . وعندما سرى الدواء فى مجرى دم الرجل انتهى الألم أخيراً ، ولكنه سوف يعود مرة أخرى كما هو الحال دائماً .

رجع الرجل بظهره إلى الخلف وكان منهك القوى ، ووجهه يتصبب عرقاً ، وتشرب قميصه بالعرق . وحمد الله على وجود تلك المضخة فى الوقت المناسب . وكان هذا الرجل لديه قدرة غير معقولة على تحمل الألم ، حيث كانت قوته العقلية قادرة على قهر أى متاعب جسدية ولكن شدة الألم قد أبادت الآن كل ما بداخله وأوصلته إلى درجة جديدة من عذاب الألم الجسدى . وكان يتساءل دائماً عما قد يحدث أولاً : موته أم قهر الدواء للمرض والألم ، وكان يدعو الله أن يحدث الأمر الأول .

تعثر داخلاً إلى الحمام ونظر فى المرآة . وفى هذه اللحظة بدأ آرثر ليبرمان فى الضحك . وبدأ صراخه الهيستيرى فى الازدياد وأخذ يدوّى فى أرجاء الشقة إلى أن انتهى بالنحيب والقىء الذى كاد يخنقه . بعد مُضى بضع دقائق وبعد أن استبدل قميصه بآخر نظيف ، بدأ ليبرمان يهندم رابطة عنقه فى هدوء فى مرآة الحمام . وقد أخبره الطبيب أن التقلبات المزاجية الحادة شىء متوقع . وقام بهز رأسه بعد أن هدأت أعصابه .

كان دائماً مهتماً بنفسه ، حيث كان يقوم بأداء تمرينات رياضية بانتظام ، ولم يدخن أو يشرب الخمر أبداً ، ويلتزم تماماً بنظامه الغذائى . وهو الآن فى الثانية والستين من العمر ولن يعيش ليصل إلى الثالثة والستين ، حيث تم تأكيد هذه الحقيقة من قبل العديد من الأطباء المتخصصين . ولكنه لن يمت بهذه البساطة ، حيث كان يتبقى له كارت واحد ليلعب به . وقد ابتسم ليبرمان حين لاحظ فجأة أن الموت قد منحه فرصة أخيرة حُرم من الحصول عليها فى الحياة . وسوف يكون الأمر مثيراً للسخرية بالفعل إذا انتهى عمله المرموق بهذه الطريقة الحقيرة . ولكن الصدمة التى قد

تصاحب توقفه عن عمله المرموق ليست بشدة خروجه من عالم الأحياء . فما الذى يهتم به إذن ؟ سار ليبرمان إلى غرفة نومه الصغيرة واستغرق لحظة فى النظر إلى الصور الموضوعة على المكتب ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع وترك الغرفة مسرعاً .

ترك ليبرمان شقته تمام الساعة الخامسة والنصف صباحاً وقد ركب المصعد الصغير للدور الأرضى متجهاً نحو الشارع حيث وجد سيارة من نوع " كراون فيكتوريا " تنتظر عند الرصيف . خرج السائق من السيارة . وفتح الباب لـ " ليبرمان " وانتظر ، وقد رفع قبعته احتراماً لراكبه الموقر ، ولكنه لم يتلق رداً على تحيته كالعادة . وخلال بضع دقائق كانت السيارة قد اختفت فى الشارع .

دخلت سيارة ليبرمان فى هذا الوقت إلى بيلت واى ، حيث كان يتم إخراج الطائرة " مارينر إل ٥٠٠ " من حظيرة الطائرات فى مطار دوليز الدولى استعداداً لرحلتها المباشرة إلى لوس أنجلوس دون توقف . وقد تم الانتهاء من أعمال الفحص وجارى تزويد الطائرة التى يبلغ طولها ١٥٥ قدماً بالوقود . وقفت عربة الوقود الضخمة أسفل جناح الطائرة الأيمن ، وكان تصميم ذلك الطائرة يقضى بوضع خزانات الوقود داخل كل جناح وداخل هيكل الطائرة أيضاً ، وكانت توجد فتحة تحت الجناح ليتم توصيل خرطوم الوقود بها وتتصل هذه الفتحة بثلاثة خزانات . وقف عامل الوقود الوحيد الذى كان يرتدى قفازات سميكة وثياب العمل المتسخة يراقب الخرطوم الذى يمر به الوقود القابل للاشتعال ليملأ الخزان . نظر الرجل حوله ببطء فرأى النشاط الزائد الذى يحيط بالطائرة حيث يتم تحميل شُحنات البريد والبضائع ، وتتجه عربات نقل الأمتعة

إلى نهاية الطائرة . وبينما كان لا يلاحظه أحد قام العامل برش الجزء المكشوف من خزان الوقود بمادة موجودة داخل إناء بلاستيك كان معه . فأصبحت لوحة خزان الوقود لامعة بعد رشها . وكان الفحص من قرب يكشف عن وجود بعض الرذاذ الخفيف على سطح اللوحة المعدنية إلا أنه لم يتم فحصها قبل إقلاع الطائرة ليكتشف هذه المفاجأة الكامنة فى هذه الآلة الضخمة .

قام العامل بوضع هذا الإناء البلاستيكى داخل أحد جيوبه ، وأخرج من الآخر شيئاً صغيراً يأخذ شكل المستطيل ورفع يده إلى داخل جناح الطائرة ، ووضعه بداخله . انتهت عملية تزويد الطائرة بالوقود وعاد خرطوم الوقود إلى العربة ، وتم تركيب اللوحة الخاصة بالوقود إلى الطائرة مرة أخرى . ثم اتجهت العربة لتستكمل عملها فى تزويد طائرة أخرى بالوقود . نظر العامل مرة أخرى إلى الطائرة " إل ٥٠٠ " واستمر فى السير ، حيث كانت تنتهى وردية عمله فى تمام الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم ، ولم يرغب فى البقاء ولو لدقيقة أخرى .

أقلعت الطائرة " مارينر إل ٥٠٠ " والتى يصل وزنها إلى ٢٢٠,٠٠٠ رطل فى الساعات الأولى من صباح ذلك اليوم حيث كانت السماء مغطاة بالسحب ، وكانت تلك الطائرة أكثر الطائرات ـ التى يتم تشغيلها فى ذلك الوقت ـ تقدماً من الناحية التكنولوجية فيما عدا الطائرات التابعة لسلاح الدفاع الجوى الأمريكى .

كانت الرحلة رقم ٣٢٢٣ تحمل ١٧٤ راكباً بالإضافة إلى سبعة من طاقم الطائرة . وكان معظم الركاب يجلسون فى مقاعدهم يقرأون الصحف والمجلات بينما كانت الطائرة تقلع من نطاق ريف

فيرجينيا لتحلق بعد ذلك على ارتفاع ٣٥ ألف قدم ، وقد سجل جهاز الملاحة الآلى أن الرحلة إلى لوس أنجلوس ستستغرق خمس ساعات وخمس دقائق .

جلس ليبرمان فى الدرجة الأولى يقرأ صحيفة وول ستريت جورنال ، بينما كان يحرك يده على لحيته الرمادية اللون وعيناه تتصفحان الأخبار المالية . فى حين كان يجلس ركاب آخرون فى هدوء ، بعضهم يعقد يديه على صدره ، والبعض الآخر كانوا نائمين وعيونهم نصف مغلقة ، أما الآخرون فكانوا يقرأون . وفى أحد المقاعد جلست سيدة عجوز تردد فى هدوء أغنية قديمة وهى تمسك بمنديل فى يدها .

وعندما وصلت الطائرة " إل ٥٠٠ " إلى ارتفاع ٣٥ ألف قدم تحدثت قائدة الطائرة فى السماعات للترحيب بالركاب فى الوقت الذى كانوا يستمرون فيه فى ممارسة أعمالهم ـ والتى لن تلبث أن يقطعها شيء .

اتجهت جميع الأنظار إلى الضوء الأحمر الذى انبعث فجأة على الجانب الأيمن من الطائرة . رأى الركاب الذين كانوا يجلسون عند النافذة فى هذا الجانب التواء الجناح الأيمن للطائرة وكانوا فى شدة الفزع ، كما رأوا تمزق الجزء المعدنى ، وانطلقت مسامير البرشام محدثة صوت فرقعة . ولم تمض سوى بضع ثوان حتى فُصل ثلثا الجناح حاملين معهما جانب الطائرة الأيمن وبه محركها الرولز رويس . وأخذت الأسلاك الهيدروليكية والكابلات تتحرك بعنف للأمام والخلف بسبب شدة الرياح ، وتدفق الوقود خارجاً من الخزان المكسور ليغطى جسم الطائرة .

انحرفت الطائرة " إل ٥٠٠ " فى الحال جهة اليسار ، وكان جميع من بداخلها يصرخون بفزع . فقد أصبحت الطائرة كريشة فى

مهب الريح بدون أدنى سيطرة عليها . ارتمى جميع الركاب من فوق مقاعدهم على الأرض فى ممر الطائرة . وبالنسبة للكثيرين منهم فقد كان وقوعهم من مقاعدهم مميتًا . وكانوا يصرخون من الألم عند سقوط الأمتعة عليهم واصطدامها بأجسادهم نتيجة اندفاع موجات عاتية من ضغط الهواء .

سقطت يد السيدة العجوز وسقط منديلها ذو اللون الوردى على الأرض حيث انقلبت الطائرة الآن رأساً على عقب . كانت عيناها مفتوحتين لكن ليس من الخوف ؛ فقد كانت تلك السيدة ممن حالفهم الحظ ، حيث فاجأتها أزمة قلبية حادة أنقذتها من الدقائق التالية التى يسودها الفزع المطبق .

لا يمكن لأى طائرة مهما كانت أن تستمر فى الطيران بجناح واحد ، ولذا فقد تحطم جناح الطائرة تماماً ، مما جعلها تهوى إلى الأرض بحركة حلزونية .

داخل كابينة القيادة أخذ اثنان من طاقم الطائرة يحاولان جاهدين بكل ما لديهما من قوة للسيطرة على الطائرة بينما كانت تسقط بسرعة شديدة . لم يكن أحد منهما على دراية بطبيعة تلك الكارثة إلا أنهما كانا يعلمان جيداً أن الطائرة وجميع الأرواح التى على متنها فى خطر محدق . وبينما كان الطياران يحاولان إعادة السيطرة على الطائرة ، كانا يدعوان الله فى صمت ألا تصطدم طائرتهما بإحدى الطائرات الأخرى بينما كانت تندفع بسرعة إلى الأرض . شخصت عين أحدهما وصرخ : " يا إلهى " ، فقد كان لا يصدق ما يحدث عندما نظر إلى مقياس الارتفاع عن سطح البحر الذى كان يتناقص بسرعة مذهلة حتى وصل إلى الصفر . لم تتمكن أحدث أجهزة الطيران المتطورة ولا مهارات الطيارين الخارقة من

تغيير الحقيقة المفزعة التى تواجه كل شخص على متن تلك الطائرة ؛ ألا وهى أنهم سيموتون بمنتهى السرعة . وسيكون الطياران هما أول من يموت ، كما يحدث فى جميع حوادث تحطم الطائرات ، وسيلحق بهما جميع ركاب الرحلة ٣٢٢٣ بعد جزء من الثانية .

جلس ليبرمان قابضاً بيديه على ذراعى المقعد وفمه مفتوح فى حالة من الذهول التام . وقد سقطت مقدمة الطائرة فى تمام الساعة السادسة . وكان ليبرمان ينظر إلى ظهر المقعد الذى أمامه . ومن سوء الحظ ، أن آرثر ليبرمان سيظل مدركاً لما يحدث حتى اللحظة التى ستصطدم بها الطائرة بالأرض . وسيأتى خروجه من عالم الأحياء قبل عدة أشهر عما كان يتوقع الأطباء . وحينما بدأت الطائرة فى سقوطها النهائى ، خرجت كلمة واحدة من بين شفتى ليبرمان : " لا " ، وعلى الرغم من أنها كانت ذا مقطع واحد إلا أنه قالها بصرخة طويلة مُدوية حتى غطت على جميع الأصوات الأخرى فى الطائرة والتى كان يتملكها الرعب والفزع .

" لا ا ا ا ا ! " .

الفصل الثانى

واشنطن العاصمة ، منطقة متروبوليتان ، منذ شهر سابق

جلس جاسون آرتشر بقميصه المتسخ ورابطة عنقه المعوجة ، فاحصاً لمحتويات عدد من الصناديق المتكدسة ، وأمامه حاسب آلى محمول . كان يتوقف كل بضع دقائق ليجذب ورقة ويأخذ صورة ضوئية لمحتوياتها على الحاسب الآلى . كان العرق يتصبب من أنفه ، حيث كان المخزن الذى يجلس فيه شديد الحرارة وقذراً . فجأة سمع صوتاً يناديه من الساحة الواسعة : " جاسون ؟ هل أنت هنا يا جاسون ؟ " ، وسمع وقع خطوات قادمة نحوه .

قام جاسون مسرعاً بغلق الصندوق الذى كان يعمل به ، وأغلق حاسبه الآلى وخبأه داخل فجوة بين الصناديق ، وبعد بضع ثوان ظهر رجل . وقف كونتين رووى مرتدياً نظارة بيضاوية زهيدة

الثمن ، وكان شعره الأشقر الطويل مربوطاً كذيل حصان ، وكان مرتدياً بنطلوناً من الجينز الباهت وقميصاً أبيض من القطن . ويظهر من جيب قميصه جزء من هاتفه الجوال ، وكان عاقداً يديه خلف ظهره وقال : " كيف تسير الأمور ؟ "

وقف جاسون وشد قوامه الطويل المفتول العضلات وأجابه : " كل شيء سيكون على ما يرام يا كونتين " .

لقد اشتدت المنافسة حول الصفقة الخاصة بـ " سيبركوم " وهم يريدون معرفة الأمور المالية فى أسرع وقت ممكن . كم يوماً تستغرق فى هذا الأمر ؟ " ، كان يبدو القلق على رووى بالرغم من مظهره الذى يدل على أنه لا يأبه بشيء .

نظر جاسون إلى الصناديق وقال : " أسبوعاً آخر ، أو عشرة أيام على الأكثر " .

قال رووى : " هل أنت متأكد ؟ " .

أومأ جاسون ونظر إلى رووى قائلاً : " لن أخذلك يا كونتين " . فأنا أعلم مدى أهمية صفقة سيبركوم بالنسبة لك ، ولنا جميعاً . تملك جاسون شعور بالذنب إلا أن ملامحه كان يسيطر عليها الغموض .

هدأ رووى بعض الشيء وقال : " لن ننسى المجهود الذى تبذله يا جاسون ، سواء الآن أو العمل الذى قمت به لنسخ الشريط . لقد تأثر جامبل بهذا العمل كثيراً " .

رد عليه جاسون موافقاً : " أعتقد أنكم ستتذكرون هذا الأمر لفترة طويلة " .

نظر رووى بريبة فى المخزن وقال : " عندما تفكر فى أن محتويات هذا المخزن بالكامل يمكن حفظها بسهولة على أقراص الحاسب المرنة سوف تعرف أنه شيء غاية فى الإسراف " .

رد جاسون متجهماً : " إن ناثان جامبل ليس أكثر شخص يجيد التعامل مع الحاسب الآلى فى العالم " . وأكمل جاسون كلامه : " لقد خلفت عملياته الاستثمارية الكثير من الورق يا كونتين . ولا يمكنك المجادلة بشأن نجاحه ، فقد صنع الرجل أموالاً طائلة على مر السنين " .

نظر رووى بإعجاب إلى جاسون آرتشر وقال : " بالضبط يا جاسون ، وهذا هو أملنا الوحيد حيث إن جامبل يفهم معنى النقود ، كما أن صفقة سيبركوم ستجعل جميع الصفقات الأخرى تبدو تافهة مقارنة بها وسيكون أمامك مستقبل باهر بعد كل هذا العمل " .

لمعت عينا جاسون ثم ابتسم وقال لصديقه : " هذا ما أفكر فيه بالضبط " .

صعد جاسون آرتشر وجلس فى المقعد الأمامى فى سيارة ماركة فورد إكسبلورر ، ثم مال وقبل زوجته . كانت سيدنى آرتشر طويلة وشقراء ، وقد تغيرت ملامحها الصارمة وأصبحت رقيقة بعد مولد ابنتهما . دارت سيدنى برأسها نحو المقعد الخلفى . وابتسم جاسون عندما وقعت عيناه على آمى ، والتى تبلغ من العمر عامين ، وهى نائمة فى مقعدها الخاص ، وتحتضن عروستها .

قال جاسون بينما كان يفك رابطة عنقه : " كان يوماً طويلاً بالنسبة لها " .

أجابت سيدنى : " بالنسبة لنا جميعاً ، فقد كنت أعتقد أننى عندما أعمل محامية لنصف الوقت سيكون الأمر سهلاً . أما الآن فيبدو أننى كنت أعمل الأسبوع لأنجزه فى ثلاثة أيام فقط " .

وهزت رأسها بضجر وقادت السيارة . كان يظهر خلفهم مبنى تريتن جلوبال الشاهق الذى يعمل به زوجها ورائد العالم دون منافس فى كل ما يتعلق بالأعمال التكنولوجية بدءاً من شبكات الحاسبات الدولية وانتهاء ببرامج الأطفال التعليمية .

أمسك جاسون يد زوجته وضغط عليها برفق قائلاً : " أعلم يا سيدنى أن الأمر صعب ، ولكنى قد أحصل على بعض المعلومات قريباً مما سيمكنك من ترك العمل إلى الأبد " .

نظرت إليه وابتسمت وسألته : " هل اخترعت برنامجاً للحاسب يمكنك من اختيار الأرقام الصحيحة للعبة لوتو ؟ " .

ظهرت ابتسامة على ملامحه الوسيمة وقال : " ربما شىء أفضل من ذلك " .

سألته سيدنى " : " لقد أثرت فضولى . ما هذا الشىء ؟ " .

هز رأسه رافضاً وقال : " لا ، لن أخبرك حتى أتأكد منه أولاً " .

" لا تفعل هذا بى يا جاسون " . رسمت هذه الجملة ابتسامة عريضة على شفتيه ، فربت على يدها وقال : " تعلمين أننى خير من يحافظ على الأسرار جيدا ، كما أعلم أنك تحبين المفاجأة جداً " .

وقفت سيدنى فى إحدى الإشارات والتفتت إليه قائلة : " أحب أيضاً فتح الهدايا فى عشية عيد رأس السنة ، هيا أكمل كلامك " .

رد عليها قائلاً : " آسف ، ليس الوقت مناسباً لهذا . ما رأيك فى تناول العشاء معاً الليلة فى أحد الأماكن ؟ " .

قالت سيدنى : " إننى محامية عنيدة جداً فلا تحاول تغيير الموضوع . بالإضافة إلى أن ميزانية هذا الشهر ليست ملائمة للأكل

خارج المنزل . وأنا أريد معرفة التفاصيل " . ولكزته سيدنى مازحة بينما تابعت قيادة السيارة مرة أخرى .

رد عليها جاسون قائلاً : " قريباً جداً سأخبرك يا سيدنى بالأمر ، أعدك بهذا ، لكن ليس الآن ، اتفقنا ؟ " وتغيرت نبرة صوته فجأة وأصبحت أكثر جدية كما لو كان ندم على فتح هذا الموضوع . نظرت سيدنى إليه . كان يحدق بصرامة خارج النافذة . وبدا على وجهها الاهتمام . التفت إليها مرة أخرى ولاحظ نظرة القلق فى عينيها ، وضع يده على وجنتها وغمز بعينه قائلاً : " لقد وعدتك أن أوفر لك كل متع الدنيا عندما تزوجنا ، أليس هذا صحيحاً ؟ " .

قالت سيدنى : " لقد منحتنى إياها بالفعل يا جاسون ، بل أكثر منها أيضاً " . ونظرت إلى آمى فى المرآة التى أمامها .

ربت جاسون على كتفها وقال : " إننى أحبك يا سيدنى أكثر من أى شيء آخر ، فأنت تستحقين أفضل ما فى الوجود . ويوماً ما سأمنحك إياه " .

ابتسمت سيدنى بينما التفت هو مرة أخرى لينظر خارج النافذة وقد عادت إلى ملامحها علامات الاهتمام .

جلس الرجل أمام الحاسب الآلى ووجهه يبعد بضع بوصات عن الشاشة ، وأصابعه تنقر على المفاتيح بعنف وقوة حتى أنها كانت تشبه المطرقة الصغيرة . وكان يبدو على لوحة المفاتيح أنها ستتحطم قريباً بسبب هذا العنف . ظهرت صور رقمية على شاشة الحاسب بطريقة سريعة ومتلاحقة حتى كان يصعب على العين متابعتها . كان هناك ضوء خافت يضىء للرجل حتى يتمكن من إنجاز عمله ،

وقد تجمعت قطرات من العرق على وجهه وكان السائل الملحى ينزل خلف نظارته ليسقط على عينيه المتعبة والمحتقنة بالدم .

كان يعمل بتركيز تام حتى أنه لم يلحظ أن باب الغرفة قد فتح ببطء ولم يستمع إلى وقع الأقدام الست وهى تتقدم على السجادة السميكة إلى أن وصلت لتقف خلفه مباشرة . لم يكن أصحاب هذه الأقدام فى عجلة ، كما أن عددهم الكبير قد ملأهم بثقة طاغية .

التفت الرجل الجالس أمام الحاسب أخيراً ، وبدأت أطرافه ترتعش من الخوف كما لو كان قد تنبأ بما سيحدث له .

لم يكن لديه الوقت حتى ليصرخ فعندما عادت زنادات المسدسات للخلف فى نفس الوقت وضغط كل منهم على مسدسه انطلق صوت المسدسات قوياً حتى كاد يصم الآذان .

انتفض جاسون آرتشر بينما كان نائماً وهو جالس على الكرسى ، وقد تجمعت قطرات العرق على وجهه عندما قفز إلى ذهنه مشهد القتل العنيف ؛ هذا الكابوس اللعين الذى يطارده باستمرار . نظر حوله سريعاً ، فوجد سيدنى نائمة فى سريرها ، وصوت التلفاز واضح . نهض جاسون وغطى زوجته بالبطانية ، ثم دلف نازلاً إلى غرفة آمى ، وكان ذلك فى منتصف الليل تقريباً . وعندما وصل إلى الباب سمع صوت تقلبها فى نومها . اتجه إليها وجلس على حافة سريرها وأخذ ينظر إليها وهى تتحرك . يبدو أنها تحلم بكابوس مزعج . مسح جاسون برفق على جبهة ابنته ثم رفعها بين يديه وهدهدها ببطء فى هدوء الليل . وكان يعتقد أن هذه الطريقة تقضى على الكوابيس ؛ وبعد بضع دقائق عادت آمى إلى النوم الهادئ . غطى جاسون آمى وطبع قبلة على وجنتها . ثم اتجه إلى المطبخ ، وكتب رسالة مختصرة إلى زوجته وضعها على

المنضدة المجاورة للسرير الذى تنام عليه سيدنى توجه إلى المرآب وركب سيارته الكوجار القديمة التى يمكن طى سقفها .

وبينما كان خارجاً من المرآب لم يلحظ سيدنى وهى واقفة تنظر إليه من الشرفة الأمامية ورسالته فى يدها . وبعد أن اختفى ضوء المصابيح الخلفية لسيارته ابتعدت سيدنى عن الشرفة وقرأت الرسالة مرة أخرى . لقد توجه زوجها إلى مكتبه لإنجاز بعض الأعمال وسيعود للمنزل عندما ينتهى من عمله . نظرت إلى الساعة الموضوعة على رف المدفأة ووجدت عقاربها تشير إلى منتصف الليل تقريباً . ذهبت لتطمئن على آمى ، ثم وضعت إبريق الشاى على الموقد . شعرت سيدنى فجأة بالريبة فى أمر زوجها ، فهذه ليست المرة الأولى التى تستيقظ فيها لتجد زوجها تاركاً رسالة لها يخبرها فيها أنه قد عاد للعمل مرة أخرى .

أنهت سيدنى صنع الشاى وأسرعت صاعدة السلالم متجهة إلى الحمام ، نظرت إلى وجهها فى المرآة ، فوجدته قد امتلأ قليلاً عما كان عليه فى أول زواجهما ، أخذت تتفحص جسمها من الأمام والجنب والخلف فى المرآة . إن الحمل قد ترك بعض آثاره عليها ، وقد استعاد بطنها بعضاً من شكلها الأصلى ، إلا أن ساقيها قد زادتا عما كانتا عليه من قبل . وأخذت تتفحص وجهها بأصابع مضطربة . كان جسم جاسون مشدوداً وقوياً عندما تقابلا أول مرة . وكان شكله الرائع ووسامته سبباً فى الجاذبية التى يتمتع بها تجاه معظم السيدات اللاتى تعرفهن سيدنى وغيرهن ممن لا تعرفهن . وبينما كانت تتفحص وجنتها أدركت ما تقوم به . ولاحظت أنها ذكية بالقدر الكافى ومحامية يحترمها الجميع ، فقد كانت تتفحص نفسها وكأنها مجرد قطعة لحم ، كما يظن الرجال دائمًا . ابتعدت

سيدنى مرة أخرى عن المرآة ، لقد كانت جذابة وجاسون يحبها . لقد عاد إلى مكتبه لإنجاز بعض المهام التى تساعده فى تدعيم موقفه سريعاً . وقريباً جداً سوف تتحقق أحلامهما : وهى أن يقوم هو بإدارة شركته الخاصة وتتفرغ هى لتكون أماً لآمى كل الوقت وللأطفال الآخرين الذين تتوقع إنجابهم ، وهذا بالضبط ما تتمناه هى وزوجها . وكانت مقتنعة تماماً بأن جاسون فى هذه اللحظة يعمل بجد ليصل إلى ما يرنو إليه .

فى الوقت الذى اتجهت فيه سيدنى إلى سريرها توقف جاسون آرتشر عند كابينة الهاتف وطلب رقماً كان يحفظه منذ وقت طويل ، وقد تم الرد على اتصاله فى الحال .

" أهلاً يا جاسون " .

قال جاسون : " يجب أن ينتهى هذا الأمر سريعاً ، وإلا ربما لا أستطيع إنجازه " .

" أهى الكوابيس المفزعة مرة أخرى ؟ " . وقد بدا على نبرة صوت المتحدث التعاطف والاهتمام فى نفس الوقت .

رد جاسون مقطباً جبينه : " إنك تجزم دائماً بأنهم يجيئون ويذهبون ، ولكنهم فى حقيقة الأمر دائماً معى " .

أعاد الصوت تأكيده مرة أخرى قائلاً : " لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً الآن " .

" هل أنت متأكد من أنه لا يوجد خطر علىَّ ؟ إن تلك المشاعر تنتابنى وكأن الجميع يروننى " .

" هذا الأمر طبيعى يا جاسون ويحدث باستمرار . إذا وقعت فى محنة سنعرف ، صدقنى . وقد حصل هذا بالفعل من قبل " .

احتد صوت جاسون قائلاً : " إننى أصدقك ، وكل ما أتمناه هو ألا تضيع تلك الثقة . فأنا لست محترفاً فى هذا ، وبدأت أفقد أعصابى " .

" نفهم هذا جيداً ، لكن لا تفقد أعصابك الآن . وكما قلت لك فإن الأمر قد انتهى تقريباً . نحتاج لبعض العناصر الإضافية ويمكنك التقاعد رسمياً بعد ذلك " .

قال جاسون : " أنا لا أفهم لماذا لا يمكننا استخدام ما حصلت عليه بالفعل " .

قال الرجل : " ليست وظيفتك يا جاسون أن تفكر فى مثل هذه الأمور . نحن نريد أن نتعمق أكثر وأنت قبلت هذا . لا تقلق ، فنحن لسنا ساذجين لنغفل عن مثل هذه الأمور ، وقد قمنا بالتخطيط لها جيداً . وسنكون جميعاً بخير " .

قال جاسون : " اتفقنا ، سأنهى عملى الليلة ، هذا أكيد . هل نتبع نفس النمط فى سير العمل ؟ " .

" لا ، سيكون فى هذه المرة التبادل بشكل شخصى " .

ظهرت على نبرة جاسون الدهشة وقال : " لماذا ؟ " .

" لقد أوشكنا على الانتهاء وأى خطأ سيعرض العملية بالكامل للخطر . وبينما لا يوجد سبب يجعلنا نصدق أنهم يتبعونك ، فإننا لا يمكن أن نتأكد تماماً من أنهم لا يراقبوننا . تذكر أننا نضع جميع الاحتمالات فى الاعتبار ولا نريد أن تكون الأخطاء خطيرة ، ولكن هناك دائماً حداً للأخطاء يجب ألا نتخطاه . والمواجهة وجهاً لوجه خارج منطقتنا مع أشخاص أقوياء يلغى هذا الحد . وهذا الحد يجعلك أنت وأسرتك أكثر أماناً " .

قال جاسون : " أسرتى ؟ ما الذى سيفعلونه مع أسرتى بحق الجحيم ؟ "

" لا تكن غبياً يا جاسون ، هذه مجرد تكهنات . ولقد وضحنا لك المخاطر من البداية . إنه عالم يمتلئ بالعنف ، أتفهم ما أقول ؟ " .

" اسمع —— " .

قاطعه الرجل : " كل شيء سيكون على ما يرام ، عليك فقط أن تتبع التعليمات بالحرف الواحد ؛ انتبه ، بالحرف الواحد " . ذكر المتحدث هذه الكلمات الأخيرة بقوة ، ثم قال : " إنك لن تخبر أى شخص بالطبع عن هذا الموضوع أليس كذلك ؟ وعلى وجه الخصوص زوجتك " .

" بالطبع لا ، لن أخبر أحداً بذلك ، ثم من الذى سيصدقنى إن أخبرته بهذا الأمر ؟ " .

" قد تفاجأ بمن يصدقك ، عليك أن تتذكر أن أى شخص ستخبره سيكون معرضاً للخطر مثلك تماماً " .

بدا على جاسون الغضب وقال : " أعرف ذلك . ما التفاصيل إذن ؟ " .

" ليس الآن ، ولكن قريباً جداً ستعرف . استخدم نفس الطرق المعتادة إننا تقريبًا نعبر النفق " .

" حسناً ، أتمنى أن تسير الأمور على ما يرام وألا ينهار كل شيء على رأسى قبل هذا الوقت " .

ضحك المتحدث ضحكة خافتة ثم أغلق الخط .

رفع جاسون إبهامه من على آلة المسح الضوئى لأخذ بصمة الأصابع ، ثم نطق اسمه فى السماعة الصغيرة المعلقة على الحائط ثم

انتظر فى هدوء إلى أن يطابق الحاسب الآلى بصمة الإبهام وبصمة الصوت مع البصمة الموجودة داخل ملفاته . ابتسم جاسون وأومأ لحارس الأمن الذى كان يجلس فى المنطقة الخاصة بالاستقبال فى الدور الثامن . ورأى جاسون اسم " تريتن جلوبال " المكتوب بحروف فضية على لوحة خلف حارس الأمن .

قال جاسون : " إن هذا شيء سيئ جداً يا تشارلى ؛ فهم لا يمنحونك السلطة كى تسمح لى بالدخول . ليكون التعامل بين إنسان وآخر " .

كان تشارلى رجلاً أسود وضخماً فى أوائل الستينيات . وكان أصلع الرأس وسريع البديهة .

قال تشارلى : " من يدرى يا جاسون ، فقد تكون صدام حسين متنكراً . فإنك لا تستطيع أن تثق فى المظاهر الخارجية فى أيامنا هذه " . ضحك تشارلى ضحكة خافتة ثم استطرد : " ثم كيف يمكن لشركة كبيرة ومتقدمة كهذه أن تثق فى حُكم حارس أمن عجوز مثلى بينما تملك كل هذه الأجهزة المتطورة التى تخبرهم عن هوية الأشخاص ؟ فالحاسبات أصبحت تتحكم فى كل شيء يا جاسون . والحقيقة المحزنة هى أن الإنسان لم يعد له قيمة " .

رد عليه جاسون وقال : " لا تكن محبطاً لهذه الدرجة يا تشارلى ، فالتكنولوجيا لها مميزاتها أيضاً . ما رأيك لو تبادلنا المهام لبعض الوقت ؟ " .

قال تشارلى : " هذا شيء رائع يا جاسون . سأذهب وأستخدم هذه الأجهزة التى يبلغ سعرها ملايين الدولارات ، وقم أنت بالتفتيش كل نصف ساعة عن الأشرار فى غرفة الاستراحة . ولن أكلفك بارتداء الزى الخاص بى . وإذا تبادلنا المهام ، يجب طبعاً

أن نتبادل المرتبات . فأنا لا أريدك أن تخسر الفرصة للاستمتاع بربع الملايين كل ساعة بسهولة ودون بذل أى مجهود . فهذا هو العدل بعينه ".

" إنك رجل ذكى جداً يا تشارلى " .

ضحك تشارلى وعاد لمراقبة الشاشات المعروضة أمامه .

اختفت الابتسامة فجأة من على وجه جاسون عندما فُتح الباب الضخم ، ودخل متوجهاً ناحية الردهة ثم أخرج شيئاً من جيب معطفه يشبه بطاقة الائتمان فى شكلها وحجمها وكان مصنوعاً من البلاستيك أيضاً .

وقف جاسون أمام مدخل الباب وأدخل البطاقة فى فتحة الصندوق المعدنى الموجود على الباب ، ودخلت رقاقة صغيرة مع البطاقة بهدوء لتتصل بنظيرتها الملتصقة بالبوابة . نقر جاسون أربع مرات بإصبعه على لوحة الأرقام المجاورة ، ثم سمع صوت تكة . بعد ذلك أمسك مقبض الباب ولفه ثم فتح الباب السميك ليرى أمامه غرفة مظلمة .

أغلق جاسون الباب مسرعاً ثم ظهر نور خافت عند المدخل . وبينما كان ينظر إلى المكتب المرتب بدقة كانت يداه ترتعشان وقلبه يدق بشدة حتى أنه كان ليظن أن صوته يظهر فى جميع أرجاء المبنى بالكامل . ولم تكن هذه المرة الأولى ، ولكن تكرر ذلك مرات عديدة . ابتسم جاسون ابتسامة ضئيلة عندما تذكر أن هذه المرة ستكون آخر مرة ؛ بغض النظر عما حدث ، ستكون هذه آخر مرة . فكل شخص لديه حد وقد وصل هو الليلة لهذا الحد .

اتجه جاسون إلى المكتب وجلس ثم فتح الحاسب . كان هناك ميكروفون صغير يلتصق بالشاشة بذراع معدنية طويلة متحركة يمكن للمستخدم التحدث فيه لإعطاء الأوامر الصوتية . فقام بدفع هذا

الميكروفون بعيداً عن الشاشة حتى يتمكن من رؤيتها بوضوح . واستعد فى مجلسه ونظر بتركيز إلى الشاشة ليرى المعلومات التى تظهر أمامه والتى كان يعرفها جيداً . ضغط على أربعة مفاتيح رقمية من على لوحة الأرقام الملتصقة بقاعدة وحدة معالجة المعلومات بالحاسوب ثم مال بجسمه للأمام وثبت نظره على الركن الأيمن العلوى من الشاشة . كان يعلم أن هناك كاميرا فيديو تقوم فى هذه اللحظة بفحص حدقة عينه اليمنى إلكترونياً وتقوم بإرسال مجموعة من الأشياء المتميزة فى عينه إلى قاعدة بيانات مركزية والتى تقوم بدورها بمقارنة صورة حدقة عينه بثلاثين ألف صورة مسجلة على هذا الملف . استغرقت هذه العملية بالكامل أربع ثوان . وعلى الرغم من أنه كان معتاداً على هذا التقدم ، إلا أن جاسون آرتشر قد هز رأسه مرارًا بسبب هذه التكنولوجيا الآخذة فى الانتشار والتحكم فى الإنسان . وكشر جاسون حينما تذكر أن الجميع سيعرفون الحقيقة وهى أن أورويل لم يأخذ حقه كما يجب .

عاد جاسون ليركز فى الحاسب الموجود أمامه ، واستمر فى العمل على لوحة المفاتيح لمدة العشرين دقيقة التالية . وكان يتوقف فقط عند ظهور بيانات إضافية على الشاشة للإجابة عن استفساراته . كان الجهاز سريعاً ، إلا أنه كان يواجه صعوبة فى الاستمرار فى العمل بسرعة نتيجة لأوامر جاسون المتلاحقة . التفت جاسون حوله برأسه عندما سمع صوت ضوضاء فى الردهة المؤدية إلى المكتب . إنه الكابوس اللعين مرة أخرى ، قد يكون تشارلى يقوم بجولة . نظر جاسون إلى الشاشة ، وقام بكتابة قائمة بأسماء الملفات على قطعة ورق ، وأغلق الحاسب ، ثم نهض واتجه إلى الباب .

ووقف صامتاً ووضع أذنه على الباب ، وقام بفتحه بحرص شديد ، وأطفأ النور ثم أغلق الباب خلفه .

سار مسرعاً فى الردهة ثم توقف فجأة عند نهايتها فى الرواق الصغير الموجود فى جزء صغير من المكتب ليجد باباً كان لهذا الباب قفل قام بفتحه مستخدماً آلة خاصة ، ثم أغلق الباب خلفه . لم يشعل جاسون النور العلوى ، بل أخرج من جيب معطفه مصباحاً صغيراً وقام بتشغيله . كان الحاسب موجوداً فى الركن فى أقصى الغرفة بجوار خزانة ملفات منخفضة متراكمة عليها بعض ر الصناديق .

قام جاسون بجذب وحدة تشغيل الحاسب من الحائط ، كاشفاً الأسلاك التى كانت تتدلى من ظهر الحاسب ، ثم مال وأمسك بالأسلاك بعيداً عن خزانة الملفات الملتصقة بمنضدة العمل حيث ظهرت وحدة توزيع الكهرباء فى الجدار وبها فتحات عديدة . قام بعد ذلك بتوصيل أحد الأسلاك من الحاسب بإحدى الفتحات ، وتأكد من توصيلها جيداً ، ثم جلس أمام الحاسب وقام بتشغيله . عندما بدأ الحاسب فى العمل ، قام جاسون بوضع مصباحه على أحد الصناديق حتى يصل النور مباشرة إلى لوحة المفاتيح ، كان لا يوجد لوحة رقمية لإدخال كود سرى ، كما أنه لم يحدق إلى الركن الأيمن العلوى من الشاشة ليتم التعرف عليه . وعلى الرغم من كل هذا الاهتمام بشبكة الحاسب الآلى بشركة تريتن ، فإن محطة العمل هذه لم تكن موجودة أصلاً .

أخرج جاسون قطعة الورق من جيبه ووضعها فى النور على لوحة المفاتيح ، شعر فجأة بحركة خارج الباب فكتم أنفاسه ، وأطفأ المصباح ، ثم أغلق الشاشة . مرت عدة دقائق وجاسون جالس فى الظلام ، ظهرت نقطة عرق على جبهته ثم انزلقت على أنفه

قبل أن تنزل لتستقر على شفته . كان خائفا جداً لدرجة أنه لم يستطع أن يمسحها .

بعد خمس دقائق من الصمت قام جاسون بإنارة مصباحه وفتح شاشة الحاسب واستأنف عمله . ثم ابتسم ابتسامة عريضة وخاصة عندما انهار نظام حماية قواعد البيانات تحت ضغط نقراته المتلاحقة . وأخذ يعمل بسرعة إلى أن وصل إلى آخر قائمة الملفات المكتوبة على الورقة ، ثم أخرج من جيبه قرصاً مرناً للحاسب مساحته ثلاث بوصات والنصف ووضعه فى مشغل الأقراص الخاص بالحاسب . وبعد دقيقتين قام جاسون بسحب القرص وأغلق الحاسب ثم غادر المكان . ومشى بهدوء عائداً مرة أخرى خلال أنظمة الأمن ، ثم حيا تشارلى مودعاً إياه وخرج فى ظلام الليل .

الفصل الثالث

انبعث ضوء القمر ماراً بالنافذة ليظهر بعض الأشياء فى ظلمة الغرفة الواسعة . فعلى مكتب طويل مصنوع من خشب الصنوبر الصلب كان يوجد عدد من براويز الصور على ثلاثة صفوف . وفى إحدى الصور الموضوعة فى الصف الخلفى ، كانت سيدنى آرتشر ترتدى حُلة زرقاء وتستند إلى سيارة جاجوار لونها فضى لامع ، وإلى جوارها جاسون آرتشر يبتسم مرتدياً قميصاً وحمالات وكان ينظر بحب إلى عينى سيدنى . وكانت هناك صورة أخرى لهما واقفين أمام برج إيفل يشيران بأصابعهما إليه ويضحكان .

فى الصف الأوسط من الصور كانت توجد صورة لـ " سيدنى " بعد عدة سنوات وقد أصبح وجهها بالغ السمنة وشعرها مبللاً ممتداً على جانبى رأسها وهى تضجع على السرير فى أحد المستشفيات ،

وتحمل ابنتها الصغيرة بين ذراعيها . أما الصورة المجاورة لهذه فكانت لـ " جاسون " نائماً على الأرض وهو يرتدى قميصاً مقفول الصدر بكم قصير وشورتاً وكانت ذقنه طويلة وكانت ابنته تنام على صدره .

كانت الصورة الموضوعة فى منتصف الصف الأول لابنتهما وقد بلغت العامين وترتدى فستاناً كأميرة ويقف أبواها خلفها ينظران إلى الكاميرا بينما يحتضنان البنت الصغيرة من الخلف .

كان جاسون وسيدنى يرقدان فى فراشهما ، وكان جاسون يتقلب من جنب إلى آخر ويلف فى الفراش . كان هذا بعد أسبوع من زيارته الأخيرة إلى مكتبه ليلاً ، وكان لا يستطيع النوم مطلقاً . وبجوار باب غرفة النوم كانت هناك حقيبة كبيرة مصنوعة من القماش السميك بها خطوط طولية وعرضية ومكتوب عليها حروف جيه . دبليو . إيه بجوار صندوق أسود معدنى ، وكانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية صباحاً . وقد تسللت يد سيدنى من تحت الفراش ومسحت بها على رأس جاسون .

ظلت سيدنى تداعب شعر زوجها ثم اقتربت منه وسألته : " هل أنت نائم ؟ " ولم يكن هناك صوت سوى أصوات أبواب منزلهما القديم .

التف جاسون لينظر إلى زوجته وقال : " لا ليس بعمق " .

قالت سيدنى : " إنك تتقلب كثيراً مثل آمى فى نومها " .

ابتسم جاسون وقال : " أتمنى ألا أكون قد تكلمت أثناء نومى ، فأنا لا أريد أن أبوح ببعض الأسرار " .

ضحكت سيدنى وردت : " كل شخص يحتاج للاحتفاظ ببعض الأسرار على ما أعتقد ، على الرغم من أننا قد اتفقنا على ألا يخفى

أحد أسراره عن الآخر " . فتح جاسون فمه للحظة كما لو كان سيتكلم ، ولكنه أغلقه بسرعة ، ومد ذراعيه ونظر إلى الساعة . وتأوه عندما رأى الساعة وقال : " يجب أن أستيقظ الآن ، فالتاكسى سيكون هنا الساعة الخامسة والنصف " .

نظرت سيدنى إلى الحقائب الموجودة عند الباب وظهر عليها العبوس وقالت : " جاءت هذه الرحلة بصورة مفاجئة لك يا جاسون " .

لم ينظر جاسون إليها ، ولكنه فرك عينيه وتثاءب ثم قال : " هذا صحيح ، فلم أكن أعلم شيئاً عنها حتى عصر أمس ، ولكن عندما يأمرنى رئيسى بالذهاب ، على أن أذهب " .

تنهدت سيدنى وقالت : " كنت أعلم أنه سيأتى يوم ونسافر معاً خارج المدينة فى نفس الوقت " .

كان صوت جاسون قلقاً وهو ينظر إليها : " ولكن ألا تستطيعين تدبر الأمر مع دار رعاية الأطفال ؟ " .

" كان يجب أن أرتب مع أحد ليبقى مع آمى ، ولكن لا بأس لن تغيب أكثر من ثلاثة أيام أليس كذلك ؟ " .

حك فروة رأسه بقوة وقال : " ثلاثة على الأكثر ، ألا تستطيعين الاعتذار عن رحلة نيويورك ؟ " .

هزت سيدنى رأسها وقالت : " لا يستطيع المحامون الاعتذار عن رحلات العمل فالالتزام هو دليل المحامى الناجح " .

" يا إلهى ، ما تقومين به أنت فى ثلاثة أيام أكثر مما يفعله غيرك بكثير فى خمسة أيام " .

قالت سيدنى : " حسناً يا حبيبى ، لا يجب أن أخبرك بذلك ، لكن فى مهنتنا ليس المهم ما تقدمه من خدمة اليوم ، لكن الأهم ما تقدمه غداً وبعد غد " .

نهض جاسون جالساً وقال : " هذا ما يحدث بالضبط فى تريتن ، فإن توقعاتهم ترنو إلى القرن المقبل . فى يوم ما ستتحسن أحوالنا وتتحقق أحلامنا " .

هزت سيدنى رأسها موافقة وقالت : " هذا صحيح ، وأثناء انتظارنا لهذا اليوم المشرق ، سأقوم بالاحتفاظ برواتبنا وتسديد الديون ، اتفقنا ؟ " .

قال جاسون : " اتفقنا ، لكن يجب أن تكونى متفائلة ، انظرى إلى المستقبل " .

قالت سيدنى : " بما أنك تتكلم عن المستقبل ، ألا تفكر فى أن ننجب طفلاً آخر ؟ " .

قال جاسون : " إننى مستعد لذلك جداً . وإذا كان الطفل الثانى سيكون مثل آمى ، سيكون ذلك شيئاً رائعاً جداً " .

فرحت سيدنى بعدم اعتراض جاسون على فكرة الإنجاب لمرة ثانية .

استندت سيدنى على الوسادة ونظرت إلى سقف الغرفة . فمنذ ثلاث سنوات مضت كانت فكرة ترك العمل لا يمكن طرحها ، وحتى الآن ؛ فإن عملها كمحامية لنصف الوقت لا يتناسب مع حياتها مع آمى وجاسون ، فهى تتوق للحرية الكاملة لتنعم بالجلوس طول الوقت مع طفلتها . ولكن لا يمكنهم الاعتماد على مرتب جاسون بمفرده ، حتى مع كل ما خفضوه من ميزانيتهم ، ومحاولة أن ينفقوا بقدر ما يكسبون فقط . ولكن من يدرى ما الذى يحدث إذا استمر جاسون فى العمل بشركة تريتن ؟

لم تكن سيدنى ترغب فى الاعتماد من الناحية المالية على أى شخص آخر . ونظرت إلى جاسون ، ماذا إذا اعتمدت اقتصادياً على

شخص واحد ، فمن سيكون أفضل ممن أحبته من اللحظة التى وقعت عيناها عليه ؟ وبينما كانت مستمرة فى النظر إليه ، ظهرت دمعة فى عينيها ، فجلست ومالت عليه .

أكملت سيدنى حديثها قائلة : " يمكنك مقابلة بعض أصدقائك السابقين بينما تكون فى لوس انجلوس لكن عليك ألا تقابل صديقاتك . فإنك لن تستطيع أن تتركنى ، وأبى سيعاقبك " .

وانتقلت بعينيها ببطء لترى عضلات بطنه المتكسدة واحدة فوق الآخرى ، والعضلات التى تظهر على أكتافه . وتذكرت سيدنى مرة أخرى كم هى محظوظة لأنها أصبحت جزءًا من حياة جاسون آرتشر . كما أنها كانت تعلم تماماً " أن زوجها يعلم أيضاً أنه محظوظ جداً لأنه تعرف عليها . لم يرد عليها ولكن نظر إليها فقط فأكملت حديثها وقالت : " إنك أهدرت كثيراً من الليالى فى الأشهر السابقة يا جاسون ، حيث كنت تجلس فى مكتبك طوال الوقت ، وكنت تترك لى الرسائل فى منتصف الليل لتخبرنى بعودتك إلى العمل . لذلك فأنا أفتقدك بشدة " .

قام جاسون بتقبيلها على وجنتها رداً على كلامها .

واستطردت قائلة : " وبالإضافة إلى هذا فإن تريتن ، بها الكثير من الموظفين ، وليس من الضرورى أن تقوم أنت بكل الأعمال " .

نظر إليها وظهر فى عينيه القلق وقال : " إنك تعتقدين ذلك أليس كذلك ؟ "

تنهدت سيدنى وقالت : " بعد الانتهاء من عملية سيبركوم قد تكون مشغولاً أكثر من أى وقت مضى . ربما يجدر بى أن أفسد هذه الصفقة ، فأنا أقدم الاستشارات القانونية لشركة تريتن ، على أية حال " . ثم ابتسمت .

ضحك جاسون ضحكة ليست نابعة من قلبه ، حيث كان مشغولاً بالتفكير فى أمر ما .

استطردت سيدنى قائلة : " ستكون المقابلة فى نيويورك ممتعة على أية حال " .

ركز جاسون نظره عليها فجأة وقال : " لماذا ؟ " .

قالت سيدنى : " لأنكم ستجتمعون بشأن صفقة سيبركوم وسيكون ناثان جامبل وصديقك الحميم كونتين رووى بالطبع هناك " .

شحب وجه زوجها وتلعثم قائلاً : " كنت ـ كنت أعتقد أن هذا الاجتماع سيكون بخصوص عرض شركة بيل تيك " .

قالت سيدنى : " لا ، لقد انتبهت من هذا الموضوع منذ شهر مضى ، ولذلك فقد ركزت جهودى كى تحصل تريتن على صفقة سيبركوم وأعتقد أننى أخبرتك " .

وسألته : لماذا تجتمعون فى نيويورك ؟ "

رد عليها قائلاً : " إن ناثان جامبل هناك هذا الأسبوع ، ولديه منزل رائع يطل على حديقة . هذه طريقة أصحاب الملايين فى إنجاز أعمالهم ، لذلك تقرر ذهابى إلى نيويورك " .

نهض جاسون جالساً وقد شحب وجهه لدرجة أن سيدنى ظنت أن مرضاً ما قد ألم به .

سألته سيدنى وهى ممسكة بكتفيه : " ما الخطب يا جاسون ؟ "

استطاع جاسون أن يتمالك نفسه أخيراً ونظر إليها وكان حديثه مقلقاً لها .

" سيدنى إننى لن أذهب إلى لوس أنجلوس للعمل من أجل تريتن " .

أبعدت سيدنى يديها عن كتفيه ونظرت إليه فى دهشة . وظهر فجأة كل ما كانت تشعر به خلال الأشهر الماضية من شك . وقد جف حلقها تماماً وقالت : " ماذا تعنى يا جاسون ؟ " .

أخذ جاسون نفساً عميقاً وأمسك يدها قائلاً : " أعنى أن هذه الرحلة ليست من أجل تريتن " .

احمر وجهها وسألته : " من أجل مَنْ إذن ؟ " .

رد عليها جاسون : " إنها من أجلى وأجلنا ! إنها من أجلنا جميعاً يا سيدنى " .

جلست سيدنى وظهر عليها الوجوم وقالت : " إنك ستخبرنى يا جاسون بما يحدث ، وستخبرنى بذلك الآن " .

مال جاسون برأسه وانشغل بغطاء السرير . مسكت سيدنى ذقنه بين يديها ونظرت إليه منتظرة كلامه . شعرت سيدنى بصراعه الداخلى وقالت : " جاسون ، تخيل أنها عشية عيد الميلاد يا حبيبى " .

تنهد جاسون وقال : " إننى ذاهب إلى لوس أنجلوس من أجل عقد مقابلة عمل مع شركة أخرى " .

أبعدت يدها عنه وقالت : " ماذا ؟ " .

أخذ جاسون يتحدث بسرعة : " إنها شركة أليجرابورت وهى من أكبر شركات تصنيع البرامج فى العالم . وقد عرضوا على منصب نائب مدير الشركة ، وقد حددوا لى مرتباً أكبر من مرتبى الحالى بثلاثة أضعاف ، وكذلك علاوة كبيرة جداً فى نهاية العام ونسبة من أرباح الشركة ومكافأة كبيرة عند نهاية الخدمة . هذا كل ما فى الموضوع يا سيدنى " .

أشرق وجه سيدنى فى الحال وقد ارتخى جسدها وقالت : " هذا هو السر الكبير الذى كنت تخفيه عنى ؟ هذا عرض رائع يا جاسون . لماذا لم تخبرنى إذن ؟ " .

رد عليها جاسون قائلاً : " كنت لا أريد أن أضعك فى حرج ، فأنت المستشارة القانونية الخاصة بشركة تريتن . وكل الساعات المتأخرة التى كنت أقضيها فى المكتب كنت أحاول فيها أن أنهى عملى هناك ، فأنا لا أريد أن أتركهم فى وقت حرج . كما أن شركة تريتن شركة قوية ولا أريد أن أتسبب لهم فى أية مشكلة " .

ردت عليه سيدنى : " يا حبيبى ، ليس هناك ما يمنعك قانوناً من الانضمام لشركة أخرى . وسيفرحون لك " .

رد عليها قائلاً : " هذا صحيح ! " ، وقد بدا على نبرة صوته مرارة حيرتها للحظة إلا أنه أسرع ولم يتح لها فرصة لتسأله عن سبب ذلك ثم أضاف : " إنهم سيدفعون لنا مصاريف انتقالنا . فى الحقيقة إننا سوف نحقق مكاسب رائعة فى هذا المكان تكفينا لتسديد جميع فواتيرنا " .

تصلبت سيدنى قائلة : " انتقالنا " .

رد عليها جاسون : " إن مقر شركة أليجرا فى لوس أنجلوس ؛ لذلك سننتقل إلى هناك . وإذا كنت لا تريديننى أن أوافق على هذا العرض سأحترم قرارك " .

أجابته سيدنى : " إنك تعلم يا جاسون أن الشركة التى أعمل بها لديها مكتب فى لوس أنجلوس ، لذا سيكون الأمر ممتازاً " . ثم اعتدلت فى جلستها مرة أخرى ونظرت إلى سقف الغرفة ثم نظرت إلى جاسون وقد لمعت عيناها وقالت : " تقول ثلاثة أضعاف مرتبك الحالى ، بالإضافة إلى المكسب من هذا المنزل ، ثم نسبة من أصول

الشركة . كل هذا سيمكننى من أن أرعى آمى طوال الوقت ولن أضطر لتركها أثناء فترات عملى " .

ابتسم جاسون عندما احتضنته سيدنى لتهنئته بالأمر . وأكملت سيدنى حديثها : " لهذا كنت مندهشة عندما أخبرتنى بأنك تسافر لعقد اجتماع خاص بشركة تريتن .

نظرت إليه وقد بدت عليها الحيرة .

قال : " إنهم يعتقدون أننى فى إجازة لبضعة أيام لإجراء بعض الأعمال فى المنزل " .

قالت له : " حسناً ، لا تقلق يا عزيزى ، فأنت تعلم أن هناك علاقة حميمة بين المحامى وعميله ، وعلاقة أقوى حميمية بين الرجل وزوجته " . رد عليها جاسون : " قلت لك إننى لم أرد أن أضعك فى موقف حرج . وأنا سعيد الآن لأنى أخبرتك بحقيقة الأمر . علىَّ أن آخذ حماماً الآن ، وبعد ذلك علىَّ إنجاز بعض المهام قبل مغادرتى " .

قبل أن ينهض واقفاً لفت سيدنى يديها حول وسطه وقالت : " أحب أن أساعدك فى أى شيء يا جاسون " .

التفت برأسه إليها قائلاً : " إننى أقول دوماً إنك تساعديننى فى كل شيء يا سيدنى " .

نظرت إليه وقالت : " أنا مستعدة للمزيد " .

نظر جاسون بعمق فى عينيها وقال : " أصبحت الآن أجمل بكثير مما كنت عليه حين عرفتك أول مرة يا سيدنى آرتشر وكل يوم أحبك أكثر وأكثر " . خرجت هذه الكلمات من فمه بعذوبة وهدوء مما جعلها ترتعش ككل مرة . ولم تكن الكلمات التى استخدمها هى التى أثرت فيها ، ولكن طريقة قوله لهذه الكلمات ، وصوته ، وعينيه ولمسة يده لها كان لها أكبر تأثير عليها .

نظر جاسون إلى الساعة مرة أخرى وقال : " علىَّ أن أغادر خلال ثلاث ساعات لألحق بطائرتى " .

قالت له وهى تعانقه : " حسناً ، فالثلاث ساعات بمثابة دهر كامل " .

بعد مضى ساعتين مشى جاسون آرتشر فى ردهة بيته وفتح باب غرفة صغيرة كانت بمثابة غرفة مكتب يوجد بها حاسب ، ودولاب لحفظ الملفات ، ومكتب خشبى ، ومكتبتان صغيرتان . كانت الغرفة مزدحمة ولكنها كانت مرتبة ، وكان يوجد بها نافذة صغيرة .

أغلق جاسون باب مكتبه وأخذ مفتاحاً من درج المكتب وفتح الدرج العلوى من دولاب الملفات ، توقف ليسمع ما إذا كان هناك أى صوت أم لا ، فقد أصبح ذلك من عادته حتى وهو داخل بيته ، وقد أزعجته بشدة تلك الحقيقة فجأة . لقد ذهبت زوجته لتنام ، و " آمى " مستغرقة فى النوم فى غرفتها . فتوجه إلى الدرج وجذب حقيبة جلدية كبيرة بحرص شديد من الطراز القديم بها حزامان لهما إبزيم من النحاس . فتح الحقيبة وأخرج منها قرصاً مرناً فارغاً . كانت التعليمات التى حصل عليها دقيقة للغاية ، وهى أن يخزن أى شيء حصل عليه على قرص واحد ، ويقوم بعمل نسخة من جميع المستندات ثم يقوم بإتلاف أى شيء آخر .

وضع جاسون القرص داخل مشغل الأقراص وقام بنسخ جميع البيانات الأخرى التى كانت لديه على ذلك القرص أيضًا ، وعند الانتهاء كان عليه أن يضغط على رز " إلغاء " اتباعاً للتعليمات التى

حصل عليها والتى تنص على إلغاء جميع الملفات الموجودة على حاسوبه .

وارتعشت أصابع جاسون إلا أنه اختار فى نهاية الأمر أن يتبع إحساسه الداخلى .

وقد استغرق منه الأمر بضع دقائق لعمل نسخة من القرص المرن بعدها قام بإلغاء الملفات الموجودة على حاسوبه . وبعد أن قام بقراءة محتويات نسخة القرص المرن بإمعان من على شاشة الحاسب لعدة لحظات استغرق بضع دقائق أخرى لأداء بعض المهام الإضافية على حاسوبه . ثم أخرج نسخة القرص المرن من الحاسب ووضعها داخل بطانة جراب داخلى صغير فى حقيبة السفر الجلدية . وحسب التعليمات ، قام بعد ذلك بطبع محتويات القرص المرن الأصلى ووضع الورق المطبوع والقرص المرن الأصلى فى جزء محكم من الحقيبة .

أخرج جاسون محفظته بعد ذلك وسحب الكارت البلاستيكى الذى استخدمه من قبل لكى يدخل مكتبه ، حيث لم يعد بحاجة له بعد الآن وألقاه داخل درج المكتب وأغلقه .

قام جاسون بفحص حقيبته جيداً ، وكانت أفكاره تحلق بعيداً عن الغرفة الصغيرة الواقف بها . كان مستاءً من الكذب على زوجته ، فهو لم يفعل ذلك أبداً من قبل ، كما كان إحساسه بمراوغتها بغيضاً جداً بالنسبة له . لكن الأمر أوشك على الانتهاء ، وقد ارتعش جسده عندما تذكر جميع المخاطر التى مر بها . كما أنه شعر بالخوف أيضاً عندما تذكر أن زوجته لم تعرف شيئاً عن حقيقة الأمر ، ثم أخذ يراجع فى ذاكرته الخطة من جديد ، وما سيقوم به ، والخطوات التى يتبعها للتملص من أى شىء ، وكذلك الأسماء السرية للأشخاص الذين سيقابلونه . نظر خارج النافذة وأخذ يحملق

فى الأفق الواسع وكان شىء واحد يدور فى ذهنه هو أن بعد ذلك اليوم يمكنه أن يقول ولأول مرة إنه أمر قد استحق فعلاً المخاطرة . وإن كل ما عليه هو أن يجاهد اليوم من أجل الوصول إلى ما يرغب .

الفصل الرابع

كان الظلام الذى يخيم على مطار دويلز الدولى قد أوشك على الزوال بظهور الخيوط الأولى من نور الفجر . ومع بداية اليوم الجديد وقفت سيارة أجرة أمام مدخل المطار ، وفُتح الباب الخلفى للسيارة ونزل جاسون آرتشر حاملاً حقيبته الجلدية فى يد ، والصندوق الأسود المعدنى فى الأخرى ومعه حاسبه الشخصى المحمول . وكان يضع على رأسه قبعة كبيرة ذات لون أخضر داكن وعليها شريط من الجلد .

ابتسم جاسون عندما مر بذكرياته اللحظات الممتعة التى قضاها مع زوجته . وعلى الرغم من أنه تركها منذ وقت طويل ، فإن رائحة عبيرها لا تزال تحيط به .

وضع جاسون حاسبه للحظة ومد يده داخل السيارة ليأخذ الحقيبة المصنوعة من القماش وعلقها فى كتفه .

وقف عند المكان المخصص لتذاكر شركة طيران ويسترن آيرلينز وقد أظهر رخصة القيادة الخاصة به ، وحصل على رقم مقعده والبطاقة الخاصة به للصعود إلى متن الطائرة ، كما تم تفتيش حقيبته . وقد استغرق لحظة ليهندم ياقة معطفه ، وضغط على قبعته ، وضبط رابطة عنقه التى كان بها دوائر ذهبية وبنية اللون . وكان يرتدى بنطلوناً رمادياً داكناً وفضفاضاً . أما جواربه فقد كانت بيضاء من النوع الرياضى وكان يرتدى حذاء تنس . وبعد مضى بضع دقائق ، اشترى جاسون جريدة يو . إس . إيه . توداى ، وفنجاناً من القهوة ، ثم مر من خلال بوابات الأمن .

كانت السيارة الموصلة للطائرة ممتلئة فوقف جاسون بين سيدات ورجال يرتدون ملابس تشبه تلك التى كان يرتديها : ملابس داكنة ، رابطة عنق ملونة . وكانت هناك عربة معدنية تتكدس عليها حقائب المسافرين .

لم يترك جاسون حقيبته الجلدية من يده مطلقاً ، وكان يضع الحاسب بين رجليه ، وينظر من وقت لآخر إلى الركاب النائمين ثم يعاود النظر مرة أخرى إلى الجريدة إلى أن توقفت العربة حيث أوصلتهم إلى صالة الركوب .

نظر جاسون إلى ساعته بينما جلس فى ساحة الانتظار الواسعة المواجهة للبوابة رقم ١١ ، حيث كان سيبدأ قريباً صعود الركاب إلى الطائرة . ونظر خارج النافذة الواسعة ليرى عدداً من طائرات شركة ويسترن آيرلينز بشكلها المعتاد ذات الخطوط البنية والصفراء تستعد للقيام برحلاتها فى الساعات الأولى من الصباح . وقد ازدانت السماء

بأشرطة وردية اللون بينما كانت الشمس تشرق ببطه لتنير الساحل الشرقى . كانت الرياح تضرب بقوة الزجاج السميك خارج الصالة ، وكان عمال الطائرات يقاومون دفعها لهم بقوة . فقد كان هذا ينبئ بقدوم فصل الشتاء قريباً حيث يؤدى تساقط الثلوج إلى تغطية المنطقة بالكامل إلى شهر أبريل المقبل .

أخرج جاسون بطاقة صعوده إلى الطائرة من جيب معطفه الداخلى وحفظ ما بها من بيانات عن الرحلة فقد كانت رحلة ويسترن آيرلينز رقم ٣٢٢٣ متجهة من مطار دويلز الدولى بـ " واشنطن " إلى مطار لوس أنجلوس الدولى مباشرة وبدون توقف . كان جاسون قد ولد وتربى فى منطقة لوس أنجلوس ولكنه لم يذهب إليها منذ عامين . وكان ضمن الطائرات أيضاً رحلة لطائرة ويسترن آيرلينز " تتجه إلى ولاية سياتل بعد فترة راحة قصيرة قضتها فى شيكاغو . وقد أوشكت أيضاً على الإقلاع . لعق جاسون شفتيه وشعر بالخوف فجأة ، وبلع ريقه مرتين ليقضى على الجفاف الذى أصاب حلقه . وبعد أن انتهى من شرب قهوته أخذ يتصفح الجريدة وكان يلاحظ كمية المتاعب والمآسى التى يمر بها العالم والتى تظهر فى كل صفحة من صفحات الجريدة الملونة .

وبينما كان جاسون يطالع عناوين الجريدة لاحظ رجلاً يخطو خطوات واسعة بثبات وسط الجموع . كان طوله يبلغ حوالى ست أقدام وجسده ذا انحناءة ، وكان شعره أشقر . وكان هذا الرجل يرتدى معطفاً يشبه معطف جاسون وبنطلوناً رمادياً فضفاضاً ، ورابطة عنق مماثلة لرابطة عنق جاسون . كما أنه كان يحمل حقيبة جلدية مثل جاسون وحاسباً آلياً محمولاً أسود مثل الذى مع جاسون . وفى اليد التى تحمل الحاسب كان يمسك أيضاً ظرفاً أبيض .

نهض جاسون سريعاً واتجه إلى دورة مياه الرجال التى كانت قد فتحت تواً بعد تنظيفها .

دخل جاسون المرحاض الأخير وأغلق بابه من الداخل ، ثم علق معطفه على خطاف الباب ، وفتح حقيبته الجلدية وأخرج حقيبة كبيرة من النايلون يمكن طيها ، ثم أخرج مرآة طولها أربع فى ثمانى بوصات وضغط عليها على الجدار فالتصقت بالباب بسبب المغناطيس الموضوع على ظهرها . أخرج بعد ذلك نظارة سوداء سميكة ليستبدلها بنظارته التى كانت حوافها مصنوعة من المعدن الرقيق ، ثم ألصق شارباً أسود . ووضع بعد ذلك على رأسه شعرًا مستعارًا قصيرًا يتناسب مع الشارب الأسود ، ثم قام بعد ذلك بخلع رابطة عنقه والجاكت الذى كان يرتديه ووضعهما فى الحقيبة واستبدل ذلك بسترة رياضية . خلع جاسون بعد ذلك بنطلونه الفضفاض ، حيث كان يرتدى تحته بنطلوناً رياضياً أيضاً وبذلك لم يصبح حذاء التنس الذى كان يرتديه غريباً بل كان ملائماً لملابسه ، ثم قام بقلب معطفه ليصبح لونه أزرق غامقاً بدلاً من البنى . وتفحص مظهره مرة أخرى فى المرآة ، ثم وضع حقيبته الجلد وحاسبه والمرآة داخل الحقيبة النايلون ، وترك القبعة على خطاف الباب من الداخل ، ثم فتح الباب واتجه إلى الحوض .

بعد أن غسل يديه ، أخذ جاسون يتفحص شكل وجهه الجديد فى المرآة . ظهر فى المرآة الرجل الأشقر الطويل الذى رآه جاسون من قبل عند مدخل باب دورة المياه ، ودخل متجهاً إلى المرحاض الذى خرج منه جاسون تواً ثم أغلق الباب خلفه . استغرق جاسون لحظة ليجفف يديه جيداً ، وفى غضون ذلك خرج الرجل من المرحاض واضعاً قبعة جاسون فوق رأسه . ولولا ما قام به جاسون

من تنكر لظن من ينظر إليه وإلى الرجل أنهما توأم . وعند خروجهما من باب دورة المياه اصطدما ببعضهما ، اعتذر جاسون سريعاً ولم ينظر الرجل إليه ، ولكنه مشى مسرعاً وقد أخذ تذكرة سفر جاسون ووضعها داخل جيبه بينما أخذ جاسون منه الظرف الأبيض ووضعه داخل معطفه .

كان جاسون قد أوشك على الرجوع إلى مقعده بينما نظر إلى مجموعة الهواتف الموجودة . وبعد أن تردد للحظة اتجه مسرعاً إلى أحد الهواتف واتصل بأحد الأرقام .

" أهلاً يا سيدنى " .

كانت سيدنى ترتدى ملابسها فى ذلك الوقت ، وتقوم بإطعام آمى آرتشر وتعد الملفات داخل حقيبتها . ردت عليه : " جاسون ؟ ماذا حدث ؟ هل تم تأجيل موعد سفرك ؟ " .

كان جاسون يشعر بالخجل لكونه يتحدث إلى زوجته وهو متنكر . رد عليها قائلاً : " لا ، إن الطائرة ستقلع فى غضون دقائق " .

سألته سيدنى بينما كانت تقوم بإعداد معطف آمى وقالت :

" حسناً ، هل حدث شيء ؟ " .

" لا ، لم يحدث شيء . ولكننى أتصل لأطمئن إذا ما كانت الأمور تسير على ما يرام " .

أجابته سيدنى بغضب : " حسناً سأخبرك بما يحدث الآن : إننى متأخرة عن موعدى ، وابنتك غير متعاونة معى كالعادة ولاحظت للتو أننى نسيت تذكرة الطائرة وبعض المستندات التى أحتاج لها فى عملى ، وهذا يعنى أنه لن يتبقى لى سوى عشر دقائق فقط بدلاً من نصف ساعة " .

رد عليها جاسون : " إننى متأسف جداً يا سيدنى ، أنا ... " وقبض بيده على الحقيبة النايلون . سيكون اليوم هو اليوم الأخير . وأخذ يردد فى نفسه اليوم الأخير . وإذا حدث شيء ـ ولأى سبب بالرغم من الاحتياطات التى يتخذها ـ فلن تعرف زوجته شيئاً أبداً .

كانت سيدنى مضطربة للغاية ، فقد قامت آمى بسكب طعامها على المعطف الذى ترتديه وسقطت كمية من الحليب على حقيبة سيدنى التى كانت ممتلئة على آخرها بأغراضها ، وبينما كانت سيدنى تحاول مسك الهاتف تحت ذقنها ردت عليه وقالت :

" يجب أن أذهب يا جاسون " .

" لا ، يا سيدنى انتظرى فأنا أريد أن أخبرك بـ ... " .

وقفت سيدنى وظهر على صوتها أنها لا تقبل مناقشة الأمر ، فقد كانت تحاول جاهده إصلاح ما قامت به آمى من فوضى وردت عليه قائلة : " لدىَّ طائرة يجب أن ألحق بها أنا الأخرى إلى اللقاء يا جاسون " ، وأغلقت الهاتف وحملت ابنتها تحت ذراعها وأخذت طعامها وانطلقت خارج الباب .

وضع جاسون الهاتف ببطء ومشى بعيداً عنه . وزفر نفساً عميقاً فهذه هى المرة الألف التى يدعو فيها من أجل أن ينتهى هذا اليوم كما كان مخططاً له . ولم يلحظ جاسون رجلاً كان ينظر فى اتجاهه من آن لآخر ثم يلتفت بعيداً . كان هذا الرجل قد مرّ من قبل أمام جاسون قبل أن يتنكر فى دورة المياه . وكان قريباً جداً منه حتى تمكن من قراءة بطاقة التعريف الملتصقة على حقيبة سفره . وكانت هذه البطاقة صغيرة إلا أنها كانت خطأ غير مقصود من جاسون لأنها كانت تحمل إسمه الحقيقى وعنوانه .

وقف جاسون بعد عدة دقائق فى صف ليصعد إلى طائرته ، وأخرج الظرف الأبيض الذى أخذه من الرجل فى دورة المياه ، وأخرج تذكرة الطائرة التى كانت بداخله . وتساءل فى نفسه كيف تبدو ولاية سياتل . ونظر عبر الممشى فى ذلك الوقت إلى الرجل الذى يشبهه تماماً وراه وهو يتجه إلى الطائرة المتجهة إلى لوس أنجلوس ، ثم لمح جاسون راكباً آخر يقف فى الصف المؤدى إلى طائرة لوس أنجلوس . كان هذا الرجل طويلاً ، أصلع الرأس ذا وجه مربع وله لحية كبيرة . كانت هذه الملامح تبدو مألوفة لـ " جاسون " ، ولكنه لم يتمكن من التعرف على صاحبها ، حيث اختفى الرجل عند مدخل الباب فى طريقه إلى الطائرة المنتظرة . هز جاسون كتفيه وقام بإظهار بطاقة صعوده إلى الطائرة ثم مشى فى طريقه إليها .

بعد مضى نصف ساعة ، وبينما بدأت الطائرة التى كان بها آرثر ليبرمان فى التحرك بقوة على الأرض محدثة ضجة وقد ظهر دخانها الأسود محلقاً فى السحاب لتبدأ رحلتها التى تقطع مئات الأميال متجهة نحو الشمال ، ارتشف جاسون آرتشر فنجاناً من القهوة وفتح حاسبه الشخصى . كان جاسون يبتسم وهو ينظر من نافذة الطائرة وهى تحلق لتتجه إلى ولاية شيكاغو ، فقد انتهى الجزء الأول من رحلته بلا مشاكل ، وسمع صوت الطيار معلناً سير الرحلة فى اتجاهها على ما يرام .

الفصل الخامس

استمرت سيدنى آرتشر فى الضغط على آلة التنبيه دون صبر وقد اتجهت السيارة الواقفة أمامها مسرعة عندما تحول ضوء الإشارة إلى اللون الأخضر . نظرت سيدنى فى المرآة التى أمامها لتتفحص المقعد الخلفى من سيارتها التى من طراز فورد إكسبلورر حيث وجدت آمى وقد جلست فى مقعدها الخاص مستغرقة فى نوم عميق وتمسك دميتها فى إحدى يديها . كانت آمى تشبه أمها فى شعرها الأشقر الكثيف وذقنها القوية وأنفها الدقيق ، بينما أخذت العيون الزرقاء ورشاقتها الرياضية من أبيها على الرغم من أن سيدنى آرتشر كانت تشترك فى فريق كرة السلة للفتيات أثناء وجودها بالمدرسة .

اتجهت سيدنى إلى ساحة انتظار السيارات ووقفت أمام مبنى مؤلف من طابقين،فخرجت من سيارتها وفتحت الباب الخلفى

ورفعت ابنتها برفق من مقعدها ، ثم حملت الدمية والحقيبة الخاصة بـ " آمى " ، غطت سيدنى رأس آمى بغطاء الرأس ، كما غطت وجهها من البرد القارس بمعطفها . وكانت هناك لافتة على باب مزدوج الزجاج مكتوب عليها " مركز جيفرسون لرعاية الأطفال " .

وفى الداخل ، قامت سيدنى بخلع معطف آمى وأزالت بقايا الطعام المسكوب عليه ثم تفحصت الأطعمة الخاصة بها الموجودة داخل حقيبتها قبل أن تسلمها إلى كارين وهى إحدى العاملات بالمركز . كانت كارين ترتدى رداء أبيض ملطخاً بألوان حمراء كما كان يظهر على كمها الأيمن بقع خضراء .

مالت كارين على آمى وقالت : " أهلاً يا آمى ، لقد أحضرنا بعض الألعاب الجديدة التى تحبينها " . كانت آمى مازالت تمسك بدميتها وتضع إبهامها الأيمن فى فمها الصغير .

رفعت سيدنى حقيبة آمى وقالت : " يوجد بالحقيبة بعض الأطعمة وبعض العصير وموزة . لقد أكلت آمى إفطارها . يمكنك إعطاؤها رقائق البطاطس والكعك إذا كانت طفلة مطيعة . واتركيها تنم فترة أطول فى وقت الراحة يا كارين فهى لم تنم جيداً الليلة البارحة " .

أعطت كارين إصبعها لآمى لتمسك به وقالت : " حسناً يا سيدة آرتشر ، إن آمى طفلة مطيعة دائماً ، أليس كذلك يا آمى ؟ "

مالت سيدنى على آمى وقبلتها فى وجنتها وقالت : " يمكنك الحصول على ما تريدين ، إلا إذا رفضت أن تأكلى أو تنامى أو لم تطيعى الأوامر " .

كانت كارين أماً لطفل فى مثل عمر آمى . وقد تبادلتا الابتسام هى و " سيدنى " .

ثم قالت سيدنى : " سأكون هنا حوالى الساعة السابعة والنصف مساءً يا كارين " .

" حسناً يا سيدنى " .

نظرت آمى إلى أمها وقالت : " إلى اللقاء يا أمى ، أحبك كثيراً " .

التفتت سيدنى لتنظر إلى آمى ووجدتها تلوح لها بيدها معبرة لها عن أسفها لما حدث بينهما فى معركة الصباح ، فأخذت تلوح لها هى الأخرى .

قالت سيدنى : " أحبك أيضاً يا آمى ، سأحضر لك الليلة آيس كريم لتأكليه بعد العشاء . وأنا متأكدة من أن والدك سيتصل اليوم ليتحدث إليك ، اتفقنا يا آمى ؟ " ، ظهرت ابتسامة رائعة على وجه آمى .

بعد مضى نصف ساعة كانت سيدنى تقف فى ساحة الانتظار الخاصة بعملها . أخذت حقيبتها وأغلقت باب سيارتها ثم انطلقت إلى المصعد . كانت الرياح الباردة تجعلها تفكر فى قدوم الشتاء ، حيث يستخدمون المدفأة الموجودة فى غرفة معيشتهم . وكانت سيدنى تحب رائحة النار ، حيث كانت تشعرها بالراحة والاطمئنان . كما أن قدوم الشتاء قد ذكرها بعيد رأس السنة حيث تكون هذه أول سنة تحتفل فيها آمى معهم . وكانت سيدنى تشعر بالبهجة بقدوم الأعياد ، حيث كانوا يذهبون من قبل لزيارة العائلة ولكن هذا العام سيمكث جاسون وسيدنى وآمى معاً فى المنزل للاحتفال بالأعياد ، ويقدما الهدايا لابنتهما الصغيرة .

على الرغم من أن سيدنى كانت تعمل نصف الوقت فقط فإنها كانت من أكثر المحامين اجتهاداً فى عملها . وكان ستون أحد

الشركاء فى تايلور يبتسم فى كل مرة يمر فيها بمكتب سيدنى آرتشر لأنه يعرف ما أحرزته الشركة من تقدم نتيجة لمجهوداتها وكان عمل سيدنى لنصف الوقت مجرد فترة مؤقتة . فبإمكانها ممارسة المحاماة فى أى وقت طوال حياتها ، ولكن ليس لديها فرصة واحدة لتكون أماً لآمى وهى طفلة صغيرة .

كان جاسون قد اشترى منزلهم بنصف الثمن بسبب التجديدات التى كان يحتاج لها المنزل ، حيث قام هو وسيدنى مع مجموعة من المقاولين الفرعيين بإتمام العمل بسعر مناسب فى العامين الماضيين . كما قاما بشراء سيارتهما الـ " فورد " بسعر مناسب أيضاً . كان آخر قروض الدراسة التى كانا يحصلان عليها قد انتهى ، فقاما بتخفيض المصاريف الشهرية إلى النصف تقريباً . وخلال عام آخر ستنتهى تقريباً جميع ديون عائلة آرتشر .

تذكرت سيدنى الساعات الأولى من صباح هذا اليوم ، حيث كانت الأخبار التى قالها جاسون مدهشة . كانت سيدنى تشعر بالفخر بجاسون ، فهو يستحق هذا النوع من النجاح أكثر من أى شخص آخر . وكان يبدو لها أن هذا العام سيكون عاماً سعيداً . كان جاسون يعمل طوال كل هذه الليالى الطويلة مجمعاً لتفاصيل عمله . وقد مرت هى بساعات طويلة من القلق الذى لم يكن له داعٍ . وهى تشعر الآن بالندم لأنها قد ظلمته بالشك فى تصرفاته وتعزم على البوح له بما كانت تفكر فيه وتنوى الاعتذار له عما بدر منها تجاهه عند عودته .

خرجت سيدنى من المصعد وأسرعت عبر الردهة ثم فتحت باب مكتبها . وقامت بتفحص بريدها الإلكترونى وكذلك البريد الصوتى حيث لم تجد شيئا مهماً . ثم قامت بوضع المستندات التى تحتاج لها خلال رحلتها فى الحقيبة وأخذت تذاكر الطائرة من على المقعد

حيث تركتها سكرتيرتها الخاصة ، فوضعت حاسبها المحمول فى حقيبة ، ثم تركت رسالة صوتية إلى سكرتيرتها بها مجموعة من التعليمات وكذلك لأربعة من المحامين المساعدين لها فى العمل بشأن عدد من الموضوعات ، وبعد الانتهاء عزمت على الاتجاه إلى المصعد مرة أخرى .

تم فحص الأوراق الخاص بسيدنى عند عربة الانتقال إلى الطائرة يو . إس . إير فى مطار ناشيونال ، وبعد بضع دقائق كانت جالسة فى مقعدها فى الطائرة بوينج ٧٣٧ حيث كانت واثقة من أن الطائرة ستقلع فى موعدها لتبدأ رحلتها المتجهة إلى مطار لاجارديا بنيويورك والتى تستغرق خمسين دقيقة فقط . وكانت المدة التى يستغرقها المرء من المطار إلى المدينة كتلك التى يستغرقها لقطع مسافة ٢٣٠ ميلاً أو ما يقرب من ذلك لينتقل من عاصمة الدولة إلى عاصمة المال .

كانت الطائرة ممتلئة كالعادة . وبينما كانت سيدنى تربط حزام الأمان ، لاحظت رجلاً عجوزا يجلس إلى جوارها . وكان هذا الرجل يرتدى بدله عتيقة الطراز تتكون من ثلاث قطع . وكان يرتدى رابطة عنق عريضة حمراء اللون . وكانت توجد حقيبة جلدية إلى جواره قد قبض عليها بيده بينما كان ينظر من نافذة الطائرة . وكانت تظهر بعض الخصل البيضاء من شعره . لاحظت سيدنى ظهور قطرات من العرق على صدغه الأيسر وفوق شفتيه الرفيعتين .

ويبدو أن تحرك الطائرة على الممر الرئيسى استعداداً لعملية الإقلاع قد عمل على تهدئة الرجل العجوز ، وقد التفت إلى سيدنى .

تحدث قائلاً : " لم أعد بحاجة لأن أسمع المزيد عن ذلك " . كان صوته عميقاً وغليظاً ويدل على أنه قد قضى حياته فى الجنوب .

نظرت إليه سيدنى بتعجب وقالت : " ما هذا ؟ " .

أشار الرجل إلى خارج النافذة الصغيرة وقال : " يجب أن تتأكدى من أنهم قاموا بضبط أجنحة الطائرة حتى تتمكن من الإقلاع من الأرض . أتذكرين تلك الطائرة فى دىترويت ؟ حيث نسى الطيارون ضبط الأجنحة وقتلوا كل من كان على متن الطائرة ما عدا طفلة صغيرة " .

نظرت سيدنى خارج النافذة للحظة وقالت : " إننى متأكدة من أن الطيارين على دراية بهذا الأمر " . ثم تنهدت بداخلها . وكان آخر ما تتوقعه جلوسها إلى جوار شخص يخشى الطيران . عاودت سيدنى النظر إلى أوراقها حيث كانت تتصفح العرض التقديمى الذى ستلقيه قبل أن تخبر المضيفة الركاب بترك متعلقاتهم تحت المقاعد ، فقامت سيدنى بوضع الأوراق داخل حقيبتها وزجت بها تحت المقعد الذى أمامها . نظرت سيدنى خارج النافذة فى الظلام لتجد أمواج البحر المتقلبة ، وأسراباً من طيور النورس تمتد عبر المياه والتى كانت تبدو من بعيد كقطع ورق متطايرة . وانطلق صوت الطيار معلناً إقلاع الطائرة .

بعد بضع ثوانٍ كانت الطائرة تقلع عن أرض المطار وبعد أن تخطت الحاجز الجوى الذى يمنع الطيران فوق المنطقة المحظورة فوق البيت الأبيض والكابيتول (مبنى الكونجرس الأمريكى) اتجهت الطائرة مسرعة للارتفاع المسموح لها به .

وبعد عدة دقائق وعندما وصلت الطائرة إلى ارتفاع تسع وعشرين قدماً ، مرت المضيفة بعربة المشروبات وأخذت سيدنى فنجاناً من

الشاى والكيس الإجبارى من الفول السودانى المملح . وعندما سألت المضيفة الرجل العجوز عن مشروبه رفض وهز رأسه واستمر فى النظر خارج النافذة وكان يبدو عليه القلق .

مالت سيدنى وجذبت حقيبتها من تحت المقعد لتقوم باستكمال بعض الأعمال فى الوقت المتبقى . استقرت فى مقعدها وأخذت بعض الأوراق من حقيبتها ، وبينما بدأت تتصفح الأوراق لاحظت أن الرجل العجوز مازال ينظر خارج النافذة . كان يبدو على جسده الضئيل التوتر كلما سمع صوت ارتطام أو أى صوت غريب قد ينبأ بحدوث كارثة . وكانت عروق رقبته مشدودة ، ويداه قابضتين على ذراعى مقعده . ظهر على وجه سيدنى الشفقة على الرجل ، حيث إن الشعور بالخوف شىء قاسٍ جداً . ربتت سيدنى على ذراع الرجل وابتسمت . نظر الرجل سريعاً لها وابتسم وكان يبدو عليه الإحراج ، وقد احمر وجهه خجلاً .

قالت سيدنى وكان صوتها هادئاً ومطمئناً للرجل : " إنهم يقومون بهذه الرحلة كثيراً جداً ، وإننى متأكدة من أنهم قد تدربوا على حالات الطوارئ " .

ابتسم الرجل مرة أخرى وفرك يديه وقال : " إنك على حق يا سيدة ... " .

ردت عليه سيدنى : " اسمى سيدنى ، سيدنى آرتشر " .

قال الرجل : " وأنا جورج بيرد . إننى سعيد بمعرفتك يا سيدنى " . ومد يده مصافحاً لها بقوة .

نظر بيرد فجأة خارج النافذة ليرى السحب المتكدسة ، وكان ضوء الشمس قوياً يخترق زجاج النافذة ، فأسدل جزءاً من ستارة النافذة

وقال : " إننى سافرت بالطائرة مرات عديدة على مر السنين ، لعلك تعتقدين أننى كان يجب علىّ أن أعتاد الطائرات " .

أجابته سيدنى برفق قائلة : " قد يكون الأمر مدمراً لأعصاب أى شخص يا جورج ، ولا يهم كم مرة سافرت بالطائرة ولكنه ليس مفزعاً كالسفر بالحافلات التى يجب أن تستقلها إلى المدينة " .

ضحك الاثنان معاً ، ثم انتفض بيرد عندما مرت الطائرة بأحد المطبات الجوية وتغير لون وجهه مرة أخرى . نظرت سيدنى إليه وقالت محاولة أن تثير انتباهه إليها : " هل تسافر إلى نيويورك باستمرار يا جورج ؟ " ، ولم تكن تشعر بالقلق من أية وسيلة من وسائل المواصلات من قبل ، ولكن منذ مولد آمي بدأ يظهر عليها قليل من الخوف عند ركوبها طائرة أو قطاراً أو حتى سيارتها الخاصة . نظرت سيدنى لتتفحص وجه بيرد حيث بدا عليه القلق بشدة مرة أخرى عندما سمع صوت اصطدام وقالت : " إن الأمور تسير على ما يرام يا جورج ، إنه مجرد اضطراب بسيط " .

أخذ بيرد نفساً عميقاً ونظر إليها مباشرة وقال : " إننى عضو مجلس إدارة لشركتين يقع مقرهما فى نيويورك ، لذلك فعلىَّ الذهاب إلى هناك مرتين سنوياً " .

نظرت سيدنى إلى أوراقها مرة أخرى ، وتذكرت شيئاً فجأة وظهر عليها العبوس ؛ فقد لاحظت خطأً فى الصفحة الرابعة يجب إصلاحه عند وصولها إلى المدينة .

لمس جورج بيرد ذراعها وقال : " أعتقد أننا بخير اليوم على الأقل . أعنى كم مرة تتحطم طائرتان فى نفس اليوم ؟ أجيبينى " .

كانت سيدنى مشغولة ؛ لذلك لم ترد عليه مباشرة ، ثم التفتت إليه وقالت : " معذرة ، ماذا تقول ؟ "

مال عليها بيرد وقال بصوت منخفض : " لقد ذهبت إلى مطار ناشيونال فى الساعة الثامنة صباحاً وسمعت اثنين من الطيارين يتحدثان ، ولم أصدق ما حدث فقد كانا فى غاية الاضطراب وشعرت أنا الآخر بالاضطراب " .

بدا على وجه سيدنى علامات الارتباك وقالت : " عَمَّ تتحدث ؟ "

اقترب بيرد منها وقال : " أنا لا أعرف ما إذا كان هذا الخبر قد أذيع على الجماهير أم لا ، ولكننى سمعتهم جيداً إلا إنهم ظنوا أننى لم أتمكن من سماع ما قالوا " . توقف عن الكلام وكان يبدو عليه الأسى ونظر بعينيه إلى من حوله ثم نظر إلى سيدنى مرة أخرى وقال : " لقد تحطمت طائرة فى الصباح الباكر ، ولم ينج منها أحد " .

توقفت جميع أعضاء سيدنى للحظة وسألته : " أين وقع ذلك الحادث ؟ " .

هز بيرد رأسه وقال : " لم أتمكن من سماع ذلك الجزء ، ولكنها طائرة كبيرة على ما سمعت ، وقد سقطت فجأة أثناء طيرانها . ولهذا السبب كان هذان الطياران فى غاية الاضطراب . أليس هذا أمراً مفزعاً ؟ " .

" ألم تعلم إلى أى من شركات الطيران تنتمى هذه الطائرة ؟ "

هز رأسه مرة أخرى وقال : " أعتقد أننا سنعرف المزيد قريباً جداً حيث يتم عرض الخبر فى التلفاز عند وصولنا إلى نيويورك . لقد اتصلت بزوجتى من المطار وأخبرتها بأننى بخير ولكنها لم تكن تعرف شيئاً بعد عن الموضوع ، بيد أننى لم أرد أن يتملكها القلق إذا شاهدت هذا الحادث فى التلفاز أو سمعت عنه من أى جهة " .

نظرت سيدنى إلى رابطة عنقه الحمراء وقد تخيلتها فجأة وكأنها جرح عميق فى حلقه . هزت رأسها ثم نظرت إلى الأمام وقد اتخذت قراراً سريعاً للقضاء على قلقها ؛ حيث قامت بإدخال بطاقة فى الفتحة الموجودة على المقعد الذى أمامها وأمسكت بهاتف الطائرة من موضعه وقامت بالاتصال بجهاز الاستدعاء الخاص بـ " جاسون " حيث لم يكن لديها الرقم الجديد لهاتفه الجوال . وعلى أى حال فإنه من الطبيعى أن يغلق هاتفه أثناء ركوبه الطائرة ؛ لأن المضيفة قد وبخته مرتين لاستقبال مكالمات من هاتفه أثناء الطيران . كانت سيدنى تدعو الله ألا يكون قد نسى أخذ جهاز الاستدعاء معه . نظرت إلى ساعتها فعرفت أنه سيكون فى منتصف طريقه فى ذلك الوقت . كان من السهل على جهاز الاستدعاء أن يستقبل الرسائل أثناء الطيران . ولكن جاسون لن يتمكن من الاتصال بها لأن الطائرة ٧٣٧ التى تركبها سيدنى لم تكن قد تم تزويدها بتلك التقنية بعد ، ولذلك قامت بترك رقم مكتبها على جهاز الرد الآلى وستنتظر عشر دقائق ثم تتصل بسكرتيرتها .

بعد انقضاء عشر دقائق ، اتصلت سيدنى بمكتبها . ردت عليها السكرتيرة سريعاً ، ولم يكن زوجها قد اتصل . وبسبب إلحاح سيدنى ، قامت السكرتيرة بفحص البريد الصوتى الخاص بسيدنى ، ولم تكن هناك أية رسائل أيضاً . ولم تكن سكرتيرتها قد سمعت أى شيء عن حادث الطائرة ؛ الشيء الذى جعل سيدنى تتساءل ما إذا كان جورج بيرد قد أساء فهم كلام الطيارين . أو ربما كان يتخيل حدوث أى كارثة ممكنة ولكن كان عليها أن تتأكد من الأمر . أخذت سيدنى تتذكر أى شركة طيران كانت تتبعها طائرة زوجها ، ثم اتصلت بالاستعلامات وحصلت على رقم شركة يونيتد آيرلينز الجوية . وأخيراً تمكنت من الاتصال بأحد الموظفين

الذى أخبرها بقيام رحلة فى الصباح الباكر من مطار دويلز متجهة إلى مدينة لوس أنجلوس ولم ترد أى أخبار عن سقوط هذا الطائرة .

لم تكن سيدنى ترغب فى مناقشة الموضوع عبر الهاتف وقد أغلقت الخط ومازال يساورها الشك . ثم قامت بعد ذلك بالاتصال بخطوط طيران " أميركان آيرلينز " و " ويسترن آيرلينز " ولم يمكنها التوصل إلى أى شخص للرد عليها ، حيث كانت خطوط الهاتف مزدحمة بالمكالمات ، وقد عاودت الاتصال ولكن دون جدوى . سرت رعشة فى جسد سيدنى ، فربت جورج بيرد على كتفها مرة أخرى وقال : " أليس كل شيء على ما يرام يا سيدنى ؟ " . لم تجب سيدنى عليه ، واستمرت فى النظر إلى الأمام ولم تكن واعية لما يدور حولها إلا ما كانت تفكر فيه وهو أنها ستسرع بالخروج فور هبوط الطائرة .

الفصل السادس

نظر جاسون آرتشر إلى جهاز الاستدعاء الخاص به وقد ظهر رقم على شاشته الصغيرة ، فحك ذقنه ثم خلع نظارته ومسحها بمنديله الورقى . كان هذا رقم الهاتف المباشر الخاص بمكتب زوجته . وكانت الطائرة التى يركبها (دى سى - ١٠) مثل الطائرة التى تركبها زوجته من حيث وجود هاتف مثبت فى ظهر كل مقعد . مد جاسون يده ناحية الهاتف ثم توقف ، لأنه يعرف أن سيدنى فى مقر شركتها فى نيويورك اليوم ؛ ولذلك كان ظهور رقم مكتبها أمراً محيراً بالنسبة له . ظن جاسون للحظة أن مكروهاً قد أصاب آمى ، لذا قام بفحص جهاز الاستدعاء مرة أخرى ؛ فوجد الاتصال قد تم الساعة التاسعة والنصف صباحاً ، فهز رأسه مندهشاً ، لأنه يعلم أن زوجته يفترض أن تكون على متن الطائرة فى طريقها إلى نيويورك

ولا تعلم شيئاً عن آمى . وكان من المفترض أن تكون ابنتهما فى دار الرعاية قبل الثامنة صباحاً . كان جاسون يظن أن زوجته قد اتصلت لتعتذر له لأنها قد أغلقت الخط سريعاً عندما اتصل بها من المطار إلا أن استنتاجه كان بعيداً كل البعد عن الحقيقة . فليس من المعقول أن تتصل به من الطائرة لتترك رقم مكتبها بينما يعرف هو أنها لن تكون هناك فى ذلك الوقت .

شحب وجه جاسون فجأة . فإذا لم تكن زوجته هى التى أجرت هذه المكالمة فمن يا ترى قد اتصل به من هناك . جلس يفكر فى الأمر .

ورجع بظهره على المقعد وأخذ يقلب ما تبقى من قهوته بملعقة بلاستيكية . كانت المضيفات فى ذلك الوقت يحملن أطباق الطعام بعد انتهاء الركاب من الأكل وبدأن فى توزيع الوسائد والبطاطين لمن يرغب . قبض جاسون بيده على مقبض حقيبته بقوة ، ونظر إلى حاسبه المحمول الموجود تحت المقعد الذى أمامه . ربما تكون رحلتها قد تم إلغاؤها على الرغم من أن جامبل كان قد وصل بالفعل إلى نيويورك ولا يستطيع أحد أن يلغى موعداً مع ناثان جامبل ، فقد كان جاسون يعرف ذلك جيداً ، بالإضافة إلى أن صفقة سيبركوم كانت تمر بمرحلة حساسة للغاية .

رجع جاسون بظهره إلى الخلف أكثر وكان يتحسس جهاز الاستدعاء بأصابعه ، وكان يفكر : ما الذى يحدث إذا أجرى اتصالاً بمكتب زوجته ؟ هل سيتم تحويل مكالمته إلى نيويورك ؟ أيجب عليه أن يتصل بالمنزل ليتفحص الرسائل الصوتية ؟ سيتطلب أى اتصال استخدام الهاتف الجوال . وقد كان مع جاسون هاتف حديث ومتطور داخل حقيبته إلا أن استخدام الهواتف كان ممنوعاً

طبقاً لنظام خطوط الطيران ؛ لذا عليه أن يستخدم الهاتف الموجود فى الطائرة ، وفى هذه الحالة يجب أن يستخدم بطاقة ائتمان أو بطاقة للهاتف ، كما أنه خط غير آمن . بحيث يتيح الفرصة لمعرفة مكانه مهما كان بعيداً .

كان من المفترض أن يكون متوجهاً إلى لوس أنجلوس إلا أنه الآن على متن طائرة تطير على ارتفاع ٣١ ألف قدم فوق دنفر بـ " كلورادو " فى طريقه إلى الجزء الشمالى الغربى من المحيط الأطلنطى . لقد كان هذا الحدث المفاجئ مقلقاً فعلاً خاصة بعد كل الترتيبات الاحتياطية ، وكان جاسون يأمل فى ألا يكون ذلك بادرة تدل على انكشاف أمره .

نظر جاسون مرة أخرى إلى جهاز الاستدعاء ، فقد كان هذا الجهاز مزوداً بخدمة إظهار عناوين الأخبار ، وكذلك آخر أهم الأنباء على الشاشة عدة مرات فى اليوم . لم يهتم جاسون بالأخبار السياسية والمالية التى كانت تظهر على الشاشة فى تلك اللحظة ، وأخذ يفكر فى الرسالة التى وصلته من زوجته لبضع دقائق ثم حذفها ووضع سماعات الأذن ، إلا أن ذهنه كان شارداً ولم يلتفت إلى أحداث الفيلم الذى يتم عرضه على شاشات الطائرة .

انطلقت سيدنى عبر الجموع فى صالة الوصول فى مطار لاجارديا . وكانت حقيبتاها تصطدمان برجليها . لم تلحظ سيدنى أحد الشباب إلى أن أوشك على الاصطدام بها تقريباً .

كان هذا الشاب فى العشرينات ويرتدى بزّة سوداء ورابطة عنق ، ويضع على شعره البنى المجعد قبعة سائق قائلاً : " هل أنت سيدنى آرتشر ؟ " . توقفت سيدنى ونظرت إليه بفتور وقد سرى الخوف فى جميع أرجاء جسدها بينما كانت تنتظره ليلقى

عليها رسالته المروعة ، ثم لاحظت اللوحة التى يمسكها بيده وعليها اسمها ، بعدها استرخى جسدها . لقد أرسلت الشركة سيارة لتوصيلها إلى مكتب مانهاتن ، ولكن سيدنى كانت قد نسيت هذا الموضوع . فأومأت ببطء وقد شعرت بالاطمئنان .

حمل الشاب إحدى حقائبها وقادها إلى طريق الخروج وتحدث إليها : " لقد حصلت على وصف لك من المكتب ، فقد اعتدت على هذا للتعرف على الأشخاص فى حالة ما إذا لم يتمكن الشخص المقصود من رؤية اللوحة التى أحملها . وكما ترين فالجميع يتحركون هنا بسرعة مشغولين . إنك تحتاجين إلى وسيلة انتقال جيدة ، والسيارة فى الخارج " .

وقفت سيدنى مترددة بينما كانا يمران بمكتب فحص الأوراق . فقد كانت هناك أعداد كبيرة من المسافرين يقفون فى انتظار الانتهاء من فحص أوراقهم . نظرت سيدنى سريعاً لتبحث عن أى عامل فى خطوط الطيران لا يكون مشغولاً ، ولكنها لم تر سوى العمال الذين يحملون أمتعة المسافرين وقد كان هذا جيداً . أليس كذلك ؟

نظر السائق إليها وقال : " هل كل شىء على ما يرام يا آنسة آرتشر ؟ هل أنت متعبة ؟ " ، وكان وجهها قد شحب فى الثوانى القليلة الماضية . استطرد قائلاً : " إن تلك الطائرات تجعلنى أشعر بالتعب أيضاً . لكنك ستصحبين بخير عندما تستنشقين الهواء النقى ، ذلك إذا كنت تعتبرين أن الهواء فى مدينة نيويورك نقى " ، ثم ابتسم .

اختفت ابتسامة السائق عندما اندفعت سيدنى بعيداً عنه بشكل مفاجئ .

أسرع السائق خلفها منادياً : " سيدة آرتشر " .

لحقت سيدنى بإحدى السيدات التى كانت تدل العلامة التى تظهر على ملابسها أنها إحدى موظفات شركة أميركان آيرلينز . استغرقت سيدنى بضع ثوان حتى تتمكن من طرح سؤالها ، وقد بدا على السيدة أمارات الدهشة .

وحتى لا يسمعها من يمرون بجانبها ردت عليها السيدة بصوت منخفض : " لم أسمع مطلقاً عن شىء من هذا القبيل ، أين سمعت هذا الكلام ؟ " وابتسمت السيدة عندما أجابتها سيدنى ، وكان السائق قد انضم إليها فى ذلك الوقت . ثم استطردت السيدة قائلة : " لقد خرجت تواً من اجتماع ، وإذا حدث شىء من هذا القبيل لإحدى طائراتنا كنا سنسمع عنه بالتأكيد ، كونى على ثقة مما أقول " .

ارتفع صوت سيدنى قائلة : " ولكن ماذا لو كان هذا الحادث قد وقع تواً ؟ أعنى .. " .

قاطعتها السيدة قائلة : " إن كل شىء على ما يرام يا سيدتى ، وليس هناك ما يدعو للقلق ، كما أن هذه الطائرات تعتبر من أكثر الطائرات أماناً حتى الآن " . ضغطت السيدة على يد سيدنى ونظرت إلى السائق وابتسمت ابتسامة مطمئنة ثم مشت بعيداً عنهما .

وقفت سيدنى تنظر إلى السيدة وهى تبتعد ، ثم أخذت نفساً عميقاً ، ونظرت حولها ثم هزت رأسها بطريقة تدل على الإحباط . وواصلت طريقها للخروج مرة أخرى ثم نظرت إلى السائق كما لو كانت تراه لأول مرة وسألته : " ما اسمك ؟ " .

" توم ، توم ريتشارد ، والجميع ينادينى بتومى " .

" هل أتيت إلى المطار فى الصباح الباكر يا تومى ؟ " .

" لا ، لقد وصلت من نصف ساعة فقط فأنت تعلمين صعوبة المواصلات " .

وصلا أخيراً إلى باب الخروج وقد أدت الرياح الشديدة التى قابلت سيدنى إلى احمرار وجهها ، كما أنها ترنحت للحظة ، فأمسك تومى بذراعها ليثبتها .

قال تومى : " لا يبدو عليك أنك بخير يا سيدتى . يمكننى توصيلك إلى الطبيب إذا أردت " .

استعادت سيدنى توازنها وقالت : " إننى بخير ، دعنا نركب السيارة فقط " .

هز السائق كتفيه وتبعته سيدنى إلى سيارة من نوع لينكولين تاون سوداء لامعة ، وقام بفتح الباب لها .

جلست سيدنى فى المقعد الخلفى وأخذت عدة أنفاس عميقة بينما اتخذ تومى مقعده وبدأ فى تشغيل السيارة ، ثم نظر إلى سيدنى فى المرآة التى أمامه وسألها : " هل أنت متأكدة أنك بخير يا سيدتى ؟ " .

أومأت سيدنى وابتسمت ابتسامة بسيطة وأجابته : " نعم إننى بخير أشكرك " . أخذت نفساً عميقاً آخر ، وفتحت أزرار معطفها ، وعدلت من ملابسها . كانت السيارة دافئة جداً من الداخل . نظرت سيدنى إلى السائق من الخلف .

قالت : " هل سمعت عن حادث تحطم طائرة اليوم يا تومى بينما كنت فى المطار أو من نشرة الأخبار ؟ " .

ظهر على تومى الاندهاش وقال : " حادث تحطم طائرة ؟ لم أسمع شيئاً عن هذا الموضوع ، كما أننى أستمع إلى الأخبار باستمرار . من قال إن هناك حادث تحطم طائرة ؟ هذا ليس

معقولاً . بالإضافة إلى أن لى أصدقاء يعملون فى معظم خطوط الطيران ، كانوا سيخبروننى إذا حدث ذلك " . ثم نظر إليها كما لو كان غير متأكد من سلامتها العقلية .

لم ترد عليه سيدنى ورجعت بظهرها إلى الخلف وأخذت الهاتف الجوال الموجود فى سيارة الشركة واتصلت بمكتب ستون الموجود بمدينة نيويورك . وحاولت أن تمحو من ذاكرتها جورج بيرد ، فليس من المعقول أن يقع حادث تحطم طائرة ولم يعرفه سوى رجل عجوز . لذا هزت رأسها وابتسمت ، فقد كان الأمر كله يبدو غريباً . قد يكون جاسون جالساً الآن منشغلاً بالعمل على حاسبه المحمول ، يتناول وجبة ويشرب فنجاناً آخر من القهوة ، أو قد يكون الآن يشاهد الفيلم الذى يتم عرضه فى الطائرة . قد يكون جهاز الاستدعاء الخاص به تعرض لبعض الأتربة ، وهذا ما ستوبخه عليه سيدنى عند عودته . وسيضحك عليها عندما تخبره بتلك القصة ، ولكن ليس هذا هو المهم ، فهى تتوق جداً لسماع تلك الضحكة .

تحدثت سيدنى فى الهاتف : " أنا سيدنى ، أخبر بول هارولد أننى فى الطريق . ونظرت من النافذة فرأت السيارات تسير بدون توقف فى الإشارات . أكملت حديثها : " سيستغرق ذلك خمساً وثلاثين دقيقة على الأكثر " .

أعادت سيدنى الهاتف إلى مكانه وعاودت النظر خارج النافذة مرة أخرى . كانت السماء ملبدة بالغيوم ، والرياح القوية تضرب السيارة وهى تسير فى طريقها متجهة إلى مانهاتن . نظر تومى إليها مرة أخرى فى المرآة وقال : " لقد تنبأ خبراء الأرصاد الجوية بسقوط الثلوج اليوم ، ولا أتذكر آخر مرة كانت تنبؤاتهم فيها صحيحة .

ولكن إذا صدقوا هذه المرة ، فلن يمكنك الخروج ، فهم يقومون بغلق مطار لاجارديا هذه الأيام عند حدوث أى شىء بسيط " .

استمرت سيدنى فى النظر خارج النافذة حيث كانت ناطحات السحاب المنتشرة فى مدينة مانهاتن تملأ الأفق . وكان كل ما يدور فى ذهن سيدنى فى ذلك الوقت منظر شجرة عيد رأس السنة فى ركن غرفة المعيشة ، والدفء الذى تبعثه نار المدفأة ، ولمسة يد زوجها وهو يضع رأسه على كتفها ، وأفضل من كل ذلك عينا ابنتهما ذات العامين اللامعة الضاحكة . وتذكرت المسكين جورج بيرد العجوز حيث كان يجب أن يستقيل من مجلس إدارة الشركتين لأنه لم يعد يحتمل العمل .

نظرت سيدنى إلى السائق وقالت : " إننى أفكر فى العودة بالقطار فعلاً يا تومى " .

الفصل السابع

جلس الجميع فى غرفة الاجتماعات الرئيسية فى مكتب نيويورك الواقع فى وسط مانهاتن حيث كان يتم عرض آخر القضايا الخاصة بالعمل وكذلك المسائل القانونية المتعلقة بصفقة سيبركوم . وبعد الانتهاء ، قامت سيدنى بغلق جهاز العرض وعادت الشاشة إلى اللون الأزرق . نظرت سيدنى إلى الغرفة الواسعة حيث كان هناك خمسة عشر رجلاً معظمهم فى أواسط الأربعينيات ينظرون بلهفة إلى رجل واحد يجلس على رأس المائدة ، وكان الجميع فى شبه عزلة عن العالم الخارجى لعدة ساعات فى تلك الغرفة المليئة بالتوتر .

كان ناثان جامبل رئيس شركة تريتن جلوبال عريض الصدر ، متوسط الطول ، فى منتصف الخمسينات ، وكان شعره المشط إلى الخلف ومثبتاً بكمية وفيرة من مادة مثبتة تظهر به خصل رمادية .

وكانت حُلته الباهظة الثمن قد تم تفصيلها بمهارة لتتناسب مع جسمه القوى الممتلئ . كانت تظهر على وجهه خطوط عميقة ويحمل بقية من سمرة موسم الإجازة ، وكان صوته جهورياً وذا لهجة آمرة . وكانت سيدنى تنظر إليه وهو يصيح عبر غرفة الاجتماع . فقد كان رئيس الشركة الناجحة يمثل أهم جزء فيها .

من تحت حاجبيه الكثيفين الرماديين نظر جامبل بعينيه البنيتين إلى سيدنى التى نظرت إليه بالمثل وقالت : " ألديك أى سؤال يا ناثان ؟ "

" لدى سؤال واحد فقط " .

أعدت سيدنى نفسها للإجابة ، وسألته : " ما هو هذا السؤال ؟ "

" لماذا تفعل هذا بالله عليك ؟ "

انتفض كل من كان بالغرفة ، فيما عدا سيدنى آرتشر ، كما لو كانوا جميعاً يجلسون على جمرة من نار .

ردت عليه سيدنى : " لست متأكدة من فهم سؤالك جيداً " .

تكلم جامبل بهدوء وكانت ملامح وجهه غامضة ونبرة صوته كانت حادة وقال : " أنا متأكد من أنك فهمت ما أقول إلا إذا كنت تتصفين بالغباء وأعلم جيداً أنك لست كذلك " .

ضغطت سيدنى على أسنانها بقوة وقالت : " لقد فهمت قصدك ، هل أنت غير راضٍ عن الثمن الذى ستدفعه من أجل شراء سيبركوم ؟ "

نظر جامبل حول المائدة وقال : " لقد عرضت سعراً باهظاً على هذه الشركة ، من الواضح أنهم غير راضين عن الحصول على عشرة بالمائة كعائد على استثماراتهم كما أنهم يريدون الاطلاع على

سجلاتى ، أليس هذا صحيحاً ؟ " ونظر إلى سيدنى منتظراً إجابتها . أومأت برأسها دون أن تتكلم واستكمل جامبل حديثه : " لقد اشتريت العديد من الشركات ولم يطلب أحد من قبل أشياء كهذه ، والآن تفعل شركة سيبركوم ذلك وهذا ما يجعلنا نعود مرة أخرى للسؤال الذى طرحته من قبل وهو لماذا نفعل ذلك ؟ وما الذى تتميز به شركة سيبركوم عن غيرها ؟ " ثم نظر إلى جميع الجالسين على المائدة ثم ثبت نظره على سيدنى مرة أخرى .

تحرك الرجل الجالس على يسار جامبل ، فقد كان ذهنه مشغولاً ـ بعيداً عما يدور فى الاجتماع ـ بالحاسب المحمول الذى كان أمامه . كان هذا هو كونتين رووى . رئيس شركة تريتن والذى يقع تحت رئاسة ناثان جامبل مباشرة . وبينما كان جميع الرجال الموجودين فى الغرفة يرتدون الحلل الأنيقة ، كان هو يرتدى بنطلوناً من اللون الأسمر الضارب إلى الصفرة ، وحذاء مزخرفاً ، وقميصاً أزرق وصدرية بنية مقفولة الأزرار . وكان يضع زرين من الألماس فى شحمة أذنه اليسرى ، فكان شكله لائقاً للظهور على أغلفة شرائط الكاسيت بدلاً من ظهوره فى غرفة خاصة بمجلس إدارة شركة كبرى كهذه .

قال رووى : " إن شركة سيبركوم شىء خاص يا ناثان ، وبدونها قد نخرج من مجال العمل فى خلال عامين . إن التقنية الخاصة بشركة سيبركوم ستبتكر طرقاً جديدة لمعالجة البيانات عبر شبكة المعلومات ، ومن ثم ستسيطر على هذا الموضوع ومادمنا نهتم بالأعمال الخاصة بالتكنولوجيا المتقدمة فلا يوجد بديل " ، وكان يبدو على نبرة رووى شعوره بقليل من الضجر ، وكان صوته خافتاً إلا أنه كان حاداً وأجش . ولم يتجه بنظره إلى جامبل .

أشعل جامبل سيجاراً ووضع قداحته الباهظة الثمن ، كعادته ، أمام علامة صغيرة من النحاس مكتوب عليها ممنوع التدخين ، وقال : " تعلم يا رووى أن هذه هى المشكلة مع التكنولوجيا المتقدمة اللعينة حيث تكون ملكاً فى الصباح ولا تساوى شيئاً عند المساء " .

رد عليه كونتين رووى بقوة : " حسناً ، إذا كان المال هو كل ما تهتم به ، ضع فى اعتبارك أن شركة تريتن هى الشركة المسيطرة على التكنولوجيا فى العالم ، وتحقق أكثر من مليارى دولار كأرباح ربع سنوية " .

نظر جامبل إلى رووى بطرف عينه نظرة يملؤها الاشمئزاز وقال : " ولكننا لن نساوى شيئاً فى مساء الغد " .

تنحنحت سيدنى آرتشر وقالت : " لن يحدث ذلك إذا حصلت على سيبركوم يا ناثان . " التفت جامبل لينظر إليها فواصلت قائلة : " ستكون على القمة خلال العقد القادم على الأقل ، وقد تزيد أرباحك ثلاثة أضعاف خلال خمس سنوات " .

لم يظهر على جامبل اقتناعه وقال : " حقاً ؟ "

أضاف رووى قائلاً : " إنها على حق ، يجب أن تعى أنه لم يتمكن أحد ، حتى الآن ، من تصميم البرامج ووسائل الاتصال التى ستمكن المستخدمين من الحصول على أقصى فائدة من شبكة المعلومات . فالجميع كان يتخبط محاولاً معرفة كيف يتم عمل ذلك . وهذا ما حققته شركة سيبركوم . وهذا هو السبب فى نشوب حرب عنيفة ضد الشركة ، ونحن الآن فى مكانة تمكننا من إنهاء تلك الحرب لصالحنا ، ويجب علينا فعل ذلك إذا كنا نريد استمرارها " .

نظر جامبل بحدة إلى سيدنى و " رووى " وقال : " لا أرغب فى أن يطلعوا على السجلات الخاصة بنا . فنحن شركة لها وضعها الخاص ، كما أننى ، حتى الآن ، أكبر مالك للأسهم " .

قالت سيدنى : " إنهم سيكونون شركاء لك يا ناثان . فهم لن يأخذوا أموالك ويذهبوا كما فعلت أنت عند الاستحواذ على الشركات الأخرى . ويريدون أن يعرفوا ما الذى يدخلون فيه ، كما أنهم قد طلبوا نفس الشيء من مقدمى العروض الآخرين " .

سألها جامبل : " هل قمتم بتقديم عرضى المالى الأخير ؟ "

أومأت سيدنى قائلة : " نعم ، لقد فعلنا " .

قال جامبل : " ثم ماذا ؟ "

أجابته سيدنى : " ثم تأثروا بالعرض وكرروا طلبهم بخصوص الاطلاع على سجلات الشركة الخاصة بالنواحى المالية وسير العمل . فإذا أعطيناهم ما طلبوا وجعلنا سعر الشراء مناسباً ، أعتقد أننا سنصل إلى اتفاق " .

احمر وجه جامبل ومال على قدمه وقال : " لا تستطيع شركة واحدة حتى الآن أن تسألنا عن أى شيء وهذه الحشرة سيبركوم تريد فحص سجلاتنا " .

تنهد رووى بقوة وقال : " إنه مجرد إجراء شكلى يا ناثان ، لن يسببوا أية مشاكل لشركة تريتن ، ونحن الاثنان نعلم ذلك . دعنا نبدأ العمل معهم ، كما أن السجلات سليمة " .

واستكمل كلامه وقد بدا عليه الإحباط : " فى الواقع ، لقد أكمل جاسون آرتشر عملية إعادة التنظيم وأنجز عملاً رائعاً فى مخزن يمتلأ بالورق الموضوع بطريقة عشوائية دون أى نظام . مازلت لا أصدق ما حدث " . ونظر إلى جامبل بازدراء .

قال له جامبل : إذا كنت قد نسيت ، فإننى كنت مشغولاً جداً بجمع الأموال يا رووى فالورق الوحيد الذى أهتم به هو الورق الأخضر " .

تجاهل رووى رد جامبل وقال : " نتيجة لما قام به جاسون يمكن الانتهاء من فحص السجلات سريعاً " . وأشاح دخان السيجار بعيداً عن وجهه .

نظر جامبل إلى رووى وقال : " حقاً ؟ " ثم نظر إلى سيدنى وقد بدا عليه العبوس : " حسناً ، أيمكن أن يخبرنى أحد لماذا لم يحضر آرتشر هذا الاجتماع إذن ؟ "

بهت وجه سيدنى ولم تتمكن من الرد لأول مرة خلال هذا اليوم .

تدخل رووى قائلاً : " إن جاسون فى إجازة لبضعة أيام " .

حك جامبل صدغه وقال : " حسناً ، لنتصل به على الهاتف لنعرف إلى أين وصلنا ، وبذلك قد نصل إلى اتفاق مع سيبركوم أو قد لا نتفق . ولكن الأهم أننى لا أريد أن نعطيهم معلومات لا يجب أن يحصلوا عليها ، فماذا يحدث إذا لم يتم الاتفاق ؟ ماذا يحدث إذن ؟ " ، ونظر جامبل نظرة حادة إلى كل الجالسين على المائدة .

جاء صوت سيدنى هادئاً وقالت : " سيكون لدينا مجموعة من المحامين يقومون بفحص كل مستند قبل إرساله إلى سيبركوم " .

نظر جامبل إلى رووى وقال : " جيد ، ولكن هل هناك أحد يعرف السجلات أفضل من زوجها ؟ " وانتظر إجابة رووى .

هز رووى كتفيه وقال : " لا ، لا يوجد أحد حتى الآن " .

قال جامبل : " إذن لنتصل به على الهاتف " .

قال رووى : " ناثان ـــــــ " .

قاطعه جامبل وقال : " يا إلهى ، ألا يستطيع رئيس الشركة أن يحصل على تقرير بشأن سير العمل من أحد الموظفين ؟ ولماذا يأخذ إجازة الآن بينما اشتعلت صفقة سيبركوم ؟ " ، والتفت برأسه تجاه سيدنى واستطرد قائلاً : " لا أستطيع أن أقول إننى أؤيد فكرة وجود زوج وزوجة فى نفس الشركة ، لكنك أفضل محامية عرفتها تعاملت مع هذه الصفقة " .

ردت عليه سيدنى : " شكراً لك " .

جلس جامبل وأخذ نفساً من سيجاره وقال : " لا تشكرينى ، فالصفقة لم تتم بعد . لنتصل بزوجك . أيوجد بالمنزل الآن ؟ " .

نظرت سيدنى بطرف عينها سريعاً ثم جلست وقالت : " فى الحقيقة هو ليس موجوداً الآن " .

نظر جامبل إلى ساعته وقال : " متى سيكون موجوداً إذن ؟ " .

اضطربت سيدنى وقالت : " لا أعرف بالتحديد ، لكنى اتصلت به فى فترة الراحة الأخيرة ولم أجده " .

رد عليها جامبل : " حسناً ، لنحاول الاتصال به مرة أخرى " .

حدقت سيدنى إلى وجه الرجل ، وشعرت فجأة بأنها وحيدة فى الغرفة الواسعة . تنهدت بداخلها وأعطت جهاز التحكم عن بعد الخاص بالتلفاز إلى بول بروفى أحد الشركاء المقيمين فى نيويورك . **أتمنى أن تحصل على هذا العمل الجديد يا جاسون حيث يبدو أننا سنحتاج له فعلا .**

فتح باب غرفة الاجتماع وأطلت السكرتيرة برأسها قائلة : " آسفة لإزعاجك سيدة آرتشر ، لكن هل هناك مشكلة تخص تذاكر طائرتك ؟ "

نظرت سيدنى فى حيرة وقالت : " لا أدرى يا جين ، لكن لماذا ؟ "

ردت : " حسناً ، لقد اتصل أحدهم من شركة الطيران وهو منتظر على الهاتف ويريد محادثتك " .

فتحت سيدنى حقيبتها وأخرجت تذاكرها بسرعة وقرأتها ، ثم نظرت إلى جين مرة أخرى وقالت : " إنها تذكرة ذهاب وإياب ؛ وتاريخ العودة مفتوح . فلماذا إذن تتصل بى شركة الطيران بخصوص ذلك ؟ " .

صاح جامبل : " أيمكن أن نستكمل الاجتماع ؟ " . تنحنحت جين ونظرت بقلق إلى ناثان جامبل ثم استمرت فى حديثها إلى سيدنى : " حسناً ، لماذا يريد هذا الشخص محادثتك ؟ قد يرغبون فى إلغاء تذكرة الإياب اليوم بسبب سوء الأحوال الجوية ، فإنها تمطر ثلجاً خلال الثلاثة أيام الماضية " .

أمسكت سيدنى جهازاً آخر وضغطت على أحد أزراره . فتحركت الستائر التى كانت تغطى النافذة .

شهقت بهلع : " يا إلهى ! " ، فقد كانت ترى الثلج الغزير وهو يتساقط لدرجة أنها لم تستطع رؤية المبنى الذى أمامها على الجانب الآخر من الطريق .

نظر بول بروفى إليها وقال : " مازالت سيارة الشركة تنتظر بالجراج يا سيدنى إذا كنت ترغبين فى البقاء ، ويمكننا تناول العشاء " ، نظر إليها وكان الرجاء يملأ عينيه .

جلست سيدنى ، وقد بدا عليها الإرهاق ، بدون أن تنظر إليه وقالت : " لا أستطيع ذلك " . كانت قد أوشكت على أن تقول إن جاسون خارج المدينة إلا إنها تراجعت فى آخر لحظة . كانت

سيدنى تفكر بسرعة ، من الواضح أن جامبل لن يكف عن السؤال عن زوجها . قد تتصل هى بالمنزل لتؤكد مرة أخرى ما قالته من قبل ؛ وهو أن جاسون ليس هناك . وعندما يخرجون جميعاً لتناول العشاء ، يمكنها التهرب منهم وتبدأ فى إجراء اتصالاتها بمدينة لوس أنجلوس ولتبدأ بمكاتب شركة أليجرابورت حيث يمكنها التوصل إلى جاسون من خلالهم ، ويمكن لجاسون فى ذلك الحين إرضاء فضول جامبل ، وبمحالفة قليل من الحظ لها ولزوجها يمكنهما الابتعاد بأقل الخسائر . وإذا كانت المطارات مغلقة ، يمكنها أخذ آخر قطار للعودة إلى منزلها ، وقامت سريعاً بحساب ساعات السفر . كما كان يجب أن تتصل بمركز رعاية الأطفال لتطلب من كارين اصطحاب آمى إلى المنزل ، وفى أسوأ الأحوال يمكن لآمى أن تنام عند كارين . كان الترتيب لتلك الليلة القاسية قد زاد من رغبة سيدنى فى البقاء بهدوء .

جاء صوت جين : " هل تريدين الرد على المكالمة يا سيدة آرتشر ؟ " .

خرجت سيدنى فجأة من استغراقها فى التفكير وقالت : " آسفة يا جين ، من فضلك حولى المكالمة . وإذا أمكن اتصلى بمحطة القطار لتحجزى لى فى آخر قطار ، فى حالة إذا ما تم إغلاق مطار لاجارديا " .

ردت عليها جين : " حاضر يا سيدتى " . ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها . ظهر وميض أحمر على الهاتف ، فالتقطت سيدنى السماعة .

قام بول بروفى بإيقاف جهاز العرض ، وقام بتشغيل التلفاز فظهرت الصور على الشاشة وملأت الأصوات المنبعثة من التلفاز

الغرفة . ضغط بول على زر إيقاف الصوت وعادت الغرفة هادئة مرة أخرى .

وضعت سيدنى السماعة على أذنها وقالت : " أنا سيدنى آرتشر ، أية خدمة ؟ " .

كان صوت السيدة من الناحية الأخرى يبدو عليه التردد إلا أنها تكلمت بهدوء وقالت : " اسمى ليندا فرى مان من شركة طيران ويسترن آيرلينز يا سيدة آرتشر ، لقد أعطانى مكتبك فى واشنطن هذا الرقم " .

هزت سيدنى رأسها وقالت : " شركة ويسترن ؟ لابد أن هناك خطأ ما ، لقد قمت بحجز تذكرة من شركة يو . إس . آير إلى مدينة نيويورك وهذه تذكرة ذهاب وإياب " . ظنت سيدنى أن هناك خطأ ، ولم تكن تحتمل أى شيء غير ذلك فى ذلك الوقت .

تكلمت السيدة وقالت : " أريد منك يا سيدة آرتشر أن تؤكدى صحة ما أقول ؛ إنك زوجة جاسون دبليو . آرتشر المقيم فى ٦١١ شارع مورجان لان فى مقاطعة جيفرسون ، بولاية فيرجينيا " .

ظهر على سيدنى الارتباك إلا أن ردها جاء تلقائياً : " نعم " ، وبمجرد خروج تلك الكلمة من شفتيها تجمد جسدها بالكامل وتوقف عن الحركة .

ظهر صوت بول بروفى فى الغرفة : " يا إلهى ! "

التفتت سيدنى لتنظر إليه ، وكانت جميع الأعين تتجه ناحية التلفاز ، فاتجهت سيدنى ببطء للنظر إلى الشاشة ، ولكنها لم تلحظ الكلمات التى ظهرت أعلى الشاشة - " تقرير إخبارى خاص " - ولا الأخبار التى كانت تظهر على الجزء السفلى من الشاشة بينما كان

مراسل الأخبار يقص الحادثة المأساوية . كانت عينا سيدنى قد تحجرت على الدخان الكثيف المنبعث من حطام الطائرة والتى كانت قد تفحمت . فقد كانت هذه الطائرة إحدى طائرات شركة ويسترن آيرلينز . **تذكرت سيدنى وجه جورج بيرد وما قاله عن حادث تحطم طائرة .**

سمعت سيدنى صوت السيدة مرة أخرى : " آسفة يا سيدة آرتشر لكن هناك حادثاً يتعلق بإحدى طائراتنا " .

لم تسمع سيدنى أكثر من ذلك ، فقد أرخت يدها ، وتركت سماعة الهاتف بطريقة لاإرادية ، ثم سقطت السماعة على الأرض .

استمر تساقط الثلج فى الخارج بغزارة ، وكانت الرياح الباردة تضرب النوافذ ، بينما استمرت سيدنى آرتشر فى النظر إلى الحفرة التى كان تظهر بها بقايا الطائرة ٣٢٢٣ ، وهى لا تصدق بالمرة ما حدث .

الفصل الثامن

ظهر رجل أسود الشعر ، ممتلئ الوجه ، يرتدى حلة من قطعتين ذات طراز حديث عند بوابة المطار فى سياتل ليقابل جاسون آرتشر ، وقد عرّفه بنفسه وأن اسمه ويليام . تبادل الاثنان جملتين بهما الشفرة التى تم الاتفاق عليها ، ثم مشيا معاً . عندما خرج ويليام من باب الخروج ليشير لإحدى السيارات لتقوم بتوصيلها ، انتهز جاسون الفرصة ليضع ظرفاً فى صندوق بريد موجود على يمين باب الخروج . كان بداخل هذا الظرف نسخة قرص الحاسب التى قام بنسخها قبل مغادرته منزله .

دخل جاسون مسرعاً إلى سيارة ليموزين كانت قد جاءت على الفور عندما أشار لها ويليام . وبداخل السيارة قدَّم ويليام بطاقة تحديد الهوية إلى جاسون والتى كان يظهر بها اسمه الحقيقى وهو

أنتونى ديبازا ، وقد تبادلا بعض الكلمات العادية وبينما كانا جالسين فى الخلف ، كان هناك رجل آخر يبدو عليه التحفظ وكان يرتدى حلة بنية اللون وبدأ يقود السيارة . وأثناء توصيلهما ، اقترح ديبازا على جاسون أن يخلع الشعر المستعار والشارب .

وضع جاسون حقيبته الجلدية على رجليه ، وقد لاحظها ديبازا ثم استمر فى النظر خارج النافذة . ولو أن جاسون أمعن النظر للاحظ وجود مسدس مع ديبازا ، كما كان مع السائق مسدس من نفس الطراز . وحتى لو كان قد رأى تلك الأسلحة فلم يكن ليندهش ؛ لأنه كان يتوقع أنهما يحملان المسدسات .

اتجهت السيارة الليموزين شرقاً ، ونظر جاسون خارج النافذة . كانت السماء ملبدة بالغيوم وأخذت قطرات المطر تتساقط على الزجاج . كان جاسون يعرف أن هذه طبيعة الطقس فى سياتل من خلال معلوماته الضئيلة عن الأرصاد الجوية .

فى غضون نصف الساعة كانت السيارة قد وصلت إلى وجهتها حيث كان هناك مجموعة من الأبنية بها مخازن دخلوا إليها عبر بوابة كهربائية حيث كان يقف عندها أحد حراس الأمن .

نظر جاسون حوله بضيق إلا أنه لم يقل شيئاً ؛ فقد قيل له أن يتوقع ظروفاً غير عادية فى هذه المقابلة . دخلوا أحد المخازن من باب معدنى مُعلق ، ارتفع عند اقتراب الليموزين ، وبدخول السيارة ، رأى جاسون الباب وهو ينزل مرة أخرى . كان الضوء الوحيد الذى يظهر يأتى من نافذتين يحتاجان للتنظيف . وكان هناك سُلم يظهر فى الجانب الغربى . نزل الرجلان من السيارة وأشارا لجاسون ليتبعهما . نظر جاسون حوله وقد بدأ القلق يتسلل إليه ، إلا أنه حاول جاهداً أن يبعد هذا الشعور عنه ، وأخذ نفساً عميقاً واتجه ناحية السُلم .

عندما صعدوا السلم ، دخل جاسون والرجل من باب ضيق إلى غرفة صغيرة ليس بها نوافذ ، بينما انتظر السائق فى الخارج . أضاء ديبازا النور ، ونظر جاسون حوله . كان الأثاث يتكون من منضدة للعب ألعاب الورق وكرسيين ، ودولاب لحفظ الملفات به ثقوب يكسوها الصدأ .

كانت هناك كاميرا للمراقبة فى الغرفة تم تشغيلها بمجرد إضاءة النور . كانت هذه الكاميرا موضوعة فى أحد ثقوب دولاب الملفات تدور فى الغرفة وتقوم بتسجيل ما يجرى دون إصدار أى صوت . ولم يكن جاسون يعلم شيئاً عن تلك الكاميرا .

جلس ديبازا على كرسى وأشار إلى جاسون بالجلوس ، وقال له بودٍ : " لن يستغرق الأمر طويلاً " . وأخرج سيجارة وقدم لجاسون واحدة إلا أنه رفض ، ثم استطرد قائلا : " تذكر يا جاسون ألا تتكلم نهائياً ، فهُم يريدون ما بداخل حقيبتك فقط ، وليس هناك داعٍ لتعقيد الأمور . اتفقنا ؟ " .

أومأ جاسون رأسه بالموافقة .

قبل أن يشعل ديبازا سيجارته ، جاءت ثلاث طرقات على الباب . وقف جاسون وأسرع ديبازا وترك سيجارته وقام بفتح الباب . ظهر عند الباب رجل قصير القامة ، ذو شعر رمادى ، يظهر على جلده سمرة وتملؤه التجاعيد . كان يقف خلفه رجلان يرتديان ملابس تبدو رخيصة الثمن ، ونظارات شمسية على الرغم من الضوء الخافت . وكان يبدو على كل منهما أنه فى أواخر الثلاثينيات .

نظر الرجل العجوز إلى ديبازا الذى أشار بدوره إلى جاسون ، ثم نظر الرجل إلى جاسون نظرة متفحصة . لاحظ جاسون فجأة أنه يتصبب عرقاً على الرغم من برودة الجو داخل المخزن .

نظر جاسون إلى ديبازا حيث أومأ إليه وسرعان ما ناوله جاسون الحقيبة الجلدية . نظر الرجل داخل الحقيبة ، وفحص محتوياتها سريعاً ، ثم قام بقراءة ورقة معينة بإمعان . وقام الرجلان الآخران بقراءة هذه الورقة أيضاً وقد ظهرت الابتسامة على أفواههم . ابتسم الرجل العجوز ابتسامة عريضة ، ووضع الورقة ثم أغلق الحقيبة وناولها إلى أحد رجاله . ناوله الرجل الآخر صندوقاً معدنياً فضى اللون ، فقام الرجل العجوز بإعطائه إلى جاسون . وكان يوجد على هذا الصندوق قفل إلكترونى .

سمع الجميع صوت طائرة فجأة وقد جعلهم ذلك الصوت يرفعون رؤوسهم جميعاً إلى أعلى ، فقد كان الصوت قوياً جداً لدرجة أنه خيل لهم أن الطائرة تهبط على سطح المبنى . اختفى هذا الصوت بعد بضع لحظات وعاد الهدوء يخيم على الغرفة مرة أخرى .

ابتسم الرجل العجوز ، وانصرف هو والرجلان خارجين من الغرفة وأغلقوا الباب خلفهم بهدوء .

وتنفس جاسون الصعداء .

انتظر هو وديبازا داخل الغرفة لمدة دقيقة دون أن يتكلما ، ثم قام ديبازا بفتح الباب وأشار لجاسون بالخروج ، ثم قام ديبازا والسائق باتباع جاسون بعد أن أطفأ النور . ثم أغلقت كاميرا المراقبة فى الحال بمجرد إطفاء النور .

ركب جاسون السيارة الليموزين مرة أخرى وكان يقبض بقوة على الصندوق الفضى ، الذى كان ثقيلاً . التفت إلى ديبازا وقال : " لم أتوقع أن تسير الأمور على هذا النحو " .

هز ديبازا كتفيه وقال : " مهما كنت تتوقع ، المهم أن الأمور قد سارت على ما يرام " .

" نعم ، لكن لماذا لم يُسمح لى بقول أى شىء ؟ " .

نظر إليه ديبازا وظهر عليه الضيق وقال : " ماذا كنت ستقول يا جاسون ؟ " .

هز جاسون كتفيه ولم يرد .

قال ديبازا وهو يشير إلى الصندوق المعدنى : " لو كنت مكانك ، لركزت انتباهى على محتويات هذا الشىء " .

حاول جاسون فتح الصندوق ولكنه لم يستطع ، فنظر بتعجب إلى ديبازا .

نظر إليه ديبازا وقال : " عندما تصل إلى المكان الذى ستبقى فيه يمكنك فتحه . سأخبرك بالشفرة عندما نصل ، وعليك اتباع التعليمات الموجودة بداخله " ، وأردف قائلاً : " ولن تشعر بخيبة أمل " .

سأله جاسون : " لكن لماذا مدينة سياتل بالذات ؟ " .

نظر ديبازا بهدوء إلى وجه جاسون وقال : " أعتقد أنك لا تعرف أى شخص فى هذه المدينة ، أليس ذلك صحيحاً ؟ " .

سأله جاسون : " إنكم لن تحتاجوا لى بعد الآن ، أليس كذلك ؟ " .

ابتسم ديبازا وقال : " إننى متأكد جداً من ذلك كما لو كنت لم أتأكد من شىء مثل هذا من قبل ومد يده ليصافح جاسون " .

أسند ديبازا ظهره إلى المقعد ، ووضع جاسون حزام الأمان وشعر بشىء يلكزه من الجنب . أخرج جاسون جهاز الاستدعاء الخاص به من حزامه ونظر إليه نظرة تدل على شعوره بالذنب . ماذا لو كانت

زوجته هى التى تتصل به ؟ نظر إلى الشاشة الصغيرة وبدا على وجهه فجأة عدم تصديق ما يرى .

ظهرت عناوين الأخبار على الجهاز عن الحادث المُروع الخاص بتحطم الطائرة ٣٢٢٣ التابعة لشركة ويسترن آيرلينز فى الصباح الباكر والتى كانت تتجه من واشنطن إلى لوس أنجلوس ، والتى تحطمت فى ريف فيرجينيا ولم تشر الأنباء إلى وجود أحياء .

لم يستطع جاسون أن يتمالك نفسه ، ودفع الصندوق المعدنى بعيداً عنه ، واندفع ليلتقط الهاتف الموجود داخل السيارة .

جاء صوت ديبازا حاداً : " ماذا تفعل بحق الجحيم ؟ "

أعطى جاسون جهاز الاستدعاء إلى ديبازا وقال : " إن زوجتى تعتقد أننى مت ، ولذلك هى تتصل بى " . وارتبكت أصابعه وهو يمسك بالهاتف محاولاً فتحه .

نظر ديبازا إلى جهاز الاستدعاء ، وقرأ عناوين الأخبار التى تظهر على الشاشة الرقمية ، وقال بصوت منخفض " اللعنة ." وكان يفكر أن ذلك سيؤدى إلى الإسراع فى إنهاء العملية . ولكنه لم يكن يرغب فى الابتعاد عن الخطة الموضوعة ، وكان من الواضح أنه لم يكن لديه خيار إلا أن يقوم بتنفيذ ما طُلب منه بحذافيره . عندما نظر إلى جاسون كانت عيناه لا تنُم عن أى شىء ؛ وكان قد خطف الهاتف الجوال من يد جاسون المرتعشة ، وأخرج من سترته المسدس الذى كان معه ووجهه إلى رأس جاسون مباشرة .

نظر جاسون ورأى المسدس .

نظر ديبازا إلى وجه جاسون ولم يلتفت عنه وقال : " إنك لن تتصل بأى شخص " .

تسمر جاسون فى مكانه من وقع المفاجأة حيث اقترب ديبازا وألصق المسدس فى وجهه . وبعد مضى لحظة أخرى ، جلس رجل

أشقر الشعر بجوار جاسون ، وكان يبدو عليه أنه فى أوائل الثلاثينات ، وكان له أنف طويل معقوف وبشرة ملساء ، أما عيناه فكانتا زرقاوين . كان اسمه الحقيقى كينيث سكيلز إلا أنه نادراً ما كان يستخدم ذلك الاسم . وكان غريب الأطوار ويحمل شهادة بأن يعامل معاملة الأطفال . كما كانت نظراته تنم عن عدوانية شديدة ، وقتل الآخرين يجعله يشعر بسعادة غامرة ، كما أنه كان يعلم التفاصيل الخاصة بتلك العملية اللعينة . وعلى الرغم من ذلك فلم يكن ليقوم بهذا العمل بطريقة عشوائية أو بدون الحصول على أجر عليه .

الفصل التاسع

استغرقت عملية إطفاء النيران المشتعلة خمس ساعات من العمل المتواصل ، إلى أن خمدت ألسنة اللهب بعد أن قضت على كل شيء قابل للاشتعال . وكان رجال الإطفاء يحمدون الله على وقوع هذا الحادث المروع فى مكان بعيد ومنعزل .

بدأ فريق التحقيقات التابع للهيئة القومية لسلامة النقل ، والذين كانوا يرتدون ملابس زرقاء واقية من النيران ، ويبتعدون عن موقع تحطم الطائرة بينما كان يندفع الدخان نحو السماء ، ورجال الإطفاء مستمرون فى عملهم للقضاء على النيران المتبقية ، كما تم تطويق المنطقة بالكامل بالحواجز التى وقف خلفها العديد من سكان المنطقة ينظرون بهلع إلى الحادث الأليم . اصطفت سيارات الإطفاء ، والشرطة والإسعاف ، وكذلك سيارات قوات الأمن القومى وغيرها من

سيارات الطوارئ على جانب الطريق . ووقف رجال الإسعاف بجانب سياراتهم ، فلم يكن لهم دور يقومون به إلا نقل ما وجد من بقايا الجثث .

وقف عُمدة المنطقة الريفية المجاورة لولاية فيرجينيا بجانب المزارع الذى تحطمت الطائرة فى أرضه ، وكان يبدو على وجهيهما علامات الدهشة والفزع فى نفس الوقت .

هز ضابط التحقيقات رأسه بأسف وقال : " هذا ليس حادثاً عادياً بل إنه أقرب إلى المحرقة " . وقد رفع قبعته التى كان يظهر عليها الأحرف الأولى التى ترمز الهيئة القومية لسلامة النقل . كان هذا هو جورج كابلن البالغ من العمر واحداً وخمسين عاماً . وكان شعره الرمادى الخفيف يغطى رأسه الكبير ، وكان له بطن ضخم . كان جورج كابلن أحد الطيارين المقاتلين فى حرب فيتنام ثم عمل كطيار لنقل البضائع لعدة سنوات ثم التحق بعد ذلك ليعمل بالهيئة القومية لسلامة النقل بعد أن تحطمت طائرة أحد أصدقائه المقربين عند أحد التلال بسبب الضباب الكثيف ، وبعدها عزم كابلن على عدم الطيران بكثرة بل عمل على تكثيف جهوده لمنع تلك الحوادث .

كان جورج كابلن المحقق المُكلَّف بالتحقيق فى تلك الحادثة ، وكان ذلك المكان هو آخر مكان فى العالم يريد أن يكون به ؛ ولكن سوء حظه جعله ينتقل إلى ذلك المكان . ففى كل ليلة كان المحققون التابعون للهيئة القومية لسلامة النقل يتمنون ألا يحتاج إليهم أحد وألا يضطروا للسفر إلى أماكن بعيدة يقومون فيها بتجميع وفحص أجزاء الطائرات المحطمة .

ظهر على وجه كابلن الألم بينما كان يتفحص منطقة تحطم الطائرة ، فقد كانت آثار تحطم الطائرة تنتشر فى أرجاء المكان حيث كانت هناك أشلاء الجثث ، وبقايا الطعام والأمتعة ، والملابس والعديد من الأشياء الأخرى التى سيتم تجميعها وتصنيفها وتحليلها ثم الاحتفاظ بها حتى الوصول إلى استنتاج عن سبب السقوط المفاجئ لطائرة يصل وزنها إلى ١١٠ أطنان . ولم يكن هناك شهود عيان للحادث لأنه وقع فى الصباح الباكر ، ولم يستغرق الأمر سوى بضع ثوان بين إقلاع الطائرة واصطدامها بالأرض .

كانت الطائرة قد اخترقت الأرض بمقدمتها وأحدثت بها حفرة يصل عمقها إلى ثلاثين قدماً تقريباً ، ولذلك كانت قوة اصطدامها مذهلة . فقد تحطم هيكل الطائرة بالكامل ، كما رآه كابلن وأصبح كآلة الأكورديون من الأمام إلى الخلف ، واستقرت أجزاؤه داخل الحفرة ، وكان لا يمكن رؤية أى جزء من أجزائها . وما زاد من تعقيد المشكلة تراكم أطنان من الأوساخ والصخور على حطام الطائرة .

كانت المناطق المحيطة بمكان تحطم الطائرة تمتلئ بقطع صغيرة من حطامها فى حجم راحة اليد ، والتى تناثرت لحظة الانفجار عندما ارتطمت الطائرة بالأرض . ومن كان يرى تلك الأجزاء المتطايرة لم يكن ليظن أنها أجزاء طائرة أبداً .

ذكر هذا الحادث كابلن بحادث تحطم طائرة كلورادو سبرنجس عام ١٩٩١ حيث اشترك فى التحقيق عن سبب الحادث كمتخصص فى أنظمة الطيران . وقد كانت هذه هى المرة الأولى ـ منذ إنشاء الهيئة القومية لسلامة النقل عام ١٩٦٧ كهيئة فيدرالية مستقلة ـ التى لم تتمكن فيها من معرفة السبب وراء تحطم طائرة . وقد انتابت أعضاءها نفس المشاعر التى انتابتهم عند فشلهم فى معرفة

سبب سقوط طائرة بيونج من طراز ٧٣٧ التابعة لشركة يو . إس . آير فى بيتسبرج عام ١٩٩٤ .

نظر جورج كابلن إلى السماء الصافية وزادت حيرته ، فقد كان مقتنعاً أن تحطم طائرة كلورادو سبرنجس جاء بسبب السُحب الدّوارة التى ضربت الطائرة قبل هبوطها وهى لحظة حرجة بالنسبة لأية طائرة . كانت السُحب الدوارة عبارة عن دوامة من الهواء تنبعث من محور أفقى بسبب الرياح السريعة التى تمر بتضاريس طبيعية غير منتظمة . وقد كان السبب فى تحطم طائرة الرحلة رقم ٥٨٥ التابعة لشركة يونيتد آيرلينز وجود التضاريس غير المنتظمة وهى الجبال الصخرية . لكن فى الساحل الشرقى لا توجد جبال صخرية هناك . ولم يصدق كابلن احتمال حدوث دوامة هوائية تؤدى إلى سقوط طائرة ذات حجم كبير كالطائرة إل ٥٠٠ . ووفقاً لأنظمة مراقبة حركة الطيران فقد بدأت تلك الطائرة فى السقوط من ارتفاع يصل إلى خمسة وثلاثين ألف قدم مباشرةً . ولا توجد جبال فى الولايات المتحدة يمكنها عمل دوامة هوائية تصل إلى ذلك الارتفاع . كانت الجبال الوحيدة القريبة تقع فى غابة شيناندو ناشيونال فورست وهى امتداد لسلسة جبال بلو ريدج غير المرتفعة وهى بذلك تكون أقرب للتلال منها عن الجبال .

ثم يأتى عامل الارتفاع ، فدوران الطائرات التى تتعرض لدوامة هوائية أو أى ظروف جوية سيئة يمكن السيطرة عليها وتوجيهها من خلال أجهزة التحكم الذاتى . ومن على ارتفاع يصل إلى ستة أميال ، كان الوقت متاحاً لطاقم الطائرة التابعة لشركة ويسترن آيرلينز لإعادة السيطرة عليها . وكان كابلن متأكداً من أن الظروف

الطبيعية لم يكن لها يد فى هذا الحادث ، ولكن شيئاً آخر كان وراء سقوط تلك الطائرة .

كان فريق التحقيقات التابع له قد أوشك على العودة إلى الفندق ، حيث يجرى الترتيب لعقد اجتماع ، وسيتم تكوين فرق تقوم بأعمال التحقيق فيما يختص بتركيبات الطائرة وأنظمتها ، والأساليب المساعدة على النجاة ، ومحطات الطاقة ، والطقس ، وكذلك وحدة مراقبة حركة الطائرات . وفى النهاية سيتم تجميع الوحدات لتقييم أداء الطائرة ، ولتحليل التسجيلات الصوتية وكذلك البيانات الخاصة بالطيران ، وأداء طاقمها ، وبيانات الصيانة وكذلك فحص الأجزاء المعدنية للطائرة وهيكلها . كان العمل يسير على نحو بطىء كما كان مرهقاً للغاية ، ولن يغادر كابلن إلا بعد أن يقوم بفحص كل قطعة من حطام الطائرة التى كانت تقل ما يقرب من مائتى إنسان وكانت تعتبر أحدث ما توصل إليه عالم تكنولوجيا الطيران ، وقد أقسم بينه وبين نفسه أن يتوصل هذه المرة إلى السبب الذى أدى إلى وقوع تلك الكارثة .

توجه كابلن ببطء إلى السيارة التى يؤجرها . كان الربيع سيحل سريعاً ليغطى هذا المكان المقفر حيث تنتشر الأزهار الحمراء فى كل مكان وسينتهى فصل الشتاء بجفافه . نفخ كابلن فى يديه ليدفئهما ، وكانت القهوة الساخنة بانتظاره داخل السيارة . وكان يأمل أن يكون تسجيل بيانات الطيران والمعروف بالصندوق الأسود ـ على الرغم من أن لونه الفعلى هو البرتقالى ـ لا يزال موجوداً . وقد تم تركيب نسخة متطورة منه داخل الطائرة ، كما أن القياسات التى سجلتها بيانات الطيران ستخبرهم عن أحد الأسباب العديدة التى كانت وراء سقوط الطائرة ٣٢٢٣ .

وكان من المؤسف جداً ألا يكون الركاب فى منعة من هذا السقوط المروع .

شعر كابلن بالبرودة الشديدة عند صعوده جزءاً مرتفعاً من الأرض . وعند غروب الشمس ظهر أمامه شخص على بُعد خمس أقدام . كان ذلك الرجل يرتدى نظارة شمسية تخفى عينيه الرماديتين ، وكان عريض المنكبين ، ممتلئ الذراعين . وكان يقف واضعاً يده فى جيب بنطاله .

أخذ كابلن ينظر بدقة وسط الغبار ليتحقق من هذا الرجل وقال : " هل أنت لى ؟ "

وهنا تقدم العميل الخاص بمكتب التحقيقات الفيدرالية لى سوير ناحية كابلن ليصافحه وقال : " أهلاً يا جورج " .

وتصافى الرجلان بحرارة .

سأله كابلن : " ماذا تفعل هنا بحق الجحيم ؟ " .

نظر سوير إلى مكان تحطم الطائرة ثم عاد بنظره إلى كابلن وقال : " عندما تسقط طائرة أمريكية على أرض أمريكية وتتحطم بهذا الشكل الذى يدل على قيام أحد بتفجيرها فلابد لمكتب التحقيقات الفيدرالى أن يتدخل يا جورج " ، ثم نظر إلى كابلن بحدة .

سأله كابلن بقلق : " أتقول تفجيراً ؟ " .

نظر سوير إلى مكان وقوع الكارثة مرة أخرى وقال : " لقد قمت بفحص التقارير الخاصة بالأرصاد الجوية ، لم أجد بها ما يمكن أن يتسبب فى حدوث تلك الكارثة على الإطلاق . كما أن الطائرة كانت جديدة تماماً تقريباً " .

التفت إليه كابلن وقال : " هذا لا يعنى أنها عملية تفجير يا لى " ، كما أننا لم ننته من التحقيقات بعد ، ولذلك لم نصل إلى أى شيء " .

قال سوير : " هناك جزء من الطائرة أهتم به جداً يا جورج ولذلك يجب أن أقوم بفحصه عن قرب " .

قال كابلن : " حسناً ، إن هذه الحفرة ستستغرق منا بعض الوقت حتى نتمكن من الوصول إلى أعماقها وعندما يحدث ذلك يمكنك أن تحصل على معظم أجزاء الطائرة بين يديك " .

جاء رد سوير مذهلاً بالنسبة إلى كابلن ، حيث قال : " هذا الجزء ليس بداخل الحفرة وهو كبير إلى حدٍ ما ، وأعنى المحرك ولوحة الوقود ، ولقد عثرنا عليهما منذ حوالى نصف ساعة تقريباً " .

ظل كابلن واقفاً فى وجوم إلى ما يقرب من الدقيقة وعيناه لا تبتعدان عن وجه سوير ثم اصطحبه سوير إلى السيارة .

كان سوير قد قام باستئجار سيارة بعد القضاء على النيران المنبعثة من الطائرة رقم ٣٢٢٣ . وكان الظلام قد بدأ يخيم على مكان الحادث المفزع ، والذى ظهرت به حفرة يصل عمقها إلى ثلاثين قدماً والتى كانت تبدو كمقبرة لمائة وواحد وثمانين شخصاً .

الفصل العاشر

اندفعت الطائرة جولف ستريم عبر السماء ، وقد كانت الكابينة الفارهة بها تشبه ردهات الفنادق ؛ فهى مغطاة بألواح خشبية ، ويوجد بها مقاعد جلدية ذات لون بنى وكذلك مكان خاص بالمشروبات ونادل خاص به . جلست سيدنى آرتشر واجمة فى أحد الكراسى الكبيرة وعيناها مغمضتان ، وتغطى جبهتها ضُمادة باردة . وعندما فتحت عينيها وأزالت الضمادة كانت تبدو وكأنها مخدرة ؛ فقد كانت ترفع جفونها بصعوبة شديدة أما حركاتها فكانت بطيئة للغاية . لم تتناول سيدنى أى دواء على الإطلاق ، كما أنها لم تتناول أية مشروبات كحولية . ولم تكن فى وعيها فى ذلك الوقت فقد مات زوجها اليوم فى حادث تحطم طائرة .

نظرت سيدنى بعينها إلى الكابينة . كان اقتراح كونتين رووى أن تأخذ سيدنى الطائرة الخاصة بشركة تريتن للعودة إلى منزلها معه ، وفى آخر لحظة اصطحبهما جامبل على متن الطائرة ، وهو الشيء الذى زاد من الألم الذى كانت تشعر به سيدنى . جلس جامبل فى كابينته الخاصة فى الجزء الخلفى من الطائرة ، وكانت هى تتمنى أن يبقى طوال المدة هناك . ثم رفعت رأسها وعندئذ رأت ريتشارد لوكاس الذى كان يراقبها من قرب ؛ وهو رئيس الأمن فى مقر شركة تريتن .

مر كونتين رووى أمام ريتشارد وتوجه نحو سيدنى وقال لها : " اهدأى يا سيدنى " ، ثم جلس بجانبها وسألها : " كيف حالك الآن ؟ يوجد على متن الطائرة عقار فاليوم المهدئ وهو متوفر بكمية وفيرة من أجل ناثان ؛ فيمكنك أن تتناولى منه ما تريدين إذا رغبت فى ذلك " .

نظرت إليه سيدنى فى دهشة وقالت : " هل يستخدم ناثان الفاليوم ؟ "

هز رووى كتفيه وقال : " فى الواقع إنه من أجل الأشخاص الذين يسافرون مع ناثان " .

ابتسمت سيدنى ابتسامة ضعيفة سرعان ما اختفت وقالت : " يا إلهى ، إننى لا أصدق ما حدث " ، ونظرت خارج النافذة وقد احمرت عيناها ، ووضعت يديها على وجهها ، ثم تكلمت بدون النظر إلى رووى بصوت مرتعش وقالت : " أعلم يا كونتين أن هذا الأمر سيئ للغاية " .

رد عليها رووى سريعاً وقال : " ليس هناك ما يمنع سفر أى شخص خلال فترة إجازته " .

قالت سيدنى : " لا أدرى ماذا أقول ـــــ " .

رفع رووى يده وقال : اسمعى يا سيدنى ليس هذا الوقت أو المكان المناسب لمناقشة هذا الموضوع ، لدىَّ بعض المهام التى يجب أن أقوم بها الآن ، أخبرينى على الفور إذا احتجت لأى شىء " .

نظرت سيدنى إليه بامتنان . وبعد أن غادر المكان ، عادت بظهرها على المقعد وأغلقت عينيها مرة أخرى ، ثم انهمرت دموعها على وجنتيها . واستمر ريتشارد لوكاس فى متابعتها من مكانه .

كانت سيدنى تنخرط فى البكاء كلما تذكرت آخر مكالمة لها مع جاسون عندما أغلقت الهاتف وأنهت المكالمة قبل أن يكمل كلامه . كان ذلك التصرف فى منتهى الحماقة ، مع أنه لم يعن شيئاً ، وكثيراً ما كان يتكرر مثل هذا التصرف بين الأزواج إلا أنها كانت تشعر بالحزن ، لأن ذلك كان آخر ذكرياتهما معاً . انتفض جسدها وقبضت على ذراع الكرسى ؛ فقد تذكرت أيضاً ما كانت تشعر به من شك فى تصرفات زوجها خلال تلك الفترة ثم تبين لها أنه كان يسعى للحصول عل فرصة عمل أفضل ، إنها لن تسامح نفسها بقية حياتها على عدم قدرتها على الحكم بشكل صحيح على الرجل الذى طالما أحبته .

وعندما فتحت عينيها ، كان فى انتظارها مفاجأة أخرى فقد وجدت ناثان جامبل يجلس بجوارها وتعجبت من علامات الرقة التى ارتسمت على وجهه ، وهو شعور لم يظهر عليه من قبل . قدم جامبل إليها الكوب الذى كان يمسكه بيده .

قال لها بصوت أجش ، بينما كان ينظر من النافذة إلى السماء المظلمة ، : " تفضلى شراباً دافئاً " ، وعندما بدا عليها التردد ، أمسك جامبل يدها ولفها حول الكوب وقال : " يجب ألا تستمرى فى التفكير ، اشربى وحسب " .

وضعت سيدنى الكوب على شفتيها وبدأ المشروب الدافئ فى التدفق إلى حلقها . وجلس جامبل على المقعد الجلدى وطلب من لوكاس الانصراف ، وكان هدير محرك الطائرة يظهر بقوة من الخلف . شعرت سيدنى وكأن تياراً كهربائياً يسرى فى جسدها ، بينما كانت تنتظر جامبل ليبدأ حديثه . لقد رأته وهو يدمر كثيراً من الناس على جميع المستويات بسبب قسوته وعدم اكتراثه بالمشاعر الإنسانية . والآن ، وعلى الرغم من شعورها بالحزن العميق ، شعرت بوجود رجل مختلف تظهر عليه علامات الرقة والاهتمام .

لم تكن سيدنى مدركة لما يشعر به جامبل من اضطراب وهو يقول لها : " إننى حزين جداً لما حدث لزوجك " . فقد كانت يداه دائمتى الحركة ، نظرت إليه وأخذت رشفة أخرى من المشروب الذى كان بين يديها .

ردت عليه بصعوبة وقالت : " شكراً لك يا جامبل " .

تنهد جامبل وقال : " فى الواقع إننى لم أكن أعرفه شخصياً ، ففى شركة مثل تريتن أكون محظوظاً إن تمكنت من مقابلة عشرة بالمائة من الهيئة الإدارية بها " . ولاحظ جامبل فجأة حركة يديه المستمرة فعقدهما عند صدره واستطرد قائلاً : " بالطبع كنت أسمع عنه بسبب عمله الجاد ، كما أنه أحرز تقدماً سريعاً فى عمله ، أى أنه كان مديراً ممتازاً " .

انتفضت سيدنى عند سماعها لتلك الكلمات فقد تذكرت ما قاله لها جاسون فى صباح ذلك اليوم عن وظيفته الجديدة كنائب لمدير إحدى الشركات الكبرى وما تحدث عنه من حياة جديدة بالنسبة لهم جميعاً ، ولكن ماذا حدث الآن ؟ أنهت سيدنى الشراب سريعاً وأجهشت بالبكاء . وعندما نظرت إلى جامبل مرة أخرى كان ينظر إليها مباشرة وقال : " أريد أن أستفسر عن شيء ، على الرغم من

أنى أعلم أن الوقت غير مناسب له بالمرة " . توقف جامبل عن الكلام وأخذ يتفحص وجه سيدنى . حاولت سيدنى أن تتمالك نفسها مرة أخرى ، وكانت تقبض بيدها على ذراع المقعد وحاولت جاهدة ألا يرتعش جسدها ، فلم يعد جامبل يبدو بالرقة التى رأتها فيه منذ لحظات .

لعق جامبل شفتيه بعصبية ومال نحوها وقال : " إن زوجك كان على متن طائرة متجهة إلى لوس أنجلوس ولم يكن بالمنزل " ، أومأت سيدنى برأسها ، فقد كانت تعلم سؤاله التالى .

" هل كنت تعلمين ذلك ؟ " .

شعرت سيدنى للحظة بأنها تحلق فوق السحاب ، وبدا الوقت وكأنه توقف ، مرت بضع ثوان وردت على سؤال جامبل وقالت : " لا " . لم تكذب سيدنى من قبل إلا أن الكلمة قد خرجت من بين شفتيها دون أن تدرى . كانت متأكدة من أنه لن يصدقها ، ولكن فات الأوان لكى تتراجع عما قالت . أخذ جامبل يتفحص ملامحها مرة أخرى ثم اعتدل فى مقعده ، وظل ساكناً دون حركة للحظة كما لو كان راضياً عن إحراز تلك الخطوة ، وربت على كتفها ثم وقف فجأة وقال : " عندما نصل سأجعلهم يوصلونك إلى البيت بسيارتى الخاصة . هل لديك أطفال ؟ " .

نظرت سيدنى إليه وقالت : " ابنة واحدة " ، وكانت مندهشة من أنه قد أنهى أسئلته بصورة مفاجئة .

قال جامبل : " عليك أن تخبرى السائق فقط بمكانها وسيقوم بتوصيلها أيضاً ، أهى فى مركز لرعاية الأطفال ؟ " ، أومأت

سيدنى برأسها . هز جامبل رأسه وقال : " إن جميع الأطفال يدخلون مراكز الرعاية فى هذه الأيام " .

تذكرت سيدنى ما كانت تفكر فيه وهو أن تستقيل من العمل وتبقى مع آمى فى المنزل ، إلا أنها أصبحت وحيدة الآن . جعلها ذلك الأمر تشعر بدوار ولولا وجود جامبل لسقطت على الأرض . ورفعت عينيها فوجدت جامبل ينظر إليها ويحك جبهته وقال : " أتحتاجين أى شىء آخر ؟ "

تمكنت سيدنى من رفع الكوب الفارغ وقالت : " أشكرك ، فقد ساعدنى هذا الشراب بعض الشيء " .

أخذ جامبل الكوب وقال : " دائماً ما يفعل ذلك " ، والتف لينصرف ثم توقف وقال : " إن شركة تريتن تعتنى بموظفيها يا سيدنى ، هل تحتاجين لنقود أو ترتيبات الجنازة ، أو أن يساعدك أحد فى المنزل . نحن لدينا أشخاص يقومون بمهام كهذه فلا تترددى فى الاتصال بنا " .

ردت عليه سيدنى : " لن أتردد يا جامبل شكراً لك " .

رفع جامبل حاجبيه كأنه يريد أن يذكرها بشىء ما وقال : " إذا كنت تريدين التحدث عن المزيد من الأمور فإنك تعرفين أين تجديننى " .

وخرج من الكابينة بينما استأنف ريتشارد لوكاس عمله فى الحراسة بهدوء . انتفض جسد سيدنى قليلاً ، وأغلقت عينيها من جديد . واستمرت الطائرة فى طيرانها مسرعة . وكان كل ما تريده سيدنى فى تلك اللحظة أن ترى ابنتها وتحتضنها .

الفصل الحادى عشر

جلس رجل على حافة السرير ، ولم تكن الشمس قد أشرقت بعد . كان جسده مكتنزاً بالعضلات ، ويظهر فى أعلى ذراعه الأيسر وشم لصورة ثعبان ملتف حول نفسه . وبقيت ثلاث حقائب ممتلئة بالأغراض بجوار باب غرفة النوم ، وكان بانتظاره وفقاً للاتفاق المبرم جواز سفر أمريكى وكمية من المال تكفى لحجز تذاكر الطيران وكذلك مستندات لإثبات الشخصية داخل محفظة جلدية صغيرة موضوعة على إحدى حقائب السفر . إن اسمه سيتغير مرة أخرى ، وهى ليست المرة الأولى فى حياته المليئة بالجرائم .

لن يقوم بتمويل أى طائرة بالوقود بعد الآن ، كما أنه لن يكون أصلاً بحاجة للعمل مرة أخرى ، فقد أصبحت لديه ثروة تكفيه مدى حياته . وعلى الرغم من خبرته الطويلة فى عالم الجريمة فإن يديه

أخذتا ترتعشان عندما قام بخلع الشعر المستعار ونظارته البيضاوية الزرقاء وأدوات الاتصال من حقيبة صغيرة . وعلى الرغم من احتمال مرور أسابيع قبل أن يتمكن أى شخص من اكتشاف ما حدث فإنه يخطط لاحتمال حدوث الأسوأ .

تذكر الأحداث الأخيرة ، فقد قام بإلقاء الوعاء البلاستيكي في نهر بوتوماك بعد أن تخلص من محتوياته ولن يتمكن أحد من العثور عليه . لم يترك خلفه بصمات يمكن رفعها أو أى شيء يدل على صلته بحادث تفجير الطائرة ، وإذا تم اكتشاف شيء من هذا القبيل سيكون قد رحل بعيداً ، بالإضافة إلى أن الاسم الذى كان يحمله خلال الشهرين الماضيين لن يمكنهم من الوصول إلى أى شيء .

لقد ارتكب جرائم قتل من قبل ولكن بالتأكيد ليس بهذا النطاق الواسع . كان دائماً لديه سبب للقتل إن لم يكن سبباً شخصياً فيكون بسبب من يقوم بتأجيره لهذا العمل ، إلا أن هذه المرة كان العدد الكبير للقتلى المجهولين يوخز ضميره . ولكن ما خفف عنه أنه لم ينتظر حتى يرى الركاب وهم يصعدون على متن الطائرة فقد دفع له مبلغ من المال نظير أداء عمل معين وقد قام به . ويمكنه الآن استخدام المبالغ الضخمة الموضوعة تحت تصرفه لينسى الطريقة التى اكتسبها بها .

جلس أمام المرآة الصغيرة الموضوعة على منضدة فى غرفة النوم . كان الشعر المستعار الذى يضعه فوق رأسه يخفى شعره الأسود المجعد ليظهر بدلاً منه شعر أشقر مموج . وكانت هناك حلة جديدة وأنيقة قام بإخراجها تواً من ملابسه وعلقها على الباب . مال الرجل برأسه إلى الأمام استعداداً لارتداء العدسات اللاصقة التى ستغير لون عينيه البنى إلى اللون الأزرق .

وبعد أن انتهى رفع رأسه ليرى شكله فى المرآة وشعر بماسورة مسدس مثبتة على مؤخرة رأسه ، فتملكه الفزع ، وخاصة عندما لاحظ أن المسدس مزود بكاتم صوت ، مما ضاعف من طول الماسورة .

لم تتعد دهشته سوى برهة حيث شعر بوجود معدن بارد على جسمه ، ورأى عينين تحدقان إليه من انعكاس المرآة ، بينما ظل الفم مختفياً وراء قناع . كانت هذه النظرة تشبه نظرته قبل أن يقتل أحداً ، فقد كان قتل الآخرين يمثل بالنسبة له عملاً جاداً . والآن يشاهد فى المرآة - وهو واقف دون حركة ، كما لو تم تنويمه مغناطيسياً - وجهاً آخر يقوم بنفس الطقوس التى كان يقوم هو بها . كما شاهد ملامح الشخص الذى سيقتله وقد تحولت ليظهر عليها الغضب والاشمئزاز ، وهى مشاعر لم يشعر بها مطلقاً أثناء تنفيذه لإحدى العمليات . اتسعت عيناه بينما كان يركز على أصابع القاتل التى تضغط على الزناد . وتحرك فمه ليقول شيئاً ، أو ربما ليصرخ ، إلا أنه لم يتمكن من ذلك فقد خرجت رصاصة إلى رأسه مباشرة . اهتز الرجل بقوة إلى الخلف ثم إلى الأمام حتى خر صريعًا على المنضدة الصغيرة . ألقى القاتل القناع الذى كان يرتديه فى فراغ صغير يقع بين السرير والجدار وقام بإفراغ الرصاص المتبقى الذى يصل عدده إلى إحدى عشرة رصاصة فى الجزء العلوى من جسد القتيل . وعلى الرغم من أن قلبه لم يعد ينبض إلا أن قطرات صغيرة الحجم من الدم كانت تظهر عند كل فتحة فى جسده . ثم قام القاتل بعد ذلك بوضع المسدس بجوار الجثة .

مشى القاتل بهدوء من الغرفة وتوقف فقط لأداء مهمتين : الأولى أن قام بإفراغ الحقيبة الجلدية التى كانت تحتوى على إثبات

الهوية الجديدة للرجل المقتول ، والثانية أن قام بفتح تكييف الهواء وجعله على أعلى درجة . بعد مضى عشر ثوان كان القاتل قد غادر الشقة ، وعاد الهدوء يخيم عليها . تحولت السجادة ذات اللون البيج الموجودة بغرفة النوم إلى اللون القرمزى سريعاً ، وتم سحب الحساب الموجود بالبنك بالكامل فى غضون ساعة ، فلم يعد صاحبه بحاجة لاستخدام تلك الأموال .

لم تكن الساعة قد دقت السابعة صباحاً ، والظلام مازال يخيم على الأفق ، جلست سيدنى آرتشر على منضدة المطبخ وهى ترتدى ملابس نومها القديمة وأغمضت عينيها ببطء وحاولت مرة أخرى أن تتخيل أن كل ما تمر به ما هو إلا كابوس ، وأن زوجها مازال حياً وسيدخل عليها من الباب وعلى وجهه ابتسامة ، حاملاً تحت ذراعه هدية لابنته وأخرى لزوجته .

وعندما فتحت عينيها لم تجد شيئاً تغير . نظرت إلى ساعتها . إن آمى أوشكت على الاستيقاظ . ثم كانت سيدنى قد أنهت تواً مكالمة مع والديها ، سيصلان إلى منزلها فى تمام التاسعة ليصطحبا الطفلة الصغيرة إلى منزلهما فى هانوفر بفيرجينيا حيث ستبقى هناك لبضعة أيام حتى تتمكن سيدنى من استعادة توازنها واستيعاب ما حدث . شعرت سيدنى بخوف شديد عندما خطر على بالها أنها يجب أن تشرح لابنتها الصغيرة الكارثة التى وقعت لأبيها عندما تصبح أكبر من ذلك ، وكيف ستخبر ابنتها أن والدها لم يمت لأى سبب واضح غير أن الطائرة قد فعلت ما لم يتصوره أحد وأودت بحياة مائتى شخص وأدت إلى قتل الرجل الذى كان يغمرها بالحب والحنان .

كان والدا جاسون قد توفيا منذ عدة سنوات ، وبما أنه كان ولدهما الوحيد فقد اعتبر عائلة سيدنى كعائلته ورضوا هم بذلك وكانوا فى غاية السعادة . كان لسيدنى أخوان يكبرانها فى السن وقد اتصلا بها ليقدما لها المساعدة ، كما أنهما تعاطفا معها لما حدث لزوجها ثم انتهت المكالمة بالبكاء .

عرضت شركة طيران ويسترن على سيدنى أن تقوم بتوصيلها إلى البلدة الصغيرة التى وقع الحادث بجوارها إلا أنها رفضت . فهى لن تحتمل أن تكون مع باقى أسر ضحايا الحادث . لقد رأتهم جميعاً يستقلون حافلات كبيرة وكان الصمت يخيم عليهم ولم يستطيعوا أن يتبادلوا النظرات ، كما كانت أقدامهم المتعبة ترتعش . وكان ما يختلج بصدرها من أحاسيس الحزن والأسف والرفض لما حدث كافية بدرجة كبيرة مما لا يدعو لأن تكون مع أناس يمرون بنفس ما تشعر به .

اتجهت سيدنى للطابق العلوى ومشت فى الردهة ثم توقفت عند غرفة نومها ، كان جزء من الباب مفتوحاً . نظرت إلى الغرفة وما بها من أشياء معتادة بالنسبة لها ، كان كل ما بها يذكرها بذكريات خاصة به وبحياتها مع جاسون . وتذكرت اللحظات السعيدة التى عاشتها مع زوجها ولم تصدق ما حدث .

أغلقت الباب بهدوء واتجهت إلى غرفة آمى ، كانت مجرد الأنفاس التى تتنفسها ابنتها تبعث فى نفسها الراحة وخاصة الآن . جلست على كرسى خيزران بجانب سرير آمى . فقد استطاعت هى وجاسون مؤخراً أن يجعلا آمى تنام بمفردها ، وقد احتاج الأمر إلى ليال عديدة كانوا ينامون فيها على الأرض بجانب الطفلة إلى أن اعتادت على النوم بمفردها .

بعد أن جلست سيدنى ببطء على الكرسى أخذت تنظر إلى ابنتها ذات الشعر الأشقر والقدم الصغيرة ذات الجورب السميك والتى كانت تظهر من تحت الغطاء . فى الساعة السابعة والنصف بكت آمى وجلست فجأة بينما كانت عيناها مغمضتين ، نهضت سيدنى مسرعة إليها وحملتها بين ذراعيها واستمرت فى حملها إلى أن استيقظت .

عندما أشرقت الشمس ، قامت سيدنى بإعطاء آمى حماماً وجففت شعرها وألبستها ملابس ثقيلة ثم اصطحبتها إلى الطابق الأسفل واتجهتا إلى المطبخ . وبينما كانت سيدنى تقوم بإعداد الإفطار والقهوة ، اتجهت آمى إلى غرفة المعيشة المجاورة للمطبخ ، حيث سمعتها سيدنى وهى تلعب بألعابها التى كانت تشغل ركناً من أركان الغرفة . فتحت سيدنى دولاب المطبخ وأخرجت فنجانين ، وتوقفت للحظة ثم مشت ببطء على الأرض الخشبية ، وعضت على شفتيها بقوة إلى أن انتهت رغبتها فى الصراخ ، فقد شعرت بأن قلبها يتمزق . أعادت فنجاناً على الرف وحملت قهوتها وطبقاً يحتوى على وجبة ساخنة خاصة لآمى .

نظرت سيدنى ناحية غرفة المعيشة ونادت على ابنتها : " حبيبتى آمى ، طعامك جاهز " . لم تتمكن من التحدث إلا بصوت خافت ، وكان جسدها كله يؤلمها . أسرعت الطفلة إلى الباب وكانت تحمل إحدى ألعابها وبروازاً به صورة . اتجهت آمى مسرعة ناحية أمها وكان وجهها تملؤها النضارة والإشراق .

لم تتمكن سيدنى من أخذ نفسها عندما رأت آمى وهى تحمل صورة لجاسون كان قد أخذها منذ شهر مضى وهو يعمل فى الفناء وكانت آمى قد تسللت نحوه ببطء ورشته بخرطوم المياه ، ثم أخذا

يجريان وراء بعضهما إلى أن سقطا على أكوام أوراق الشجر والزهور الحمراء والبرتقالى والصفراء .

نظرت آمى إلى الصورة باضطراب وسألت عن أبيها : " أين أبى ؟ "

كان من المفترض أن يغيب جاسون عن البيت لمدة ثلاثة أيام فقط ، ولذلك تنبأت سيدنى بأنه يجب أن تعلل سبب غيابه لآمى .

فنظرت إلى آمى وابتسمت : " إن أباك مسافر الآن يا حبيبتى " ، ولم تتمكن من إخفاء الرعشة التى تظهر فى صوتها واستطردت : " أنا وأنت معاً الآن ، أليس ذلك صحيحاً ؟ هل أنت جائعة ، ألا تريدين أن تأكلى ؟ " .

آخذت آمى تلح فى السؤال على أبيها : " أين أبى ؟ أهو فى العمل ؟ " ، وكانت تشير بإصبعها إلى الصورة .

حملت سيدنى ابنتها ورفعتها إلى صدرها وقالت : " ألا تريدين أن تعرفى من الذى سيأتى إلينا اليوم يا آمى ؟ " .

ظهر على وجه آمى الترقب وقالت : " جدى وجدتى " .

ثم ابتسمت ابتسامة عريضة ، وأومأت برأسها وأرسلت قبلة فى الهواء ناحية الثلاجة ، حيث تلتصق هناك صورة لجدها وجدتها بواسطة مغناطيس .

نزعت سيدنى بحرص صورة جاسون من يد آمى وقدمت لها الطعام وقالت : " يجب أن تأكلى قبل أن تخرجى ، اتفقنا ؟ وهذا طعامك المفضل " .

" سآكل ، سآكل " ، وقفزت من حضن أمها وجرت نحو الكرسى الخاص بها وأمسكت بالملعقة وبدأت فى الأكل ، فقد كانت جائعة بالفعل .

تنهدت سيدنى بقوة وغطت عينيها ، وحاولت أن تجعل جسدها ثابتاً ، إلا أن نحيبها بدأ يظهر . ثم جرت مسرعة وتركت الغرفة وهى تحمل صورة جاسون معها ، واتجهت إلى الطابق العلوى إلى غرفة نومها ووضعت الصورة على الرف الأعلى من الدولاب ، ثم ارتمت على السرير ودفنت وجهها فى الوسادة وأجهشت بالبكاء .

مرت خمس دقائق كاملة وهى مستمرة فى البكاء . وكانت سيدنى دائمة المراقبة لابنتها ولا تتركها بمفردها أبداً ، ولكن هذه المرة لم تسمعها أبداً إلى أن شعرت بيدها وهى تجذبها . ثم نامت بجوار أمها ثم وضعت رأسها على كتفها .

رأت آمى دموع أمها . ووضعت رأس أمها بين يديها الصغيرتين وبدأت تبكى أيضاً وأخذت تنطق الكلمات بصعوبة : " لماذا أنت حزينة يا آمى ؟ " ، تلامس وجهاهما وامتزجت دموعهما معاً .

نهضت سيدنى بعد لحظة وحملت ابنتها وهدهدتها . كانت تظهر آثار بقايا الطعام على فم آمى . أخذت سيدنى تلوم نفسها على ما فعلت مما أدى إلى بكاء ابنتها ، ولكنها لم تشعر بتلك الأحاسيس الجياشة من قبل .

توقفت سيدنى فى النهاية عن البكاء ومسحت عينيها للمرة المائة ، وعاهدت نفسها ألا تبكى مرة أخرى أمام ابنتها . وحملت آمى إلى الحمام وغسلت وجهها ثم قبلتها وقالت : " كل شىء على ما يرام يا حبيبتى ، فأنا بخير الآن ، ولن أبكى مرة أخرى " .

عندما هدأت آمى ، جمعت أمها بعض الألعاب لها ، وبينما كانت منشغلة باللعب ، أخذت سيدنى حماماً سريعاً وغيرت ملابسها .

وعندما حضر والدا سيدنى فى الساعة التاسعة كانت حقيبة آمى جاهزة وهى مستعدة للذهاب معهما . اتجهوا إلى السيارة ، وحمل والد سيدنى حقيبة آمى ، بينما قامت سيدنى بحمل آمى .

وضع بيل باترسون ذراعه حول كتفى ابنته وكانت عيناه الحزينتان وظهره المنحنى توضح مدى الحزن الذى كان يشعر به وتأثره الشديد بما حدث .

" يا إلهى ، مازلت لا أصدق ما حدث يا حبيبتى . لقد تحدثت إلىَّ جاسون منذ يومين فقط . وكنا ننوى القيام برحلة صيد أسماك هذا العالم فى مينيسوتا ، نحن الاثنان فقط " .

ردت عليه سيدنى : " أعلم يا أبى ، لقد أخبرنى بذلك ، وكان يتوق للقيام بهذه الرحلة " .

وبينما كان الأب يضع حقيبة آمى بالسيارة ، قامت سيدنى بوضع آمى فى المقعد الخاص بها وأعطتها دميتها التى تلعب بها ، واحتضنتها بقوة ثم قبلتها بحنان .

ونظرت إلى آمى وقالت : " سأراك قريباً جداً يا حبيبتى ، أعدك بذلك " ، ثم أغلقت باب السيارة . أمسكت أمها بيدها وقالت : " أرجوك يا سيدنى تعالى معنا فلا يجب أن تكونى بمفردك الآن ، أرجوك " .

أمسكت سيدنى بيد أمها بقوة وقالت : " إننى أحتاج لأن أكون بمفردى بعض الوقت يا أمى وأريد أن أفكر فى بعض الأمور . لن أتأخر ، بعد يوم أو اثنين سأحضر " .

نظرت إليها أمها لبضع لحظات ثم احتضنتها بقوة وكان جسدها الضئيل يرتعش ، وعندما ركبت السيارة كانت الدموع تنهمر على وجهها .

رأت سيدنى السيارة وهى تبتعد ، وكانت تحملق فى المقعد الخلفى ، حيث تجلس ابنتها وتمسك بدميتها ، وتضع إصبعها فى فمها ، وبعد بضع لحظات كانت السيارة قد اختفت .

رجعت سيدنى إلى البيت بخطى بطيئة وحركات غير ثابتة كما لو كانت امرأة عجوزاً . وخطرت على بالها فجأة فكرة جعلتها تسرع فى الدخول إلى البيت وهى تمتلئ بالطاقة والحيوية مرة أخرى .

عندما دخلت إلى البيت قامت بالاتصال بالدليل للحصول على رقم الهاتف الخاص بشركة أليجرابورت للتكنولوجيا . ونظراً لاختلاف التوقيت اضطرت للانتظار . كانت الساعات تمر ببطء وهى تتعذب . وعندما بدأت فى الضغط على الأرقام كانت تتساءل لماذا لم يتصلوا عندما لم يذهب إليهم جاسون . فهى لم تجد أية رسائل صوتية منهم على جهاز الرد الآلى ، جعلها هذا التفكير تستعد لتجد إجابة له لدى شركة أليجرابورت .

بعد أن تحدثت إلى ثلاثة أشخاص مختلفين فى الشركة أغلقت السماعة وظلت تحملق بذهول إلى جدار المطبخ . فقد اكتشفت أن جاسون لم تعرض عليه وظيفة نائب المدير فى شركة أليجرابورت ، كما أنهم لم يسمعوا عنه مطلقاً . جلست سيدنى فجأة على الأرض وضمت ركبتيها عند صدرها وأخذت تبكى بحرقة . فقد عاودها كل ما كانت تفكر فيه فى الفترة السابقة من شك فى تصرفات زوجها . نهضت ووضعت رأسها تحت الصنبور وساعدت المياه الباردة على إنعاشها ، ثم اتجهت إلى المنضدة

فارتمت عليها ثم وضعت يديها على وجهها . لقد كذب عليها جاسون ، وهذا أمر واضح الآن ، كما أنه قد مات وهذا يعنى أنها لن تعرف الحقيقة أبداً . وهنا توقفت سيدنى عن البكاء ونظرت من النافذة إلى الفناء الخلفى . لقد زرعت هى وجاسون الورود والأشجار خلال العامين الماضيين ، وعملا معاً من أجل تحقيق هدف واحد . وعلى الرغم من عدم تأكدها بما تشعر به حتى هذه اللحظة كانت سيدنى تشعر بحقيقة واحدة ألا وهى أن جاسون كان يحبها ويحب آمى ، مهما كان الشيء الذى أرغمه على الكذب عليها ليضطر للسفر ويصعد على متن طائرة منكوبة بدلاً من أن يبقى آمناً فى بيته لا يفعل أى شيء سوى إعداد جدران المطبخ ليقوم بطلائها ، وبالتأكيد سوف تعرف هذا السبب . كانت سيدنى تعلم أن أسباب جاسون ستكون فى منتهى البراءة . فالرجل الذى عرفته جيداً وأحبته من كل قلبها لم يكن ليقدم على خيانتها . وبما أنه تركها ولم يخبرها عن سبب مغادرته فهى على الأقل مدينة له بمعرفة سبب ركوبه تلك الطائرة ، وقطعت على نفسها عهداً على أن تعمل بكل ما لديها من طاقة ، لتعرف ذلك السر عندما تتحسن حالتها .

الفصل الثانى عشر

كان مخزن الطائرات فى المطار المحلى صغيراً ، وكان.توجد على جدرانه العديد من الأدوات ، والأرض تمتلئ بالصناديق . وعلى الرغم من الظلام السائد خارجه إلا أنه كان مضاءً من الداخل كضوء الصباح ، وذلك نظراً لكثرة الكشافات المعلقة بالسقف . كانت الرياح تضرب الجدار المعدنى واشتد تساقط المطر والثلج محدثاً صوتاً قويًا عند ارتطامه بالمبنى . وكان المبنى من الداخل يمتلئ برائحة منتجات البترول .

كان يوجد على أرض المخزن فى الجزء الأمامى منه شيء معدنى ضخم ؛ وكان ذلك الشيء هو بقايا الجناح الأيمن للطائرة ٣٢٢٣ ومعه المحرك الأيمن . كانت الطائرة قد هبطت فى وسط منطقة تمتلئ بالأشجار وعلى الجزء العلوى من شجرة بلوط يبلغ ارتفاعها

تسعين قدماً ويصل عمرها إلى مائة عام ، وقد انشطرت تلك الشجرة إلى نصفين من شدة الصدمة . وكان عدم اشتعال وقود الطائرة من المعجزات . وربما يكون معظم الوقود قد تسرب عندما تعرض خزان الوقود والأنابيب إلى الخرق . وقد عملت تلك الشجرة على تقليل شدة ارتطام الطائرة بالأرض . تم تجميع أجزاء الطائرة بواسطة طائرة هليكوبتر وتوصيلها إلى مخزن الطائرات ليتم فحصها .

تجمع عدد قليل من الرجال حول حطام الطائرة ، وكانوا يرتدون ملابس ثقيلة تعمل على تدفئتهم فى ذلك البرد القارس . وكانوا يستخدمون كشافات قوية حتى يتمكنوا من فحص جناح الطائرة الملتوى ذى الحواف الحادة والذى قد انفصل عن الطائرة أثناء طيرانها . كان النيكل الذى يعمل على تثبيت المحرك الأيمن قد تحطم ، كما تحطم الجزء المتحرك من الأجنحة نتيجة للاصطدام . وقد كشف فحص المحرك عن وجود فجوة كبيرة هى التى أدت إلى حدوث خلل فى اندفاع الهواء بينما كان يعمل المحرك على نقل الطاقة ؛ وكان من اليسير تحديد ذلك الخلل . وحدث عطل شديد فى المحرك ، مما أدى إلى تخريب وظائفه حتى وان بقى متصلاً بجسم الطائرة .

وبالرغم من ذلك كان انتباه الرجال الملتفين حول الجناح يتمركز حول المكان الذى فصل منه الجناح عن الطائرة ، فقد احترق الجناح تماماً وتفحم ، وكانت هناك فجوة واضحة وثقوب تظهر على السطح المعدنى . كانت هناك قائمة من الأحداث التى يمكن أن تكون السبب فى ذلك ، وكان من الواضح احتمال وجود قنبلة ضمن تلك القائمة . ولأن لى سوير قد قام بفحص هذا الجناح مسبقاً ، لذا كانت عيناه تركزان على تلك المنطقة .

هز جورج كابلن رأسه باشمئزاز وقال : " إنك على حق يا لى ، فالتغييرات التى حدثت فى معدن الطائرة لم تكن لتحدث إلا بسبب صدمة قوية . لابد أن شيئاً ما قد انفجر فى الطائرة وأحدث ضغطاً شديداً . هذا أسوأ شىء ، لأننا نضع أجهزة كشف فى الطائرات تعمل على كشف الأسلحة والقنابل ، وبالتالى لا يستطيع أحد أن يقوم بتهريب أى شىء من هذا القبيل ، ولكننا نرى ما حدث هنا " .

تقدم لى سوير ناحية حافة الجناح وجلس على ركبتيه . كان لى يبلغ من العمر خمسين عاماً ، وقد قضى نصف هذه السنوات يعمل داخل المكتب ، والآن يقوم بفحص السبب فى حدوث تلك الكارثة .

كان لى سوير قد اشترك كمحقق عندما تحطمت طائرة لوكيربى وتمكن من الوصول إلى سبب تحطم الطائرة بان أمريكان رقم ١٠٣ . فما أيسر الكشف عن وجود قنابل فى الطائرات عادة ، وذلك من وجهة نظر سوير المحقق الخاص حتى تلك اللحظة .

نظر بعينه الفاحصة إلى حطام الطائرة قبل أن ينظر إلى جورج وقال : " فى رأيك ماذا حدث يا جورج ؟ " .

حك كابلن ذقنه وقال : " سنعرف المزيد عندما نحصل على الصندوق الأسود ، ولكن يبدو أننا لدينا نتيجة واضحة فقد انفصل الجناح عن الطائرة وهذا شىء لا يحدث مصادفة . ونحن لسنا متأكدين متى حدث ذلك بالضبط ، ولكن الرادار يشير إلى أن جزءاً كبيراً من الطائرة قد انفصل ، وقد عرفنا الآن أن ذلك الجزء كان الجناح . أما متى حدث ذلك بالطبع ، فليس هناك إمكانية لاكتشاف ذلك . وأول ما يخطر على البال هو انهيار هيكلى مفاجئ نتيجة سوء تصميم الطائرة . إلا أن الطائرة " إلـ ٥٠٠ " قد تم تصميمها على أعلى مستوى ، ولذلك فإن احتمال ذلك النوع فيما

يعرف بالانهيار الهيكلى يكون بعيداً كل البعد ، ولذلك ينبغى ألا نضيع الوقت بحثاً فى تلك الزاوية . وقد يظن البعض أن ما حدث كان نتيجة لتهالك معدن الطائرة ولكن تلك الطائرة كل ما بها جديد ، بالإضافة إلى أن جميع الحوادث التى حدثت نتيجة لتهالك معدن الطائرات كانت بسبب جسم الطائرة نفسه فالضغط المستمر يسهم فى تلك المشكلة ولكن أجنحة الطائرات لا تتعرض إلى الضغط ، ولذلك فنحن نستبعد فكرة تهالك جسم الطائرة . ننتقل بعد ذلك إلى عامل الطقس ، كالبرق مثلاً ، فالطائرات تتعرض للبرق أكثر مما يظن الناس ، ولكنها معدة لمواجهة ذلك . ومع ذلك ، ففى يوم تحطم تلك الطائرة لم ترد أنباء عن حدوث برق فى تلك المنطقة . وإذا قلنا إن الطيور هى السبب ، فلن تجد طائراً قادراً على الطيران على ارتفاع خمسة وثلاثين ألف قدم مطلقاً أو أن يكون حجمه كبيراً بهذه الدرجة حتى يتمكن من خلع جناح طائرة كهذه . ومن المؤكد طبعاً أن تلك الطائرة لم تصطدم بأخرى " .

كان صوت كابلن يرتفع مع كل كلمة ، وتوقف ليلتقط أنفاسه ولينظر مرة أخرى إلى بقايا الطائرة . سأله سوير بهدوء : " إذن إلى أى شىء أوصلتنا تلك الاستنتاجات جميعاً يا جورج ؟ " .

رفع كابلن رأسه مرة أخرى وقال : " سنقوم فيما بعد بفحص الأسباب المتعلقة بالخلل الهيكلى أو الميكانيكى . فعادة تتحطم الطائرات نتيجة لحدوث أكثر من خلل بطريقة متتابعة . لقد استمعت إلى تسجيل الحوار الذى تم بين الطيار وبرج المراقبة . وقد أرسلت قائدة الطائرة نداء استغاثة قبل عشر دقائق من اصطدام الطائرة بالأرض ويمكننى أن أستنتج مما قالته عدم معرفتهم بما حدث بالضبط . كما أن جهاز نقل الإشارات الخاص بالطائرة كان

يشوش على إشارات الرادار إلى أن تم اصطدام الطائرة ، وهذا يعنى أن بعض الأنظمة الكهربائية كان لا يزال يعمل حتى تلك اللحظة . ولكن لنفترض أن المحرك قد علقت به النار فى نفس الوقت الذى تسرب فيه الوقود ، فمعظم الناس سيفترضون أن تسرب الوقود والنار المشتعلة فى المحرك هما السبب فى حدوث الانفجار الذى أدى إلى انفصال الجناح . وقد لا يكون هناك انفجار فعلى إلا أنه من الواضح حدوث ذلك ، ربما تكون النيران قد عملت على إضعاف الجناح مما أدى إلى انفصاله وتحطمه فى النهاية ، وهذا ما نظن حدوثه للرحلة ٣٢٢٣ على الأقل فى تلك المرحلة " . ولم يكن يظهر على كابلن أنه مقتنع بهذا الاستنتاج .

نظر إليه سوير وقال : " لكن ؟ "

فرك كابلن عينيه وكان يبدو على ملامحه المضطربة الشعور بالإحباط وقال : " ليس هناك دليل على حدوث خلل بالمحرك الذى تحطم ، فيما عدا الآثار الواضحة عليه نتيجة للانفجار الأول ، ولا يوجد ما يجعلنا نصدق أن حدوث خلل أو مشكلة بالمحرك يلعب دوراً فى تحطم الطائرة . ولو أن النار كانت قد اشتعلت فى أحد المحركات لعملت أجهزة الطوارئ على قطع تدفق الوقود إلى ذلك المحرك ، وبالتالى قطع الطاقة التى تصل إليه . فالمحركات الخاصة بالطائرة إلـ ٥٠٠ مزودة بأجهزة تعمل على تحديد مكان النار تلقائياً وكذلك إطفائها . والأهم من ذلك أنها موجودة فى مكان منخفض ، ولذلك لا يمكن أن تنتقل النيران إلى الأجنحة أو إلى جسم الطائرة . حتى إذا اشتعل المحرك وتسرب الوقود فى نفس الوقت فإن تصميم الطائرة والظروف المناخية السائدة على ارتفاع خمسة وثلاثين ألف قدم وكذلك سرعة تتجاوز خمسمائة

ميل فى الساعة تؤكد عدم التقاء الاثنين معاً " . وصمت قليلاً ثم أضاف : " أعتقد أن شيئاً آخر قد حدث " .

جلس كابلن مرة أخرى على ركبتيه بجانب حواف الجناح الحادة وقال : " كما قلت عند فحص الجناح أول مرة فإن هناك آثاراً واضحة لحدوث انفجار ، وأعتقد وجود جهاز قابل للانفجار على الفور مثل جهاز سميتكس المربوط بسلك مع مؤقت أو جهاز تحديد الارتفاع ، وعندما تصل الطائرة إلى ارتفاع معين تنفجر القنبلة ، مما أدى إلى انفصال الجناح عند النقط الضعيفة وكان وزن المحرك فى هذا الجزء من الجناح قد ساعد على حدوث ذلك " . توقف كابلن عن الكلام ليفحص الجزء الداخلى من الجناح عن قرب وقال : " ولكنى لا أعتقد وجود جهاز تفجير من النوع التقليدى " .

سأله سوير : " لماذا ذلك ؟ "

أشار كابلن إلى الجزء الداخلى من الجناح وهو الجزء الخاص بخزان الوقود الموجود بجوار لوحة الوقود وأنار بالكشاف الذى كان يحمله هذا الجزء وقال : " انظر إلى هذا " .

كانت هناك فجوة كبيرة تظهر بوضوح ، وكان هناك بقع بنية حول ذلك الثقب ، كما كان المعدن ملتوياً ، قال سوير : " لقد لاحظت ذلك من قبل " .

نظر إليه كابلن وقال : " لا يمكن أن تحدث مثل تلك الفجوة دون سبب ، وعلى أية حال كان سيتم اكتشافها فى الفحص الروتينى الذى يتم قبل إقلاع الطائرة " .

لبس سوير قفازه قبل أن يلمس هذا الجزء وقال : " ربما حدث ذلك أثناء الانفجار " .

" لكن لو كان ذلك قد حدث أثناء الانفجار ، لما كان هو الجزء الوحيد الذى تحدث به فجوة كهذه ، حيث لا توجد آثار أخرى مماثلة على هذا الجزء من الجناح ، على الرغم من وجود الوقود فى كل مكان . ولكنى أعتقد أن شيئاً قد تم وضعه على جدار خزان الوقود " . توقف كابلن وفرك أصابعه بعصبية وقال : " أعتقد أنه قد تم وضع شىء عن عمد لإحداث تلك الفجوة " .

سأله سوير : " كحامض يعمل على إذابة المعدن مثلاً ؟ " ، أومأ كابلن برأسه وقال : " وهذا ما وجدناه يا " لى " ، خزانات الوقود كانت من الألومنيوم وكان يختلف سمك جدرانها من مكان إلى مكان ، وهناك أحماض تؤدى إلى تآكل معدن ضعيف كهذا " .

" أتفق معك فى الرأى إنه حامض ولكن لابد أنه يتفاعل ببطء بحيث يسمح بوقت كافٍ للطائرة كى ترتفع فى الجو ، أى أن الأمر يتوقف على توقيت وضع هذا الحامض ، أليس ذلك صحيحاً ؟ "

رد عليه كابلن فى الحال : " نعم ، هذا صحيح ، فإن أجهزة إرسال الإرشادات تستمر فى إرسال الارتفاع الذى تصل إليه الطائرة إلى وحدات المراقبة وقد علمنا من ذلك أن الطائرة قد وصلت إلى الارتفاع المسموح به لها قبل حدوث الانفجار مباشرة " .

استمر سوير فى التفكير وقال : " لقد تم خرق الخزان فى نقطة معينة أثناء الطيران ، ولذلك تسرب الوقود . وهو قابل للاشتعال وللانفجار بشدة ، ولكن ما الذى أدى إلى اشتعاله ؟ ربما لم يكن المحرك مشتعلاً ، ولكن ماذا عن الحرارة الشديدة التى تخرج منه ؟ "

" لا سبيل إلى ذلك ، فأنت تعرف بشدة برودة الجو على ارتفاع خمسة وثلاثين ألف قدم . إن ألاسكا مقارنة بهذا الجو تبدو كصحراء حارة " . بالإضافة إلى أن أجهزة التبريد الخاصة بالمحرك تعمل على طرد تلك الحرارة الشديدة بعيداً عنه ، وبالتالى فإن أى

حرارة تظهر لن تبقى داخل الجناح . تذكر أن هناك خزان الوقود ، وهو معزول بطريقة جيدة . وإذا كان هناك تسرب فى الوقود بسبب سرعة الطائرة فكان الوقود سينساب إلى الخلف وليس إلى الجزء الأمامى من الجناح أو الجزء الأسفل ، حيث يوجد المحرك . فإذا أردت إسقاط طائرة بهذه الطريقة فلن أعتمد على الحرارة التى تخرج من المحرك حتى تعمل على الانفجار ، ولكن من المؤكد أننى كنت سأحتاج إلى شىء أقوى من ذلك " .

خطرت فكرة مفاجئة على ذهن سوير وقال : " إذا كان هناك تسرب فى الوقود ، ألم يكن من الممكن احتواؤه ؟ "

رد كابلن : " كان يمكن ذلك لو أن التسرب كان قد حدث فى أجزاء معينة من خزان الوقود ، ولكن إذا كان فى أجزاء أخرى ، بما فيها تلك التى كان يوجد بها هذه الفجوة ، فبالطبع لا " .

" حسناً ، إذا كانت تلك الطائرة قد سقطت بهذه الطريقة كما تقول ـ وأرى أن استنتاجك صائب يا جورج ـ علينا أن نركز على كل من كان لديه تصريح بالوصول إلى تلك الطائرة قبل أربع وعشرين ساعة على الأقل من إقلاعها . ويبدو أن هذا الشخص من داخل المطار ، ولذلك فآخر شىء نريده هو أن تثير ذعره ، كما أننى أريد كل شخص كانت له علاقة بالطائرة قبل إقلاعها مباشرة " .

اتجه سوير وكابلن كل إلى سيارته ، نظر كابلن إلى سوير وقال : " يبدو أنك قد اقتنعت بوجود ما أدى إلى تفجير الطائرة عن عمد يا لى " .

كان سوير يرجح فكرة وجود قنبلة بهذه الطائرة وأجاب : " يجب إثبات ذلك ، ولكن أعتقد أنك على حق ، فقد رجحت هذه الفكرة فور عثورنا على الجناح " .

" ما الدافع لتفجير الطائرة ؟ أعنى أن الإرهابيين يقومون بأعمال كهذه ، بسبب وجود أشخاص مهمين إلا أن هذه الرحلة كانت تضم مدنيين عاديين ، فلا أستطيع فهم ما حدث " .

استند سوير إلى باب السيارة بينما كان كابلن يستعد إلى الدخول إليها وقال : " قد يعنى ذلك شيئاً إذا كنت تريد قتل شخص بعينه وبطريقة مثيرة " .

حملق كابلن إليه وقال : " يقوم بإسقاط طائرة بأكملها ليقتل شخصاً واحداً ، من يفعل ذلك بحق الجحيم ؟ "

سأل سوير بهدوء : " ألا يذكرك اسم آرثر ليبرمان بشىء ؟ "

أخذ كابلن يتذكر ثم قال : " أعتقد أننى سمعت ذلك الاسم من قبل ولكن لا أستطيع أن أتذكر أين ؟ "

" حسناً ، إذا كنت أحد المستثمرين فى البنوك ، أو سمساراً فى البورصة ، أو أحد أعضاء الكونجرس المنضمين إلى اللجنة الاقتصادية المشتركة ، كنت ستعرفه بالتأكيد . فهو بالفعل أقوى رجل فى أمريكا أو ربما فى العالم كله " .

" أعتقد أن أقوى رجل فى أمريكا هو الرئيس " .

ابتسم سوير وقال : " لا ، إنه آرثر ليبرمان الذى يوجد على صدره حرف S كبير " .

" من هو بحق الجحيم ؟ "

" إن آرثر ليبرمان كان رئيساً لهيئة التجارة الفيدرالية وهو الآن أحد الضحايا ضمن مائة وثمانين ضحية أخرى وأعتقد أنه الشخص الوحيد الذى كانوا يريدون قتله " .

الفصل الثالث عشر

لم يكن جاسون آرتشر لديه أية فكرة عن المكان الذى ذهب إليه ، فقد ظلت السيارة تسير لمدة ساعات وقام ديبازا أو شخص آخر بربط عينيه . وكانت الغرفة الموجود بها فى ذلك الوقت صغيرة وخالية من الأثاث ، كما كانت المياة تتساقط بها فى أحد الأركان والجو تنتشر فيه رائحة عفنة . جلس جاسون على كرسى مفكك أمام الباب ، لم يكن هناك نوافذ بهذه الغرفة ، وكان النور الوحيد الذى يظهر بها نور المصباح الكهربائى المعلق فى السقف . ثم سمع صوت أحدهم فى الجانب الآخر من الباب ، ولأنهم كانوا قد أخذوا ساعته فلم يتمكن من معرفة الوقت ، كما كانوا يقدمون له الطعام فى أوقات مختلفة حتى يصعب عليه تحديد الوقت .

وبينما كانوا يقدمون له الطعام لاحظ جاسون وجود حاسبه المحمول وهاتفه الجوال على منضدة صغيرة فى الغرفة الخارجية ، ولم تكن تلك الغرفة تختلف عن تلك التى يجلس بها . كما أخذوا منه الصندوق الفضى ، ولم يعد بداخله شىء الآن ، كان جاسون متأكداً من ذلك . وبدأ يفهم ما يحدث بوضوح ، أخذ يفكر فى زوجته وابنته ومدى احتياجه لأن يكون معهما الآن ، ومدى قلق سيدنى عليه ، ولم يتمكن من معرفة ما كانت ستشعر به من أحاسيس لو قال لها الحقيقة ، قطعاً ستكون فى عونه ، ولكنها كانت ستتعرض للخطر . فكان عليه ألا يخبرها حتى لو كان يعنى ذلك أنه لن يتمكن من رؤيتها مرة أخرى . انهمرت الدموع من عينيه عندما خطرت على باله تلك الفكرة ، ثم هب واقفاً وهز جسمه .

إنه لم يمت بعد ، وعلى الرغم من أنه لا يأمن قسوة من يحتجزونه فإنهم قد ارتكبوا خطأ على الرغم من حرصهم الواضح . خلع جاسون نظارته ووضعها على الأرض وضغط عليها بقدمه ، ثم أخذ قطعة زجاج حادة ومسكها بحرص بين يده وسار ناحية الباب وطرق عليه وقال : " أيمكن أن أحصل على شىء أشربه ؟ "

سمع صوتاً يظهر عليه الضيق : " اخرس " ، ولم يكن ذلك صوت ديبازا ، قد يكون الرجل الآخر .

" اسمع أيها الأحمق ، يجب أن أتناول أقراص الدواء وأحتاج لأن أشرب معها بعض الماء " .

رد عليه نفس الرجل وقال : " حاول أن تبلعه هكذا " ، وسمع جاسون صوت ضحكة خافتة .

صرخ جاسون بصوت عال : " إن الأقراص كبيرة جداً " .

سمع جاسون الرجل وهو يقول : " هذا سيئ للغاية " ، ثم سمع صوت صفحات مجلة وهى تطوى .

" حسناً لن أتناول دوائى وسأموت الآن هنا ، إن هذا الدواء خاص بالضغط المرتفع وأنا الآن ضغطى مرتفع جداً " .

سمع جاسون صوت الكرسى وهو يحك الأرض وصوت مفاتيح تتحرك وقال الرجل له : " ابتعد عن الباب " .

ابتعد جاسون عن الباب ولكن لمسافة قصيرة . دفع الرجل الباب ففتحه على مصراعيه . كان الرجل يمسك بالمفاتيح فى يد ويحمل مسدساً فى اليد الأخرى .

سأل الرجل جاسون : " أين تلك الأقراص ؟ "

رد جاسون : " فى يدى " .

" أرنى إياها " .

هز جاسون رأسه باشمئزاز وقال : " لا أصدق هذا " . وبينما كان يتقدم للأمام فتح يده ، نظر الرجل إليها ، وعندها رفع جاسون رجله وضرب يد الرجل فأطاح بالمسدس بعيداً .

اندفع الرجل ناحية جاسون الذى قابله بضربة قوية أدت إلى جرح خده وصرخ الرجل من شدة الألم ورجع إلى الخلف وسال الدم من وجهه .

كان الرجل ضخماً ، إلا أن جاسون اندفع نحوه بقوة ودفعه ناحية الجدار . تعاركا لفترة قصيرة ، وبما أن جاسون كان يفوقه فى القوة استطاع أن يتغلب عليه وأمسك برأسه وضربه فى الجدار فانفجر الدم من رأسه ، ثم تبعه جاسون بلكمات فى جنبه مما أدى إلى سقوطه على الأرض مغشياً عليه .

التقط جاسون المسدس وجرى من الباب المفتوح ، ثم قام بحمل الحاسب والهاتف بيده ، وانتظر للحظة ليراقب ما حوله ثم توجه نحو باب آخر وتوقف ليسمع ما إذا كان هناك أى صوت ، ثم أسرع خارجاً منه .

توقف جاسون حتى تعتاد عيناه على الظلام ، كان لا يزال فى نفس المخزن أو فى آخر مماثل له . نزل بحرص إلى الطابق الأول فقد كان يعلم أنهم يقومون بدوريات للمراقبة . ولم ير السيارة بالخارج ، وسمع صوتاً فجأة من المكان الذى خرج منه للتو ، فأسرع ناحية الباب العلوى وأخذ يبحث عن المفتاح ليتمكن من فتحه . التفت جاسون برأسه عندما سمع صوت أقدام تجرى ، فجرى عبر المخزن إلى الجهة الأخرى منه واختبأ فى ركن خلف البراميل ، ووضع المسدس بحرص على الأرض وأسرع بفتح حاسبه .

كان ذلك الحاسب متطوراً بدرجة كبيرة ويوجد بداخله مودم للاتصال . ضغط جاسون على مفتاح التشغيل واستخدم كابلاً قصيراً متصلاً بالحاسب ليقوم بتوصيل مودم الحاسب بهاتفه الجوال . أخذ العرق يتصبب منه حيث استغرق الحاسب بضع ثوان ليعمل . ثم ضغط بالفأرة على الخصائص التى يريد تشغيلها وقام بكتابة رسالة ، وعلى الرغم من الظلام الذى كان يسود المكان إلا أن أصابعه كانت معتادة على لوحة المفاتيح . كان جاسون مصراً على إرسال تلك الرسالة ، ولذلك لم يستمع إلى وقع الأقدام القادمة من خلفه ، وبدأ يكتب عنوان البريد الإلكترونى للمرسل إليه على موقع أمريكا أون لاين . ولسوء الحظ لم يتذكر رقم هاتفه ، شأنه فى ذلك شأن معظم الناس لأنهم لا يتصلون به ، وبما إنه لم يقم من قبل بإرسال رسالة على بريده الإلكترونى فلم يحتفظ بعنوانه على الحاسب . تذكر جاسون العنوان ، ولكن كتابته ستستغرق بضع ثوان ثمينة

بالنسبة له . وبينما كانت أصابعه تتجه ناحية لوحة المفاتيح ، ظهر ضوء قوى عليه وأحاطت يد قوية برقبته .

تمكن جاسون من الضغط على أمر " إرسال " واختفت الرسالة من على الشاشة . مرت لحظة وامتدت يد وجذبت الحاسب منه وظل الهاتف الجوال يتدلى فى الهواء فى نهاية الكابل ، ورأى جاسون الأصابع الغليظة وهى تضغط على الأزرار الخاصة بإلغاء تلك الرسالة .

سدد جاسون لكمة قوية إلى الرجل عند فكه ، وتمكن من جذب الحاسب والهاتف بعيداً ، ثم ضرب الرجل بقدمه ضربة قوية استقرت فى بطنه وأسرع بعيداً ، تاركاً الرجل ووجهه على الأرض ، ولكن من سوء حظه أنه ترك المسدس هناك .

توجه جاسون ناحية ركن بعيد فى المخزن وسمع صوت أقدام مسرعة تأتى من كل ناحية . لن يتمكن من الهرب - كان ذلك واضحًا بالنسبة له - لكنه لا يزال قادراً على فعل شىء . اختبأ خلف بعض السلالم المعدنية ونزل على ركبتيه وبدأ يكتب . جعلته صرخة قوية بالقرب منه يلتفت برأسه ، وخانته أصابعه حيث ضغط على الزر خطأ بينما كان يكتب عنوان البريد الإلكترونى الخاص بالمرسل إليه . بدأ جاسون يكتب الرسالة وكان العرق يتصبب من وجهه ، وكانت أنفاسه متلاحقة ، ورقبته تؤلمه من أثر قبضة الرجل عليها وكان المكان مظلماً للغاية حتى أنه لم يتمكن من رؤية لوحة المفاتيح . كان يتبادل النظر بين الصور الإلكترونية الصغيرة التى تظهر على الشاشة وبين أركان المخزن ، حيث كان يسمع الأصوات والأقدام تقترب أكثر وأكثر من المكان الذى يختبئ فيه .

لم يفطن جاسون إلى أن كمية الضوء الضئيلة التى كانت تنبعث من شاشة الحاسب بمثابة مرشد يدل عليه فى ذلك الظلام . جعله صوت الرجال القادمين نحوه مسرعين يختصر رسالته . ضغط على زر " إرسال " وانتظر لظهور إشارة تأكيد الإرسال ، ثم قام بإلغاء الملف الذى أرسله واسم المرسل إليه . ولم ينظر إلى عنوان البريد الإلكترونى عندما ضغط على مفتاح " إلغاء " . ثم وضع بعد ذلك الحاسب والهاتف على الأرض . ولم يكن لديه وقت لعمل أى شيء ، حيث سلطت عليه الأضواء من كل ناحية . نهض جاسون واقفاً ببطء كانت أنفاسه ثقيلة ولكن عينيه كان يظهر بهما التحدى .

توقفت السيارة الليموزين بعد عدة دقائق أمام المخزن وزج بجاسون فى المقعد الخلفى وكانت ملابسه ممزقة وتظهر على وجهه خدوش عميقة وكان تنفسه غير منتظم . فتح كينيث سكاليز الحاسب وأخذ يسب ويلعن بصوت مرتفع ، بينما كان ينظر إلى الشاشة الصغيرة ، حيث كان لا يظهر عليها أى شيء من الرسالة التى بعثها جاسون . كان يشعر بغضب شديد فجذب هاتف جاسون من الكابل وأخذ يضربه بباب السيارة إلى أن سقط على الأرض وقد تحطم إلى قطع صغيرة ، ثم أخرج من جيبه هاتفاً جوالاً واتصل برقم . تحدث سكاليز ببطء فى الهاتف موضحًا أن آرتشر قد اتصل بأحد الأشخاص وأرسل له برسالة . هناك عدد من الأشخاص يجب مراقبتهم جميعاً والتعامل معهم فلابد أن أحدهم هو المرسل إليه . أغلق سكاليز الخط ونظر إلى جاسون ، وعندما رفع جاسون عينيه لينظر إليه كانت فوهة المسدس موضوعة عند جبهته .

" إلى من أرسلت هذه الرسالة يا جاسون ؟ "

استطاع جاسون أن يكتم أنفاسه ، بينما كان يمسك ضلوعه التى كانت تؤلمه من شدة الكدمات وقال : " لا سبيل إلى ذلك ، حتى لو بعد مليون سنة لن أتكلم " .

ضغط سكاليز بفوهة المسدس على جبهته . صرخ جاسون وقال : " اسحب الزناد أيها الأحمق ! " .

بدأ إصبع سكاليز فى الضغط على الزناد ولكنه توقف فجأة ، ودفع جاسون بقوة إلى ظهر المقعد .

" لم يحن الوقت بعد يا جاسون ، ألم أقل لك ؟ لديك مهمة أخرى يجب أن تقوم بها " .

نظر إليه جاسون فى يأس حيث كان سكاليز يبتسم بخبث .

أخذ العميل الخاص ريموند جاكسون يتفحص المكان ، ثم اتجه إلى غرفة وأغلق الباب خلفه . وهز رأسه باستغراب . فقد وصف له البعض آرثر ليبرمان على أنه أحد أثرى أثرياء أمريكا على مر عقود مضت ، لكن ذلك المكان المهمل لا يتوافق مع ذلك الوصف . نظر جاكسون إلى ساعته ، كان فريق الطب الشرعى سيصل بعد قليل ليقوم بأعمال الفحص الدقيق ، وعلى الرغم من أن آرثر ليبرمان شخصيًا لم يكن يعلم على الأرجح من الذى يستهدفه ومن الذى قام بتفجير تلك الطائرة فإن جميع الاحتمالات يجب الأخذ بها فى الاعتبار .

اتجه جاكسون إلى المطبخ الصغير وعلم سريعاً أن آرثر ليبرمان لم يطبخ أو يأكل هنا . فلم يكن هناك أية أطباق أو أوان فى الدواليب ، كما كانت الثلاجة خاوية تماماً . وعلى الرغم من أن الموقد كان قديماً إلا أنه لم تظهر عليه أية آثار لاستخدامه . قام

جاكسون بفحص الأجزاء الأخرى من غرفة المعيشة ثم اتجه إلى الحمام الصغير ، وكان يرتدى قفازات فقام بفتح باب خزانة الأدوية بحرص ، وكانت تحتوى على أدوات الحلاقة المعتادة ، ولم يكن هناك شيء مميز . وقعت عينا جاكسون على زجاجة صغيرة توجد بين معجون الأسنان ومزيل العرق عندما كان يغلق باب الخزانة ، وكانت الروشتة الموجودة بجوارها تحتوى على الجرعة ومعلومات عن كيفية ملئها ثانية ، وكذلك اسم الطبيب الذى وصف هذا الدواء . ولم يكن جاكسون يعرف هذا الدواء ، ولذلك قام بكتابة اسمه ثم أغلق الباب .

كانت غرفة النوم الخاصة بـ " ليبرمان " صغيرة ، وسريره صغيراً للغاية . وكان هناك مكتب صغير عند الجدار بجانب النافذة . وبعد أن قام جاكسون بفحص الدولاب اتجه إلى المكتب .

كان هناك عدد من الصور على المكتب يظهر بها شابان وفتاة تتراوح أعمارهم بين سن المراهقة إلى منتصف العشرينات ، وكان يبدو على تلك الصور أنها قديمة وقد استنتج جاكسون سريعًا أن هؤلاء هم أولاد ليبرمان .

نظر جاكسون فرأى ثلاثة أدراج أمامه ، أحدهم كان مغلقاً فحاول فتحه ، حيث وجد به مجموعة من الخطابات مكتوبة بخط اليد ومربوطة معاً . كان الخط دقيقاً جداً ومحتوى تلك الخطابات كان رومانسياً . وكان الشيء الوحيد الغريب فى تلك الخطابات أن جميعها لم يكن يحتوى على إمضاء بالمرة . أخذ جاكسون يفكر فى ذلك الأمر للحظة ثم أعاد الخطابات إلى الدرج واستمر في النظر فيما حوله لبضع دقائق إلى أن سمع طرقاً على الباب مشيراً إلى وصول فريق الطب الشرعى .

الفصل الرابع عشر

بينما كانت سيدنى جالسة بمفردها فى المنزل ، أخذت تتحرك فى كل مكان به وتحركها قوة لا يمكنها تحديدها ، ثم جلست لساعات فى النافذة الصغيرة الموجودة بالمطبخ تسترجع سنوات زواجها . بدأت أدق التفاصيل ، حتى التافهة ، التى حدثت فى تلك السنوات تتدفق فى أعماقها . وأخذت تحرك فمها فى متعة عندما تذكرت إحدى تلك الذكريات الجميلة . كانت تلك اللحظات قصيرة للغاية ويعقبها دائماً بكاء شديد عندما تتذكر أنه لن يكون هناك أية أوقات ممتعة مع جاسون بعد الآن .

وأخيراً نهضت وصعدت السُلم تهيم على وجهها ببطء عبر الردهة ذاهبة إلى مكتب جاسون الصغير وأخذت تتفقد أغراضه ثم جلست أمام الحاسب ، أخذت تحرك يدها على الشاشة الخضراء ،

فقد كان جاسون يحب الحاسبات منذ أن عرفته . كانت معرفة سيدنى بعالم الحاسبات وبرامجها محدوداً للغاية فيما عدا معرفتها باستخدام برامج الكتابة وقراءة بريدها الإلكترونى .

كان جاسون يقوم ببعض المراسلات عن طريق البريد الإلكترونى ومن ثم كان يتفقد بريده الإلكترونى كل يوم . ولم تقم سيدنى بتفقد بريده الإلكترونى منذ وقوع حادث الطائرة ولذلك قررت أن تفعل ذلك الآن . قد يكون الكثير من أصدقاء جاسون أرسلوا الرسائل له . قامت سيدنى بفتح الحاسب ورأت الشاشة تمتلئ بأرقام وكلمات لا تفهم منها شيئاً . وكان الشيء الوحيد الذى تمكنت من ملاحظة وجود جزء كبيرٍ من الذاكرة المتاحة . لقد كان الجهاز مخصصًا لزوجها وموصلاً بالطاقة .

نظرت سيدنى إلى رقم الذاكرة المتاحة ولاحظت أن الأرقام الثلاثة الأخيرة هى ٧ ، ٣ ، صفر والتى كانت تخص عيد ميلاد جاسون حيث إن عيد ميلاده فى الثلاثين من يوليو . أخذت سيدنى نفساً عميقاً منعها من البكاء . ثم فتحت درج المكتب وأخذت تتفحص محتوياته ببطء . وبما أنها محامية فقد كانت على دراية بأرقام المستندات والإجراءات التى يجب اتخاذها فى تلك الحالة بخصوص ممتلكات جاسون . كانت معظم ممتلكاتهما مشتركة إلا أنه مازال هناك العديد من الإجراءات القانونية المعقدة ، وكانت تعرف أن على أحدهما أن يواجه يوماً مثل تلك الأشياء ، ولكنها لم تكن تعتقد أنه سيكون عليها مواجهتها بهذه السرعة .

أخذت تفصل بأصابعها الأوراق والأدوات المتعددة الموجود داخل الدرج ثم أمسكت بالبطاقة التى ألقاها جاسون قبل مغادرته إلى المطار ونظرت إليها عن قرب ، ولكنها لم تدرك قيمتها الحقيقية وكانت تشبه بطاقة الائتمان وكان مطبوعاً عليها اسم تريتن جلوبال

يتبعه اسم جاسون آرتشر ونهايته كلمات كود رستريلتد - المستوى السادس ، قطبت سيدنى جبهتها فهى لم تر تلك البطاقة من قبل ، واعتقدت أنها بطاقة تمكن جاسون من الدخول إلى الشركة على الرغم من أنها لا توجد صورة لزوجها عليها . وبعد ذلك وضعت البطاقة مرة أخرى داخل الدرج ، فقد تطلب الشركة استعادتها .

قامت سيدنى بالدخول على موقع أمريكا أون لاين حيث حياها الصوت الإلكترونى معلناً وجود رسائل داخل بريدهم الإلكترونى ، وكما كانت تتوقع ، كان هناك العديد من الرسائل التى بعث بها أصدقاؤهما . أخذت سيدنى تقرأ تلك الرسائل وهى تبكى . وفى النهاية لم ترغب فى استكمال ذلك العمل وبدأت فى إغلاق الحاسب . ثم قفزت عندما ظهرت أمامها فجأة إحدى الرسائل على الشاشة بالعنوان" Archie Jw2 @ aol . com " وهو العنوان الخاص بزوجها ، ولكنها اختفت كما لو كان سراباً يجرى مهرولاً من رأسها .

قامت سيدنى بالضغط على بعض الأزرار وتمكنت من فحص صندوق الرسائل مرة أخرى ، ظهر على وجهها العبوس عندما اكتشفت أنه خاو تماماً . ولكنها استمرت فى النظر إلى الشاشة ، فقد كان يدفعها شعور قوى لاستنتاج أنها قد تخيلت الموضوع بأكمله . لقد حدث ذلك سريعاً ، فركت سيدنى عينيها وظلت جالسة لبضع دقائق أخرى تنتظر بقلق لترى ما إذا كان ذلك سيحدث مرة أخرى أم لا على الرغم من عدم معرفتها بمعناه ، ولكن الشاشة ظلت فارغة .

* * *

بعد أن عاود جاسون آرتشر إرسال رسالته بلحظات أعلن الصوت الآلى الصادر من الحاسب عن وصول رسالة أخرى بقوله : " لديك رسالة " ، تم حفظ الرسالة هذه المرة داخل صندوق البريد الإلكترونى . ولم يكن صندوق البريد الإلكترونى موجوداً على الحاسب الذى يوجد داخل البيت القديم ولا حتى على الحاسب الموجود على مكتب سيدنى فى تايلر ستون ، ولا يوجد أحد على الحاسوب الرئيسى الآن لقراءته وبالتالى سيتم حفظ تلك الرسالة .

نهضت سيدنى أخيراً وغادرت حجرة المكتب ، ولسبب ما أعطاها الضوء المفاجئ الذى ظهر على شاشة الحاسب أملاً زائفاً فى أن يكون جاسون قد يحاول الاتصال بها من أى مكان ذهب إليه عقب سقوط الطائرة . إلا أنها قالت لنفسها : " حمقاء " ، لأن هذا مستحيل .

بعد مضى ساعة أخرى وبعد حلقة أخرى من الحزن الأليم التقطت صورة آمى ، كان يجب عليها أن تعتنى بنفسها لأن آمى تحتاج إليها . فتحت سيدنى علبة حساء وأشعلت الموقد وبعد دقائق قليلة غرفت كمية صغيرة من البيف فى طبق وحملته إلى منضدة المطبخ ، وأخذت تحاول مضغ بعض الملاعق القليلة بينما كانت تنظر إلى جدران المطبخ التى كان جاسون يخطط لطلائها فى عطلة نهاية الأسبوع بعد إلحاح منها . وكانت أينما نظرت تجد ذكرى جديدة وشعوراً مؤلماً بالذنب ، وكيف لا ؟ فهذا المكان يحتوى على الكثير من الذكريات .

كانت سيدنى تشعر بالحساء الساخن يمر داخل جسدها ولكن جسدها مازال يرتجف كما لو كان خالياً تماماً من الطاقة .

قفزت واقفة ودخلت إلى حجرة المعيشة وفتحت التلفاز على قناة نامبلى وقرأت الآتى : " تغطية إخبارية حية من موقع تحطم الطائرة " . وشعرت بالذنب من فضولها لمعرفة تفاصيل الحادث الذى أبعد عنها زوجها ولم تستطع أن تنكر ، على أية حال ، أنها تشوقت لمعرفة هذا الحدث كما لو كان الاقتراب من الواقع سوف يقلل من الإحساس بالألم الذى يعتريها .

كانت المذيعة تقف بالقرب من موقع سقوط الطائرة وفى الخلفية كانت تتم عملية جمع المتعلقات . كانت سيدنى تشاهد الحطام يرفع ويصنف إلى أكوام متعددة ومتنوعة وكادت تسقط من على المقعد فجأة ، فقد مر أحد العمال خلف المذيعة وهى تتكلم عن الحادث ، ورأت سيدنى الحقيبة القماشية . ولاحظت أنها تالفة قليلاً فقد كانت محترقة ومتسخة من أحد الجوانب . استطاعت سيدنى أن تتبين الأحرف الكبيرة المكتوبة بالخط الأسود السميك ، وتم وضع تلك الحقيبة فى كومة من الأشياء المشابهة . لم تستطع سيدنى أن تتحرك لمدة خمس دقائق ولكن فى الدقيقة التالية كانت فى قمة نشاطها .

جرت سيدنى إلى أعلى وغيرت ملابسها وارتدت ملابس ثقيلة ولبست حذاء بدون كعب ثم ملأت حقيبتها بسرعة ، وبعد دقائق قليلة كانت تخرج سيارتها الفورد من المرآب . وقفت للحظات وألقت نظرة سريعة على السيارة كوجر التى كانت تقف فى الجانب الآخر من المرآب . لقد كان جاسون يحب هذه السيارة واحتفظ بها لمدة عشر سنوات تقريباً لأناقتها . انهمرت الدموع من عينيها بقوة مما جعلها لا تتمكن من الرؤية جيداً فقامت بالضغط على الفرامل بقوة .

ضربت سيدنى بيديها على التابلوه حتى وصل الألم إلى ساعدها ، ثم وضعت رأسها على عجلة القيادة وظلت تحاول التقاط نفس عميق . شعرت بالغثيان حيث وصل مذاق البيف إلى حلقها ولكن سرعان ما انتهى ذلك الشعور بعد عدة لحظات وبينما كانت تسير فى الشارع الهادئ نظرت إلى بيتها . لقد كانوا يعيشون هناك منذ أكثر من ثلاث سنوات . وكان ذلك البيت قد بنى منذ مائة عام . وكان يوجد به حجرات واسعة ، وتنتشر أشجار البلوط حوله . وكانت هناك أماكن هادئة بقدر كافٍ يجعلك تنسى كل مشاكلك فى عطلة نهاية الأسبوع . وهو مكان مناسب جداً لتربية الأطفال كما كانا يعتقدان ذلك .

شعرت سيدنى بنوبة بكاء شديدة تتسلل إليها مرة أخرى ، فأسرعت واتجهت إلى الشارع الرئيسى . وبعد مضى عشر دقائق كانت تنظر إلى الألوان الحمراء والصفراء فى مطعم ماكدونالدز . أوقفت سيارتها وطلبت كوباً كبيراً من القهوة ، ثم ضغطت على زر النافذة ، وظلت تحملق فى وجه فتاة فى سن المراهقة غطى النمش وجهها ، ولفت شعرها إلى الوراء فى شكل ذيل حصان . كانت سيدنى تتخيل آمى بذلك الشكل عندما تكبر . وكانت تتمنى لآمى أن يظل أبوها على قيد الحياة وشعرت بحزن جارف عندما تذكرت أن آمى أصبحت الآن يتيمة .

توجهت سيدنى خلال ساعة إلى الغرب عند طريق رقم ٢٩ ، وكان طريقاً ضيقاً يؤدى إلى ريف فيرجينيا الجميل ، حيث قطعت حوالى ٥٤ كيلو متراً إلى هناك على طول الحدود المتاخمة لنورث كارولينا . وكانت قد مرت فى هذا الطريق عدة مرات عندما كانت طالبة فى كلية الحقوق بجامعة فيرجينيا فى تشارلوتس فيل . ياله من مكان هادئ وجميل ، فقد كانت أوراق النباتات الملونة التى

تراها فى فصل الخريف والربيع لم تر مثلها فى أى مكان . وتذكرت سيدنى العديد من الرحلات التى قضتها مع جاسون فى تشارلوتس فيل لحضور بعض المناسبات . لكن الآن لم يعد هذا الطريق أو منطقة الريف تشعرها بأى راحة .

نظرت إلى الساعة واندهشت من أن الساعة قاربت على الواحدة صباحاً مما جعلها تزيد من سرعتها فى هذا الطريق الخالى . كانت درجة الحرارة تستمر فى الانخفاض وذلك لأن سيدنى كانت تتجه إلى مكان مرتفع ، وتجمعت السحب الكثيفة ورأت وميض البرق .

بعد مرور ساعة أخرى ، نظرت سيدنى إلى الخريطة الموجودة بجوارها على المقعد الأمامى ، وشعرت بالإرهاق فأراحت جسدها استعداداً للوصول .

وعندما وصلت إلى ريكرز فييل توجهت ناحية الغرب . وهى الآن فى جرين كنترى فى فيرجينيا وهو مكان قروى وريفى خال من إيقاع الحياة السريع الذى اعتادت عليه سيدنى ، ثم وصلت بعد ذلك إلى بلدة ستاندارس فيل التى وقع بها الحادث وظهرت على شاشات التلفاز فى العالم كله .

وصلت سيدنى فى النهاية إلى الطريق وأوقفت سيارتها لتصلح من مظهرها ، إلا أن ظلام الريف قد أحاطها من جميع الجهات ، فتوقفت تحت العلامات المضيئة وقربت الخريطة منها حتى تتمكن من رؤيتها . واستمرت بعد ذلك فى السير إلى أن وصلت إلى مكان يمتلئ بأشجار البلوط الشاهقة .

عند نهاية الطريق كان يوجد سيارة للشرطة بالقرب من صندوق ملتو يمتلئ بالقاذورات . وكان المكان يبدو من بعيد ككهف يضاء بالأضواء الفسفورية .

أخيراً تمكنت من الوصول إلى المكان .

لاحظت سيدنى بدء سقوط الثلج ، وعندما أوقفت سيارتها بالقرب من سيارة الشرطة ، رأت رجل شرطة يخرج من السيارة وتوجه ناحيتها ووجه ضوء الكشاف الذى كان بيده على لوحة أرقام سيارتها ثم إلى وجهها .

أخذت سيدنى نفساً عميقاً وفتحت زجاج النافذة .

ظهر وجه الشرطى عند النافذة ، وكان يظهر به شارب سميك به بعض الشعيرات البيضاء ، وعلى جانبى عينيه كانت تظهر بعض التجاعيد وعلى الرغم من الظلام فقد كانت عضلات صدره وكتفيه بارزة بوضوح . وألقى نظرة فاحصة روتينية على السيارة ثم استقر بنظره على سيدنى .

نظر إليها الشرطى وقال : " أيمكننى مساعدتك يا سيدتى ؟ "

لم تتمكن سيدنى من الرد عليه ونظرت إليه ، كان فمها يتحرك ، لكن دون أن تصدر منه أية كلمة .

" تعلمين يا سيدتى أننا نقوم بعمل مهم فى ذلك المكان ، وقد كان يوماً طويلاً وشاقاً . ولقد مر علىَّ أشخاص كثيرون لا داعى لوجودهم فى ذلك المكان اليوم " . توقف الشرطى عن الكلام وأخذ يتفحص ملامحها ثم استطرد : " هل ضللت طريقك ؟ "

هزت سيدنى رأسها بالنفى .

نظر الشرطى إلى ساعته وقال : " لقد انصرفت السيارات الخاصة بالتلفاز منذ حوالى ساعة تقريباً وتوجهت إلى تشارلوتس فيل ليتمكن العمال من الحصول على قسط من الراحة . أعتقد أنه يجب عليك أن تفعلى ذلك أيضاً ويمكنك رؤية وقراءة ما تريدين من التلفاز والجرائد ، صدقينى " . ثم انصرف بعيداً عنها مشيراً إلى أن

حوارهما قد انتهى . ونظر إليها مرة أخرى عند بعد وقال " أيمكنك أن تعودى أدراجك ؟ "

أومأت سيدنى ببطء وتوجه الشرطى إلى سيارته مرة أخرى . أدارت سيدنى سيارتها وقادتها بعيداً ، ونظرت فى المرآة التى أمامها ثم توقفت فجأة ، وفتحت باب السيارة وخرجت منها ثم فتحت الباب الخلفى وأخرجت معطفها ولبسته .

رآها الشرطى وهى تتجه ناحية سيارة الدورية وخرج مرة أخرى . كان شعر سيدنى مغطى بالثلج حيث بدأت عاصفة ثلجية .

وقبل أن يتمكن الشرطى من الكلام ، رفعت سيدنى يدها .

قالت : " اسمى سيدنى آرتشر ، وزوجى هو جاسون آرتشر " ، وبدأ صوتها يرتجف ولم تتمكن من استكمال حديثها . ثم عضت على شفتيها واستكملت : " كان على متن تلك الطائرة . وقد عرضت علىَّ شركة الطيران توصيلى إلى هنا ولكنى قررت أن آتى بمفردى ، لا أعرف لماذا ، ولكنى فعلت " .

نظر الشرطى إليها وظهر على ملامحه تعاطفه معها وقال : " آسف جداً سيدة آرتشر ، لقد وصلت بالفعل بعض العائلات إلى هنا ، ولم يتمكنوا من المكوث طويلاً ، فالقائمون على العمل هنا لا يريدون وجود أحد الآن فى ذلك المكان . وسيأتون غداً ليستكملوا عمليات البحث ... " . وانخفض صوته ونظر إلى الأرض .

نظرت إليه سيدنى وقالت : " أتيت فقط لأرى ... " ، وقد خانها صوتها مرة أخرى وكانت عيناها حمراوين ويظهر على وجهها العبوس . وعلى الرغم من أنها كانت طويلة فإنها كانت تشبه الأطفال ، وكانت أكتافها تميل إلى الأمام وتضع يديها داخل جيوبها .

كان الشرطى يشعر بالحرج ، ونظر إلى الطريق الذى تملؤه القاذورات ثم إلى حذائه ثم إليها مرة أخرى وقال : " انتظرى دقيقة سيدة آرتشر " . ودخل سيارته مرة أخرى وقال : " اركبى يا سيدتى حتى تبتعدى عن الثلج قبل أن تصابى بالبرد " .

صعدت سيدنى إلى سيارة الدورية التى كانت تمتلئ برائحة السجائر والقهوة ، وكانت هناك مجلة على المقعد الأمامى . وكذلك شاشة حاسب صغيرة . فتح الشرطى زجاج النافذة وأوقد ضوء السيارة على الجزء الخلفى من سيارتها ، ثم أغلق الزجاج مرة أخرى وضغط على بعض الأزرار من على لوحة المفاتيح ونظر إلى الشاشة ثم نظر إلى سيدنى .

قال : " هناك إعوجاج فى لوحة أرقام سيارتك ، ولذلك يجب أن تقومى بإثبات شخصيتك يا سيدتى ، هذا لا يعنى أننى لا أصدقك ، وأعرف أنك لم تأتِ إلى هنا فى منتصف الليل من أجل قضاء العطلة ، أعرف ذلك جيداً ، لكن هناك قانوناً وقواعد يجب اتباعها " .

ردت عليه سيدنى : " أفهم ما تقول " .

كانت الشاشة تمتلئ بالمعلومات التى قرأها الشرطى بسرعة . وأخرج قائمة تحتوى على مجموعة من الأسماء وأخذ يقرؤها ، ثم نظر إليها مرة أخرى وكان يظهر على وجهه الشعور بالإحراج مرة أخرى .

" تقولين إن جاسون آرتشر كان زوجك ؟ "

أومأت سيدنى ببطء وقالت : " كان ؟ " أحزنتها الكلمة بشدة ، وشعرت بأن يديها بدأتا ترتعشان بطريقة لاإرادية ، وقلبها ينبض بسرعة .

" كنت أريد التأكد وحسب ، فقد كان هناك شخص آخر باسم آرتشر على الطائرة أيضاً ، لكن اسمه بنيامين آرتشر " .

شعرت سيدنى فجأة بالأمل يدب بداخلها إلا أن الحقيقة قد فاجأتها سريعاً ، ليس هناك خطأ بالطبع ، لو كان قد حدث خطأ ، لاتصل بها جاسون . لقد كان على متن تلك الطائرة . نظرت سيدنى إلى الأضواء البعيدة ، إنه هناك الآن ، ومازال هناك .

تنحنحت سيدنى وقالت : " لدى بعض الصور له " ، وفتحت محفظتها وناولته إياها .

لاحظ الشرطى رخصة القيادة ، ثم نظر إلى صورة جاسون وسيدنى وآمى التى تم أخذها منذ شهر مضى . نظر إليها لبعض الدقائق ثم أعطاها المحفظة بسرعة وقال : " لا أحتاج لفحص أى شىء آخر يا سيدة آرتشر " . ثم نظر خارج النافذة ، واستطرد : " هناك اثنان من المساعدين يقفان على الطريق وبعض من أفراد الحرس الوطنى ، وهناك أيضاً أشخاص أتوا من واشنطن ولذلك يظهر كل هذا النور " . نظر إليها وقال : " لا يمكننى أن أترك مكانى يا سيدة آرتشر " .

أدار الشرطى السيارة ونظر إليها مرة أخرى وقال : " يمكننى أن أتفهم سبب مجيئك إلى هنا ، لكن لا أنصحك بالبقاء طويلاً سيدة آرتشر فالمكان ليس جيداً " .

عندما كانوا يقتربون من الأضواء ، سمحت سيدنى لعقلها أن يحلق بعيداً وبعيداً وأخذت تفكر : " كانت هناك حقيبة قماشية تخص زوجى ، وكان يوجد عليها الأحرف الأولى من اسمه " جيه . دبليو . إيه " ، لقد اشتريتها له لقضاء رحلة قمنا بها منذ عدة سنوات " . وابتسمت عندما تذكرت تلك الرحلة .

رفعت سيدنى عينيها فجأة ورأت الشرطى ينظر إليها فى دهشة وقالت : " لقد ... شاهدت حقيبة زوجى فى التلفاز ، لم يكن يبدو عليها الدمار ، هل من طريقة لأراها ؟ " .

" آسف سيدة آرتشر إن ما يتم جمعه يأخذونه بعيداً ، فقد وصلت الشاحنة منذ ساعة تقريباً وأخذت كل ما جمعوه اليوم " .

" هل تعلم إلى أين ذهبت ؟ "

هز الشرطى رأسه وقال : " لا يهم ، فحتى إذا كنت أعلم فلن يسمحوا لك بالاقتراب منها . بعد انتهاء التحقيقات سيعيدونها لك . على ما أظن ، قد يستغرق الأمر عدة سنوات ، أنا آسف مرة أخرى " .

توقفت سيارة الدورية على بُعد بضع أقدام من شرطى آخر . خرج الشرطى من سيارته وحيا زميله سريعاً وأشار مرتين فى اتجاه سيارة الشرطة التى كانت تجلس بها سيدنى التى لم تكن قادرة على رفع عينيها من شدة الضوء .

اندهشت سيدنى عندما مال الشرطى برأسه داخل السيارة وقال : " يمكنك النزول هنا ، سيدة آرتشر " .

فتحت سيدنى باب السيارة وخرجت ، ونظرت إلى الشرطى الآخر الذى أومأ إليها بعصبية وكان يظهر الألم فى عينيه . لقد كان الألم ظاهراً فى كل مكان بوضوح ، كان يفترض أن يكون هؤلاء الرجال أيضاً مع عائلاتهم ، لكن الموت كان يوجد فى كل مكان .

" عندما تكونين مستعدة لمغادرة المكان يا سيدة آرتشر أخبرى بيلى وهو سيعلمنى من خلال اللاسلكى سوف أحضر فى الحال وأصطحبك " .

سألته سيدنى بينما كان يتجه لركوب السيارة : " ما اسمك ؟ " نظر إليها الشرطى وقال : " إيجوين ، إيجوبين ماكينا " .

" أشكرك يا إيجوبين " .

أومأ الرجل إليها وجذب قبعته من المقدمة وقال : " أرجو ألا تبقى هنا طويلاً يا سيدة آرتشر " .

قادها بيلى ناحية الأضواء وكان ينظر بعينيه إلى الأمام ، لم تكن سيدنى تعلم ما قاله الشرطى ماكينا لصديقه ولكنها كانت تشعر بالقلق الذى كان يظهر آثاره على جسده . فقد كان نحيلاً للغاية ، شاباً ، لا يتجاوز الخامسة والعشرين وكان يبدو عليه الإعياء والعصبية .

توقف بيلى أخيراً عن المشى ، ورأت سيدنى أشخاصاً يتحركون ببطء بين الأغراض . كانت الحواجز وأشرطة الشرطة الصفراء فى كل مكان . تمكنت سيدنى من رؤية الدمار الهائل الذى كان يظهر بالمكان ، حيث كان المكان أشبه بميدان معركة ، وكانت تظهر بالأرض حفرة عميقة .

لمس بيلى كتف سيدنى وقال : " يجب أن تبقى بعيداً عن ذلك المكان يا سيدتى ، فهؤلاء أشخاص متخصصون فى البحث عن المفقودين من واشنطن ، وهم يخشون أن يتسلل أحد فيفسد ما يقومون به من عمل " . وأخذ نفساً عميقاً ثم استطرد : " فالأشياء مبعثرة فى كل مكان يا سيدتى ، لم أر شيئاً كهذا من قبل قط وآمل ألا أراه مرة أخرى " . ثم نظر بعيداً وقال : " عندما تكونين مستعدة للرحيل ، فسأحضر حالاً " . ثم انصرف من حيث أتيا معاً .

ارتدت سيدنى المعطف وأزالت الثلج المتساقط فوق شعرها ، وبدون أن تشعر تقدمت إلى الأمام ثم توقفت ، ثم تقدمت مرة أخرى . وتحت الأضواء الكثافة رأت تلالاً من المخلفات ، كانوا

يقولون إن الطائرة بالكامل هناك ، وعلى الرغم من أنها كانت تعلم ذلك فإنها لم تستطع أن تصدق إمكانية حدوثه .

كان جاسون أيضاً هناك ، جاءتها هذه الفكرة وبدلاً من أن تجعلها تشعر بحالة من الهيستريا ، جعلتها غير قادرة على فعل أى شيء . أبقت سيدنى عينيها مغمضتين ثم فتحتهما فانهمرت الدموع على خديها ولم تهتم بمسحها .

ولم تتوقع أن تبتسم مرة أخرى .

حتى عندما أجبرت نفسها على التفكير فى آمى ، الطفلة الجميلة التى تركها جاسون لها ، لم تتمكن من الشعور بأى نوع من السعادة . أخذت تنظر إلى الأمام بينما كانت الرياح الباردة تضربها ، والتف شعرها الطويل حول رأسها .

رأت سيدني العديد من المعدات الضخمة تتوجه ناحية الحفرة محدثة ضجيجاً عالياً وكان يخرج من جوفها دخان قاتم ، أخذت الأتربة تتصاعد عندما بدأت الجرافات فى الحفر بقوة ورفع أكوام ضخمة من التراب ووضعها فوق عربات القمامة التى أخذت تتحرك فى طرق خاصة فى المكان الذى يقومون بفحصه . وكانت هذه العربات تتجه بسرعة دون الاهتمام بإحداث مزيد من الدمار لبقايا الطائرة . وكان كل ما يشغل العاملين هو الحصول على الصندوق الأسود الخاص بتلك الطائرة .

لاحظت سيدنى تراكم طبقة سميكة من الثلج على الأرض ، كما رأت المحققين يتنقلون بالبطاريات الضوئية وكانوا يتوقفون بين الحين والآخر لوضع أعلام صغيرة على الأرض البيضاء . وعندما اقتربت سيدنى أكثر لاحظت قوات الحرس الوطنى وهم يضعون البنادق على أكتافهم ويتجهون جميعاً ناحية الحفرة . كان موقع تحطم الطائرة يجذب انتباه أى شخص .

عندما اقتربت سيدنى مرة أخرى ، شعرت بشيء تحت قدميها مغطى بالثلج ، مالت لترى ما هو ذلك الشيء ، لكن جاءها صوت الشرطى : " هناك جثث وأشلاء فى كل مكان " . لم تتحرك وتجمدت فى مكانها ، ثم استكملت بعد ذلك بحثها بدافع الفضول . مشت بعد ذلك فى طريق يمتلئ بالقاذورات ، وكانت تمشى بحذر إلا أن قدميها انزلقتا بسبب الثلج ، وكانت ذراعاها تتحركان بقوة إلى الأمام وأنفاسها تندفع بسرعة شديدة .

لم تر سيدنى الرجل إلا بعد أن اصطدمت به ، مما تسبب فى سقوطهما معاً على الأرض . وكان مندهشاً جداً كما كانت هى .

صرخ لى سوير عندما سقط على كتلة من الطين وقال : " اللعنة " ، نهضت سيدنى سريعاً واستمرت فى العدو بأقصى سرعة على الطريق الملتوى . أخذ سوير يجرى وراءها إلى أن توقفت ركبتاه عن الحركة ، وذلك ما كان يتكرر باستمرار فقد وقع من على أحد الأسوار العالية أثناء تعقبه لأحد لصوص البنوك منذ سنوات عديدة . أخذ سوير يقفز على قدم واحدة خلف سيدنى محاولاً اللحاق بها ووجه نور بطاريته فى اتجاهها .

عندما التفتت سيدنى آرتشر برأسها تمكن سوير من رؤية وجهها كما تمكن من رؤية عينيها الممتلئتين بالرعب والفزع ، ثم استمرت فى السير . توجه سوير إلى المكان الذى اصطدم بها فيه ، ووجه نور بطاريته على الأرض . من هى تلك السيدة بحق الجحيم وماذا تفعل هنا ؟ قد تكون إحدى سكان المنطقة اللاتى يدفعهن الفضول لرؤية ما يحدث . تأكد سوير من صحة شكوكه حيث مال على الأرض والتقط حذاءً صغيراً ونظر مرة أخرى ناحية سيدنى آرتشر وتنهد بقوة فى ذلك الظلام ، وقد بدأ جسده الضخم يرتعش من شدة الغضب عندما

نظر إلى الحفرة الهائلة الموجودة فى الأرض . حاول سوير كتم رغبته فى إخراج صرخة من داخله ، ووضع الحذاء داخل جيب معطفه ، وحاول معالجة ركبته ثم انصرف بحثاً عن كابلن . كان عليه الرجوع إلى المدينة ، حيث كان لديه موعد فى واشنطن هذا المساء ، ليبدأ التحقيق فى مقتل آرثر ليبرمان بصورة جدية .

بعد ذلك بعدة دقائق ، نظر الشرطى ماكينا بقلق إلى سيدنى وهو يساعدها على الخروج من سيارة الدورية وقال : " أأنت متأكدة أنك لا تريديننى أن أتصل بأحد ليأتى لاصطحابك يا سيدة آرتشر ؟ " .

كان وجه سيدنى شاحباً للغاية وأطرافها ترتعش بعنف ، وتمتلئ ملابسها ويداها بالأوساخ نتيجة سقوطها على الأرض ، هزت سيدنى رأسها بقوة وقالت : " لا ، لا ، إننى بخير " ، ثم استندت على السيارة ، كانت ذراعاها وكتفاها تهتز بطريقة لاإرادية ولكنها لم تفقد توازنها بعد أن أغلقت باب سيارة الشرطة واتجهت ناحية سيارتها الفورد . ترددت لبرهة ثم التفتت . كان الشرطى ماكينا يقف بجوار سيارته ويراقبها عن قرب .

" إيجوين ؟ " .

" نعم يا سيدتى " .

" لقد كنت على حق ، لا يمكننى البقاء فى هذا المكان طويلاً " . خرجت تلك الكلمات من فم سيدنى فى يأس شديد ، ثم التفتت ومشت ببطء ناحية سيارتها وركبتها .

أومأ إيجوين ماكينا ببطء ، وأخذت تفاحة آدم التى تظهر برقبته تتحرك لأعلى ولأسفل عندما كان يقاوم انهمار الدموع من عينيه . فتح إيجوين باب سيارته وارتمى على المقعد الأمامى وأغلق الباب حتى لا يسمع أحد الأصوات التى تصدر منه .

عندما بدأت سيدنى تشق طريق العودة ، رن الهاتف الجوال الموجود داخل سيارتها . جعلها الصوت الذى سمعته ترتجف بشدة لدرجة أنها فقدت السيطرة على السيارة . نظرت إلى الهاتف وكانت تظهر على ملامحها علامات الذهول . لم يكن أحد يعرف أين هى الآن . نظرت حولها فى الظلام وكأن شخصاً يراها . لم يكن هناك سوى الأشجار التى تحيط بطريق عودتها إلى المنزل ، ولم يكن هناك أى شخص آخر فى ذلك المكان ، ومدت يدها ببطء لتمسك بالهاتف .

الفصل الخامس عشر

" يا إلهى ، إنها الثالثة صباحاً يا كونتين " .

" لم أكن لأتصل فى ذلك الوقت لو لم يكن الأمر فى غاية الأهمية " .

" لا أدرى ماذا تريديننى أن أقول " . كانت يد سيدنى ترتعش وهى تمسك بالهاتف الجوال ، وقد أبطأت من سرعة السيارة بينما كانت تستمر فى حوارها مع كونتين ، وقد وصلت السرعة إلى حد خطير على طريق سريع ضيق .

" لقد سمعتك أنت وجامبل تتحدثان أثناء عودتنا من نيويورك ، وكنت أعتقد أنك ستأتين إلىّ أنا يا سيدنى وليس إلى جامبل " . كان الصوت رقيقا إلا أنه كان يظهر به بعض الحدة .

" آسفة يا كونتين ولكنه كان يسألنى بعض الأسئلة وأنت لم تفعل " .

" كنت أحاول إعطاءك فرصة " .

" إننى أقدر ذلك فعلا ، لكن جامبل واجهنى ، أعنى أنه كان لطيفاً معى بخصوص ذلك الموضوع وكان يجب أن أخبره بشىء " .

" ولذلك أخبرته بأنك لا تعرفين لماذا كان جاسون على متن تلك الطائرة ؟ أهذا كان ردك ؟ إنك حتى لم تعرفى أنه كان على متن تلك الطائرة ؟ " . استشفت سيدنى بعض الأفكار التى أوحت بها كلماته . كيف يمكنها أن تقول لرووى شيئاً مختلفاً عما قالته لجامبل . وحتى لو أفصحت عن حقيقة موضوع جاسون وسبب ذهابه إلى لوس أنجلوس ، وكيف يمكنها أن تخبر رووى بأنها عرفت الآن أن جاسون لم يذهب لعقد مقابلة مع شركة أخرى ؟ فهى فى موقف حرج وحتى الآن لا تجد مخرجاً مما هى فيه ؛ ولذلك قررت تغيير الموضوع .

" لماذا خطر على بالك أن تتصل بى على هاتف السيارة يا كونتين ؟ " ، وقد أزعجتها فكرة أنه قادر على تعقبها .

" لقد اتصلت بك فى المنزل ، ثم فى المكتب ، وكان المكان الوحيد الباقى هو السيارة " . قال كونتين ذلك ببساطة ثم استطرد : " وكى أقول لك الحقيقة ، كنت قلقاً عليك وأيضاً ـــــ " ، وتوقف عن الكلام فجأة كما لو كان قرر عدم استكمال حديثه .

" وأيضاً ماذا ؟ "

تردد رووى قليلاً ثم قال : " إن الأمر لا يحتاج أن تكونى عبقرية يا سيدنى لتفهمى السؤال الذى نبحث له جميعاً عن إجابة ، وهو لماذا ذهب جاسون إلى لوس أنجلوس ؟ "

كانت نبرة رووى واضحة بقدر كافٍ ، فقد كان يريد إجابة عن ذلك السؤال .

" لماذا تهتم شركة تريتن بمعرفة ما يفعله جاسون أثناء عطلته ؟ "

تنهد رووى بعمق وقال : " إن ما تفعله شركة تريتن يا سيدنى شىء مهم للغاية ، وهناك كثير من الشركات تحاول سرقة ما نخترعه من تقنية حديثة ، وأنت تعلمين ذلك جيداً " .

غضبت سيدنى وقالت : " أتتهم جاسون ببيع التقنية الخاصة بشركة تريتن لمن يدفع أكثر ؟ هذا شىء غريب وأنت تعلم ذلك " ، لم يكن زوجها موجوداً هنا ليدافع عن نفسه ولم تكن هى لتجعل هذا الموضوع يمر هكذا .

انزعج رووى وقال : " لم أقل إننى كنت أفكر فى ذلك ، لكن الآخرين يفكرون هكذا " .

" إن جاسون لم يفعل شيئاً كهذا . فقد كان يبذل أقصى جهده من أجل هذه الشركة ، وكنت صديقه ، فكيف تدعى عليه ذلك الادعاء ؟ " .

" حسناً ، كيف تفسرين إذن وجوده على متن طائرة متوجهة إلى لوس أنجلوس بدلاً من قيامه بطلاء المطبخ ، إننى على وشك تحقيق الاندماج الذى سيمكن شركة تريتن من قيادة العالم خلال القرن الواحد والعشرين ولن أسمح لأى شىء أو أى شخص ليضيع تلك الفرصة لأنها لن تتكرر مرة أخرى " .

كانت نبرة صوت رووى كافية لإشعال الغضب بداخل سيدنى وقالت : " لا يمكننى تفسير ذلك ، ولن أحاول حتى تفسيره . أنا لا أدرى ماذا يحدث بحق الجحيم . لقد فقدت زوجى ، لم يعثروا على الجثة ولا على الملابس ، ولا يوجد أى شيء يخصه وأنت

تتصل بى الآن لتقول لى إنه كان يخدعك ؟ عليك اللعنة " .

انحرفت السيارة قليلاً عن الطريق وحاولت سيدنى جاهدة السيطرة عليها وإعادتها إلى مسارها الصحيح ، وأبطأت من سرعتها مرة أخرى . وسرت رعشة قوية فى جسدها ، وأصبحت رؤية الطريق صعبة نتيجة لغزارة الثلج المتساقط .

" أرجوكِ اهدئى يا سيدنى ، فأنا لم أقصد مضايقتك على الإطلاق ، أنا آسف " ، توقف رووى عن الكلام ثم استطرد : " أيمكننى فعل أى شىء لك ؟ " .

" أجل ، عليك أن تخبر كل من يعمل فى تريتن أن يكف عن الكلام بهذه الطريقة " . ثم أغلقت الخط وألقت بالهاتف . وانهمرت الدموع من عينيها واضطرت إلى أن توقف السيارة ، كان جسدها يرتعش بقوة . وقامت بفك حزام الأمان واضجعت على المقعد الأمامى ، ودست وجهها بين يديها لعدة دقائق ، ثم قامت بعد ذلك بتشغيل السيارة مرة أخرى واستكملت طريقها . وعلى الرغم من إرهاقها الشديد فإن أفكارها كانت متلاحقة وسريعة . فقد كان جاسون قلقاً من الاجتماع الذى كانت ستحضره سيدنى مع المسئولين فى شركة تريتن . وقد يكون أعد فكرة ذهابه لعقد مقابلة مع أصحاب شركة أخرى فى حالة حدوث أى أمر طارئ ، ولكن لماذا ؟ ما الذى كان متورطاً فيه ؟ وما كل تلك الليالى التى كان يتأخر فيها ؟ وماذا عن تحفظه ؟ ماذا كان يفعل ؟

نظرت سيدنى إلى الساعة فوجدتها تقترب من الرابعة صباحاً . وبينما كان عقلها دائم التفكير لم تعد قادرة على فتح عينيها ، وكان عليها أن تفكر فى المكان الذى ستقضى فيه ما تبقى من الليل . وصلت إلى الطريق رقم ٢٩ ثم توجهت ناحية الجنوب بدلاً من أن

تتجه ناحية الشمال . وبعد مضى نصف ساعة كانت تسير فى الشوارع الخالية فى تشارلوتس فيل ، وتجاوزت فندق هوليداى إن ، ثم سارت فى طريق أيفى روود المتفرع من طريق رقم ٢٩ ووصلت سريعاً إلى فندق بورز هيد إن أحد أشهر المنتجعات فى المنطقة .

وخلال عشرين دقيقة كانت سيدنى قد انتهت من ملء البيانات ، وأخذت تحاول جاهدة السير صوب غرفتها ، كانت فى تلك اللحظة لا تفكر فى أى شىء على الإطلاق . ياله من يوم ملىء بالمتاعب التى تشبه الكوابيس ، كان ذلك آخر ما فكرت فيه سيدنى قبل أن تستغرق فى نوم عميق قبل بزوغ الفجر بساعتين .

الفصل السادس عشر

فى الساعة الثالثة صباحاً بتوقيت سياتل تكدست السحب الكثيفة وأرسلت وابلاً من المطر على المنطقة . أسرع الحارس إلى غرفة الحراسة الصغيرة ووضع قدميه ويديه بالقرب من المدفأة ، كانت المياه تسيل على الجدران عند أحد الأركان مكونة حفرة تمتلئ بماء المطر على السجادة الخضراء المتهالكة . نظر الحارس إلى الساعة فوجد أنه مازالت هناك أربع ساعات على انقضاء نوبة عمله . صب آخر ما تبقى من القهوة الساخنة من الإبريق وكان يتمنى النوم فى سرير دافئ . كان كل مبنى مستأجر قبل من عدد من الشركات المختلفة ، وكان بعض تلك المبانى خالياً إلا أنه قد تم تأمينها جميعاً ووضع حراسة مسلحة عليها على مدار أربع وعشرين ساعة . كان هناك سلك شائك فى أعلى السور المعدنى العالى ، وكانت هناك

كاميرات للمراقبة تحيط بالمنطقة ، ولذلك كان يصعب على أى شخص اقتحام ذلك المكان .

كان ذلك صعباً ولكنه ليس مستحيلاً .

كان هناك شبح إنسان يرتدى ملابس سوداء من رأسه إلى قدميه ، ولم يستغرق أكثر من دقيقة ليتسلق السور الخلفى من المخزن ، وكان ماهراً فى ذلك حيث تجنب الأسلاك الشائكة . تمكن ذلك الشخص من التسلل إلى الداخل وساعده على ذلك غزارة هطول الأمطار الذى كان يخفى صوت وقع أقدامه . كان ذلك الشخص يخفى بداخل كمه الأيسر جهازاً إلكترونياً صغيراً يُستخدم للتشويش على كاميرات المراقبة ؛ ولذلك تمكن من اجتياز ثلاث كاميرات لم تتمكن أى منها من التقاط صورته .

عندما وصل إلى باب المبنى رقم ٢٢ أخرج جهازاً دقيقاً يشبه السلك من الحقيبة التى يحملها على ظهره وأدخله فى القفل وتمكن من فتحه .

بعد أن قام بعمل مسح للمبنى من الداخل بواسطة نظارته الخاصة بالرؤية الليلية ، قام بفتح الباب المؤدى إلى غرفة صغيرة أضاءها بواسطة الكشاف الذى يمسكه بيده . قام بفتح خزانة الملفات ونزع كاميرا المراقبة ؛ ثم قام بوضع شريط الفيديو داخل حقيبة ظهره وأعاد تثبيت الكاميرا داخل الخزانة . وبعد خمس دقائق عاد المكان هادئاً كما كان . ولم يكن الحارس قد انتهى بعد من تناول آخر كوب من القهوة .

عند بزوغ الفجر ، أقلعت طائرة جولف ستريم من مطار سياتل . كان على متنها ذلك الشخص الذى كان يرتدى ملابس سوداء ، إلا أنه الآن يرتدى الجينز وكان مستغرقاً فى نوم عميق على أحد المقاعد الفارهة ، وكان شعره الداكن يتدلى على وجهه . وكان فرانك هاردى

مدير إحدى شركات الأمن والمتخصصة فى التجسس على أسرار الشركات المنافسة يقرأ بتمعن كل صفحة من تقرير طويل ، بينما كانت الطائرة تحلق فى السماء . كان شريط الفيديو الذى تم أخذه من الكاميرا يوجد داخل حقيبة معدنية موضوعة أمامه . ظهر النادل وصب فنجاناً آخر من القهوة لراكب الطائرة المستيقظ . وكانت عينا هاردى مستقرة على الحقيبة ، وكان يعقد حاجبيه ويتحسس بأصابعه الخطوط التى تظهر على جبهته . وضع هاردى التقرير ، ورجع بظهره على المقعد ثم نظر من النافذة بينما كانت الطائرة تتجه شرقاً . كان لديه الكثير ليفكر فيه ولم يكن يشعر بالسعادة فى ذلك الوقت .

واصلت الطائرة جولف ستريم رحلتها التى ستنتهى فى واشنطن . كانت أشعة الشمس المشرقة تعكس شعار الشركة المكتوب على الطائرة . كانت تلك الطائرة تمثل مؤسسة لا تضاهيها مؤسسة أخرى ، فقد كانت معروفة على مستوى العالم بأكمله حتى أن كبرى الشركات العالمية كانت تحسب لها ألف حساب . لقد كانت هذه الشركة تسير فى خطى حثيثة نحو القرن الواحد والعشرين ، وكانت الشركات العملاقة تبدو بجوارها مثل ديناصورات مصيرها الانقراض بعد فترة ليست بالبعيدة .

كانت شركة تريتن جلوبال ستضم هذه الشركة إليها لا محالة .

الفصل السابع عشر

دخل لى سوير إلى مبنى مارينر إكليس ، مقر مجلس بنك الاحتياطى الاتحادى يتبعه حارس أمن . وبعد أن صعد سوير إلى الطابق الثانى توقف هو وحارسه أمام باب خشبى غليظ قام الحارس بالطرق عليه . سمع سوير صوتاً من الداخل يقول : " تفضل " . دخل سوير فوجد غرفة واسعة تملؤها الكتب من الأرض للسقف ، وكان أثاثها الداكن يبعث فى النفس الكآبة . كانت الستائر السمكية مغلقة جميعها ، وكانت رائحة السيجار تملأ المكان . رأى سوير خيوط الدخان الرمادية وهى معلقة فى الجو كأنها شبح . وكانت هناك نيران ضعيفة مشتعلة فى المدفأة تبعث بالدفء والنور إلى الغرفة .

عندما التف رجل ذو خصر كبير بكرسيه الدوار خلف المكتب ركز سوير انتباهه عليه فى الحال . كان الرجل مكتنز الوجه وله عينان زرقاوان لا تكاد تظهر بسبب جفونه السميكة وحاجبيه الكثيفين اللذين لم ير سوير مثلهما من قبل . وكان شعره أبيض كثيفاً ، وكان أنفه عريضاً وطرفه أكثر حمرة من باقى وجهه . تخيل سوير للحظة أنه يقف أمام بابا نويل .

نهض الرجل من وراء المكتب ، وعمل صوته العالى الذى دوى فى أرجاء الغرفة على أن يبعد لى سوير تلك الأفكار عن رأسه .

" أنا والتر بيرنز نائب رئيس مجلس البنك الاحتياطى الاتحادى أيها العميل سوير " .

تقدم سوير ليصافح يد الرجل المترهلة . وكان بيرنز يماثل سوير فى الطول إلا أن جسده كان أكثر بدانة منه . جلس سوير على الكرسى الجلدى الذى أشار إليه بيرنز . وعندما جلس بيرنز لاحظ سوير أنه يتحرك بخفة لا تتناسب مع رجل فى مثل حجمه .

" إننى أقدر موافقتك على مقابلتى يا سيدى " .

نظر بيرنز إلى عميل مكتب التحقيقات الفيدرالية نظرة ثاقبة وقال : " بما أن مكتب التحقيقات الفيدرالية مهتم بذلك الموضوع ؛ فذلك يعنى أن سقوط تلك الطائرة لم يكن بسبب عطل ميكانيكى أو أى مشكلة أخرى مشابهة فحسب " .

" إننا نقوم بالتحقيق فى جميع الأسباب الممكنة ولكننا لم نتوصل إلى أى شىء يقينى حتى الآن يا سيد بيرنز " . وكانت ملامح سوير جامدة لا يبدو عليها أى تأثر .

" اسمى والتر يا سوير ، وبما أننا أعضاء فى نظام واحد يعرف بالحكومة الفيدرالية ، أعتقد أن ذلك يجعلنا نتعامل بدون تكلف وأن نستخدم أسماءنا الأولى ".

ابتسم سوير ابتسامة عريضة وقال : " اسمى لى ".

" كيف يمكننى مساعدتك يا لى ؟ ".

اشتد صوت المطر الذى كان يضرب بالنافذة وساد الغرفة جو بارد . نهض بيرنز من مكانه ومشى ناحية المدفأة وأشار بيده إلى سوير ليتبعه . وبينما كان بيرنز مشغولاً بإلقاء قطع من الخشب الجاف فى المدفأة ، أسرع سوير بفتح مفكرته ودون بعض الملاحظات . وعندما جلس بيرنز أمامه كان سوير مستعداً .

" إننى ألاحظ أن معظم الناس ليس لديهم أية فكرة عما يقوم به مجلسكم . أعنى من هم بعيدون عن الأسواق المالية ".

فرك بيرنز عينه وقال : " لو أننى كنت من عشاق المراهنات لراهنت على حقيقة أن نصف السكان فى هذا البلد ليس لديهم فكرة بوجود جهاز البنك الاحتياطى الاتحادى ، كما أن تسعة من كل عشرة لا يعلمون شيئاً عن حقيقة ما نقوم به . وعلىَّ أن أعترف بأننى أجد تلك السرية مريحة للغاية ".

انتظر سوير ثم مال ناحية الرجل العجوز وقال : " من المستفيد من موت آرثر ليبرمان ؟ لا أعنى من الناحية الشخصية ، فأنا أركز على الجانب المهنى ، بصفته رئيساً لبنك الاحتياطى الاتحادى".

اتسعت عينا بيرنز من الدهشة وقال : " أتقصد أن هناك من قام بتفجير تلك الطائرة من أجل قتل آرثر ؟ اسمح لى أن أقول إن هذا الاحتمال بعيد جداً ".

تحدث سوير بصوت منخفض كما لو كان يخشى أن يسمعه أحد وقال : " إننى لم أقل إن ذلك هو ما حدث بالفعل ، ولكننا نضع

فى الحسبان كل شىء الآن ، الحقيقة أننى بحثت عن هوية جميع الركاب ووجدت أن زميلك هو الشخصية الوحيدة المهمة . فإذا كان ما حدث للطائرة ناتجاً عن تفجير سيكون السبب الوحيد الذى يخطر على البال هو قتل رئيس مجلس البنك الاحتياطى الاتحادى ".

" ويمكن أن يكون عملاً إرهابياً منظماً ولسوء حظ آرثر كان على متن تلك الطائرة ".

هز سوير رأسه وقال : " إذا كنا نقول تفجيراً فأنا لا أعتقد أن وجود ليبرمان على متن تلك الطائرة قد جاء بالمصادفة ".

رجع بيرنز فى مقعده إلى الخلف ومد قدميه ببطء ناحية المدفأة وقال أخيراً وهو يحدق إلى النار : " يا إلهى ! ". وعلى الرغم من أن بيرنز كان يرتدى معطفاً ثقيلاً لونه أزرق داكن ، تظهر من تحته ياقة قميص بيضاء ، وبنطالاً رمادياً ، وحذاء أسود مريحاً فإن تلك الملابس الثقيلة كانت تلائم شكله . لم يتكلم أحدهما لمدة دقيقة على الأقل .

قال سوير أخيراً : " أعلم أننى لست بحاجة لأن أقول لك إن ما قلته لك الليلة فى غاية السرية ".

التف بيرنز برأسه ناحية سوير وقال : " إننى أحافظ على الأسرار بطريقة جيدة يا لى ".

" إذن سأعود لسؤالى الأول : من المستفيد من قتل ليبرمان ؟ "

أخذ بيرنز يفكر قليلاً فى هذا السؤال ثم أخذ نفساً عميقاً وقال : " إن اقتصاد الولايات المتحدة هو أكبر اقتصاد فى العالم كله ؛ ولذلك فإن أمريكا تقود العالم كله اليوم . وإذا كانت هناك دولة دائمة العداء لأمريكا وترغب فى تدمير اقتصادنا أو توقف الأسواق

المالية فى العالم فإن ارتكاب عمل قاس كهذا سيكون له ذلك التأثير . ليس لدى شك فى أن الأسواق المالية ستتعرض لهزة قوية إذا تبين أن موت ليبرمان أمر مخطط له " . هز بيرنز رأسه فى حزن واستطرد : " لم أكن أتوقع أننى سأعيش لأرى ذلك اليوم " .

سأله سوير مرة أخرى : " أما من أحد يمكن أن يستفيد من قتل رئيس المجلس فى هذه البلد ؟ "

" طالما بنك الاحتياطى الاتحادى موجود فهناك العديد من المؤامرات التى تحاك ضده وأنا متأكد من أن هناك العديد من الأشخاص الذين يأخذون على كاهلهم هذا العمل فى هذا البلد " .

ضاقت عينا سوير وقال : " أتقول مؤامرات ؟ " .

أخذ بيرنز يسعل ثم تنحنح بصوت عال وقال : " هؤلاء هم من يظنون أن مهمة البنك الاحتياطى الاتحادى هى حماية أغنياء العالم بأسره والعمل على إبقاء الفقراء كما هم ، أو أننا نأخذ الأوامر من مجموعة صغيرة من البنوك الدولية . وقد سمعت إحدى النظريات التى تمثلنا كمخالب كائنات متوحشة تسللت إلى جميع المناصب العليا فى الحكومة . بالمناسبة مدون فى شهادة ميلادى أننى من مواليد بوسطن بولاية ماساشوستس " .

هز سوير رأسه وقال : " يا إلهى ، هذا شيء سيئ للغاية " .

" بالضبط ، كما لو كان من يقومون بالعمل فى الاقتصاد القومى ما هم إلا مجموعة من الفاسدين " .

" ولذلك أمن الممكن أن تكون بعض المجموعات المتآمرة هى التى خططت لقتل رئيس مجلس البنك الاحتياطى الاتحادى كرد على أعمال الفساد أو الظلم ؟ " .

" حسناً ، إن مجلس البنك الاحتياطى الاتحادى هو أكثر المؤسسات الحكومية التى لا يعرف عنها الناس شيئاً . وعندما

ذكرت احتمال قتل رئيس الهيئة عن عمد قلت لك إن ذلك شىء مستبعد ، ولكن بعد أن فكرت فى الموضوع لبضع دقائق وجدت أننى ربما كنت على خطأ . لكن تفجير طائرة ... " ، هز بيرنز رأسه فى ضجر .

قام سوير بتدوين بعض الملاحظات سريعاً وقال : " أريد أن أعرف المزيد عن حياة ليبرمان السابقة " .

" حظى آرثر ليبرمان بشهرة كبيرة فى الدوائر المالية . وبقى لسنوات من أكبر رجال الأعمال فى وول ستريت قبل أن يتحول إلى مجال الخدمة العامة . كان آرثر ذا نظرة ثاقبة ، وكان دائماً محقاً فى حكمه على الأمور . ونتيجة لإتقانه عمله فقد زلزل الأسواق المالية من اللحظة التى أصبح فيها رئيساً للمجلس تقريباً . وأوضح لهم من الذى يتحكم فعلاً فى الأمور . " ، توقف بيرنز ليضع قطعة خشب أخرى فى المدفأة ثم استطرد : " فى الحقيقة ، لقد تمكن من قيادة مجلس البنك الاحتياطى الاتحادى بطريقة كنت أتمنى أن أتبعها لو أتيحت لى فرصة تولى هذا المنصب " .

" هل لديك فكرة عن الشخص الذى قد يحل محل ليبرمان ؟ " .

هز بيرنز رأسه وقال : " لا " .

" هل حدث شىء غير عادى فى مجلس البنك الاحتياطى الاتحادى أثناء سفره إلى لوس أنجلوس ؟ "

هز بيرنز كتفيه وقال : " لقد تم عقد اجتماع للجنة الفيدرالية للسوق المفتوح فى الخامس عشر من نوفمبر ولكن ذلك حدث يتكرر بانتظام " .

ظهرت الحيرة على وجه سوير وقال : " اللجنة الفيدرالية للسوق المفتوح ؟ " .

" إن هذه اللجنة هى المسئولة عن صنع السياسة التى يتبعها مجلسنا ".

" ماذا يتم خلال تلك الاجتماعات ؟ "

" حسناً ، باختصار شديد يقوم الأعضاء السبعة من هيئة المحافظين وخمسة رؤساء من رؤساء البنوك التابعة لبنك الاحتياطى الاتحادى والبالغ عددها اثنى عشر بنكاً بالبحث فى كل ما يتعلق بالبيانات المالية الخاصة بالاقتصاد ويقررون إذا ما كان يجب اتخاذ أى قرار فيما يخص التمويل النقدى ومعدلات الفائدة ".

أومأ سوير مؤمناً على كلامه : " عندما تقوم الهيئة بزيادة أو تخفيض معدلات الفائدة مثلاً ، يؤثر ذلك على الاقتصاد ككل ، كأن يعمل على إضعافه أو تقويته ".

أجابه بيرنز بتهكم وقال : " نظن ذلك على الأقل ، على الرغم من أن قراراتنا لا تؤدى إلى النتائج التى كنا نريدها ".

" هل كان هناك أى شىء غير عادى فى اجتماع اللجنة الفيدرالية للسوق المفتوح ؟ ".

" كلا ".

" أيمكنك أن تخبرنى بما قيل بالضبط فى ذلك الاجتماع ومن الذى تحدث ؟ فقد يبدو بعض الكلام غير ذى أهمية ، بينما يمكن أن يساعدنا فى تعقب مرتكب ذلك الحادث ".

ارتفع صوت بيرنز وقال : " هذا مستحيل ،فإن ما يتم فى اجتماعات اللجنة الفيدرالية للسوق المفتوح سرى للغاية ولا يمكنك أو أى شخص آخر الاطلاع عليه ".

أخذ سوير يحدق إلى بيرنز وقال : " لن أرغمك على قول أى شىء الآن يا والتر ، لكن إذا تمت مناقشة أية معلومات خلال تلك

الاجتماعات لها علاقة بالتحقيق الذى يقوم به مكتب التحقيقات الفيدرالية ، عليك أن تتأكد أننا سنصل إليه ".

تكلم بيرنز ببطء وقال : " يتم إصدار تقرير مختصر عما تم أثناء الاجتماع بعد عقد الاجتماع بفترة تتراوح من ستة إلى ثمانية أسابيع ، ولكن بعد عقد الاجتماع التالى ، ويتم نشر نتائج الاجتماعات ، سواء تم أخذ قرارات جديدة أم لا ، وتنشرها وسائل الإعلام فى نفس اليوم ".

" لقد قرأت فى الصحف أن البنك الاحتياطى الاتحادى قد أبقى معدلات الفائدة كما هى ".

ضم بيرنز شفتيه ثم نظر إلى سوير وقال : " هذا صحيح ، فلم نغير معدلات الفائدة ".

" كيف تقومون بضبط تلك المعدلات بالضبط ؟ ".

" هناك نوعان من معدلات الفائدة التى تتأثر مباشرة بقراراتنا يا لى ، معدل الفائدة على الأموال الاتحادية وهى الفائدة التى تفرض على البنوك التى تقترض أموالاً من بنوك لديها احتياطى فائض لتلبية شروط الاحتياطى القانونى . فإذا ارتفع ذلك المعدل أو انخفض سرعان ما تتبعه معدلات الفائدة فى الحسابات الادخارية بالبنوك وأذونات الخزانة والقروض الشخصية والأوراق التجارية . ويقوم مجلس البنك الاحتياطى الاتحادى بضبط معدل الفائدة على الأموال الاتحادية فى اجتماعات لجنة السوق الفيدرالى المفتوح ، ثم يقوم البنك الاحتياطى الاتحادى بنيويورك ومن خلال مكتب التجارة المحلى بشراء أو بيع السندات الحكومية ، والتى تقوم بدورها بتحديد أو زيادة الموارد المالية المتاحة للبنوك لضمان ثبات معدلات الفائدة . ونسمى نحن ذلك بإضافة أو طرح السيولة . وذلك ما

تصدى له آرثر عندما أصبح رئيساً للمجلس ، حيث قام بضبط معدل الأموال الاتحادية بطريقة لم تتوقعها الأسواق المالية . أما معدل الفائدة الثانى الذى يتأثر بقرارات مجلسنا على المدى الطويل فهو ما يسمى بسعر الخصم وهو معدل الفائدة الذى يتقاضاه بنك الاحتياطى الاتحادى من البنوك على ما يمنحه لها من قروض . ولكن سعر الخصم مرتبط بالقروض الخاصة بحالات الطوارئ ، ولذلك فهى تعرف بنافذة السبيل الأخير . والبنوك التى يتكرر استخدامها لتلك النافذة يتم وضعها تحت المراقبة الدقيقة لفترة من الوقت ويعد علامة من علامات الضعف فى الدوائر المصرفية . ولهذا السبب تقوم معظم البنوك باقتراض الأموال من البنوك الأخرى بمعدل فائدة أعلى نسبياً من معدل الفائدة على الأموال الاتحادية حيث إنه لا يوجد شىء حساس مرتبط بهذه القروض " .

قرر سوير تغيير مجرى الحديث : " حسناً ، هل كان ليبرمان يتصرف بطريقة غريبة ؟ هل كان هناك ما يضايقه ؟ هل كنت على دراية بأى تهديدات يتعرض لها ؟ " .

هز بيرنز رأسه .

" هل كان ليبرمان يسافر إلى لوس أنجلوس بانتظام ؟ " .

" نعم كان يسافر إلى هناك بانتظام ، فقد كان يذهب للقاء تشارلز تايدمان ، رئيس البنك الاحتياطى الاتحادى بسان فرانسيسكو . فقد كان آرثر حريصاً على القيام بالجولات التفقدية ، كما كانت تربطه بتشارلز صداقة قديمة " .

" انتظر لحظة ، إذا كان تايدمان رئيساً لبنك سان فرانسيسكو ، فلماذا توجه ليبرمان إلى لوس أنجلوس ؟ " .

" يوجد فرع للبنك هناك ، كما أن تشارلز وزوجته يعيشان فى لوس أنجلوس وكان آرثر سيبقى معهما " .

" ولكنه قد قابل تايدمان فى الاجتماع الذى عقد فى شهر نوفمبر " .

" هذا صحيح ، ولكن سفر آرثر إلى لوس أنجلوس كان مخططاً له مسبقاً . وكان حدوثه بعد عقد اجتماع لجنة السوق المفتوح بفترة وجيزة مصادفة . ولكنى كنت أعلم أنه كان قلقاً ويريد التحدث إلى تشارلز " .

" هل تعلم لماذا كان قلقاً ؟ " .

هز بيرنز رأسه وقال : " عليك أن تسأل تشارلز " .

" هل هناك أى شىء يمكن أن تساعدنى به ؟ " .

أخذ بيرنز يفكر فى ذلك السؤال قليلاً ثم هز رأسه مرة أخرى وقال : " لا أعتقد أن هناك أى شىء يخص حياة آرثر الشخصية يؤدى إلى ذلك الشىء البغيض " .

نهض سوير وصافح بيرنز وقال : " أشكرك على تلك المعلومات يا والتر " .

عندما استدار سوير ليغادر الغرفة ، أمسكه بيرنز من كتفه وقال : " أيها العميل سوير إن المعلومات المتوفرة لدينا فى مجلس البنك الاتحادى على قدر كبير من الأهمية وقد يؤدى الكشف عنها إلى إلحاق ضرر هائل ببعض المؤسسات . وأعتقد أننى جاهدت لسنوات لمنع حدوث شىء كهذا ؟ " .

" أفهم ذلك " .

فتح بيرنز باب الغرفة بينما كان يضع سوير معطفه وقال : " هل مازالت لديك بعض الشكوك ؟ " .

التفت العميل إلى بيرنز وقال : " آسف يا والتر ، نحن أيضاً لدينا أمور سرية فى مكتب التحقيقات الفيدرالية " .

جلس هنرى وارتون خلف مكتبه يضرب بقدمه على السجادة . وهنرى شريك فى مؤسسة تايلر ستون . وكان قصير القامة ، لكن كانت له مكانة قانونية كبيرة . وكان جزء من رأسه يصيبه الصلع وتظهر شعيرات بيضاء فى شاربه . وكان يبدو عليه أنه الشريك الأعلى مركزاً فى تلك المؤسسة القانونية الكبيرة . وبعد خمسة وثلاثين عاماً قضاها هنرى فى تمثيل كبرى المؤسسات الأمريكية لم يكن من السهل إرهابه أو تهديده ، حتى إذا حاول أى شخص فعل ذلك سيتصدى له الرجل الجالس أمامه حالياً .

سأله وارتون : " أهذا كل ما قالته لك ؟ إنها لم تكن تعلم بوجود زوجها على متن تلك الطائرة ؟ " .

نظر ناثان جامبل إلى يديه ثم رفع عينيه إلى وارتون وقال : " هذا كل ما سألتها عنه " .

هز وارتون رأسه فى حزن وقال : " حسناً ، أعلم ، فعندما تحدثت إليها كانت فى شدة الحزن . إننى أقدر موقفها ، فالصدمة كانت شديدة عليها " .

توقف وارتون عن الكلام عندما نهض جامبل ومشى ناحية النافذة الموجودة خلف مكتب المحامى وأخذ ينظر إلى مدينة واشنطن حيث كانت الشمس ترسل أشعتها عليها فى وقت متأخر من النهار وقال : " أعتقد يا هنرى أن أية أسئلة أخرى من الأفضل أن تأتى منك " ، ووضع جامبل يده على كتف وارتون الضئيل وضغط عليه برفق .

أومأ وارتون سريعاً وقال : " نعم ، أفهم ما تفكر فيه بخصوص تلك النقطة " .

تمشى جامبل ببطه وأخذ يطالع بإمعان عدداً من شهادات الدبلومات الممنوحة لوارتون من جامعات عريقة وقد اصطفت على

أحد الجدران وقال : " هذا رائع جداً ، إننى لم أنه المدرسة الثانوية ولا أعرف إذا كنت تعرف ذلك أم لا " . ثم نظر إلى المحامى .

قال وارتون بهدوء : " كلا ، لم أكن أعرف شيئاً عن ذلك " .

هز جامبل كتفيه وقال : " أعتقد أننى فعلت ما علىّ لكنى فشلت " .

رد وارتون سريعاً : " إن نجاحك ليس له نظير " .

" لقد بدأت من لا شئ وربما ينتهى بى المطاف إلى لا شئ " .

" لا أعتقد ذلك " .

استغرق جامبل لحظة ليضبط من وضع إحدى تلك الشهادات والتفت إلى وارتون مرة أخرى وقال : " إذا رجعنا إلى تلك النقطة على وجه الخصوص ، فإننى أرى أن سيدنى آرتشر كانت على علم بوجود زوجها على متن تلك الطائرة " .

تحرك وارتون حركة مفاجئة وقال : " أتعنى أنها كذبت عليك ؟ معذرة يا ناثان ، ولكننى لا أعتقد ذلك " .

عاد جامبل إلى مقعده وهم أن يتكلم مرة أخرى ولكنه ثبت نظره على المحامى بطريقة جعلته لا يتحرك ، ثم استأنف حديثه وقال : " إن جاسون آرتشر كان يعمل فى مشروع ضخم خاص بى ، حيث كان يقوم بتنظيم جميع السجلات المالية الخاصة بشركة تريتن من أجل صفقة سيبركوم . إنه شاب يتمتع بمهارة غير عادية فى كل ما يخص الحاسبات ، وقد عرف كل أسرار الشركة ! " . وأشار جامبل بإصبعه إلى المكتب ، وأخذ وارتون يفرك يديه بعصبية ولكنه ظل صامتاً . واستطرد جامبل فى كلامه : " تعلم يا هنرى أنه يجب أن أتم صفقة سيبركوم فالجميع يقولون ذلك لى " .

أدلى وارتون برأيه وقال : " إنها صفقة رائعة بكل تأكيد " .

" شيئاً كهذا " ، وأخرج جامبل سيجاراً واستغرق دقيقة لإشعاله ، ثم نفث دخانه فى اتجاه وارتون ثم استطرد : " على أية حال ، لقد أطلعت جاسون آرتشر على كل أسرار شركتى ، هذا من جهة ومن جهة أخرى كلفت سيدنى آرتشر بقيادة الفريق الذى يتعامل مع تلك الصفقة ، هل توافقنى الرأى إذن فى شكى فيهما ؟ " .

عقد وارتون حاجبيه فى حيرة وقال : " أعتقد لا ، فأنا ـــ " .

" هناك شركات أخرى فى أمس الحاجة للحصول على صفقة سيبركوم مثلى تماماً ، وستدفع الكثير للحصول على تفاصيل العرض الذى قدمته شركتى ثم تستغلها بعد ذلك لإرغامى على تركها وأنا لا أريد ذلك ، على الأقل ليس بهذه الطريقة ، أتفهمنى ؟ " .

" نعم ، أكيد يا ناثان ، ولكن كيف ـــ " .

" وتعلم أيضاً أن إحدى الشركات التى تريد الحصول على صفقة سيبركوم هى شركة آر . تى . جى " .

" ناثان ، إذا كنت تعنى ـــ " .

" أعنى أن مؤسستك أيضاً تمثل شركة آر . تى . جى " .

" تعلم يا ناثان أننا نراعى ذلك جيداً ، كما أن هذه المؤسسة لا تمثل شركة آر . تى . جى فى العرض الذى تقدمت به بخصوص صفقة سيبركوم ، فمؤسستنا ليست لها علاقة بهذه الشركة فيما يتعلق بهذه الصفقة ، من قريب أو بعيد " .

" مازال فيليب جولدمان شريكاً هنا أليس كذلك ؟ ومازال أيضاً الأعلى مكاناً فى شركة آر . تى . جى ، أليس كذلك ؟ " .

" بالطبع ، ولا يمكننا أن نطلب منه المغادرة . كان مجرد عرض وطلب وهم قد دفعوا له أكثر ، كما أن فيليب جولدمان لا يعمل مع شركة آر . تى . جى فى عرضها الخاص بصفقة سيبركوم " .

" هل أنت متأكد ؟ " .

أجابه وارتون سريعاً : " متأكد جداً " .

أخذ جامبل يهندم قميصه من الأمام وقال : " هل تقوم بمتابعة جولدمان على مدار الأربع والعشرين ساعة ، وتحصل على مكالماته الهاتفية خفية ، وتقوم بقراءة رسائله الإلكترونية وتعرف معاملاته التجارية ؟ " .

" بالطبع لا " .

" إذن فلا يمكنك أن تتأكد أنه لا يعمل لحساب شركة آر . تى . جى ضدى ، أيمكنك ذلك ؟ " .

قال وارتون باقتضاب : " لقد تعهد بذلك ، كما أننا نسيطر على كل شىء " .

كان جامبل يحرك خاتماً فى أحد أصابعه وقال : " وبالمثل أيضاً ، فلا يمكنك أن تعرف إلى أى شىء توصل الشركاء الآخرون بمن فيهم سيدنى آرتشر ، أليس كذلك ؟ " .

" إنها تتمتع بدرجة عالية من الاستقامة والأمانة لا توجد فى أحد ، كما أن ذكاءها حاد " .

" ومع ذلك لم تكن تعلم بوجود زوجها على متن طائرة متجهة إلى لوس أنجلوس التى يوجد بها المقر الرئيسى لشركة آر . تى . جى فى الولايات المتحدة ، هذه مصادفة غريبة ، أليس كذلك ؟ " .

" لا يمكنك لوم سيدنى على تصرفات زوجها " .

أخرج جامبل السيجار من فمه وقال : " كم بلغ الربح السنوى لتريتن الآن يا هنرى ؟ عشرين مليوناً ؟ أربعين مليوناً ؟ يمكننى معرفة المبلغ بالضبط عندما أعود للمكتب " . نهض جامبل من مكانه واستطرد : " إذا عدنا للوراء لبضع سنوات ، فأنت تعرف جيداً ، وبعض الناس يعتقدون أنهم يستطيعون خداعى ، ولكنهم مخطئون . قد يستغرق الأمر منى بعض الوقت ، لكن الطعنة ستأتى أقوى مما تعرضت له أنا " . ووضع جامبل سيجاره على مكتب وارتون ووضع كف يده على الكرسى الجلدى ومال إلى الأمام حتى كان يبعد عن وجه وارتون لمسافة قدم واحد فقط وقال : " إذا خسرت صفقة سيبركوم لأن من يعملون معى خانونى ، فعندها سأكون مثل نهر المسيسيبى فى فيضانه وسيكون هناك العديد من الضحايا معظمهم لا ذنب لهم ، ولكن لن يكون لدى الوقت لأفرق بينهم . هل تفهمنى ؟ " ، كان جامبل يتحدث بصوت منخفض وهادئ إلا أن وقع كلامه على وارتون كان قوياً جداً .

ازدرد وارتون لعابه بصعوبة بينما كان يحدق إلى عينى رئيس شركة تريتن وقال : " نعم ، أعتقد أننى أفهمك " .

وضع جامبل معطفه والتقط سيجاره وقال : " أتمنى لك يوماً سعيداً يا هنرى ، عندما تتصل بسيدنى أبلغها سلامى " .

كانت الساعة الواحدة بعد الظهر عندما أخرجت سيدنى سيارتها الفورد من مرآب بورز هيد وشقت طريقها مسرعة إلى طريق رقم ٢٩ . ومرت أمام صالة الألعاب الرياضية القديمة التى تمرنت ومارست بها لعبة التنس كثيراً . ثم أوقفت سيارتها فى أحد الجراجات .

دلفت إلى أحد المقاهى واشترت فنجاناً من القهوة وجريدة واشنطن بوست ، وجلست على منضدة خشبية صغيرة وأخذت تتصفح عناوين الأخبار وكادت تسقط من فوق مقعدها .

كان الخبر مكتوباً بالخط الأسود العريض فى أعلى الصفحة مما يدل على أهميته البالغة : **مقتل رئيس مجلس البنك الاحتياطى الاتحادى آرثر ليبرمان فى حادث تحطم طائرة** . وبجانب ذلك العنوان كانت هناك صورة لـ " ليبرمان " ، وقد اندهشت سيدنى عندما نظرت إلى عينى الرجل الثاقبة .

أخذت سيدنى تقرأ الخبر سريعاً . كان ليبرمان أحد ركاب الرحلة ٣٢٢٣ ، وكان يقوم بانتظام برحلات شهرية إلى لوس أنجلوس ليجتمع برئيس بنك سان فرانسيسكو شارلز تايدمان . وليبرمان يبلغ من العمر اثنين وستين عاماً ومطلق . وقد كان هو يرأس مجلس البنك الاحتياطى الاتحادى فى السنوات الأربع الأخيرة . وقد أسهب الخبر فى سرد التفاصيل المتعلقة بوضع ليبرمان المالى وأنشطته المهنية وما حظى به من احترام من العالم بأسره . إلا أن الأخبار الرسمية الخاصة بموته لم تنشر حتى الآن لأن الحكومة تخشى حدوث ذعر فى الأوساط المالية . وعلى الرغم من تلك الجهود المضنية ، فإن الأسواق المالية فى العالم كله قد بدأت تتأثر بخبر مصرعه . وانتهى الخبر بالإشارة إلى إقامة حفل تأبينى لـ " ليبرمان " يوم الأحد القادم فى واشنطن .

كان خبر آخر عن حادثة الطائرة فى الجزء الأمامى لكن لم تذكر فيه أى تطورات سوى أن التحريات مازالت مستمرة . وقد يستغرق الأمر أكثر من عام حتى يتمكنوا من معرفة سبب سقوط تلك الطائرة فى حقل للذُرة . وكانوا يأخذون فى اعتبارهم عوامل الطقس وأعطال

المحركات وأعمال التفجير وما إلى ذلك ، ولكن حتى الآن لم يكن ما توصلوا له سوى مجرد تكهنات .

أنهت سيدنى قهوتها ووضعت الجريدة جانباً ، ثم أخرجت هاتفها المحمول من حقيبتها ، واتصلت بمنزل عائلتها وتحدثت لبعض الوقت مع ابنتها . وأخذت تلاطفها حتى تمكنت من سماع بعض الكلمات منها ؛ فقد كانت ابنتها لا تزال تخجل من الحديث فى الهاتف ، ثم استغرقت سيدنى بعض الدقائق فى الحديث مع أمها وأبيها . اتصلت سيدنى بعد ذلك بآلة الرد على المكالمات الخاصة بها . كان هناك العديد من الرسائل ولكن كانت هناك واحدة مميزة عن الباقى وهى رسالة من هنرى وارتون . فقد سمحت لها شركة تايلر ستون بأخذ ما يكفيها من الوقت بعيداً عن العمل حتى تتمكن من التعامل مع تلك الكارثة التى لحقت بها . وكان صوت هنرى يبدو عليه القلق ، والعصبية وهى تعلم ماذا يعنى ذلك : وهو أن ناثان جامبل قد قام بزيارته .

اتصلت سيدنى سريعاً بوارتون وحاولت جاهدة أن تحافظ على هدوء أعصابها بينما كانت تنتظره يرد عليها . قد يكون وارتون من ألد أعدائك أو من أشد المؤيدين لك وهذا يتوقف على مدى إخلاصك له . وقد كان وارتون دائماً من أكبر المؤيدين لسيدنى ولكن ماذا الآن ؟ أخذت سيدنى نفساً عميقاً عندما سمعت صوته على الهاتف .

" أهلاً يا هنرى " .

" كيف حالك يا سيدنى ؟ " .

" لم أتمكن من الوصول إلى أى شىء حتى الآن " .

" أعلم أنك سوف تنجحين فى الخروج من هذه الأزمة ، إن لم يكن الآن سيكون فيما بعد فأنا أعلم أنك قوية " .

" شكراً على دعمك لى يا هنرى . إننى مستاءة جداً من تركك فى ذلك الوقت الحرج . ماذا عن صفقة سيبركوم وكل الأمور الأخرى " .

" أعلم يا سيدنى مدى إخلاصك للعمل ، لا تقلقى بشأن ذلك " .

" من الذى يتولى ذلك الموضوع ؟ " ، كانت سيدنى تريد تجنب الخوض فى الأمر الذى يتعلق بجامبل .

لم يرد عليها وارتون مباشرة ، وعندما رد كان صوته منخفضاً وقال : " ما رأيك فى بول بروفى ؟ "

فاجأها ذلك السؤال لكنه أراحها بعض الشىء فقد تكون مخطئة فيما ظنته عن حديث جامبل مع وارتون . وأجابته : " إننى معجبة ببول يا هنرى " .

" نعم ، أعلم ذلك ، فهو شخص لطيف ، وموهوب ومتحدث لبق " .

تكلمت سيدنى ببطء وقالت : " أتريد أن تعرف إذا كان قادراً على تولى مسئولية صفقة سيبركوم ؟ "

" كما تعرفين إنه مشترك فى الموضوع إلى ذلك الوقت ، ولكن الأمر قد انتقل إلى مستوى آخر . وأنا أريد إبقاء عدد المحامين الذين يعلمون بالأمر محدوداً بقدر الإمكان . أنت تعرفين سبب ذلك . فالجميع يعرفون بحقيقة المشكلة التى بيننا وبين جولدمان وتمثيله لشركة آر . تى . جى . فأنا لا أريد حتى التلميح بأى شىء غير لائق ، كما أننى أريد مراقبة الفريق الذى سيشارك فى تلك العملية . وأريد أن أعرف رأيك فيه فى ظل كل هذه الظروف " .

" هل هذا الكلام سرى ؟ " .

" بالطبع " .

فى تلك اللحظة تحدثت سيدنى ، وكانت ممتنة من كونها تقوم بتحليل شيء آخر غير مشكلتها الشخصية . " تعلم يا هنرى أن صفقات معقدة كهذه مثل لعبة الشطرنج ، عليك أن تضع فى حسبانك خمس أو عشر تحركات قادمة ولن تحصل على فرص ثانية . إن بول لديه مستقبل مشرق فى الشركة ولكنه لا يعرف الكثير من التفاصيل عن هذه الصفقة ، ولم يكن ضمن فريق المفاوضات الأخير الذى كان يعمل من أجل إتمام صفقه سيبركوم " .

" أشكرك يا سيدنى ، هذا ما فكرت فيه تماماً " .

" لا أعتقد أن التعليقات التى ذكرتها ستكون مفاجئة بالنسبة لك يا هنرى . لكن لماذا كنت تفكر فى بول إذن ؟ "

" دعينا فقط نقل إنه أعرب عن اهتمامه الشديد فى أن يترأس الصفقة . وليس من الصعب أن نعرف سبب ذلك فإن تلك الصفقة ستدر ربحاً كبيراً لأى شخص يشترك فيها " .

" أعلم ذلك " .

" إننى سأجعل روجر إيجرت يتولى تلك المسئولية " .

" إنه محام ممتاز فى مثل هذه الصفقات " .

" لقد كان معجباً جداً بعملك فى تلك العملية وكان يصفه بأنه عمل ممتاز " ، توقف وارتون عن الكلام للحظة ثم قال : " إننى لا أحب أن أسألك عن ذلك فعلاً يا سيدنى " .

" ماذا هناك يا هنرى ؟ "

سمعته سيدنى يخرج نفساً عميقا وقال : " حسناً ، إننى وعدت نفسى ألا أفعل ذلك ولكن لا يمكن الاستغناء عنك " ، وتوقف عن الكلام مرة أخرى .

" أرجوك يا هنرى ما الأمر ؟ "

" أيمكنك أن تتحدثى إلى إيجرت ؟ فبعض الدقائق التى سيقضيها معك ليتعرف على الأمور الاستراتيجية والتكتيكية لن تقدر بثمن ، وأنا أعلم ذلك . ولم أكن لأطلب ذلك الطلب يا سيدنى لو لم يكن الأمر فى غاية الأهمية . وعلى أية حال ، عليك أيضاً أن تخبريه بشفرة الدخول إلى ملف الحاسب الرئيسى " .

وضعت سيدنى يدها على الهاتف وتنهدت ، كانت تعرف ما يقصده هنرى بالضبط ، فهو دائماً ما يضع عمله فى المرتبة الأولى ، وقالت : " سأتصل به اليوم يا هنرى " .

" لن أنسى لك هذا الجميل يا سيدنى " .

صمت هنرى لبعض الوقت ، ومشت سيدنى إلى خارج المقهى لكى تسمع الصوت بوضوح أكبر . ثم تغيرت نبرة هنرى وارتون فى الكلام بعض الشيء .

" لقد زارنى ناثان جامبل هذا الصباح " .

توقفت سيدنى عن المشى ومالت لتستند إلى الجدار الطوبى للمقهى . وأغلقت عينيها وضغطت على أسنانها إلى أن آلمتها وقالت : " إننى مندهشة من أنه انتظر كل ذلك الوقت يا هنرى . "

" كان مضطرباً بعض الشيء يا سيدنى لأنه مقتنع تماماً بأنك قد كذبت عليه " .

" أعلم يا هنرى أن الأمر يبدو سيئاً " ، وترددت قليلاً ثم قررت البوح بما تخفى ، فقالت : " أخبرنى جاسون أن لديه مقابلة عمل فى لوس أنجلوس . وكان من الواضح أنه لا يريد أن تعرف تريتن شيئاً عن ذلك الموضوع ؛ لقد استحلفنى بأن أبقى الأمر سراً بيننا ؛ لذلك لم أتمكن من أن أخبر جامبل " .

" أنت محامية شركة تريتن يا سيدنى ، ليس هناك أسرار ـــ " .

" ماذا بك يا هنرى هذا زوجى الذى نتحدث عنه . إن بحثه عن عمل آخر لن يدمر تريتن ، فهو ليس الوحيد فى مجاله " .

" مازال قولك يؤلمنى يا سيدنى ، لكنى أخشى أنك لم تقدرى الأمر حق قدره . إن جامبل أخبرنى بأنه كان يشك فى أن جاسون يقوم بسرقة أسرار الشركة " .

" إن جاسون لم يكن ليفعل ذلك أبداً ! " .

" ليست هذه القضية ، بل كيف نجعل العميل يدرك ذلك . إن كذبك على ناثان جامبل قد زاد الأمر تعقيداً . هل تعلمين ماذا سيحدث للشركة إذا فسخ عقد شركته معنا ؟ ولا تظنى أنه لم يكن ليقدم على هذه الخطوة " . وارتفع صوت وارتون بحدة .

" عندما أراد جامبل أن يتصل بجاسون ، لم يكن أمامى سوى أن أفكر فى الأمر يا هنرى " .

" حسناً ، لماذا لم تخبريه بالحقيقة ؟ وكما قلت فلم يكن ليهتم " .

" لأن بعد مضى بضع ثوانٍ أخرى علمت أن زوجى قد مات ! " .

لم يتكلم أحد منهما للحظة ولكن كان من الواضح وجود خلاف شديد بينهما فى الرأى . ذكرها وارتون وقال : " قد انقضى بعض الوقت الآن ، إذا لم تريدى إخبارهم يمكنك أن تثقى بى وسأتولى أنا الأمر بالنيابة عنك . فمازلت أستطيع إصلاح الأمور . ولن يعتبر جامبل رغبة زوجك فى تغيير عمله تقصيراً منا فى حقه . ولست متأكداً مما إذا كان جامبل سيوافق على أن تعملى لحسابه فى

المستقبل يا سيدنى . ربما يكون غيابك عن العمل لبعض الوقت شيئاً جيداً ، سينتهى ذلك الموضوع ، وأنا سأتصل به الآن " .

عندما تحدثت سيدنى كان يصعب سماع صوتها ، كانت تشعر وكأن ضربة قوية قد أصابت حلقها وقالت : " لن تستطيع أن تخبر جامبل بشأن مقابلة العمل يا هنرى " .

" معذرة ؟ " .

" لن تستطيع فعل ذلك " .

" ألديك مانع من أن تخبرينى بالسبب ؟ " .

" لا ، لأننى علمت أن جاسون لم يذهب لمقابلة أية شركة أخرى . من الواضح ... " توقفت سيدنى عن الكلام وقاومت البكاء ثم قالت : " من الواضح أنه قد كذب علىّ " .

عندما تحدث وارتون مرة أخرى كان يظهر على صوته الغضب الشديد وقال : " لا يمكننى أن أخبرك عن الدمار الذى قد يسببه ذلك الموقف وقد لا يمكن إصلاحه بالفعل " .

" أنا لا أعلم ماذا يحدث يا هنرى وكل ما أخبرتك به هو كل ما أعرفه ولا يوجد أكثر من ذلك " .

" ماذا يفترض أن أقول لجامبل بالضبط ؟ إنه ينتظر رداً " .

" ضع المسئولية علىّ يا هنرى . أخبره بأنك لم تتمكن من الاتصال بى ، وأننى لم أعاود الاتصال بك ، وأنك مازلت تحاول ومن جهتى لن أعود للمكتب حتى تتمكن من حل الموضوع " .

ظن وارتون أن الأمر انتهى كذلك للحظة وقال : " أعتقد أن ذلك قد ينفع ، على الأقل بصفة مؤقتة . أقدر لك تحمل مسئولية الموقف يا سيدنى . أعلم أنه لا ذنب لك فيما يحدث ولكن يجب ألا تتأثر الشركة وهذا هو ما يشغلنى " .

" أفهم ذلك يا هنرى . و أثناء ذلك سأبذل جهدى لكشف لغز الأحداث " .

" هل أنت متأكدة من قدرتك على القيام بذلك ؟ " ، تحت هذه الظروف وجد وارتون نفسه مضطراً لطرح السؤال على الرغم من تأكده من الإجابة .

" هل لدىَّ خيار يا هنرى ؟ "

" إننا ندعو لك يا سيدنى ، اتصلى بى إذا احتجت لأى شيء . نحن أسرة واحدة فى تايلر ستون ويجب أن نعتنى ببعضنا البعض " .

أغلقت سيدنى هاتفها ووضعته بعيداً ، فقد أثرت فيها كلمات وارتون بشدة ولكن قد تكون مجرد تطمينات فحسب . كانت هى وهنرى زملاء مهنة واحدة وأصدقاء إلى حد ما . وقد أوضحت لها تلك المكالمة الهاتفية إلى أى مدى تكون معظم العلاقات المهنية سطحية . فطالما كنت منتجاً ولا تتسبب فى إثارة المشاكل ، وتحافظ على نجاحاتك ، فلن يكون هناك أى شيء يدعوك للقلق . عليها الآن - بما أنها أصبحت وحيدة - أن تحافظ على عملها حتى لا تخسره وأن تضع تلك المسألة بجانب جميع المشاكل التى تتعرض لها حالياً .

سارت سيدنى على الممر المرصوف بالطوب وعبرت طريق أيفى روود ثم توجهت إلى مبنى الجامعة الشهير روتاندا . أخذت تتجول بين مبان الجامعة ، حيث كان الطلاب يعيشون فى بعضها والتى لم تتغير كثيراً عما كانت عليه وقت توماس جيفرسون ، وبها مدافئ هى المصدر الوحيد للحرارة . كان جمال تلك المبانى البسيط يأسر قلب سيدنى كلما رأتها . وكان يدور في رأسها الكثير من الأسئلة وقد حان الوقت لتجد إجابة لها جميعاً فجلست على درجات مبنى

روتاندا وأخرجت هاتفها من الحقيبة مرة أخرى ، وضغطت على الرقم المطلوب ، ورن الهاتف مرتين .

" تريتن جلوبال "

" هل أنت كاى ؟ "

" أنت سيدنى ؟ كانت كاى فينسينت السكرتيرة الخاصة لجاسون ، امرأة ممشوقة القوام فى الخمسينات من العمر . وكانت تكن معزة خاصة لجاسون وكثيراً ما كانت تجلس مع آمى فى العديد من المناسبات . وقد أحبتها سيدنى من بداية تعارفها بها وكان لهما نفس المنظور فيما يتعلق بالأمومة والعمل والرجال .

" كيف حالك يا كاى ؟ آسفة لأننى لم أتصل بك من قبل " .

" كيف حالى ؟ يا إلهى ، إنى آسفة جداً يا سيدنى " .

سمعت سيدنى صوت السيدة وهى تبكى .

" أعلم ذلك جيداً يا كاى ، فقد كانت مفاجأة ... " ، انخفض صوت سيدنى ثم قاومت بكاءها . كان يجب أن تعرف بعض الأمور ، وكاى فنسينت هى أكثر المصادر التى تثق بها .

" تعلمين يا كاى أن جاسون قد أخذ إجازة من المكتب لبعض الوقت " .

" صحيح ، وقال إنه سيقوم بطلاء المطبخ وإصلاح الجراج . كان يتحدث عن ذلك الموضوع طوال الأسبوع " .

" ألم يتحدث مطلقاً عن رحلته إلى لوس أنجلوس أمامك ؟ "

" لا ، فلقد صُدمت عند سماعى خبر وجوده على تلك الطائرة " .

" هل زارك أى شخص ليتحدث معك عن جاسون ؟ "

" كثير من الأشخاص ، فالجميع كانوا فى غاية الحزن " .

" ماذا عن كونتين رووى ؟ "

" أتى عدة مرات " ، وتوقفت كاى عن الكلام للحظة ثم قالت : " لماذا كل هذه الأسئلة يا سيدنى ؟ "

" أرجو ألا تخبرى أحداً بما يدور بيننا . اتفقنا يا كاى ؟ "

قالت كاى : " حسناً " ، وكان يبدو من نبرة صوتها التردد .

" لقد كنت أعتقد أن جاسون قد ذهب إلى لوس أنجلوس لعقد مقابلة عمل مع شركة أخرى لأن ذلك ما قاله لى . لكنى اكتشفت مؤخراً أن ذلك لم يكن حقيقياً ؟ "

" يا إلهى ! " .

بينما كانت كاى تفكر فى تلك الأخبار ببطء طرحت عليها سيدنى سؤالاً آخر : " هل هناك سبب تعرفينه جعل جاسون يكذب بخصوص ذلك الموضوع ؟ هل كان يتصرف بطريقة غريبة فى العمل ؟ "

ساد الصمت بينهما وتحركت سيدنى على درجات السلم وقالت : " كاى ؟ " . كانت البرودة التى تخرج من الحجارة قد بدأت تصيب سيدنى فوقفت فجأة .

" لدينا قوانين صارمة فيما يخص مناقشة أية موضوعات خاصة بأعمال الشركة يا سيدنى ، ولا أريد التعرض لأية مشكلة " .

" أعلم ذلك يا كاى ، لا تنسى أننى إحدى المحاميات فى شركة تريتن " .

" حسناً ، لكن ذلك الأمر يختلف قليلاً . اختفى فجأة صوت كاى من الخط حتى إن سيدنى كانت لا تعلم ما إذا كانت كاى قد أغلقت الخط أم لا ، ثم ظهر صوتها مرة أخرى وقالت : " أيمكنك أن تتصلى بى فى وقت لاحق الليلة ؟ فأنا لا أريد أن أتحدث فى

ذلك الموضوع أثناء ساعات العمل . سأكون فى البيت حوالى الساعة الثامنة مساء . ألديك رقم هاتف المنزل ؟ "

" نعم ، هو معى أشكرك يا كاى " .

أغلقت كاى فينسنت الخط دون أن تقول أى شيء آخر .

كان جاسون نادراً ما يناقش سيدنى فيما يخص أعمال شركة تريتن على الرغم من اهتمامها بالعديد من أمور الشركة بما أنها إحدى المحاميات فى تايلر ستون . كان زوجها يأخذ مسئوليات منصبه مأخذ الجد . وكان حريصاً دائماً على ألا يضع زوجته فى موقف محرج ، حتى الآن على الأقل . مشت سيدنى ببطء ناحية الجراج .

بعد أن دفعت سيدنى للسائس توجهت إلى سيارتها . ثم استدارت فجأة ولكن أثناء ذلك اختفى الرجل فى الركن . مشت بسرعة عائدة إلى الشارع المجاور للمرآب وأخذت تنظر بتمعن إلا أنها لم تتمكن من رؤية أى شخص . كان هناك عدد من المحلات يستطيع أى شخص أن يختبئ داخل أى منها فى بضع ثوان . لاحظت سيدنى ذلك الرجل وهو ينظر إليها بينما كانت جالسة على سلم مبنى روتاندا ، حيث كان واقفاً خلف إحدى الشجرات الكثيرة المنتشرة فى المكان . وبما أنها كانت منشغلة بالحديث مع كاى ، فلم تعره انتباهها وظنت أنه ينظر إليها من باب الفضول لا أكثر . كان ذلك الرجل طويلاً يبلغ طوله ست أقدام على الأقل ويرتدى معطفاً داكناً ، وتغطى نظارة شمسية جزءاً من وجهه وكان يرفع ياقة معطفه مما زاد من إخفاء ملامحه . كما كان يرتدى قبعة بنية تغطى شعره ، إلا أن سيدنى قد تمكنت من ملاحظة أن لون شعره أشقر يميل إلى الحمرة تقريباً . أخذت سيدنى تفكر للحظة فيما إذا كانت

قد أصيبت بجنون الشك ، لكنها لم تقلق بشأن ذلك الأمر الآن فعليها أن تعود إلى البيت ، فغداً سوف تذهب لإحضار إبنتها ، ثم تذكرت أن أمها قد أخبرتها عن حفل لتأبين جاسون . وعلى الرغم من الألغاز التى تحيط بزوجها فى يومه الأخير إلا أن تذكرها للحفل التأبينى جعلها تعود بتفكيرها إلى حادث تحطم الطائرة الذى مات فيه زوجها فعلاً . لا يهم الآن لماذا خدعها أو لأى سبب قد فعل ذلك لأنه قد مات . وأخيراً توجهت سيدنى إلى البيت .

الفصل الثامن عشر

تحت غطاء من السحب الكثيفة ساقتها رياح قوية فى السماء المائلة إلى الزرقة ، ضربت رياح شديدة البرودة موقع تحطم الطائرة . وكان هناك حشود من رجال الدفاع المدنى يضعون رايات حمراء حول مكان الحطام ، مما شكل حزمة من اللون القرمزى فى الموقع . وبجانب الحفرة التى أحدثها الانفجار كانت هناك رافعة بها صندوق يشبه الدلو المتدلى ذو حجم كبير بقدر كافٍ بحيث يتسع لحمل شخصين بالغين . وكانت هناك رافعة أخرى فوق الحفرة التى أحدثها الانفجار يختفى صندوقها في أعماق تلك الحفرة ، وثمة أسلاك أخرى متدلية فى الحفرة أيضاً ومتصلة بروافع ذات محركات مثبتة على سيارات نقل .وتوالى تجمع المعدات الثقيلة بالقرب من الموقع استعداداً للتنقيب النهائى فى الحفرة التى أحدثها

الاصطدام . وكانت أهم قطعة مطلوبة هى سجل بيانات الرحلة الجوية والتى لم يُعثر عليها بعد .

تم نصب عدد من الخيام خارج الحواجز الصفراء والتى استخدمت كمستودعات للأدلة التى يتم جمعها من خلال التنقيب فى الموقع . فى إحدى تلك الخيام كان جورج كابلن يسكب القهوة الساخنة فى فنجانين . وكان قد فحص المنطقة بسرعة . ومن حسن الحظ كان سقوط الجليد قد توقف بسرعة ، لكن بقيت درجة الحرارة منخفضة ، وقد أشارت نشرة الأخبار الجوية إلى مزيد من الانخفاض المتوقع فى درجة الحرارة . كان جورج يعلم أن ذلك ليس شيئاً جيداً ، وأن الجليد سيشكل عائقاً كبيراً .

ناول كابلن فنجاناً ساخناً يتصاعد منه البخار إلى ل سوير الذى كان يتتبع نظرة كابلن الفاحصة لموقع الارتطام .

" لقد كنت محقاً يا جورج عندما خمنت أن خزان الوقود هو السبب . لقد كان الدليل ضعيفاً ، إلا أن المعمل أوضح أنه يصلح كدليل قوى يمكن الاعتماد عليه ، فقد أثبتت الاختبارات أن حامض الهيدروكلوريك يسبب تآكلاً لسبيكة من الألومونيوم فى خلال ساعتين إلى أربع ساعات . وتكون عملية التآكل أسرع إذا زادت حرارة الحامض . يبدو أن المسألة ليست مصادفة " .

تكلم كابلن بصوت عال وقال : " اللعنة ، كأن الميكانيكى كان يتجول ومعه ذلك الحامض وقام برشه بالمصادفة على خزان الوقود " .

" لم يخطر على بالى مطلقاً أنها حادثة يا جورج " .

رفع كابلن يده معتذراً وقال : " ويمكنك أن تحمل حامض الهيدروكلوريك فى وعاء بلاستيكى ، ويمكنك أيضاً استخدام زجاجة بها مقياس مدرج حتى تتمكن من قياس الكمية التى تستخدمها .

كما أن جهاز كشف المعادن لا يستطيع الكشف عن البلاستيك ؛ ولذلك كان اختياراً موفقاً " . وظهر على وجه كابلن الامتعاض .

ونظر إلى موقع الارتطام لبضع ثوان أخرى ثم التفت إلى سوير وقال : " إننا نبحث فى كل ما لدينا من احتمالات تخص تلك الحادثة " .

أومأ إليه سوير تعبيراً عن موافقته وقال : " إننا نتابع الموضوع حتى الآن " ، ثم ارتشف رشفة كبيرة من القهوة .

" أتظن أن أحدهم قام بتفجير طائرة تمتلئ بالركاب من أجل شخص واحد فقط ؟ "

" ربما " .

" يا إلهى ! إذا كنت تريد قتل شخص واحد ، فلماذا لا تمسك به أثناء سيره فى الشارع وتوجه رصاصة إلى رأسه ؟ لماذا تقوم بذلك ؟ " . وأشار إلى مكان الارتطام ثم جلس مرة أخرى على مقعده ، كانت عيناه مغلقتين بعض الشىء وقد بدأ يحك فكه الأيسر بقوة .

جلس سوير على أحد الكراسى المطوية وقال : " إننا لسنا متأكدين من صحة هذا الموضوع ، لكن ليبرمان كان الشخص الوحيد على متن تلك الطائرة الذى يجذب الانتباه " .

" لماذا يعرضون أنفسهم إلى كل تلك المشاكل من أجل قتل رئيس مجلس البنك الاحتياطى بحق الجحيم ؟ "

جذب سوير معطفه ولفه حول كتفيه ، حيث اشتدت الرياح الباردة داخل الخيمة وقال : " حسناً ، لقد تعرضت الأسواق المالية لهزة عنيفة عندما شاع خبر مقتل ليبرمان ، وقد هبط مؤشر داوجونز ما يقرب من ألف ومائتى نقطة أى بنسبة ٢٥ بالمائة فى يومين . وذلك

ما يجعل حادث تحطم الطائرة ذا أثر بالغ على الاقتصاد الأمريكى . كما أن الأسواق الخارجية قد تأثرت أيضاً " . حدق سوير إلى كابلن : " انتظر عندما تذاع الأخبار الرسمية معلنة أن الطائرة قد تم تفجيرها وأن ليبرمان قد قتل عن عمد ، من يدرى ماذا سيحدث ؟ "

اتسعت عينا كابلن : " يا إلهى ! كل ذلك من أجل شخص واحد فقط ؟ "

" كما قلت ، قُتِل شخص غير عادى " .

" لديك بعض الشكوك إذن فى بعض الحكومات الأجنبية أو الإرهابيين الدوليين أو شىء كهذا ، أليس كذلك ؟ " ، هز كابلن رأسه كمن يفكر فى الأشرار الموجودين على الكرة الأرضية حينما يتم توجيه التهم إليهم وملاحقتهم .

هز سوير كتفيه وقال : " هذا إذا افترضنا أنه ليس مجرماً من داخل أبناء وطننا " .

سكت الرجلان عن الكلام ونظرا مرة أخرى إلى موقع الارتطام وقد شاهدا سلك الرافعة وقد عكس اتجاهه وخلال دقيقتين ظهر الصندوق وعليه رجلان وقد ظهرا فوق الحفرة . استدارت الرافعة وأنزلت الصندوق ببطء على الأرض ، تسلق الرجلان وخرجا من الصندوق . كان سوير وكابلن يشاهدان ما يحدث فى إثارة بالغة بينما أسرع الرجلان إليهما .

كان الرجل الأول الذى وصل إليهما شاب ذو شعر أشقر يخفى جزءاً من ملامحه الرقيقة ، كان يمسك بيده حقيبة بلاستيكية بداخلها شىء معدنى صغير على شكل مستطيل ولكنه متفحم بدرجة كبيرة . تقدم الرجل الآخر خلفه ببطء ، كان أكبر منه سناً ، وكان وجهه الأحمر وأنفاسه المتلاحقة تدل على المجهود الذى بذله فى موقع الارتطام .

صرخ الشاب وقال : " لا أستطيع تصديق ذلك ، إن الجناح الأيمن أو ما تخلف منه كان يوجد فى الجزء العلوى سليماً . وأعتقد أن الجانب الأيسر هو الذى تحمل شدة الانفجار ، حيث كان به خزان الوقود الممتلئ . وعندما اصطدمت مقدمة الطائرة بالأرض أحدثت حفرة أكبر من محيط جسم الطائرة ، وقد تحطمت الأجنحة عندما ضربت جوانب الحفرة " .

أخذ كابلن الحقيبة وتوجه إلى المنضدة وقال : " أين عثرت عليه ؟ "

" لقد كان ملتصقاً بالجناح من الداخل بجانب لوحة خزان الوقود . ومن المؤكد أنه وضع داخل الجناح على جانب المحرك ، ولست متأكداً من الشىء ، ولكننى متأكد من أنه لا ينتمى للطائرة " .

سأله كابلن : " تم وضعه إذن على يسار المكان الذى فُصل منه الجناح ؟ "

" بالضبط أيها الرئيس ، لقد كان على بعد بوصتين من الجزء المحطم من الجناح " .

تكلم الرجل العجوز وقال : " يبدو أن جسم الطائرة قد وقى الجناح من الانفجار الذى حدث بعد تحطم الطائرة . وعندما انهارت جوانب الحفرة أدت إلى إخماد النيران فى الحال " . توقف الرجل عن الكلام ليلتقط أنفاسه ثم أضاف : " لكن الجزء الأمامى من الكابينة قد تحطم تماماً ، أعنى لم يبق منه شىء كما لو لم يكن موجوداً من الأصل " .

سلم كابلن الحقيبة إلى سوير وقال : " أتعلم ما هذا الشىء ؟ "

ظهر على وجه سوير العبوس وقال : " نعم أعلم " .

الفصل التاسع عشر

قادت سيدنى آرتشر سيارتها متجهة إلى مكتبها وهى تجلس الآن داخل غرفة المكتب والباب مغلق . كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة بقليل ولكنها تمكنت من سماع صوت آلة الفاكس ، فالتقطت الهاتف واتصلت برقم كاى فينسينت فى المنزل .

ظهر صوت رجل على الجانب الآخر من الخط .

" أريد التحدث إلى كاى فينسينت من فضلك . أنا سيدنى آرتشر . "

" انتظرى لحظة . "

وبينما كانت سيدنى تنتظر أخذت تنظر إلى أرجاء الغرفة . كان ذلك المكان يبعث فى نفسها الراحة . وكانت شهادات الدبلوما المعلقة على الجدران تخصها ، لكن فى تلك اللحظة كان يبدو أنها

لم تتمكن من أن تتذكر متى حصلت على تلك الشهادات أو من أى جهة ، فقد كانت تتعرض للصدمات واحدة تلو الأخرى .

وكانت تسأل نفسها ما إذا كانت تنتظرها مفاجأة جديدة على الجانب الآخر من الخط .

" سيدنى ؟ "

أهلاً يا كاى "

كان يظهر على صوت كاى الخجل وهى تقول : " إننى خجلة من نفسى لأننى لم أسألك عن آمى عندما تحدثنا فى الصباح ، كيف حالها ؟ "

" إنها الآن فى منزل والدى " ، ازدردت سيدنى لعابها بصعوبة ثم أضافت : " إنها لم تعلم بالطبع بما حدث " .

" آسفة من تصرفى معك أثناء عملى ولكنك تعرفين ذلك المكان جيداً ؛ فهم يغضبون بشدة إذا عرفوا أننى أستقبل مكالمات شخصية أثناء فترة العمل " .

" أعلم يا كاى ، ولكنى لا أدرى مع من غيرك يمكننى التحدث بشأن ذلك الموضوع " ، ولم تضف سيدنى أنها لم تكن لتثق فى شخص سوى كاى .

" إننى أفهم الوضع يا سيدنى " .

أخذت سيدنى نفساً عميقاً ومالت إلى الأمام ، ولو أنها نظرت إلى أعلى للاحظت مقبض الباب وهو يتحرك ببطء ثم توقف لأن خاصية الغلق منعته من التحرك أكثر من ذلك .

" ألديك ما تريدين إخبارى به فيما يخص جاسون يا كاى ؟ "

سكتت كاى قليلاً ثم قالت : " إننى لم أجد رئيساً أفضل منه ، فقد كان جاسون يعمل بجد وكان يحقق نجاحات سريعة . ولكنه

قلما كان يتحدث مع الآخرين أو يقضى معهم بعض الوقت " ، توقفت كاى عن الكلام ، ربما لتستجمع أفكارها قبل الاستطراد فى حديثها ، ولكنها لم تقل شيئاً وعندئذ طرحت عليها سيدنى ذلك السؤال : " حسناً، هل تغير ذلك ؟ هل كان جاسون يتصرف بطريقة مختلفة ؟ "

" نعم " ، نطقت كاى تلك الكلمة سريعاً جداً لدرجة أن سيدنى لم تتمكن من سماعها تقريباً .

" كيف كان ذلك ؟ "

" حقيقة ، كان ذلك فى عدة أمور صغيرة ، وكان أول ما أثار انتباهى أن جاسون قد طلب قفلاً لغلق باب مكتبه " .

" قفلاً لباب المكتب ، أهذا أمر غير مألوف يا كاى ؟ فأنا لدى قفل لباب مكتبى " ، نظرت سيدنى إلى باب مكتبها وكان المقبض الآن لا يتحرك .

" أعلم ذلك يا سيدنى ، ولكن كان جاسون لديه واحد بالفعل " .

" أنا لا أفهم يا كاى ، إذا كان لديه قفل بالفعل ، فلماذا طلب واحداً آخر ؟ "

" كان القفل الذى لديه غير قوى من ذلك النوع الذى يوضع بجوار المقبض . أعتقد أن قفلك مثله " .

نظرت سيدنى مرة أخرى إلى باب حجرتها وقالت : " هذا صحيح ، أليس جميع الأقفال الموجودة فى جميع المكاتب من هذه النوعية ؟ "

" ليس فى هذه الأيام يا سيدنى ، فقد كان لجاسون قفل إلكترونى ويحتاج فتحه إلى بطاقة رقمية " .

" بطاقة رقمية ؟ "

" إنها بطاقة بلاستيكية بها رقاقة صغيرة ولكننى لا أعلم كيف تعمل بالضبط ولكنها ضرورية للدخول إلى المبنى وبعض الأماكن المحظور الدخول إليها " .

أخذت سيدنى تبحث داخل حقيبتها ثم أخرجت البطاقة البلاستيكية التى أخذتها من مكتب جاسون الموجود بالمنزل .

" هل هناك أحد آخر فى تريتن لديه مثل ذلك النوع من الأقفال على أبواب مكاتبهم ؟ "

" ستة تقريباً ، ولكن معظمهم من قسم الحسابات "

" هل أخبرك جاسون لماذا طلب نظاماً تأمينياً إضافياً لمكتبه ؟ "

" لقد سألته لأن ذلك الأمر أثار فضولى وكنت أعتقد أنهم يتوقعون حدوث اقتحام للشركة ولم يخبرنا به أحد . ولكن جاسون قال إن لديه بعض المسئوليات الإضافية الخاصة بالشركة والتى يريد ألا يطلع عليها أحد ، كما أن لديه بعض الأسرار التى يحتفظ بها ولذلك فهو يريد حماية إضافية " .

عندما شعرت سيدنى بالتعب من الجلوس نهضت من مكانها وأخذت تتمشى ، ونظرت من النافذة ، حيث كان يسود الظلام خارجها إلا من بعض الأضواء التى تظهر عبر الشارع من مطعم سبنسرز وهو مطعم جديد ، كان قد افتتح مؤخراً ، ولذا كان يحتشد عنده عدد من سيارات التاكسى والسيارات الفارهة للاستمتاع بالطعام والشراب والصحبة . أسدلت سيدنى الستار وزفرت ، ثم جلست على خزانة الكتب وخلعت حذاءها وأخذت تفرك قدمها التى كانت تؤلمها .

" لماذا كان جاسون يريدك ألا تخبرى أحداً بأنه كان يتولى مسئوليات إضافية ؟ "

" لا أدرى . لقد ترقى ثلاث مرات فى الشركة ، لذلك فمن الطبيعى أن يتحمل مسئوليات إضافية . ولا يمكن إخفاء سر كهذا على أية حال ، أليس كذلك ؟ "

أخذت سيدنى تفكر فى تلك المعلومة لبضع ثوان ، حيث لم يذكر لها جاسون أية ترقية حصل عليها ، كما كان الأمر غير مقنع إذ إنه من الطبيعى أن يخبرها بذلك .

" ألم يخبرك من الذى قد منحه تلك المسئوليات الإضافية ؟ "

" لا ، ولم أرد أن أتطفل عليه " .

" هل أخبرت أى شخص بما قاله لك جاسون ؟ "

قالت كاى بحزم : " لا أحد على الإطلاق " .

كانت سيدنى تصدقها ، وهزت رأسها وقالت : " ماذا لفت نظرك أيضاً ؟ "

" كان جاسون يحتفظ بكثير من الأمور لنفسه فى الآونة الأخيرة . كما كان يعتذر عن عدم حضور اجتماعات الموظفين وأشياء من هذا القبيل ، واستمر ذلك شهراً على الأقل " .

توقفت سيدنى عن فرك قدمها بعصبية ، وقالت : " ألم يذكر لك جاسون شيئًا عن فكرة بحثه عن عمل مع شركة أخرى ؟

" مطلقاً " ، وكادت سيدنى تشعر بكاى وهى تهز رأسها نفياً عبر الهاتف .

" هل سألت جاسون إذا ما كان هناك شىء يضايقه ؟ "

" فعلت ذلك مرة واحدة ولكنه لم يتجاوب معى . كان جاسون صديقاً جيداً ولكنه كان رئيسى فى العمل أيضاً . ولم أرغب فى الضغط عليه " .

" أفهم يا كاى " . قامت سيدنى بارتداء حذائها مرة أخرى ، ولاحظت عبور ظل تحت بابها ثم توقف فجأة . انتظرت بضعة

ثوان أخرى ، ولكن الظل لم يتحرك من مكانه . ضغطت سيدنى على أحد أزرار الهاتف حتى يمكنها التنقل بالسماعة وقامت بفصل السلك وقد قفزت فكرة إلى رأسها .

" هل دخل أى شخص بالفعل إلى مكتب جاسون يا كاى ؟ "

" حسناً ... " ، ترددت كاى فى الإجابة عن ذلك السؤال فسألتها سيدنى سؤالاً آخر .

" ولكن كيف يتمكنون من الدخول مع كل تلك الإجراءات الأمنية الإضافية الموجودة على باب مكتبه ؟ "

" هذه هى المشكلة يا سيدنى ، فلا أحد يعرف الشفرة أو لديه بطاقة الدخول الرقمية الخاصة بجاسون . والباب مكون من خشب صلب يبلغ سمكه ثلاث بوصات وحوله إطار معدنى قوى حتى إن السيد جامبل والسيد رووى لم يستطيعا الدخول إلى المكتب هذا الأسبوع وأعتقد أن لا أحد يعرف كيف يتصرف " .

" معنى ذلك أنه لم يدخل أحد إلى مكتب جاسون منذ وقوع الحادث ؟ " ، ونظرت إلى البطاقة الرقمية .

" لا أحد على الإطلاق . لقد ظل السيد رووى موجوداً اليوم حتى وقت متأخر وسيطلب إحضار الشركة التى قامت بتركيب هذا القفل غداً ليقوموا بفتحه " .

" من أيضاً كان موجوداً ؟ "

سمعت سيدنى صوت كاى وهى تتنهد ثم قالت : " كان هناك شخص من شركة سيكيورتيك أيضاً " .

" سيكيورتيك " ؟ " ، قامت سيدنى بنقل السماعة إلى أذنها الأخرى ، بينما كانت تنظر إلى الظل ثم توجهت إلى الباب . ولم تكن تهتم بما إذا كان ذلك الشخص لصاً ، لأن العديد من الموظفين

كانوا لايزالون يعملون فى مكاتبهم حتى ذلك الوقت . " هذه الشركة هى المستشار الأمنى الخاص بشركة تريتن أليس كذلك ؟ "

" نعم ، وكنت أتساءل لماذا اتصلوا بهم ولكنه إجراء طبيعى عند حدوث شىء كهذا " .

كانت سيدنى تقف الآن أمام الباب ويدها تتحرك ناحية المقبض .

" لدى بعض الأشياء التى تخص جاسون يا سيدنى ، وبعض الصور ، ومعطف كنت قد استعرته مرة منه ، وبعض الكتب ، فقد حاول أن يجعلنى أهتم بأدب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بالرغم من أننى لم أهتم بذلك أبداً " .

" لقد فعل نفس الشىء مع آمى إلى أن لَفَتُّ نظره إلى أنها يجب أن تتعلم حروف الهجاء أولاً قبل أن تتعرف على أعمال فولتير " .

ضحكت السيدتان معاً على الرغم من تلك الظروف السيئة .

" يمكنك أن تأتى فى أى وقت للحصول على تلك الأشياء " .

" سأحضر يا كاى وقد نتناول الغداء معاً ... ونتحدث أكثر من ذلك " .

" على الرحب والسعة " .

" إننى أقدر لك بشدة المعلومات التى حصلت عليها منك ، لقد قدمت لى العون " .

" حسناً ، إننى أهتم جيداً بكل ما يخص جاسون ، لقد كان رجلاً طيباً ورقيقاً " .

شعرت سيدنى بالدموع بدأت تترقرق فى عينيها ولكن عندما نظرت إلى الظل الذى يظهر تحت عقب الباب تماسكت ، وقالت : " نعم ، لقد كان كذلك " . وأوحت العبارة الأخيرة برغبتها فى إنهاء الحديث .

" إذا احتجت لأى شىء يا سيدنى مهما يكن فعليك بالاتصال بى ، اتفقنا ؟ "

ابتسمت سيدنى وقالت : " أشكرك يا كاى ، إننى أعتمد عليك فعلاً " . وبمجرد أن أغلقت سيدنى الهاتف ووضعته قامت بفتح باب مكتبها .

لم يبد على فيليب جولدمان الاندهاش ، كان يقف بهدوء ينظر إلى سيدنى . كان فيليب أصلع الرأس ، ذا وجه معبر ، عيناه جاحظتان ، نحيلاً مع بداية لظهور بطنه . وكانت ملابسه غالية الثمن . وكانت سيدنى وهى ترتدى حذاءها أطول من فيليب ببوصتين .

" كنت أمر فلاحظت النور مضاء ولكنى لم أكن أعلم بوجودك هنا يا سيدنى " .

حدقت إليه سيدنى بنظرها وقالت : " أهلا بك يا فيليب " .

كان جولدمان يشغل وظيفة تحت رئاسة هنرى وارتون فى شركة تايلر ستون وكان لديه قاعدة ضخمة من العملاء وكانت زوجته تركز على تدعيم عمله .

" إننى مندهش لرؤيتك هنا يا سيدنى " .

" إن العودة للمنزل الآن لم تكن تستهوينى يا فيليب " .

أومأ فيليب برأسه ببطء وقال : " نعم ، أستطيع أن أفهم ذلك جيداً " . ثم نظر إلى ساعة الهاتف الموضوعة على رف المكتبة وقال : " أكنت تتحدثين مع أحد ؟ "

" هذا شىء شخصى ، فهناك الكثير من التفاصيل التى أريد التحقق منها الآن " .

" بالطبع ، يصعب على المرء مواجهة موت شخص يحبه خاصة إذا كان موته مفاجئاً " . استمر فيليب يحدق إليها بقوة .

شعرت سيدنى باحمرار وجهها والتفتت بعيداً عنه وجذبت حقيبتها من على الأريكة ثم معطفها من خلف الباب وأغلقت جزءاً من الباب فى وجه جولدمان الذى كان عليه أن يتراجع إلى الخلف بسرعة حتى يتجنب اصطدام الباب به .

وارتدت معطفها ووضعت يدها عل مفتاح المصباح الكهربى وقالت : " لدى موعد وتأخرت عليه " .

أخذ جولدمان يبتعد عنها فى الردهة ، وقال : " قد يكون ذلك وقتاً غير ملائم يا سيدنى ، ولكننى كنت أريد تهنئتك على حسن إدارتك لصفقة سيبركوم " .

استدارت سيدنى برأسها وقالت : " لا يجب ألا نناقش هذا الموضوع يا فيليب " .

" أعلم يا سيدنى ولكننى كنت أقرأ جريدة وول ستريت جورنال وقد ذكروا اسمك مرات عديدة ، أعتقد أن هذا النبأ سيسر ناثان جامبل للغاية " .

" أشكرك يا فيليب " ، ثم التفتت إليه وقالت : " علىّ أن أذهب الآن " .

" إذا أردت أى خدمة اتصلى بى على الفور " .

أومأت سيدنى سريعاً ، ثم تخطت جولدمان . ومشت فى الردهة ناحية مدخل الشركة الرئيسى ثم اختفت عند الزاوية .

أسرع جولدمان الخطى حتى يتمكن من رؤية سيدنى وهى تدخل ، المصعد ثم مشى بحذر وعاد إلى مكتبها وبعد أن نظر على كلا الجانبين أخرج مفتاحاً وأدخله فى القفل وفتح الباب ثم دخل . وعاد القفل إلى مكانه مرة أخرى ثم ساد الهدوء المكان .

الفصل العشرون

أوقفت سيدنى سيارتها الفورد داخل ساحة انتظار السيارات الخاصة بشركة تريتن وخرجت منها ، ثم أغلقت أزرار معطفها لتتقى الرياح الباردة ، وقامت بفحص حقيبتها للتأكد مرة أخرى من وجود البطاقة البلاستيكية ومشت بطريقة طبيعية بقدر الإمكان إلى مقر شركة تريتن المكون من خمسة عشر طابقاً . عرفت سيدنى بنفسها فى السماعة الموجودة بجوار المدخل . وكانت هناك كاميرا فيديو فوق مدخل الباب موجهة عليها مباشرة . وعندئذ فتح جزء موجود بجوار السماعة وتم توجيهها لإدخال إبهامها إلى ماسح ضوئى لأخذ بصمة الأصابع . ظنت سيدنى أن الإجراءات الأمنية المتبعة فى شركة تريتن تشبه تلك التى تتبعها وكالة الاستخبارات المركزية سى . آى . إيه . فتحت الأبواب الزجاجية والمطلية بطلاء

الكروم دون أن تحدث أى صوت . توجهت بعد ذلك إلى بهو المبنى ، وعندما مشت ناحية المصعد أضىء النور فى المكان تلقائياً ، كما سمعت صوت موسيقى عذبة وفتحت أبواب المصعد عندما اقتربت منها . ويبدو أن مقر شركة تريتن كان يستفيد أقصى استفادة مما وصلت إليه الشركة من تقدم تكنولوجى .

اتجهت سيدنى بالمصعد إلى الطابق الثامن وخرجت منه . وقف ضابط الأمن الموجود فى الخدمة وتوجه إليها ومسك يدها . وكان الحزن واضحًا فى عينى الرجل .

" أهلاً يا تشارلى " .

" إننى آسف جداً سيدة سيدنى " .

" أشكرك يا تشارلى " .

هز تشارلى رأسه وقال : " كان فى طريقه إلى القمة وكان يعمل بجد أكثر من أى شخص هنا . كثير من الأحيان كان لا يوجد أحد فى المبنى بأكمله سوى أنا وهو . وكان يحضر لى القهوة وشيئاً لآكله من غرفة الطعام ، ولم أكن أطلب منه ذلك مطلقاً بل كان يقوم به من تلقاء نفسه ، كما لم يكن مثل البعض هنا الذين يظنون أنفسهم أفضل من غيرهم " .

" أنت على حق ، فجاسون لم يكن كذلك " .

" نعم يا سيدتى ، لم يكن كذلك . والآن ما الذى يمكننى فعله لك ؟ هل تحتاجين إلى أى شىء ؟ ما عليك إلا أن تخبرى تشارلى العجوز بما تريدين " .

" حسناً ، كنت أريد أن أعرف ما إذا كانت كاى فينسينت مازالت هنا " .

حدق تشارلى فى حيرة إلى سيدنى وقال : " كاى ؟ لا أعتقد ذلك ، لقد حضرت إلى عملى فى التاسعة . وعادة ما تغادر هى

حوالى الساعة السابعة ... ولم أرها وهى تغادر المكان ، اسمح لى أن أتأكد لك " .

توجه تشارلى إلى اللوحة الرقمية . وكان جراب المسدس المعلق فى أحد جنبيه والمفاتيح المعلقة فى حزام المسدس تحدث جلبة ، بينما كان يمشى . وضع تشارلى سماعتين على أذنيه ثم ضغط على أحد الأزرار على اللوحة . بعد بضع ثوان هز تشارلى رأسه وقال :

" لم أجد سوى بريدها الصوتى فقط يا سيدنى " .

" حسناً ، لديها بعض الأشياء الخاصة بجاسون أريد أن آخذها " . نظرت سيدنى إلى الأرض ، وكان يبدو أنها لا تستطيع إكمال كلامها .

رجع تشارلى إليها ولمس ذراعها وقال : " حسناً ، قد تكون محتفظة بها فى مكتبها " .

نظرت إليه سيدنى وقالت : " ربما كذلك " .

تردد تشارلى قليلاً ، كان يعلم أن ذلك ضد القوانين ، لكن لا يجب تطبيق القوانين دائماً ، فرجع إلى لوحة الأرقام مرة أخرى وضغط على زرين ورأت سيدنى الضوء الأحمر الذى يظهر بجوار الباب المؤدى إلى المكتب وقد تحول إلى اللون الأخضر . رجع تشارلى وجذب المفاتيح من حزامه وفتح الباب .

" تعلمين كيف يفكرون فيما يخص إجراءات الأمن هنا ، ولكنى أعتقد أن هذا الأمر يختلف قليلاً ، فلن يعود أى شخص على أية حال . عادة ما يعج ذلك المكان بالعاملين حتى الساعة العاشرة تقريباً ، لكنها إجازة نهاية الأسبوع . سأقوم بعمل جولاتى الآن فى الطابق الرابع . تعلمين أين تجلس ، أليس كذلك ؟ "

" نعم ، إننى أقدر لك صنيعك يا تشارلى ؟ "

صافحها تشارلى مرة أخرى بحرارة وقال : " كما قلت ، إن زوجك كان رجلاً طيباً " .

اتجهت سيدنى نحو الممر المضاء بنور خافت ، كان القسم الخاص بكاى فى المنتصف تقريباً ، بالقرب من مكتب جاسون . وبينما كانت سيدنى تمشى فى الردهة نظرت حولها بحذر ، كان الهدوء يسود المكان ، ثم رأت المكان الخاص بكاى مظلماً . كان هناك صندوق به معطف وبعض الصور المبروزة ، فمدت سيدنى يدها بداخل الصندوق وأخذت تتحسسه من القاع وأخيراً عثرت على كتاب ذى حواف مذهبة لم يكن ذلك الكتاب سوى رواية ديفيد كوبر فيلد وهى إحدى الروايات المفضلة لدى جاسون . ثم قامت بإعادة الأشياء مرة أخرى إلى الصندوق ثم وضعته بجانب الكرسى .

نظرت سيدنى حولها مرة أخرى ، كان الممر خالياً ، فقد قال لها تشارلى إن الجميع قد عادوا إلى منازلهم ولكنه لم يكن متأكداً مما إذا كانت كاى قد غادرت مكتبها أم لا . كانت سيدنى تشعر بالسرور لوجودها بمفردها ، على الأقل حتى تلك اللحظة ، ووصلت إلى باب مكتب زوجها ، ولكنها شعرت بخيبة الأمل عندما رأت لوحة المفاتيح الرقمية ، لم تذكر كاى هذا الجهاز . أخذت سيدنى تفكر للحظة ثم أخرجت البطاقة البلاستيكية من جيبها ونظرت حولها مرة أخرى ، ثم قامت بإدخالها فى الفتحة . وظهر ضوء على لوحة المفاتيح . قرأت سيدنى كلمة " جاهز " بجانب الضوء . ففكرت بسرعة وضغطت على بعض الأرقام ولكن لم يتحرك الضوء من مكانه . أصيبت سيدنى بالإحباط ولم تكن حتى تعلم عدد الأرقام التى يجب أن تقوم بالضغط عليها أو كنه هذه الأرقام . حاولت عدة مرات ولكنها لم تنجح .

كانت سيدنى قد قررت تقريباً أن تتوقف عن ذلك فى الوقت الذى لاحظت فيه وجود شاشة رقمية صغيرة فى أحد أركان لوحة المفاتيح الرقمية . كان من الواضح أن ذلك عداد للوقت وقد وصل الآن إلى ثمانى ثوان ، بدأ ضوء الإنذار الموجود على اللوحة يتحول إلى لون قرمزى ساطع . همست سيدنى : " اللعنة " . إنه جهاز إنذار ، وصل عداد الوقت الآن إلى خمس ثوان . بقيت سيدنى ثابتة فى مكانها دون حركة . كان يدور فى خلدها جميع النتائج التى ستحدث إذا ما رآها أحدهم وهى تحاول الدخول إلى مكتب زوجها ، قطعاً كانت كل تلك النتائج ستؤدى إلى كارثة حقيقية . بينما ظلت عيناها ثابتتين على العداد الذى وصل إلى ثلاث ثوان تخلصت فجأة من خمولها ، حيث خطر على بالها مجموعة من الأرقام الممكنة . أخذت سيدنى تدعو الله فى صمت وقامت بالضغط على أرقام صفر - ٦ - ١ - ٦ وعندما ضغطت على الرقم الأخير كان العداد قد وصل إلى صفر . كتمت سيدنى أنفاسها بينما كانت تنتظر سماع صوت الإنذار .

انطفأ ضوء الإنذار وتم فتح قفل الباب ، استندت سيدنى إلى الحائط دون حركة وبدأت تتنفس بصورة طبيعية مرة أخرى . كان عيد ميلاد آمى فى يوم السادس عشر من يونية . وكان لدى شركة تريتن سياسة خاصة بها تمنع استخدام الأرقام الشخصية فى شفرات الأمن لأن من السهل جداً الوصول إليها . وكان ذلك بالنسبة لسيدنى دليلاً قوياً على أن الطفلة الصغيرة لم تبعد مطلقاً عن تفكير والدها .

أخرجت سيدنى البطاقة البلاستيكية من الفتحة وأخرجت منديلاً من حقيبتها ولفته حول يدها قبل أن تمسك بمقبض الباب

حتى لا تترك أية بصمات عليه . كانت تتصرف كما لو كانت لصاً وكان ذلك يشعرها بالسعادة والخوف فى آن واحد حتى إنها كانت تسمع نبضات قلبها . دخلت أخيراً المكتب وأغلقت الباب خلفها بسرعة .

كان المصباح الذى أخرجته سيدنى من حقيبتها صغيراً ولكنه قوى ، وقد تأكدت من أن جميع ستائر النوافذ مغلقة تماماً قبل أن تقوم بإنارته . وكانت قد جاءت إلى ذلك المكان من قبل عدة مرات لتناول الغداء مع جاسون ، على الرغم من عدم بقائهما مدة طويلة معاً . توجهت سيدنى بالضوء إلى المكتبة التى كانت تمتلئ بمجلدات ضخمة عن التكنولوجيا الدقيقة التى لم تكن تفهم فيها الكثير ، فقد كانت موضوعاتها متخصصة للغاية لا يفهمها إلا الخبراء المتخصصون . أخذت سيدنى مستغرقة فى التفكير للحظة ، ولسان حالها يقول : " ربما لأنهم الوحيدون الذين يستطيعون إصلاح الأشياء عندما تتعطل " .

سقط الضوء على الحاسب وتوجهت سيدنى نحوه سريعاً . كان الحاسب مغلقاً ، ووجود لوحة مفاتيح أخرى جعلها تقرر ألا تجازف مرة أخرى وتحاول تشغيله . كانت سيدنى ستخسر حتى لو حالفها الحظ وتمكنت من فتح الحاسب . وحيث إنه ليس لديها أية فكرة عما تبحث عنه أو عن المكان الذى تبحث فيه ، فالأمر لا يستحق المخاطرة . ولاحظت سيدنى الميكروفون المتصل بشاشة الحاسب . كما كان هناك عدد من أدراج المكتب مغلقة ، وبعضها يبدو أنه لا يحتوى على أى شىء مهم .

لم تكن هناك شهادات دبلوما معلقة على الجدران أو أى لمسات شخصية أخرى فى مكتب زوجها مقارنة بمكتبها ، ولكنها لاحظت بعين مغرورقة بالدموع وجود صورة لجاسون وعائلته تحتل

مكاناً بارزاً على مكتبه . دارت سيدنى ببصرها فى أرجاء المكتب ولاحظت فجأة أنها تخاطر من أجل لا شىء . ثم التفتت عندما سمعت صوتاً فجائياً انبعث من مكان ما من خارج الغرفة ، اصطدم الكشاف بالميكروفون والتوى الجهاز الصغير . وقفت سيدنى دون حركة حتى تتمكن من سماع الصوت مرة أخرى . وبعد مضى دقيقة من شعورها بالخوف أخذت تحاول إصلاح الميكروفون وإعادته إلى شكله الأول ولكن دون جدوى ، قامت أخيراً بمسح بصماتها من عليه ثم توجهت إلى الباب وأطفأت نور الكشاف . وأخذت تنصت للحظة عند الباب واستخدمت منديلاً لتمسك بمقبض الباب ثم غادرت المكتب فى النهاية .

سمعت سيدنى وقع أقدام بمجرد وصولها إلى مكتب كاى ، اعتقدت فى البداية أنه تشارلى إلا أنها لم تسمع صوت خشخشة المفاتيح وهى تضرب حزام مسدسه . نظرت حولها سريعاً لتعرف من أى جهة يأتى ذلك الصوت . كان واضحاً أن ذلك الشخص يقترب من المكتب أكثر فأكثر ، وتوجهت سريعاً إلى الجزء الخاص بكاى واختبأت خلف المكتب وحاولت أن تتنفس بأسرع ما يمكن وانتظرت حتى أصبحت خطوات الأقدام أقرب ، ثم توقفت تلك الخطوات . مرت دقيقة ولم تسمع سيدنى تلك الخطوات ثم سمعت صوت طقطقة خفيفة كما لو كان شيئاً يدور للأمام وللخلف ولكن فى نصف قطر محدود .

لم تتمكن سيدنى من منع نفسها وأخذت تنظر حولها بحذر ورأت رجلاً يقف وظهره لها يبعد عنها بحوالى ست أقدام ، كان يحاول لف مقبض باب مكتب جاسون ببطء للأمام وللخلف . أخرج الرجل بطاقة من جيب قميصه وحاول إدخالها فى الفتحة ، ثم

تردد قليلاً وهو يقف أمام لوحة المفاتيح كما لو كان يفكر فى محاولة تجربته أم لا . فى النهاية خانته شجاعته وأعاد البطاقة إلى جيبه مرة أخرى وعاد أدراجه .

لم يظهر على كونتين رووى السرور حينما عاد من الطريق الذى أتى منه .

خرجت سيدنى من مخبئها ومشت فى الاتجاه المعاكس . كانت تتحرك بسرعة عندما كانت تلف عند الزاوية وقد اصطدمت حقيبتها بالجدار . لم يكن الصوت عالياً إلا أن الصدى كان كدوى انفجار عبر الردهات الهادئة . احتبست أنفاسها عندما سمعت صوت الخطوات المنسحبة وهى تتوقف ثم تعود من حيث بدأت . فقد بدأ كونتين رووى يتوجه مسرعاً نحوها . أسرعت سيدنى بأسرع ما يمكن فى الردهة حتى وصلت إلى باب المكتب الرئيسى وعندما عبرته وجدت نفسها فى لحظة فى منطقة الاستقبال مرة أخرى . نظرت سيدنى إلى تشارلى الذى نظر إليها بقلق .

" هل أنت بخير يا سيدنى ؟ يبدو وجهك شاحباً كأنك شبح " .

كانت الخطوات تقترب من الباب ، وضعت سيدنى إصبعها على شفتيها وأشارت إلى اتجاه الباب وأشارت إلى تشارلى ليختبئ . سمع تشارلى صوت الخطوات وسرعان ما أدرك ما تعنيه سيدنى فأسرع باتباع تعليماتها . توجهت سيدنى مسرعة ناحية باب دورات المياه الموجود على يمين المدخل المفضى إلى البهو ، وفتحت حقيبتها وتوجهت إلى دورة المياه الخاصة بالسيدات وظلت تراقب الباب المؤدى إلى الردهة . وبمجرد أن فتح ذلك الباب وظهر رووى تظاهرت سيدنى بأنها خارجة من دورة المياه وكانت تعبث بيدها

داخل حقيبتها . عندما رفعت عينيها ، وجدت رووى يحدق إليها وظل ماسكاً الباب المؤدى إلى المنطقة المؤمنة .

تظاهرت سيدنى بالاندهاش وقالت : " كونتين ؟ "

تنقل رووى ببصره من سيدنى إلى تشارلى وكانت الريبة تظهر على ملامحه .

ولم يستطع إخفاء عدم سروره وقال : " ماذا تفعلين هنا ؟ "

" لقد أتيت لرؤية كاى ، لقد تحدثنا من قبل ، فلديها بعض الأشياء الخاصة بجاسون وتريدنى أن آخذها " .

رجع رووى إلى الخلف سريعاً وقال : " لا يمكن لأى شئ الخروج من مقر الشركة بدون إذن مسبق . وهذا الأمر ينطبق أيضاً على كل ما يخص جاسون " .

نظرت سيدنى إليه مباشرة ، وقالت : " أعلم ذلك يا كونتين " .

جاء رد سيدنى مفاجئاً له .

نظرت سيدنى إلى تشارلى الذى كان يحدق إلى رووى بطريقة غير ودودة وقالت : " لقد أخبرنى تشارلى بذلك فعلاً ولكن أسلوبه لم يكن هجومياً مثلك ، كما أنه لم يسمح لى بالدخول إلى المكتب لأننا نعلم جميعاً أن ذلك ضد السياسة التى تتبعها الشركة " .

" آسف إذا كنت فظاً معك ، فلقد تعرضت للعديد من الضغوط فى الفترة الأخيرة " .

تكلم تشارلى وجاء صوته مزيجاً من الغضب وعدم التصديق وقال : " ألم تتعرض هى الأخرى لكثير من الضغوط ؟ لقد فقدت زوجها منذ فترة وجيزة " .

قبل أن يتمكن رووى من الإجابة ، قاطعته سيدنى قائلة : " لقد تناقشت مع كونتين فى هذا الموضوع من قبل يا تشارلى ، أليس كذلك يا كونتين ؟ "

بدا رووى وكأنه يذوب بفعل نظرة سيدنى الحادة .

ورأى أنه من الأفضل تغيير الموضوع ، فقال : " أعتقد أننى سمعت صوتاً غريباً " ، ونظر مرة أخرى إلى سيدنى نظرة تحمل معانى الاتهام لها .

أجابته سيدنى فى الحال قائلة : " ونحن أيضاً سمعنا صوتاً قبل ذهابى إلى دورة المياه ، وذهب تشارلى ليرى ما يحدث . وأظن أنه سمعك وأنت سمعته ، لم يكن تشارلى يظن أن أحداً مازال فى المكتب ولكنك كنت هناك " . وكانت نبرتها فى الكلام بها نفس صيغة الاتهام التى كانت تظهر فى كلام رووى .

ظهر على رووى الضيق وقال : " إننى رئيس تلك الشركة ويمكننى أن أكون هنا فى أى وقت سواء بالليل أو بالنهار وليس لأى شخص دخل فى ذلك لأنه شيء يخصنى بمفردى " .

أخذت سيدنى تحدق إليه وقالت : " إننى متأكدة من ذلك . ومع ذلك ، فإننى أعتقد أن بقاءك هنا حتى ساعات متأخرة ينبغى أن يكرس للعمل ، وليس للسعى وراء معرفة الأسرار الشخصية للموظفين بعد انقضاء ساعات العمل الرسمية . إننى أتحدث بصفتى أمثل الشركة من الناحية القانونية يا كونتين " . ولم تكن سيدنى لتتفوه بمثل تلك الكلمات تحت الظروف الطبيعية .

بدأ يظهر على رووى الانفعال وقال : " نعم ، بالطبع ، كنت أقصد أننى كنت أقوم بأعمال الشركة ، فأنا أعلم كل ـــــ " . ثم توقف عن الكلام فجأة عندما مشت سيدنى ناحية تشارلى وأمسكت بيده .

" أشكرك كثيراً يا تشارلى إننى أعى أن القوانين هى القوانين " ، لم يتمكن رووى من رؤية نظرة سيدنى إلى حارس الأمن العجوز والتى رسمت ابتسامة جميلة على وجه تشارلى .

وحينما استدارت سيدنى لتغادر قال رووى : " طابت ليلتك يا سيدنى " .

لم ترد عليه سيدنى ولا حتى نظرت إليه . وبعد أن اختفت داخل المصعد ، نظر رووى بغضب إلى تشارلى الذى هم بالخروج من الباب .

سأله رووى : " إلى أين أنت ذاهب ؟ "

رد عليه تشارلى بهدوء وقال : " علىّ أن أقوم ببعض الجولات التفقدية ، هذا جزء من عملى " . واتجه ناحية الباب ثم التفت إليه مرة أخرى وقال : " يجب أن تخبرنى بأنك لا تزال موجوداً فى المكتب حتى نتفادى اختلاط الأمور فيما بعد " ، ثم ربت تشارلى على ذراعه واستطرد : " إننا لا نريد التعرض للحوادث المؤلمة ، أتعلم ذلك ؟ " ، شحب وجه رووى عندما نظر إلى المسدس . واستكمل تشارلى كلامه وقال : " إذا سمعت أية أصوات أخرى عليك أن تخبرنى ، اتفقنا يا سيد رووى ؟ " . وظهرت على وجهه ابتسامة عريضة بعد أن مشى بعيداً .

وقف رووى عند مدخل الباب لدقيقة أخرى وأخذ يفكر بعمق ، ثم استدار وعاد إلى المكتب .

الفصل الحادى والعشرون

نظر لى سوير إلى المبنى المكون من ثلاثة طوابق والذى كان يبعد عن مطار دويلز الدولى بحوالى خمسة أميال . كان المقيمون فى ذلك المبنى يستمتعون بمركز كامل للياقة البدنية وحمام سباحة وجاكوزى وغرفة ضخمة لإقامة الحفلات . وكان ذلك نزلاً للشباب الأعزب الذين يستيقظون مبكراً للقضاء على الاختناقات المرورية التى تحدث فى وسط المدينة .

كان سوير مهتماً بواحد ممن يشغلون ذلك المكان ، لم يكن محامياً شاباً ، أو ممن يعملون بأعمال التسويق التنفيذية أو حاصلاً على شهادة الماجستير . تحدث سوير فى جهازه اللاسلكى فى إيجاز ، وكان هناك ثلاثة ضباط آخرين يجلسون معه ، وكان هناك خمسة فرق أخرى من عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالى يقفون حول

المنطقة . وكانت السرية التى ترتدى ملابس سوداء تتكون من صفوة فرق إنقاذ الرهائن لدى مكتب التحقيقات الفيدرالى تركز أيضاً على الهدف الذى يريده سوير . كما كانت هناك مجموعة من رجال السلطات المحلية تعمل على تدعيم مسئولى التحقيقات . وبالإضافة إلى ذلك كان هناك حشد من الناس الذين كانوا يشعرون بمزيد من الأسى . كان سوير يعتقد أن من قام بقتل مائتى شخص هو الذى يستحق الشعور بذلك الألم والأسى ولا أحد غيره .

كان سوير يضع خطة محكمة للهجوم تعتمد على الاستعانة بعدد كبير من القوات لمهاجمة بعض الأهداف حتى يتمكنوا من السيطرة على الموقف تماماً بحيث تكون المقاومة لا فائدة منها . فعندما تكون مسيطراً على الموقف تماماً يمكنك السيطرة على النتائج أيضاً ، أو هكذا تقول النظرية .

كان كل عميل بحوزته مسدس ٩ مم نصف أتوماتيك . وكل فريق يوجد ضمن أعضائه من يحمل بندقية رشاشة نصف أتوماتيك وآخر لديه بندقية للهجوم . كما كان جميع أعضاء فريق إنقاذ الرهائن يحملون أسلحة أتوماتيكية من النوع الثقيل معظمها به منظار ليزر إليكترونى .

أعطى سوير إشارة بدء التحرك ، فبدأت الفرق فى التقدم ، وفى أقل من دقيقة ، كان أفراد فريق الإنقاذ قد وصلوا إلى باب الشقة رقم ٣٢١ . بينما قام فريقان آخران بتغطية مكان الهروب الوحيد وهو نافذتان فى الخلف داخل الشقة يطلان على حمام السباحة . اتخذ القناصون أماكنهم ، بينما بقيت مناظيرهم الليزر ثابتة دون حركة . وبعد أن انتظروا بضع ثوان عند باب الشقة رقم ٣٢١ قام أعضاء فريق الإنقاذ باقتحامها ، ولكنهم لم يقوموا بإطلاق النيران .

وخلال دقيقة سمع سوير إشارة انتهاء الاقتحام فأسرع هو ورجاله وصعدوا إلى المبنى الذى به الشقة .

قابل سوير قائد فريق الإنقاذ .

سأله سوير : " هل الشقة خالية ؟ "

هز الرجل رأسه وقال : " ربما ، لقد خدعنا أحدهم وسبقنا إلى هنا " . واستدار برأسه تجاه غرفة النوم الصغيرة الموجودة فى آخر الشقة .

مشى سوير سريعاً إلى هناك ، وسرت فى جسده رعشة حيث كان المكان بارداً جداً مثل الثلاجة ، وكان ضوء الغرفة مضاءً ، وكان هناك ثلاثة من أفراد فريق الإنقاذ ينظرون إلى المساحة الصغيرة الموجودة بين السرير والجدار . نظر سوير هو الآخر وقد هبط قلبه من هول ما رأى .

كان الرجل ملقى ووجهه إلى الأرض وبه العديد من الجروح الواضحة إثر طلقات رصاص فى ظهره ورأسه ، كما كان هناك أيضاً مسدس واثنتا عشرة طلقة مبعثرة على الأرض . قام سوير ، بمساعدة اثنين من فريق الإنقاذ ، برفع الجثة وقلبها وإعادتها مرة أخرى إلى مكانها بالضبط .

نهض سوير وهز رأسه وتكلم فى جهازه اللاسلكى وقال : " أريد فريق الطب الشرعى بأسرع ما يمكن " .

ثم نظر إلى الجثة ولسان حاله يقول : " حسناً ، على الأقل لن يقوم ذلك الشخص بتفجير طائرات أخرى وعلى الرغم من كثرة ما بجسده من جروح ، فإن ذلك ليس بالعقاب الكافى لما ارتكبه ذلك الوغد " . ثم خرج من الغرفة وهو يقبض بقوة على جهازه اللاسلكى ، ولاحظ أن جهاز التكييف يعمل على أعلى درجة سخونة وقد ارتفعت درجة حرارة الشقة إلى ما يقارب الثلاثين

درجة . وقام بتعديل درجة الحرارة سريعاً مستخدماً قلم رصاص حتى لا يسمح أى أثر لبصمات الأصابع إن وجد . استند سوير إلى الجدار وقد انتابته حالة إحباط للحظة . كان يفكر فى تلك الجريمة التى توضح أن المشتركين فى تلك العملية كانوا على مقربة من مباحث التحقيق الفيدرالية ، لأن كونهم يجدون المشتبه به مقتولاً فى شقته يؤكد ذلك . أكان هناك من يفشى الأسرار الخاصة بهم أم أن حادث القتل هذا كان جزءاً من الخطة الموضوعة ؟

قبض سوير على جهازه اللاسلكى ، ثم توجه مرة أخرى إلى غرفة النوم .

الفصل الثانى والعشرون

غادرت سيدنى مبنى تريتن وتوجهت ناحية ساحة انتظار السيارات ، كانت مستغرقة فى التفكير حتى أنها لم تلحظ السيارة الليموزين السوداء إلى أن وقفت أمامها مباشرة . فُتح الباب الخلفى بها وخرج منه ريتشارد لوكاس . كان يرتدى حُلة زرقاء ، وملامح وجهه يميزها أنفه الكبير وعينيان صغيرتان قريبتان من بعضهما جداً لا يفصل بينهما سوى بوصة واحدة تقريباً . كما كان عريض المنكبين وغليظ الرقبة ، مما أعطاه مظهراً مهيباً .

تكلم ريتشارد بنبرة حادة وقال : " إن السيد جامبل يريد مقابلتك " ، وظل ممسكاً بالباب ، واستطاعت سيدنى أن ترى جراب المسدس تحت معطفه ، فلم تستطع الحركة وازدردت لعابها

بصعوبة ثم لمعت عيناها وقالت : " لست متأكدة من أن ذلك يتناسب مع جدول مواعيدى الآن " .

هز لوكاس كتفيه وقال : " كما ترغبين ، لكن السيد جامبل كان يظن أنه من الأفضل التحدث إليك مباشرة ليحصل على ما لديك من معلومات قبل أن يقرر اتخاذ أية خطوة . فهو يرى أنه كلما تمت تلك المقابلة سريعاً ، كان ذلك أفضل لجميع الأطراف " .

أخذت سيدنى نفساً عميقاً ونظرت إلى النافذة السوداء للسيارة الليموزين وقالت : " أين ستتم المقابلة ؟ " .

" فى ضيعة السيد جامبل فى ميدلبرج " ، ثم نظر لوكاس إلى ساعته وقال : " سيستغرق الطريق إليها خمسًا وثلاثين دقيقة وبالطبع سنقوم بتوصيلك إلى سيارتك مرة أخرى بعد انتهاء المقابلة " .

نظرت إليه سيدنى بحدة وقالت : " هل لدىَّ خيارات أخرى ؟ " .

" إن للمرء دائماً خيارات سيدة آرتشر " .

شدت سيدنى معطفها حولها ثم ركبت السيارة . جلس لوكاس أمامها . ولم تطرح عليه المزيد من الأسئلة ولم يتفوه هو بكلمة واحدة ، ولكن عينيه بقيتا ثابتتين عليها .

رأت سيدنى منزلاً ضخماً من الحجارة محاطاً بمساحة كبيرة من الأرض المكسوة بالخضرة والزهور والأشجار . كانت تفكر فى مقابلتها مع جامبل ، وقالت لنفسها : " **يمكنك انتهاز هذه الفرصة للحصول على شىء قد يحل الألغاز المحيطة بك** " . فإذا كان يريد الحصول على إجابات عن أسئلته لها فسوف تبذل هى الأخرى

جهداً للحصول على بعض الإجابات منه . اتبعت لوكاس خلال مدخل له بوابة ذات ضلفتين تفضى إلى ردهة رائعة ومنها إلى غرفة واسعة بها مقاعد مصنوعة من خشب الماهوجنى . وكانت الجدران مغطاة بلوحات مرسومة بالزيت . وكانت هناك نيران ضئيلة فى المدفأة . رأت سيدنى مائدة فى أحد الأركان موضوعاً عليها عشاء لفردين . وعلى الرغم من أنه لم يكن لديها شهية الطعام فإن رائحته كانت مغرية . أغلق باب الغرفة خلفها ، وذهبت إليه لتتأكد من أنه فعلاً قد أغلق بالقفل . ثم التفتت عندما سمعت صوت حركة خفيفة خلفها .

ظهر ناثان جامبل وكان يرتدى قميصاً ياقته وأساوره مفتوحة ووقف بجوار كرسى ذى ظهر عال . جعلتها نظرته الثاقبة إليها تشد معطفها حولها بقوة . وتقدم جامبل إلى الطعام وسألها : " هل أنت جائعة ؟ "

" لا ، شكراً " .

" حسناً ، إذا غيرت رأيك فهناك الكثير من الطعام . أرجو ألا تتضايقى إذا أكلت " .

" هذا بيتك " .

جلس جامبل إلى المائدة وبدأ فى إعداد طبقه ، نظرت سيدنى إليه وهو يملأ كوبين من الشراب الساخن .

رفع جامبل الكوب وقدمه لها .

" لا أظن أننى ـــــ " .

" إننى لا أحب أن أشرب بمفردى ، هذا يجعلنى أشعر وكأننى أنانى . بالإضافة إلى أنك شربت ما قدمته أثناء ركوبنا الطائرة أليس كذلك ؟ " .

أومأت سيدنى أخيراً وخلعت معطفها ببطء وأخذت الكوب منه ، ثم جلست على مائدة العشاء ونظرت إليه بينما بدأ يأكل ، فنظر إليها وقال : " هل أنت متأكدة من أنك لا تريدين أن تأكلى ؟ "

أمسكت سيدنى بكوبها وقالت : " هذا يكفى ، شكراً لك " .

هز جامبل كتفيه ، وبدأ فى قطع قطعة من اللحم وقال : " لقد تكلمت مع هنرى وارتون مؤخراً ، إنه شخص لطيف ويهتم دائماً بمن يعملون معه وأنا أقدر ذلك فى أى صاحب عمل . أنا أيضاً أهتم بمن يعملون معى " .

" إن هنرى دائماً ما يقدم لى النصيحة " .

ضحك جامبل ضحكة خافتة وقال : " هذا رائع ، فأنا لم أجد من يقدم لى النصيحة أبداً . قد يكون ذلك أفضل " .

نظرت سيدنى إلى الغرفة الأنيقة وقالت : " لا يبدو أن ذلك لم يؤثر عليك على الإطلاق " .

استأنف جامبل طعامه وقال : " هل أنت بخير أعتقد أنك فقدت بعضاً من وزنك منذ آخر مرة رأيتك فيها " .

" إننى على ما يرام شكراً لك على سؤالك " ، كانت سيدنى تخلل شعرها بأصابعها بينما كانت تنظر إليه بدقة وتحاول الحفاظ على هدوء أعصابها . فقد كانت تنتظر أسئلته عندما ينتهى ذلك الحديث ، وكانت تفضل الخوض فى الموضوع مباشرة . بعد مضى عشرين دقيقة من الحديث العادى بينهما ، مسح جامبل فمه بمنديل المائدة ، ثم وقف وقاد سيدنى إلى أريكة من الجلد أمام نيران المدفأة . جلست سيدنى هناك ووضعت ساقاً على ساق وأخذت نفساً عميقاً ، بينما بقى جامبل واقفاً بجوار رف المدفأة وهو ينظر إليها .

أخذت سيدنى تحدق إلى النيران للحظة ورشفت بعضاً من شرابها ثم نظرت إليه . وقد قررت أن تبدأ هى بالكلام مادام لم يبدأ هو فقالت : " لقد تحدثت مع هنرى بعد أن تحدثت أنت معه مباشرة " .

أومأ جامبل دون تركيز وقال : " أعتقد أن هنرى قد نبهك بعد حديثى القصير معه " . وعلى الرغم من عدم ظهور أى شيء على ملامح سيدنى فإنها كانت تشعر بالغضب يزداد بداخلها من قدرة جامبل العالية على استفزاز من أمامه للحصول منه على ما يريد . أخرج جامبل سيجاراً من علبة فوق رف المدفأة وسأل سيدنى : " أتمانعين إن دخنت سيجاراً ؟ " .

" كما قلت من قبل ، إن ذلك بيتك " .

" يقول بعض الناس إن تدخين السيجار ليس عادة ، وأنا لست متأكداً من ذلك . فيجب أن يكون هناك سبب لوفاة المرء ، أليس كذلك ؟ " .

أخذت سيدنى رشفة أخرى من شرابها وقالت : " قال لوكاس إنك تريد مقابلتى ، وجدول مواعيدى مزدحم للغاية ، لذلك ، هلا بدأت بالحديث " .

أخذ جامبل عدة أنفاس قصيرة من سيجاره حتى يتمكن من إشعاله قبل أن يجيبها قائلاً : " لقد كذبت علىَّ فى الطائرة ، أليس كذلك ؟ " ، ولم يظهر على نبرة صوته الغضب وذلك ما أدهشها . كانت تفترض أن رجلاً مثل ناثان جامبل كان سيتأجج غضباً عند الحديث فى ذلك الموضوع .

" لا ، لم أكن صادقة تماماً فيما قلت " .

اختلجت ملامح جامبل بعض الشيء ، وقال : " دائماً ما أنسى أنك محامية . أعتقد أن هناك فارقاً بين الكذب وبين عدم الصدق

التام ، ولكنى لا أهتم بالفارق بينهما . إنك كذبت علىَّ وهذا ما سأتذكره " .

" أفهم ذلك " .

" لماذا كان زوجك على متن تلك الطائرة ؟ " ، خرج السؤال فجأة من فم جامبل ولكن ملامحه بقيت متبلدة ، بينما كان ينظر إلى سيدنى .

ترددت سيدنى قليلاً ثم قررت أن تقول الحقيقة بأكملها فقالت : " لقد أخبرنى جاسون أنه عُرض عليه منصب كبير فى شركة تكنولوجيا أخرى تقع فى لوس أنجلوس ، وقال إنه سيذهب لعقد مقابلة عمل هناك " .

" أى شركة هذه ؟ أهى آر . تى . جى ؟ "

" لا ، إنها ليست آر . تى . جى ، لم تكن شركة منافسة لشركتك على الإطلاق . ولذلك لم أعتقد أن إخبارك بالحقيقة أمر ذو أهمية . وبما أنها ليست الشركة التى تظنها فليس من المهم أن تعرف أى شركة كانت " .

نظر جامبل إليها بدهشة وقال : " لِمَ لا ؟ "

" لأن ما قاله جاسون لم يكن الحقيقة ، لم يكن هناك أية عروض لوظيفة جديدة ولا مقابلات عمل ، لقد عرفت ذلك مؤخراً " . قالت سيدنى ذلك بهدوء بقدر ما تستطيع .

أنهى جامبل شرابه وأخذ يدخن سيجاره قبل أن يستكمل كلامه . وكانت سيدنى تلاحظ نفس طريقته هذه مع العملاء الذين يمتلكون ثروات طائلة ، حيث لا شيء يجعلهم فى عجلة من أمرهم ، ويكون وقتك ملكاً لهم .

بقيت نبرة جامبل كما هى ولكن كان يبدو عليه عدم تصديق سيدنى ، وقال لها : " إذن لقد كذب زوجك عليك وأنت كذبت علىّ ، والآن يجب أن أصدق ما تقولين لى كما لو كان حقيقة لا يرقى إليها الشك ؟ " ظلت سيدنى صامتة ، ولم تتمكن من لومه على عدم تصديقها . استطرد جامبل كلامه فى قائلاً : " إنك المحامية الخاصة بى ؛ عليك أن تنصحينى كيف أتعامل مع هذا الموقف يا سيدنى . هل أقبل ما يقوله الشاهد أم لا ؟ "

تكلمت سيدنى فى عجلة وقالت : " إننى لا أطلب منك قبول أى شيء . إذا كنت لا تصدقنى ولديك أسباب لذلك فلن يمكننى عمل أى شيء " .

أومأ جامبل وهو يفكر : " حسناً ، ماذا أيضاً ؟ " .

أجابته سيدنى : " ليس هناك شيء آخر . لقد أخبرتك بكل ما أعلم " .

ألقى جامبل بسيجاره إلى النار وقال : " من خلال تجربتى فى الزواج ثلاث مرات أعتقد أن الزوج قد يخبر زوجته بأى شيء فى ساعات الصفا ، لماذا تختلفين أنت عن ذلك ؟ " .

أجابته سيدنى : " إن جاسون ليس من هذه النوعية ... فهو لم يخبرنى بأى شيء يخص شركة تريتن . وكان يعتبر أن ما يقوم به فى شركتك سرى للغاية ، ولم يكن يطلعنى على شيء منه ، وكان لدى الكثير من الأسئلة ولكننى لم أحصل على إجابة عن أى منها " . وكانت تظهر فى نبرة صوتها المرارة ولكنها هدأت سريعاً واستطردت : " هل حدث أى شيء فى تريتن ؟ وأى شيء له علاقة بجاسون ؟ " ، لم يقل جامبل أى شيء ، وأكملت سيدنى كلامها : " إننى أريد إجابة عن هذا السؤال فعلاً ؟ "

" إننى لا أميل لإخبارك بأى شيء فأنا لا أعلم مع أى جهة تميلين ولكننى أشك فى أنك تقفين فى صفى " ، كان جامبل ينظر إليها بصرامة حتى شعرت باحمرار وجهها . أنزلت سيدنى رجلها ونظرت إليه وقالت : " أعلم أنك تشك فى ـــــ " .

قاطعها جامبل بحدة وقال : " إنك على حق ، فأنا مرتاب فى أمرك . إن شركة آر . تى . جى تضغط علىّ ، والجميع يقول إن شركتى لن تستطع إنجاز أى نجاح إلا بإتمام صفقة سيبركوم . أرأيت حجم المشكلة ؟ " ، لم يسمح لها جامبل بالرد عليه وجلس بجانبها سريعاً ومسك إحدى يديها وقال : " إننى حزين فعلاً لوفاة زوجك وتحت أية ظروف أخرى كان وجوده على تلك الطائرة لا شأن لى به . ولكن عندما يبدأ كل واحد بالكذب علىّ فى نفس الوقت الذى يكون فيه مستقبل شركتى فى مهب الريح ، يصبح الأمر عندئذ بمثابة تهديد مباشر لى " ، ثم ترك يدها .

انهمرت الدموع من عينى سيدنى ، وهبت واقفة وأمسكت بمعطفها وقالت : " إننى لن أهتم بك أو بشركتك الآن ، ولكنى أستطيع أن أخبرك بأننى وزوجى لم نقم بأى جرم فى حقك ، أفهمت ذلك ؟ " ، ولمعت عيناها وهى تنظر إليه وقد شعرت بالضيق الشديد . ثم أضافت : " إننى أريد الذهاب الآن " .

أخذ ناثان جامبل ينظر إليها لمدة طويلة ثم توجه إلى منضدة كانت فى ركن بعيد من الغرفة والتقط الهاتف . لم تتمكن سيدنى من سماع ما قاله . وفى غضون لحظة فتح باب الغرفة وظهر لوكاس .

" من هنا سيدة آرتشر " .

نظرت سيدنى إلى ناثان جامبل وهى فى طريقها للخروج . ورفع جامبل يده محييا إياها وقال بهدوء : " لنكن على اتصال " . وتسببت تلك الكلمات فى رعشة سرت فى جسدها بالكامل .

عادت السيارة الليموزين أدراجها مرة أخرى وفى أقل من خمس وأربعين دقيقة كانت سيدنى تقف أمام سيارتها الفورد فركبتها وأدارت المحرك وانطلقت بها بسرعة . ثم اتصلت بأحد الأرقام على هاتفها المحمول ، فرد عليها صوت ناعس .

" أنا سيدنى يا هنرى ، آسفة إذا كنت أيقظتك " .

" كم الساعة الآن يا سيدنى ، أين أنت ؟ " .

" كنت أريد إخبارك بأننى قد قابلت ناثان جامبل تواً " .

فما كان من هنرى وارتون إلا أن فاق كلية عند سماعه هذه الأنباء وقال : " كيف تم ذلك ؟ " .

" كان بناءً على طلب من ناثان " .

" لقد كنت أحاول التغطية عليك " .

" أعلم يا هنرى وأقدر لك صنيعك " .

" ماذا تم فى هذه المقابلة ؟ " .

" كانت جيدة إلى حد ما بالنسبة لتلك الظروف . وكان هو متحضراً إلى حد ما " .

" حسناً ، هذا جيد " .

" قد لا تكون المرة الأخيرة ولكنى أردت أن أخبرك بما حدث ، وقد تركته تواً " .

" أعتقد أنه فتح الموضوع معك . إننى طبعاً لا أعنى بذلك وفاة جاسون " . ثم أضاف سريعا : " وأنا لا أقصد مطلقا التقليل من حجم هذه المأساة البشعة ـــ " .

قاطعته قائلة : " أعرف ، أعرف يا هنرى . فلا داعى للاعتذار " .

" كيف تركت ناثان إذن ؟ " .

أخذت سيدنى نفساً عميقاً وقالت : " لقد اتفقنا على أن نبقى على اتصال " .

كان فندق هاى ـ آدمز يبعد عن مكاتب شركة تايلر ستون ببضعة أبنية فقط . استيقظت سيدنى مبكراً ، وكانت الساعة تشير إلى الخامسة صباحاً . تذكرت سيدنى بهدوء ما حدث فى الليلة الماضية حيث لم تثمر زيارتها لمكتب زوجها عن أى شيء كما أن لقاءها مع ناثان جامبل قد أخافها كثيراً . وبعد أن أخذت حماماً سريعًا اتصلت بخدمة الغرف وطلبت فنجاناً من القهوة . كان عليها أن تخرج فى السابعة لإحضار آمى وتتناقش مع والديها بخصوص حفل التأبين .

وحينما أتمت سيدنى ارتداء ملابسها وحزم أمتعتها ، كانت الساعة حينئذ السادسة والنصف . كان أبواها معتادين على الاستيقاظ مبكراً ولم تكن آمى معتادة على أن تظل نائمة بعد السادسة والنصف . رد والد سيدنى على الهاتف .

سألته سيدنى : " كيف حالها ؟ " .

" لقد أخذتها والدتك وقد أنهت حمامها تواً ، كيف حالك الآن يا حبيبتى ؟ تبدين فى حالة أفضل " .

" إننى بخير يا أبى ، استطعت أخيراً أن أحصل على قسط من النوم ، لكنى لا أعرف كيف تم ذلك " .

" حسناً ، أنا وأمك سنعود معك ولا نريد أن نسمع منك كلمة لا ، يمكننا أن نعتنى بالمنزل ونستقبل المكالمات وكذلك القيام بالمهام البسيطة والاعتناء بآمى " .

" شكراً يا أبى سأكون عندكم فى غضون ساعتين " .

" لقد حضرت آمى وتبدو مثل الكتكوت المبتل من المطر ، سأجعلها تكلمك " .

سمعت سيدنى سماعة الهاتف وهى تنتقل إلى يد آمى الصغيرة وقالت : " آمى حبيبتى أنا أمك " ، كانت سيدنى تسمع صوت أمها وأبيها وهما يلاطفان الطفلة . تكلمت آمى وقالت : " أهلاً ، هل أنت أمى ؟ " .

" نعم يا حبيبتى أنا أمك " .

" أنت تتحدثين معى ؟ " ؛ أخذت الطفلة الصغيرة تضحك دون توقف للحظة ، فهذه كانت عبارتها المفضلة وكانت آمى دائماً ما تقفز عندما تقولها . ظلت آمى ممسكة بالسماعة وتردد ما تفعله بلغتها التى كانت تفهما سيدنى بسهولة . وكان هناك فى هذا الصباح كعكاً ولحماً مدخناً وعصفورة رأتها وهى تمشى خلف قطة فى الخارج . ابتسمت سيدنى ابتسامة اختفت فجأة بسبب ما قالته آمى فيما بعد .

" أين أبى ، أريد أبى " .

أغلقت سيدنى عينيها وتحركت إحدى يديها على جبهتها ورفعت شعرها إلى الخلف ، وشعرت وكأن لطمة قوية قد ضربتها فى حلقها ، ثم وضعت يدها على السماعة حتى لا ينتقل الصوت .

عندما تماسكت بدأت تتكلم مرة أخرى فى الهاتف وقالت : " إننى أحبك يا آمى . أمك تحبك أكثر من أى شىء ، سأراك بعد قليل ، اتفقنا ؟ " .

" إننى أحبك ، أين أبى ، تعالى حالاً الآن ! " .

سمعت سيدنى صوت والدها وهو يقول لآمى أن تودع أمها .

" إلى اللقاء يا حبيبتى ، سأكون عندك سريعاً " . انهمرت دموع سيدنى بغزارة وقد كان مذاقها مألوفاً بالنسبة لها .

أمسكت أمها بالسماعة وقالت : " حبيبتى ؟ " .

أجابتها سيدنى : " أهلاً يا أمى " . مسحت سيدنى وجهها بكمها وسرعان ما ابتل وجهها مرة أخرى من غزارة دموعها .

" آسفه يا حبيبتى ، كنت أظن أنها ستتكلم معك دون أن تذكر جاسون " .

" أعلم " .

" إنها كانت تنام جيداً على الأقل " .

" سأراك بعد قليل يا أمى " . أغلقت سيدنى الهاتف وجلست واضعة رأسها بين يديها لبضع دقائق ، ثم التفتت إلى النافذة ، حيث فتحت الستائر وأخذت تنظر إلى الخارج . كان ضوء القمر وأعمدة النور المتعددة تنير المنطقة بشكل جيد . وعلى الرغم من ذلك ، لم تر سيدنى الرجل الذى كان يقف فى ممشى صغير من الشارع ممسكاً بمنظار صغير فى يديه وينظر إليها . كان يرتدى نفس المعطف والقبعة اللذين كان يرتديهما فى تشارلوتس فيل . كان يراقبها بدقة بينما كانت هى تتفحص الشارع دون أن تدرى بوجوده . كان ذلك الرجل معتاداً على ممارسة هذا العمل منذ سنوات مضت ، ولذلك كانت عيناه تركزان على كل التفاصيل كوجه سيدنى ، وعيناها بالأخص ، الذى كان يبدو عليه الإرهاق . كانت رقبتها طويلة ورشيقة ، ولكن كانت رقبتها وكتفاها تتقوس إلى الوراء ويبدو عليها القلق . وعندما ابتعدت سيدنى عن النافذة ،

أنزل الرجل منظاره وقد استنتج أنها تشعر بالقلق . بعد أن لاحظ الرجل أفعال جاسون آرتشر المريبة فى المطار فى الصباح الذى تحطمت فيه الطائرة ، كان يشعر بأن لديها ما يكفى من الأسباب للشعور بالقلق والعصبية والخوف أيضاً . ثم استند بظهره إلى الجدار واستكمل عمله .

الفصل الثالث والعشرون

كان لى سوير يحدق خارج نافذة شقته الصغيرة الواقعة جنوب شرق واشنطن ، ففى ضوء النهار كان بإمكانه أن يرى قبة محطة يونيون من خلال نافذة حجرة نومه . ولكن كان يتبقى ثلاثون دقيقة على بزوغ ضوء النهار . لم يكن سوير قد عاد إلى منزله إلا بعد الرابعة والنصف صباحاً ، حيث كان يجرى تحقيقاً فى مقتل عامل تزويد الطائرة بالوقود . وأطلق سوير لنفسه العنان لمدة عشر دقائق أخذ خلالها حماماً دافئاً لكى يصفى ذهنه من كل ما يجرى حوله من أمور غريبة . ثم ارتدى بعد ذلك ثيابه سريعاً ، وأعد كوباً من القهوة وبيضتين وشريحة من اللحم ، كان على الأرجح أنه قد طهاها من أسبوع مضى ، ثم وضع بعضاً من الخبز فى الفرن . تناول سوير تلك الوجبة البسيطة أمام التلفاز بحجرة المعيشة ، والتى كان

الضوء الوحيد بها يخرج من لمبة مكتب صغيرة ، وقد منحه ذلك الضوء الخافت فرصة للجلوس والتفكير بهدوء . وبينما كانت الريح تعصف عبر النوافذ ، أدار سوير رأسه ليتفحص الترتيب البسيط لبيته ، وقد ارتسمت على وجهه علامة حزن وامتعاض . لم يكن هذا حقاً بيته على الرغم من أنه قد مكث به لأكثر من عام كامل . فبيته الحقيقى يقبع فى ضواحى فيرجينيا التى تصطف بها الأشجار ؛ حيث كان بيته هناك مكوناً من طابقين وجوانبه مكسوة بالفلين ، وبه مرآب يتسع لسيارتين ، وجزء مبنى من الطوب فى الفناء الخلفى . أما تلك الشقة الصغيرة فلم يكن يأكل أو ينام فيها إلا على فترات متباعدة خاصة بعد طلاقه من زوجته وقد كان متمسكاً بها ؛ لأنها المكان الوحيد الذى كان يستطيع دفع تكاليفه ، ولكنه لم يشعر يوماً بأنها بيته الحقيقى على الرغم من وجود بعض المتعلقات الشخصية التى جلبها معه ، وعلى رأسها صور أولاده الأربعة التى كانت تظهر أمامه أينما كان . أمسك سوير إحدى الصور ، وكانت لأصغر أولاده والتى تدعى ميج أو ماجى مثلما كان يدعوها الجميع . فقد كانت شقراء وجميلة ، وورثت عن أبيها طوله ، وأنفه الدقيق وشفتيه المكتنزتين . وقد أخذه منها عمله كعميل فى مكتب التحقيقات الفيدرالية طوال سنوات نشأتها الأولى ، وكان مشغولاً فى عمله معظم سنوات فترة مراهقتها . وكانت نتيجة ذلك سيئة للغاية ، فأولاده لا يتحدثون الآن معه على الإطلاق . ومن جانبه هو ، فعلى الرغم من كونه رجلاً كبيراً ناضجاً ، وعلى الرغم من الوظيفة التى يشغلها فإن الرعب كان يتملكه حتى من مجرد محاولة التحدث إليهم مرة أخرى . لكم يأسف على كل ما فاته من متع فى الحياة !

قام سوير بغسل الصحون وتجفيفها وألقى ببعض الملابس المتسخة فى حقيبة شبكية لتكون جاهزة ليأخذها إلى المغسلة ، ونظر حوله ليرى ما إذا كانت هناك أعمال أخرى عليه إنجازها ولكن لم يكن هناك فى الواقع أى شىء آخر ، ثم ابتسم ابتسامة تنم عن لوعته . نظر إلى ساعته فقط على سبيل إضاعة الوقت ، حيث كانت تشير إلى السابعة . وكان عليه أن يذهب إلى عمله بعد قليل . وعلى الرغم من أن طبيعة عمله كانت عبارة عن ورديات خدمة منتظمة ، فإنه كان يتواجد فى عمله كل الأوقات وكان لهذا سبب وجيه ، حيث إن عمله كعميل فى مكتب التحقيقات الفيدرالية كان الشىء الوحيد الذى تبقى له ؛ فدائماً ما تكون هناك قضية جديدة . أليس ذلك ما قالته له زوجته تلك الليلة ، التى انتهى فيها زواجهما ؟ فقد كانت على حق بالفعل ، فهناك دائما قضية جديدة . فى نهاية الأمر ، ما الذى يمكن أن يفعله أو ينتظر حدوثه هنا ؟ لقد مل الانتظار ، فارتدى قبعته ، وثبت مسدسه فى جرابه وهبط الدرج ثم ركب سيارته .

كانت شقة سوير تقع على بعد خمس دقائق من المقر الرئيسى لمكتب التحقيقات الفيدرالية ببنسلفانيا بين الشارعين التاسع والعاشر شمال غرب المدينة . وكان هذا المبنى يضم سبعة آلاف وخمسمائة موظف من إجمال القوى العاملة بمكتب التحقيقات الفيدرالية والتى تقدر بأربعة وعشرين ألفاً . ومن بين هؤلاء السبعة آلاف وخمسمائة موظف ، كان هناك ألف عميل خاص ، والبقية من الموظفين المساعدين والفنيين . وداخل المقر الرئيسى كان يجلس على طاولة اجتماعات كبيرة عميل خاص بارز ، وكذلك حول نفس الطاولة

انتشر موظفون آخرون يتفحصون فى طاعة واجبة أكوام الملفات الموجودة أمامهم ويطالعون شاشات الحاسب المحمول الخاص بهم . ألقى سوير نظرة سريعة على الغرفة وتمطى ، فقد كانوا داخل مركز المعلومات الاستراتيجية وهو منطقة محظور الدخول إليها تتكون من مجموعة من الفرق التى يفصل بينها حوائط زجاجية ومحصنة بجميع أنواع أجهزة المراقبة الإلكترونية المعروفة ، وكان مركز المعلومات الاستراتيجية يستخدم كموقع قيادى لعمليات مكتب التحقيقات الفيدرالية ، وكان معلقاً على إحدى الحوائط صف من الساعات تشير عقاربها إلى التوقيتات المختلفة لأماكن عدة ، واصطفت بإحدى الحوائط الأخرى مجموعة من شاشات العرض التليفزيونية العملاقة . وكانت لدى مركز المعلومات الاستراتيجية اتصالات محصنة بغرفة إدارة الأزمات بالبيت الأبيض ، وبمكتب الاستخبارات المركزية وعشرات الآلاف من الوكالات العاملة على تنفيذ القانون الفيدرالى . لم تكن هناك نوافذ خارجية بالمكان ، وكانت الأرضية مكسوة بسجادة سميكة جعلت منه مكاناً غاية فى الهدوء يصلح لتنظيم التحقيقات الضخمة التى تعتبر على قدر عال من الأهمية . وهذه السفينة الشراعية تجعل من الموظفين خلية نحل منهمكة فى عمل دؤوب مرهق لساعات طويلة . وخلال ذلك كانت القهوة فى سبيلها إلى الإعداد ؛ إذ إن حشد الأفكار وإعمال الذهن يبدوان وكأنهما يسيران جنباً إلى جنب مع الكافيين .

أدار سوير بصره حول المائدة ، حيث كان يجلس ديفيد لونج ، وهو عضو قديم فى فرقة المتفجرات بمكتب التحقيقات الفيدرالية ، محدقاً إلى أحد الملفات . وكان يجلس إلى يسار لونج هيرب براكس ، وهو عميل آخر من وكالة الهجرة والإقامة بـ " تشارلوتس فيل " ، وهى أقرب ما يتبع مكتب التحقيقات الفيدرالية من موقع

تحطم الطائرة . وبجانب براكس جلس عميل من مكتب ريتشموند ، أكثر مكتب ميدانى تابع لمكتب التحقيقات الفيدرالية قرباً من موقع الكارثة . وأمامهم كان يجلس عميلان آخران من المكتب الميدانى للعاصمة بواشنطن بمنطقة بازارد ، والتى كانت حتى نهاية الثمانينيات ببساطة المكتب الفيدرالى لواشنطن ، وذلك حتى أدمجت مع مكتب الإسكندرية بولاية فيرجينيا .

كان مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية لوارنس مالون قد غادر المبنى منذ ساعة ، وذلك بعد أن اطلع بإيجاز على مقتل شخص يدعى روبرت سنكلير ، والذى كان قد عُين مؤخراً كعامل لتزويد الطائرات بالوقود بشركة فيكتور لأنظمة الوقود ، أما الآن فهو يرقد جثة هامدة بمشرحة فيرجينيا . وكان لدى سوير يقين بأن رفع البصمات الذى سيجريه جهاز التحديد الإلكترونى لبصمات الأصابع التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالى ، سوف يكتشف اسماً آخر للسيد سنكلير الراحل . فالمتآمرون فى تدبير خطة كالتى اكتشفها سوير ، نادراً ما يستخدمون أسماء حقيقية لشغل وظائف يستغلونها لاحقاً لإسقاط طائرة .

تم تكليف أكثر من مائتين وخمسين عميلاً للتحقيق فى واقعة تفجير الطائرة للرحلة رقم ٣٢٢٣ . فقد كانوا يقتفون كل أثر ويجرون مقابلات مع أسر الضحايا ويقومون بتحقيقات على أعلى مستوى من الدقة والتفحص مع كل من يشتبه بأن يكون لديه الدافع أو الفرصة لتدمير الطائرة التابعة لشركة ويسترن آيرلاينز . وقد توصل سوير إلى أن سنكلير هو من قام فعلياً بالمهمة القذرة ، إلا أنه لم يستبعد احتمال أن يكون لديه شريك بالمطار . وعلى غرار الشائعات التى تروج فى الصحافة ، فإن الرواية الرئيسية الأولى القائلة بأن سقوط

طائرة شركة ويسترن آيرلاينز يعود إلى أداة تفجيرية هى التى ستظهر بالطبعة الأولى للواشنطن بوست صباح اليوم التالى . ولم يكن هذا يمثل أية مشكلة لدى سوير إذ إن النتائج لا تظهر غالباً بالسرعة التى تتمناها الجماهير قابل فى الواقع قد لا تظهر على الإطلاق .

اندفع مكتب التحقيقات الفيدرالية إلى شركة فيكتور سريعاً إثر عثور أعضاء فريق البحث على دليل مهم للغاية عند الحفرة التى خلفها الانفجار ، وبعد ذلك كان من اليسير إثبات أن سنكلير كان هو عامل تزويد الوقود بالرحلة رقم٣٢٢٣ . والآن لقد لقى سنكلير مصرعه أيضاً ؛ إذ إن أحدهم أراد التأكد من أن سنكلير لن تتاح له الفرصة ليبوح لهم بأسباب تفجير الطائرة .

نظر لونج إلى سوير قائلاً : " لقد كنت على حق يا لى ، فقد كانت نسخة متقدمة للغاية من واحدة من أجهزة التسخين المحمولة الجديدة . فهى أحدث صيحة من ولاعات السجائر ، حيث لا توجد بها أية شعلة ، فقط حرارة هائلة منبعثة من ملف بلاتينى غير مرئى تقريباً " .

رد سوير قائلاً : " لقد رأيت واحدة بالفعل مثلها من قبل ، هل تذكر قضية حرق الممتلكات الخاصة بمبنى مصلحة الضرائب العام الماضى ؟ " .

هز لونج رأسه مؤمناً وقال : " حقاً ، على أية حال فإن هذا الشىء قادر على أن يشع حرارة تُقدر بألف وخمسمائة درجة فهرنهايت . كما أن هذه الحرارة لا تتأثر بالرياح أو البرودة ، حتى إذا ما كانت مغمورة بوقود الطائرة أو ما شابه . وقد زُودت تلك الآلة بوقود يكفى لأربع ساعات ، وقد جُهزت بحيث تشتعل ذاتياً إذا ما انطفأت لسبب أو لآخر ، وذلك عن طريق وحدة إشعال مغناطيسية ملحقة بإحدى جانبيها . وتلك طريقة بسيطة إلا أنها الطريقة المثلى

لتنفيذ ذلك ، إذ يندفع وقود الطائرة إلى الخارج حينما يتم اختراق خزان الوقود . وسرعان ما يصل إلى مجال الشعلة ، وبعدها يحدث الانفجار الهائل " ، وأضاف قائلاً : " فكرة عبقرية حقاً . فولاعة سجائر كهذه من السهل حملها فى الجيب ، وحتى إن تم رصدها بالأجهزة ، فهى تبدو مجرد ولاعة عادية من الخارج " . تصفح لونج صفحات أخرى ، بينما كان العملاء الآخرون ينظرون إليه عن قرب . وقد وصل إلى تحليل آخر قائلاً : " ولم يكونوا فى حاجة إلى عداد لقياس الوقت أو جهاز لقياس الارتفاع . فمن الممكن قياس التوقيت بشكل تقريبى عن طريق التآكل الحمضى . فقد كانوا يعلمون أن الطائرة ستكون بالهواء بعد خمس ساعات من الطيران ، وهذا وقت أكثر من كافٍ " .

أومأ سوير برأسه وقال : " لقد عثر كابلن وفريقه على الصندوقين الأسودين . ومع أن غطاء جهاز التسجيل الذى يحوى بيانات الرحلة كان مفتوحاً على مصراعيه ، فإن الشريط كان لايزال سليماً . وقد أوضحت الاستنتاجات الأولية أن محرك الجناح الأيمن وكذلك أجهزة التحكم التى تمتد عبر هذا الجزء من الجناح قد انفصلت عن جسم الطائرة بعد أن سجل جهاز التسجيل صوتاً غريباً . ويجرى الآن تحليل ضوئى ـ صوتى عليه . ولم تشر قراءة الضغط إلى وجود أية تغيرات جذرية فى ضغط الكابينة ، وبالتالى لم يكن هناك بالفعل أية انفجارات داخل جسم الطائرة ، وهذا أقرب للمنطق ، حيث إننا نعلم الآن أن عملية التفجير قد حدثت فى الجناح الأيسر . وقبل أن يحدث ذلك ، كان كل شيء يسير على ما يرام : لا توجد مشاكل فى المحركات أو فى ارتفاع الطائرة أو فى

كابينة القيادة . بيد أنه حينما بدأت الأمور تسوء ، لم تكن لديهم فرصة للنجاة " .

سأله لونج قائلاً : " وهل توجد تسجيلات لقائد الطائرة تساعد فى حل ألغاز الحادثة ؟ " .

هز سوير رأسه نافياً وقال : " أشياء عادية ، مثل إشارات الاستغاثة التى كانوا يرسلونها . وقد ثبت لنا أن الطائرة كانت تندفع بزاوية ميل مقدارها تسعون درجة من مسافة تُقدر بحوالى ثلاثين ألف قدم ومحركها الأيسر يسير بطاقته القصوى تقريباً . ومن يدرى ما إذا كانوا فى حالتهم الطبيعية فى ظل هذه الظروف ؟ " وصمت لبرهة ثم استأنف فى حزن وأسى قائلاً : " دعونا نأمل ألا يكون أى منهم واعياً فى تلك الأثناء " .

والآن وقد أصبح جلياً أن عملية التفجير كانت السبب وراء سقوط الطائرة ، فقد تولى مكتب التحقيقات الفيدرالية رسمياً جميع التحقيقات . وبما أن القضية بها تعقيدات عديدة وتحديات تنظيمية فائقة ، فسوف يكون مقر مكتب التحقيقات الفيدرالية الرئيسى هو المكتب الأصلى المشرف على التحقيقات ، وكذلك سيكون سوير هو العميل المسئول عن تولى مقاليد الأمور بالقضية وإجراء التحقيقات ؛ وذلك لأن القيادة فى مكتب التحقيقات الفيدرالية مازالت تذكر عمله الدؤوب المتميز فى قضية تفجيرات لوكيربى . بيد أن التفجيرات فى هذه القضية مختلفة إلى حدٍ ما ، فقد وقعت فى سماء الولايات المتحدة ، وقد أحدثت ثغرة على الأراضى الأمريكية . وسوف يترك سوير تولى أمر أسئلة الصحافة ومسألة إدلاء التصريحات للرأى العام لمسئولين آخرين ، فهو دائماً ما يفضل أن يؤدى عمله فى الخفاء .

وقد كرس مكتب التحقيقات الفيدرالية الكثير من الموارد البشرية والمادية لاختراق المنظمات الإرهابية والتى تعمل بالولايات المتحدة ،

وذلك فى محاولة منه لإفساد مخططاتهم الإجرامية لإحداث أعمال تخريبية ووأد هذه المخططات فى مهدها قبل أن ترى النور . غير أن تفجيرات الطائرة ٣٢٢٣ جاءت على حين غرة . فلم تصل أية معلومات إلى شبكة العمل الجبارة الخاصة بمكتب التحقيقات الفيدرالية تشى بوجود عملية بهذا الحجم تلوح فى الأفق . ولإحساسه بعدم قدرته على منع الكارثة من الوقوع ، فقد قرر سوير أن يكرس كل لحظة ، والتى غالباً ما سيُعانى فيها من عدة كوابيس ، فى سبيل أن يقدم المسئولين عن هذه التفجيرات إلى العدالة .

قال سوير : " حسناً ، نحن نعلم ماذا حدث للطائرة . والآن لماذا وقعت تلك الكارثة ومن هم المتورطون الآخرون فيها ؟ دعونا نبدأ بالدافع وراء ارتكابها . ما الحقائق التى توصلت إليها بخصوص آرثر ليبرمان يا راى ؟ " .

كان رايموند جاكسون الشريك الأصغر لسوير فى العمل ، يلعب فى فريق كرة القدم فى جامعة ميتشيجان قبل أن يحسم أمره ويترك دورى كرة القدم ليلتحق بالعمل فى المباحث الفيدرالية . وقد كان أسود اللون عريض المنكبين ، وكان لديه عينان يشع منهما الذكاء ، وطريقة مهذبة فى الكلام والسلوك . فتح جاكسون مفكرة ممسوكة بثلاث حلقات .

قال جاكسون : " يوجد الكثير من المعلومات هنا . لقد كانت صحة الرجل متدهورة للغاية . فقد كان مصاباً بسرطان البنكرياس فى مراحل متقدمة من المرض . وكان يعتقد أنه لن يعيش أكثر من ستة أشهر ؛ إذ إن جميع أنواع العلاج قد توقفت ، غير أنه كان يتناول أنواعاً عديدة من مسكنات الألم ، مثل محلول تشيلسنجر

وهو عبارة عن مجموعة أدوية مكونة من المورفين وأحد أنواع المكيفات ـ على الأرجح كوكايين ـ وهذه الطريقة العلاجية واحدة من استخداماته الشرعية القليلة فى هذا البلد . وقد كان ليبرمان مجهزاً بإحدى تلك الوحدات المحمولة والتى يتم بواسطتها التخلص من العقاقير الزائدة داخل مجرى الدم " .

ظهر على وجه سوير دهشة بالغة ، وعقب فى تعجب قائلاً :

" لم يكن متبقياً فى حياة رئيس مجلس بنك الاحتياطى الاتحادى سوى ستة أشهر فقط ، ولم يكن أحد يعلم بذلك ، من أين لك بمثل هذه المعلومة ؟ " .

" لقد عثرت على زجاجة بها علاج كيميائى فى الكابينة الخاصة بالأدوية بشقته . ثم توجهت من فورى إلى طبيبه الخاص الذى وصف هذا الدواء له ، وذكرت له أننا نقوم فقط باستفسارات روتينية . وقد أوضحت لائحة المواعيد الخاصة به عدة زيارات للطبيب ، بعضها كان لعيادة الطبيب جونز هوبكنز والبعض الآخر لعيادة مايو كلينيك . وقد توتر الطبيب حينما ذكرت له اسم الدواء الذى وجدته بكابينة منزل ليبرمان . فأوضحت أن إخفاء أى جزء من الحقيقة عن مكتب التحقيقات الفيدرالية سيعرضه للمساءلة القانونية ، كما سيورطه فى عدة مشاكل هو فى غنى عنها . وعندما ألمحت إلى إمكانية صدور أمر قضائى بالمثول أمام المحكمة ، إنهار الرجل ، فقد اكتشف غالباً أن المريض قد توفى ، فماذا سيكترث به الآن ؟! " .

" لكن ماذا عن البيت الأبيض ؟ لابد أنهم كانوا يعرفون الحقيقة " .

" إذا ما كانوا يقولون الحقيقة ، فحسب روايتهم لم يكن لديهم علم أيضاً بالموضوع . فقد تحدثت مع رئيس فريق العمل هناك بشأن

ليبرمان . ولا أعتقد أنه قد صدق ما أقوله فى البداية . وكان علىَّ أن أذكره بأن مكتب التحقيقات الفيدرالية مثال الإخلاص والنزاهة . وقد قمت أيضاً بإرسال نسخة من السجلات الطبية إليه . وقد فغر فاه دهشة عند ما رأى تلك السجلات " .

" هذا تحول مثير . فقد كنت دائماً أعتقد أن ليبرمان أحد أعمدة الاقتصاد فى البلاد ، وأنه صلد كالصخر ، ومع ذلك ينسى أن يذكر أنه على وشك أن يغادر الحياة متوفياً بالسرطان ويترك البلاد فى موقف حرج . هذا الكلام غير منطقى على الإطلاق " .

ابتسم جاكسون ابتسامة عريضة وقال : " إننى أسرد الحقائق فقط . وأنت على حق بشأن قدرات الرجل . فقد كان أسطورة حقيقية تمشى على الأرض ، إلا أنه على المستوى الشخصى لم يكن فى وضع جيد " .

تساءل سوير : " ماذا تعنى ؟ " .

قلب جاكسون صفحات مفكرته السميكة ثم توقف وقلب المفكرة ثم ألقى بها إلى سوير . حدق سوير إلى المعلومات الموجودة بها بينما استأنف جاكسون سرد تقريره .

" لقد تم طلاق ليبرمان من زوجته منذ خمسة أعوام بعد زواج دام خمسة وعشرين عاماً . فمن الواضح أنه كان رجلاً لعوبًا ضُبط بخيانة زوجته ، ولم يكن هناك توقيت أسوأ من هذا لافتضاح أمره . فقد كان على وشك أن يمثُل أمام مجلس الشيوخ للتصديق على توليه رئاسة مجلس بنك الاحتياطى الاتحادى ، ومن ثم كان سيضيع عليه المنصب الذى طالما تمناه . وللتخلص من هذا المأزق تخلى ليبرمان عن كل ما يملك تقريباً لزوجته السابقة . وقد توفيت عقب ذلك بعامين ، ومما زاد الأمور تعقيداً أن الشائعات انطلقت بأن صديقته

الشابة التى لا يزيد عمرها على نيف وعشرين ربيعاً لها ذوق يكلف الكثير . وعلى الرغم من أن وظيفة رئيس مجلس بنك الاحتياطى الاتحادى تمنح مركزاً اجتماعياً مرموقاً فإنها لا تدر الدولارات الطائلة كما فى بورصة وول ستريت ، ولذلك كان ليبرمان غارقاً فى الديون . وكان يعيش بشقته القذرة فى كابيتول هيل ، وذلك بعد أن حاول أن يتغلب على ثغرة مالية بحجم وادى كاينون العظيم . ومن الواضح أنها هى صاحبة كومة الخطابات التى وجدناها بشقته " .

تساءل سوير : " وماذا حدث لصاحبته هذه ؟ " .

" لست متأكداً . إلا أننى لن أندهش إذا ما علمت أنها هربت حينما أحست أن منجم الذهب الذى يدر عليها الأموال مصاباً بسرطان البنكرياس فى مراحله المتقدمة " .

" وهل لديك أية فكرة عن مكانها الآن ؟ " .

هز جاكسون رأسه بالنفى وقال : " لقد أوضحت جميع التقارير أنها اختفت تماماً منذ فترة طويلة . وقد اقتفيت أثر العديد من زملاء ليبرمان بنيويورك وسألتهم عنها ، وحسب رواياتهم فإن الفتاة غاية فى الجمال ولكنها تفتقر إلى الذكاء " .

" إن هذا مضيعة للوقت على الأرجح ، لكن على أية حال حاول أن تجرى مزيداً من التحقيقات حولها يا راى " .

أومأ جاكسون برأسه موافقاً .

نظر سوير إلى باراكس متسائلاً : " ألا توجد أخبار عمن سيحل محل ليبرمان ؟ " .

وحينما جاء رد باراكس صعق سوير دهشة للمرة الثانية فى أقل من دقيقة .

قال باراكس : " موافقة بالإجماع على والتر بيرنز " .

حدق سوير إلى باراكس لعدة دقائق ثم دون اسم والتر بيرنز فى مفكرته ، ثم كتب فى الهامش بجانبها كلمة وغد صغير ثم كلمة مشتبه فيه ويليها علامة استفهام .

رفع سوير عينيه من على مفكرته وقال : " من الواضح أن صديقنا السيد ليبرمان كان يستقل قطار التعاسة وسوء الحظ . فلماذا قتل إذن ؟ " .

أجاب باراكس : " لأسباب عديدة ، بما أنه رئيس مجلس بنك الاحتياطى الاتحادى فهو يعد رمزاً للسياسة النقدية الأمريكية ، مما يجعل منه هدفاً للحثالة من أبناء الدول المعادية لنا ، أو زمرة من نشطاء الجماعات الإرهابية المتخصصة فى تفجير الطائرات " .

هز سوير رأسه معترضاً وقال : " لم تعلن أية جماعة مسئوليتها عن التفجيرات حتى الآن " .

ارتسمت على وجه باراكس علامات السخرية وقال : " أمهلهم بعض الوقت . الآن وقد تأكدنا من أن الحادث جاء نتيجة تفجير ، فمن فعل هذا سوف يعلن عنه . فتفجير مواطنين أمريكيين وبعثرة أشلائهم فى الهواء هو الهدف الذى يحيا من أجله هؤلاء الأوغاد " .

ضرب سوير بقبضته الهائلة على المنضدة ، وهب واقفاً وبدأ يمشى بخطوة سريعة ، وكان وجهه أحمر قانياً . فقد بدأت صورة الفجوة التى أحدثها الانفجار فى التربة تغزو أفكاره من حين لآخر . وبالإضافة إلى ذلك فقد تبادرت إلى ذهنه صورة الحذاء الصغير الذى كان يحمله فى يده فى موقع الحادث . فقد حمل جميع أبنائه بين يديه الكبيرتين منذ نعومة أظافرهم فمن الممكن أن يكون أى من

أبنائه من ضمن ضحايا هذه التفجيرات ، أى منهم ! إنه يعلم تمام العلم أن هذه الصور لن تغادر مخيلته مادام حياً .

كان جميع العملاء يراقبونه ويبدو عليهم القلق . فقد كان سوير يتمتع بسمعة طيبة كواحد من أمهر وألمع العملاء بين مجموعة العاملين فى المكتب . فعلى مدار خمسة وعشرين عاماً وهو يرى الكثير من البشر يلقون حتفهم كضحايا لعمليات مماثلة فى البلاد ومازال يهاجم المسئولين عن تلك الحوادث بنفس الحماس والشدة اللذين أظهرهما منذ اليوم الأول لتسلمه عمله ، وكان بطبيعة الحال ينتقى الكلمات التي يصيغ بها تقاريره بدقة متناهية ، إلا أنهم كانوا يدركون جيداً ، عبر كل سنوات العمل معه ، أنه من السهل استثارته فى أية لحظة .

توقف سوير عن السير ونظر إلى باراكس وقال بصوت هادئ ثانية : " هناك ثغرة ما فى هذه النظرية يا هيرب " .

" وما هى ؟ " .

اتكأ سوير على أحد جانبى الحوائط الزجاجية ، وعقد ذراعيه عند صدره العريض واستطرد قائلاً : " إذا كنت أنت إرهابياً يبتغى إحداث ضجة ، فسوف تسعى إلى ذرع قنبلة فى طائرة . وبصراحة ، فإن الأمر ليس صعباً على الإطلاق ـ كى تتناثر أجزاؤها إلى ملايين القطع فى الهواء ، فتتساقط أشلاء الأجساد وترتطم بأسطح المنازل ، وتفاجئ الأمريكيين وهم يتناولون إفطارهم ، وبذلك لا تفسح مجالاً للشك أن هذا انفجار " . توقف سوير للحظة ونظر بدقة لوجه كل عميل على حدة وأضاف : " إن الوضع ليس كذلك فى هذه القضية يا سادة " .

استأنف سوير سيره فى الحجرة وكانت كل العيون تلاحق خطواته . وأضاف قائلاً : " كانت الطائرة متماسكة الأجزاء حينما

سقطت . ولو لم ينفصل الجناح الأيمن ، لكانت جميع أجزائها موجودة بالحفرة . انتبهوا لهذه النقطة . المفترض أن عامل تزويد الوقود فى شركة فيكتور قد تم استئجاره للقيام بمهمة تخريب الطائرة . وهو عمل سرى قام به أمريكى لا ينتمى ـ على حد علمنا ـ إلى أية جماعة إرهابية . ومن الصعب على أن أصدق أن الجماعات الإرهابية قد بدأت فى تجنيد عناصر أمريكية لتنفيذ عملياتها القذرة " .

" نعم لدينا خلل فى خزان الوقود ، إلا أن هذا يمكن أن يكون قد حدث بسهولة من جراء الانفجار واللهب ؛ إذ إن معظم الحمض كان قد اشتعل فى الهواء ، وربما بمزيد من الحرارة كنا لن نعثر على أى أثر له . وقد أكد كابلن أن الجناح لم يكن من الضرورى أن ينفصل عن جسم الطائرة ليرتطم بها ويحطمها ، فمحرك الجناح الأيمن قد دُمر من قبل حطام الأجزاء المتناثرة وقد تمزقت الخطوط الهيدروليكية التى تتحكم فى حركة الطائرة من جراء النار والانفجار ، وكذلك الحركة الديناميكية بالجناح الأيمن وإن ظلت سليمة ، إلا أنها قد دمرت أيضاً . ولذلك لو لم نعثر على الولاعة داخل الحفرة ، لظننا أن الطائرة قد سقطت نتيجة لخلل ميكانيكى مريع . وفى حقيقة الأمر فإن العثور على هذه الولاعة فى هذا المكان كان بلا شك معجزة حقاً " .

ألقى سوير بنظره خلال إحدى الحوائط الزجاجية ثم استطرد قائلاً : " مع وجود كل تلك الدلائل ، ماذا يتبقى لدينا ؟ من الواضح أن أحدهم قد فجر الطائرة إلا أنه أراد أن يجعل الأمر يبدو خلاف ذلك فهو ليس إرهابياً تقليدياً . ولكن ذلك يجعل الصورة أكثر غموضاً . فالمنطق يسوقنا للتفكير فى جميع الاتجاهات . أولاً :

انتهى أمر عامل تزويد الوقود بضربة قاضية ، فقد حزم حقائبه ، وكان فى حالة شبه تنكر ، كما أن الرجل الذى استأجره قد غير خططه بالنسبة له . ثانياً : لدينا آرثر ليبرمان على متن نفس الطائرة " . حملق سوير إلى جاكسون ثم استأنف قائلاً : " لقد كان الرجل يذهب إلى لوس أنجلوس كل شهر بانتظام كالساعة ، على متن نفس الخطوط الجوية كل شهر ، أليس كذلك ؟ " .

ضاقت عينا جاكسون كثيراً وأومأ ببطه ، وقد اتكأ جميع العملاء بغير وعى للأمام وهم يتابعون سوير .

استطرد سوير قائلاً : " ومن ثم فإن افتراض أن الرجل كان فى ذات الرحلة بالمصادفة البحتة غير مقبول على الإطلاق ، ولا يستحق المناقشة أصلاً . وبالنظر بهدوء للمسألة ، إذن فلابد أن يكون ليبرمان هو الهدف ، إلا أن يكون فى الأمر شيء أكبر لا نعلمه نحن . والآن لنجمع أجزاء الفكرتين معاً . مبدئياً ، فإن من قاموا بالتفجيرات فى هذه العملية حاولوا أن يجعلوا الأمر يبدو وكأنه مجرد حادث . وعليه فقد لقى عامل تزويد الوقود حتفه فى النهاية . لماذا ؟ " ، طرح سوير السؤال وجال بنظره فى أرجاء الحجرة .

نطق ديفيد لونج أخيراً وقال : " لا نستطيع أن نسلم بهذا الافتراض . ربما يكون الافتراض بأن يبدو الأمر وكأنه حادث صحيح أو خاطىء ، فهم لا يستطيعون الانتظار حتى تعلن الصحف عن تفاصيل ما حدث بطريقة أو بأخرى ، لذا كان عليهم التخلص من عامل الوقود . بالإضافة إلى ذلك فإن مع افتراض أن تكون الخطة الأصلية هى التخلص من العامل ، فإن عدم ذهابه إلى العمل سيثير الشكوك . وحتى إذا حوّلنا مسار تفكيرنا عن فكرة التخريب

المتعمد ، فإن تنقل الرجل من منطقة إلى أخرى فى المدينة سوف يعيد تفكيرنا إلى هذا المسار رغماً عنا " .

أجاب سوير : " أتفق معك فى الرأى . ولكن إذا كنت تريد أن تسلم بصحة هذا الفرض ، فلماذا لم يجعلوا الأمر يبدو وكأن عامل تزويد الوقود متعصب مجنون ؟ ولأطلقوا رصاصة على صدغه ، تاركين وراءهم المسدس ، وورقة انتحارية مدوناً عليها عبارات مثل " أكره أمريكا " أو ما شابه ذلك ، ويجعلونا نعتقد أن الرجل يعمل بمفرده . أما أن يفرغوا فى جسده عدة رصاصات ، ويتركوا وراءهم دلائل تشير إلى أن الرجل كان على وشك الهروب ، فذلك لم يدع مجالاً للشك بالنسبة لنا أن هناك أشخاصاً آخرين متورطون . فلماذا يكلفون أنفسهم كل هذا العناء ؟ " . أنهى سوير كلامه وحك ذقنه .

أسند العملاء الآخرون ظهورهم إلى الكراسى مرة أخرى وبدت عليهم علامات الارتباك .

نظر سوير أخيراً إلى جاكسون متسائلاً : " هل هناك أية أخبار من فريق الطب الشرعى عن الرجل الميت ؟ " .

رد جاكسون : " لقد حصلت على وعد بأن يكون للموضوع أولوية قصوى وسوف نعلم أى مستجدات عن الموضوع قريباً " .

" وهل ظهر أى شيء آخر فى شقة الرجل ؟ "

" شيء واحد لم نستطع أن نتبينه يا لى " .

ارتسمت على وجه سوير نظرة تنم عن توقعه لهذا الشيء وقال : " لا يوجد وثائق تحديد الهوية الشخصية ؟ " .

قال جاكسون : " نعم ، فرجل يستعد لأن يطلق ساقيه للريح بعد أن قام بتفجير بطائرة ، لن يهرب باسمه الحقيقى . وإذا كان

لديه مثل هذه الوثائق فلابد أن تكون وثائق مزيفة بطريقة متقنة أيضاً " .

" معك حق يا راى ، إلا أنه من الممكن أن يكون قد أخفاها فى مكان آخر " .

رد باراكس قائلاً : " أو أن يكون الشخص الذى قتله قد أخذها " .

قال سوير : " لا يوجد مجال للشك فى هذا " .

وعلى أثر تلك الكلمات فتح باب غرفة مكتب رفع البصمات ودخلت منه مارشا ريد ، وهى سيدة ضعيفة البنية وعلى وجهها قسمات أمومية رقيقة ، وشعرها رمادى وتضع على عينيها نظارة معلقة بسلسلة تتدلى على ردائها الأسود . كانت مارشا واحدة من أمهر العاملين بالمكتب فى مجال بصمات الأصابع . وقد اقتفت أثر أعتى المجرمين على وجه الأرض عن طريق عالم سرى من الأقواس واللوالب والحلزونات .

أومأت مارشا برأسها إلى بقية العملاء الموجودين فى الحجرة وجلست ثم فتحت الملف الذى كانت تحمله .

قالت بلهجة عملية تشوبها نبرة مزاح : " إن روبرت سنكلير هو فى حقيقة الأمر جوزيف فيليب رايكر ، مطلوب القبض عليه فى تكساس وأركنساس فى جريمة قتل وتهم تتعلق بحيازة الأسلحة . صحيفة القبض عليه تتسع لثلاث صفحات كاملة . قضى أول عقوبة بالسجن عندما كان فى سن السادسة عشرة ، وكانت آخر عقوبة من جراء ارتكابه جريمة قتل من الدرجة الثانية والتى قضى على أثرها سبع سنوات فى السجن . وتم الإفراج عنه منذ خمس سنوات . ومنذ ذلك الحين وهو متورط فى عدة جرائم ، من بينها جريمتان قتل بأجر . إنه رجل غاية فى الخطورة . غير أنه كان قد اختفى

منذ ما يقرب من ثمانية عشر شهراً . ولم يعرف أدنى شىء عنه منذ ذلك الحين " .

ظهرت الدهشة على جميع العملاء الجالسين إلى الطاولة

وتساءل سوير فى ريبة : " كيف يحصل شخص كهذا على وظيفة عامل تزويد الطائرات بالوقود ؟ " .

أجاب جاكسون قائلاً : " لقد تحدثت مع ممثلين من شركة فيكتور ، فهى شركة ذات سمعة طيبة . وتبين أن سنكلير أو بالأحرى رايكر لم يكن يعمل لديهم إلا منذ شهر فقط . ولقد كانت لديه أوراق اعتماد ممتازة تفيد أنه كان يعمل بالعديد من الشركات الخاصة بوقود الطائرات فى كاليفورنيا . وقد قاموا بالتحرى عنه تحت اسم سنكلير الذى تقدم به طبعاً . وكان كل شىء على ما يرام . ولقد فوجئوا بالحادثة مثلهم مثل أى شخص آخر " .

تساءل سوير : " وماذا عن بصمات الأصابع ؟ لو قاموا بالتأكد من بصمات أصابعه لعرفوا الرجل على حقيقته " .

نظرت ريد إلى سوير وقالت بنبرة ثقة : " هذا يعتمد على الشخص الذى يأخذ البصمات يا لى . فمن السهل خداع فنى البصمات إذا لم يكن على درجة عالية من الكفاءة وأنت تعلم هذا . إذ توجد مادة صناعية توضع على الجلد بحيث لا مجال لأن تخطئها العين كجلد طبيعى . يمكنك أن تشترى بصمات من على الرصيف وهذا من شأنه أن يجعل من مجرم صاحب سجل إجرامى حافل مواطناً شريفاً محترماً " .

تدخل باراكس فجأة قائلاً : " إذا كان الرجل مطلوباً فى كل تلك الجرائم ، فمن الأرجح أن يكون أجرى جراحة تجميلية غيرت ملامح وجهه . فما أكثر تلك العمليات التى تحيل المرء إلى شخص

آخر ذى شكل مختلف تماماً ، إذ إن الوجه الذى هو عليه بالمشرحة الآن ليس هو ذاته الوجه الموجود بالصور الملصقة التى تفيد بأنه مطلوب فى عدة جرائم " .

نظر سوير إلى جاكسون متسائلاً : " ولكن كيف انتهى الأمر برايكر كعامل لتزويد الوقود على متن الرحلة رقم ٣٢٢٣ ؟ " .

أجاب باراكس : " منذ أسبوع مضى طلب رايكر أن يتم نقله إلى الوردية الليلة التى يمقتها الجميع من الثانية عشرة مساء إلى السابعة صباحاً . وقد كان مقرراً وفق جدول محدد أن تغادر الطائرة ٣٢٢٣ فى تمام السادسة وخمس وأربعين دقيقة فى ذات الوقت كل يوم . وقد أظهر سجل الحركة بالمطار أن الطائرة قد تم تزويدها بالوقود فى الخامسة وخمس عشرة دقيقة . وبما أن معظم الناس لا يحبون العمل فى هذه الوردية ، فكان من البديهى أن يقبلوا طلب رايكر بالعمل فيها " .

تبادر إلى ذهن سوير سؤال آخر قائلاً : " إذن أين هو روبرت سنكلير الحقيقى ؟ " .

أجاب باراكس : " إنه شخص ميت على الأرجح ، وانتحل رايكر شخصيته " .

لم يعلق أحد على هذه النظرية حتى استأنف سوير الحوار بسؤال يثير الدهشة قائلاً : " أو أن يكون روبرت سنكلير هذا شخصاً ليس له وجود فى الأصل " . حتى ريد بدت متحيرة . فكر سوير فى الأمر ملياً ثم قال : " توجد الكثير من المشاكل والعراقيل التى تنجم عن انتحال شخصية شخص حقيقى . فمن الممكن أن تظهر أشياء ، مثل الصور القديمة أو زملاء العمل أو الأصدقاء ، وهى أشياء يمكن أن تقوض عملية الانتحال وتزيح اللثام عنها ، وهناك طريقة أخرى لعمل ذلك " . ضم سوير شفتيه ورفع حاجبيه وهو

يقلب فكرته وأضاف : " لدى فكرة حيال هذه المسالة تقول إننا نحتاج إلى إعادة جميع الإجراءات التى اتخذتها شركة فيكتور حينما أجرت الفحص الشامل الخاص بتاريخ رايكر . هل تستطيع تولى ذلك يا راى مثلما فعلت البارحة ؟ " .

أومأ جاكسون برأسه ودون بعض الملاحظات .

نظرت ريد إلى سوير متسائلة : " هل تفكر فيما أظن أنه خطر على بالك ؟ " .

ابتسم سوير وقال : " لن تكون المرة الأولى التى يُخْلَق فيها شخص من مجموعة أوراق ، مثل رقم التأمين الاجتماعى ، التاريخ الوظيفى ، محلات الإقامة السابقة ، صور فوتوغرافية للتعرف على الشخصية ، حسابات فى البنك ، شهادات تدريب ، أرقام هاتف مغلوطة ، وكذلك شهادات ليس لها أساس من الصحة " . ونظر سوير إلى ريد وأضاف : " وكذلك حتى بصمات مزيفة يا مارشا " .

فردت قائلة : " إذن نحن نتعامل مع مجموعة من المجرمين المحترفين " .

وافقها سوير الرأى قائلاً : " لم أشك لحظة أنهم كذلك يا ريد " .

نظر سوير حول المائدة ثم قال : " أنا لا أبغى أن أجنح بعيداً عن الحقائق ، لذا سوف نستكمل اللقاءات التى كنا قد بدأناها مع أسر الضحايا ، إلا أننى لا أريد أن أهدر الكثير من الوقت فى ذلك . فإن ليبرمان هو المفتاح لحل جميع الألغاز " ، ثم غير سوير فجأة مسار حديثه موجهاً سؤالاً إلى راى جاكسون : " البداية السريعة تسير بسلاسة ، أليس كذلك ؟ " .

أجاب جاكسون : " غاية فى السلاسة " .

وكانت البداية السريعة نسخة خاصة بمكتب التحقيقات الفيدرالية لمراقبة وكشف الجرائم ، وقد استخدمها سوير بنجاح فى الماضى . وتقوم فكرة البداية السريعة على أجهزة تقوم بفحص معلومات مجهولة المصدر والتى تتعلق بتحقيقات كان من الممكن أن تبقى مشوشة ومختلطة لو لم تجمع على هذه الأجهزة . واعتقد مكتب التحقيقات الفيدرالية أن التحقيق المتكامل المتزامن جنباً إلى جنب مع وقت الحصول الحقيقى على المعلومات ، يزيد من فرص النجاح بشكل هائل .

وبالنسبة لعملية الطائرة ٣٢٢٣ ، فإن عمليات التحقيق قد اتخذت من مخزن تبغ مهجور يقع على أطراف بلدة ستاندردزفيل . وبدلاً من أوراق التبغ المخزنة من الأرض إلى السقف ، أصبح المبنى الآن مقراً لأحدث أجهزة الحاسبات والاتصالات والتى تعمل فى شكل ورديات ، وذلك لإدخال المعلومات فى شكل قواعد بيانات هائلة على مدار أربع وعشرين ساعة فى اليوم .

قال سوير : " سوف نحتاج إلى كل معجزة تصنعها عملية البداية السريعة ؛ وحتى هذا لن يكون كافياً " . وصمت للحظة ثم انتبه ثانياً وقال : " هيا إلى العمل " .

الفصل الرابع والعشرون

وقفت سيدنى عند مدخل باب منزلها وبدت علامات الدهشة على وجهها وقالت : " كونتين ؟ "

حدق كونتين رووى إليها من خلال نظارته بيضاوية الشكل وقال : " أيمكننى الدخول ؟ "

كان والدا سيدنى قد خرجا للتسوق ، وبينما كانت سيدنى وكونتين يتجهان ناحية غرفة المعيشة ، استيقظت آمى من النوم وهى تجر دميتها على الأرض . قال رووى : " أهلاً يا آمى " ، ومال ووضع يده عليها ولكن الطفلة الصغيرة ابتعدت عنه . ابتسم رووى لها وقال : " كنت أشعر بالخجل أيضاً عندما كنت فى مثل سنك : ونظر إلى سيدنى وأضاف : " لعل هذا هو ما جعلنى أتجه إلى عالم الحاسبات ، فهى لا تتحدث إليك ولا تحاول أن

تلمسك " ، أطرق رووى وكان يبدو أنه مستغرق فى التفكير ، ثم نظر إلى سيدنى مرة اخرى وتكلم قائلاً : " هل لديك وقت لنتحدث معاً ؟ " .

ترددت سيدنى فى الإجابة عليه .

" أرجوك يا سيدنى ! "

" سأصطحب آمى لأضعها فى سريرها وسأعود اليك بعد بضع دقائق " . حملت سيدنى آمى ومشت .

بعدما ذهبت سيدنى ، بدأ رووى يتجول ببطء فى أرجاء الغرفة وأخذ يتفحص الصور العديدة لعائلة آرتشر المنتشرة على الجدران والموضوعة على الموائد . ثم التفت إلى سيدنى عندما رجعت إلى الغرفة وقال : " لديك طفلة جميلة " .

" إنها شيء رائع بالنسبة لى " .

" بالأخص الآن ، أليس كذلك ؟ "

أومأت سيدنى مؤمنة على كلامه .

أخذ رووى يحدق إليها وقال : " لقد فقدت كلا والدى فى حادث تحطم طائرة عندما كنت فى الرابعة عشرة " .

" يا إلهى ! " .

هز رووى كتفيه بعدم اكتراث قائلاً : " لقد مضى وقت طويل على ذلك ، ولكننى أقدر ما تشعرين به أكثر من أى شخص آخر . لقد كنت طفلاً ، ولم يبق أى شخص لى " .

" أعتقد أننى محظوظة فى هذا الشأن " .

" إنك كذلك فعلاً يا سيدنى وعليك أن تتذكرى ذلك دائماً " .

أخذت سيدنى نفساً عميقاً وقالت : " هل تحب أن تتناول شيئاً ؟ " .

" شاى إذا كان ممكناً " .

بعد مضى بضع دقائق كانا يجلسان على الأريكة فى غرفة المعيشة . وكان رووى يضع طبق فنجانه على ركبته ، بينما كان يرتشف الشاى . ثم وضع فنجانه ونظر إلى سيدنى وكان يبدو عليه الارتباك والحيرة وقال : " أولاً ، أود أن اعتذر لك " .

" كونتين ـــــ " .

رفع رووى إحدى يديه وقال : " إننى أعلم ما ستقولين ، ولكننى لم أتعامل معك بطريقة لائقة كالكلام الذى قلته لك والطريقة التى عاملتك بها ، فأحياناً لا أفكر قبل أن أتكلم ، ويغلب علىّ هذا الطبع . وهذا ما أكون عليه فى حقيقة الأمر . فأنا لا أجيد التعبير عن نفسى ، وأعلم أننى أبدو أحياناً غير مهتم بمشاعر الآخرين ، لكنى فى الحقيقة لست كذلك " .

" أعلم ذلك يا كونتين ، لقد كنا دائماً على علاقة طيبة ، فالجميع في شركة تريتن يرون أنك الأفضل ، وأعلم أن جاسون كان يحبك أيضاً . ويكفى أن تعرفى أننى أجد أن التعامل معك أسهل بكثير من التعامل مع ناثان جامبل " .

رد رووى سريعًا وقال : " أنت والباقون يرون ذلك . بما أنك قلت ذلك ، أعتقد أنه يجب أن أوضح لك أننى تعرضت لضغوط شديدة ؛ لأن جامبل يحاول جاهداً إتمام صفقة سيبركوم والفكرة التى تسيطر علينا الآن أننا قد نخسرها ولن نتمكن من إتمامها " .

" حسناً ، أعتقد أن ناثان يفهم جيداً ما يحدث " .

أومأ رووى وهو شارد الذهن وقال : " الشيء الثانى الذى أريد إخبارك به هو كم أنا حزين لما حدث لجاسون . لقد كان جاسون هو الشخص الوحيد الذى ارتبطت به فعلاً فى تلك الشركة . وكان نابغاً فى المجال التكنولوجى مثلى تماماً ، وكان يستطيع عرض أفكاره

جيداً والتعبير عن نفسه ، وكما قلت من قبل ، فإن هذا ما أفتقده " .

" أعتقد أنك تستطيع التغلب على الأمر جيداً " .

لمعت عينا رووى وقال : " حقاً ؟ " ثم تنهد وقال : " أعتقد أن معظم الناس بالإضافة إلى جامبل يستغلون الظروف " .

" إننى أتفق معك ولكننى لا أنصحك بالتشبه به " .

وضع رووى الشاى وقال : " أعلم أننا نختلف كثيراً عن بعضنا " .

" من الصعب المجادلة بشأن النجاح الذى حققه كل منكما " وتحولت نبرة رووى وبدا عليه الأسى وهو يتكلم : " هذا صحيح " بالنسبة لحجم الأموال الضخمة . فعندما بدأت العمل كان لدىَّ الكثير من الأفكار الرائعة ولكن ينقصنى رأس المال لتحقيقها ، ثم أتى ناثان " . وكان تعبير رووى غير سار على الإطلاق .

" ليس ذلك فقط يا كونتين ، فأنت لديك رؤية مستقبلية . وأنا أفهم تلك الرؤية للدرجة التى يفهمها أى مبتدئ فى المجال التكنولوجى . وتلك الرؤية هى التى تدير صفقة سيبركوم " .

ضرب رووى على يديه وقال : " بالضبط يا سيدتى فالأحداث التى لا يمكن تصديقها كثيرة . والتكنولوجيا التى ابتكرتها سيبركوم فائقة بدرجة كبيرة ومهمة كما لو كانت توازى ما قدمه جراهام بيل " ، بدت عليه علامات الانبهار وهو ينظر إليها ثم أضاف :

" ألم تلاحظى أن العيب الوحيد فى شبكة الإنترنت يتمثل فى ضخامة حجم المعلومات التى تحتويها ؛ ولذلك فإن من يقدمون على استخدامها يجدون صعوبة فى الحصول على أقصى فائدة منها ، حتى أبرع مستخدمى الحاسبات " .

" ولكن مع سيبركوم هل سيختلف الأمر ؟ "

" نعم بالطبع " .

ابتسمت سيدنى قائلة : " على أن أعترف ، بأنه بالرغم من عملى فى هذا الموضوع العديد من الشهور ، إلا أننى لست متأكدة مما توصلت إليه سيبركوم بالضبط . ونادراً ما يتدخل المحامون فى تلك المسائل الفنية ، وخاصة هؤلاء الذين لم يتفوقوا أبداً فى مجال العلوم مثلى " .

رجع رووى بظهره إلى الوراء ، وقد شعر بالارتياح بعد أن تطرقا إلى الحديث عن الحاسبات ، وقال : " بلغة من هم ليسوا من أرباب المهنة ، إن سيبركوم لم تفعل شيئاً أقل من اختراع الذكاء الصناعى وهذا ما يطلقون عليه الوسائط الذكية والتى سوف تستخدم على نطاق واسع لتصفح روافد لا تحصى من شبكة الإنترنت بسهولة فائقة وما شابهها " .

" الذكاء الصناعى ؟ كنت أظن أن ذلك موجود فى الأفلام فقط " .

" ليس على الإطلاق ، فهناك درجات من الذكاء الصناعى بالطبع وما يتوفر لدى سيبركوم على درجة كبيرة جداً من التطور لم أرها من قبل " .

" كيف يعمل ذلك بالضبط ؟ "

" لنفترض أنك تريدين معرفة كل المقالات التى كتبت حول موضوع معين مثير للجدل ، والحصول على ملخص لهذه المقالات ، وإعداد قائمة بالآراء المؤيدة والمعارضة وأسباب وتحليل كل طرف لأسبابه وهكذا ، وإذا كنت تحاولين القيام بكل ذلك بمفردك من خلال شبكة الإنترنت وما وصلت إليه من تعقيدات يصعب استخدامها ، فإنك ستظلين هكذا للأبد . فكما قلت لك من قبل ، إن كمية المعلومات الهائلة التى تحتويها شبكة الإنترنت هى عيبها

الأكبر . كما أن الجنس البشرى غير مؤهل جيداً للتعامل مع شىء بهذا المستوى . ولكنك فى النهاية تستطيعين التغلب على ذلك العائق فجأة كما لو أن أشعة الشمس قد وصلت إلى سطح كوكب بلوتو لتنيره " .

" وهل هذا ما فعلته سيبركوم ؟ " .

" إننا إذا تعاونا مع سيبركوم فستتمكن من البدء فى تشغيل شبكة لاسلكية تعتمد على القمر الصناعى والتى تتناسب مع أصحاب البرامج التى ستكون على كل حاسب فى أمريكا وحتميًا فى العالم بأسره . وببساطة ، فإن تلك البرامج من أكثر البرامج التى يمكن أن يعتاد عليها المستخدمون بدرجة عالية من السهولة لم أشهدها من قبل ، وهى تسأل المستخدم عن المعلومة التى يريد الحصول عليها بالتحديد ، كما أنها تطرح أسئلة إضافية عند الضرورة ، ثم تدخل على شبكتنا المعتمدة على الاتصال عبر الأقمار الصناعية وتقوم بالبحث فى كل جزىء من الحاسبات التى تطلق عليها شبكة الإنترنت إلى أن تقوم بتجميع إجابة دقيقة عن كل سؤال طرحته وكل ما لم تكن لتدركه أو تصل إليه بتفكيرك . وأفضل ما فى الموضوع تميزها بالمرونة العالية بحيث يمكن للعملاء أن يقوموا بالتكيف والاتصال بأى رافد متاح للشبكة . وهذا عيب آخر فى شبكة الإنترنت وهو عدم قدرة الأنظمة على الاتصال ببعضها البعض . ويمكنها أداء هذه المهمة أسرع من أى إنسان بمليارات المرات ، كما لو كانت تقوم بفحص كل قطرة من مياه نهر النيل بدقة فى بضع دقائق ، بل وأسرع من ذلك . وفى النهاية يمكن لمصادر المعلومات الهائلة التى تظهر على الشبكة والتى تزيد بصورة كبيرة يومياً أن تسجل على موقع خاص للمتصفح الذى يحتاج لهذه المعلومات " . ونظر رووى إلى سيدنى باهتمام ثم استطرد : " وليس

الأمر مقصوراً على ذلك فحسب ، بل إن علاقتها بشبكة الإنترنت ما هو إلا جزء صغير من تلك الأعجوبة ؛ إذ إنها تزيد من مستوى السرية إلى درجة غير مسبوقة وذلك يؤدى إلى الحفاظ على البيانات الخاصة بكل شخص وتقوم أيضاً بتعقب أى دخيل واقتفاء أثره . هل كنت تظنين أن ذلك سيكون متاحاً فى التكنولوجيا الحالية ؟ إن هذه التقنية تعتبر ثورة تكنولوجية ثانية ؛ حيث ستكون هى الآلية المستخدمة فى نقل البيانات ومعالجتها فى القرن القادم . كما ستكون الزاوية فى البناء والتعليم والتفكير . إن هذه التقنية لا تعتبر أجهزة الحاسب مجرد ماكينات صامتة تعمل وفقاً لتعليمات معينة يتم إدخالها بواسطة المفاتيح . وتقوم الحاسبات التى تعتمد على الصور باستخدام قدراتها الفكرية العالية لتفكر بنفسها وتقوم بحل المشاكل لنا بطريقة فائقة . وسيؤدى ذلك إلى التخلى عن العديد من الأشياء ، بما فيها خط إنتاج تريتن الموجود حالياً ، وستعمل على تغيير كل شىء مثلما فعلت ماكينة حرق الوقود فى العصر الذى كانت تسود فيه العربات التى تجرها الأحصنة ، بل أكثر من ذلك بكثير " .

تعجبت سيدنى قائلة : " يا إلهى ، أعتقد أن المكاسب المنتظرة ـــــ " .

" نعم ، إننا سنحقق المليارات من مبيعات تلك البرامج ، وأجور الشبكة بحيث سيحتاج كل من يريد أداء أى عمل فى العالم بأسره لأن يتصل بنا على الشبكة . وهذه مجرد البداية " . وبدا على رووى بوضوح عدم الاهتمام عند هذا الجزء من المعادلة ، واستكمل رووى حديثه : " ومع كل هذا ، لايزال جامبل غير قادر على رؤية وفهم ما يحدث ... " وفجأة هب رووى واقفاً وبدا عليه القلق ثم حاول

السيطرة على نفسه وجلس مرة أخرى ، وقد احمر وجهه ثم قال : " إننى آسف ، أحياناً أنفعل جداً " .

" كل شىء على ما يرام يا كونتين ، إننى أفهمك ، كان جاسون يشترك معك فى اهتمامه بصفقة سيبركوم ، أعلم ذلك " .

" لقد دارت بيننا العديد من الحوارات بشأن هذا الموضوع " .

" إن جامبل على دراية كاملة بالنتائج التى ستترتب على حصول أية شركة أخرى على صفقة سيبركوم وأعتقد أنه سيتولى بنفسه أمر السجلات " .

أومأ رووى وقال سريعاً : " أتمنى ذلك " .

نظرت سيدنى إلى الأزرار الألماظ التى يضعها رووى فى قميصه وكان ذلك هو المبالغة الوحيدة لدى الرجل وهى شىء يمكن التجاوز عنه . فعلى الرغم من ثرائه الفاحش ، فقد كان رووى يعيش حياة بسيطة للغاية مثل تلك التى كان يعيشها منذ عشر سنوات حينما كان طالباً بالجامعة . قطع رووى أخيراً الصمت السائد : " فى الحقيقة لقد تحدثت مع جاسون كثيراً بشأن المستقبل ، وقد كان شخصاً إيجابياً جداً " ، كان يبدو عليه مشاطرة سيدنى أحزانها العميقة كلما ذكر اسم جاسون ثم قال : " أعتقد أنك لن تعرفى شيئاً عن صفقة سيبركوم بعد الآن ، أليس كذلك ؟ "

" إن المحامى الذى سيحل محلى على مستوى عال جداً من التميز وبذلك لن تخسروا أى شىء " .

بدا على رووى عدم اقتناعه بالمرة ورد قائلاً : " حسناً " .

نهضت سيدنى ووضعت يدها على كتفه وقالت : " سيحصلون على تلك الصفقة يا كونتين " ، وأشارت إلى فنجانه الفارغ وقالت : " أتريد مزيداً من الشاى ؟ "

تراجع للخلف وظل مستغرقاً فى تفكير عميق وهو يفرك يديه بعصبية ورد قائلاً : " ماذا ؟ لا ، أشكرك " . وعندما نظر إلى سيدنى ، اعتقدت أنها تمكنت من معرفة ما يدور برأسه .

" لقد تقابلت مع ناثان مقابلة مفاجئة مؤخراً " .

أومأ رووى ببطء ، وقال : " لقد أخبرنى بذلك " .

" إذن ، إنك على علم بالرحلة التى قام بها جاسون ؟ "

" رحلته التى قال لك عنها إنه ذاهب لعقد مقابلة عمل ؟ "

" نعم " .

جاء سؤال رووى مباشراً لها : " مع أية شركة ؟ "

ترددت سيدنى قليلاً ثم قررت الإجابة عن ذلك السؤال : " إنها شركة أليجرابورت تكنولوجى " .

صاح رووى قائلاً : " هذا مزحة ، إن شركة أليجرا بورت ستترك مجال العمل فى أقل من سنتين لأنهم كانوا فى مأزق منذ فترة وجيزة وقد حاولوا تجاوزها ، ولكنهم سيجدون أنفسهم متأخرين بمراحل عن الشركات المنافسة . وفى صناعتنا هذه إذا لم تطور الشركة نفسها وتبتكر شيئاً جديداً كل يوم ، فسوف يكون مصيرها الإفلاس . هذا بالإضافة إلى أن جاسون لم يأبه مطلقاً بالعمل لديهم " .

" إنه لم يكن ليعمل لديهم بالفعل لأنهم لم يسمعوا عنه مطلقاً " .

كان من الواضح أن رووى على علم مسبق بتلك المعلومة فقال : " أيمكن أن يكون هناك شىء آخر ... لا أعلم كيف يمكننى طرح ذلك ... " .

" أتقصد شيئاً شخصياً ؟ امرأة أخرى ؟ " .

تمتم رووى كما لو كان طفلاً محرجاً وقال : " كان لا يجب ألا أقول ذلك ، فذلك ليس من شأنى " .

" لا ، كل شيء على ما يرام ، لا أستطيع أن أقول إن تلك الفكرة لم تخطر على بالى مطلقاً . بيد أن علاقتنا معًا فى الآونة الأخيرة ، كانت على أفضل ما تكون " .

" إذن ، لم يخبرك أبداً أن شيئاً يحدث فى حياته ؟ أى شيء يجعله ... يجعله يسافر إلى لوس أنجلوس ؟ ألم يخبرك بحقيقة الأمر ؟ " .

بدا على سيدنى الحذر . ألا يمكن أن يكون ذلك فخاً منصوباً لها ؟ وأليس من الممكن أن يكون جامبل قد أرسل رووى ليحصل منها على بعض المعلومات ؟ ولكنها عندما نظرت إلى رووى ورأت تعبيراته التى يظهر عليها الاضطراب ، تمكنت سريعاً من معرفة أن رووى قد أتى بمفرده كمحاولة منه لاستنتاج ما حدث لصديقه .

" لم يخبرنى جاسون بشيء على الإطلاق لأنه لم يتحدث معى عن العمل أبداً . ولم يكن لدىّ أية فكرة عما كان يفعله وكم أتمنى الآن أن لو كنت قد عرفت ما يدور ، فالشيء الذى يضايقنى جداً هو عدم معرفتى بأى شيء " . أخذت سيدنى تقلب الأمر فى ذهنها وما إذا كان من الحكمة أن تسأل رووى عن الأقفال الجديدة الموجودة على باب مكتب جاسون وما قالته لها كاى فينسينت أم لا وأخيراً قررت ألا تفعل .

بعد فترة وجيزة من الصمت الذى ساد بينهما بدأ رووى بالكلام : " لقد أحضرت متعلقات جاسون فى سيارتى والتى ذهبت من أجلها إلى المكتب . بعدما كنت وقحاً معك للغاية رأيت أنه لكى أكفر عن خطئى ، يجب أن أحضرها لك بنفسى " .

" أشكرك يا كونتين ، صدقنى عندما أقول لك إننى لا أضمر لك أى ضغينة ولكنه وقت عصيب علينا جميعاً " .

شكرها رووى بابتسامة بينما وقف وقال : " يجب أن أذهب الآن ، سأحضر لك الصندوق ، وإذا احتجت لأى شيء اتصلى بى على الفور " ، وبعدما أحضر رووى متعلقات جاسون ودع سيدنى ثم استدار ليغادر . وضعت سيدنى يدها على كتفه وقالت : " لن يستمر ناثان جامبل فى الصعود على كتفك للأبد ، فالجميع يعلم من هو الشخص الحقيقى الذى يقف وراء النجاح الذى تحققه شركة تريتن جلوبال " .

بدا على وجه رووى الدهشة وقال : " أتعتقدين ذلك فعلاً ؟ "

" من الصعب إخفاء العباقرة " .

تنفس رووى بعمق وقال : " لا أدرى ، ولكن جامبل دائماً ما يدهشنى فى هذا الشأن " .

ثم استدار مرة أخرى ومشى ببطه ناحية سيارته .

أسرته تتلقى تهديدات من الأشخاص الذين كرس حياته للقضاء عليهم . كل ذلك من أجل تحقيق العدالة وكى يجعل العالم - إن لم يكن أفضل - فعلى الأقل أكثر أماناً ، وهو هدف نبيل ولكنه لا يبدو مقنعاً عندما تحاول تفسيره لطفلة تبلغ من العمر ثمانى سنوات وهى تسأل لماذا سيتخلف والدى عن حضور مباراة البيسبول أو حفل موسيقى أو مسرحية مدرسية . كان لى يدرك أن كل ذلك قد انقضى كما أن بيج قد ذهبت أيضاً . وبما أنهما كانا يعشقان بعضهما بدرجة كبيرة ، كانا يعتقدان أنهما يستطيعان التغلب على أية صعوبات وقد فعلا ذلك بالفعل لفترة طويلة . ومن المفارقات العجيبة أن علاقته مع بيج قد أصبحت الآن أفضل عما كانت عليه منذ سنوات مضت .

أما أطفاله فإن وضعهم يختلف ، وقد كان يتحمل شدة اللوم الذى يتعرض له منهم لما يشعرون به من تجاهله وإهماله لهم ، وكان يعتقد أنه يستحق هذا اللوم . وقد بدأ أولاده الثلاثة الآن فقط فى محادثته فى بعض الأمور التى تخصهم ، غير أن ميجى قد ابتعدت عنه تماماً ، فهو لم يعرف أخبارها وذلك ما كان يؤلمه بشدة ، عدم معرفته أى شىء عنها .

كل فرد لديه الخيارات وقد اختار هو ما يريد . لقد كان يستمتع بعمله الناجح فى مكتبه ولكن كان لذلك النجاح ثمن باهظ . مشى لى إلى المطبخ وأخرج زجاجة عصير باردة ، ثم جلس على المتكأ مرة أخرى ، وأخذ يشرب . لقد كان معتاداً أن يشرب شيئاً بارداً حتى يتمكن من النوم . أنهى لى الزجاجة سريعاً وأسند ظهره إلى المقعد وأغلق عينيه .

الفصل الخامس والعشرون

كانت الساعة قد أوشكت على منتصف الليل عندما وضع لى سوير رأسه على الوسادة بعدما تناول عشاءً سريعاً . ولكنه لم يتمكن من إغماض عينيه على الرغم من شدة الإرهاق الذى كان يشعر به . أخذ لى يدور بعينيه فى أجزاء الغرفة ثم قرر فجأة أن ينهض . مشى فى الردهة بقدميه الحافيتين وهو يرتدى ملابس النوم ، ثم توجه إلى حجرة المعيشة ليلقى بنفسه على متكأ بها ، كانت طبيعة عمل عميل مكتب التحقيقات الفيدرالية لا تتيح له فرصة الاستمتاع بالحياة الأسرية الهادئة . كان دائماً يفوته الكثير من المناسبات والإجازات وأعياد الميلاد . وكان كثيراً ما يبقى لعدة شهور فى العمل دون أن يراه أحد ، كما كان يتعرض لإصابات ومخاطر بالغة أثناء قيامه بعمله وهو شىء مفزع بالنسبة لأية زوجة ، وكانت

رن جرس الهاتف بعد ساعة وأيقظه من سُبات عميق ، وكان لايزال يجلس على المقعد . ثم رفع سماعة الهاتف الموضوع على المنضدة الموضوعة بجوار مقعده .

" نعم " .

" لى ؟ " .

أخذت جفون سوير تتحرك بشكل سريع وغير منتظم وأخيراً تمكن من فتح عينيه . " فرانك ؟ " ، ونظر إلى ساعته ثم قال : " إنك لم تعد تعمل بمكتب التحقيقات الفيدرالية الآن يا فرانك ، أعتقد أن القطاع الخاص قد جعلك تداوم على ساعات عمل منتظمة " .

كان على الجانب الآخر من الخط يجلس فرانك هاردى مرتدياً كامل ملابسه فى مكتب فخم . ويظهر على الجدار الذى خلفه العديد من اللوح التذكارية التى توضح عمله الطويل والمميز فى مكتب التحقيقات الفيدرالية . ابتسم هاردى وقال : " إننا نواجه المنافسة هنا يا لى ، وحتى إذا عملت لمدة أربع وعشرين ساعة فى اليوم فإنك ستشعر بأن ذلك ليس كافياً " .

" حسناً ، إننى لا أخجل عندما أخبرك بأننى أفعل ذلك أيضاً ، ماذا هناك ؟ " .

تكلم هاردى ببساطة قائلاً " : " إنه بخصوص حادث تحطم الطائرة " .

اعتدل سوير فى جلسته وقد استيقظ تماماً الآن وكانت عيناه تحدقان إلى الظلام وقال : " ماذا ؟ " .

" لقد عثرت على شىء يجب أن تراه يا لى . ولكننى لست متأكداً من مغزاه حتى الآن . سأقوم بإعداد كوبين من القهوة . كم يلزمك من الوقت للوصول إلى هنا ؟ " .

" أمهلنى ثلاثين دقيقة " .

" أريد انضباطاً فى المواعيد كما عهدتك دائماً " .

أنهى سوير ارتداء ملابسه فى خمس دقائق ووضع مسدسه داخل الجراب ونزل إلى الشارع وانطلق بسيارته . ثم أرسل تقريراً إلى مقر القيادة ليخبرهم بآخر التطورات . كان فرانك هاردى واحداً من أكفأ العملاء الذين عملوا بمكتب التحقيقات الفيدرالية . وعندما ترك العمل لينشئ شركة الأمن الخاصة به شعر الجميع بافتقاده ، ولكنهم سعدوا لحصوله على تلك الفرصة بعد السنوات العديدة التى قضاها فى الخدمة . كان هاردى شريكاً لسوير لمدة عشر سنوات قبل أن يقرر هاردى ترك العمل . وكانا يمثلان فريقاً متميزاً فى العمل ، وقد تمكنا من إحراز نجاحات فى عدد من القضايا وتقديم المجرمين الفارين إلى العدالة . والكثير من هؤلاء المجرمين الآن يقضى عقوبة الحكم بالسجن مدى الحياة فى العديد من السجون الفيدرالية المنتشرة فى أرجاء البلاد والتى تخضع لأعلى مستويات الأمن .

وإذا كان هاردى يرى أنه قد عثر على شىء مهم من تحطم الطائرة فسيكون كذلك بالفعل . أسرع سوير بسيارته وفى غضون عشر دقائق كان قد وصل وأوقف سيارته فى ساحة الانتظار الكبرى . كان المبنى المكون من أربعة عشر طابقاً فى تايسونز كورنر يضم عدداً من المكاتب أهمها مكتب هاردى .

مر سوير خلال رجال الأمن بعد ما أظهر أوراق إثبات شخصيته ثم استقل المصعد إلى الطابق الرابع عشر . وعندما خرج من المصعد وجد نفسه فى قاعة الاستقبال والتى يبدو عليها الفخامة . كان هناك ضوء خافت يضيء المناطق المظلمة من المساحة الواسعة وكان يوجد خلف مكتب موظف الاستقبال حروف بيضاء يبلغ طولها ست بوصات توضح اسم المؤسسة وهو سيكيورتيك .

الفصل السادس والعشرون

كانت سيدنى آرتشر تراقب ابنتها الصغيرة وهى نائمة . وكان والداها يستغرقان فى النوم فى حجرة النوم المخصصة للضيوف بينما كانت هى تجلس على الكرسى الهزاز فى غرفة آمى ثم نهضت أخيراً وتوجهت ناحية النافذة وأخذت تنظر منها . لم تكن سيدنى ممن يستهويهم السهر ليلاً ، ولكن الظروف التى مرت بها كانت السبب فى شعورها بالقلق وكانت تنام عندما تشعر بالرغبة فى ذلك . كان الظلام يشعرها بالراحة كثيراً كشلال الماء الدافئ ، وكان يشعرها بأن الأحداث التى مرت بها مؤخراً لم تكن حقيقية وليست مؤلمة بالقدر الذى شعرت به هى فعلاً . وعندما ظهر ضوء النهار بدأ الهدوء والراحة اللذان كانت تشعر بهما يبعدان عنها من جديد . فى الغد سيقام حفل تأبين جاسون ، وسيحضر الزائرون إلى بيتها

ليقدموا التعازى ويعددوا مزايا زوجها والحياة الكريمة التى عاشها . لم تكن سيدنى متأكدة إذا ما كانت ستتحمل ذلك أم لا ، ولكنها كانت ترى أنها يجب أن تجبر نفسها على النوم لبضع ساعات .

قامت بتقبيل آمى فى وجنتها وغادرت الغرفة بهدوء ثم مشت فى الردهة وتوجهت إلى حجرة مكتب جاسون الصغيرة . وعندما وصلت إلى الباب قامت بجذب مزلاج كانت قد وضعته هناك ؛ لأن آمى آرتشر والتى تبلغ من العمر عامين كانت تستطيع الوصول إلى أى شىء كعلب مساحيق التجميل ، والمجوهرات وربطات عنق جاسون ، والأحذية ، وحافظة النقود ، وكل شىء لدرجة أنهم ذات مرة وجدوا رخصة سيارة جاسون الكوجار ومفاتيح البيت التى كانوا قد بحثوا عنها فى كل مكان داخل علبة المساحيق . وذات مرة استيقظت سيدنى وجاسون ليجدا علبة كاملة من خيوط الحرير الخاصة بتنظيف الأسنان وقد لفتها حول أرجل السرير الأربع . لقد كان لف مقبض الباب بالأمر اليسير على آرتشر الصغيرة ولذلك كانت هناك مزاليج على معظم الأبواب فى المنزل .

دخلت سيدنى الغرفة وجلست أمام المكتب . كانت شاشة الحاسب السوداء تظهر أمامها ، وكانت تنتظر ظهور رسالة إليكترونية أخرى وظلت تنتظر ولكن لم تصل أى رسائل . دارت ببصرها فى أرجاء الغرفة الصغيرة ، وبما أن كل ما فيها كان يخص جاسون ، فقد كانت تنجذب إليه وأخذت تلمس الأشياء التى كانت مفضلة بالنسبة له كما لو كانت تلك الأشياء ستفصح لها عن الأسرار التى خلفها زوجها بعده . جاء رنين الهاتف ليقطع حبل أفكارها ، اتجهت سيدنى ورفعت السماعة سريعاً ، وظلت للحظة غير قادرة على التعرف على صوت المتحدث ثم قالت : " بول ؟ "

جاء صوت المتحدث قائلاً : " آسف لأننى اتصلت فى ذلك الوقت المتأخر ، ولقد حاولت الاتصال بك فى الأيام الأخيرة الماضية كما تركت لكِ بعض الرسائل لكن دون جدوى ".

ترددت سيدنى قليلاً ثم قالت : " أعلم يا بول ، إننى آسفة لقد كان لدى العديد من ـــــ ".

" يا إلهى ، إننى لم أقل ذلك لأجعلك تشعرين بالذنب يا سيدنى ، لقد كنت قلقاً عليك فحسب بعدما حدث لجاسون ، إننى لا أدرى كيف تسير الأمور معكِ . أعتقد أنك أقوى منى ".

ابتسمت سيدنى ابتسامة صغيرة وقالت : " إننى لا أشعر بهذه القوة الآن ".

جاء صوت بول بروفى جاداً وقال : " إن كل من فى تايلر ستون يقفون إلى جانبك ، وعلى الأخص شريك آخر فى مكتب نيويورك متواجد على مدار أربع وعشرين ساعة لخدمتك ".

" إننى أشعر بتلك المساندة بالفعل ".

" إننى سأطير غداً لحضور الحفل التأبينى ".

" لست مضطراً لعمل ذلك يا بول ، فأنا أعلم أن لديك العديد من الأعمال التى يجب عليك إنجازها ".

" ليس لهذه الدرجة ، إننى لا أدرى ما إذا كنتِ تعلمين أننى قد حاولت الحصول على صفقة سيبركوم ".

حاولت سيدنى أن تبقى على صوتها هادئاً وقالت : " حقاً ؟ ".

" نعم ، ولكننى لم أحصل عليها . فقد رفض وارتون عرضى بحدة ".

شعرت سيدنى بالذنب للحظة وقالت : " إننى آسفة لما حدث لك يا بول ، لكن سيكون هناك صفقات أخرى حتماً ".

" أعلم ذلك ، ولكننى كنت أعتقد أننى قادر حقاً على الحصول عليها ". توقف بول عن الكلام . وأخذت سيدنى تدعو الله ألا يسألها إذا ما كان وارتون قد طلب مشورتها فى ذلك الأمر . وعندما بدأ بالكلام مرة أخرى ، شعرت سيدنى بمزيد من الذنب حينما قال: "سأحضر غداً يا سيدنى ، ولا أعتقد أنه يوجد مكان آخر يمكن أن أتواجد فيه ".

أحكمت سيدنى رداءها حولها وقالت : " أشكرك".

" هل يمكننى المجىء من المطار إلى منزلك مباشرة ؟ "

" هذا رائع ".

" اخلدى للنوم يا سيدنى ، سأراك فى الصباح ، إذا احتجت لأى شىء فى أى وقت اتصلى بى على الفور ، اتفقنا ؟ "

" أشكرك يا بول ، طابت ليلتك ". وضعت سيدنى السماعة . كانت تنسجم دائماً مع بروفى ولكنها كانت على ثقة بأن تحت مظهره اللطيف الهادئ يكمن شخص انتهازى بدرجة كبيرة . ولقد أخبرت هنرى وارتون أن بول لا يصلح للعمل فى صفقة سيبركوم والآن يأتى ليشاركها أحزانها . حسناً ، قد تشعر سيدنى فعلا بالحزن ولكنها لا تؤمن بصدق مشاعره لهذه الدرجة فأخذت تفكر فى دافعه الحقيقى.

عندما وضع بول بروفى السماعة أخذ يتفحص أرجاء شقته الفارهة . فعندما تكون فى الرابعة والثلاثين وأعزب وتتمتع بمظهر جذاب وكذلك دخل كبير فإن مدينة نيويورك تكون مكاناً رائعاً للسكنى . ابتسم بروفى ووضع يده على مقعد وثير . فبقليل من الحظ سوف يجنى الكثير من الأموال . وفرص النجاح فى الحياة تتوقف على نوعية الأشخاص الذين تتحالف معهم . رفع سماعة الهاتف

واتصل برقم . جاء صوت المتحدث بعد رنة واحدة فقط وكان صوته سريعاً ويغلب عليه الجدية بعدما عرّف بروفى بنفسه .

قال فيليب جولدمان : " أهلاً يا بول كنت أود أن تتصل بى الليلة " .

الفصل السابع والعشرون

وضع فرانك هاردى شريط الفيديو داخل جهاز الفيديو المستقر أسفل شاشة التلفزيون العريضة في أحد أركان قاعة المؤتمرات ، وقد قاربت الساعة على الثانية صباحاً . جلس لى سوير على واحدٍ من المقاعد الوثيرة وهو يحتسى قدحاً من القهوة ويجول ببصره مبدياً إعجابه بالأثاث والمقتنيات من حوله وقال : " اللعنة ، لابد أن العمل مزدهر وعلى خير ما يرام يا فرانك ، لقد بت أنسى إلى أى مدى أصبح لك شأن عظيم " .

ضحك هاردى وقال : " حسناً ، لو كنت قبلت عرضى لك بالعمل معى ، لما اضطررت أن أذكرك به باستمرار " .

رد سوير قائلاً : " إننى على ما يرام هكذا يا فرانك " .

ابتسم هاردى ابتسامة عريضة وقال : " كنت أفكر أنا و " رينيه " فى الذهاب إلى جزر الكاريبى فى عيد رأس السنة ، يمكنك أن تأتى معنا . أو ربما حتى تستطيع أن تصطحب شخصاً آخر معك " . ثم نظر هاردى إلى زميله السابق منتظراً رده .

" للأسف يا فرانك ، لا يوجد أحد على الإطلاق فى الوقت الحالى " .

" لقد مضى عامان . وقد كنت أظن بعد أن تركتنى سالى أننى على وشك الموت ولم تكن لدى أية رغبة فى أن أخوض تجربة مع أية امرأة أخرى ، حتى ظهرت رينيه فى حياتى . إننى لم أكن قط أسعد حالاً مما أنا عليه الآن " .

" نعم ، خاصة أننى أرى كم تشبه رينيه الممثلة الجميلة ميشيل فايفر إلى حد بعيد ، لذا أستطيع أن أفهم سبب سعادتك البالغة " .

ضحك هاردى وقال : " يمكنك أن تفكر ثانية فى الأمر . فإن رينيه لديها الكثير من الصديقات التى يضاهينها جمالاً . فعادة ما تشغف النساء حباً بالأقوياء ذوى القامات الطويلة من أمثالك . أؤكد لك هذا " .

صاح سوير قائلاً : " معك حق ، لكن مع احترامى لك أيها الصديق القديم الوسيم ، فليس لدى نفس الرصيد الهائل من الدولارات الذى تمتلكه أنت . كما أن مستوى جاذبيتى قد اضمحل قليلاً مع مرور السنين . وإلى جانب هذا ، فإننى مجرد موظف حكومى . ولا يمكننى تحمل نفقات الفنادق الفارهة ، وأعتقد أنك ستسافر إلى أماكن ذات نفقات باهظة " .

جلس هاردى وأمسك بكوب القهوة بإحدى يديه وجهاز التحكم عن بُعد الخاص بجهاز الفيديو باليد الأخرى وقال فى هدوء : " لقد كنت أنوى أن أتكفل بمصاريف الرحلة كاملة يا لى . اعتبرها هدية

مبكرة لعيد رأس السنة ، حيث إننى أعلم أنه يصعب عليك دفع تكاليف مثل هذه الرحلة " .

" شكراً لك على أية حال ، حيث إننى فى الواقع كنت أفكر أن أمضى بعض الوقت مع الأولاد فى إجازة رأس السنة هذا العام . هذا إذا ما وافقوا على استضافتى " .

أومأ فرانك برأسه وقال : " إنى أسمعك " .

" والآن ماذا لديك لتعرضه علىّ ؟ "

قال هاردى : " لقد كانت شركتنا هى المستشار الأمنى الرئيسى لشركة تريتن جلوبال فى السنوات الأخيرة " .

تناول سوير قدح القهوة متسائلاً : " تريتن جلوبال ؟ شركة الحاسبات والاتصالات عن بعد ، إنها من أفضل خمسمائة شركة على مستوى العالم ، أليس كذلك ؟ " .

" لكن من الناحية الفنية ، الشركة غير مؤهلة لأن تنضم إلى تلك القائمة " .

" لماذا ؟ "

" إنها شركة غير حكومية ، وهى ناجحة فى مجالها وتتوسع بسرعة هائلة ، إلا أن هذا التوسع يأتى دون الاستعانة برؤوس أموال من الأسواق العامة " .

" جميل . لكن ما علاقة كل هذا بطائرة سقطت سقوطاً مدوياً على منطقة ريفية بولاية فيرجينيا ؟ "

" منذ عدة شهور يساور الشك شركة تريتن أن هناك معلومة قد تم تسريبها لشركة منافسة . وقد اتصلت بنا الشركة للتحقق من هذا الشك واكتشاف الفاعل إن ثبتت صحة هذه الشكوك " .

" وهل قمتم بهذا فعلاً ؟ "

أومأ هاردى قائلاً : " قمنا أولاً بفحص القائمة التى تضم أسماء الشركات المنافسة التى يمكن أن تكون ضالعة فى هذه المؤامرة ، ثم ركزنا على شركات معينة . وفور قيامنا بتحديد تلك الأسماء ، بدأنا عملية المراقبة " .

" لابد أن تلك العملية كانت فى غاية الصعوبة خاصة مع وجود آلاف الموظفين ، ومئات الشركات " .

" فى بادئ الأمر كانت العملية تحدياً صعباً ، بيد أن المعلومات المتوافرة لدينا قادتنا إلى اعتقاد أن تكون عملية تسريب المعلومات جاءت عن طريق شخص يشغل مركزاً مرموقاً بالشركة ، ومن ثم وضعنا أعيننا على الموظفين المرموقين فى شركة تريتن " .

استرخى لى سوير فى مقعده وأخذ رشفة من قدحه وقال :

وعلى هذا فقد قمتم بتحديد بعض الأماكن " غير الرسمية " التى يمكن أن تكون قد تمت عملية تبادل المعلومات بها ، ومن ثم حددتم المصدر الذى تم من خلاله التطفل على أسرار الشركة ؟ " .

ابتسم هاردى وقال : " أمتأكد أنك لا ترغب فى هذه الوظيفة ؟ "

هز سوير كتفيه رافضاً المجاملة ثم قال : " ماذا حدث بعد ذلك ؟ "

" قمنا بالتعرف على عدد من تلك المواقع " غير الرسمية " وهى أماكن مملوكة للمشتبه فيهم من العاملين بالشركة ، والتى كانت تبدو دون هدف عملى شرعى ، ثم قمنا بوضع كاميرات مراقبة عند كل موقع من تلك المواقع " . ابتسم هاردى متهكماً على زميله السابق وقال : " لا تقرأ علىّ قانون التعدى على خصوصيات الآخرين وقوانين التعدى الأخرى ذات الصلة يا لى . فالغاية تبرر الوسيلة أحياناً " .

" لن أتجادل معك بهذا الشأن . إننى أتمنى أحياناً أن أتبع الطرق المختصرة . لكننا سنواجه مئات المحامين الذين ينادون بعدم دستورية ما نقوم به وهنا يمكن أن أحال إلى التقاعد " .

" على أية حال منذ يومين قمنا بتفتيش روتينى على كاميرات المراقبة الموجودة داخل مخزن يقع بالقرب من مدينة سياتل " .

" وما الذى دفعكم إلى التفتيش فى هذا المخزن على وجه الخصوص ؟ "

" لقد توصلنا إلى معلومات جعلتنا نعتقد بأن هذا المبنى تملكه مجموعة شركات آر . تى . جى . وهذه الشركة تعد واحدة من أكبر منافسى شركة تريتن على مستوى العالم " .

" وماذا كانت طبيعة المعلومة التى تعتقد تريتن بتسريبها ؟ هل هى معلومة تكنولوجية ؟ "

" كلا ، لقد كانت تريتن طرفاً فى مفاوضات تجرى بشأن امتلاك شركة برامج حاسبات ذات ثقل كبير تدعى سيبركوم . ونحن نعتقد أن المعلومات الخاصة بتلك المفاوضات قد تم تسريبها إلى شركة آر . تى . جى وهى معلومات قد تسمح لشركة آر . تى . جى بالتدخل وشراء الشركة نفسها ؛ إذ إنه سوف يتسنى لها معرفة شروط تريتن وموقفها من مسألة التفاوض . وبناءً على ما جاء فى الشريط الذى سوف تشاهده الآن ، قمنا برفع دعوى على شركة آر . تى . جى إلا أنهم أنكروا كل شىء بالطبع . فهم يدعون أن المخزن قد تم تأجيره العام الماضى لشركة أخرى غير تابعة لهم . وقمنا بالتحقق من تلك الشركة ، فوجدنا أنها شركة وهمية لا وجود لها . وهذا يعنى أن شركة آر . تى . جى كاذبة أو أن هناك شركة أخرى تتلاعب بهذا الاسم " .

أومأ سوير قائلاً : " حسناً ، أخبرنى عن علاقة كل هذا بقضيتى " .

ضغط هاردى زر جهاز التحكم عن بعد وبدأت شاشة التلفاز العملاقة فى عرض محتويات الشريط ، وشاهدا المشهد الذى تجرى أحداثه بحجرة صغيرة داخل المخزن ، حيث أخذ الشاب الطويل القامة الصندوق الفضى من الرجل الأكبر سناً . أوقف هاردى الشريط عند هذه اللقطة ونظر إلى وجه سوير الذى ارتسمت عليه علامات الدهشة وأمسك هاردى بمؤشر يعمل بالليز ليشير به إلى وجه الشاب ليبرزه .

" هذا الرجل هو أحد موظفى شركة تريتن جلوبال ، لم نضعه على قائمة المراقبين ، إذ إنه لم يكن ضمن كبار المديرين فى الشركة ، ولم يكن مشتركاً بصورة مباشرة فى المفاوضات الخاصة بشركة سيبركوم " .

" وعلى الرغم من كل هذا ، فمن الواضح أنه هو مصدر تسريب المعلومات . هل تعرفتم على أحد غيره ؟ "

هز هاردى رأسه نافياً وقال : " ليس بعد . وعلى فكرة فالرجل يدعى جاسون دبليو . آرتشر . وهو يقطن بمنزل رقم ٦١١ بشارع مورجان مقاطعة جيفرسون ، ولاية فيرجينيا . ألا يبدو هذا مألوفاً بالنسبة لك ؟ "

ركز سوير تفكيره جيداً فهذا الأسم بدا مألوفاً له ، ثم صدمته الفكرة وكأنها شاحنة تزن نصف طن وقال : " يا إلهى ! " ، وهب واقفاً وعيناه تحدقان إلى الوجه الذى يطل عليه من الشاشة ، حيث تبادر إلى ذهنه الاسم من قائمة الركاب التى تفحصها مئات المرات .

وأسفل الشاشة مرت الصور الرقمية فى استعراض سريع . وكان التاريخ والساعة الموجودان هما ١٧ نوفمبر ١٩٩٥ الساعة الحادية عشرة والربع صباحاً . وقد التقطت عينا سوير السريعتان المعلومة

بلمحة واحدة وقامت بالحساب بسرعة فائقة . سبع ساعات بعد تحطم الطائرة بولاية فيرجينيا ، كان هذا الرجل مازال حياً يرتع فى سياتل وصرخ ثانية متعجباً : " يا إلهى " .

أومأ هاردى قائلاً : " هذا صحيح ، فقد كان اسم جاسون آرتشر مدرجاً ضمن قائمة ركاب الرحلة رقم ٣٢٢٣ ، إلا أنه من الواضح أنه لم يكن موجوداً شخصياً على متن الطائرة " .

أدار هاردى الشريط ثانية إلى أن جاء صوت ارتطام الطائرة مدوياً على الشريط ، فأشاح سوير بوجهه ناحية النافذة وبدا الصوت اللعين وكأن الطائرة متجهة مباشرة ناحيتهما . وحينما نظر ثانية إلى هاردى ، وجد صديقه مبتسماً .

قال هاردى : " لقد فعلت ذات الشىء حينما سمعته لأول مرة " . وكان سوير يشاهد المنظر والرجال الذين يظهرون على الشاشة ينظرون نحو السماء إلى أن اختفى صوت الطائرة . ثم نظر محدقاً إلى الشاشة فمن الواضح أن شيئاً ما قد لفت نظره ، إلا أنه لم يستطع أن يحدده تحديداً قاطعاً .

كان هاردى يراقبه عن قرب ثم قال متسائلاً : " أهناك شىء ؟ "

هز سوير رأسه أخيراً ثم قال : " حسناً ، ماذا كان آرتشر يفعل فى سياتل صباح اليوم الذى حدث فيه تحطم الطائرة بولاية فيرجينيا إذا كان من المفترض أن يكون موجوداً على متن ذات الطائرة المتجهة إلى لوس أنجلوس ؟ أكان فى رحلة عمل خاصة بالشركة ؟ "

رد هاردى على الفور قائلاً : " لم تكن تريتن تعلم حتى بأن آرتشر كان متجهاً إلى لوس أنجلوس ، فما بالك بسياتل . لقد كانوا يعتقدون أنه فى إجازة لبعض الوقت سيقضيها ببيته مع أسرته " .

ضاقت عينا سوير ، باحثاً فى ذاكرته وقال : " ساعدنى على التذكر يا فرانك " .

جاءت إجابة هاردى سريعة وقال : " كان لدى آرتشر زوجة وابنة صغيرة . زوجته سيدنى تعمل محامية لدى شركة تايلر ستون ، وهى المستشار القانونى الرئيسى الخارجى لشركة تريتن . وتتولى الزوجة النواحى القانونية للعديد من أعمال شركة تريتن ، وعلى رأسها عملية محاولة الشركة إتمام صفقة شركة سيبركوم " .

" هذا مثير حقاً ، أو ربما مناسب لها ولزوجها " .

" لابد أن أعترف بأن هذه هى الفكرة الأولى التى تبادرت إلى ذهنى يا لى " .

" إذا كان آرتشر موجوداً بسياتل ، لنقل فى تمام الساعة العاشرة أو العاشرة والنصف فى ذلك الصباح ، فلابد أنه قد استقل طائرة أقلعت فى الصباح الباكر من واشنطن " .

" ولقد كانت هناك طائرة تابعة لشركة ويسترن آيرلاينز ستغادر فى نفس الوقت إلى لوس أنجلوس " .

وقف سوير واتجه ناحية شاشة التلفاز وقام بإرجاع الشريط ثم أوقفه عند لقطة معينة ، وتفحص بدقة كل تفصيلة من قسمات وجه جاسون آرتشر ، ليطبعها فى ذاكرته ، ثم التفت إلى هاردى وقال : " نحن نعلم أن آرتشر كان ضمن قائمة أسماء الركاب بالرحلة رقم ٣٢٢٣ ، إلا أنك تقول إن الشركة التى يعمل بها لم يكن لديها علم بهذه الرحلة . كيف تسنى لهم معرفة أنه كان على متن تلك الطائرة ؟ أو أنه من المفترض أن يكون على متنها . "

سكب هاردى مزيداً من القهوة فى كوبه وهب واقفاً متجهاً ناحية النافذة وقد بدا الرجلان وكأنهما يتحسسان خطاهما أثناء التفكير . واستطرد هاردى قائلاً : " وقد قامت شركة الطيران باقتفاء أثر الزوجة أثناء سفرها فى رحلة عمل إلى نيويورك وأبلغتها الخبر المشئوم . وكان فى هذا الاجتماع مجموعة من العاملين بشركة

تريتن ، ومن بينهم رئيس مجلس الإدارة ، وعلموا بالأمر وقتها ، وسرعان ما علم الجميع بالخبر . ولقد تم عرض هذا الشريط علىّ وشخصين آخرين هما ناثان جامبل رئيس مجلس إدارة تريتن وكونتين رووى المسئول الثانى بالشركة " .

شد سوير شعرة من عنقه ، والتقط قدحاً جديداً من القهوة وأخذ رشفة كبيرة ثم قال : " أكدت شركة ويسترن آيرلاينز للخطوط الجوية أن آرتشر قد ذهب إلى شباك التذاكر وأنه قد أخذ تذكرة السفر الخاصة به ، وإلا لم تكن الشركة لتبلغ عائلته بخبر لم يكن ليحدث كل هذا " .

رد هاردى : " أنت تعلم مثلى تماماً أنه يمكن أن يكون أى شخص آخر قد ركب الطائرة مستخدماً بطاقة شخصية مزورة . كما أنه من الأرجح أن يكون ثمن التذاكر قد تم سداده مسبقاً ، ويستطيع الشخص المزيف أن يحمل حقيبته ، ويعبر أمام أفراد الأمن . فحتى مع وجود إجراءات الأمن المشددة المفروضة حديثاً ، فإن الصورة الشخصية للفرد غير مطلوبة ليستقل الطائرة ، فإن الصورة مطلوبة فقط عند نقطة الدخول أو مع حاملى الحقائب " .

" ولكن هناك شخصاً آخر ركب الطائرة بدلاً من آرتشر حيث إن شركة الطيران لديها تذكرة سفره ، وإذا ركب شخص على متن طائرة فإنه من المستحيل أن ينزل منها أبداً " .

" وأيًّا كان هذا الشخص فهو إما غبى أو شخص ذو حظ عثِر للغاية . وغالباً أنه الاثنان معاً " .

" حقاً ، ولكن إذا كان آرتشر على متن الطائرة المتجهة إلى سياتل فهذا يعنى أنه كانت لديه تذكرة أخرى " .

" من الممكن أن يكون اسمه قد سجل مرتين ، في كل رحلة على حدة . ومن الممكن أن يكون قد استعمل اسماً مستعاراً وبطاقة مزيفة للركوب في رحلة سياتل " .

فكر سوير في هذه الاحتمالات ملياً ثم قال : " نعم هذا صحيح ، أو أن يكون ببساطة قد بدل التذاكر مع الشخص الذى حل محله " .

" أينما كانت تكمن الحقيقة ، فقد وضعت يدك قطعاً على أشياء تفيد عملك " .

أمسك سوير كوب القهوة ثم قال : " ألم يتحدث أحد مع زوجته ؟ " .

فتح هاردى الملف الذى يحمله ثم أجاب : " تكلم معها ناثان جامبل ، ولكن بإيجاز فى مناسبتين . وقد تحدث كونتين رووى معها أيضاً " .

" وماذا كانت روايتها ؟ " .

" فى بادئ الأمر أنكرت معرفتها بأن زوجها كان على متن الطائرة " .

" فى بادئ الأمر ؟ إذن بدلت أقوالها فيما بعد " .

أومأ هاردى ، ثم قال : " أخبرت ناثان جامبل بعد ذلك أن زوجها قد كذب عليها . قالت إنه أخبرها بأنه سيتجه إلى لوس أنجلوس ليجرى مقابلة عمل فى شركة أخرى ليحصل على وظيفة هناك . وقد تبين فيما بعد أنه لم يكن سيقابل أى أحد من شركة أخرى " .

" من قال هذا ؟ " .

" سيدنى آرتشر . أعتقد أنها قد اتصلت بالشركة ، ربما لتخبرهم بأن زوجها لن يستطيع الذهاب إليهم " .

تساءل سوير : " لكن هل تأكدت من صحة هذا الكلام ؟ " .

أومأ هاردى موافقاً . فبادره سوير قائلاً : " وهل هناك أى تقدم بالنسبة للتحقيق ؟ " .

ارتسمت على وجه هاردى علامات الأسى والألم وقال : " لا يوجد أى تقدم يذكر حتى الآن . فإن ناثان جامبل ليس سعيداً على الإطلاق . فهو مازال ينتظر النتائج . لكن كل هذا يحتاج إلى وقت ، وأنت تعلم ذلك . إلا أنه مازال .... " وصمت هاردى لبرهة وتفحص السجادة السميكة . وكان من السهل أن يفهم أن الرجل لا يستمتع بأن يكون متحيراً بشأن أمر ما . ثم استطرد قائلاً : " على أية حال ، فإنه حسب كل من جامبل ورووى على الأقل ، فإن السيدة آرتشر تظن أن زوجها قد لقى حتفه " .

ارتفعت نبرة سوير وقال : " هذا إذا ما كانت تقول الحقيقة ، وحتى الآن يقع كل شىء فى دائرة مفرغة ، إلا إذا " .

نظر هاردى إليه متحيراً .

فهم سوير مغزى النظرة وأرخى كتيفه فجأة وقال : " هذا فقط بينى وبينك يا فرانك ، فإننى أشعر وكأنى غبى فيما يتعلق بحل هذه القضية " .

" لِمَ تقول ذلك ؟ " .

" لقد استقر فى يقينى أن آرثر ليبرمان كان هو الهدف من تفجير الطائرة . ولقد بنيت جميع التحقيقات على هذا الأساس ، لكن بدأت الأمور تأخذ وجهة أخرى " .

" إن التحقيق مازال فى بداياته يا لى . ولم يحدث شىء يجعلنا نتيقن من السبب الفعلى ـ هذا إلى جانب أن ليبرمان قد يكون هو الهدف فعلاً ، بصورة أو بأخرى " .

هز سوير رأسه فجأة ثم توقف وقال : " كيف ذلك ؟ " .

" فكر فى الأمر . فقد أجبت أنت على سؤالك بالفعل " .

فهم سوير أخيراً وجهة نظر هاردى ، وهنا أحمر وجهه وتساءل قائلاً : " هل تعنى أنك تعتقد أن الشخص الذى يدعى آرتشر هو من نظم تفجير الطائرة لأنه اعتقد أن ليبرمان هو الهدف ؟ لا يا فرانك ، دعك من هذا ، إنه احتمال بعيد للغاية " .

رد هاردى عليه الحجة بالحجة وقال : " لو لم يحالفنا الحظ فى العثور على هذا الشريط لكنت مازلت إلى الآن تعتقد صحة هذا الاستنتاج ، أليس كذلك ؟ تذكر أن هناك شيئاً مميزاً بشأن مسألة تحطم الطائرة ، وهى النقطة التى ترتطم عندها الطائرة بالأرض وهى سليمة نسبياً كما حدث هنا " .

شحب وجه سوير بينما كان يفكر فى الأمر ثم قال : " لا توجد جثث أو أى شىء يمكن التعرف عليه ، ولا توجد حتى بقايا جثث يمكن التعرف عليها " .

" بالضبط ، والآن ، لو أن الطائرة قد انفجرت فى الهواء بطريقة تقليدية ، لكان هناك الكثير من الجثث يمكن التعرف عليها " .

بقى سوير مندهشاً بما يكشفه هاردى من أمور ثم رد قائلاً : " هذا الموضوع بالذات يحيرنى ويربكنى بشدة . إذا كان آرتشر قد باع شركته ، وقبض الثمن وكان يخطط للهرب ، كان لابد أن يعى أن الشرطة ستتعقبه حتماً " .

التقط هاردى الخيط ثم أكمل : " حاول أن يغطى آثار فعلته ، ويجعل الأمر يبدو وكأنه استقل طائرة تحطمت وسقطت محدثة حفرة عمقها ثلاثون قدماً . وإذا ما تم اكتشاف آثار أى عمل تخريبى ، فسوف تعتقد منطقياً أن ليبرمان هو المستهدف . وإذا لم يتم العثور على أية أدلة على التخريب ، فإنك لن تبحث عن رجل ميت . وسيتوقف الجميع عن البحث عن جاسون آرتشر وتقفل القضية " .

" لكن يا للهول يا فرانك ، لماذا لم يأخذ المال ويهرب ؟ فإنه ليس من الصعب أن يختفى . كما أن هناك شيئاً آخر ، فلقد لقى الشخص الذى قام بتخريب الطائرة ٣٢٢٣ حتفه رمياً بالرصاص " .

تسأل هاردى : " هل توقيت الوفاة يسمح بأنْ يكون آرتشر قد عاد ثانية وقتله ؟ " .

" لم تتوافر لدينا نتائج تشريح الجثة بعد ، لكن بناءً على ما رأيته من الجثة ، فإنه من المحتمل أن يكون آرتشر قد عاد ثانية إلى الساحل الشرقى فى نفس الوقت ليرتكب جريمة القتل هذه " .

تناول هاردى الملف بينما كان يفكر فى هذه المعلومة الجديدة .

قال سوير : " دعك من هذا يا فرانك ، فى رأيك كم يبلغ الثمن الذى تقاضاه آرتشر مقابل بيع معلوماته إلى الشركة المنافسة ؟ أتراه تقاضى مبلغاً كبيراً بما يكفى لأن يرشو عامل تزويد الوقود ليسقط الطائرة ، ويستأجر شخصاً آخر ليقتل العامل ؟ هذا الرجل الذى كان قبل بضعة أيام يعيش حياة محترمة وله عائلة ؟ الآن أصبح ذا عقل إجرامى خطير يفجر الأطفال والعجائز لتتناثر أجسادهم فى السماء ؟ " .

نظر هاردى لصديقه القديم ، وقد ضم شفتيه ، ثم قال : " لم يفجر هو شخصياً الطائرة يا لى . بالإضافة إلى هذا ، لا تقل لى إنك بدأت الآن فى تحليل أعماق الضمير الإنسانى لشخص ما . إذا لم تخونى الذاكرة ، فإن بعض أسوأ المجرمين الذين اقتفينا آثارهم من قبل كانوا ظاهرياً يعيشون حياة رائعة تبدو وكأنها لقطة من فيلم " Leave It to Beaver " .

لم يبد سوير مقتنعاً بالفكرة ، ثم تساءل : " كم تقاضى من المال فى رأيك ؟ " .

" يمكن أن يكون آرتشر قد تقاضى عدة ملايين فى سبيل تسريب المعلومات " .

" يبدو هذا مبلغاً ضخماً ، لكن أتعتقد أن هذا مبرر كاف لأن يزهق مائتى نفس ليغطى آثار جريمته ؟ مستحيل ! " .

" هناك دليل آخر يدعم رأيى . دليل يجعلنى أعتقد أن جاسون آرتشر كان أشبه بعقل مدبر لعصابة كبيرة على الرغم من المظاهر ، أو ربما يكون يعمل لدى منظمة ما " .

" وما هذا الدليل ؟ "

بدا هاردى محرجاً فجأة وقال : " توجد بعض الأموال التى فقدت من حسابات شركة تريتن " .

" أموال ؟ بكم تقدر تلك الأموال ؟ "

نظر هاردى إلى سوير وجهاً لوجه وقال : " ما رأيك بمائتين وخمسين مليون دولار ؟ "

كاد سوير يسكب القهوة على المائدة وصاح : " كم ؟ " .

" يبدو أن آرتشر لم يكن مهتماً ببيع الأسرار فقط ، بل بالسطو على حسابات الشركة بالبنوك أيضاً " .

" كيف هذا ؟ أعنى شركة كبيرة كهذه لابد وأن يكون لديها نقاط ضبط ومراقبة فى جميع الأماكن " .

" كان لدى تريتن نقاط ضبط وتحكم ، إلا أن هذه النقاط كانت مرتبطة بحصولها على معلومات صحيحة من البنك المودعة به أموالها " .

رد سوير وقد نفد صبره : " لا أستطيع أن أفهم ما تقول " .

تنهد هاردى ووضع كوعيه فوق المنضدة وقال : " فى العصر الذى نحيا فيه الآن فإن نقل الأموال من النقطة (أ) إلى النقطة

(ب) يحتاج إلى حاسب . حيث يعتمد عالم البنوك والأموال على الحاسبات ، إلا أن هذا الاعتماد يحفه الكثير من المخاطر " .

غامر سوير بالرد قائلاً : " مخاطر قد تُحدث مشاكل ، فإن الحاسبات قد يحدث بها عطل أو ما شابه ذلك " .

" أو أن يتم اختراق حاسبات البنك ، وذلك لأغراض غير قانونية . فإن هذا ليس بجديد . تباً ! أتعلم أن المكتب قد أنشأ قسماً جديداً بأكمله للتعامل مع جرائم الحاسبات " .

" أتعتقد أن هذا هو ما حدث فى هذه القضية ؟ " .

جلس هاردى وأعاد فتح ملفه ، محدثاً صوتاً خفيضاً خلال تقليب صفحاته حتى وجد بغيته وقال : " تم فتح حساب جار خاص باستثمارات شركة تريتن جلوبال ، وذلك بواسطة فرع بنك ترست هنا فى شمال فيرجينيا والذى تستثمر تريتن من خلاله أموالها فى البورصة ، وقد تم تمويل الحساب مع مرور الوقت حتى بلغ مجموع الموازنة البنكية إلى مائتين وخمسين مليون دولار " .

قاطعه سوير متسائلاً : " هل كان لـ " آرتشر " أى دخل بهذا الحساب ؟ "

" لا . لم يكن له فى الواقع أية فرصة للدخول عليه ".

" وهل كان هناك الكثير من النشاطات الخاصة بهذا الحساب ؟ "

" فى البداية نعم . لكن مع مرور الوقت ، لم تطلب تريتن شيئاً من الأموال المودعة . فقد كانت أشبه بأموال مودعة إلى أن تحتاج تريتن أو أى من الشركات التابعة لها إلى تمويل " .

" وماذا حدث بعد ذلك ؟ "

" تبين منذ شهرين ماضيين أنه تم فتح حساب جديد بنفس البنك باسم شركة تريتن جلوبال للاستثمارات المحدودة ".

" إذن فقد فتحت ترتين حساباً آخر " .

كان هاردى يهز رأسه نافياً بالفعل وقال : " أبداً ، هنا مربط الفرس ، لم يكن لـ " تريتن " أدنى علاقة به . فقد تبين أنها شركة وهمية بلا عنوان ، أو مديرين أو موظفين أو أى شىء آخر " .

" هل لديك علم بالشخص الذى قام بفتح الحساب ؟ "

" كان هناك موقع واحد للحساب . وكان الاسم الذى قُدم للبنك هو ألفريد رون ، المسئول الرئيسى عن الشئون المالية . وقد آلت التحقيقات التى قمنا بها عن رون إلى لا شىء ، إلا أننا عثرنا على معلومة واحدة مثيرة " .

اندفع سوير إلى الأمام فى مقعده وتساءل : " ما هى ؟ " .

" كان هناك عدد من المعاملات التى تمت من خلال هذا الحساب المزيف . كانت هناك أشياء مثل تحويلات للودائع . وكان توقيع ألفريد رون يظهر على كل هذه الوثائق . وقد قمنا بمطابقة هذه التوقيعات على توقيعات جميع العاملين فى شركة تريتن . ووجدنا من يتطابق إمضاؤه مع هذا التوقيع . خمن توقيع مَنْ ؟ "

أجاب سوير فى الحال : " جاسون آرتشر " .

أومأ هاردى موافقاً .

" إذن ، ماذا حدث للأموال ؟ "

" اخترق أحدهم نظام الحاسب ببنك ترست وقام بإعادة بعض الترتيبات المتقنة فيما يخص الحساب بشكل فائق . فقد تبين أن حساب تريتن وكذلك الحساب المزور قد تم إدراجهما على نفس رقم الحساب " .

" يا إلهى ! كان بإمكانه أن يسرق عربة مملوءة بالأموال بهذه الطريقة " .

" نعم هذا صحيح . فقبل أن يختفى آرتشر بيوم واحد ، كان هناك تفويض يقضى بتحويل مائتين وخمسين مليون دولار من

حساب تريتن إلى حساب آخر تم فتحه بواسطة الشركة الوهمية فى بنك مالى مركزى آخر بنيويورك . ولقد كان لدى قسم التحويلات ببنك ترست تفويضاً كاملاً من قبل صاحبنا ألفريد رون . وقد تم نقل الأموال بنفس اليوم " ، بدا سوير غير مصدق إلا أن هاردى أكمل قائلاً : " يقبل العاملون فى البنك ما يقوله لهم الحاسب يا لى ، ولا يوجد سبب يدعوهم إلى رفضه . هذا إضافة إلى أن مسئولى أقسام البنك لا يتحدثون مع بعضهم البعض . وطالما أن موقفهم سليم ، فإنهم ينفذون الأوامر فقط . وأياً كان الأشخاص الضالعون فهم يقومون بالإجراءات البنكية بطريقة روتينية بحتة . هل ذكرت لك أن جاسون آرتشر كان يعمل بقسم التحويلات فى البنك منذ بضع سنوات قبل أن يلتحق بالعمل بشركة تريتن ؟ " .

أومأ سوير برأسه نافياً ثم قال : " لقد كنت دائماً أعلم أن هناك سبباً ما يدعونى إلى كراهية الحاسبات . إلا أننى مازلت أجهل الطريقة التى تم بها ما حدث " .

" انظر إلى الأمر بهذه الطريقة يا لى . فالأمر بدا وكأنهم قاموا باستنساخ شخص جديد من شخص غنى ثم أدخلوا الشخص الوهمى المستنسخ إلى البنك من الباب الأمامى ، فقام بسحب جميع الأموال الموجودة بحساب الشخص الغنى ثم خرج ثانية من حيث أتى . إلا أن الفارق الوحيد هنا يكمن فى أن بنك ترست اعتقد أن كلا الرجلين ثرى ، ومع ذلك ، فقد كان ينظر إلى الميزان البنكى لكليهما ، لكن عن طريق عد الأموال مرتين " .

" هل هناك أى أثر لهذه الأموال ؟ " .

هز هاردى رأسه نافياً : " لم أتوقع أبداً أن تكون الأموال موجودة . لقد اختفت . كما قمنا بالفعل بمقابلة أعضاء من مكتب

وحدة كشف التزييف التابعة للمؤسسات المالية وقد بدأوا التحقيقات بالفعل " .

ارتشف سوير رشفة من قهوته ثم وردت إلى ذهنه فكرة فقال : " أتعتقد أن شركة آر . تى . جى ضالعة فى كلتا الخطتين ؟ وإلا لكان الأمر غريباً إلى حدٍ ما بأن يغامر آرتشر بالقيام بخداع البنك وبيع الأسرار معاً " .

" فى الواقع يا لى ، كان بإمكان آرتشر أن يبادر فقط بسرقة أسرار الشركة ثم تمهد له آر ، تى . جى خداع البنك وذلك إمعاناً فى إيذاء تريتن . ولقد كان آرتشر فى موقع يسمح له بالقيام بكل هذا " .

" غير أن البنك كان عليه أن يعوض تريتن عن الخسارة . ومن ثم ، فإن تريتن لن تتكبد خسارة فادحة " .

" أبداً ، لقد جانبك الصواب فى هذا . فقد تفقدت الأمور أثناء سير التحقيق ووجدت أن هذه الواقعة قد وصلت إلى مجلس الإدارة . وقد يستغرق الأمر شهوراً لحل لغز المسألة ، أو هكذا قالوا لـ " تريتن " هذا الصباح ؛ وأظن أن ناثان جامبل غير سعيد بالمرة حالياً " .

" هل كانت تريتن فى حاجة إلى التمويل ؟ "

" لك أن تتأكد أنهم كانوا فى حاجة إليه . فلقد كانوا يستخدمون التمويل ليضعوا مبلغاً ضخماً على سبيل الإيداع ليحصلوا على شركة سيبركوم ، الشركة التى أخبرتك عنها " .

" وهكذا فشلت الصفقة ؟ "

" لا ، ليس بعد . فآخر ما سمعته أن ناثان جامبل قدم الأموال اللازمة لعقد الصفقة من حسابه الشخصى " .

" يا إلهى ، هل بإمكان الرجل أن يكتب شيكاً بهذا المبلغ الضخم ؟ " .

" يعتبر جامبل مليارديراً ذا رصيد يغطى هذا الشيك عدة مرات . إلا أنه لا يرغب فى القيام بهذا فى الظروف العادية ، فلو لم يتعرض رصيد تريتن لخسارة تقدر بمائتين وخمسين مليون دولار ، لما قام بذلك . وبالنسبة له فالأمر يعنى خسارة خمسمائة مليون دولار من الفوائد قد جنحت فى الطريق الخطأ . وحتى بالنسبة له فإن هذا يعد مبلغاً ضخماً " . جفل هاردى قليلاً وكأنه يريد أن يتذكر آخر لقاء له مع جامبل ، ثم قال : " كما قلت لك من قبل ، فـ " جامبل " ليس سعيداً على الإطلاق الآن . فهمه الأكبر ينصب على الأسرار التى تم بيعها إلى شركة آر . تى . جى . وإذا ما حصلت آر . تى . جى على شركة سيبركوم ، فإن الخسارة الكلية لـ " تريتن " ستُقدر بأكثر من مائتين وخمسين مليون دولار " .

" غير أن آر . تى . جى تعلم الآن أنكم قد كشفتم أمرها ومن ثم فلن يستخدموا المعلومات التى تسربت إليهم عن طريق آرتشر " .

" ليس الأمر بهذه البساطة يا لى . فقد أنكرت شركة آر . تى . جى تورطها ، وعلى الرغم من حصولنا على شريط الفيديو ، فإنه أبعد ما يكون عن أن يكون دليلاً دامغاً . فلقد كانت آر . تى . جى مشتركة بالفعل فى عملية المناقصة للحصول على سيبركوم . فإذا لم يرس العطاء على تريتن فى الحصول على الصفقة ، فمن ذا الذى يستطيع أن يجزم بما حدث بالضبط ؟ "

نظر سوير - وقد غالبه الإرهاق - إلى بقايا قهوته وقال : " أعتقد أن الأمور تتعقد أكثر وأكثر ؟ " .

ربت هاردى على صديقه القديم ثم ابتسم قائلاً : " حسناً ، تلك هى قصتى " .

" لقد كان لدى اعتقاد راسخ بأنك لن توقظنى من النوم لأمر هين " . صمت سوير لبرهة ثم أكمل : " لابد وأن آرتشر هذا عبقرى حقاً يا فرانك " .

" أوافقك الرأى " .

رفع سوير رأسه فجأة وقال : " إذن مرة أخرى ، الجميع يقعون فى أخطاء ، إلا أن الحظ يحالفك أحياناً ، مثلما هو الحال مع هذا الشريط الموجود هنا . بالإضافة إلى ذلك ، فإن القضايا الصعبة هى التى تجعل هذه الوظيفة مثيرة . أليس كذلك ؟ " وارتسمت على وجه سوير ابتسامة عريضة ، وأومأ هاردى برأسه فى استمتاع يشوبه الإرهاق وتساءل : " إذن ، إلى أين أنت ذاهب بعد خروجك من هنا ؟ "

أنهى سوير قهوته ووضع الكوب حتى يعيد ملأه مرة أخرى وقد بدا وكأنه تحمس مرة أخرى عند ظهور عدد من الاحتمالات التى تخص القضية .

" أولاً ، سوف أستخدم هاتفك لأضع صحيفة الأموال الجنائية الخاصة بآرتشر على شبكة الإنترنت ليتم التعرف عليه . ثانياً ، سأترك ذهنك صافياً لمدة ساعة . حيث إننى سأقوم بإرسال فريق من العملاء فى الصباح الباكر إلى مطار دويلز لجمع ما يستطيعون جمعه من معلومات عن جاسون آرتشر . وبينما هم يؤدون هذه المهمة سأقوم بإجراء مقابلة شخصية مع شخص قد تبين أنه مفتاح اللغز حقاً فى هذه القضية بأكملها " .

" ومن يكون ؟ "

" سيدنى آرتشر " .

الفصل الثامن والعشرون

وقف بروفى فى بهو المنزل حاملاً بيده حقيبته التى كان قد أعدها فى عشية الليلة السابقة وقال : " أنا بول بروفى زميل سيدنى يا سيد ... " .

" أنا بيل باترسون والد سيدنى " .

" لقد حدثتنى سيدنى كثيراً عنك يا بيل ولكن للأسف لم تُتح لنا الفرصة لنتقابل حتى الآن . إن ما حدث كان شيئاً فظيعاً . وكان يجب علىَّ أن آتى إلى هنا من أجل ابنتك فهى من أقرب الزملاء لى وذات شخصية مميزة للغاية " .

نظر بيل إلى حقيبة بروفى التى وضعها فى أحد أركان البهو . وكان بروفى يرتدى سترة لونها أزرق داكن لها صفا أزرار ، ورابطة عنق على أحدث خطوط الموضة وحذاء أسود لامعاً يتناسب مع

الجورب المزخرف . وكان طويلاً ويبدو بمظهر غاية فى الأناقة يتناسب مع أسلوبه اللطيف ، غير أن تحركاته حول أهل البيت المُبتلى جعل باترسون يقطب جبهته .

" إن سيدنى لديها عائلة كبيرة هنا يا بول أليس كذلك ؟ " . أكد باترسون على كلمة " عائلة " بالتحديد .

نظر بروفى إليه وقد استطاع أن يكون رأياً عنه بسرعة وقال : " نعم ، ليس هناك شيء أهم من العائلة الآن . آمل ألا تظن أننى أتدخل فيما لا يعنينى ، فهذا آخر شيء أود فعله . وقد تحدثت إلى سيدنى الليلة الماضية وقالت إن كل شيء على ما يرام . لقد عملت مع ابنتك لسنوات عديدة وخضنا معاً بعض الصفقات القانونية التى كانت غاية فى الصعوبة ، وأنت أدرى الناس بصعوبة مثل هذه الأعمال ، فقد نجحت فى إدارة شركة بريستول ألومنيوم فى آخر خمس سنوات قضيتها هناك . وكنت أقرأ عنك فى الصحف كل شهر تقريباً ، ثم نجحت فى هذا التوسع الشاسع الذى حدث فى شركة فوربس منذ بضع سنوات قبل تقاعدك " .

اتفق الرجل العجوز معه فى الرأى وقال : " إن العمل مُضْن وشاق " ، وكان الرجل قد هدأ بعدما تذكر نجاحاته الماضية التى حققها فى عمله .

ظهرت على وجه بروفى ابتسامة عريضة وقال : " حسناً ، إننى أعلم أفكارك التنافسية فى العمل " .

ابتسم باترسون له أيضاً . قد تكون نوايا الرجل طيبة ، وعلى على أية حال لقد أتى من مسافة بعيدة . بالإضافة إلى أن افتعال المشاكل هذا الصباح بالذات ليس بالأمر المناسب . قال باترسون : " أتريد شيئاً لتشربه أو تأكله ؟ لقد قلت إنك سافرت من نيويورك هذا الصباح " .

" نعم ، فى أول رحلة . إذا كان لديك بعض القهوة سيكون ذلك رائعاً ... سيدنى ؟ " ، استقرت عينا بروفى بلهفة على سيدنى وهى قادمة إلى الغرفة .

كانت سيدنى ترتدى ملابس سوداء وإلى جوارها أمها ترتدى ملابس سوداء هى الأخرى . جاءت سيدنى من الردهة وقالت : " مرحباً يا بول " .

توجه بروفى مسرعاً إليها وصافحها بحرارة بشكل جعلها تشعر بالارتباك وهى تقدم له والدتها .

سألها بروفى بقلق : " إذن ، كيف حال آمى الصغيرة ؟ "

حدقت إليه والدة سيدنى بنظرة غير ودودة وقالت : " إنها مع أحد الأصدقاء ، فهى لا تفهم ما يحدث " .

تراجع بروفى خطوة للخلف وقال : " فعلاً ، هذا ما يجب فعله فى مثل هذه المناسبات " . لم يكن لدى بروفى أولاد أبداً ولكن كان هذا السؤال يدل على حماقته .

تعمدت سيدنى مساعدة بروفى والتفتت إلى والدتها وقالت : " لقد حضر بول من نيويورك هذا الصباح " .

أومأت والدة سيدنى ثم توجهت إلى المطبخ لتقوم بإعداد الإفطار .

نظر بروفى إلى سيدنى . كان شعرها ينسدل كالحرير بلونه الأشقر الذى أضفى على مظهرها شكلاً مثيراً مع ردائها الأسود . كان مظهرها المتجهم جذابًا بالنسبة لـ " بروفى " ، وعلى الرغم من أن له تجارب سابقة فإنه فوجئ بجمال سيدنى الأخاذ .

" يجب ألا تنزعجى ، فعندما تريدين الاختلاء بنفسك ستجديننى هناك لأتحدث إلى الحاضرين وأهتم بملء أطباقهم

بالطعام . ولا تقلقى أبداً ، فأنا محام أعرف كيف أستخدم الكثير من الكلمات دون أن أبوح بأى شىء فعلاً " .

" ألا يجب أن تعود إلى نيويورك ؟ " .

هز بروفى رأسه نافياً وابتسم قائلاً : " إننى سأبقى فى مكتب واشنطن بعض الوقت " . ثم أخرج جهاز تسجيل صغيراً من جيب معطفه الداخلى وقال : " لقد قمت بإعداد ثلاثة خطابات والكلمة التى سألقيها فى حملة لجمع التبرعات لصالح إحدى الهيئات السياسية الشهر القادم ، وذلك كله يعنى أننى سأبقى هنا طالما ستحتاجين لى " . ثم ابتسم بعطف وأعاد جهاز التسجيل مرة أخرى إلى جيبه ، ثم أمسك بيد سيدنى .

ابتسمت سيدنى إليه وشعرت ببعض الحرج وهى تسحب يدها منه وقالت : " علىَّ أن أذهب لأنهى بعض الأعمال " .

" حسناً ، وأنا سأذهب إلى المطبخ عند والديك " .

مشت سيدنى عبر الردهة وتوجهت إلى غرفة النوم . أخذ بروفى يتطلع إليها وعلت وجهه ابتسامة بينما كان يفكر فى مستقبله . بعد لحظة توجه إلى المطبخ الكبير حيث كانت والدة سيدنى منشغلة بإعداد البيض ، واللحم المدخن . وبينما كان بيل باترسون منشغلاً فى الخلف بإعداد القهوة . رن جرس الهاتف ، خلع باترسون نظارته والتقط السماعة عند الرنة الثانية .

" مرحباً ؟ " ، نقل باترسون السماعة إلى يده الأخرى .

" نعم ، هذا هو ، ماذا ؟ يا إلهى ، أيمكن أن تنتظر ؟ لحظة من فضلك " .

نظرت السيدة باترسون إلى زوجها وقالت : " من المتحدث ؟ " .

" إنه هنرى وارتون " ، نظر باترسون إلى بروفى وقال : " إنه الرئيس فى شركتك ، أليس كذلك ؟ " .

أومأ بروفى ، وعلى الرغم من أن كونه الذراع اليمنى لـ " جولدمان " ، وهو الأمر الذى كان يعملان على إبقائه طى الكتمان ، إلا أن وارتون كان لا يحب بروفى .

ومن ناحيته كان بروفى يتطلع إلى اليوم الذى يتنحى فيه وارتون عن رئاسة مؤسسة تايلر ستون .

قال بروفى : " رجل رائع ، يهتم كثيراً بزملائه " .

قال باترسون : " نعم ، إلا أن توقيت اتصاله ليس مناسباً " . ثم وضع سماعة الهاتف على المنضدة وخرج من المطبخ . اتجه بروفى ناحية السيدة باترسون لمساعدتها فى إعداد الطعام وهو يبتسم .

طرق والد سيدنى برفق على الباب وقال: "حبيبتى ؟ " .

فتحت سيدنى باب غرفة النوم واستطاع باترسون أن يرى خلفها العديد من صور جاسون مع باقى أفراد الأسرة تنتشر على السرير . أخذ باترسون نفساً عميقاً وازدرد لعابه وقال : " هناك شخص من شركتك على الهاتف يا حبيبتى ، وقال إن هناك أمراً مهماً للغاية يود محادثتك فيه " .

" هل ذكر اسمه ؟ " .

" إنه هنرى وارتون " .

قطبت سيدنى حاجبيها ثم انفجرت ملامح وجهها فجأة وقالت : " ربما اتصل ليخبرنى بأنه لن يستطيع حضور حفل التأبين فإننى لست على رأس قائمة اهتمامه الآن . سأرد عليه يا أبى ، أخبره أن ينتظرنى دقيقة " .

عندما هَم والدها بغلق الباب أخذ ينظر إلى الصور مرة أخرى . رفع عينيه فجأة ولاحظ ابنته وهى تحدق إليه ويظهر على وجهها علامات الخجل كما لو كانت مراهقة فاجأها أحدهم وهى تدخن داخل حجرتها .

توجه باترسون إليها وقبلها فى وجنتها ثم احتضنها حضناً طويلاً .

ثم انصرف إلى المطبخ وأمسك بالسماعة مرة أخرى وقال بفظاظة : " سترد عليك بعد دقيقة " ، ثم وضع السماعة وهَمّ أن يعود مرة أخرى إلى إعداد القهوة حينما سمع طرقاً على الباب . نظر الثلاثة الذين يقفون فى المطبخ إلى الباب . ونظر باترسون إلى زوجته متسائلاً : " أتنتظرين أحداً فى هذا الصباح الباكر ؟ "

هزت السيدة رأسها نفياً وقالت : " ربما يكون أحد الجيران ومعه مزيد من الطعام ، اذهب وأجبه يا بيل " .

توجه باترسون إلى الباب الأمامى طائعاً كلام زوجته .

تعقب بروفى الرجل العجوز إلى البهو .

فتح باترسون الباب ووجد رجلين يرتدى كل منهما حلة وأخذا يحدقان إليه .

سألهما باترسون : " أيمكننى مساعدتكما ؟ " .

أظهر لى سوير أوراق إثبات شخصيته وكذلك فعل الرجل الذى يقف إلى جواره ، ثم قال سوير : " أنا لى سوير العميل الخاص بمكتب التحقيقات الفيدرالية ، وهذا زميلى ريموند جاكسون " .

بدا على بيل باترسون الارتباك وهو ينتقل بنظره من أوراق إثبات الشخصية إلى الرجلين اللذين يحملانها وهما ينظران إليه بثبات .

لملمت سيدنى الصور سريعاً ولكنها ظلت تنظر إلى إحداها مدة طويلة وكانت هذه الصورة قد التقطت يوم مولد آمى حيث كان جاسون يرتدى ملابس المستشفى حاملاً ابنته بعد مولدها بعد دقائق معدودة . وكانت نظرته التى يملؤها الفخر لكونه صار أباً رائعة لمن يراها . ثم وضعت سيدنى تلك الصورة فى حقيبتها . كانت متأكدة من أنها ستحتاج إليها أثناء ذلك اليوم عندما تشتد عليها مشاعر الحزن . بعد ذلك ، هندمت سيدنى من ردائها ثم توجهت ناحية السرير وجلست عليه ثم أمسكت بسماعة الهاتف وقالت : " مرحباً يا هنرى " .

" سيدنى " .

كانت سيدنى ستسقط على الأرض لو لم تكن قد جلست على السرير ، حيث انهار جسدها بالكامل وشعرت وكأن مخها قد سحقه شىء .

جاء الصوت مرة أخرى وكان يبدو عليه مزيد من القلق وقال : " سيدنى ؟ " .

بعد لحظة حاولت سيدنى أن تتمالك نفسها وقد شعرت كما لو أنها تصارع للوصول إلى سطح الماء من عمق رهيب حيث لا يستطيع أحد النجاة . بدأ عقلها يعمل مرة أخرى فجأة وهى تجاهد بقوة مضنية لتتخطى ما هى فيه . وتمكنت سيدنى آرتشر أخيراً من أن تتفوه بكلمة لم تكن لتعتقد أنها ستنطق بها مرة أخرى ، حيث خرجت بصعوبة من بين شفتين ترتعشان .

" جاسون ؟ "

الفصل التاسع والعشرون

بينما كانت والدة سيدنى تخطو عبر حجرة المعيشة لتلحق بزوجها عند الباب الأمامى ، عمد بول بروفى للتراجع إلى أن عاد للمطبخ مرة أخرى . مكتب التحقيقات الفيدرالية ؟ هذا شىء مثير . وبينما كان يفكر ما إذا كان يجب أن يتصل بجولدمان أم لا ، لاحظ سماعة الهاتف الموضوعة على المنضدة حيث تركها بيل باترسون . إن هنرى وارتون على الهاتف . كان بروفى يتساءل عن الأمر الذى كانا يتناقشان فيه . ولقد رأى أنه سيثير إعجاب جولدمان إذا ما اكتشف حقيقة ما يدور بينهما .

دلف بروفى إلى مدخل باب المطبخ ورأى الجميع مازالوا يقفون عند البهو الأمامى ، فأسرع إلى منضدة المطبخ ووضع إحدى يديه على الجزء السفلى من السماعة ورفع الهاتف عند أذنه . فغر فاه

بروفى واتسعت عيناه بينما كان يستمع إلى صوتين مألوفين بالنسبة له ، ومد يده فى جيبه وأخرج جهاز التسجيل ووضعه عند سماعة الهاتف وقام بتسجيل الحوار الذى دار بين الزوجين .

بعد مضى خمس دقائق طرق بيل باترسون مرة أخرى على باب غرفة ابنته ، وعندما فتحت سيدنى الباب أخيراً اندهش والدها من منظرها ، حيث كانت عيناها لاتزال حمراوين ومرهقتين ولكن كان يظهر بهما بريق لم يره منذ وفاة جاسون ، وقد اندهش أيضاً مما رآه على السرير حيث رأى حقيبة سفر بها بعض الملابس . وبدون أن يرفع عينيه عن الحقيبة قال باترسون : " إننى لا أعلم ماذا يريدون يا حبيبتى ، ولكن هناك شخصين من مكتب التحقيقات الفيدرالية يريدان التحدث إليك " .

كادت سيدنى تسقط فجأة وهى تقول : " مكتب التحقيقات الفيدرالية ؟ " ، وأمسك والدها بذراعها .

بدا على وجه باترسون الاهتمام وهو يقول : " ماذا يحدث يا حبيبتى ؟ لماذا تحزمين أمتعتك ؟ " .

حاولت سيدنى تمالك نفسها وقالت : " إننى بخير يا والدى ، ولكننى أحتاج لأن أذهب إلى أحد الأماكن بعد انتهاء مراسم التأبين " .

" تذهبين إلى أين ؟ عما تتكلمين ؟ " .

" أرجوك يا والدى ليس الوقت مناسباً لهذا الموضوع فإننى لا أستطيع الخوض فيه الآن " .

" لكن يا سيدنى ـــــ" .

" أرجوك يا والدى " .

شعر باترسون بالإحباط فى النهاية نتيجة لعينى ابنته اللتين كانتا تناشدانه أن يكف وقد ظهرت علامات الخوف على ملامحه وقال : " حسناً يا سيدنى " .

" أين العميلان يا والدى " .

" إنهما فى غرفة المعيشة وقالا إنهما يريدان التحدث إليكِ فى أمر خاص . لقد حاولت التخلص منهما ولكنهما يتبعان مكتب التحقيقات الفيدرالية كما تعلمين " .

" حسناً يا والدى سأتحدث إليهما " ، أخذت سيدنى تفكر للحظة ونظرت إلى الهاتف الذى كانت قد تركته تواً ثم نظرت إلى ساعتها وقالت : " اصطحبهما إلى غرفة الزوار وأخبرهما بأننى سأقابلهما بعد دقيقتين " .

وأغلقت حقيبة سفرها ثم رفعتها وزجت بها تحت السرير . أخذ والدها يتابع تحركاتها ثم رفع حاجبيه الكثين متسائلاً : " أأنت متأكدة مما تفعلين ؟ " .

جاء ردها مباشرة " : " متأكدة تماماً " .

كانت يدا جاسون آرتشر مربوطة بالمقعد وكان كينيث سكاليز يبتسم ويوجه مسدساً ناحية رأسه . بينما كان هناك رجل دائم الحركة فى الخلفية . وقال سكاليز : " لقد أبليت بلاء حسناً فى الهاتف يا جاسون ، ويمكن أن يكون لك مستقبل باهر فى التمثيل ، لكن للأسف لم يعد لك مستقبل على الإطلاق " .

حدق إليه جاسون وكان الغضب يظهر فى عينيه وقال : " أيها اللعين ، أقسم أنك إذا أصبت زوجتى أو ابنتى بمكروه سأقطعك إرباً " .

ابتسم سكاليز ابتسامة عريضة وقال : " حقاً ؟ ! أخبرنى كيف ستفعل ذلك ؟ " ، وقام بصفع جاسون على فكه بالمسدس الذى يحمله . فتح جزءاً من باب الغرفة الصغيرة التى كانوا يجلسون بداخلها ، وبينما فاق جاسون من قوة الصفعة ونظر إلى الباب خرج من بين شفتيه صوت زمجرة ، وألقى بنفسه بكل ما لديه من قوة عند قدم سكاليز الذى قام هو وشريكه بضربه وسحبه على الأرض .

صرخ جاسون فى وجه الرجل الذى دخل الغرفة وقال : " عليك اللعنة سأقتلك ! " .

دخل الرجل إلى الغرفة وأغلق الباب خلفه وابتسم وهو يرى جاسون مسحوباً على الأرض وقد تم وضع شريط سميك على فمه وقال : " هل عدت إلى الكوابيس مرة أخرى يا جاسون ؟ " .

بعد أن رافق بيل باترسون عميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية إلى غرفة الزوار التى كان بها أثاث مريح على الرغم من صغرها ، عاد لينضم إلى زوجته وبول بروفى فى المطبخ . حدق باترسون إلى الهاتف وظهرت على ملامحه علامات الحيرة ، فقد وجد السماعة وقد وضعت على الجدار ولاحظ بروفى نظراته فقال : " لقد قمت بتعليقها فى مكانها من أجلك ، لقد كنت أعتقد أن لديك الكثير من الأعمال التى تريد القيام بها " .

" شكراً يا بول " .

" لا داعى لشكرى " ، ارتشف بروفى قهوته وكان يشعر بسعادة غامرة حيث أدخل شريط التسجيل الصغير فى مأمن داخل جيب بنطاله وقال : " يا إلهى " ، ثم نظر إلى باترسون وزوجته واستطرد : " لقد نصبنا عميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية ، ماذا يريدان ؟ " .

هز باترسون كتفيه وقال : " لا أعلم كما أن سيدنى أيضاً لا تعرف شيئاً فى هذا الصدد " . كان يتحدث بطريقة دفاعية عن ابنته إلا أن ملامح القلق قد ارتسمت بشدة على وجهه وقال : " دائماً ما تحدث أشياء على مدار اليوم فى أوقات غير مناسبة على الإطلاق " . ثم جلس إلى المائدة ليتصفح الجريدة وكاد يقول شيئاً آخر عندما رأى العنوان الموجود على الصفحة الأولى .

الفصل الثلاثون

نهض العميلان سوير وجاكسون عندما دخلت سيدنى الغرفة . وقد تحرك سوير حركة مفاجئة عندما رآها ، فقد حاول جاهداً أن يشفط بطنه للداخل وقد تحركت إحدى يديه لإصلاح خصلات شعره المتطايرة وإعادتها إلى مكانها مرة أخرى . وعندما أنزل يده نظر إليها للحظة كما لو لم تكن جزءاً من جسده متسائلاً ما الذى جعله يفعل شيئاً كهذا . عرَّف كل منهما نفسه كما أظهرا بطاقات إثبات الشخصية مرة أخرى . كان سوير مدركاً أن سيدنى تنظر إليه بتركيز قبل أن تجلس أمامهما .

استطاع سوير أن يكوِّن رأياً سريعاً عنها إلا أنه يكاد يجزم بأنهما قد تقابلا من قبل ، وكان ينظر إلى قامتها الطويلة . كان رداؤها الأسود غاية فى الأناقة ومتوافقاً مع تلك المناسبة . وكانت

ترتدى جوارب سوداء أيضاً . وكان وجهها جميلاً وتظهر عليه علامات الحزن .

تكلم سوير وقال : " سيدة آرتشر ألم نتقابل من قبل مطلقاً ؟ "

بدت على سيدنى الدهشة وقالت : " لا أعتقد ذلك يا سيد سوير " .

أخذ سوير يتفحصها للحظة أخرى ثم هز كتفيه وبدأ كلامه مرة أخرى : " كما أخبرت والدك يا سيدة آرتشر، إننا نعلم أن توقيت هذه المقابلة ليس مناسباً على الإطلاق ولكننا نحتاج أن نتكلم معك بأسرع وقت ممكن " .

" أيمكن ان أسأل عن السبب ؟ " ، دارت سيدنى بعينيها فى أرجاء الغرفة قبل أن تستقر على وجه سوير ؛ حيث رأت رجلاً قوياً ضخماً يبدو عليه الصدق . وفى الظروف الطبيعية كانت سيدنى ستعجب بـ " لى سوير " ولكن الظروف لم تكن عادية على الإطلاق .

كانت عيناها الخضراوان تلمعان وكان على سوير أن يقدح زناد فكره عندما وجد نفسه مشدوداً بقوة إلى هاتين العينين . وعندما حاول أن يقرأ ما يدور فى أعماقهما وجد نفسه يغرق فيهما فقال سريعاً : " إن الأمر يتعلق بزوجك سيدة آرتشر " .

" أرجوك أن تنادينى سيدنى . ماذا عن زوجى ؟ هل ذلك يتعلق بحادث الطائرة ؟ "

لم يرد سوير عليها بل أخذ يتفحصها مرة أخرى دون أن يظهر ذلك ، فقد كانت كل كلمة تنطق بها وكل تعبير تقوله حتى سكوتها كان مهماً . لقد كان ذلك دائماً عملاً مضنياً ولكنه أحياناً يؤدى إلى نتائج عظيمة . أخيراً قال سوير : " إنها ليست حادثة يا سيدنى " .

لمعت عينا سيدنى قليلاً مثل الأضواء التى تظهر عند حدوث عواصف رعدية ، وفغرت فاها قليلاً ولكنها لم تنطق بكلمة واحدة .

" لقد تم تفجير الطائرة وقُتل جميع الركاب الذين كانوا على متنها عمداً " . وبينما استمر سوير فى مراقبتها ، لم تتمكن سيدنى من الانتباه للكلام نهائياً لمدة دقيقة . وكان يبدو على ملامحها علامات فزع حقيقى وقد اختفت لمعة عينيها فجأة .

قال سوير بوداعة : " سيدنى ؟ سيدنى ؟ " .

تنبهت سيدنى ولكنها سرعان ما شردت بتفكيرها مرة أخرى ، ثم تنهدت فجأة بقوة ، وشعرت بغثيان ووضعت رأسها بين يديها . وكانت تحركاتها تماثل راكب طائرة أوشكت على الانفجار ، ثم بدأت تئن وبدأ جسدها يرتعش بقوة . نهض سوير سريعاً وجلس بجوارها ولف ذراعه حول كتفيها محاولاً تهدئتها وأمسك بيده الأخرى يدها وضغط عليها بقوة .

ثم نظر إلى جاكسون قائلاً : " أحضر ماءً أو شاياً أو أى شىء يا راى من فضلك " .

وانطلق جاكسون مسرعًا .

صبت والدة سيدنى كوباً من الماء بيدين ترتعشان وقدمته إلى جاكسون . وحينما هَم جاكسون بالمغادرة رفع بيل باترسون الجريدة وقال : " هذا كل ما حدث ، أليس كذلك ؟ " . كانت عناوين الجريدة الكبيرة والمكتوبة بخط أسود عريض تقول : " **عمل تخريبى متعمد وراء تحطم الطائرة التابعة لشركة ويسترن آيرلاينز . والحكومة الفيدرالية تعرض مكافأة قدرها مليونا دولار** " .

" إذن ، فـ " جاسون " وجميع الركاب الآخرين كانوا ضحايا لعمل إرهابى . ولهذا السبب حضرتم إلى هنا الآن ، أليس كذلك ؟ " ،

كانت السيدة باترسون تجلس على المنضدة فى الخلف وتغطى وجهها بيدها وصوت نحيبها الهادئ يتردد فى أرجاء الغرفة .

جاءت نبرة جاكسون لا تحمل أى نوع من أنواع الاعتراض وقال : " ليس الوقت مناسباً لهذا الكلام يا سيدى ، اتفقنا ؟ " ، وغادر الغرفة ومعه كوب الماء .

غادر بول بروفى فى غضون ذلك إلى الفناء الأمامي متظاهراً بأنه يريد تدخين سيجارة بالرغم من برودة الجو . وإذا نظر أى شخص فى ذلك الوقت من نافذة غرفة المعيشة كان سيراه واضعاً هاتفه الجوال على أذنه .

حاول سوير جاهداً جعل سيدنى تشرب الماء ، وأخيراً استطاعت الاعتدال فى جلستها وتمالكت نفسها وناولته كوب الماء وعيناها تمتلئان بالامتنان له . لم يعد سوير مرة أخرى إلى الحديث عن حادث تفجير الطائرة وقال : " صدقينى ، لو لم يكن الأمر غاية فى الأهمية لكنا غادرنا فى الحال " .

أومأت سيدنى ، وكان لايزال وجهها شاحباً . واستغرق سوير لحظة لترتيب أفكاره ، وبدا على سيدنى الهدوء عندما سألها سؤالين عن عمل جاسون فى شركة تريتن جلوبال وأجابته بهدوء على الرغم من وضوح ارتباكها . نظر سوير إلى الغرفة ؛ وكان لديهم بيت جميل . ثم سألها : " هل كانت لديكم أية مشاكل مالية ؟ " .

" إلى أى شىء يقودنا هذا السؤال سيد سوير ؟ " ، ظهرت على قسمات سيدنى الصرامة مرة أخرى ، ولكنها سرعان ما انقشعت عندما تذكرت كلمات جاسون لها حينما قال إنه سيقدم لها الدنيا بما فيها .

أجابها سوير : " إلى حيثما يقودنا لنصل إلى أى خيط قد يرشدنا إلى الحقيقة سيدتى " . وقد التقت عيناه بعينيها . وتمكن أن يقرأ ما يدور بذهنها وما يدور فى أعماقها من شكوك مقلقة . لاحظت سيدنى أنه يجب الخوض معه فى الكلام بحرص شديد .

قال سوير : " إننا نتحدث مع عائلات جميع ركاب هذه الطائرة . فإذا تم تفجير الطائرة بسبب أحد ممن كانوا عليها فنحن نبحث عن الأسباب " .

" أفهم ذلك " . وأخذت سيدنى نفساً عميقاً واستكملت : " للرد على سؤالك فنحن من الناحية المالية كنا فى أفضل حال " .

" إنك تعملين محامية لدى شركة تريتن ، أليس كذلك ؟ "

" نعم ، ضمن خمسين محامياً آخرين ، ماذا إذن ؟ "

غير سوير من أسلوبه فى المحاورة وقال : " حسناً، إنك تعلمين أن زوجك قد أخذ إجازة من العمل لبضعة أيام ، أليس كذلك ؟ "

" إننى زوجته ".

" حسناً ، إذن يمكنك تفسير سبب ذلك . فإذا كان قد أخذ إجازة لبضعة أيام فكيف تواجد على طائرة متجهة إلى لوس أنجلوس ؟ " ، وكاد سوير يقول : " مدعياً وجوده على طائرة " ، ولكنه منع نفسه من ذلك .

تكلمت سيدنى بنبرة عملية وقالت : " علىَّ أن أفترض أنك قد تحدثت بالفعل إلى أحد من شركة تريتن وربما قد تحدثت إلى هنرى وارتون أيضاً . لقد أخبرنى جاسون أنه ذاهب إلى لوس أنجلوس فى رحلة عمل خاصة بشركة تريتن . وغادر فى الصباح وقد ذكرته أن لدىَّ اجتماعاً فى نيويورك يخص شركة تريتن ، وعندئذ أخبرنى بأنه مسافر إلى لوس أنجلوس للبحث عن فرصة عمل أخرى . وكان لا يريدنى أن أخبر أحداً من تريتن عن حقيقة رحلته إلى لوس

أنجلوس . أعرف أنه لم يكن يجدر بى فعل ذلك إلا أننى قد فعلته " .

" ولكن لم تكن هناك فرصة عمل أخرى " .

تلعثمت سيدنى وقالت : " لا " .

" إذن بما أنك زوجته وكل شىء فى حياته ، هل كانت لديك فكرة عن السبب الحقيقى وراء ذهابه إلى لوس أنجلوس ؟ هل لديك أية شكوك ؟ " .

هزت سيدنى رأسها نفياً .

" أهذا كل ما لديك ؟ لا شىء غير ذلك ؟ هل أنت متأكدة من أن سفره لم يكن له أية علاقة بشركة تريتن ؟ " .

" نادراً ما كان جاسون يتكلم معى فيما يخص أعمال الشركة " .

" لماذا ؟ " ، وكان سوير يتوق إلى كوب من القهوة حيث بدأ جسده يميل إلى الأمام بعد الليلة الطويلة التى قضاها مع هاردى .

" إن شركتى تمثل بعض الشركات الأخرى التى يمكن ملاحظة أن لديها ميولاً تنافسية مع تريتن ، وحينما ينشأ أى صراع بين العملاء المعنيين ، بما فيهم تريتن ، فإننا نقيم أسواراً صينية للفصل بينهم عند الضرورة لذلك ــــ " .

سألها راى جاكسون : " ماذا تعنين بالأسوار الصينية ؟ " .

نظرت سيدنى إليه وقالت : " ذلك ما نقوله عندما نقطع الاتصالات من أى نوع ونمنع الدخول إلى الملفات أو حتى مجرد الكلام العادى فيما يخص شئون عميل بعينه إذا كان أحد محامى المؤسسة يمثل عميلاً يحتمل أن يدخل فى خلاف مع عميل آخر لدى مؤسستنا . كما أننا نحافظ على سرية قواعد البيانات الخاصة بالصفقات التى نتولاها بالنيابة عن العملاء . ونقوم بذلك أيضاً للتأكيد على الحفاظ على سرية المفاوضات التى تتم دقيقة بدقيقة ،

حيث إن الصفقات تتغير بسرعة ولا نريد أن يفاجأ عملاؤنا بالشروط . وغالباً ما تكون ذاكرة الأشخاص عرضة للخطأ أما ذاكرة الحاسبات فهى أفضل بكثير . ويكون الدخول إلى تلك الملفات مقصوراً فقط على استخدام كلمة سر معروفة من قبل المحامين الذين يتولون القضية فقط . والنظرية هى أن أية مؤسسة قانونية لا تتردد فى اتخاذ إجراءات غاية فى الصرامة فى حالة حدوث خلافات بين العملاء ، تجنباً لمثل هذه المشاكل " .

مال سوير إلى الأمام وقال : " إذن من هم العملاء الآخرون الذين تمثلهم شركتك ويمكن أن يكونوا على خلاف مع تريتن ؟ " .

أخذت سيدنى تفكر للحظة ، وقد خطر على بالها أحد الأسماء ولكنها لم تكن متأكدة إذا ما كان ينبغى أن تقوله أم لا ، لأنها إذا فعلت قد تنتهى المقابلة باستنتاج من سوير .

" إنها شركة آر . تى . جى " .

تبادل سوير وجاكسون نظرات سريعة وتكلم سوير قائلاً : " من فى شركتك يمثل شركة آر . تى . جى ؟ " .

لاحظ سوير بريقاً فى عينى سيدنى آرتشر قبل أن تجيبه قائلة : " فيليب جولدمان " .

كان البرد قارساً فى الفناء الأمامى لمنزل عائلة آرتشر لدرجة أنه بدأ يتخلل قفاز بول بروفى الباهظ الثمن .

قال بروفى وهو يتحدث فى هاتفه الجوال : " لا ليس لدىَّ فكرة عما يحدث بالضبط " . ثم أبعد رأسه بعيداً عن الهاتف عندما عنفه المتحدث على الجانب الآخر على جهله بما يدور . قال بروفى : " انتظر لحظة يا فيليب إنهم رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية ،

اتفقنا ؟ إنك لم تكن لتتوقع أن يحدث هذا فلماذا يجب أن أتوقع أنا ؟ " .

ويبدو أن هذا الإخفاق لذكاء فيليب جولدمان الخارق قد هدأه ، حيث أمسك بروفى بالهاتف بصورة طبيعية وقال : " نعم ، إننى متأكد من أنه هو ، فأنا أعلم صوته جيداً كما أنها ذكرته بالاسم . لقد سجلت المكالمة بالكامل على شريط . ألن تقول إن هذا ذكاء منى ؟ ماذا ؟ نعم ، إنك تراهن أننى خططت للبقاء بالقرب منهم . أرأيت ماذا وجدت ؟ حسناً ، سأتصل بك مرة أخرى بعد بضع ساعات " . أبعد بروفى الهاتف ، وفرك أصابعه ثم عاد إلى المنزل مرة أخرى .

كان سوير يراقب سيدنى آرتشر باهتمام ، بينما كانت تحرك يدها للأمام وللخلف على ذراع الأريكة . كان متحيراً إذا ما كان ينبغى أن يلقى إليها بالخبر القنبلة وهو أن جاسون آرتشر لم يكن موجوداً ضمن ضحايا الحادث فى فيرجينيا . وفى النهاية وبعد صراعات داخلية عديدة ، تغلب قلبه على عقله ، فنهض ومد يده إلى سيدنى قائلاً : " شكراً لك على تعاونك يا سيدة آرتشر . إذا فكرت فى أى شىء قد يساعدنا يمكنك الاتصال بى فى أى وقت ليلاً أو نهاراً على تلك الأرقام " . ثم قدم لها بطاقة وقال : " فى الخلف رقم هاتف منزلى ، هل لديك بطاقة بالأرقام التى يمكننى الاتصال بك عليها ؟ " . أمسكت سيدنى بحقيبتها من على المنضدة وأخذت تبحث بداخلها ثم أخرجت بطاقة . قال سوير : " إننى آسف مرة أخرى لما حدث لزوجك " . وكان يقصد فعلاً ما قال . وإذا كان هاردى محقاً ، فإن ما تمر به السيدة الآن سيبدو وكأنها تقضى يوماً ممتعاً فى منتزه مقارنة بما ينتظرها . خرج راى جاكسون

من الغرفة . وهم سوير باللحاق به عندما وضعت سيدنى يدها على كتفه وقالت : " سيد سوير ـــــ " .

" يمكنك أن تنادينى بـ " لى " " .

" إننى سأكون غبية جداً يا لى إذا لم ألحظ أن كل ما كان يدور حولى مثير للريبة " .

" وأنا لم أعتقد أنك غبية للحظة واحدة يا سيدنى " . ثم تبادلا معاً نظرات الاحترام إلا أن عبارة سوير لم تكن مفهومة بالقدر الكافى .

" هل لديك أى سبب يجعلك تشك فى تورط زوجى فى أى شىء ... " ، وتوقفت عن الكلام وازدردت لعابها بصعوبة استعداداً لما ستقول والذى لم تكن تؤمن بصحته وأضافت : " أى شىء غير قانونى ؟ " .

نظر سوير إليها وقد بدا إحساسه بأنه قد رأى تلك السيدة فى مكان ما من قبل يساوره من جديد إلى أن أصبح أكيداً . فقال : " لنقل إن أفعال زوجك قبل سفره مباشرة على تلك الرحلة قد سببت لنا بعض المشاكل " .

تذكرت سيدنى جميع الليالى التى كان جاسون يعود فيها إلى مكتبه فى وقت متأخر ، وقالت : " أحدثت مشكلة فى تريتن ؟ "

رآها سوير وهى تضغط على يديها . وكان يريد أن يخبرها بكل شىء يعرفه ، ولكنه قاوم هذا الإحساس وقال : " إن التحقيقات لاتزال مستمرة يا سيدنى ، ولا أستطيع أن أجزم بشىء حقاً " .

تراجعت سيدنى للخلف قليلاً وقالت : " إننى أتفهم ذلك بالطبع " .

" سنكون على اتصال " .

بعد أن غادر سوير الغرفة ، تذكرت سيدنى مقولة ناثان جامبل على أن يبقيا على اتصال وشعرت فجأة بخوف يغمرها ، فهزت رأسها واقتربت من المدفأة .

إن المكالمة التى وصلتها من جاسون قد رفعتها إلى أعلى درجة من درجات الانتعاش ، فهى لم تشعر مطلقاً بهذه السعادة من قبل ، إلا أن التفاصيل القليلة التى ذكرها جعلتها تهوى بعدما كانت تحلق من السعادة . كانت تشعر فى ذلك الوقت بحالة من الارتباك الشديد وعدم القدرة على فعل أى شىء مع ولاء عظيم لزوجها . وأخذت تتساءل عن المفاجآت التى تنتظرها فى اليوم التالى .

* * *

تبع بول بروفى العميلين وهما فى طريقهما خارج المنزل قائلاً لنفسه : " من الواضح أن مؤسستى ستنتظر معرفة أى أخطاء تورط فيها جاسون آرتشر وشركة تريتن جلوبال " . ثم توقف عن الكلام فى النهاية وأخذ ينظر آملاً .

استمر سوير فى السير وقال : " هذا ما سمعته أيضاً " . وقف عميل مكتب التحقيقات الفيدرالية خلف سيارة بيل باترسون الكاديلاك التى كانت تقف فى الممر الخاص بالسيارات . وعندما وضع قدمه على المصد الخلفى ليعقد رباط حذائه رأى ملصقاً مكتوباً عليه كلمة " **إجازة** " وسأل نفسه : " متى كانت آخر مرة حصلت فيها على إجازة ؟ دائماً ما تنزعج عندما لا تستطيع حتى أن تتذكر ذلك . رفع سوير بنطاله ثم التفت إلى المحامى الذى كان يشاهده من الجانب الآخر من الطريق وقال : " هلا أخبرتنى باسمك مرة أخرى " .

نظر بروفى إلى الباب الأمامى وأسرع قائلاً : " بروفى ، بول بروفى " ، ثم أسرع قائلاً : " كما قلت إننى محام مقيم فى نيويورك ، ولذلك لا يمكننى مساعدة سيدنى آرتشر كثيراً " . نظر إليه سوير عن قرب وقال : " وعلى الرغم من ذلك لقد قطعت كل هذه المسافة لحضور مراسم التأبين هذا ما قلته ، أليس كذلك ؟ " .

نظر بروفى إلى كلا الرجلين ، وقد ضاقت عينا راى جاكسون وهو ينظر إلى بول بروفى الذى كان يبدو عليه من منظره تمتعه بثروة طائلة .

" فى حقيقية الأمر إننى هنا ممثل للشركة ، فسيدنى آرتشر مجرد محامية تعمل بعض الوقت ، وعلى أى حال فقد كنت فى المدينة لإنجاز بعض الأعمال " .

نظر سوير إلى السحب المتكدسة فوق المنزل وقال : " أهذا صحيح ؟ أتعلم أن لدى فرصة لأراجع الأمر مع السيدة آرتشر . وكما علمت من الأشخاص الذين تحدثت معهم فإنها واحدة من أفضل محامى تايلر ستون ، سواء كانت تعمل لبعض الوقت أو وقت كامل . وفى الحقيقة ، لقد طلبت معرفة قائمة بأفضل خمسة أشخاص فى مؤسستكم من ثلاثة مصادر مختلفة . أتعلم ماذا حدث ؟ كانت تلك المرأة فى كل قائمة " ، ثم نظر إلى بروفى وأضاف قائلاً : " من الغريب أن اسمك لم يذكر على الإطلاق " .

تلعثم بروفى للحظة ، ولكن سوير كان يريد استكمال حديثه على أية حال فقال " : " هل أتيت إلى هنا منذ فترة وجيزة يا سيد بروفى ؟ " . وأشار برأسه ناحية بيت آرتشر .

تكلم بروفى بصوت عال وقد خانته نبرة صوته فى إخفاء مشاعره المجروحة وقال : " منذ ساعة تقريباً ، لماذا ؟ " .

" أحدث أى شىء غير عادى أثناء وجودك هنا ؟ "

كاد بروفى يندفع ليخبر العميلين عن الشريط الذى سجله لـ " جاسون " إلا أنه رأى أن تلك المعلومة ذات قيمة كبيرة جداً ولا ينبغى أن يقولها بتلك البساطة فقال : " لا شىء ذو قيمة حقيقية ، أعنى أنها متعبة ومحبطة ، أو على الأقل تبدو هكذا " .

خلع جاكسون نظارته الشمسية وحدق إلى بروفى متسائلاً : " ماذا تعنى بذلك ؟ " .

" لا شىء ، أعنى ما قلته . إننى لا أعرف سيدنى جيداً ، ولذلك أنا لا أعلم إذا كانت هى وزوجها منسجمين فعلاً أم لا " .

ضم جاكسون شفتيه وارتدى نظارته الشمسية مرة أخرى وقال : " فعلا ! " . ثم نظر إلى رفيقه متسائلاً : " هل أنت مستعد يا لى ؟ " يبدو أن هذا الرجل يشعر بالبرودة ويجب أن يدخل إلى المنزل ليتدفأ " ، ثم قال وهو ينظر إلى بروفى : " اذهب وقدم تعازيك إلى السيدة التى لا تعرفها جيداً " .

تشق جاكسون وسوير طريقهما إلى السيارة .

احمر وجه بروفى من الغضب ، ونظر إلى البيت مرة أخرى ثم نادى عليهم قائلا : " نعم هذا صحيح ، هناك المكالمة الهاتفية التى تلقتها " .

التفت كلا العميلين باهتمام وسأله سوير : " ماذا ؟ " ، كان صدغه يهتز من نقص الكافيين ولأنه كان متعباً من الاستماع لهذا الرجل وسأله مرة أخرى : " أية مكالمة هاتفية ؟ " .

اقترب بروفى منهما وتكلم بصوت منخفض ناظراً من وقت إلى آخر إلى المنزل وقال : " منذ دقيقتين تقريباً قبل مجيئكما . عرَّف المتحدث بنفسه وقال إن اسمه هنرى وارتون عندما رد والد سيدنى على الهاتف " . بدا على العميلين الحيرة ، واستكمل بروفى كلامه : " إنه شريك فى إدارة تايلر ستون " .

قال جاكسون : " إذن قد يكون الرجل قد اتصل ليطمئن عليها ويعرف ما إذا كانت بحالة جيدة " .

" هذا ما ظننته أيضاً ، ولكن ... " .

كان سوير قد نفد صبره وسأله بغضب : " لكن ماذا ؟ " .

" لست متأكداً إذا ما كان يمكننى البوح بذلك " .

عاد صوت سوير إلى حالته الطبيعية ولكن كلماته اتخذت نبرة تهديدية وقال : " إن الجو بارد هنا حتى تقول مثل هذه الإجابات يا سيد بروفى ولذلك سأطرح عليك السؤال بطريقة ألطف حتى تعطينى المعلومة التى تعرفها وستكون هذه هى المرة الوحيدة التى سأتكلم فيها بلطف " . مال سوير على وجه بروفى الذى ظهرت عليه علامات الخوف بينما اقترب منه جاكسون من الخلف .

تكلم بروفى دونما تفكير قائلاً : " لقد اتصلت بـ " هنرى وارتون " فى مكتبه بينما كانت سيدنى تتحدث إليك " . وتوقف عن الكلام متأثراً ثم استكمل كلامه : " وعندما سألته عن حديثه مع سيدنى ، اندهش جداً لأنه لم يتصل بها مطلقاً . وعندما خرجت من غرفة النوم بعد الانتهاء من المكالمة كان وجهها شاحباً للغاية حتى إننى ظننت أنها ستفقد الوعى . وكان والدها يعتقد ذلك أيضاً ، وكان مرتبكاً بشدة " .

رد جاكسون قائلاً : " حسناً ، إذا حضر عملاء من مكتب التحقيقات الفيدرالية فى يوم مراسم التأبين الخاص بزوجتى ربما وجدونى فى حالة سيئة مثلها أيضاً " ، وكان يقبض يده ويفتحها .

" نعم ، وفقاً لوالدها كانت سيدنى تبدو هكذا قبل أن يخبرها بمجيئكما " ، اختلق بروفى هذا الجزء ، ولكن ماذا بعد ؟ لم يكن ظهور عميلى مكتب التحقيقات الفيدرالية عند الباب هو الذى جعل سيدنى آرتشر تظهر بهذا الشكل .

اعتدل سوير ونظر إلى البيت ثم نظر إلى جاكسون حيث وجد حاجبيه وقد ارتفعا قليلاً . ثم تفحص وجه بروفى ، وكان يفكر فيما إذا كان الرجل يكذب عليهما ... لكن لا ، كان من الواضح أنه يحاول جاهداً أن يخبرهما بشىء يؤدى إلى إيذاء سيدنى آرتشر . لم يهتم سوير بأهداف بول بورفى الشخصية للانتقام من سيدنى . وكان كل ما يهتم به هو المكالمة الهاتفية .

" شكراً على هذه المعلومة يا سيد بروفى ، إذا فكرت فى أى شىء آخر فهذا رقم هاتفى " ، ثم ناول المحامى البطاقة الخاصة به ثم تركه فى الفناء الأمامى .

أخذ سوير يتطلع إلى رفيقه بينما كان يقود السيارة راجعاً أدراجه إلى المدينة وقال : " أريد وضع سيدنى آرتشر تحت المراقبة على مدار الأربع والعشرين ساعة ، كما أريد مراجعة جميع المكالمات الهاتفية التى وصلتها خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية بدءاً بتلك المكالمة التى ذكرها لنا ذلك المتحذلق " .

نظر جاكسون خارج النافذة وقال : " أتظن أن زوجها هو الذى كان على الهاتف ؟ "

" أعتقد أنها كانت تعانى كثيراً من شىء ما جعلها تبدو فاقدة للوعى . ألم تلحظ ذلك أثناء حديثها معنا ، فقد كانت شاردة الذهن " .

" إذن فقد كانت تظن أنه مات ؟ "

هز سوير كتفيه قائلاً : " لم أتوصل إلى أية استنتاجات حتى الآن ، علينا مراقبتها فحسب وسنرى ما سيحدث . إننى أشعر بأن سيدنى آرتشر ستكون الجزء المثير فى هذا اللغز " .

نظر جاكسون إلى الأشخاص الذين مروا من أمام المطاعم المصطفة على جانبى الطريق وقال : " أيمكن أن نتوقف لنأكل شيئاً من الطعام ؟ "

" سأدفع لك الحساب يا راى ، لا شىء يعز على رفيقى " ، وابتسم سوير وتوجه ناحية ساحة الانتظار الخاصة بمطعم ماكدونالدز ، نظر جاكسون إلى سوير ثم هز رأسه والتقط هاتف السيارة وبدأ بالضغط على بعض الأرقام .

الفصل الحادى والثلاثون

اندفعت الطائرة بقوة شديدة عبر السماء ، وبداخل الكابينة الفارهة كان فيليب جولدمان يجلس فى مقعده ويرتشف كوباً من الشاى الساخن بينما كان المضيف يزيل بقايا الوجبة التى تناولها . وكان يجلس أمامه آلان بورتشر رئيس مجموعة آر . تى . جى وهى مجموعة شركات عالمية يقع مقرها الرئيسى فى أوروبا الغربية . ارتشف بورتشر بعض الشاى وتفحص المحامى بدقة قبل أن يتكلم .

" أتعلم أن شركة تريتن جلوبال قد أعلنت أن لديها دليلاً قاطعاً على أن أحد موظفيها قد سلم لنا مستندات غاية فى الأهمية فى أحد المخازن التابع لنا فى سياتل ، ونتوقع أن يتصل بنا محاموهم قريباً " . توقف بروتشر عن الكلام ثم استطرد قائلاً : " وهم من

الشركة القانونية التابعة لكم طبعاً ، تايلر ستون ، أليس ذلك أمراً يدعو إلى السخرية ؟ "

وضع جولدمان كوبه وقد ثنى يديه عند صدره وقال : " هل هذا يزعجك ؟ " .

نظر بورتشر مندهشاً وقال : " ولِمَ لا ؟ " .

جاء رد جولدمان بسيطاً : " لأنكَ ، وفقاً لهذا الادعاء ، لن تكون متهماً " ، ثم أضاف : " ثم إن هذا أمر يدعو للسخرية أليس كذلك ؟ " .

" لا أزال أسمع بعض الأخبار الخاصة بصفقة سيبركوم التى تثير قلقى يا فيليب " .

تنهد جولدمان ومال إلى الأمام وقال : " مثل ماذا ؟ " .

" قد تسير صفقة سيبركوم بأسرع مما نتخيل . وربما لا نعلم آخر العروض المقدمة من شركة تريتن . وعندما نتقدم بعرضنا يجب أن أتأكد من أنهم سيقبلونه . فلن يسمح لى بتقديم عرض مرة أخرى فإن شركة سيبركوم تميل ناحية الأمريكان " .

رفع جولدمان رأسه وقد فهم ما يرمى إليه بورتشر وقال : " إننى لست متأكداً من هذا ، لكن عالم الإنترنت لا يعترف بالحدود الجغرافية والعوامل الاقتصادية والبشرية . إذن فمن الذى يستطيع أن يجزم بأن الهيمنة لن تأتى من الجانب الآخر من المحيط الأطلنطى ؟ " .

ارتشف بورتشر رشفة أخرى من الشاى قبل أن يجيب : " لا ، فإذا كانت العروض متساوية ، فإن الصفقة ستكون من نصيب الجانب الغربى من الكرة الأرضية . ولذلك يجب أن نتأكد من أن العروض غير متساوية " . وظهرت لمعة قوية فى عينيه .

أخذ جولدمان لحظة ليمسح فمه بمنديله قبل أن يرد قائلاً : " قل لى ، من أين حصلت على تلك المعلومة ؟ " .

لوح بورتشر بيده فى حيرة وقال : " الإشاعات فى كل مكان " .

" أنا لا أومن بالإشاعات ولكننى أومن بالحقائق . والحقيقة هى أننا نعلم آخر المفاوضات التى أجرتها تريتن بأدق تفاصيلها " .

" نعم ، لكن بروفى الآن خارج اللعبة وأنا لا أستطيع أن أرتبط بالأخبار القديمة " .

" لن تضطر إلى ذلك . وكما قلت لك فإننى قريب جداً الآن من حل تلك المشكلة . وعندما أفعل ذلك ، وسأفعل ، يمكنك بسهولة خداع تريتن والحصول على تلك الصفقة التى ستؤكد سيطرتك على عالم المعلومات فى المستقبل " .

نظر بورتشر بحدة إلى المحامى وقال : " أتعلم يا فيليب لقد كنت دائماً أشعر بالفضول تجاه دوافعك فيما يخص ذلك الموضوع . مع العلم بأننا إذا نجحنا ـ كما أتمنى وكما تعدنى أنت بذلك ـ فى الحصول على سيبركوم ، فمن المؤكد أن تريتن لن تكون راضية بالتعامل مع شركتك القانونية وقد يوقفون التعامل معها ويتعاملون مع غيرها " .

" لا يمكن للمرء إلا أن يأمل فى ذلك " ، وبدت نظرة حالمة على وجه جولدمان حينما فكر فى إمكانية ذلك .

" أخشى أن تكون بعدت بتفكيرك عنى " .

تكلم جولدمان بنبرة متحذلقة وقال : " إن تريتن جلوبال هى أكبر عميل لدى تايلر ستون وهى عميل هنرى وارتون . وذلك هو السبب الرئيسى فى أن يكون هنرى شريكاً فى الإدارة . وإذا توقفت تريتن عن التعامل مع أكبر عميل لدى المؤسسة كمستشار قانونى ،

أيمكنك أن تخمن من سيكون أكبر موظف فى المؤسسة وبالتالى ، يخلف وارتون كشريك فى الإدارة ؟ " .

أشار بورتشر إلى جولدمان وقال : " آمل فى مثل هذه الحالة أن يكون لشركة آر . تى . جى الأولوية الكبرى فى المؤسسة " .

" أعتقد أنه يمكننى وعدك بذلك " .

وضع بورتشر كوبه وأشعل سيجارة .

" أخبرنى الآن بالضبط كيف تخطط لحل هذه المشكلة ؟ " .

" هل تهتم فعلاً بالطريقة أم بالنتائج فحسب ؟ " .

" ضعنى معك فى الصورة . ولا تلعب معى دور الأستاذ ، وإن كنت أعرف عنك أنك تحب ذلك ، ولكننى تركت الجامعة منذ سنوات " .

رفع جولدمان حاجبه عند هذه الملاحظة وقال : " يبدو أنك تعرفنى الآن جيداً جداً " .

" إنك واحد من المحامين القلائل الذين أعرفهم ويفكرون مثل رجال الأعمال ، والفوز يكون دائماً حليفهم ، وليذهب القانون إلى الجحيم ! " .

أخذ جولدمان سيجارة من بورتشر وأشعلها ثم قال : " لقد حدث تطور مؤخراً منحنا فرصة ذهبية لتكون لنا اليد العليا وهى معلومة جاءت فى الوقت المناسب عن العرض الذى قدمته تريتن للحصول على صفقة سيبركوم . وسنعرف أفضل وآخر عرض تقدمت به تريتن قبل أن تُتاح لها حتى الفرصة أن تتصل بـ " سيبركوم " . ثم نسارع نحن ونقدم قبلهم بساعات قلائل عرضاً أفضل من عرضهم ، والذى سترفضه سيبركوم بالطبع ، وتصبح أنت صاحب جوهرة أخرى تنضم إلى إمبراطوريتك العظمى " .

أخرج بورتشر السيجارة ببطء من بين شفتيه وحدق بشدة إلى رفيقه قائلا : " أيمكنك عمل هذا ؟ " .

" أستطيع عمل هذا " .

الفصل الثانى والثلاثون

نظر فرانك هاردى إلى سوير قائلاً : " دعنى أنبهك يا لى أنه يتصرف بسلوك فظ فى بعض الأوقات ولكن هذه هى شخصية الرجل فحسب " . ومشى الرجلان فى ممر طويل بعدما خرجا من مصعد خاص فى الطابق الأخير من مبنى شركة تريتن جلوبال .

" أعدك أن أتصرف بحكمة يا فرانك ، فأنا دائماً لا أضيق الخناق على الضحايا وأنت تعلم ذلك " .

بينما كانا يمشيان ، أخذ سوير يفكر فى نتائج التحقيقات التى تم إجراؤها فى المطار عن جاسون آرتشر حيث وجد رجاله اثنين فى المطار قد تعرفا على صورة جاسون آرتشر . الأول هو موظف شركة الطيران ويسترن آيرلاينز الذى قام بفحص حقيبته فى ذلك الصباح . أما الآخر فهو عامل الصالة الذى كان يلاحظ جاسون وهو يجلس

ويقرأ الجريدة . لقد تذكره لأن جاسون لم يتحرك بعيداً عن حقيبته الجلدية مطلقاً حتى أثناء قراءته للجريدة أو احتسائه للقهوة . وقد ذهب جاسون إلى دورة المياه ولكن العامل لم يره بعدها . ولم يتمكن عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالية من استجواب السيدة التى كانت تجمع أوراق ركوب الطائرة من الركاب على متن تلك الطائرة المشئومة لأنها كانت إحدى ركاب الرحلة ٣٢٢٣ . وتذكر عدد من الأشخاص رؤية آرثر ليبرمان . لقد كان دائم الذهاب إلى مطار دويلز بصورة منتظمة لسنوات عديدة . ولم تكن تلك المعلومات فى مجملها مفيدة بالقدر الكافى .

ركز سوير مرة أخرى بالنظر إلى ظهر هاردى ، حيث كان يمشى مسرعاً فى الردهة المغطاة بسجادة حمراء . لم يكن الدخول إلى مقر أضخم شركة فى مجال التنكولوجيا بالأمر اليسير . فقد كان نظام الأمن المتبع فى تريتن شديداً للغاية لدرجة أنهم كانوا يريدون الاتصال بمقر مكتب التحقيقات الفيدرالية حتى يتحققوا من الرقم التسلسلى الخاص بـ " سوير " والمكتوب على بطاقة إثبات الشخصية الخاصة به إلى أن أخبرهم هاردى بعبوس أن ذلك ليس مهماً وأن عميل مكتب التحقيقات الفيدرالية الخاص المحنك يستحق معاملة أفضل من ذلك بكثير . لم يحدث شىء كهذا مطلقاً لـ " سوير " من قبل طوال سنوات عمله فى المكتب ، وهذا هو ما قاله مازحاً لهاردى الذى كان يعتريه شعور بالخجل .

" هل هؤلاء الأشخاص يدخرون سبائك ذهبية أو يورانيوم ٢٣٥ هنا يا فرانك ؟ "

" لنقل إنهم يعانون جنون العظمة الكاذبة فحسب " .

" لقد كان لدى انطباع أن عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالية دائماً هم من يصيبون الآخرين بالخوف وأعتقد أنهم يتعاملون مع موظفى مصلحة الضرائب بنفس الطريقة أيضاً " .

تسلل إحساس غير مريح إلى سوير كلما فكر فى اختياره لتلك المهنة . فقد أصبحت تكنولوجيا المعلومات تحتل المكان الأول هذه الأيام . وتتحكم الحاسبات فى مجال الوصول إلى المعلومات بدرجة كبيرة . كما أن القطاع الخاص يسبق القطاع الحكومى فى هذا المضمار بمراحل لا يمكن تداركها . حتى مكتب التحقيقات الفيدرالى الذى يعتبر من ضمن القطاع الحكومى لديه وسائل تكنولوجية متطورة ، ولكنها بعيدة كل البعد عن التكنولوجيا المتطورة الموجودة فى العالم والتى تناضل تريتن جلوبال من أجل الحصول عليها . وبالنسبة لـ " سوير " لم يكن هذا الكشف بالأمر السار ؛ فالمرء يكون أحمق إذا لم يلاحظ أن جرائم الحاسبات ستفوق جرائم البشرية الأخرى إلى حدٍ لا يمكن تخيله ، على الأقل فيما يخص الأموال . ولكن الأموال تعنى الكثير ؛ فهى تتحول إلى وظائف وبيوت وعائلات سعيدة . توقف سوير عن المشى وقال : " هل تمانع إذا سألتك عن الأجر الذى تتقاضاه من تريتن سنوياً ؟ "

التفت هاردى مبتسماً وقال : " لماذا ؟ هل تفكر فى الاستيلاء على عملائى ؟ "

" إننى فقط أحاول جس نبض السوق ، فقد أعتمد عليك فى الحصول على وظيفة " .

نظر هاردى بحدة إلى سوير متسائلاً : " هل أنت جاد ؟ "

" فى مثل سنى ، تتعلم ألا تقول لا أبداً " .

استعاد وجه هاردى نظرته الجادة بينما كان يتمعن فى كلمات سوير الأخيرة وقال : " لن أخوض فى أية تفاصيل ، ولكن تريتن

شركة ضخمة تمتلك المليارات ، ولا تأبه بالأجر الذى تدفعه لنا مهما كان مرتفعاً من مقدم أتعاب كبير " .

رد سوير متعجباً : " يا إلهى ، آمل أن تكون قد حظيت بشىء ثمين فى نهاية الأمر يا فرانك " .

أومأ هاردى سريعاً : " هذا ما يحدث فعلاً ، ويمكنك أن تحصل علي ذلك مثلى إذا انضممت إلينا " .

" حسناً ، ما المرتب الذى سأتقاضاه إذا انضممت إليكم ؟ "

" من خمسة إلى ستة آلاف فى السنة الأولى " .

فغر سوير فاه من شدة دهشته وقال : " لا تمزح يا فرانك " .

" إننى لا أمزح مطلقاً فى أى شىء يتعلق بالأموال . طالما استمر وقوع الجرائم فلن يأتى علينا عام سيئ أبداً " . واستأنف الرجلان مشيهما بينما أضاف هاردى : " فكر فى الأمر على أية حال ، هل ستفعل ؟ "

حك سوير ذقنه وفكر فى ديونه التى تبلغ مبلغ الجبال وفى ساعات العمل التى لا تنتهى وكذلك فى مكتبه الضيق الكائن فى مبنى هوفر ثم قال : " سأفعل يا فرانك " ، ثم قرر تغيير الموضوع فقال : " هل جامبل رجل متكبر ؟ "

" ليس كثيراً ، وعلى الرغم من أنه قائد تريتن دون منازع إلا أن كل الأفكار التكنولوجية يرجع الفضل فيها إلى كونتين رووى " .

" ماذا تعرف عنه ؟ " .

رد هاردى : " لقد تخرج كونتين رووى من جامعة كولومبيا وكان الأول على دفعته ، وفاز بعددٍ من الجوائز فى المجال التكنولوجى بينما كان يعمل فى شركة بيل لابز ثم فى إنتيل . ثم أنشأ شركة الحاسبات الخاصة به عندما كان عمره ثمانية وعشرين عاماً . وكانت تلك الشركة من أنشط الشركات طبقًا لمؤشر ناسداك

من حيث التعامل فى البورصة منذ ثلاث سنوات ومن أكثر الشركات التى تسعى للحصول على الصفقات فى هذه الفترة عندما اشتراها ناثان جامبل . كان كونتين هو الشخص الوحيد فى الشركة الذى يتميز ببعد النظر حيث كان دائماً يحفز ناثان للحصول على صفقة سيبركوم ، ومع أنه و " جامبل " لم يكونا صديقين حميمين فإنهما كانا يتعاملان معاً بطريقة جيدة وغالباً ما كان جامبل يستمع لآراء كونتين فى الأمور التى تتعلق بالأموال . وعلى أية حال ، لا يمكنك المجادلة فيما حققاه من نجاحات " . أومأ سوير قائلاً : " بالمناسبة ، لقد وضعنا سيدنى آرتشر تحت المراقبة على مدار الساعة " .

" أعتقد أن مقابلتك معها قد أثارت لديك بعض الشكوك " .

" يمكنك قول ذلك . وقد تسبب شىء ما فى إصابتها بصدمة عندما وصلنا إليها " .

" ماذا كان ذلك ؟ " .

" مكالمة هاتفية " .

" ممن ؟ " .

" لا أدرى ، لقد حاولنا تعقب المكالمة ووجدنا أنها جاءت من كشك هاتف فى لوس أنجلوس . وقد يكون من تحدث إليها فى تلك المكالمة وصل إلى استراليا الآن " .

" أتعتقد أنه كان زوجها " .

هز سوير كتفيه قائلاً : " إن مصدرنا فى المعلومة قال إن المتحدث قد كذب فى تحديد هويته عندما رد عليه والد سيدنى كما قال إن سيدنى آرتشر يهدت كالأموات بعد الانتهاء من تلك المكالمة " .

دخل هاردى مصعداً خاصاً بعد استخدامه بطاقة خاصة للدخول ، وبينما كانا يصعدان إلى الطابق العلوى استغرق هاردى لحظة لتعديل رابطة عنقه الأنيقة وتعديل شعره فى المرآة الموجودة على باب المصعد . كانت خصلة شعره المتفرقة دائماً تبدو كمنظار فوق رأسه . تكلم سوير بنبرة جادة يبدو عليها التهكم بينما كان ينظر إلى مظهر هاردى الأنيق وقال : " أتعلم يا فرانك ، شىء جميل أنك تركت العمل فى المكتب " .

اندهش هاردى قائلاً : " ماذا ؟ " .

ابتسم سوير ابتسامة عريضة وقال : " إنك فى غاية الأناقة ولم يعد مناسباً لك أن تعمل كعميل فى مكتب التحقيقات الفيدرالية " .

ضحك هاردى قائلاً : " بمناسبة الحديث عن الأناقة لقد تناولت الغداء مع ميجى فى اليوم التالى . إنها فى غاية الذكاء ، فالالتحاق بكلية الحقوق فى ستانفورد ليس سهلاً . أتوقع أنه سيكون لها مستقبل باهر " .

" يجدر بك أن تضيف ، على الرغم من أبيها العجوز " .

توقف المصعد وخرجا منه وقال هاردى : " أنت تعلم يا لى أننى لا أبقى كثيراً مع أولادى . فأنت لست الوحيد الذى فاته العديد من حفلات أعياد الميلاد " .

" أعتقد أنك تقضى أوقاتاً أكثر مع أولادك عما أفعل أنا " .

" فعلاً ؟ حسناً ، إن مصاريف كلية ستانفورد ليست رخيصة . فكر فى العرض الذى عرضته عليك ، فقد يساعد العمل على انتعاش حالتك . لقد وصلنا " . مر هاردى خلال باب زجاجى أنيق محفور عليه شكل نسر وقد فُتح الباب بهدوء عندما اقتربا منه . قامت السكرتيرة التنفيذية ، التى كانت تبدو بمظهر جميل بإعلان وصولهما فى السماعة . وقامت بالضغط على زر موجود على لوحة

موضوعة على مكتب غاية فى الأناقة ذى خشب أملس حتى إنه كان يبدو كقطعة فنية أكثر من كونه مكتباً . أشارت السكرتيرة إلى هاردى وسوير للتحرك تجاه جدار ضخم مصنوع من خشب الأبنوس المطلى بالورنيش . فُتح جزء من الجدار عندما اقتربا منه . هز سوير رأسه متعجباً مما يرى مثلما فعل مرات عديدة منذ دخوله مبنى تريتن .

فى غضون لحظات ، كانا يقفان أمام مكتب أقرب إلى مركز القيادة ، حيث كانت شاشات العرض تملأ الجدران ، والهواتف والأجهزة الإلكترونية المبتكرة موضوعة على المناضد وعلى وحدات رائعة معلقة على الجدران . كان الرجل الجالس خلف المكتب قد وضع سماعة الهاتف تواً والتفت إليهما .

قال هاردى : " العميل الخاص لدى مكتب التحقيقات الفيدرالية لى سوير ، ناثان جامبل رئيس شركة تريتن جلوبال " .

شعر سوير بقوة القبضة عندما التفت أصابع ناثان جامبل حول يده وقد تبادل الرجلان التحية بشكل يخلو من الترحيب .

" هل عثرتم على آرتشر ؟ "

كان سوير متوجهاً إلى المقعد عندما فجأه ذلك السؤال . كانت نبرة ناثان جامبل فى الكلام متعالية ويبدو كأنه يكلم أحد مرءوسيه مما أدى إلى شعور سوير بالاشمئزاز . جلس سوير واستغرق لحظة ليتفحص الرجل قبل أن يجيب . ولمح بطرف عينه نظرة هاردى التى كان يظهر بها التوجس وهو يقف بالقرب من مدخل الباب . استغرق سوير لحظة أخرى ليفك أزرار حلته وفتح مفكرته قبل أن يستقر ببصره على جامبل .

" إننى أحتاج لطرح بعض الأسئلة عليك يا سيد جامبل وآمل ألا يستغرق الأمر طويلاً " .

جاء صوت رئيس مجلس الإدارة بشكل أعمق الآن وقال : " إنك لم تجب عن سؤالى " .

" لا ، لم أفعل ولا أنوى ذلك " . وثبت كلا الرجلين عينيه على الآخر إلى أن قطع جامبل ذلك ونظر إلى هاردى .

قال هاردى : " إنها التحريات الخاصة بالمكتب يا سيد جامبل وعادة لا يقوم أى عميل من المكتب بالتعليق على ـــــــ " .

قاطعه جامبل بحركة مفاجئة من يده قائلاً : " إذن لنبدأ الآن . لأن علىَّ اللحاق بالطائرة خلال ساعة " .

لم يدر سوير أيهما يريد ضربه أكثر جامبل أم هاردى الذى يسمح بهذا السلوك .

قال هاردى : " يجب انضمام كونتين وريتشارد لوكاس إلى هذه المناقشة يا سيد جامبل " .

قال جامبل : " كان يجب أن تفكر فى هذا قبل الترتيب لهذه المقابلة يا هاردى " ، وضغط على أحد الأزرار قائلاً : " أرسلى رووى ولوكاس حالاً " .

لمس هاردى كتف سوير قائلاً : " إن كونتين يرأس القسم الذى كان يعمل به آرتشر ، ولوكاس هو رئيس الأمن الداخلى " .

قال سوير : " إنك محق إذن يا فرانك ، سأحتاج للحديث معهما " .

بعد مضى بضع دقائق فُتح المدخل الكبير ودخل الرجلان إلى مكتب ناثان جامبل الخاص . نظر سوير إليهما نظرة ثاقبة واستطاع أن يميز كلاً منهما سريعًا . كان السلوك المتجهم ونظرة الحقد المعتادة بين أى متنافسين التى كان ينظر بها إلى هاردى ، وكذلك

ارتفاع الجزء الأيسر من صدره الذى يدل على وجود مسدس ، تشير إلى أن هذا هو ريتشارد لوكاس رئيس الأمن بالشركة . استطاع سوير أن يحدد أن كونتين رووى فى أوائل الثلاثينيات من عمره . كان وجه رووى يحمل ابتسامة وكانت عيناه واسعتين ذات لون عسلى يوضحان أن صاحبهما شخص حالم بعيد عن القسوة والصراحة . كما استنتج سوير أن ناثان جامبل لا يمكن أن يكون لديه صديق كهذا . انتقل الجميع إلى منضدة الاجتماعات الكبيرة الموجودة فى أحد أركان غرفة مكتب جامبل الضخمة .

نظر جامبل إلى ساعته ثم نظر إلى سوير قائلاً : " أمامك خمسين دقيقة يا سوير . كنت أتمنى أن تكون لديك معلومات مهمة بالنسبة لى . ولكنى أصبت بإحباط . لماذا لم تثبت لى أننى كنت مخطئاً ؟ "

عض سوير على شفته وضم كتفيه وقرر ألا يبتلع الطُعم ثم قال : " متى شعرت بالشك فى آرتشر لأول مرة ؟ " .

تململ لوكاس فى مقعده . وكان يبدو عليه أن مكانته قد اهتزت بسبب الأحداث الأخيرة ، وقال : " كان شريط الفيديو الذى يظهر فيه آرتشر وهو يقوم بعملية تسليم واستلام هو أول حدث أثار الشك فى نفوسنا تجاهه " .

نظر سوير إلى لوكاس متسائلاً بنبرة ساخرة : " هل ذلك ما حصل عليه رجال فرانك ؟ " .

تحدث لوكاس بتعبيرات تنم عن غضبه قائلاً : " هذا صحيح . على الرغم من أنى كنت أرتاب فى أمر آرتشر قبل أن أرى شريط الفيديو " .

تحدث جامبل بصوت مرتفع قائلاً : " حقاً ؟ لا أذكر أنك قد صرحت لى بتلك الشكوك من قبل . وأنا لا أدفع لك كل هذه الأموال كى تبقى فمك مغلقاً " .

نظر سوير إلى لوكاس عن قرب ، وسأله : " ما نوع ارتيابك فى آرتشر ؟ " .

ظل وجه لوكاس محتقناً ، فقد آلمته عبارات التوبيخ ، ثم نظر إلى سوير قائلاً : " حسناً ، ربما كان مجرد إحساس لا أكثر . ليس شيئاً ملموساً ، بل مجرد إحساس . وقد يكون ذلك أكثر أهمية . أتعرف ما أقصد ؟ " .

" نعم" .

" كان يعمل كثيراً وفى ساعات عمل غير منتظمة ويمكننى إخبارك بأنه قد سجل أوقات عمل تفوق الجميع " .

اندهش جامبل قائلاً : " إننى أوظف من يعملون بجد فقط ، ونسبة كبيرة من الموظفين هنا يعملون ما بين خمس وسبعين إلى تسعين ساعة فى الأسبوع ، كل أسبوع على مدار العام " .

قال سوير : " أعلم أنك لا تحب الكسالى " .

" إننى أجعل رجالى يعملون بجد ولكن يتم تعويضهم عن ذلك جيداً ، حتى إن كل مدير قديم على المستوى التنفيذى فى الشركة مليونير ، كما أن معظمهم عمرهم أقل من الأربعين " . أومأ جامبل إلى كونتين رووى واستطرد : " لن أخبرك كم كان يتقاضى عندما جعلته يعمل معى . ولكن إذا رغب فى شراء جزيرة فى مكان ما ، أو تشييد قصر لنفسه أو شراء طائرة يمكنه عمل كل هذا دون أن يقترض ولو بنسًا واحدًا ويتبقى لديه المزيد الذى يكفى لجعل أحفاده يعيشون عيشة رغدة . بالطبع ، أنا لن أتوقع أن تتفهم البيروقراطية الفيدرالية التفاوتات الخاصة بالمشاريع الحرة . أمامك الآن سبع وأربعون دقيقة باقية " .

وعد سوير نفسه ألا يسمح لـ " جامبل " ألا يحدثه بهذه الطريقة مطلقاً ونظر إلى هاردى قائلا : " هل تأكدت من حقيقة حساب البنك ؟ " .

أومأ صديقه قائلاً : " سأجعلك تلتقى عملاء المكتب المسئولين عن هذا العمل " .

ثار جامبل وضرب بقبضة يده بقوة على المنضدة وحملق بغضب إلى سوير كما لو كان هو من خدع رئيس تريتن وقال : " إنها مائتان وخمسون مليون دولار ! " .

قطع سوير لحظة الصمت التى سادت وقال : " إننى علمت أن آرتشر كانت لديه إجراءات أمن إضافية على باب مكتبه " .

أجاب لوكاس وقد شحب وجهه : " ذلك صحيح ، لقد فعل " .

" أريد رؤية مكتبه فيما بعد . ما نوع الأشياء التى قام بتركيبها ؟ " .

نظر جميع من كانوا بالغرفة إلى ريتشارد لوكاس واستطاع سوير أن يرى قطرات العرق المتلألئة على كف رئيس الأمن .

" منذ بضعة أشهر طلب لوحة رقمية وبطاقة متصلة بجهاز إنذار وثبتها على باب مكتبه بحيث لا يمكن الدخول إليه إلا من خلال بطاقة إلكترونية " .

سأل سوير : " هل كان ذلك أمراً غير عادى أو ضرورياً ؟ " .

ولم يتخيل سوير أنه كان ضرورياً لما كان يزخر به المكان من احتياطات أمن عديدة حتى يتمكن المرء من مجرد الدخول إليه .

" لا أعتقد أن ذلك كان ضرورياً على الإطلاق ، فلدينا أفضل أنظمة أمنية فى هذا المجال " . انكمش لوكاس عندما لاقى رده صرخة عالية من جامبل . ثم استطرد قائلاً : " ولكننى لا أستطيع

الجزم بذلك لأن هناك أشخاصاً آخرين لديهم أجهزة مماثلة على أبواب مكاتبهم " .

شارك كونتين رووى فى الحديث قائلاً : " لا يمكن أن يفوتك يا سيد سوير أن جميع من يعملون داخل شركة تريتن على وعى كامل بمسألة الإجراءات الأمنية للحفاظ على التقنية الخاصة بهم . وفى الواقع يأتى فرانك كل ربع ساعة إلى الموظفين ويؤكد أهمية هذا الموضوع . وإذا كان أى موظف يواجه مشكلة تتعلق بالأمن فيمكنه أو يمكنها اللجوء إلى ريتشارد أو إلى أحدٍ من موظفيه أو إلى فرانك وجميع الموظفين يعلمون أن فرانك كان يعمل فى مكتب التحقيقات الفيدرالية . وإننى على ثقة من أن أى موظف لديه مشكلة تخص الأمن لن يتردد فى اللجوء إلى أى منهما . فى الواقع ، كان الموظفون يفعلون ذلك فى الماضى وبالتالى يقضون على أى مشكلة فى مهدها " .

نظر سوير إلى هاردى الذى أومأ موافقاً ثم قال : " ولكنكم واجهتم مشكلة عدم قدرتكم على الدخول إلى مكتبه بعد اختفائه . كان يجب أن تتبعوا نظاماً لتأخذوا فى الحسبان تعرض الموظفين للمرض أو الموت أو تركهم للعمل " .

تحدث لوكاس قائلاً : " هناك نظام لذلك بالفعل " .

ظهرت ملامح الإعجاب على وجه رووى وهو يقول : " يبدو أن جاسون قد تغلب عليه " .

" كيف ؟ " .

نظر رووى إلى لوكاس ثم تنهد قائلاً : " وفقاً لسياسة الشركة يتم وضع الشفرة الخاصة بأى شخص يتبع نظام الأمن على موقع يتم نقله إلى رئيس الأمن " . وضح كونتين كلامه قائلاً : " أى إلى

ريتشارد بالإضافة إلى أن جميع العاملين فى الأمن لديهم بطاقات يمكنهم الدخول من خلالها إلى أى جزء فى المكتب " .

" هل قام آرتشر بنقل الشفرة الخاصة به ؟ " .

" لقد قام بنقلها إلى ريتش ولكنه قام بإعادة برمجة وحدة القراءة الموجودة على باب مكتبه بشفرة مختلفة " .

نظر سوير إلى لوكاس نظرة معبرة عن الشك ، وقال : " ألم يتم اكتشاف هذا التغيير من قبل ؟ " .

قال رووى : " لم يكن هناك سبب يدعو للتفكير فى أنه قد قام بتغيير الشفرة . كما أن باب مكتب جاسون كان عادة يظل مفتوحًا أثناء ساعات العمل . ولم يكن هناك سبب يجعل أى شخص آخر غير جاسون يبقى فى المكتب بعد انتهاء ساعات العمل الأساسية " .

" حسناً ، كيف حصل آرتشر على المعلومات التى يقال إنه نقلها إلى شركة آر . تى . جى ؟ وهل كان مسموحاً له بالاطلاع عليها ؟ " .

تحرك كونتين رووى فى مقعده ومر بإحدى يديه على شعره وقال : " بعض منها ، فقد كان جاسون أحد الأعضاء المشاركين فى مشروع الحصول على الصفقة . إلا أن هناك أموراً كانت على أعلى مستوى من المفاوضات لم يكن على علم بها وكان يعرفها ناثان فقط وأنا وثلاثة مديرين تنفيذيين قدامى فى الشركة . وكان بالطبع بعيداً عن الاستشارة القانونية " .

سأل سوير : " أين يتم الاحتفاظ بتلك المعلومات ؟ فى درج خاص بالملفات ؟ فى مكان آمن ؟ " .

تبادل رووى ولوكاس الابتسام .

أجاب رووى : " ليس لدينا مكاتب أو أدراج لحفظ الأوراق بل إن جميع المستندات المهمة والوثائق يتم تخزينها فى ملفات على الحاسبات " .

" من المفترض أن يكون هناك نوع من الاحتياطات الأمنية على تلك الملفات إذن ، أليس كذلك ؟ ككلمة سر مثلاً " .

قال لوكاس : " إنها أكثر من كلمة سر بكثير " .

أسند سوير ظهره إلى المقعد وقال : " وعلى الرغم من ذلك تمكن آرتشر من اقتحام هذا كله كما يبدو " .

بدا على وجه لوكاس الامتعاض .

ومسح كونتين رووى نظارته قائلاً : " نعم ، لقد فعل . أتريد أن تعلم كيف فعل ذلك ؟ " .

ملأت مجموعة الرجال المخزن الصغير والمتكدس بالصناديق . قام ريتشارد لوكاس بدفع الصناديق بعيداً عن الجدار . وبينما كان ينظر كل من رووى وهاردى وسوير إلى المكان ليتفحصوه . ورفض ناثان جامبل الانضمام إليهم . ظهر الموضع الخاص بالكابل فى المكان الذى كانت توجد به الصناديق . توجه كونتين رووى إلى الحاسب ورفع الكابلات .

" تمكن جاسون من الدخول إلى الشبكة الداخلية الخاصة بنا من خلال محطة العمل هذه " .

" ولماذا لم يقم باستخدام الحاسب الموجود فى مكتبه وحسب ؟ " .

كان رووى يهز رأسه قبل أن يتوقف سوير عن الكلام ، وقال لوكاس : " عندما كان جاسون يدخل على حاسبه كان يمر بسلسلة من الإجراءات الأمنية . وكانت تلك الإجراءات الأمنية لا تقوم فقط

بالتحقق من المستخدم بل **تؤكد** هويته . وكل محطة عمل فى المكان لديها ماسح ضوئى خاص بحدقة العين الذى يأخذ صورة متحركة لحدقة عين المستخدم . بالإضافة إلى أن الماسح الضوئى يقوم بعمل مسح دورى للمشغل حتى يقوم بتأكيد هوية المستخدم باستمرار . فإذا ترك آرتشر مكتبه أو جلس شخص آخر مكانه يتم غلق النظام تلقائياً من على محطة العمل هذه " .

نظر رووى بثبات إلى سوير وقال : " إن النقطة المهمة فى كل هذا هى أنه إذا دخل آرتشر إلى أى ملف من محطة العمل الخاصة به فسوف نعرف أنه قد فعل ذلك " .

سأل سوير : " كيف يتم ذلك ؟ "

" إن الشبكة الخاصة بنا لديها تلك الخاصية ، كما أن معظم الأنظمة لديها بعض الخصائص من ذلك النوع . فإذا دخل المستخدم على أحد الملفات يتم تسجيل هذا الدخول بواسطة النظام . ومن خلال استخدام محطة العمل هذه ـ وأشار إلى الحاسب القديم ـ التى من المفترض ألا تكون متصلة بالشبكة وليس بها أرقام مسجلة على مركز الشبكة ، تمكن من تخطى تلك العقبة . إذ إن هذا الحاسب لم يكن مسجلاً على شبكتنا . كان يمكن لـ " جاسون " استخدام الحاسب الموجود فى مكتبه للبحث عن موقع بعض الملفات بعينها دون الدخول إليها . وكان يمكنه فعل ذلك فى وقت فراغه . وكان ذلك يختصر الوقت الذى يحتاجه للبقاء هنا ، حيث كان يمكن أن يكشفه أحد " .

هز سوير رأسه قائلاً : " انتظر لحظة . إذا كان آرتشر لم يستخدم محطة العمل الخاصة به للدخول إلى الملفات لأنها تستطيع تحديد هويته واستخدم بدلاً منها هذا الحاسب لأنه لا يستطيع

تحديد هويته ، فكيف عرفت أن آرتشر هو الذى دخل على الملفات فى المقام الأول ؟ "

أشار هاردى إلى لوحة المفاتيح قائلاً : " شىء قديم يمكن الاعتماد عليه ، لقد قمنا برفع بصمات الأصابع العديدة الموجودة هنا ، وقد جاءت جميعها مطابقة لبصمات آرتشر " .

فى النهاية سأل سوير أهم سؤال وقال : " حسناً ، ولكن كيف عرفت أن محطة العمل هذه قد تم استخدامها للوصول إلى أية ملفات ؟ "

جلس لوكاس على أحد الصناديق وقال : " منذ فترة كان مسموحاً لنا بالدخول على النظام . وعلى الرغم من أن آرتشر لم يكن محتاجاً للخوض فى عملية تحديد الهوية حتى يمكنه الدخول خلال هذه الوحدة ، فإنه كان يترك أثراً إذا دخل على الملفات عن طريقها إلا إذا قام بإزالة آثاره إلكترونياً عند خروجه . وكان ذلك يمكن عمله وإن كان ينطوى على قدر من الصعوبة . فى الواقع أعتقد أن ذلك ما فعله فى بادئ الأمر على الأقل ، ولكنه بعد ذلك تخلى عن حذره . وقد تمكنا فى النهاية من معرفة أثره ثم تتبعنا الأثر إلى أن قادنا إلى هنا وقد استغرق ذلك بعض الوقت منا " .

عقد هاردى ذراعيه عند صدره وقال : " أتعلم أن ذلك الأمر به شىء من السخرية . إنك تضيع كل هذا الوقت والمجهود والمال لتأمين شبكاتك ضد أى فجوات أو ثغرات كما أن لديك أبواباً حديدية وحراس أمن وأجهزة مراقبة إلكترونية وبطاقات للدخول ، كل ذلك تمتلكه تريتن إلا أن ..... " ، نظر هاردى إلى السقف ثم قال : " بالإضافة إلى أن لديكم لوحات تتدلى من السقف بها كابلات تعمل على ربط الشبكة بالكامل معاً ، ومع ذلك يسهل اختراقها " .

وهز رأسه ونظر إلى لوكاس قائلاً : " لقد حذرتك من التعرض لتلك المخاطر من قبل " .

قال لوكاس بانفعال : " إنه كان عالماً ببواطن الأمور بحكم مركزه ، فقد كان يعرف النظام واستخدم تلك المعرفة للدخول على المواقع وتخريبها وسرقة كلمة المرور " . أطال لوكاس التفكير للحظة ثم قال : " ثم أخضع مجموعة من الأشخاص فى تلك العملية ، يجب ألا ننسى هذه الحقيقة الصغيرة " .

بعد عشر دقائق عاد الرجال مرة أخرى إلى مكتب جامبل ، الذى لم يرفع عينيه وينظر إليهم حينما ظهروا مرة أخرى .

جلس سوير متسائلاً : " حسناً ، هل هناك أية تطورات من ناحية شركة آر . تى . جى ؟ "

احمر وجه جامبل عندما ذُكر اسم الشركة التى تنافسه وقال : " لا يستطيع أحد أن يخدعنى ويفلت " .

قال سوير برصانة : " لم يثبت حتى الآن تورط جاسون آرتشر مع شركة آر . تى . جى . وكل ذلك ما هو إلا تخمينات " .

أدار جامبل عينيه بشكل تمثيلى وقال : " صحيح ! يمكنك الانصراف الآن والاعتناء بعملك ، أما أنا فسأعتنى بالعمل الشاق هنا " .

أغلق سوير مفكرته وهب واقفاً . نهض هاردى أيضاً وتوجه ليمسك بمعطف سوير إلى أن أوقفه صديقه القديم بنظرة من عينيه كثيراً ما رآها هاردى منه فى كثير من المواقف فى مكتبه . التفت سوير إلى جامبل .

" عشر دقائق يا سوير . بما أنه ليس هناك أية ملحوظة تستحق التسجيل ، فسوف أنصرف مبكراً لألحق بطائرتى " . وعندما مر

جامبل أمام عميل مكتب التحقيقات الفيدرالية الذى يتميز بالضخامة وقوة البنية ، قبض سوير على ذراعه بقوة وقاده خارج الغرفة إلى ساحة الاستقبال الخاصة . نظر سوير إلى المساعدة التنفيذية الخاصة بـ " جامبل " قائلاً : " معذرة يا سيدتى ، أيمكن أن تتركينا لدقيقة " . ترددت السيدة ونظرت إلى جامبل .

" قلت اتركينا معاً ! " ، جعلت نبرة سوير الحادة السيدة تنهض وتترك الغرفة مسرعة .

ثم التفت إلى رئيس الشركة قائلاً : " لنتكلم فى نقطتين بوضوح ياجامبل . الأولى : إننى لا أقوم بتقديم التقارير لك أو لأى شخص آخر فى هذا المكان . الثانية : بما أن أحد موظفيك متهم بالتآمر لتفجير الطائرة سأطرح عليك ما أريد من الأسئلة ولن أهتم بموعد سفرك . وإذا قلت لى مرة أخرى عن الدقائق المتبقية المتاحة لى لأوجه لك فيها الأسئلة ، فسوف آخذ تلك الساعة اللعينة من معصمك وأضعها فى فمك . فأنا لست أحد خدمك . ولا تتكلم معى أبداً بهذه الطريقة مطلقاً . إننى عميل لدى مكتب التحقيقات الفيدرالية ، ومن أفضلهم . لقد تعاملت مع أسوأ الشخصيات ، وإذا كنت تظن أن أسلوبك الجاف الذى تتبعه معى سيؤثر علىّ فإنك بذلك تضيع وقت الجميع بما فيه وقتك . والآن عُد إلى مكتبك واجلس فى مقعدك " .

بعد ساعتين انتهى سوير من مقابلة جامبل والمجموعة ثم قضى نصف ساعة فى البحث داخل مكتب جاسون آرتشر وقد طلب فريقاً ليقوم بفحص وتحليل كل ذرة من مكتب جاسون . كما قام بفحص نظام الحاسب الخاص بـ " جاسون " ولكن لم تكن هناك طريقة

لديه لمعرفة إذا كان شيئاً قد فُقد . كان الشىء الوحيد المتبقى من الميكروفون قابساً صغيراً مطلياً بالفضة .

مشى سوير إلى المصعد مع هاردى .

" أرأيت يا فرانك . لقد قلت لك إنه ليس هناك ما يدعو للقلق . لقد انتهى الأمر بينى وبين جامبل بشكل جيد " .

ضحك هاردى بصوت عال وقال : " لم أر وجه الرجل شاحباً بهذه الطريقة من قبل . ماذا قلت له بحق الجحيم ؟ "

" لقد أخبرته بأنه رجل عظيم وربما شعر بالإحراج من إبداء إعجابى به صراحة " .

عند المصعد قال سوير : " أتعلم أننى لم أحصل على معلومات يمكن الاعتماد عليها للوصول إلى أى شىء . من المؤكد أن نجاح آرتشر فى تنفيذ جريمة القرن قد يؤدى إلى نشر أخبار مثيرة ولكننى أفضل إلقاء القبض عليه ووضعه داخل زنزانة " .

" حسناً ، يجب الضغط على هؤلاء الأشخاص ليعترفوا . فهم يعرفون ما حدث وكيف حدث " .

استند سوير إلى الجدار وحك جبهته قائلاً : " أتلاحظ أنه ليس هناك دليل يربط آرتشر بحادث تفجير الطائرة ؟ "

أومأ هاردى موافقاً : " لقد قلت من قبل إن آرتشر ربما يكون قد استخدم ليبرمان ليغطى آثاره ولكن ليس هناك دليل على هذا أيضاً . وإذا لم تكن هناك علاقة ، فإن آرتشر لرجل محظوظ لأنه لم يركب هذه الطائرة " .

" حسناً إذا كانت المسألة على هذا النحو ، إذن سيكون هناك شخص آخر هو الذى قام بتفجير الطائرة " .

عندما أوشك سوير على الضغط على زر المصعد لمس هاردى كمه قائلاً : " إذا كنت تريد معرفة رأيى المتواضع يا " لى " ، لا أعتقد

أن أكبر مشكلاتك ستكون إثبات أن آرتشر قد تورط فى تفجير الطائرة " .

" إذن ما أكبر مشكلة بالنسبة لى يا فرانك ؟ " .

" العثور عليه " .

انصرف هاردى . وبينما كان سوير ينتظر المصعد سمع صوتاً يناديه قائلاً : " سيد سوير ؟ هل لديك دقيقة ؟ " ، التفت سوير ليجد كونتين رووى متوجهاً إليه .

" ماذا تريد سيد رووى ؟ " .

" أرجوك نادنى كونتين " ، توقف رووى عن الكلام ثم دار ببصره فى الردهة وقال : " أترغب فى القيام بجولة قصيرة لأحد مصانعنا الإنتاجية ؟ " .

تمكن سوير من فهم ما يعنيه سريعاً فقال : " نعم ، بالتأكيد " .

الفصل الثالث والثلاثون

كان مبنى شركة تريتن المكون من خمسة عشر طابقاً متصلاً بمبنى آخر يتكون من ثلاثة طوابق يمتد ليغطى مساحة تصل إلى عشرين ألف متر مربع . علق سوير شارة توضح أنه زائر عند المدخل الرئيسى للمبنى ، ثم تبع رووى خلال عدد من نقاط الأمن . كان من الواضح أن رووى معروف لديهم وأيضًا محبوب منهم ، حيث تلقى عددا من التحيات الحارة من موظفى تريتن . عند إحدى النقاط ومن خلال جدار زجاجى رأى سوير ورووى عدداً من فنيى المعمل يرتدون معاطف بيضاء ، وقفازات وأقنعة خاصة بالعمليات الجراحية يعملون فى مساحة واسعة .

نظر سوير إلى رووى قائلاً : " إن هذا المكان يبدو كغرفة عمليات أكثر منه مصنعاً " .

ابتسم رووى وقال : " فى الواقع إنها أفضل تعقيمًا من أى مستشفى " .

شاهد رووى باستمتاع رد فعل سوير الذى كان مندهشاً وقال : " إن هؤلاء الفنيين يختبرون جيلاً جديداً من رقاقات الحاسبات ويجب أن يكون الوسط الذى يعملون به معقماً بأكمله وخالياً من الأتربة نهائياً . وبمجرد أن يتم الانتهاء من هذه النماذج المطورة ، فإنها ستكون قادرة على تنفيذ مليارات التعليمات " .

قال سوير دون تركيز : " اللعنة "

" هذا يعنى تحديداً تريليونين من التعليمات كل ثانية " .

فغر سوير فاه ثم قال : " ما الذى يدعو ، بحق الجحيم ، إلى التحرك بهذه السرعة ؟ "

" إنك ستندهش . فهناك العديد من الطلبات الهندسية . وتصميمات السيارات التى تعتمد على الحاسبات وكذا الطائرات والسفن ومركبات الفضاء ، والأبنية وعمليات التصنيع بجميع أنواعها ، وكذلك الأسواق المالية ، والعمليات التجارية . وإذا اتخذنا مثلاً شركة كجينرال موتورز بها ملايين من السلع ومئات الألوف من الموظفين وآلاف المواقع ، كل ذلك يتم إدارته عن طريق الحواسب . ونحن نساعد كلا منهم على أداء أعمالهم بكفاءة أكبر " . ثم أشار إلى منطقة إنتاج أخرى وقال : " يتم فى هذه المنطقة اختبار خط جديد من مشغلات الأقراص الصلبة ، والتى ستكون أقوى وأجود ما يتم إنتاجه فى هذا المجال عند طرحه فى الأسواق العام المقبل ، ولكنها ستكون قديمة بعده بعام " .

نظر رووى إلى سوير متسائلاً : " أى نوع من الأنظمة تستخدمونه فى العمل ؟ "

وضع سوير يده فى جيبه وقال : " ربما لم تسمع عنه مطلقاً إنه سميث كورونا " .

اندهش رووى بشدة وقال : " إنك تمزح بالتأكيد " .

أجاب سوير : " إنه نظام غاية فى السهولة بعيد كل البعد عن التعقيد " .

هز رووى رأسه وقال : " إن أى فرد لا يعرف كيف يقوم بتشغيل الحاسب لن يتمكن من التواصل مع المجتمع فى السنوات المقبلة ولكن لا تقلق ، فالأنظمة فى هذه الأيام مألوفة لدى المستخدمين بدرجة كبيرة " .

تنهد سوير وقال : " إن الحاسبات تتقدم دائماً بسرعة مذهلة كالإنترنت مثلاً وأجهزة الاستدعاء والهواتف الخلوية وأجهزة الفاكس ، إلى أين ستنتهى تلك الأجهزة ؟ "

" بما أن هذا مجال عملى ، فإننى آمل ألا يكون لها نهاية أبداً " .

" قد يحدث التغيير بسرعة كبيرة جداً أحياناً " .

ابتسم رووى بلطف وقال : " إن التغير الذى يحدث الآن لن يكون له أى قيمة بالمقارنة بما سيحدث فى السنوات الخمس المقبلة . لقد وصلنا إلى قمة ثورة تكنولوجية لم يتوقعها أحد منذ عشر سنوات مضت " . وظهر بريق فى عينى رووى ، بينما كان يتطلع إلى القرن المقبل وقال : " ما نعرفه الآن مما وصلت إليه شبكة الإنترنت من تقدم مذهل سيصبح مملاً وقديماً بعد فترة ليست بالبعيدة وستسهم تريتن جلوبال بقدر كبير فى حدوث ذلك . وفى الواقع إذا سارت الأمور بطريقة طبيعية سنقود العالم . وستتغير مجالات التعليم والطب وأماكن العمل ، والسفر والترفيه وكذلك طريقة أكلنا واستهلاكنا وإنتاجنا ، أى كل ما يفعله الإنسان أو

يستفيد منه . كما سينتهى الفقر والجريمة والظلم والمرض بسبب القوة المطلقة للمعلومات والاكتشافات ، كما سيختفى الجهل ؛ حيث يمكن لأى شخص الدخول إلى آلاف المكتبات . وفى النهاية سيتطور عالم الحاسبات الذى نعرفه الآن إلى عالم غير محدود من الإمكانات ذى تفاعل عالمى هائل متصل ببعضه البعض فى وحدة واحدة . حدق رووى إلى سوير من خلال نظارته ، وأضاف : " إن أى شىء تريد معرفته فى العالم أو أى مشكلة تريد حلها يمكن الوصول إليها بضغطة واحدة على أحد الأزرار . وذلك ما سيحدث فى المرحلة التالية " .

ظهر الارتياب فى نبرة سوير وهو يقول : " هذا يعنى أن شخصاً واحداً سيتمكن من الحصول على كل هذا من خلال الحاسب " .

" أليست هذه فكرة رائعة ؟ "

" إنها فكرة لعينة " .

فغر رووى فاه وقال : " كيف يكون ذلك مثيراً للاستياء بالنسبة لك ؟ "

" ربما أكون متشائماً بعض الشىء بعد مضى خمسة وعشرين عاماً فى العمل فى مكتب التحقيقات الفيدرالية . ولكنك أخبرتنى بأن شخصاً واحداً يمكنه الحصول على كل هذه المعلومات ، أتعلم أول فكرة طرأت على بالى ؟ "

" لا ، ما هى ؟ "

" ماذا لو كان شخصاً شريراً ؟ " ، لم يظهر أى رد فعل على رووى أكمل سوير كلامه قائلاً : " ماذا لو قام بضغطة واحدة على أحد الأزرار بمسح جميع المعلومات العالمية ؟ " ، طقطق سوير أصابعه ثم قال : " أليس بوسعه أن يحطم كل شىء بهذا ؟ أو ماذا لو استغل الموقف بطريقة سيئة ؟ وماذا سنفعل نحن حينذاك ؟ " .

ابتسم رووى قائلاً : " إن فوائد التكنولوجيا تفوق بكثير أى أخطار كامنة وقد لا تتفق معى ، ولكن السنوات القادمة ستثبت أننى على حق " .

حك سوير مؤخرة رأسه بأظافره وقال : " قد تكون صغيراً جداً ولم تعِ ذلك ، ولكن فى الخمسينات لم يكن أحد يعتقد أن الأدوية المخالفة للقانون ستكون مشكلة ضخمة " .

استكمل الرجلان جولتهما وقال رووى : " لدينا خمسة مصانع متفرقة فى أنحاء البلاد " .

" لابد أن ذلك مكلف للغاية " .

" يمكنك أن تقول ذلك . فنحن ننفق أكثر من عشرة مليارات دولار كل عام على عمليات البحث والتطوير " .

أطلق سوير صفيراً وقال : " إنك تتكلم عن أرقام لا أستطيع حتى تخيلها وأنا مجرد موظف فى هيئة رسمية تتسم بالبيروقراطية وأنتظر ما يجودون به علىَّ كل شهر " .

ابتسم رووى وقال : " إن ناثان جامبل يشعر بالسعادة فى شعور الآخرين بالضيق ، وأعتقد أنه وجد ذلك فيك . ولبعض الأسباب الواضحة لم أمدح أسلوبك فى التعامل معه ولكننى كنت أفكر جدياً فى الهتاف لك " .

" لقد قال لى هاردى إنك كنت تمتلك شركة خاصة وقد كانت أسهمها مرتفعة فى البورصة . فاسمح لى أن أطرح هذا السؤال عليك : ما الذى دفعك للعمل مع جامبل ؟ " .

أشار رووى بيده تجاه المصنع الذى يقفون بداخله وقال : " إنها الأموال ، فمصنع مثل ذلك يتكلف مليارات الدولارات . كانت شركتى تسير بخطى جيدة ولكن العديد من الشركات المتخصصة فى مجال التكنولوجيا كانت تحتل مركزاً جيداً فى البورصة . والذى لم

يفهمه الناس أنه علي الرغم من أن سعر السهم فى شركتى قد ارتفع من تسعة عشر دولاراً منذ اليوم الذى ظهرت فيه فى السوق ليصل إلى مائة وستين دولاراً فى أقل من ستة أشهر ، إلا أننا لم نحقق أى تقدم يوازى هذا الارتفاع الهائل ، ولقد انتقل ذلك إلى الأشخاص الذين اشتروا الأسهم " .

" كان يجب عليك الاحتفاظ بعدد من أسهم الشركة بالرغم من ذلك " .

تكلم رووى بحسرة قائلاً : " لقد فعلت ، ولكن طبقاً لقوانين التداول وشروط الضامن لدينا لم أتمكن فعلاً من بيع أى منها . وعلى الرغم من ذلك ظلت شركتى تناضل ولكن نفقات البحث والتطوير كانت تلتهم الكثير من الأموال ولم تتوفر لدينا أية أرباح " .

" وعندئذ دخل ناثان جامبل ؟ "

" لقد كان حقا من أوائل المستثمرين فى الشركة قبل أن يذيع صيتها وقد وفر لنا رأس مال ممتازاً كما منحنا شيئاً آخر لم يكن لدينا ولكن كنا فى أمس الحاجة له ألا وهو المكانة المتميزة فى البورصة وأسواق المال . كل ذلك جعلنا نتمتع بسجل قوى فى مجال الأعمال ، كما أنه ولع بكسب المال . وعندما ذاع صيت شركتى ظل محتفظاً بالأسهم التى تخصه . وقد قمت أنا وجامبل فيما بعد بمناقشة ما سيحدث فى المستقبل وقررنا أن نستقل بالشركة لتكون خاصة بنا " .

" بالنظر إلى أحداث الماضى فإن ذلك يعتبر قراراً جيدا " .

" من ناحية المال يعتبر ذلك قراراً جيداً بقدر كبير " .

" ولكن المال ليس كل شىء يا كونتين أليس كذلك ؟ " .

" نعم ، هذا ما أقوله لنفسى " .

أسند سوير ظهره إلى الجدار وعقد ذراعيه الممتلئتين عند صدره ونظر مباشرة إلى رووى وقال : " إن هذه الجولة ممتعة فعلا ، ولكنى آمل ألا يكون ذلك هو كل ما يدور فى ذهنك فقط " .

" ليس ذلك كل شىء " . أظهر رووى بطاقته الخاصة للرجل الواقف عند باب قريب ، ثم أشار إلى سوير كى يتبعه بالدخول . جلس الرجلان على منضدة صغيرة . قضى رووى برهة يستجمع فيها أفكاره قبل أن يبدأ بالكلام . ثم قال : " أتعلم أنك لو كنت قد سألتنى من قبل أن يحدث كل هذا عن الشخص الذى أشك فى أنه قد استولى على مبالغ مالية من الشركة ، لم يكن اسم جاسون آرتشر ليخطر على بالى مطلقاً " . خلع رووى نظارته ومسحها بمنديل قد أخرجه من جيب قميصه .

" إذن لقد كنت تثق فيه ؟ "

" تمام الثقة " .

" والآن ؟ "

" والآن ، أعتقد أننى كنت مخطئاً ، وأشعر بأنه قد خاننى حقاً " .

" إننى أفهم شعورك هذا . أتظن أن شخصاً آخر من الشركة قد يكون متورطاً فى الأمر ؟ "

" يا إلهى ، لا أتمنى ذلك " ، وبدا على رووى الشعور بالذعر عندما قال سوير ذلك الكلام ، ثم استطرد قائلاً : " لقد كنت أعتقد أن جاسون هو الذى قام بذلك بمفرده أو أن منافساً آخر يعمل معه . وهذا بالنسبة لى أقرب للمنطق . بالإضافة إلى أن جاسون كان قادراً على الدخول على نظام الحاسب الخاص ببنك ترست بمفرده . فلم يكن ذلك الأمر صعباً عليه مطلقاً " .

" إنك تتكلم كما لو كانت لديك تجربة فى هذا الأمر " .

احمر وجه رووى وقال : " لنقل إن لدى فضولاً شديداً . لقد كان الدخول على قواعد البيانات من الهوايات المفضلة أثناء الجامعة . كنت أنا وزملائى لدينا الوقت الكافى لعمل هذا ، على الرغم من أن السلطات المحلية عبرت عن استيائها وعدم الرضا فى أكثر من مناسبة ولكننا لم نقم بسرقة أى شىء . ولقد ساعدت بالفعل فى تدريب بعض الفنيين التابعين للشرطة على الوسائل التى تساعدهم فى تحديد ومنع الجرائم المتعلقة بالحاسب " .

" ماذا عن هؤلاء الذين يعملون فى الأمن بالشركة ؟ " .

" أتقصد ريتشارد لوكاس ؟ لا ، إنه كان دائماً مع جامبل طوال الوقت . إنه يؤدى أعماله بأسلوب ممتاز ولكنه ليس أفضل من تتخذه صديقاً لك " .

" إلا أن آرتشر قد خدعه " .

" لقد خدعنا جميعاً . ومن المؤكد أننى لست فى موضع يمكننى من خلاله تحديد أى شىء " .

" هل لاحظت أى شىء مريب على جاسون آرتشر فيما يتعلق بالأحداث الماضية ؟ " .

" بالنظر إلى الأحداث الماضية فمعظم الأمور تبدو مختلفة ، وحينما فكرت فى الأمر ملياً وجدت أن جاسون كان يبدو مهتماً بصفقة سيبركوم بدرجة كبيرة " .

" أكان يعمل بها ؟ " .

" لم أقصد ذلك وحسب ، فحتى فى بعض التفاصيل الصفقة التى لم يكن له علاقة بها كان يسألنى الكثير من الأسئلة " .

" مثل ماذا ؟ " .

" كأن يسألنى مثلاً هل كانت الشروط عادلة ، أو عما إذا كنت أعتقد أن الصفقة ستتم . وماذا سيكون دوره بمجرد أن تتم هذه الصفقة وأشياء من هذا القبيل " .

" ألم يسألك أبداً عن أية سجلات سرية كنت تحتفظ بها وتخص هذه الصفقة ؟ " .

" ليس بشكل مباشر " .

" هل كان يستطيع الحصول على كل شىء يحتاجه من الحاسب ؟ " .

" على ما يبدو " .

جلس الرجلان يحدقان إلى المساحة التى أمامهما بضع لحظات .

" هل لديك فكرة عن المكان الذى يمكن أن يكون آرتشر مقيماً به الآن ؟ " .

هز رووى رأسه وقال : " لقد قمت بزيارة زوجته سيدنى " .

" لقد تقابلنا " .

" من الصعب على المرء أن يصدق أنه لا يزال حياً ويتركهما هكذا . فهو لديه ابنة أيضاً ، طفلة جميلة " .

نظر رووى إليه باستغراب متسائلاً : " ماذا تقصد ؟ " .

" أقصد أنه ربما ينوى العودة إليهما " .

" إنه هارب من العدالة الآن . لماذا سيعود ؟ بالإضافة إلى أن سيدنى لن تذهب معه " .

" لِمَ لا ؟ " .

" إنه مجرم وهى محامية " .

" قد يكون ذلك مفاجأة كبيرة بالنسبة لك يا كوينتن ، لكن بعض المحامين ليسوا شرفاء " .

" أتعنى أنك تشك فى تورط سيدنى آرتشر فى هذا الموضوع ؟ " .

" أعنى أننى حتى الآن لم أحكم عليها أو على أى شخص آخر بأنه مشتبه فى تورطه . إنها تعمل محامية بشركة تريتن . وكانت تعمل فى صفقة سيبركوم . ويبدو أن ذلك منصب ممتاز للحصول على الأسرار وبيعه إلى شركة آر . تى . جى . من يدرى بحق الجحيم ؟ ولكنى أنوى معرفة كل شىء " .

وضع رووى نظارته وحك جبهته بعصبية ثم قال : "من الصعب جدًا تصديق أن سيدنى متورطة فى كل هذا " .

كانت نبرة رووى تعبر عن اقتناعه بتلك الكلمات التى قالها .

أخذ سوير يتفحصه عن قرب وقال : " ألا تريد أن تخبرنى بشىء يا كوينتن ؟ ربما عن سيدنى آرتشر ؟ " .

تنهد رووى أخيراً ونظر إلى سوير وقال : " إننى مقتنع بأن سيدنى كانت فى مكتب جاسون داخل تريتن بعد حادث تحطم الطائرة " .

ضاقت عينا سوير وقال : " ما دليلك ؟ " .

" كنت أنا وجاسون نعمل فى أحد المشاريع فى مكتبه حتى وقت متأخر فى الليلة التى كانت تسبق سفره إلى لوس أنجلوس وغادرنا المكتب معاً وقام بتأمين باب مكتبه بعد خروجى . وظل مكتبه مغلقاً منذ تلك اللحظة إلى أن أحضرنا شركة متخصصة لتقوم بإبطال عمل الإنذار وفتح الباب " .

" ماذا بعد ؟ " .

" عندما دخلنا المكتب لاحظت فى الحال أن الميكروفون الموجود على حاسب جاسون قد ثنى وكأن شخصاً قد ضربه ثم حاول إصلاحه مرة أخرى " .

" ولماذا تظن أن ذلك الشخص هو سيدنى آرتشر ؟ ربما عاد جاسون فيما بعد فى تلك الليلة " .

" لو كان قد رجع مرة أخرى لتم تسجيل ذلك سواء إلكترونياً أو عند حارس الأمن الموجود فى المكان . " ، توقف رووى عن الكلام وأخذ يتذكر ليلة زيارة سيدنى . ثم رفع يده أخيراً وقال :

" إنها كانت تتسلل وقالت إنها لم تكن داخل المنطقة المحظور الدخول إليها ، ولكننى كنت متأكداً أنها دخلت إليها . وأعتقد أن الحارس المسئول عن الأمن كان يغطيها ، وقد روت لى سيدنى حكاية كاذبة عن مقابلتها لسكرتيرة جاسون هناك لتأخذ بعض الأغراض الشخصية الخاصة به " .

" ألا يبدو ذلك مقنعاً ؟ " .

" كان كذلك فى البداية ، إلا أننى عرضاً سألت كاى فينيست وهى سكرتيرة جاسون إذا ما كانت تحدثت إلى سيدنى مؤخراً فاكتشفت أن كاى كانت فى بيتها فى نفس الليلة التى ذهبت فيها سيدنى إلى المكتب ، وكانت تعلم أن كاى ليست هناك " .

أسند سوير ظهره إلى المقعد واستمر رووى قائلاً : " إنك تحتاج إلى بطاقة خاصة كى تبدأ فى إبطال عمل الإنذار الموجود على باب مكتب جاسون ، بالإضافة إلى أنك تحتاج إلى معرفة كلمة السر التى تتكون من أربعة حروف وإلا سينطلق الإنذار . وقد حدث ذلك فعلاً عندما حاولنا الدخول إلى مكتبه فى بادئ الأمر . وفى ذلك الوقت عرفنا أن جاسون قد قام بتغيير كلمة السر . وقد كنت أنوى محاولة الدخول إلى مكتبه فى الليلة التى جاءت فيها سيدنى ولكننى كنت أعلم أن ذلك سيكون غير ذى جدوى . إن لدى بطاقة رئيسية للدخول ولكن بدون كلمة السر وكاد الإنذار ينطلق مرة أخرى " .

توقف رووى عن الكلام ليلتقط أنفاسه ثم استطرد قائلاً :

" لقد تمكنت سيدنى من الوصول إلى بطاقة الدخول الخاصة

بـ " جاسون " وقد يكون هو أخبرها بكلمة السر . لا أستطيع أن أصدق أننى أقول ذلك ولكنها متورطة فى شىء لا أعلم طبيعته " .

" لقد قمت بفحص مكتب آرتشر تواً ولم أر الميكروفون . ماذا كان شكله ؟ "

" يبلغ طوله حوالى خمس بوصات وفى سمك القلم الرصاص وبه سماعة صغيرة عند أحد طرفيه . ويوضع مباشرة فوق وحدة التشغيل المركزية الخاصة بالحاسب فى أسفل الجهة اليسرى . ويستخدم لإعطاء الأوامر الصوتية ويوماً ما سوف يحل محل لوحة المفاتيح بالكامل . وهو شىء ذو قيمة عالية للأشخاص الذين لا يستطيعون الكتابة جيداً على لوحة المفاتيح " .

" إننى لم أر شيئاً كهذا " .

" ربما لا ، إننى متأكد من أن شخصاً قد أزاله من المكتب لأنه قد تم إتلافه " .

استغرق سوير بضع دقائق لتدوين بعض الملاحظات ثم طرح على رووى بعض الأسئلة ، ثم رافقه رووى إلى باب الخروج مرة أخرى . قال سوير : " إذا تذكرت أى شىء آخر يا كونتين أخبرنى على الفور " ، وناول رووى بطاقته الخاصة " .

" أتمنى لو أنى كنت أعلم ماذا يحدث يا سيد سوير . ولكنى كنت منشغلاً بالعمل فى صفقة سيبركوم والآن هذا الحادث " .

" إننى أبذل كل ما بوسعى يا كونتين ، إلى اللقاء " .

رجع رووى ببطء إلى الداخل وهو يمسك ببطاقة التعارف الخاصة بـ " سوير " . وبينما مشى سوير إلى سيارته سمع صوت هاتفه الجوال يرن . وجاء صوت راى جاكسون مضطربًا " : " لقد كنت على صواب " .

" عن ماذا ؟ "

" لقد غادرت سيدنى آرتشر " .

الفصل الرابع والثلاثون

كانت هناك سيارتان تابعتان لمكتب التحقيقات الفيدرالية تتبعان تاكسى المطار . وكانت هناك سيارتان أخريان تسيران فى شوارع موازية وتعبر نقاطاً استراتيجية لتتولى أمر عملية تعقب التاكسى حتى لا يتنبه الشخص المراقب إلى أنهم يتعقبونه . رفع ذلك الشخص شعره من على عينيه وأخذ نفساً عميقاً ونظر خارج نافذة التاكسى . لم يكن ذلك الشخص سوى سيدنى آرتشر التى قامت بمراجعة تفاصيل رحلتها مرة أخرى سريعاً وتساءلت بين نفسها إذا ما كانت قد قامت باستبدال كابوس بآخر .

تحدث راى جاكسون فى هاتف السيارة قائلاً : " لقد عادت إلى المنزل بعد انتهاء مراسم التأبين ومكثت قليلاً ثم حضر التاكسى

واصطحبها ، وهما يتوجهان إلى مطار دويلز . وقد توقفت عند أحد البنوك . ربما لسحب بعض النقود " .

أحكم لى سوير وضع الهاتف على أذنه حتى يتمكن من الاستماع جيداً فقد كانت فترة الذروة وقال : " أين أنت الآن ؟ " .

رد جاكسون : " لا تتعب نفسك يا لى فنحن نتحرك بصعوبة بالغة بسبب الزحام المرورى الشديد " .

نظر سوير إلى الشوارع المكتظة وقال : " يمكننى الوصول إليك فى غضون عشر دقائق . كم حقيبة سفر تحملها سيدنى ؟ "

" واحدة متوسطة الحجم " .

" إنها رحلة قصيرة إذن " .

" ربما " ، ونظر جاكسون إلى التاكسى ، ثم قال : " يا إلهى ، اللعنة " .

سأله سوير مسرعاً : " ماذا حدث ؟ "

راقب جاكسون التاكسى بفزع وهو ينحرف فجأة إلى محطة مترو فيينا وقال : " يبدو أن السيدة قد أحدثت تواً تغييراً فى ترتيبات سفرها . فهى تتجه إلى المترو " . رأى جاكسون سيدنى آرتشر وهى تخرج من التاكسى .

" أرسل رجلين إلى هناك فى الحال يا راى " .

" سأفعل بأقصى سرعة " .

أضاء سوير مصباح سيارته وانطلق من إشارة المرور التى توقفت فجأة . وعندما رن هاتفه مرة أخرى التقطه سريعاً وقال : " تحدث إلى يا راى هل هناك أخبار جيدة " .

كان صوت راى هذه المرة طبيعياً وقال : " حسناً ، لقد أرسلنا رجلين إليها " .

" إننى على بعد دقيقة واحدة من المحطة . إلى أى اتجاه تذهب هى ؟ انتظر لحظة ، إن محطة فيينا هى نهاية الخط . لابد أنها تتجه إلى المدينة " .

" ربما يا لى ، إلا إذا كانت تريد خداعنا وتستقل سيارة أخرى عندما تخرج من المترو ، ثم تتجه إلى دويلز من الطريق الآخر . ولدينا مشكلة خطيرة فى خطوط الاتصال بيننا لأن أجهزة اللاسلكى لا تعمل جيداً داخل المترو . فإذا غيرت القطارات داخل المترو فإن رجالنا سيفقدون أثرها وسنكون قد فقدناها نهائياً " .

أخذ سوير يفكر للحظة وقال : " هل أخذت حقيبة السفر معها يا راى ؟ "

" ماذا ؟ اللعنة ، لا ، لم تفعل " .

" اجعل سيارتين تتبعان ذلك التاكسى يا راى إننى أشك أن السيدة آرتشر ذاهبة لمقابلة زوجها " .

" إننى أتولى الأمر بنفسى . أتريد أن تنضم إلىَّ ؟ "

كاد سوير يوافق ثم عدل عن رأيه فجأة ، وقال : " استمر أنت يا راى فى عملك ، أما أنا فسأقوم بتغطية زاوية أخرى . اتصل بى كل خمس دقائق ولنأمل ألا تفلت منا " .

لف سوير بسيارته إلى الطريق المعاكس واندفع بسرعة ناحية الشرق .

غيرت سيدنى القطار فى محطة روسلين وصعدت إلى القطار ذى لون أزرق يتوجه صوب الجنوب . وفى محطة البنتاجون فتحت الأبواب وخرج من عربات القطار ما يقرب من ألف شخص تقريباً . كانت سيدنى تحمل معطفها الأبيض الذى كانت ترتديه وكانت حريصة على عدم لفت الانتباه إليها .

أخذ عميلا مكتب التحقيق الفيدرالية يندفعان وسط الحشود فى محاولة للوصول إلى سيدنى آرتشر دون جدوى . ولم يلحظ أى منهما سيدنى وهى تصعد إلى نفس القطار ولكن فى عربة مختلفة وقد اتجهت إلى مطار ناشيونال . وقد أخذت تنظر خلفها عدة مرات ، ولكن لم يكن هناك من يتعقبها الآن .

أوقف سوير سيارته فى ساحة الانتظار أمام المحطة الأخيرة للمترو عند مطار ناشيونال وأظهر أوراق إثبات شخصيته لرجل الأمن الواقف فى ساحة الانتظار وهرع إلى داخل المبنى . بعد بضع ثوان أخرى توقف وقد تقوست كتفاه من الإحباط ، حيث أخذ يتفحص عدداً لا حصر له من الأشخاص وقال : " اللعنة ! " . ولم تكد تمضى ثانية واحدة حتى كان يحاول المرور عبر هذا الحشد الكبير من الناس ، حيث كانت سيدنى آرتشر تعبر من أمامه على بعد عشر أقدام فقط .

وبمجرد أن أصبحت أمامه مباشرة بدأ يتعقبها . وقد انتهت الرحلة القصيرة فى طابور عند مكتب حجز التذاكر الخاص بشركة يونيتد آيرلاينز .

كان بول بروفى بعيداً عن نظر كل من سوير وسيدنى يجر حاملة الحقائب متوجهاً إلى بوابة المغادرة لشركة أميريكان آيرلاينز ، وكان بداخل الجيب الداخلى لسترته بيان تفصيلى لخط سير رحلة سيدنى التى التقطها من محادثتها مع جاسون آرتشر . واستمر فى السير على مهل .

بعد مضى خمس وأربعين دقيقة استلمت سيدنى أخيراً تذكرتها وأوراق صعودها للطائرة . رأى سوير ذلك من بعد كما لاحظ رزمة الفواتير الكثيرة التى استخدمتها للشراء . وبمجرد أن اختفت عند الزاوية ، اندفع سوير مسرعاً خلال الطابور ممسكاً بشارة مكتب

التحقيقات الفيدرالية الخاصة به فى يده وعند أول إشارة منه ابتعد المسافرون عن طريقه سريعاً .

حدقت موظفة حجز التذاكر إلى الشارة ثم إلى سوير

قال سوير : " ما رحلة السيدة التى بعت لها تواً التذكرة ، سيدنى آرتشر ؟ " ثم أضاف قائلاً : " إنها طويلة ، وشقراء وجميلة ، وترتدى ملابس زرقاء ، وتحمل على ذراعها معطفاً أبيض حيث كان يضع فى اعتباره احتمال استخدامها لاسم مستعار " .

تجمدت السيدة للحظة دون حركة ثم بدأت الضغط على عدة أزرار وقالت : " الرحلة رقم ٧١٥ المتوجهة إلى نيو أورليانز . ستغادر الطائرة خلال عشرين دقيقة " .

تحدث سوير إلى نفسه قائلاً : " نيو أورليانز " ، وقد شعر بالندم على مقابلته مع سيدنى آرتشر شخصياً ، لأنها سوف تتعرف عليه بمجرد رؤيته ولكن ليس هناك وقت كاف ليطلب عميلاً آخر .

سألها سوير : " أية بوابة ؟ " .

" بوابة رقم ١١ " .

مال سوير إلى الأمام وتحدث بصوت منخفض قائلاً : " حسناً ، ما رقم مقعدها ؟ "

نظرت السيدة إلى الشاشة وقالت : " مقعد رقم ٢٧ ج " .

مرت المشرفة المسئولة وسألت : " هل هناك مشكلة ؟ " أظهر لها سوير أوراقه الشخصية وشرح موقفه سريعاً . التقطت المشرفة الهاتف وحذرت رجال الأمن الذين يقفون عند بوابة الدخول إلى الطائرة والذين قاموا ـ بدورهم ـ بإبلاغ طاقم الطائرة . وكان أكثر ما يخشاه سوير هو أن يقوم أحد المسافرين بالطائرة برؤية مسدسه أثناء الرحلة فيبلغ عنه الشرطة فينتظرونه فى نيو أورليانز عند الباب عند هبوط الطائرة .

بعد بضع دقائق قام سوير بوضع قبعة اقترضها من أحد رجال الأمن ، ورفع ياقة معطفه ، وأخذ يسير بخطى واسعة فى الممشى العريض ، كان هناك ضابط أمن خاص بالطائرة وقد تم اصطحاب سوير إلى جهاز الكشف عن المعادن بينما كان يتفحص الجموع بحثاً عن سيدنى آرتشر ، وقد رآها عند بوابة المغادرة تقف فى طابور للصعود إلى الطائرة . استدار سوير فى الحال مبعداً وجهه عن البوابة . وبعد مضى عدة دقائق وبعد أن صعدت آخر مجموعة من الأشخاص إلى الطائرة مشى سوير إلى ممر الطائرة وجلس فى الدرجة الأولى على أحد المقاعد القليلة المتاحة فى تلك الطائرة المزدحمة وقد ابتسم ابتسامة باهتة ، فهذه أول مرة يجلس فيها فى هذه الفخامة . بدأ سوير يبحث داخل حافظته عن البطاقة الخاصة بسيدنى آرتشر . كان يوجد به رقم مكتبها المباشر ورقم جهاز الاستدعاء الخاص بها وكذلك رقم الفاكس ورقم هاتفها الجوال . هز سوير رأسه . كان ذلك دأب القطاع الخاص ، فهم يريدون أن يعرفوا المكان الذى تكون فيه كل دقيقة . رفع سوير هاتف الطائرة ثم أدخل الكارت داخله .

استمرت الرحلة إلى نيو أورليانز دون توقف واستغرقت ساعتين والنصف . وبعدها هبطت الطائرة فى مطار نيو أورليانز إنترناشيونال . لم تتحرك سيدنى آرتشر من مقعدها طوال الرحلة وكان ذلك مستحباً لدى لى سوير بدرجة عالية ، وقد أجرى عدداً من المكالمات الهاتفية من الطائرة . وقد اتخذ فريقه أماكنهم فى المطار . وعندما فتح باب الطائرة كان أول من خرج منها .

عندما غادرت سيدنى المطار كان الظلام يلف مدينة نيو أورليانز ، ولم تلحظ السيارة السوداء الأجرة ذات النوافذ الداكنة

والتى كانت تقف فى الطريق الضيق لتقوم بتوصيل المسافرين من وإلى المطار . جلست سيدنى داخل السيارة الكاديلاك الرمادية والمطبوع على أحد جانبيها اسم شركة كاجن كامبنى . فتحت سيدنى ياقة قميصها ومسحت قطرات العرق من فوق جبينها ثم قالت للسائق : " فندق لافيت جست هاوس من فضلك ، شارع بوربون " .

عندما انحرفت السيارة السوداء من الزحام انتظرت للحظة ثم تابعت سيرها . بداخل هذه السيارة كان يجلس لى سوير ويخبر العملاء الآخرين بالموقف ، وكان مركزاً بصره على السيارة الكاديلاك التى تركبها سيدنى .

كانت سيدنى تنظر بقلق خارج نافذة السيارة . وقد تركوا الطريق السريع وتوجهوا إلى طريق فيوكس كير . فى الخلفية كانت تظهر صورة مدنية لمدينة نيو أورليانز تتلألأ فى الظلام ، وكان منظر القبة الضخمة يظهر أعلى الصورة .

كان شارع بوربون ضيقاً يصطف على جوانبه مجموعة من الأبنية الشامخة المبهرة من الحى الفرنسى العتيق . وفى هذا الوقت من العام تكون أبنية الحى - والتى يصل عددها إلى ستة وستين مبنى - هادئة بعض الشىء . خرجت سيدنى من السيارة التى وقفت أمام فندق لافيت جست هاوس ، وألقت نظرة سريعة على جانبى الطريق فلم تلحظ أية سيارة . ثم صعدت الدرج ودفعت الباب الأمامى الضخم لتفتحه .

وبالداخل كانت رائحة عبق التاريخ التى تملأ المكان قد احتوت سيدنى من كل اتجاه فكان على اليسار حجرة كبيرة مزخرفة بأناقة تستخدم للرسم . رفع الموظف المسئول عن الفترة الليلية - والذى كان يجلس على مكتب صغير - حاجبيه لتعجبه من عدم إحضار سيدنى العديد من الحقائب ، ولكنه ابتسم وأومأ برأسه عندما أخبرته أن

حقائبها ستأتى فيما بعد . وقد عرض عليها أن تستقل المصعد الصغير إلى الدور الثالث ولكنها فضلت الصعود على الدرج العريض بدلاً من المصعد . أمسكت سيدنى بالمفتاح فى يدها وصعدت درجتين من السلم لتدخل إلى غرفتها . كانت الغرفة تحتوى على سرير ذى أربعة أعمدة ، ومكتب ، وأرفف للكتب تمتد على ثلاثة جدران وكرسى طويل من طراز العهد الفيكتورى .

فى الخارج وقفت السيارة السوداء فى ممر ضيق يبعد قليلاً عن فندق لافيت جست هاوس ، وترجل من المقعد الخلفى للسيارة رجل يرتدى الجينز ومشى فى الشارع ثم دخل إلى المبنى ، وبعد خمس دقائق رجع إلى السيارة .

مال لى سوير بقلق على المقعد الأمامى متسائلاً : " ماذا يحدث هناك ؟ "

فتح الرجل سوستة معطفه وظهر المسدس الذى كان يحمله فى الحزام الذى يرتديه على خصره وقال : " لقد حجزت سيدنى آرتشر غرفة ليومين وغرفتها فى الطابق الثالث بجانب السلم . وقالت إن أمتعتها ستحضر لاحقاً " .

نظر السائق إلى سوير وقال : " أتعتقد أنها ستقابل جاسون آرتشر ؟ "

أجاب سوير : " لنضع خطة لما سنفعله حتى لا تفلت منا " .

" ماذا تريد أن تفعل ؟ "

" علينا أن نحيط بهذا المكان بحذر حتى إذا ما ظهر جاسون آرتشر نلقى القبض عليه فى الحال . وفى نفس الوقت نحاول وضع أجهزة مراقبة فى الغرفة المجاورة لغرفة سيدنى . وعليك أن تحاول التنصت على مكالماتها الهاتفية . وعليك أيضاً استخدام فريق عمل يضم رجالاً ونساء حتى لا يشك آرتشر وزوجته فى أى شىء غير

طبيعى . إن سيدنى آرتشر ليست امرأة يمكن الاستهانة بها " .
كانت نبرة سوير يملؤها الإعجاب والحقد معاً . نظر خارج النافذة وقال : " لنبتعد من هنا ، فأنا لا أريد إعطاء جاسون آرتشر أى سبب يجعله لا يظهر " . ومشت السيارة بعيداً ببطء .

جلست سيدنى آرتشر على المقعد المجاور للسرير وهى تحدق خارج نافذة غرفتها بفندق لافيت جست هاوس فى انتظار زوجها . ثم نهضت من مكانها ومشت فى الغرفة بعصبية . كانت تعتقد أن عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالية قد فقدوا أثرها داخل المترو ولكنها لم تكن متيقنة من ذلك تماماً . ماذا لو تمكنوا من تعقبها ؟ ارتعشت سيدنى من تلك الفكرة . لقد قذفت مكالمة جاسون الهاتفية بحياتها إلى تغير مفاجئ للمرة الثانية . فكانت تشعر وكأن هناك جدراناً غير مرئية تحيط بها من كل جانب .

كانت تعليمات جاسون واضحة وصريحة وكانت هى تنوى اتباعها ، وقد رسخ فى عقيدتها بقوة أن زوجها لم يرتكب جرماً على الإطلاق ، وذلك ما أكده لها جاسون . فهو يحتاج إلى مساعدتها ، ولهذا السبب استقلت تلك الطائرة وحضرت إلى ذلك الفندق الذى يقع فى مدينة لويزيانا . مازالت سيدنى تؤمن ببراءة زوجها على الرغم من تلك الأحداث ، والتى يجب أن تعترف بأنها قد زعزعت ذلك الإيمان . ولن يمنعها أى شىء من مساعدته سوى الموت . وتذكرت سيدنى : " الموت ؟ " ، لقد فر زوجها من تلك التجربة القاسية مرة بالفعل . ومن خلال نبرة صوته شعرت بالريبة فى بقائه آمناً . لم يكن قادراً على إعطائها الكثير من التفاصيل عبر الهاتف ، ولكنه سيحكى لها كل شىء عند مقابلته الشخصية لها

على حد قوله . لقد كانت سيدنى تشعر برغبة قوية فى رؤيته ولمسه ، لكى تؤكد لنفسها أنه ليس شبحاً .

جلست على المقعد وحدقت خارج النافذة المفتوحة . عمل النسيم العليل على تخفيف الرطوبة . ولم تتمكن سيدنى من سماع اثنين فى منتصف الثلاثينيات من العمر جاءا من مكتب التحقيقات الفيدرالية فى نيو أورليانز وهما يتحركان داخل الغرفة المجاورة لغرفتها . حيث قاما بوضع أجهزة للتنصت على مكالماتها الهاتفية وكذلك أجهزة تنصت فى الجناح المجاور لها لتسجيل أى صوت من داخل غرفتها . وأخيرًا أسندت سيدنى آرتشر رأسها على المقعد فى حوالى الساعة الواحدة صباحاً ، ولم يأت جاسون آرتشر حتى الآن .

كان البيت مظلماً ، وكانت تظهر طبقة من الثلج الذى سقط منذ وقت قريب فى ضوء البدر . خرج شخص من غابة قريبة واقترب من البيت من جهة الخلف . لم تمض سوى بضع لحظات عند الباب الخلفى حتى انهار القفل القديم إثر الحركة البارعة ليد ذاك المتسلل الذى كان يرتدى ملابس سوداء . خلع ذلك الشخص حذاء الثلج وتركه خارج الباب الخلفى . بعد بضع لحظات أخرى ظهر شعاع من الضوء داخل المسكن غير المأهول ، حيث عاد والدا سيدنى آرتشر وآمى إلى منزل باترسون بعد مغادرة سيدنى بقليل .

توجه ذلك الشخص مباشرة إلى غرفة مكتب جاسون آرتشر . كانت النافذة الموجودة فى الغرفة تطل على الفناء الخلفى ويبتعد إلى حدٍ ما عن الشارع ، ولذلك جازف هذا الشخص وقام بإنارة أباجورة المكتب . قضى المتسلل عدة دقائق فى البحث فى المكتب وأقراص الحاسب ، ثم قام بتشغيل الحاسب الخاص بـ " جاسون آرتشر " وقام بالبحث فى جميع الملفات الموجودة على قاعدة البيانات ، كما

استعرض كل قرص من أقراص الحاسب المرنة . وعندما انتهى من ذلك ، وضع ذلك الشخص يده داخل سترته السوداء وأدخل قرصاً مرناً داخل مشغل الأقراص بالحاسب . وبعد عدة دقائق كان قد أنهى المهمة وأصبح الآن أحد برامج التجسس موجوداً على الحاسب الخاص بـ " جاسون " والذى سيستولى على أية معلومات أو بيانات قادمة . فى خلال خمس دقائق أصبح البيت خالياً مرة أخرى . وقد أزيلت آثار الأقدام من أمام الباب الخلفى .

لم تكن عائلة آرتشر على علم بهذا الزائر الليلى . وقد قام بيل باترسون بإنجاز إحدى المهام ، بحسن نية ، قبل مغادرته إلى منزله الكائن فى هانوفر . فبينما كان يقود سيارته خارجاً من المنزل رأى شاحنة البريد المألوفة التى تكتسى باللون الأحمر والأبيض والأزرق تقف أمام بيت ابنته . وبعدما غادرت شاحنة البريد تردد باترسون قليلاً ثم توصل إلى قرار أخيراً ، ونظر إلى بعض الخطابات قبل وضع رزمة الخطابات فى حقيبة بلاستيكية . وتوجه إلى البيت وتذكر أنه قام بغلق الباب بالفعل والمفاتيح داخل حقيبة زوجته . ولكن باب المرآب غير مغلق ، فتوجه باترسون إلى الجراج وفتح الباب ووضع الحقيبة على المقعد الأمامى للسيارة اكسبلورر ، ثم أغلق باب السيارة وأنزل باب المرآب وأغلقه .

كان ضمن مجموعة الخطابات طرد لم يلحظه باترسون ، ذو بطانة داخلية تم تصميمه خصيصاً لنقل العناصر القابلة للكسر بطريقة آمنة عن طريق نظام البريد . كان الخط الموجود على الطرد مألوفاً لدى سيدنى آرتشر .

لقد قام جاسون آرتشر بإرسال قرص الحاسب إلى نفسه .

الفصل الخامس والثلاثون

جلس لى سوير من خلال النافذة المظلمة داخل الغرفة التى يجلس فيها يحدق عبر الشارع إلى الفندق القديم . وكانت المباحث الفيدرالية قد وضعت مركز المراقبة الرئيسى الخاص بها داخل مبنى مهجور من الطوب ، والذى كان صاحبه ينوى تجديده خلال عام أو ما يشبه تلك الفترة . احتسى سوير رشفة من القهوة الساخنة ونظر إلى ساعته والتى أشارت عقاربها إلى السادسة والنصف صباحاً . وكانت قطرات المطر تتجمع على النافذة حينما اعترت المنطقة زخات مطر صباحية غزيرة .

وبجانب النافذة وُضع حامل ثلاثى القوائم مثبت عليه كاميرا . وكان يبلغ طول العدسة بعيدة المدى ما يقرب من قدم . وقد التقطت صور لمدخل فندق لافيت جست" هاوس وذلك لقياس البؤرة والمسافة

والإضاءة . مشى سوير ليتفحص مجموعة الصور الموجودة على المنضدة . ولم تفِ الصور الوجه الجميل ولا العينين الزمرديتين حقهما ؛ إذ التقط مكتب التحقيقات الفيدرالية بـ " نيو أورليانز " صوراً لسيدنى آرتشر وهى تغادر المطار . وعلى الرغم من جهلها بوجود الكاميرات ، إلا أنها بدت وكأنها تنظر إلى الكاميرا . كانت ملامحها خلابة ، وشعرها غزيراً ومنمقاً . تحسس سوير برقة الأنف الدقيق والشفاه المكتنزة . ارتعشت يده وأزاحها بعيداً عن الصورة ونظر حوله محرجاً . ولحسن الحظ ، لم يكن أى من العملاء الآخرين الموجودين بالحجرة يعير انتباهاً لما يفعله .

جال سوير بنظره حول باقى الغرفة . كانت الطاولة الطويلة موضوعة وسط مساحة كبيرة فارغة تمامًا ، حيث الجدران المبنية من الطوب العادى ، والأسقف المصنوعة من الخشب الداكن ، وكذلك الأرضية القذرة . وقد احتل جهازا كمبيوتر شخصيان المساحة البارزة من الطاولة ، ووضع بجانبهما آلة تسجيل . وقد استقر العديد من عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالية أمام الجهازين . وقد لاحظ أحد العملاء الشبان عينى سوير ، فأزاح سماعات الأذن بعيداً وقال : " رجالنا كل فى موقعه ، ويبدو من الأصوات التى تم التقاطها أنها فى الأغلب مازالت نائمة " .

أومأ سوير ببطء ، واستدار ثانية ناحية النافذة . وقد أكد رجاله أن هناك خمس غرف أخرى مشغولة بالفندق الصغير . وكل النزلاء من الأزواج ولا يوجد بينهم نزيل تتطابق مواصفاته مع جاسون آرتشر .

مرت الساعات القليلة المتالية ببطء ، ولأن سوير معتاد على الانتظار لساعات طويلة التى لم يكن يعتريها سوى ألم فى المعدة أو فى الظهر ، فإنه لم يكن يشعر بالإرهاق .

كان العميل الشاب يسترق السمع للأصوات الصادرة من السماعات التى وضعها على أذنيه وقال : " إنها تغادر غرفتها الآن " . وقف سوير وفرد جسمه ثم نظر ثانية فى ساعته وقال : " إنها الحادية عشرة صباحاً . ربما تكون فى طريقها لتناول إفطار " .

" كيف تحب أن تسير المراقبة ؟ "

استغرق سوير لحظة فى التفكير ثم قال : " كما قلنا من قبل . ستكون المراقبة على فريقين . استخدم المرأة الموجودة بالغرفة المجاورة لغرفة سيدنى كفريق أول وشخصين آخرين كفريق ثان ويمكن أن يتناوبوا المراقبة . أخبرهم أن ينتبهوا جيداً ؛ إذ إن سيدنى آرتشر سوف تتوخى أقصى درجات الحذر . لابد أن يبقوا على اتصال بجهاز اللاسلكى فى جميع الأوقات . وتذكر أنها لم تحضر معها أية أمتعة بالفندق . ومن ثم أخبرهم بأن يكونوا على أهبة الاستعداد لأى تصرف ينبأ بالتنقل ، بما فيه الارتحال على متن طائرة أخرى . وتأكدوا من وجود عربات متوفرة بالقرب منكم دائماً " .

" وهو كذلك " .

نظر سوير خارج النافذة ، بينما كانت تعليماته تنقل لبقية العملاء . وقد كان ينتابه شعور غامض بشأن ما يجرى ، إلا أنه لم يكن يستطيع تحديده . كان يتساءل بين نفسه : " لماذا نيو أورليانز تحديداً ؟ ولماذا فى نفس اليوم الذى استجوبتها فيه المباحث الفيدرالية ، لماذا تغامر بالقيام بعمل كهذا ؟ " توقف سوير فجأة عن استغراقه فى التفكير حينما ظهرت سيدنى آرتشر على مدخل سلم فندق لافيت جست هاوس ونظرت خلفها ، وقد امتلأت عيناها بفزع تحاول إخفاءه بالكاد ، وقد كانت هذه النظرة مألوفة

دائماً لدى عملاء المباحث الفيدرالية . اعترت سوير رعشة حينما أدرك فجأة أين رأى سيدنى آرتشر من قبل ، فى موقع ارتطام الطائرة . جرى حول الغرفة والتقط سماعة الهاتف .

كانت سيدنى ترتدى معطفاً أبيض وذلك لانخفاض درجات الحرارة . وقد استطاعت أن تتفقد سجل النزلاء دون أن يلحظها موظف الاستقبال . ووجدت أنه لم يأت بعدها أحد إلى الفندق سوى زوجين من آميس بولاية أيوا ، وكانا يشغلان الغرفة المجاورة لها . لابد أنهما قد جاءا قرب منتصف الليل إن لم يكن بعد ذلك . وكان عدم سماعها لهما عند دخولهما الغرفة قد أثار شكوكها تجاههما بصورة كبيرة . فعادةً لا ينام المسافرون المقيمون فى الفنادق بهذه السرعة ، لذا كان عليها أن تفترض أن المباحث الفيدرالية بالقرب منها وغالباً ما يراقب رجالها المنطقة بأكملها ، وعلى الرغم من احتياطاتها إلا أنهم عثروا عليها . ولم يكن من المستغرب على الإطلاق أن تذكر نفسها بذلك وهى تسير فى الشوارع الأكثر هدوءاً . إن هذا هو صميم عمل المباحث الفيدرالية الذين يتكسبون منه قوتهم ، أما هى فإن ذلك ليس عملها الأساسى . ماذا لو دخلت المباحث الفيدرالية وألقت القبض عليها ؟ حسناً ، فقد قررت منذ اللحظة الأولى التى علمت فيها أن زوجها على قيد الحياة ، أن فرص الحفاظ على حياته ستزيد بشكل أفضل إذا سلم نفسه للسلطات .

مشى سوير داخل الغرفة واضعاً يديه فى جيبيه . فقد شرب الكثير من القهوة ، وأحس بألم شديد يهاجم مثانته . رن جرس الهاتف ، التقطه العميل الشاب ، وعرف المتصل نفسه بأنه راى

جاكسون ، ثم سلم السماعة لسوير الذى خلع بدوره السماعات التى كانت مثبتة على أذنيه .

رد سوير بصوت مرتعش يشوبه الترقب : " نعم "، وفرك فى عينيه الحمراوين ، فأداؤه لواجبه الوظيفى لمدة ربع قرن لم يخفف الآثار المجهدة لهذا العمل .

جاء صوت راى جاكسون متيقظاً ومنتبهاً : " كيف تسير الأمور فى غرفة العمليات لديك ؟ "

جال سوير بنظره على ما يحيط به فى الغرفة المتسخة ثم قال : " حسناً ، من موقفى هذا ، فإن هذا المكان فى حاجة ملحة إلى مكنسة وبعض الدهانات " .

ضحك جاكسون ضحكة خفية ثم قال : " حسناً ، إن اقتفاءك لأثر سيدنى آرتشر بالمطار أصبح أسطورة يتحاكى عنها الجميع هنا . لا أعرف حتى الآن كيف تمكنت من عمل هذا " .

" حقاً ، إلا أننى أشعر بأن الحظ لم يحالفنى فى هذا الموضوع تحديداً يا راى . قل لى إن لديك معلومات جديدة تفيدنى " . نقل سوير السماعة إلى أذنه اليمنى وفرد ذراعه اليسرى حتى يتخلص من تقلص عضلى ألم به .

" أعتقد أنك تراهن بأن لدى معلومات ، هل تستطيع أن تخمن ؟ "

" كم أحبك يا راى . إلا أن فراشى البارحة كان عبارة عن بعض الأغطية المفروشة فوق الأرض الباردة ، ولا يوجد جزء فى جسدى لا يؤلمنى . وفضلاً عن هذا ليس لدى ملابس داخلية نظيفة ، فإذا كنت تريد ألا أقتلك رمياً بالرصاص حالما تقع عيناى عليك ، فتكلم فوراً " .

" اهدأ قليلاً يا رجل . لقد كنت على صواب ، زارت سيدنى آرتشر موقع الحادث فى منتصف الليل " .

" هل أنت متأكد ؟ " كان سوير مقتنعاً بصدق حدسه إلا أنه اعتاد طوال سنوات عمله الطويلة أن يتأكد بشكل ملموس من الأمور .

" هناك أحد أفراد الشرطة المحليين " . سمع سوير صوت خشخشة الأوراق عبر الهاتف . " وهو المفوض يوجين ماكينا ، والذى كان فى وردية خدمة تلك الليلة حينما ذهبت سيدنى آرتشر إلى هناك . ظن ماكينا أنها مجرد واحدة ممن يدفعهم الفضول للتواجد فى مواقع الحوادث فطلب منها أن تبتعد ، إلا أنها ذكرت له أن زوجها كان على متن الطائرة ، وأنها تريد فقط أن تلقى نظرة ؛ إذ إنها محطمة الفؤاد . أشفق ماكينا عليها ، كما تعلم ؛ حيث إنها قادت سيارتها كل هذه المسافة أثناء الليل . وقام بتفتيشها والتأكد من هويتها ، ثم أوصلها إلى موقع تحطم الطائرة حتى تتمكن على الأقل من مشاهدة ما يجرى ، صمت جاكسون لبرهة .

نفد صبر سوير فقد كان قلقاً للغاية فاستفسر قائلاً : " وكيف يمكن لهذه المعلومات أن تفيد بحق الجحيم ؟ " .

رد جاكسون : " أنت ضيق الصدر يا رجل . سأخبرك . فى طريقهما للصعود لمكان الارتطام ، سألت آرتشر ماكينا عن حقيبة كانت تحمل الحروف الأولى من اسم زوجها ، وقد شاهدتها عبر التلفاز . أعتقد أنها سقطت أثناء تحطم الطائرة وتم العثور عليها وتجمعت مع باقى حطام الطائرة . الخلاصة : إنها أرادت أن تسترد الحقيبة " .

جلس سوير ونظر من النافذة ثم ركز بصره على الهاتف متسائلاً : " وماذا قال لها ماكينا ؟ "

" قال إن الحقيبة تعد دليلاً على وجود زوجها بالطائرة المنكوبة وأنها ليست فى موقع الحادث الآن ، وأنها يمكن أن تستردها غالباً بعد انتهاء التحقيقات ، إلا أن هذا لن يحدث إلا بعد فترة ، ربما تصل إلى سنوات " .

وقف سوير وهو يسكب القهوة فى فنجانه من البراد الموضوع فوق الموقد وهو شارد الذهن يحاول أن يمعن التفكير فيما طرأ من تطورات . وعلى مثانته أن تتحمل هذا العبء . تساءل : " راى ، ماذا قال ماكينا عن مظهر سيدنى آرتشر فى تلك الليلة ؟ "

" أعرف ما يجول بخاطرك . هل كانت بالفعل تعتقد أن زوجها على متن هذه الطائرة ؟ يقول ماكينا إنها لو كانت تمثل لبدت ممثلة مثل كاترين هيبورن أسوأ ممثلة فى العالم بالنسبة لها " .

" حسناً ، سنترك أمر هذه المسألة جانباً الآن . لكن ماذا عن الحقيبة ؟ هل هى معك ؟ "

" لقد حصلت عليها فوراً ، وهى الآن أمامى على مكتبى " .

" ثم ماذا ؟ " ، تقلصت عضلات كتفى سوير ثم انفردت حينما جاءت إجابة شريكه المفاجئة .

" لا شىء . لم نجد شيئاً بمعنى الكلمة . لقد تم فحصها فى المعمل ثلاث مرات ولم نجد شيئاً ، فقط وجدنا بعض الملابس ، وزوجين من كتب السفر ، ومفكرة صغيرة لا يوجد بها شىء . ليس هناك مفاجآت يا لى " .

" هل سافرت كل هذه المسافة فى منتصف الليل من أجل هذه الأشياء فقط ؟ " .

" حسناً ، ربما كانت تفترض أن الحقيبة تحتوى على شىء ما ، إلا أنها لم تجده " .

" يمكن أن يكون هذا الافتراض صحيحاً إذا كان زوجها يخدعها " .

" كيف هذا ؟ " .

احتسى سوير رشفة من قهوته وهب واقفاً . إذا كان آرتشر فاراً من العدالة فلابد أنه إما أن يخطط لأن يجلب عائلته لاحقاً أو أنه سوف يهجرهم . أليس كذلك ؟ "

" حسناً إنى أسمعك " .

" إذن ، إذا كانت زوجته تعتقد أنه كان على متن هذه الطائرة ، فربما هرب قبل عبوره بوابة المرور ، ومن ثم قد تسخر من نفسها لكونها مكتئبة من حادث تحطم الطائرة . وهى تعتقد فعلاً أنه لقى حتفه " .

" لكن ماذا عن النقود ؟ "

" حسناً ، إذا كانت سيدنى آرتشر تعلم بما فعله زوجها ، ربما تكون قد ساعدته فى إنجازه بطريقة ما ، فإنها كانت تريد أن تضع يدها على المال . حيث سيساعدها المال على تخطى أحزانها ، على ما أعتقد . ثم شاهدت الحقيبة على شاشة التلفاز " .

" ولكن ماذا يمكن أن يكون داخل الحقيبة ؟ لا تقل لى إنها النقود " .

" ليست النقود . لكن ربما شىء ما يدل على مكانها . كان آرتشر عبقرى كمبيوتر . يمكن أن يكون موقع النقود مشاراً إليه على اسطوانة كمبيوتر مخزن عليها جميع المعلومات الخاصة بالنقود ، رقم حساب فى بنك سويسرى ، بطاقة لخزانة داخل مطار ما ، أو أو يمكن أن يكون أى شىء آخر يا راى ".

" حسناً ، لم نعثر على أى شىء كهذا " .

" ليس بالضرورة أن يكون موجوداً داخل الحقيبة . لقد رأتها على شاشة التلفاز واعتقدت أنها قد تضع يدها عليها " .

" إذن أنت تعتقد أنها متورطة فى هذه القضية منذ اللحظة الأولى ؟ "

جلس سوير وقد أعياه التعب وقال : " لا أعرف يا راى ، إن لدى إحساساً قوياً بشأن التفسيرين المتناقضين للمسألة " . لم يكن هذا صحيحاً بالضبط ، إلا أنه لم تكن هناك رغبة لدى سوير لمناقشة هذه الأفكار المزعجة مع زميله .

" إذن ، ماذا عن تحطم الطائرة ، ما علاقته بما أرويه لك الآن ؟ "

جاءت إجابة سوير سريعة ومفاجئة : " من يقول بأن له علاقة . يمكن أن يكونا منفصلين . فمسألة أنه دفع أموالاً ليحطم الطائرة ليمحو آثاره تعد رأى فرانك هاردى " .

وقف سوير بجانب النافذة وهو يتحدث ، وما رآه فى الشارع جعله يسرع فى إنهاء المكالمة .

" هل هناك شىء آخر يا راى ؟ " .

" حسناً ، علىَّ الذهاب الآن " ، وضع سوير السماعة ، ونظر من خلال الكاميرا بنفسه ، وبدأ يأخذ الصور ، ثم تراجع إلى النافذة وأخذ ينظر من خلالها ، بينما كان بول بروفى يتلفت فى ترقب وجال عبر الشارع بنظره يميناً ويساراً ، ثم صعد سلم فندق لافيت جست هاوس ودخله .

الفصل السادس والثلاثون

كان هناك تناقض هائل بين الاعتدال والهدوء اللذين سادا الحى الفرنسى والصخب والمرح المعتادين اللذين عما ميدان جاكسون . فقد كان الموسيقيون والمهرجون وراكبو الدراجات ذات العجلة الواحدة والفنانون ممن تتراوح موهبتهم بين البراعة والرداءة يتنافسون لجذ الانتباه ، وكذلك للحصول على الدولارات من السائحين القلائل ممن واتتهم الشجاعة للنزول فى هذا الجو العاصف .

مشت سيدنى آرتشر أمام دار عبادة ثلاثية الأبراج فى طريقها للحصول على طعام . ولقد كانت تتبع تعليمات زوجها أيضاً ، حيث اتفقا أنه إذا لم يقم بالاتصال بها فى الفندق فى الساعة الحادية عشرة عليها أن تتجه لميدان جاكسون . وقف تمثال أندرو جاكسون البرونزى الذى أضفى جلالاً على الميدان على مدار المائة

والأربعين عاماً الماضية ، والذى كان يبدو وكأن ينظر إليها وهى تمضى فى طريقها إلى السوق الفرنسى الواقع بشارع دى كاتور . ولقد زارت سيدنى هذه المدينة عدة مرات من قبل إبان سنوات دراستها بكلية الحقوق .

وبعد دقائق معدودة جلست بالقرب من النهر تحتسى القهوة الساخنة وتأخذ قضمة بغير حماس من الكرواسون الهش المحشو بالزبد ، وتشاهد بغير اهتمام القوارب والزوارق على ضفاف نهر المسيسبى العظيم وهى تتبختر بهوادة ناحية الجسر الضخم الذى كان على مقربة من المكان . وعلى بعد مائة ياردة منها - من كلا الجانبين - تمركز فريقان من عملاء المباحث الفيدرالية . وقد وُضعت أجهزة التنصت بحذر ودقة صوبها ، وكان لها قدرة حقيقية على التقاط كل كلمة تتلفظ بها أو تقال لها .

ظلت سيدنى آرتشر وحيدة لبضع دقائق ، انتهت خلالها من احتساء القهوة فى هدوء وجلست تتفحص النهر القوى بضفتيه الهائلتين اللتين تحويان مياه الأمطار وأمواجه الهادرة .

" بثلاثة دولارات وخمسين سنتاً أستطيع أن أقول لك من أين حصلت على حذائك " .

اهتزت سيدنى فوق طولتها البنية ونظرت لأعلى للوجه الذى يخاطبها . وكان وراءها فريق العملاء الذين تسمروا قليلاً وانحنوا للأمام . وكان من الممكن أن يندفعوا مرة واحدة بأقصى سرعة ناحيتها حينما بدأ الرجل يقترب منها ، لولا أن المتحدث كان قصيراً ، أسود ، ويقترب من السبعين . لم يكن هذا جاسون آرتشر ولكن مازال فى الأمر شىء .

هزت سيدنى رأسها بوضوح وقالت : " ماذا ؟ "

" حذاؤك . أعرف من أين اشتريته . وسوف ألمعه بثلاثة دولارات وخمسين سنتاً إن كنت على صواب ، أما إن كنت مخطئاً ، فسوف ألمعه لك مجاناً . تدلى شاربه الأبيض فوق فمه الذى كان خالياً من الأسنان . كانت ملابسه عبارة عن خرق بالية لا أكثر . ولاحظت سيدنى أيضاً صندوق عدة التلميع المعطوب الذى استقر على المقعد الطويل بجانبها .

" آسفة ، لكنى لست مهتمة " .

" دعك من هذا أيتها السيدة . إننى سألمع حذاءك إذا كنت على صواب ، إلا إنه مازال عليك أن تدفعى المبلغ . ماذا ستخسرين ؟ ستحصلين على تلميع رائع لحذائك بسعر معقول للغاية " .

كانت سيدنى على وشك أن ترفض حتى رأت ضلوعه الملتصقة بقميصه البالى . وانتقلت عيناها إلى حذائه المهترئ الذى تظهر من خلال ثقوبه الواسعة أصابعه المتصلبة الخشنة . ابتسمت ووضعت يديها داخل حقيبتها .

" أوه ، لا أريدك أن تتصرفى بهذه الطريقة يا سيدتى . آسف . ولكن أريدك أن تدخلى فى اللعبة ، وإلا لن يكون بيننا عمل " . كان هناك بقية باقية من كرامة وعزة نفس فى كلماته وبدأ يلملم صندوقه .

استوقفته سيدنى قائلة : " انتظر لحظة ، وهو كذلك " .

" حسناً ، أنت تعتقدين أننى لا أستطيع أن أقول من أين أتيت بحذائك ، أليس كذلك ؟ "

هزت سيدنى رأسها بالنفى . فقد ابتاعت الحذاء من متجر مغمور جنوب ميان منذ ما يقرب من عامين . ومن وقتها وأغلق المتجر أبوابه ، ولم يكن هناك مجال لهذا الرجل أن يعرف من أين

حصلت عليه . فأجابت : " آسفة ، لكنى لا أعتقد أنك قادر على ذلك " .

" حسناً ، سأقول لك من أين ابتعت حذاءك " . صمت الرجل بطريقة تمثيلية ثم انفجر فى الضحك وأشار إلى أسفل قائلاً : " لقد ابتعت حذاءك من بائع الأحذية " .

شاركته سيدنى الضحك .

ولم يستطع العميلان الموجودان فى الخلفية اللذان يستمعان من خلال أجهزة التنصت أن يغالبا الابتسام .

وبعد أن قام بانحناءة فكاهية لجمهوره المكون من سيدة واحدة ، جثا الرجل العجوز على قدميه أمام سيدنى وأعد حذاءها للتلميع وبدأ فى حديث لطيف ، بينما أحالت يداه الماهرتان سريعاً حذاءها الباهت إلى اللون الأسود الأبنوسى اللامع .

" الحذاء عالى الجودة يا سيدتى . سيعمر معك مدة أطول إذا اعتنيت به . كما أن لديك كاحلين جميلين يتماشيان مع الحذاء ومن ثم فلن يؤلمك أبداً " .

ابتسمت سيدنى لمجاملته حيث هب واقفاً وأعاد حزم صندوقه . وأخرجت ثلاثة دولارات وفتشت داخل حقيبتها على فكة .

نظر إليها الرجل وقال بسرعة : " لا بأس يا سيدتى ، فلدى ما يكفى من الفكة " .

فما كان منها إلا أن وضعت فى يده خمسة دولارات وأخبرته بأن يحتفظ بالباقى .

هز الرجل رأسه رافضاً وقال : " مستحيل ، آسف يا سيدتى لقد كان الاتفاق على ثلاثة دولارات وخمسين سنتاً ولن آخذ غير ثلاثة دولارات وخمسين سنتاً " .

وعلى الرغم من اعتراضاتها ، سلمها ورقة مجعدة بدولار واحد وقطعة بخمسين سنتاً . وحينما أطبقت يديها حول القطعة الفضية ، أحست بقصاصة ورقية صغيرة مثبتة فى أسفلها . اتسعت عيناها وهى تنظر إليه . ابتسم الرجل بالكاد ولمس حافة قبعته المهترئة ، ثم قال : " إنه من دواعى سرورى أنى تعاملت معك يا سيدتى . تذكرى جيداً أن تنتبهى لزوج الأحذية هذا " .

حينما ذهب الرجل ، وضعت سيدنى النقود سريعاً داخل حقيبتها وانتظرت بضع دقائق ثم نهضت ورجعت ثانية إلى السوق الفرنسى ودخلت دورة المياه الخاصة بالسيدات . وفى داخل أحد الحمامات أفردت الورقة بيديها المرتعشتين . كانت الرسالة قصيرة ومطبوعة . أعادت قراءة الرسالة أكثر من مرة ثم ألقت بها فى المرحاض .

وبينما كانت تشق طريقها فى شارع دومين متوجهة نحو شارع بوربون ، وقفت لبرهة وفتحت حقيبتها لدقيقة . بدت وكأنها تتفقد ساعتها باقتضاب . نظرت حولها ولاحظت الهاتف العام الملحق بالمبنى الطوبى الذى يقع فى حى كوارتر . عبرت سيدنى الشارع ، والتقطت سماعة الهاتف ، و أمسكت بيديها بطاقة الاتصال ، وضغطت على عدة أزرار رقمية ، وقد كان الرقم الذى تطلبه هو رقم الهاتف الخاص بها فى تايلر ستون . لقد كانت مذهولة إلا أن القصاصة الورقية أخبرتها أن تفعل ذلك ، ولم يكن لديها خيار آخر إلا أن تتبع التعليمات . ولم يكن الصوت الذى رد على الهاتف بعد رنتين صوت أى شخص يعمل بالمؤسسة القانونية الخاصة بها . فلم تكن تعلم أن المكالمة قد تم تحويلها من مكتبها إلى رقم آخر بمكان يقع هنا قرب واشنطن . ولقد حاولت الآن أن تبقى هادئة حينما جاءها صوت جاسون آرتشر هادئاً عبر خط الهاتف .

أبلغته سيدنى أنها مراقبة من قبل الشرطة ، وأنها يجب عليها ألا تقول أية شىء ، وخاصة ذكر اسمه . لابد أن يحاول ثانية ، وأن عليها الذهاب للمنزل ، وأنه لن يتصل بها ثانية . كانت الكلمات تنم عن إعياء شديد ، لدرجة أنها كادت تشعر بالإجهاد الهائل من الصوت الصادر عبر الهاتف . أنهى جاسون المكالمة قائلاً إنه يحبها ، وأن كل شىء على ما يرام ، وأن كل شىء سيكلل فى النهاية بالنجاح .

ومع سيل آلاف الأسئلة التى انهالت على عقل سيدنى آرتشر لم تكن فى موقع يسمح لها بالسؤال على الإطلاق ، وضعت سيدنى السماعة ومشت صوب فندق لافيت جست هاوس ، وقد بدا على جميع قسماتها الاكتئاب العميق . وفى محاولة مستميتة حتى تستعيد سيطرتها على نفسها ، رفعت رأسها عالياً وحاولت أن تمشى بطريقة طبيعية ، فلقد كان من الأهمية ألا يبدو على مظهرها الجسمانى الرعب الفظيع الذى كان يعتريها داخلياً . فلقد نال خوف زوجها الواضح من السلطات من اعتقادها ببراءته من أى خطأ . وعلى الرغم من فرحتها الغامرة بمعرفتها أنه على قيد الحياة ، إلا أنها تساءلت عن ثمن السعادة التى تشعر بها . وحتى ذلك الحين ، كان عليها أن تستكمل المسيرة .

ضُغِط على زر جهاز التسجيل لإغلاقه ونزعت سماعة الهاتف من مكانها المخصص فى الآلة ، وبعد ذلك أعاد كينيث سكاليز لف الشريط الرقمى . ضغط على زر التشغيل واستمع بينما كان صوت جاسون آرتشر يملأ الحجرة مرة أخرى . ابتسم بحقد وأغلق الجهاز ، وانتزع الشريط وغادر الغرفة .

" لقد تسلق النافذة من البهو " . هكذا أُبلغ سوير من قبل أحد العملاء المتمركزين فوق السطح المطل على منزل سيدنى آرتشر ، " إنه مازال موجوداً هناك " . هكذا همس أحد العملاء فى جهاز اللاسلكى الخاص به ، ثم استطرد متسائلاً : " هل تريد أن أقبض عليه ؟ " .

أجاب سوير وهو ينظر إلى الشارع عبر الستائر قائلاً : " لا " . أخبرتهم أجهزة المراقبة المركبة بالقرب من غرفة سيدنى بما كان يقوم به بولى بروفى ، حيث كان يفتش فى غرفتها . لقد كان ظن سوير عن وجود علاقة ما تجمع المحاميين بعيداً كل البعد عن الحقيقة .

قال العميل فجأة : " إنه يغادر الآن ، خارجاً من الطريق الخلفى " .

أجاب سوير وهو يلمح سيدنى آرتشر قادمة من أول الشارع : " جيد " . بعد أن دخلت سيدنى الفندق ، أمر سوير فريق العملاء أن يقتفوا أثر بولى بروفى الذى خاب أمله ، والذى كان يسير فى شارع بوربون متجهاً إلى الناحية الأخرى .

وبعد مضى عشر دقائق تم إبلاغ سوير أن سيدنى آرتشر قد أجرت مكالمة هاتفية من الهاتف العام أثناء الجولة الصباحية التى قامت بها وقت الإفطار . ولقد كانت المكالمة لمكتبها . وفى غضون الساعات الخمس التالية لم يحدث شىء ، ثم انتبه سوير ثانيةً حينما خرجت سيدنى آرتشر من الفندق . وقد وقفت سيارة أجرة بيضاء أمام المبنى وركبت فيها . وانطلقت السيارة الأجرة بسرعة بعيداً .

نزل سوير الدرج مسرعاً ، وخلال دقيقة أخرى كان مستقلاً بسرعة خاطفة نفس السيارة السوداء التى اتبع بها سيدنى من

المطار . ولم يكن مندهشاً لرؤية السيارة الأجرة وهى تدخل طريق انترستيت ١٠ أو أن تخرج لتتجه ناحية المطار بعد مضى حوالى نصف ساعة .

تمتم سوير ولم يكن يخاطب شخصاً بعينه قائلاً : " إنها تتجه إلى المنزل . من المؤكد أنها لم تجد ما جاءت تبحث عنه . هذا إذا لم يكن جاسون آرتشر قد أصبح الرجل الخفى " ، سقط رجل الباحث الفيدرالية المحنك على ظهر مقعده حينما داهمه كشف جديد مزعج قائلاً : " لقد انكشف أمرنا " . حرك السائق رأسه فى اتجاه سوير قائلاً : " مستحيل يا لى " .

أصر سوير على رأيه قائلاً : " أنا متأكد تمام التأكد لقد قطعت كل هذه المسافة بالطيران ، وتلكأت هنا ، ثم أجرت مكالمة هاتفية ، والآن هى فى طريقها إلى العودة إلى منزلها " .

" إننى أعلم أنها لم تكشف أمر فرق المراقبة التابعة لنا " .

" إننى لم أقل إنها هى التى كشفت أمرهم . لكن زوجها أو المتورط فى هذا الأمر هو الذى كشف أمرهم ، ومن ثم نبهها . وهى الآن فى طريق عودتها إلى المنزل " .

" لقد تفحصنا الأمر ، المكالمة الهاتفية كانت موجهة لمكتبها " .

هز سوير رأسه بنفاد صبر قائلاً : " من الممكن تحويل المكالمة الهاتفية من مكتبها " .

" لكن كيف علمت أن عليها إجراء المكالمة الهاتفية ؟ هل هذا أمر مدبر من قبل ؟ " .

" من يدرى ؟ هل تقابلت مع أى شخص آخر غير ماسح الأحذية الذى صادفته ؟ أمتأكد من أنه الوحيد الذى قابلته ؟ "

" لقد كانت المقابلة الوحيدة التى أجرتها . احتال الرجل كما يفعل مع باقى السياح ولمع لها الحذاء . لقد كان واضحاً للعيان أنه

رجل شارع عادى ، أعطاها الفكة الباقية ، وكان هذا كل ما فى الأمر " .

نظر سوير فى عينى الرجل ثم تساءل : " فكة ؟ " .

" نعم ، كان التلميع مقابل ثلاثة دولارات وخمسين سنتاً . أعطته خمسة دولارات وأعطاها بدوره دولاراً وخمسين سنتاً فلم يقبل منها إكرامية " .

أحكم سوير قبضته على جهاز القياس بالسيارة وقال : " اللعنة ، لقد كان الأمر هكذا " .

بدت علامات الدهشة على وجه السائق : " لقد أعطاها فقط الفكة الباقية . وقد نظرت نظرة فاحصة عبر عدستى المكبرة . وسمعت كل كلمة دارت بينهما " .

" دعنى أخمن . لقد أعطاها قطعة بخمسين سنتاً بدلاً من ربعى دولار ، أليس كذلك ؟ " .

سكت الرجل لبرهة ثم تساءل : " كيف عرفت ذلك ؟ " .

تنهد سوير قائلاً : " أتعتقد أن أحداً من رجال الشوارع يرفض إكرامية قدرها دولار والنصف ، ثم يتصادف أن يكون معه قطعة بخمسين سنتاً ليعطيها لها كباقى النقود ؟ ألم يسترع انتباهك أنه أمر غريب منذ البداية . لقد كانت ثلاثة دولارات وخمسين سنتاً تحديداً مقابل تلميع الحذاء وليس ثلاثة أو أربعة دولارات . لماذا ثلاثة دولارات وخمسون سنتاً تحديداً ؟ " .

بدا صوت السائق محبطاً حينما بدأت الحقيقة تنكشف له ثم قال : " عليك أن تقوم بتغييرات فى الخطة إذن ؟ " .

حملق سوير باكتئاب للأمام ناظراً لمؤخرة السيارة التى استقلتها سيدنى آرتشر وقال : " كانت الرسالة مثبتة فى العملة . اقبض على

ماسح الأحذية الكريم ؛ فمن الممكن أن يدلى بمواصفات من قام باستئجاره " . ولم يكن سوير يعلق آمالاً عريضة على هذا الأمر .

اتجهت العربات إلى المطار ، تحمّل سوير الركوب بهدوء ، محدقاً خارج النافذة على الطائرات النفاثة ذات الألوان الزاهية والتى كان صوتها يهدر فوقه . وخلال ساعة كان سوير على متن الطائر النفاثة الخاصة التى تملكها المباحث الفيدرالية فى رحلة العودة إلى واشنطن وقد غادرت طائرة سيدنى مباشرة بلا توقف بالفعل . ولم يركب معها أى من عملاء المباحث الفيدرالية على متن الطائرة أثناء رحلة العودة ؛ فقد كانوا على ثقة شديدة من عودتها . ولم يريدوا أن يلفتوا انتباه سيدنى التى كانت بالفعل متيقظة لوجودهم . بإمكانهم أن يقتفوا أثرها بالمطار القومى .

أسرعت الطائرة الخاصة التى كانت تقل سوير وعدداً من عملاء المباحث الفيدرالية الآخرين على ممشى الطائرات وانطلقت فى سماء نيو أورليانز المظلمة . بدأ سوير يفكر فى حقيقة ما حدث بالفعل . لماذا كانت الرحلة فى المقام الأول ؟ لم يكن هناك أى معنى لكل هذا . ثم فغر فاهه حينما بدأت ظلال الغموض تنقشع قليلاً . يبدو أنه ارتكب خطأ ، وربما يكون خطأ فادحاً .

الفصل السابع والثلاثون

كانت سيدنى آرتشر ترتشف قهوتها بينما كانت عربة المشروبات تمر خلال ممر الطائرة . وقد كانت على وشك أن تمد يدها لتلتقط الساندويتش الموضوع على صينية طعامها حينما جذبت انتباهها العلامات الزرقاء على المنديل الورقى الذى أمامها وقد ركزت فى المكتوب وأصابتها رعشة عنيفة مفاجئة وكادت تسكب قهوتها لما قرأت .

إن عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالية ليسوا على متن الطائرة . يجب أن نتكلم معاً .

كان المنديل الورقى على الجهة اليمنى من صينية طعامها وبالتالى قد استدارت بنظرها تلقائياً إلى هذا الاتجاه . ولم تتمكن حتى من التفكير للحظة ثم استعادت وعيها ببطء . كان الرجل يحتسى شراب الصودا بينما كان يمضغ طعامه بصوت واضح . كان شعره أشقر يميل إلى الحمرة ، حليق الوجه ، على وجهه الطويل علامات القلق . وكان يبدو على الرجل أنه فى منتصف الأربعينيات . وكان يرتدى بنطالاً من القطيفة وقميصاً أبيض . جلس الرجل فى مقعده وقد مد رجليه الطويلتين فى ممر الطائرة . أخيراً ، وضع الرجل الصودا ومسح فمه بمنديل ورقى ثم التفت إلى سيدنى .

همست سيدنى إليه قائلة : " إنك كنت تتبعنى فى مدينة تشارلوتس فيل .

" أخشى أن ذلك ليس المكان الوحيد الذى تبعتك فيه . فى الحقيقة لقد وضعتك تحت المراقبة بعد حادث تحطم الطائرة بقليل " .

امتدت يد سيدنى إلى الزر الخاص باستدعاء المضيفة .

" لم أكن لأؤذيك " .

توقفت يدها على بعد ملليمترات من الزر لطلب المساعدة وسألته ببرود : " لماذا ؟ "

قال ببساطة : " لأننى هنا لمساعدتك على العثور على زوجك " .

قررت سيدنى فى النهاية الرد عليه وكان قلقها واضحاً : " لقد مات زوجى " .

" إننى لست من المباحث الفيدرالية ولا أحاول إيقاعك فى شرك . ولكن لا أستطيع إثبات العكس ولذلك لن أحاول ذلك . وكل

ما سأفعله أن أعطيك رقم هاتفى ويمكنك أن تتصلى بى فى أى وقت من اليوم " .

وناولها كارتاً أبيض صغيراً مدوناً عليه رقم هاتف فى فيرجينيا وليس عليه أى شىء آخر .

نظرت سيدنى للكارت وقالت : " لماذا أتصل بك ؟ إننى حتى لا أعرف من أنت وماذا تعمل . كل ما أعرفه أنك كنت تلاحقنى وذلك لا يمنحك أية ثقة من جانبى " . قالت هذا بغضب بعدما زال خوفها ، فلا يمكن أن يكون ذلك الرجل مصدراً لتهديدها على متن طائرة مزدحمة بالركاب .

هز الرجل كتفيه دون اكتراث وقال : " ليس لدى إجابة عن هذا . ولكنى أعلم أن زوجك لم يمت وأنت تعلمين ذلك أيضاً " .

توقف الرجل عن الكلام وحدقت إليه سيدنى آرتشر ولم تكن قادرة على قول أى شىء . استطرد الرجل قائلا : " على الرغم من أنه ليس لديك أى سبب لتصدقينى إلا أننى هنا لمساعدتك ؛ لأقدم لك ولجاسون يد العون إذا لم يفت الأوان لذلك " .

" ماذا تعنى بقولك يفت الأوان ؟ "

أسند الرجل ظهره إلى المقعد وأغمض عينيه . وعندما فتح عينيه مرة أخرى كان الحزن الذى يظهر بهما قد جعل شكوكها تقل .

" إننى لست متأكداً بالضبط فيما تورط فيه زوجك يا سيدة آرتشر . ولكننى أعلم جيداً أنه سيكون فى خطر محدق فى أى مكان يذهب إليه " .

أغلق الرجل عينيه مرة أخرى وقد شعرت سيدنى بالفزع عند سماع ما قال .

نظر الرجل إليها قائلاً : " إن المباحث الفيدرالية تضعك تحت المراقبة على مدار الأربع والعشرين ساعة " . وجعلتها كلماته التالية

ترتعش بشدة حينما قال : " يجب أن تحمدى الله على ذلك سيدة آرتشر " .

عندما تكلمت سيدنى أخيراً كان الرجل يسمع صوتها بالكاد وقد مال ناحيتها حتى يستطيع أن يسمع ما تقول : " هل تعرف مكان جاسون ؟ " .

هز الرجل رأسه نفياً وقال : " لو كنت أعرف مكانه ، لم أكن لأجلس معك على متن هذه الطائرة . " ونظر إلى تعبيراتها اليائسة وقال : " كل ما أستطيع قوله يا سيدة آرتشر هو أننى لست متأكداً من أى شىء " . تنهد الرجل ومسح بيده على جبهته . وقد لاحظت سيدنى أن يده ترتعش .

" لقد كنت فى مطار دويلز فى نفس الصباح الذى كان زوجك فيه هناك " .

اتسعت عينا سيدنى وقبضت بيدها على ذراع المقعد وتساءلت :

" هل كنت تتعقب زوجى ؟ لماذا ؟ " .

نظر الرجل إليها قائلاً : " إننى لم أقل إنى كنت أتعقب زوجك " . ارتشف مشروب الصودا حيث شعر بجفاف فى حلقه . ثم قال : " لقد كنت أجلس فى المنطقة المخصصة للمغادرة إلى الطائرة المتجهة إلى لوس أنجلوس ، كان يبدو عليه القلق والعصبية وذلك ما جذب انتباهى إليه فى الأساس . نهض زوجك وتوجه إلى دورة المياه الخاصة بالرجال وبعد بضع دقائق دخل رجل آخر بعده " .

" لماذا يبدو ذلك غريباً ؟ " .

" كان الرجل الثانى يحمل ظرفاً أبيض بيده . وعندما أتى إلى منطقة المغادرة كان ذلك الظرف مرئياً بوضوح كما لو كان مصباحاً

يلوح به الرجل . وأعتقد أن ذلك كان بمثابة إشارة إلى زوجك . لقد رأيت هذه الطريقة واستخدمتها من قبل " .

أصبحت أنفاس سيدنى متلاحقة بدرجة كبيرة لدرجة أنه كان عليها بذل بعض الجهد لتبطئتها وسألت الرجل : " إشارة لأى شىء ؟ " .

" لزوجك حتى يتحرك . وذلك ما فعله فعلاً . لقد ذهب إلى دورة المياه . وقد خرج الرجل بعده بقليل . لقد نسيت أن أخبرك بأنه كان يرتدى ملابس مطابقة تقريباً لزوجك وكان يحمل حقيبة من نفس نوع الحقيبة التى مع زوجك . ولم يخرج زوجك من دورة المياه " .

" ماذا تعنى أن زوجى لم يخرج ؟ كان لابد أن يخرج " .

" أعنى أنه لم يخرج جاسون آرتشر " .

بدا على سيدنى الارتباك التام .

أسرع الرجل قائلاً : " أول شىء لاحظته فى زوجك حذاؤه . لقد كان يرتدى حُلة ولكن يلبس حذاءً رياضياً أسود خاصاً بلعبة التنس . هل تتذكرين أنه قد ارتدى حذاء التنس فى ذلك الصباح ؟ " .

" لقد كنت نائمة عندما غادر " .

" حسناً ، عندما خرج من دورة المياه كان مظهره قد تغير بالكامل . كان يبدو وكأنه طالب جامعى ، يرتدى ملابس رياضية ، وأصبح شعره وكل شىء مختلفاً " .

" كيف عرفت أنه هو إذن ؟ " .

" لسببين ، الأول : أن دورة المياه كانت قد تم فتحها تواً بعد تنظيفها عندما دخل زوجك إليها . ولقد كنت أراقب الباب كالصقر . لم يدخل إليها أى شخص يشبه ذلك الرجل الذى خرج

منها فيما بعد . والثانى : كان حذاء التنس الأسود مميزاً للغاية . ربما كان يجب عليه ارتداء حذاء أردأ من ذلك . لقد كان زوجك بلا شك أترغبين فى معرفة شىء آخر ؟ " .

تمكنت سيدنى من النطق بصعوبة قائلة : " نعم " .

" لقد خرج الرجل الآخر مرتدياً قبعة زوجك وبذلك أصبح مطابقاً لزوجك حتى ليظن من يراه أنه توأم زوجك " .

أخذت سيدنى نفساً عميقاً عندما عرفت تلك الحقائق .

" وقف زوجك فى الطابور الخاص بالرحلة المتجهة إلى سياتل وقد أمسك نفس الظرف الأبيض الذى أخرجه الرجل الآخر من جيبه . كان بداخل ذلك الظرف تذكرة الطائرة وأوراق الصعود إلى الطائرة المتجهة إلى سياتل . وتوجه الرجل الآخر إلى الرحلة المتجهة إلى لوس أنجلوس " .

" هذا يعنى أنهما قد بدلا التذاكر داخل دورة المياه . كما ارتدى الرجل الآخر ملابس مطابقة لملابس جاسون حتى لا ينكشف أمرهما فى حالة إذا ما كان هناك أى شخص يراقبهما " .

" هذا صحيح " . وأومأ الرجل ببطء قائلاً : " كان زوجك يريد أن يجعل أحدهم يظن أنه على متن الرحلة المتجهة إلى لوس أنجلوس " .

تساءلت سيدنى وبدت وكأنها تطرح السؤال على نفسها أكثر من كونها تطرحه عليه : " لكن لماذا ؟ "

هز الرجل كتفيه قائلاً : " لا أدرى . ولكنى أعلم أن الطائرة التى كان من المفترض أن يكون زوجك عليها قد تحطمت . وقد انتابنى الشك " .

" هل ذهبت إلى الشرطة ؟ "

هز الرجل رأسه نفياً وقال : " وماذا أقول لهم ؟ إن ذلك ليس كما لو شاهدت قنبلة تم وضعها على تلك الطائرة . بالإضافة إلى أن لدى أسبابى الخاصة لأبقى صامتاً " .

" ما نوع هذه الأسباب ؟ " .

رفع الرجل يديه وهز رأسه قائلاً : " لنكتف بهذا القدر من الحديث الآن " .

" كيف تعرفت على هوية زوجى ؟ إننى أعتقد أنك لا تعرفه بالشكل ؟ "

" إننى لم أعرفه من قبل مطلقاً . ولكنى مررت عليه مرتين قبل أن يذهب إلى دورة المياه . كانت هناك بطاقة على حقيبة سفره مدون عليها اسمه وعنوانه . وأنا لدى قدرة جيدة على قراءة الكتابة المقلوبة . ولم يستغرق منى الأمر طويلاً لمعرفة مكان عمله ، وطبيعة عمله ، وكانت تلك المعلومات أكثر مما كنت أحتاج لمعرفتها . كذلك علمت عنك الكثير مما جعلنى أبدأ فى مراقبتك . ولكى أخبرك بالحقيقة ، إننى لم أكن أعلم إذا كنت فى خطر أم لا " . كان الرجل يذكر حقائق وهو يتكلم ، لكن سيدنى شعرت بالخوف والاضطراب من هذا التدخل غير المتوقع فى حياتها .

" وبينما كنت أتكلم مع أحد أصدقائى من شرطة فير فاكس وصلت نشرة إلى جميع المناطق عليها صورة زوجك تشير إلى أنه مطلوب القبض عليه . ومنذ ذلك الحين بدأت فى اقتفاء أثرك بصورة جدية ، فكنت أعتقد أنك سوف تقودينى إليه " .

أسندت سيدنى ظهرها إلى المقعد وقالت : " آه " ، ثم قفزت فكرة إلى ذهنها فسألته : " كيف تعقبتنى إلى نيو أورليانز ؟ "

" كان أول شىء فعلته هو وضع خط هاتفك تحت مراقبتى " . وقد تجاهل الرجل تعبيرها الساخط الذى ظهر على ملامح وجهها

وقال : " فقد كنت أريد معرفة أين ستذهبين سريعاً . واستمعت إلى محادثتك مع زوجك . وكان يبدو عليه الخوف الشديد " .

أحدثت الطائرة طنيناً بينما كانت تخترق السماء المظلمة ، لمست سيدنى آرتشر كُم الرجل وقالت : " لقد قلت إنك لست من المباحث الفيدرالية . إذن من تكون ؟ ولماذا تتدخل فى هذا الأمر ؟ "

فحص الرجل المر لعدة ثوان قبل أن يجيب . وعندما نظر إليها مرة أخرى تنهد وقال : " إننى محقق خاص يا سيدة آرتشر . فالقضية التى تشغلنى طوال الوقت الآن هو زوجك " .

" من الذى استأجرك ؟ "

" لا أحد " . ونظر حوله مرة أخرى قبل أن يستكمل كلامه : " اعتقدت أن زوجك قد يحاول الاتصال بك . وبالفعل قام بذلك . ولهذا السبب أنا هنا . ولكن يبدو أن نيو أورليانز كانت شركاً لإلقاء القبض عليه . كان هو الذى تحدث من كابينة الهاتف أليس كذلك ؟ وقد قام الرجل الذى كان يلمع الأحذية بدس رسالة قصيرة فى يدك أليس كذلك ؟ "

ترددت سيدنى آرتشر ثم أومأت برأسها .

" ألم يخبرك زوجك عن المكان الذى قد يكون به ؟ "

هزت سيدنى رأسها قائلة : " قال إنه سيتصل بى فيما بعد عندما يكون الوضع أكثر أماناً " .

ضحك الرجل قائلاً : " قد يحدث ذلك بعد وقت طويل حقاً يا سيدة آرتشر " .

عندما هبطت الطائرة فى مطار واشنطن ناشيونال التفت الرجل مرة أخرى إلى سيدنى وقال : " هناك شيئان أود أن تعرفيهما يا سيدة آرتشر . عندما استمعت إلى شريط محادثتك مع زوجك عبر الهاتف لاحظت بعض الأصوات فى الخلف مثل صوت مياه

جارية . ولست متأكداً من ذلك ولكنى أعتقد أن هناك شخصاً كان يسمع من خط آخر " . تجمد وجه سيدنى عندما سمعت ذلك . أكمل الرجل كلامه : " من الأفضل أن تفترضى يا سيدة آرتشر أن المباحث الفيدرالية تعلم أيضاً أن جاسون مازال على قيد الحياة " .

بعد فترة وجيزة من هبوط الطائرة بدأ الركاب يتحركون من أماكنهم ، وأصبحت الطائرة مفعمة بالحركة . سألت سيدنى الرجل: " قلت إنك تريد إخبارى بشيئين ما الشىء الآخر ؟ "

مال الرجل وسحب حقيبة سفر صغيرة من تحت المقعد الذى أمامه ، وعندما رجع إلى مقعده نظر مباشرة إلى عينيها وقال : " إن من يقوم بتفجير طائرة يمكنه فعل أى شىء . عليك حماية نفسك ، وحتى ذلك لا يكفى . آسف إذا كان ذلك يبدو نصيحة سخيفة ، ولكن هذا هو كل ما يجب أن أقوله لك " .

بعد بضع دقائق أخرى كان الرجل قد ذهب . كانت سيدنى آخر الركاب الذين غادروا الطائرة . ولم يكن المطار مزدحماً فى تلك الساعة . توجهت سيدنى إلى موقف التاكسى وتذكرت نصيحة الرجل لها ، فأخذت تنظر بحذر حولها محاولة ألا تكون ظاهرة بشكل ملحوظ . وكان الشىء الوحيد الذى يشعرها بالراحة حقيقة أن رجال المباحث الفيدرالية من ضمن هؤلاء الذين يقتفون أثرها .

توجه الرجل بعدما ترك سيدنى آرتشر وصعد إحدى الحافلات التى أقلته إلى ساحة الانتظار الكبيرة . كانت الساعة العاشرة تقريباً ، والساحة خاوية من الناس . حمل الرجل حقيبة كانت معه من نيو أورليانز . وكان الملصق البرتقالى الموجود عليها يوضح عدم احتواء السلاح النارى الذى بداخلها على رصاص . وعندما وصل

الرجل إلى سيارته فتح الحقيبة ليخرج مسدسه حتى يقوم بحشوه ووضعه فى الجراب الذى يضعه تحت إبطه .

ضرب نصل خنجر صغير رئة الرجل اليمنى ، ثم أُخرج ، ثم ضرب رئته اليسرى مما أدى إلى تلفهما وسبق ضربة الخنجر الثانية صرخة استغاثة . ثم جاءت الطعنة الثالثة فى الجهة اليمنى من رقبته . سقطت الحقيبة على الأرض وأصبح المسدس عديم الفائدة الآن لصاحبه الذى سقط على الأرض بعد لحظة ، وكان مثبتاً نظره على قاتله .

توقفت سيارة نقل صغيرة بجانبهما وقفز بداخلها كينيث سكاليز . وترك القتيل وحيداً .

الفصل الثامن والثلاثون

جلس لى سوير على منضدة الاجتماعات فى مبنى المباحث الفيدرالية متفقداً العديد من التقارير . مرر يده خلال شعره المجعد ، ومال إلى الخلف على مقعده ثم وضع قدمه على المنضدة ، بينما كان مستغرقاً فى التفكير فيما تكشف من حقائق مستجدة . فقد أشار تقرير تشريح جثة رايكر أنه قد لقى مصرعه قبل حوالى ثمان وأربعين ساعة من العثور على جثته . ونتيجة لانخفاض درجة حرارة الغرفة إلى ما يقرب من درجة التجمد ، علم سوير أن تعفن الجثة بعد الوفاة لم يحدث بالصورة التى يكون عليها فى الأحوال الأخرى .

تفحص سوير الصور الخاصة بالمسدس سيج بى ٢٢٩ الذى تم التقاطه من مسرح الجريمة . وتعرف على الأرقام المسلسلة الموجودة

على المسدس ، ثم نظر بعد ذلك إلى الصور الخاصة بالرصاصات التى تم استخراجها من جسد رايكر فقد تلقى جسده إحدى عشرة رصاصة وهو عدد أكبر بكثير مما كان كافياً لقتله . ولقد أثار وابل الرصاص هذا غضب عميل المباحث الفيدرالية كثيراً . لقد كانت جريمة قتل رايكر تحمل ملامح القتل المحترف ، ونادراً ما يطلق القتلة المحترفون أكثر من رصاصة واحدة . وفى هذه الحالة كانت الرصاصة الأولى قاتلة ، هذا حسب ما توصل إليه الفحص الطبى . إذن لم يكن القلب ينبض أثناء دخول الرصاصات الأخرى فى الجسم .

وقد أشارت بقع الدماء المتناثرة على المنضدة ، والمقعد ، والمرآة أنه تم إطلاق الرصاص على رايكر من الخلف بينما كان جالساً . ومن الواضح أن القاتل قام بجر رايكر خارج المقعد وطرحه أرضاً ووجهه إلى أسفل فى ركن من حجرة النوم ثم استأنف تفريغ الرصاصات الموجودة بمسدسه داخل جسده مباشرةً من أعلى بمسافة تقدر بحوالى ثلاث أقدام . لكن لماذا ؟ لم يستطع سوير الإجابة عن هذا السؤال فى الوقت الحالى ، فانتقل بأفكاره إلى وجهة أخرى .

وعلى الرغم من العديد من التحقيقات والدلائل المحتملة إلا أنه لم يظهر شىء يخص تحركات رايكر خلال الثمانية عشر شهراً الأخيرة من حياته . لم يُستدل على أية عناوين أو أصدقاء ، أو وظائف ، أو فواتير بطاقات ائتمان ، لا شىء على الإطلاق . وبينما كانت عملية البداية السريعة تسير على قدم وساق فى تجميع ملايين المعلومات حول يوم تحطم الطائرة ، لم تظهر أية أدلة دامغة على أى شىء . يعرف المحققون كيف تمت العملية ، فلديهم جثة المجرم الملعون المسئول عن تنفيذ هذه العملية حقاً ؛ بيد أنهم لم يستطيعوا معرفة أى شىء غير ما يتعلق بجثته .

جلس سوير فى حالة إحباط ، وقلب بإبهامه تقريراً آخر . لقد أجرى رايكر العديد من عمليات التجميل . فالصور الفوتوغرافية التى التقطت له فى آخر مرة ألقى القبض عليه فيها لا تحمل أية ملامح تشابه بينه وبين الشخص الذى لقى حتفه بنهاية دموية فى شقة هادئة فى مبنى بولاية فيرجينيا .

ظهر على قسمات سوير التجهم ، فحدسه فيما يتعلق بالمدعو سنكلير المزعوم كان صحيحاً أيضاً . لقد تم خلق شخصية سنكلير الوهمية من سجلات الكمبيوتر ، ومن ثم تم استئجار روبوت سنكلير كشخصية حية تتنفس وتتمتع بمجموعة من أوراق الاعتماد الممتازة التى تشير لكونها خاصة بشخص يعمل كمزود وقود لدى شركة مشهورة طيبة السمعة ولديها عقود لخدمة العديد من شركات خطوط الطيران المهمة التى تنطلق من مطار دويلز الدولى ، بما فيها شركة ويسترن آيرلاينز . إلا أن شركة فيكتور قامت بالعديد من الأخطاء فيما يتعلق بالسجلات الخاصة بالرجل ؛ حيث لم يكن لدى الشركة أرقام الهواتف الصحيحة الخاصة بأصحاب العمل السابقين الذين عمل معهم سنكلير ، غير أنهم استخدموا فقط الأرقام التى أعطاها لهم رايكر ، أو المدعو سنكلير . فجميع الخبرات التى قدمها القتيل كانت لعمليات تزويد وقود صغيرة قام بها فى واشنطن ، وجنوب كاليفورنيا ، وأخرى فى آلاسكا . ولم تكن أى من عمليات تزويد الوقود هذه صحيحة على الإطلاق . وحينما تحقق رجال سوير من الأمر وجدوا أن الأرقام لا وجود لها من الأساس ، كما اتضح أن عناوين الوظائف التى عمل بها رايكر كانت مزيفة أيضاً . إلا أن رقم التأمين الاجتماعى الخاص به قد تم فحصه من خلال النظام وثبت صحته .

وقد تم التحقق أيضاً من بصماته من خلال مكتب رفع البصمات التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالية بولاية فيرجينيا ، فقد قضى رايكر بعض الوقت بسجن فيرجينيا ، ومن المفترض أن تكون بصماته موجودة بملف ما هناك ، إلا أنهم لم يعثروا عليها . وهذا يعنى شيئاً واحداً فقط ألا وهو أن البيانات بوزارة الأمن الاجتماعى وبشرطة ولاية فيرجينيا قد تم التخلص منها نهائيًا . كما يمكن أن يكون النظام بأكمله قد تعرض للاحتراق . كيف يمكنك التأكد من أى شيء الآن ؟ مع عدم القدرة على الاعتماد التام على الأنظمة ، تبدو تلك الأنظمة وكأنها شبه معدومة الفائدة . وإذا كان هناك شخص استطاع أن يخترق أنظمة شرطة فيرجينيا ووزارة الأمن الاجتماعى ما المكان الآمن الآن ؟ دفع سوير بالتقارير جانباً ، وسكب لنفسه كوباً من القهوة ، ومشى حول الفضاء العريض الموجود بالمكان .

كان جاسون آرتشر بعيداً عنهم للغاية ، كان هناك سبب واحد يبرر سفر سيدنى آرتشر إلى نيو أورليانز . فى الواقع كان يمكن أن تكون أية مدينة أخرى . فالهدف الأساسى كان مغادرة المدينة . وحينما فعلت ، ذهبت المباحث الفيدرالية على أثرها ، وتركوا بيتها دون حراسة . وقد علم سوير من التحريات الدقيقة التى أجريت مع جيران سيدنى أن والديها وابنتها قد غادروا المكان بعد سفرها بفترة وجيزة .

أطبق سوير قبضة يده وفردها . لقد كانت هناك خدعة الهدف منها تضليل المباحث ، وقد وقع هو ضحيتها كما لو كان أقل العملاء خبرة فى العالم . لم يكن لديه دليل مباشر يعضد نظريته ، غير أنه كان يعلم علم اليقين أن هناك شخصاً قد دخل منزل آرتشر ، ومن المفترض أن يكون أخذ منه شيئاً . ولابد وأن يكون

هناك شيء بالغ الأهمية قد جعله يتكبد كل هذه المخاطر ولابد أيضًا أن يكون ذلك الشيء المهم قد أفلت من يد سوير .

لم يكن هذا الصباح جميلاً ، حيث تتسارع الأحداث التى تنذر بسوء الأمور . ولم يكن سوير معتاداً على أن يُخدع بهذه السهولة . ولقد اطلع فرانك هاردى على النتائج أولاً بأول حتى الآن . وقام بعمل تحريات حول علاقة كل من بول بروفى وفيليب جولدمان . وقد شعر هاردى بأنه قد خُدع ، حينما سمع بأن بروفى قد تسلل إلى داخل غرفة سيدنى بالفندق وقام بتفتيشها .

فتح سوير الجريدة وقرأ العناوين الرئيسية وعلم أن سيدنى آرتشر ستدخل إلى منطقة الرعب . وحيث إنهم كانوا يلاحقون جاسون آرتشر ، فقد كان هناك إجماع بالمكتب بأن يتم إعلام الرأى العام بجرائمه المفترضة ، ألا وهى : الاشتراك فى عمليات تجسس ، وكذلك اختلاس ودائع مالية خاصة بشركة تريتن . ولكن لم يتم الإشارة إلى تورطه فى حادث تحطم الطائرة ، وعلى الرغم من أن القصة تذكر أن اسمه كان مدرجاً ضمن قائمة ركاب الطائرة القتلى إلا أنه لم يكن على متن الطائرة المنكوبة . توصل سوير إلى أن القراء يمكنهم أن يقرأوا ما بين السطور من استنتاجات مهمة . كما ذكرت أيضاً التحركات الأخيرة التى قامت بها سيدنى آرتشر . نظر سوير إلى ساعته ، وقد كان فى طريقه إلى زيارة سيدنى آرتشر للمرة الثانية . وعلى الرغم من تعاطفه الشخصى مع تلك المرأة فإنه عقد العزم هذه المرة ألا يخرج دون الحصول على بعض الأجوبة لأسئلته .

وقف هنرى وارتون خلف مكتبه ، وقد غاصت ذقنه إلى أسفل على صدره ، حينما تأمل السماء الملبدة بالغيوم خارج النافذة . وكانت هناك نسخة من جريدة بوست الصباحية ، وقد وضعت على

وجهها ، كانت العناوين المزعجة على الأقل بعيدة عن مرمى بصره . وعلى مقربة من مكتبه جلس فيليب جولدمان . وكانت عينا جولدمان متمركزة على ظهر وارتون .

" لا أعتقد حقاً أن لدينا خياراً يا هنرى " . أطرق جولدمان وقد ظهرت على ملامح وجهه الغامضة نظرة ارتياح طفيفة . ثم قال : " إننى أعذر ناثان جامبل على استيائه حينما تحدث هاتفياً هذا الصباح . فمن يستطيع حقاً أن يلومه ؟ وهناك احتمال بأنه سيوقف التعامل مع مؤسستنا " .

فزع وارتون عند سماعه هذه الملحوظة ، وحينما أدار وجهه إلى جولدمان بقيت عيناه تنظران إلى أسفل . كانت علامات التردد تبدو واضحة على وارتون . انحنى جولدمان للأمام ، وهو يتوق لاغتنام هذه الفرصة . قال : " إن هذا فى مصلحة المؤسسة يا هنرى على الرغم من أن هذا سيكون مؤلماً لكثير من الناس ، وعلى الرغم من خلافاتى معها فى الماضى ، لانضممت إلى هذه المجموعة ، وذلك لسبب ليس بهين ، وهو أنها مصدر قوة بصورة خاصة للمؤسسة " . ونجح جولدمان هذه المرة فى حبس ابتسامته وقال : " إلا أن مستقبل المؤسسة ومستقبل مئات الناس لا يمكن التضحية به من أجل مصلحة شخص واحد يا هنرى ، وأنت تعلم ذلك " . أسند جولدمان ظهره إلى المقعد ، واضعاً يده على بطنه ، وقد ارتسم على وجهه تعبير هادئ ينم عن رباطة جأش ، ثم تنهد قائلاً : " أستطيع أن أتولى الأمر يا هنرى ، إذا كنت تفضل ذلك . فأنا أعلم مدى العلاقة الوطيدة بينكما " .

رفع وارتون عينيه أخيراً ، وأومأ إيماءة سريعة ، وقصيرة وعندئذ غادر جولدمان الغرفة فى هدوء .

كانت سيدنى آرتشر تأخذ الصحف من الممشى الجانبى لبيتها حينما رن جرس الهاتف . جرت إلى الداخل مسرعة وفى يدها جريدة بوست التى كانت لا تزال مغلقة . كانت متأكدة للغاية أنه ليس زوجها ، لكن فى الوقت الراهن لم يكن بإمكانها التأكد من أى شىء . ألقت بالجريدة فوق أعداد أخرى لم تكن قد قرأتها بعد .

جاء صوت أبيها مدوياً عبر الهاتف . سألها عما إذا كانت قد قرأت الصحف ؟ ما الذى يتحدثون عنه ؟ كل هذه التهم ، ادعى أبوها غاضباً أنه سوف يقاضيهم . سوف يقاضى أى شخص متورط فى ذلك الإسفاف بما فيهم تريتن . والمباحث الفيدرالية . وحينما استعاد والدها هدوءه ، استطاعت سيدنى أن تفتح الجريدة . واحتبست أنفاسها حينما قرأت العنوان ، وشعرت كأنما أحدهم قد ضربها ضربة ساحقة على صدرها . انهارت على المقعد وقد أصابها الدوار فى مطبخها ، ثم قرأت القصة الموجودة بصفحة الغلاف سريعاً ، والتى كانت تشير إلى سرقة زوجها لأسرار ثمينة بالغة الأهمية وكذلك مئات الملايين من الدولارات من الشركة التى كان يعمل بها . ومما زاد الطين بلة ، أن جاسون آرتشر كان أيضاً يشتبه فى تورطه فى تفجير الطائرة ، وكان يفترض أن دافعه لارتكاب هذه الجريمة هو إقناع السلطات بأنه قد مات . الآن علمت الدنيا بأكملها أنه مازال على قيد الحياة وهارب من العدالة على حسب ما ذكرته المباحث الفيدرالية .

وحينما قرأت سيدنى اسمها مذكوراً تقريباً فى النصف الأسفل من الصفحة أصابها إعياء شديد فى معدتها . حيث ذكرت الجريدة أنها سافرت إلى نيو أورليانز بعد فترة وجيزة من حفل تأبين زوجها ، وقد اعتبرت الجريدة أن هذه الرحلة مثار شكوك عديدة . بالطبع كانت مثيرة للشكوك والشبهات ؛ حيث يرى الجميع بمن

فيهم سيدنى آرتشر نفسها هذه الرحلة محفوفة بالشبهات . وها هى حياة كاملة كان ملؤها الأمانة قد تم تدميرها بلا رجعة . وفى غمرة إحباطاتها ؛ أغلقت سيدنى سماعة الهاتف مع أبيها . تمكنت بالكاد أن تذهب إلى حيث بالوعة المطبخ ؛ فقد أصابها الغثيان وسكبت ماءً بارداً حول رقبتها وجبهتها .

تعثرت سيدنى فى خطواتها حتى عادت إلى منضدة المطبخ ، حيث أجهشت فى بكاء حار لبضع دقائق . لم تشعر من قبل بهذا اليأس . ثم سرى فى جسدها شعور مفاجئ بالغضب ، فأسرعت إلى غرفة نومها ، وارتدت بعض الملابس سريعاً ، وخلال دقيقتين فتحت باب سيارتها الفورد اكسبلورر . " اللعنة " . لقد سقط البريد من على المقعد الأمامى فانحنت تلقائياً لتلتقطه . وسرعان ما التقطت قطع الورق الملقاة ثم توقفت فجأة حينما أطبقت أصابعها حول الطرد الموجه إلى جاسون آرتشر . وحينما رأت خط زوجها على الطرد ارتعشت أرجلها . واستطاعت أن تحس بالشىء الرفيع داخله . ونظرت على طابع البريد ، فلقد تم إرساله من سياتل فى ذات اليوم الذى غادر فيه زوجها إلى المطار . وارتعدت أوصالها لاإرادياً ؛ إذ إن لدى زوجها العديد من طرود البريد هذه فى مكتبه بالبيت ، ولم يكن لديها وقت لتفكر فى هذا التطور الأخير ، فألقت بالطرد ثانية إلى السيارة ، وركبتها ثم انطلقت بها .

بعد مضى ثلاثين دقيقة ، دخلت سيدنى آرتشر - يرافقها ريتشارد لوكاس - إلى مكتب ناثان جامبل وخلفهما بالضبط كان هناك كونتين رووى الذى أصابته الدهشة . اتجهت سيدنى مباشرة إلى مكتب جامبل وألقت بجريدة بوست أمامه .

" أتمنى أن يكون لديكم محامون بارعون فيما يتعلق بقضايا تلويث السمعة " . وقد جعل غضبها الثائر لوكاس يهب واقفاً حتى أشار إليه جامبل بيديه . أمسك رئيس شركة تريتن بالجريدة ووقع نظره على القصة المكتوبة ، ثم نظر إليها قائلاً : " لم أكتب هذه القصة " .

" أعلم أنك لم تفعل " .

وضع جامبل سيجارته وهب واقفاً : " أستميحك عذراً لكنى أشعر بأننى من يجب أن يكون غاضباً جداً فى هذا الموقف " .

" زوجى يفجر الطائرات ، ويبيع الأسرار ، ويختلس أموالكم . إنها مجموعة من الأكاذيب ، وأنت تعلم هذا " .

استدار جامبل حول المكتب ليواجهها ثم قال : " دعينى أخبرك ما عليه حالى الآن يا سيدتى . لقد سُرقت منى مبالغ طائلة ، وهذه حقيقة واقعة . وقد قدم زوجك لشركة آر . تى . جى كل ما تحتاجه لتقضى على شركتى ، وهذه حقيقة أخرى . فماذا يفترض أن أفعل ، أقدم له الميدالية الذهبية مكافأة له على أفعاله ؟ " .

" هذا ليس صحيحاً " .

" أوه حقاً ! " . دار جامبل بمقعده وقال : " اجلسى " .

ثم فتح درج مكتبه وأخرج منه شريط فيديو ألقى به إلى لوكاس . وضغط على زر بمكتبه فتراجع جزء من الحائط إلى الوراء ليكشف عن جهاز تليفزيون ضخم ووحدة فيديو . وبينما كان لوكاس يضع الشريط داخل الفيديو ، كانت قدما سيدنى ترتعشان ، وغاصت فى مقعدها . نظرت إلى كونتين رووى الذى وقف صامتاً كالحجر فى ركن المكتب وقد تسمرت عيناه الواسعتان عليها . لعقت شفتيها بعصبية واستدارت لتشاهد جهاز التليفزيون .

كاد قلبها يتوقف حينما رأت زوجها ، حيث إنها لم تسمع سوى صوته فقط منذ ذلك اليوم الرهيب وشعرت وكأنه رحل إلى الأبد . فى بادئ الأمر ركزت على وجهه ولهثت . فهى لم تر زوجها أبداً بهذه العصبية . تم تسليم حقيبة وصوت طائرة يهدر فى السماء ، والابتسامات تعلو وجوه الرجال ، وتم فحص بعض الأوراق ، كانت كل هذه الأمور لا تعنى شيئاً بالنسبة لها ؛ إذ إنها بقيت محدقة فى جاسون . تحولت عيناها للوقت والتاريخ الموجودين وقفز قلبها قفزة قوية أخرى حينما صدمها مغزى هذه الأرقام . وحين انتهى الشريط ، استدارت لترى كل العيون فى الغرفة محدقة إليها .

" تمت عملية التبادل من منشأة تتبع شركة آر . تى . جى فى سياتل وذلك بعد فترة طويلة من سقوط الطائرة " . وقف جامبل خلفها ثم أضاف فى تجهم وقال : " والآن إذا كنت تريدين مقاضاتى لتشويه سمعتك وسمعة زوجك ، تفضلى . وبالطبع إذا خسرنا صفقة الحصول على شركة سيبركوم ، قد تجدين متاعب كبيرة فى الحصول على أية أموال " .

هبت سيدنى واقفة ، ووقف جامبل خلف مكتبه وألقى إليها بالجريدة وقال : " هذه صحيفتك " . وعلى الرغم من عدم قدرتها على الوقوف فإنها تمكنت من التقاطها ببراعة . وفى غضون دقيقة غادرت الغرفة .

شقت سيدنى طريقها بصعوبة إلى المرآب وعند وصولها كانت أطرافها ترتعد ، ورئتاها تنفثان الهواء مصحوباً بتنهدات حارقة كل بضع ثوانٍ ، ثم أمسكت بالجريدة . وحينما فتحتها وظهر النصف

الأسفل من الصفحة الأولى ، تلقت سيدنى آرتشر صدمة أخرى وهذه الصدمة أثارت رعبها بشكل خارج عن نطاق السيطرة .

كانت الصورة ترجع إلى عدة سنوات ماضية ، لكن لم يكن هناك خطأ فى أنها لنفس الشخص . تكشف لها الآن أن اسمه إدوارد بيدج . كان يعمل محققاً محلياً خاصاً لمدة خمس سنوات ماضية بعد أن عمل عشر سنوات بمدينة نيويورك سيتى كضابط شرطة . وكان يعمل منفرداً ، وكانت شركته تحمل اسم برايفت سليوشنز ، هكذا ذكر الخبر المكتوب بالجريدة . راح بيدج ضحية سرقة بالإكراه أودت بحياته فى موقف مطار ناشيونال للسيارات . وذكرت الصحيفة أنه مطلق ولديه اثنان من الأبناء فى سن المراهقة .

حدقت العينان المألوفتان إليها من أعماق الصفحة ، واعترت جسدها كله رعشة . فقد كانت متيقنة من أن قتله لم يكن بغرض البحث عن أموال نقدية أو بطاقات ائتمان . وبعد دقائق معدودة من حديثه معها ، لقى الرجل مصرعه . وإذا تغاضت عن الموضوع واعتبرته مجرد مصادفة ستكون فى غاية الحماقة . قفزت إلى السيارة واستبقت الطريق إلى البيت .

أخذت سيدنى المسدس الفضى المعدنى طراز سميث آند ويسون عيار تسعة مللى الموجود داخل الصندوق المعدنى المغلق داخل خزانة حجرة نومها وقامت بحشوه بالرصاص القاتل . ثم تفحصت محفظتها . كانت رخصة حمل السلاح مازالت سارية .

وحينما حاولت سيدنى إرجاع الصندوق إلى مكانه أعلى الخزانة ، انزلق المسدس وارتطم بالأباجورة قبل أن يستقر على الأرض . وحمدت الله أن صِمام الأمان كان مثبتاً فى مكانه . وحينما التقطته ، لاحظتِ أن جزءاً صغيراً جانبياً من القبضة البلاستيك

الصلبة قد كُسر من شدة الارتطام ، عادت إلى المرآب وفى يدها المسدس وصعدت إلى سيارتها الفورد .

تجمدت فجأة فى مكانها ؛ إذ سمعت صوتاً يأتى من داخل بيتها . نزعت صمام الأمان من المسدس ، وركزت عينيها وفوهة المسدس مصوبة ناحية البيت . وبيدها الأخرى حاولت فتح سيارتها بالمفاتيح . انزلق أحد المفاتيح من إصبعها ليجرحه جرحاً بالغاً . ثم ضغطت على زر فتح باب المرآب المثبت بحافة الزجاج الأمامى للسيارة . تسارعت دقات قلبها بينما كانت تنتظر الباب اللعين وهو يصعد ببطء مقيت . وبقيت عيناها مثبتتين على باب المنزل ، متوقعة أن يفتح على مصراعيه فى أية لحظة .

استرجع ذهنها تفاصيل قصة موت بيدج كما جاءت فى الصحيفة . لقد خلف بيدج وراءه طفلين فى سن المراهقة . وارتسمت على قسماتها علامات مخيفة قاتلة . لن تخلف وراءها ابنتها الصغيرة . أحكمت قبضتها على عقب المسدس . وضغطت على زر وأنزلت زجاج النافذة اليسرى للسيارة . الآن لديها خط إطلاق نار موجه للباب المؤدى إلى المنزل لا يعوقه شىء . لم تكن سيدنى قد استخدمت سلاحها من قبل فى غير التصويب على أهداف ميدان التدريب على إطلاق النار . إلا أنها ستبذل قصارى جهدها لقتل الشخص الذى كان على وشك الخروج من ذلك الباب .

لم تلاحظ أن هناك رجلاً ينحنى لأسفل ليخرج من باب المرآب وهو ينفتح . مشى سريعاً إلى حيث باب قائد السيارة شاهراً مسدسه ، وفى هذه اللحظة أحكمت سيدنى قبضتها بقوة أكثر على سلاحها حتى نفرت عروقها بارزة فى يدها . وبدأ إصبعها ينزلق على الزناد .

" يا إلهى ، أيتها السيدة ، ضعى هذا جانباً الآن ! " . صرخ الرجل الذى كان واقفاً بجوار السيارة ، ومسدسه مصوباً مباشرة ناحية نافذة قائد السيارة ، ومن خلالها إلى صدغ سيدنى الأيسر .

أصيبت سيدنى بدوار ووجدت نفسها وجهاً لوجه أمام العميل راى جاكسون وفجأة فُتح باب المرآب على مصراعيه ليصطدم بالحائط . أرجعت سيدنى رأسها للخلف فى هذا الاتجاه لتشاهد جسد لى سوير العملاق وهو يندفع من خلال الباب ، ومعه مسدسه وهو يقطع مسافات واسعة فى اتجاه السيارة . تراجعت سيدنى إلى الوراء على مقعدها والعرق يتصبب من جبهتها .

فتح راى جاكسون باب السيارة الاكسبلورر على مصراعيه ورأى كلاً من سيدنى آرتشر والمسدس الذى كاد يحدث ثقباً هائلاً فى جسد زميله وقال : " هل جننت ؟ " ، مال الرجل عليها وانتزع المسدس من يديها ، وشد زر الأمان . لم تحرك سيدنى ساكناً ، إلا أن الغضب ارتسم فجأة على ملامحها . وقالت : " ماذا تفعلون هنا ، تقتحمون منزلى ؟ كان يمكن أن أطلق عليكم النار " .

أعاد لى سوير المسدس داخل جرابه وتحرك ناحية السيارة الفورد .

" كان الباب الأمامى مفتوحاً يا سيدة آرتشر . فاعتقدنا أنه قد أصابك مكروه حينما لم تفتحى لنا الباب " . جعلت صراحته بركان الغضب بداخلها يهدأ بسرعة كما انطلق بسرعة ؛ فلقد تركت الباب الأمامى مفتوحاً فعلاً حينما دخلت مسرعة إلى الداخل لترد على المكالمة الهاتفية التى أجرتها مع أبيها . وضعت سيدنى رأسها على عجلة القيادة ، وجاهدت حتى لا تصاب بالغثيان . كان جسدها كله يتصبب عرقاً . وشعرت بريح باردة تجتاح المرآب قادمة من الباب المفتوح .

نظر سوير إلى السيارة وسأل المرأة الجالسة التى يعتصرها الوهن والاكتئاب وقال : " أذاهبة إلى مكان ما ؟ "

" كنت ذاهبة فى جولة بالسيارة " . جاء صوتها وهناً ولم تنظر إليه وأسرعت بوضع يديها على عجلة القيادة . أحدثت كفيها قطرات لامعة فوق عجلة القيادة .

نظر سوير إلى رزمة البريد الموجود على المقعد بجانبها وقال : " هل أنت دائماً ما تحملين بريدك فى سيارتك ؟ "

تابعت سيدنى نظرته المحدقة وقالت : " لا أعلم كيف وضع هنا ، ربما يكون أبى وضعه هنا قبل رحيله " .

" حقاً . بعد أن رحلت أنت مباشرة . بالمناسبة كيف كانت رحلتك إلى نيو أورليانز ؟ هل استمتعت بوقتك ؟ "

حدقت سيدنى إلى الرجل بتبلد .

وضع سوير يده بقوة تحت مرفقها وقال : " لنتحدث قليلاً يا سيدة آرتشر " .

الفصل التاسع والثلاثون

قامت سيدنى بجمع البريد بحذر قبل مغادرتها السيارة ثم وضعته تحت ذراعيها . وبعيداً عن عيون عملاء المباحث الفيدرالية وضعت اسطوانة الحاسب داخل جيب المعطف الذى ترتديه . وبينما كانت تخرج من السيارة رأت المسدس الذى كان قد صادره جاكسون وقالت : " لدى ترخيص بحيازة هذا المسدس " . وقامت بتسليم الترخيص إليه .

" أتمانعين إذا قمت بإفراغه من الرصاص قبل أن أرده لك ثانية ؟ "

" إذا كان ذلك سيشعرك بالأمان " ، وقامت بالضغط على الزر الذى يفتح باب المرآب ، ثم أغلقت باب السيارة الفورد وتوجهت

إلى المنزل وقالت : " عليك فقط أن تتأكد أنك ستترك الرصاص مكانه " .

أخذ جاكسون يحدق إليها وهى تنصرف وكان يبدو على ملامحه الدهشة والذهول . وتبعها عميلا المباحث الفيدرالية إلى المنزل .

" أترغبان فى تناول القهوة ؟ أو أكل أى شىء ؟ مازال الوقت مبكراً جداً " . قالت سيدنى هذه الكلمات الأخيرة بأسلوب به نبرة اتهام .

أجابها سوير متجاهلاً نبرتها : " القهوة ستكون اختياراً جيداً " . وأومأ جاكسون بالموافقة .

بينما كانت تسكب ثلاثة أكواب من القهوة ، كان سوير ينظر إليها بانتظام . كان شعرها الأشقر غير المغسول ينساب حول وجهها الذى لم يكن عليه أية مساحيق تجميل وكان يبدو على وجهها الإرهاق والقلق أكثر من آخر مرة رآها فيها . كانت ملابسها الفضفاضة تنسدل على قوامها الطويل . ولكن كانت عيناها الخضراوان ساحرتين كالعادة . كان سوير يستعيد نشاطه عند أقل لمسة من يديها بينما كانت تناوله إبريق القهوة . وكان واضحاً أن سيدنى متوترة الأعصاب ، وكان سوير متعجباً لتحملها ذلك الكابوس الذى يتغير ويتحول مع انقضاء كل يوم ولكن لكل شخص مقدرة على التحمل . وكان يتوقع أن يعرف قدرتها قبل أن تنتهى اللعبة .

وضعت سيدنى أكواب القهوة على صينية عليها السكر ، وذهبت إلى صندوق الخبز وأخرجت منه مجموعة منوعة من الفطائر المحلاة ثم حملت الصينية ووضعتها فى منتصف منضدة المطبخ . وبينما بدأ العميلان فى احتساء القهوة ، أخرجت سيدنى بعض المقرمشات وأخذت تمضغها بصوت عالٍ ببطء .

نظر سوير إليها بترقب وقال : " فطائر لذيذة ، شكراً لك . بالمناسبة هل أنت معتادة على حمل مسدس معك ؟ "

" لقد طرأت بعض الأحداث على حياتى مؤخراً ، كما أننى تلقيت تدريباً على كيفية استخدامه . بالإضافة إلى أن الأسلحة ليست غريبة بالنسبة لى ، فوالدى وأخى الأكبر كينى كانا ضمن قوات المارينز ، كما أنهما يحبان الصيد . ويمتلك كينى مجموعة كبيرة من الأسلحة النارية . وعلى مراحل عمرى المختلفة اعتاد والدى على أن يأخذنى معه لأتدرب على الرماية . ولقد استخدمت تقريباً جميع أنواع الأسلحة التىتخطر على بالك ، كما أننى رامية ماهرة " .

قال راى جاكسون : " لقد ناولتنى المسدس بطريقة جيدة فى المرآب " . وأشار إلى مكان الكسر فى مؤخرة المسدس بينما كان فى قبضته وقال : " أتمنى ألا تسقطيه عندما يكون محشواً " .

" إننى أتعامل بحذر شديد مع الأسلحة النارية يا سيد جاكسون ولكنى أقدر اهتمامك " .

نظر جاكسون إلى المسدس مرة أخرى قبل أن يعطيه لها هو ومخزن الذخيرة وقال : " إنه سلاح جيد ، ووزنه خفيف . أنا أستخدم نوعاً مثله ولكنه قوى جداً " . وذكَّرها جاكسون قائلاً : " مازالت هناك طلقة داخل الخزانة " .

" قالت سيدنى : " إنه مزود بنظام تأمين لخزانة الطلقات " .

ثم لمست المسدس بحذر واستطردت قائلة : " ولكننى لا أحب الاحتفاظ به داخل المنزل ، خاصة مع وجود آمى ، على الرغم من أنه يكون فارغاً من الرصاص وموضوعاً داخل صندوق مغلق " .

رد سوير وهو يقضم قضمة من الفطائر ويحتسى رشفة من القهوة الساخنة : " لكن ذلك ليس جيداً ، إذا ما تعرض منزلك للسطو ليلاً " .

ثم سألها وهو يدفع بالصينية بعيداً عنه وقال : " أتمانعين فى إخبارى لماذا ذهبت فى تلك الرحلة القصيرة إلى نيو أورليانز ؟ "

كانت سيدنى تمسك بجريدة الصباح وترفعها حتى إن العناوين كانت واضحة جداً أمامه وقالت : " لماذا ؟ هل أنت مراسل صحفى وتريد معرفة الأخبار التالية ؟ بالمناسبة ، شكراً لك على تدمير حياتى " . ثم دفعت بالجريدة بغضب على المنضدة ونظرت بعيداً . وظهرت ثورة فى عينها وقبضت بيديها على حافة المنضدة المصنوعة من خشب الصنوبر ، حيث شعرت برعشة تسرى فى جسدها .

نظر سوير سريعاً إلى الخبر المنشور وقال : " إننى لا أعتقد أن شيئاً مما ذكر فى الجرائد غير صحيح . فزوجك مشتبه فى تورطه فى سرقة بعض الأسرار من الشركة التى يعمل بها . والأهم من ذلك أنه لم يكن موجوداً على متن الطائرة التى كان من المفترض وجوده عليها ، وتلك الطائرة قد تحطمت ، بينما زوجك حى يرزق " .

وعندما لم تجبه سيدنى . اقترب منها ولمس مرفقها وقال : قلت إن زوجك على قيد الحياة يا سيدة آرتشر ، وهذا لا يبدو مفاجئاً لك . هل تريدين إخبارى بأمر رحلتك إلى نيو أورليانز الآن ؟ " .

التفتت سيدنى ببطء لتنظر إليه وكانت ملامحها هادئة وقالت : " أتقول إنه على قيد الحياة ؟ " .

أومأ سوير .

" إذن ، لماذا لا تخبرنى بمكانه ؟ "

" كنت على وشك طرح هذا السؤال عليك " .

أجابت سيدنى : " إننى لم أر زوجى منذ ذلك الصباح الذى غادر فيه منزلنا " .

اقترب سوير منها وقال : " اسمعى يا سيدة آرتشر دعينا ندخل فى الموضوع مباشرةً . لقد تلقيت مكالمة هاتفية غامضة ثم أخذت طائرة متجهة إلى نيو أورليانز بعد حضورك مراسم تأبين زوجك ، الذى لم يلق حتفه فعلاً ، ثم قفزت إلى سيارة أجرة ، وفى المترو ، تركت حقيبة سفرك هناك . استطعت أن تهربى من رجالى وتوجهت صوب الجنوب . وقمت بالحجز فى فندق حيث إننى أراهن أنه كان لديك موعد مع زوجك هناك " . لم يطرف لسيدنى آرتشر جفن عند سماع ذلك . استكمل سوير قائلاً : " ذهبت لتتمشى ، ثم قام رجل عجوز ودود بتلميع حذائك وهو أول رجل متسول أراه يرفض أن يأخذ إكرامية ، ثم قمت بإجراء مكالمة هاتفية ، وفجأة ، أخذت طائرة للعودة إلى واشنطن . ماذا تقولين فى ذلك ؟ " .

أخذت سيدنى نفساً عميقاً ثم حدقت بقوة إلى سوير وقالت : " قلت إننى تلقيت مكالمة هاتفية غامضة ، من قال لك ذلك ؟ " .

تبادل العميلان النظرات ثم قال سوير : " لدينا مصادرنا يا سيدة آرتشر كما قمنا بفحص السجل الخاص بهاتفك " .

وضعت سيدنى رجلاً على رجل ومالت للأمام وقالت : " أتقصد المكالمة الهاتفية من هنرى وارتون ؟ " . نظر سوير إليها بهدوء وقال : " إنك تقولين إنك تحدثت إلى وارتون ؟ " . لم يتوقع سوير أن تقع فى ذلك الشرك الساذج ، ومع ذلك لم ييأس .

" لا ، إننى أقول إن شخصاً اتصل هنا وعرّف نفسه على أنه هنرى وارتون " .

" ولكنك تحدثت مع شخص ما " .

" لا " .

تنهد سوير وقال : " لدينا تسجيل للمكالمة الهاتفية . لقد استمرت المكالمة خمس دقائق ، هل كنت تستمعين إلى صوت أنفاس وحسب أم ماذا ؟ " .

" لست مضطرة لأن أبقى هنا لأتلقى الإهانة منك أو من أى شخص آخر . هل تفهم ذلك ؟ " .

" حسناً ، إننى أقدم اعتذارى . إذن ، من كان ذلك المتحدث ؟ " .

" لا أدرى " .

تحرك سوير فى مقعده وضرب بقبضته الضخمة على المنضدة . كادت سيدنى تقفز من فوق مقعدها ، ثم قال : " يا إلهى ، هيا تكلمى " .

قاطعته سيدنى بغضب قائلة : " إننى أقول لك إننى لا أدرى . كنت أظن أنه هنرى ولكن لم يكن هو . ولم يقل ذلك الشخص أى شىء . وأغلقت الهاتف بعد بضع ثوان " .بدأت ضربات قلبها تتصاعد حيث إنها تكذب على المباحث الفيدرالية .

نظر إليها سوير بضجر ثم قال : " إن الحاسبات لا تكذب يا سيدة آرتشر " . انتفض سوير داخليا عند هذه العبارة فقد سرح بذهنه للحظة فى إخفاق الأجهزة ثم قال : " إن سجل الهاتف يقول إن المكالمة استمرت خمس دقائق " .

" لقد رد والدى على الهاتف من المطبخ ثم ترك السماعة على المنضدة وجاء ليخبرنى . وقد حضرتما فى نفس الوقت . هل تستبعد احتمال أنه قد نسى وضع السماعة ؟ يمكنك الاتصال به لتتأكد بنفسك " . وأشارت إلى جدار المطبخ المجاور لمدخل الباب .

نظر سوير إلى الهاتف ثم استغرق لحظة فى التفكير . كان متأكداً من أن السيدة تكذب ، ولكن الذى تقوله كان مقنعاً . لقد نسى أنه يتحدث إلى محامية بارعة جداً .

كررت سيدنى مرة أخرى : " أتود الاتصال به ؟ أعلم أنه فى المنزل لأنه اتصل بى منذ فترة وجيزة . كان آخر ما سمعته منه هو صراخه عبر الهاتف معلناً اعتزامه رفع دعوى ضد المباحث الفيدرالية وشركة تريتن " .

" ربما سأتصل به فى وقت لاحق " .

" حسناً ، كنت أعتقد أنك تريد فعل ذلك الآن حتى لا تتهمنى فيما بعد أننى رتبت مع والدى كى يكذب عليك " . ونظرت بعمق إلى ملامح سوير التى بدا عليها الاضطراب ، ثم استطردت قائلة :

" وبينما نحن نتحدث عن هذا الموضوع ، اسمح لى أن أقدم لك اتهاماتك الأخرى لى . إنك قلت إننى قد تهربت من رجالك . وبما أننى لم أكن أعلم أن هناك من يتبعنى ، فمن الواضح أن يكون الأمر مستحيلاً أن أحاول الهروب من أى شخص . لقد ظل التاكسى واقفاً لمدة فى إشارة المرور وخشيت أن تفوتنى الطائرة ولذلك قررت ركوب المترو . إننى لم أستخدم المترو منذ سنوات ، ولذلك نزلت فى محطة البنتاجون لأننى لم أستطع أن أتذكر أنه كان يجب علىّ تغيير القطارات فى هذه المحطة للوصول إلى المطار . وعندما لاحظت خطئى ، ركبت نفس القطار مرة أخرى . ولم آخذ حقيبة السفر معى لأننى لم أرغب المشى بها داخل المترو خاصة إذا اضطررت للجرى لألحق بالطائرة . وإذا كنت سأبقى طويلاً فى نيو أورليانز كنت سأرتب ليتم إرسالها لى فى رحلة لاحقة . لقد ذهبت إلى نيو أورليانز عدة مرات .ودائماً ما كنت أحظى بوقت ممتع هناك ، ثم سمحت لأحد الأشخاص بتلميع حذائى ، هل ذلك غير

قانونى ؟ " . نظرت سيدنى إلى الرجلين ثم أكملت كلامها : " أما مسألة دفن الزوج فى حين لم يكن هناك أثر لجثته فهذا أمر لا علاقة لكما به " .

ألقت سيدنى بالجريدة بغضب على الأرض وقالت : " إن هذا الرجل المذكور فى الخبر ليس زوجى . أتعلمان ماذا كنا نفعل فى وقت الفراغ ؟ نقوم بالشواء فى فناء المنزل فى الشتاء . وأكثر شىء متهور أعلم أن جاسون قام به هو القيادة بسرعة تزيد على الحد القانونى دون أن يربط حزام الأمان . لا يمكن أن يكون متورطاً فى عملية تفجير طائرة . أعلم أنكما لا تصدقاننى ، ولكنى لا أهتم بذلك الآن " .

هبت سيدنى واقفة واستندت إلى الثلاجة قبل أن تستكمل كلامها : " لقد كنت أحتاج للخروج . أيجب أن أقول لكما السبب ؟ أيجب أن أفعل ذلك فعلاً ؟ " ، وارتفع صوتها ووصل إلى درجة الصراخ قبل أن تسكت عن الكلام .

بدأ سوير فى الرد ثم أغلق فمه فجأة حينما رفعت سيدنى يدها واستكملت حديثها بنبرة أكثر هدوءاً وقالت : " لقد مكثت فى نيو أورليانز ليوم واحد ، وبعده أيقنت فجأة أننى لا أستطيع الهروب من الكابوس الذى تحولت إليه حياتى ، فلدىَّ طفلة صغيرة تحتاج إلىَّ وأنا أحتاج إليها . وهى كل ما لدى الآن . هل تفهمان ذلك ؟ هل يفهم أى منكما أى شىء ؟ " ، وبدأت دموعها تنهمر على وجهها . وجلست فجأة مرة أخرى .

كان راى جاكسون يحرك كوب قهوته بعصبية حينما نظر إلى زميله وقال : " إننى وسوير لدى كل منا عائلة وأستطيع تخيل ما تمرين به الآن . عليك أن تفهمى أننا نحاول القيام بواجبنا وحسب . أعلم أن الكثير من الأشياء لن يكون لها معنى الآن . ولكن

هناك شىء واحد أكيد وهو أنه كانت هناك طائرة تكتظ بالركاب وتم تفجيرها ، ومهما يكن المسئول عن هذا فسيدفع ثمن جريمته " .

هبت سيدنى واقفة مرة أخرى على رجلين ترتعشان ، ودموعها تنهمر وصوتها يرتعش وكانت فى حالة أقرب إلى الهيستريا ، وعيناها متوهجتان وقالت : " ألا تعتقدان أننى أعلم ذلك ؟ لقد ذهبت إلى هناك ، إلى هذا ... هذا الجحيم ! " . وارتفع صوتها بدرجة عالية ، وسقطت دموعها على ملابسها ، واتسعت عيناها عن آخرهما وقالت : " لقد رأيت كل شىء ، رأيت الحذاء ... حذاء الطفل " . وأخذت تنتحب وجلست على مقعدها ، كان نحيبها يهز جسدها بقوة لدرجة أن ظهرها بدا وكأنه بركان سينفجر ولن يكون لأى إنسان قدرة على تحمله .

نهض جاكسون ليحضر لها منديلاً ورقياً .

تنهد سوير بهدوء ووضع يده عليها وضغط عليها برفق . وقد تذكر حذاء الطفل الذى كان يمسكه ، فقد أراق دموعاً عليه أيضاً . لاحظ سوير لأول مرة خاتم زواج سيدنى . كان جميلاً وصغيراً وكانت تضعه فى يدها طوال هذه السنوات وهى فخورة به ، وكان هو متأكداً من ذلك . وسواء ارتكب جاسون آرتشر أى جرم أم لا ، فلديه سيدة تحبه وتؤمن ببراءته . بدأ سوير يتمنى أن يكون جاسون بريئاً ، على الرغم من كل الدلائل التى تشير إلى عكس ذلك . حيث لم يرغب فى أن تضطر سيدنى لمواجهة حقيقة خيانة زوجها . لف سوير ذراعه حولها . وكان جسده يهتز مع كل رعشة تعتريها . ثم همس فى أذنها بكلمات لتهدئتها دون جدوى . للحظة عابرة تذكر عندما كان يمسك بشابة بهذه الطريقة . وكان ذلك مرة ضمن المرات القليلة التى ذهب فيها لزيارة أحد أولاده . كان إحساساً رائعاً أن يلف ذراعيه حول الجسم الضئيل المرتعش ، وأن يجعل آلامها

وحيرتها تنتهى عنده . استعاد سوير تركيزه على سيدنى آرتشر . كان بها ما يكفى من الألم غير المفتعل . وبغض النظر عن أى شىء آخر كانت سيدنى آرتشر تخبرهم بالحقيقة ، أو على الأقل بجزء كبير من الحقيقة . أحكمت سيدنى قبضتها على يد سوير كما لو كانت تشعر بما يفكر فيه .

ناوله جاكسون المنديل الورقى المبتل ، ولم ير سوير نظرة شريكه القلقة حينما رأى الرفق والهوادة التى أحاط بهما سوير سيدنى والأشياء التى قالها لها لتهدئتها ، والطريقة التى وضع بها ذراعيه حولها لطمأنتها . كان من الواضح عدم رضا راى جاكسون عن تصرف زميله فى هذه اللحظة .

بعد مضى بضع دقائق كانت سيدنى تجلس أمام المدفأة التى أعدها جاكسون سريعاً فى غرفة المعيشة . كان الجميع يشعر بالدفء . وعندما نظر سوير خارج النافذة الكبيرة لاحظ سقوط الثلج مرة أخرى ، وجال بنظره فى أرجاء الغرفة واستقرت عيناه على رف المدفأة حيث كانت توجد مجموعة كبيرة من الصور فى مقدمتها صورة لجاسون آرتشر الذى لا يبدو عليه أى شىء سوى أنه مجرم متورط فى إحدى أبشع الجرائم التى تم ارتكابها ، ثم صورة لآمى آرتشر ، وهى أجمل صورة رآها سوير ثم صورة لسيدنى آرتشر الجميلة الساحرة ، ثم صورة تضم العائلة الرائعة معاً ، أو على الأقل كما يبدو فى الظاهر . قضى سوير الخمسة والعشرين عاماً الماضية من حياته يجرى التحقيقات ، كان يتطلع لليوم الذى لا يفعل فيه هذا ، وإلى الوقت الذى يكف فيه عن التعمق فى الدوافع والظروف التى تحيل الإنسان إلى وحش . ولكن الآن ؛ فإن ذلك هو عمله الذى يجب أن يقوم به . وأدار سوير نظره عن الصور إلى سيدنى .

تحدثت سيدنى ببطء وعيناها مغمضتان قائلة : " إننى آسفة ، يبدو أننى أفقد أعصابى فى كل مرة تأتيان فيها إلى هنا " . بدت سيدنى أصغر مما تذكر سوير ولقد كان تعرضها للمحنة تلو الأخرى السبب فى انهيارها .

سألها سوير : " أين ابنتك الصغيرة ؟ "

أجابت سيدنى سريعاً : " مع والدى " .

أومأ سوير ببطء .

فتحت سيدنى عينيها اللتين كانتا تتحركان بشكل سريع غير منتظم ثم أغلقتهما ثانية وأضافت بصوت هادئ وشفتاها ترتعشان : " إنها لا تكف عن السؤال عن والدها إلا عندما تكون نائمة " .

فرك سوير فى عينيه المتعبتين واقترب من المدفأة وقال : " سيدنى ؟ " . فتحت سيدنى عينيها أخيراً ونظرت إليه وكانت تضع حول كتفيها البطانية التى أخذتها من المتكأ ورفعت ركبتيها عند صدرها ، ومستقرة فى مقعدها . تكلم سوير قائلا : " قلت يا سيدنى إنك ذهبت إلى موقع تحطم الطائرة . أعلم أن ذلك حدث بالفعل . هل تذكرين أنك اصطدمت بشخص هناك ؟ مازالت ركبتى تؤلمنى " .

تحركت سيدنى حركة مفاجئة ، كانت عيناها متسعتين عن آخرهما ثم تراجعت إلى الوراء ببطء بينما كانت تحدق إليه . استمر سوير فى النظر إليها وقال : " لدينا أيضاً تقرير من المفوض بالعمل فى تلك الليلة . المفوض ماكينا ؟ "

" نعم لقد كان لطيفاً معى للغاية " .

" لماذا ذهبت إلى هناك يا سيدنى ؟ "

لم تجب سيدنى عن هذا السؤال، ولفت ذراعيها بقوة حول رجليها ، ثم نظرت لأعلى أخيراً . ولكن عيناها كانتا مثبتتين على

الحائط المقابل بدلاً من العميلين . كان يبدو وكأنها تلقى نظرة على شىء يقع على مسافة بعيدة جداً ، وكأنها وصلت إلى الأعماق الأليمة للحفرة الهائلة الموجودة فى الأرض ؛ إلى الكهف الموحش الذى كانت تعتقد فى ذلك الوقت أنه قد ابتلع زوجها .

" كان يجب أن أفعل ذلك " ، وأغلقت فمها فجأة .

هم جاكسون أن يقول شيئاً ولكن سوير استوقفه .

كررت سيدنى : " كان يجب أن أفعل ذلك " . وبدأت دموعها تنهمر مرة أخرى ، ولكن بقى صوتها ثابتاً واستطردت : " لقد شاهدت الحادث على التلفاز " .

مال سوير إلى الأمام بقلق وقال : " ماذا ؟ ماذا شاهدت ؟ "

" لقد شاهدت حقيبة جاسون " . وارتعش فمها وهى تنطق باسمه وتحركت يدها المرتعشة إلى فمها وكأنها تحاول كبح الحزن البالغ المتمركز هناك . سقطت يدها مرة أخرى وقالت : " لقد رأيت الأحرف الأولى من اسمه على جانب الحقيبة " . توقفت سيدنى عن الكلام ثانية ومسحت دموعها بظهر يدها ، واستطردت : " وقد شعرت فجأة بأن ذلك ربما يكون آخر شىء ... آخر شىء تبقى لى منه . ولذلك ذهبت لكى أحضر الحقيبة . وأخبرنى الضابط ماكينا بأنى لن أستطيع الحصول عليها إلا بعد انتهاء التحقيق . وهكذا عدت إلى البيت دون أى شىء " . قالت سيدنى هذه الكلمة ببطء كما لو أنها قد لخصت شكل حياتها البائسة التى تعيشها الآن .

أسند سوير ظهره إلى المقعد ونظر إلى زميله . فالحقيبة تُعتبر طريقاً مسدوداً . وظل صامتاً لمدة دقيقة ثم تكلم ثانية : " عندما أخبرتك بأن زوجك على قيد الحياة لم تبد عليك الدهشة " ، كان صوت نبرة سوير منخفضاً ومطمئناً ولكن كان به اتهام واضح وجلى .

جاء رد سيدنى مختصراً ، ولكن كان صوتها مجهداً . وكان من الواضح نفاد طاقتها وقالت : " قرأت تواً الخبر المنشور فى الجريدة ، فلو كنت تريد أن ترى دهشتى ، كان يجب عليك الحضور قبل بائع الجرائد " .

جلس سوير مرة أخرى ، فقد كان يتوقع تلك الإجابة المنطقية ، ولكن كان يريد إشباع رغبته بسماعها منها . ودائماً ما يختار المحتالون الحكايات المعقدة محاولة منهم لتجنب كشف الحقيقة قال : " حسناً ، هذا يكفى . إننى لا أريد الخوض فى هذه المناقشة ، ولكنى سوف أطرح عليك بعض الأسئلة فحسب وأريد إجابات مباشرة عنها . هذا كل ما أريده . وإذا كنت لا تعرفين الإجابة ، أخبرينى . هذه هى القواعد الأساسية . هل أنت مستعدة لذلك ؟ "

لم تجبه سيدنى ، وأخذت عيناها المتعبتان تنتقلان بين عميلى المباحث الفيدرالية . مال سوير أكثر للأمام وقال : " إننى لا ألقى بهذه الاتهامات على زوجك ، ولكن بصراحة جميع الدلائل التى لم نكتشفها حتى الآن لا ترسم صورة لطيفة له " .

سألته سيدنى بحدة : " أية دلائل ؟ "

هز سوير رأسه قائلاً : " آسف ، ليس لدى حرية التصرف لإخبارك ، ولكنى سأخبرك بأنها قوية بما يكفى لإصدار تصريح لإلقاء القبض على زوجك . وإذا لم تعرفى ذلك فعلاً ؛ فكل شرطى فى العالم الآن يبحث عن زوجك " .

لمعت عينا سيدنى عند سماع تلك الكلمات التى لا يمكن تصديقها ؛ زوجها أصبح هارباً ، مطلوباً القبض عليه فى جميع أنحاء العالم . نظرتْ إليه متسائلة : " هل كنت تعلم كل هذا عندما كنت هنا أول مرة ؟ "

ظهر على تعبيرات سوير الألم بعض الشيء وقال أخيراً : " بعضاً منها " ، ثم تململ فى مقعده بينما كان ينظر جاكسون إلى زميله .

قال جاكسون : " إذا لم يرتكب زوجك الجرائم المتهم بارتكابها ، فلن يكون هناك ما يقلق بشأنه من ناحيتنا . لكننا لا نستطيع الدفاع عن شخص هارب " .

انتقلت سيدنى بنظرها إليه وقالت : " ماذا تعنى بذلك ؟ "

هز جاكسون كتفيه العريضين وقال : " لنقل إنه لم يقترف ذنباً . وإننا نعلم بما لا يقبل الشك أنه لم يكن على متن تلك الطائرة . إذن ، أين هو ؟ فإذا كانت الطائرة قد فاتته بالصدفة مثلاً ، كان سيتصل بك فى الحال ليخبرك بأنه على ما يرام . لكن ذلك لم يحدث . لماذا ؟ إن الإجابة الجزئية عن هذا السؤال هى أنه قد ورط نفسه فى شيء غير قانونى . والأهم من ذلك ، هو نوع التخطيط والتنفيذ الذى نبحث عنه والذى قادنا لنصدق أن هذا العمل قد اشترك فيه أكثر من رجل واحد " . توقف جاكسون عن الكلام ونظر إلى سوير الذى أومأ قليلاً . ثم استكمل جاكسون حديثه قائلاً : " لقد وجدنا الرجل المشتبه فيه فعلاً بالقيام بتفجير هذه الطائرة مقتولاً فى شقته يا سيدة آرتشر . وكان يبدو أنه كان يستعد لمغادرة المدينة ، ولكن قام أحدهم بتغيير الخطة الموضوعة بالنسبة له فقتلوه " .

" نطقت سيدنى هذه الكلمة ببطء : " مقتول " . حيث تذكرت إدوارد بيدج الذى سقط مضرجاً فى دمائه بعد حديثه معها مباشرة ، فجذبت البطانية بقوة حول جسدها . ثم ترددت ، أخذت تقلب الأمر فى ذهنها لا تدرى ما إذا كان يجب عليها إخبار العملاء بحديثها مع بيدج أم لا . ولكن لسبب ما لم تستطع الإشارة إلى ذلك

تحديداً ، فقررت ألا تفعل . وأخذت نفساً عميقاً وقالت : " ما أسئلتك ؟ "

" أولا ، سأخبرك بنظرية خاصة بى " ، صمت سوير للحظة محاولاً تجميع أفكاره ثم قال : " مؤقتاً ، سنقبل ما ذكرته بأنك قد ذهبت إلى نيو أورليانز لإشباع رغبة عابرة شعرت بها . وقد تبعناك إلى هناك . ونعلم أيضاً أن والديك غادرا هذا المنزل بعد سفرك بفترة وجيزة " .

" إذن لِمَ يجب عليهم البقاء هنا ؟ " ، نظرت سيدنى فى أرجاء منزلها المحبب إليها وقالت : " هل يوجد هنا سوى الشقاء والتعاسة ؟ "

نهض سوير فجأة من مقعده معطياً ظهره العريض للمدفأة بينما كان ينظر إلى سيدنى ، وفتح ذراعيه قائلاً : " لم يكن أحد هنا يا سيدنى . كان المكان خالياً من أى حراسة تماماً . وبغض النظر عن أن سبب ذهابك إلى نيو أورليانز كان له تأثيره فى إبعادنا عن المنزل ، وبالتالى لم يكن هناك من يراقب منزلك . هل فهمت قصدى الآن ؟ "

بالرغم من الدفء الذى كان ينبعث من المدفأة ، إلا أن سيدنى قد شعرت ببرودة مفاجئة تعترى عروقها . فإنها كانت سبباً لتحويل انتباه الشرطة ، وجاسون يعلم أن السلطات تراقبها . وقد استخدمها ليصل إلى شيء من هذا المنزل .

راقب كل من سوير وجاكسون سيدنى بدقة ، حتى إنهما استطاعا أن يريا الصراع الذى كان يدور فى ذهنها .

نظرت سيدنى إلى النافذة وامتدت عيناها إلى المعطف الخفيف الرمادى الموضوع على الكرسى الهزاز ؛ حيث توجد اسطوانة

الحاسب فى جيبه الداخلى . وأرادت فجأة الإسراع بإنهاء هذه المقابلة ، فقالت : " لا يوجد شىء هنا يمكن لأحد أن يحتاجه " .

" لا شىء ؟ " . وقد بدا على جاكسون الارتياب وهو يقول : " ألم يحتفظ زوجك بأى ملفات أو سجلات هنا ؟ ألا يوجد شىء كهذا ؟ "

" ليس من العمل ، لأن تريتن تحرص بشدة على مثل هذه الأشياء " .

أومأ سوير ببطه ، فبالاعتماد على تجربته الشخصية مع تريتن ، كانت هذه هى العبارة الوحيدة التى استطاع تصديقها وقال : " ومع هذا فربما ينبغى عليك التروى بعض الشىء يا سيدنى ، ألم تلحظى اختفاء أى شىء حتى الآن ؟ "

تحرك جاكسون ثم قال : " حسناً ، إذا لم يكن لديك أى اعتراض ، يمكننا تفتيش المنزل الآن " . ونظر إلى زميله ، الذى رفع حاجبيه عند سماع ذلك المطلب ، ثم نظر إلى سيدنى منتظراً ردها عليه .

عندما لم تجب سيدنى ، أخذ جاكسون خطوة للأمام وقال : " يمكننا الحصول على إذن بالتفتيش ، ولكن هناك العديد من الإجراءات القانونية ، ويمكنك توفير كثير من الوقت والمتاعب لنا . وإذا لم يكن هناك شىء كما تقولين ، فلن تكون لديك مشكلة ، أليس كذلك ؟ "

قالت سيدنى ببرود : " إننى محامية يا سيد جاكسون وأعلم الإجراءات . حسناً ، تفضلا . أعتذر عن وجود بعض القاذورات حيث إننى لم أقم بالأعمال المنزلية " . ثم هبت واقفة ، وتركت البطانية وتوجهت إلى معطفها وارتدته ، وقالت : " بينما تقومان بهذا العمل ، سأذهب فى الهواء الطلق ، كم سيستغرق منكما هذا الأمر ؟ "

نظر العميلان إلى بعضهما ثم قالا : " بضع ساعات " .

" حسناً ، يمكنكما تناول أى شىء من الثلاجة ، فقد تشعران بالجوع جراء التفتيش والبحث " .

بعدما خرجت سيدنى ، التفت جاكسون إلى شريكه وقال : " اللعنة ، إن التعامل معها ليس بالأمر اليسير ، أليس كذلك ؟ "

تابع سوير بنظره قوامها الرشيق بينما كانت تتجه ناحية المرآب وقال : " بالطبع " .

بعد عدة ساعات عادت سيدنى آرتشر .

نظرت إلى الرجلين حيث كانا مشعثى الشعر ، غير مهندمى الملابس وقالت : " ألم تجدا شيئاً ؟ "

جاء صوت جاكسون يشوبه شىء من اللوم وقال : " لم نجد أى شىء " .

حدقت سيدنى إليه قائلة : " هذه ليست مشكلتى ، أليس كذلك ؟ "

نظر الاثنان إلى بعضهما البعض لعدة لحظات .

وأخيراً قالت سيدنى : " ألديكما بعض الأسئلة ؟ "

حينما كان عميلا المباحث الفيدرالية يغادران المكان ، لمست سيدنى ذراع سوير قائلة : " من الواضح أنك لم تعرف زوجى . لو كنت تعرفه ، لم تكن لتشك فى أنه لا يستطيع ... " . وتحركت شفتاها دون التفوه بأية كلمةلطحظة ثم استطردت : " إن جاسون ليس له علاقة بحادث تفجير تلك الطائرة التى كانت تكتظ بكل

هؤلاء الركاب ... " . ثم أغلقت عينيها وأسندت ظهرها إلى الباب الأمامى .

ظهر على ملامح سوير الاضطراب . كيف يظن أحد شخصاً محبوباً ممن حوله ولديه طفلة يمكن أن يقدم على فعل شيء كهذا ؟ ولكن الجنس البشرى يرتكب العديد من الأعمال الوحشية فى كل دقيقة كل يوم ، وهو الكائن الحى الوحيد الذى يقتل جراء الضغينة والبغضاء .

قال العميل سريعاً : " إننى أفهم ما تشعرين به يا سيدنى " .

التقط جاكسون قطعة من الحصى وهو فى طريقه إلى السيارة ونظر إلى شريكه ثم قال : " لا أدرى يا سوير ، ولكننا لم نتوصل إلى أى شيء مع هذه السيدة . إنها تحتفظ بسر ما " .

هز سوير كتفيه قائلاً : " اللعنة ، لو كنت فى مكانها لتصرفت بنفس الطريقة " .

بدا على جاكسون الدهشة وقال : " أتكذب على المباحث الفيدرالية ؟ "

قال سوير : " إنها تقف فى مفترق طرق ولا تعلم أى طريق ينبغى أن تسلكه . وتحت هذه الظروف سأحاول الوصول معها إلى الحقيقة " .

" أعتقد أننى أوافقك الرأى " . ولم تظهر على كلمات جاكسون الثقة الكاملة بينما كان يركب السيارة .

الفصل الأربعون

هرعت سيدنى إلى الهاتف ولكنه توقف فجأة . ونظرت إلى السماعة كما لو كانت ثعباناً يوشك أن ينفث سمه بداخلها . إذا كان الراحل إدوارد قد راقب خط هاتفها ، أليس من الجائز أن يكون الآخرون قد فعلوا ذلك أيضاً ؟ ، وضعت الهاتف مرة أخرى ونظرت إلى هاتفها الجوال الذى كانت تضعه على منضدة المطبخ ليتم شحنه . إلى أى مدى يكون ذلك آمناً ؟ ضربت بقبضتها على الجدار بخيبة أمل حيث تخيلت مئات الأزواج من الأعين الإلكترونية وهى تراقبها وتسجل كل حركة تقوم بها . وضعت سيدنى جهاز الاستدعاء الخاص بها داخل حقيبتها . وكانت ترى أن جهاز الاتصال هذا آمن بعض الشيء . ويمكن أن تستخدمه فى أية حالة . وضعت سيدنى مسدسها المحشو داخل حقيبتها وهرعت إلى السيارة

إكسبلورر . كان قرص الحاسب موضوعاً فى أمان داخل جيبها . يجب أن يبقى هذا القرص هكذا الآن ، فلديها عمل آخر أكثر أهمية يجب إنجازه فى تلك اللحظة .

* * *

توقفت السيارة الفورد فى ساحة الانتظار أمام مطعم ماكدونالدز ، وخرجت سيدنى منها ، وطلبت غداءً لتأخذه معها ثم مشت فى الردهة متوجهة إلى دورة المياه ثم توقفت عند الهاتف العام . بعد ما طلبت الرقم ، تفحصت ساحة الانتظار لترى إذا ما كان هناك أية آثار للمباحث الفيدرالية ، غير أنها لم تر أي شىء غير عادى ، وكان ذلك جيداً ـ فمن المفترض ألا يكونوا ظاهرين للعيان ، ولكن اعترتها رعشة مرة أخرى عندما تساءلت بين نفسها من يمكن أن يكون أيضاً فى انتظارها بالخارج .

جاء صوت والدها على الجانب الآخر من الخط ، وقد استغرق الأمر منها عدة دقائق لتهدئته . وعندما أفصحت عن مطلبها انفعل بشدة مرة أخرى .

" لماذا تريدنى أن أفعل هذا بحق الجحيم ؟ "

" أرجوك يا أبى ، أريدك أن ترحل أنت وأمى وأن تأخذا آمى معكما " .

" أنت تعلمين أننا لا نذهب أبداً إلى ماين بعد عيد العمال " .

أبعدت سيدنى السماعة بعيداً عن فمها وأخذت نفساً عميقاً ، ثم قالت : " اسمع يا أبى ، لقد قرأت الجريدة " .

انفعل والدها مرة أخرى وقال : " هذا أسوأ خبر فى حياتى يا سيدنى " .

لم ترفع سيدنى صوتها أثناء حديثها مع والدها مطلقاً من قبل ولكنها فعلت هذه المرة : " اسمعنى وحسب يا أبى ، ليس لدىَّ وقت للمجادلة " .

وساد الصمت بينهما للحظة .

عندما قطعت سيدنى هذا الصمت كان صوتها صارماً : " لقد غادرت المباحث الفيدرالية تواً منزلى . إن جاسون متورط فى شىء ما ، ولكنى لست متأكدة بعد من طبيعة هذا الشىء بالضبط . ولكن إذا كان حتى نصف ما ذكره الخبر صحيحاً ... " ، ارتعشت وهى تتكلم واستطردت : " أثناء عودتى من نيو أورليانز تحدث إلى رجل داخل الطائرة ، كان اسمه إدوارد بيدج ، كان محققاً خاصاً . لقد كان يقوم بالتحريات حتى يتمكن من تقديم يد العون إلىَّ جاسون " .

كان صوت بيل باترسون ميالاً للشك وهو يقول : " ما التحريات التى كان يقوم بها من أجل جاسون ؟ " .

" لا أدرى إنه لم يخبرنى " .

" حسناً ، يمكننا أن نذهب لنسأله ونحصل على ما نريد " .

" لا يمكننا سؤاله ، لقد قُتل بعد خمس دقائق بعد أن تركنى يا أبى " .

لم يجب باترسون لبضع ثوان . وعندما تحدث أخيراً كان صوته ضعيفاً وقال : " سنغادر بعد الغداء وسآخذ معى بندقيتى ، تحسباً للظروف " .

استرخت كتفا سيدنى المقوستان فى ارتياح .

" سيدنى ؟ " .

" نعم يا أبى ! " .

" أريدك أن تأتى معنا ؟ "

هزت سيدنى رأسها وقالت : " لا أستطيع فعل ذلك يا أبى " .

انفجر والدها غضباً وقال : " لماذا لا بحق الجحيم ؟ إنك وحيدة هناك . وأنت زوجة جاسون . من المؤكد أنك مستهدفة " .

" إن المباحث الفيدرالية تراقبنى " .

" هل تظنين أنه يتعذر خداعهم ؟ ألا تعتقدين أنهم أيضاً يرتكبون أخطاء ؟ لا تكونى مجنونة يا حبيبتى " .

" لا أستطيع يا والدى ، من الجائز ألا تكون المباحث الفيدرالية وحدها هى التى تراقبنى . فإذا جئت معكم سيأتون خلفى أيضاً " . ارتعش جسدها بالكامل عندما تفوهت بتلك الكلمات .

" يا إلهى ، حبيبتى " . استطاعت سيدنى أن تسمع صوت والدها وهو يبتلع ريقه عبر خط الهاتف ثم قال : " اسمعى ، لماذا لا أرسل والدتك وآمى إلى هناك وآتى أنا لأبقى معك ؟ "

" لا أريدكم أن تتورطوا فى ذلك الأمر . يكفى أنى متورطة فيه . وأريدك أن تكون مع آمى وأمى ، أريدك أن تحميهما . أما أنا فيمكننى الاعتناء بنفسى " .

" لم تنقصنى مطلقاً الثقة بك يا حبيبتى . ولكن هذا الأمر مختلف بعض الشىء . إذا قام هؤلاء الأشخاص بالفعل بقتل .. " . لم يستطع بيل باترسون إكمال كلامه . لقد عجز عن الكلام عندما تخيل أنه قد يفقد ابنته جراء حادث قتل عنيف .

" سأكون بخير يا والدى ، فأنا أحمل مسدسى . كما أن المباحث الفيدرالية موجودة فى كل دقيقة ، وسأتصل بك كل يوم " .

" سيدنى ... " .

" سأكون بخير يا أبى " .

لم يجبها باترسون ثم أخيراً قال لها مستسلماً : " حسناً ، لكن اتصلى مرتين فى اليوم "

" حسناً ، مرتين فى اليوم . بلغ حبى إلى أمى . إننى أعلم أن الخبر المنشور فى الجريدة أغضبها ، ولكن لا تخبرها بشأن حديثنا " .

" إن أمك ليست حمقاء يا سيدنى . ستتساءل لماذا نذهب فجأة إلى ماين فى هذا الوقت من السنة " .

" أرجوك يا أبى ، اذكر لها أى سبب " .

تنهد باترسون أخيراً وقال : " هل هناك أى شىء آخر ؟ "

" أخبر آمى بأننى أحبها . أخبرها بأن أباها وأنا نحبها أكثر من أى شىء " . ترقرقت الدموع فى عينى سيدنى لأنها كانت ترغب فى شىء واحد وهو أن تبقى مع ابنتها وكان ذلك مطلباً بعيد المنال فى ذلك الوقت . حيث كان يجب عليها أن تبقى بعيداً جداً لتبقى آمى فى مأمن .

" سأخبرها يا حبيبتى " .

التهمت سيدنى غداءها أثناء قيادتها للسيارة عائدة للمنزل وعند وصولها انطلقت داخل المنزل وخلال دقيقة كانت جالسة أمام حاسب زوجها . وأخذت احتياطها فى غلق باب الغرفة وإحضار هاتفها الجوال معها حتى إذا احتاجت للاتصال بالطوارئ . ثم أخرجت الاسطوانة من جيب معطفها وأخرجت المسدس ووضعتهما بجوارها على المنضدة .

فتحت الحاسب وشاهدت الشاشة بينما كان الحاسب يبدأ العمل . وعندما همت بإدخال الاسطوانة داخل مشغل الأقراص بالحاسب ارتعشت فجأة ، وثبتت عيناها من المفاجأة مما رأته على الشاشة . فقد ظهرت تواً مساحة الذاكرة المتاحة على الحاسب . ويبدو أن هناك شيئاً غير صحيح . ضغطت سيدنى على عدة مفاتيح

على لوحة المفاتيح ، فظهرت مساحة الذاكرة المتاحة مرة أخرى على الشاشة ثم ثبتت أرقامها . قرأت سيدنى الأرقام ببطء فقد كانت : " ١,٣٥٦,٦٠٠ " كيلو بايت أو ما يقرب من ١,٣ جيجا من مساحة القرص الثابت . حدقت سيدنى بقوة إلى الثلاثة أرقام الأخيرة ، وتذكرت آخر مرة جلست فيها على الحاسب ، حيث كانت آخر ثلاثة أرقام من مساحة الذاكرة المتاحة هى تاريخ ميلاد جاسون وهم ٧ ، صفر ، ٦ وقد جعلتها هذه الحقيقة تبكى وتنهار مرة أخرى . لقد أعدت نفسها لذلك ثانية ، ولكن مساحة الذاكرة المتاحة الآن أقل ولكن كيف حدث ذلك ؟ إنها لم تجلس إلى الحاسب منذ ...

أوه ، ياالله !

شعرت سيدنى بغصة فى معدتها عندما قفزت من مقعدها ، وقبضت على المسدس ثم وضعت القرص مرة أخرى داخل جيب معطفها . لقد كان سوير محقاً ومخطئاً فى نفس الوقت : " محقاً عندما قال إن أحد الأشخاص قد تسلل إلى بيتها أثناء وجودها فى نيو أورليانز . ومخطئاً فى تخمينه أنهم قد جاءوا ليأخذوا شيئاً ؛ بل إنهم تركوا شيئاً . لقد تم وضع شىء على حاسب زوجها .

وكان يجب عليها أن تسرع بأقصى سرعة تستطيعها الآن .

استغرق الطريق منها عشر دقائق للعودة إلى مطعم ماكدونالدز والوصول إلى الهاتف العام الموجود به . جاء صوت سكرتيرتها متوترا وهى تقول : " مرحباً سيدة آرتشر " .

سيدة آرتشر ؟ لقد ظلت سكرتيرتها معها إلى ما يقرب من ست سنوات ولم تنادها مطلقاً بسيدة آرتشر من بعد اليوم الثانى من عملها . تجاهلت سيدنى ذلك للحظة وقالت : " هل جيف موجود

اليوم يا سارة ؟ " . كان جيف فيشر هو المسئول المقيم عن الحاسبات فى مؤسسة تايلر ستون .

" لست متأكدة . هل تريديننى تحويلك إلى مساعده يا سيدة آرتشر ؟ "

تكلمت سيدنى دونما تفكير قائلة : " ما هذا اللقب " سيدة آرتشر " بحق الجحيم يا سارة ؟ " .

لم تجب سارة فى الحال ولكن بدأت تهمس بغضب عبر الهاتف قائلة : " إن الخبر المنشور فى الجريدة موجود فى كل مكان فى الشركة يا سيدنى . إنهم يرسلونه بالفاكس إلى كل مكتب . ويهدد عملاء تريتن بوقف العمل مع المؤسسة ، كما أن السيد وارتون غاضب للغاية . ولا أخفيك سراً عندما أخبرك بأن جميع المسئولين فى الشركة يلومونك " .

" إننى لم أرتكب شيئاً يلوموننى عليه " .

" حسناً ، ولكن يبدو من الخبر أن ... أنت تعرفين " .

تنهدت سيدنى بصعوبة وقالت : " هل تريدين توصيلى بهنرى ؟ وأنا سأتكلم معه فى هذا الموضوع بصراحة " .

جاء رد سارة مفاجئاً لرئيستها حين قالت : " لقد عقدت لجنة الإدارة اجتماعاً هذا الصباح . كما عقدوا اجتماعاً عن بُعد عبر التلفاز مع شركائهم من المكاتب الأخرى . وهناك شائعة منتشرة تقول إنهم اتفقوا معاً على خطاب سيرسلونه إليك " .

ظهرت الدهشة سريعاً على وجه سيدنى وتساءلت : " خطاب ، أى نوع من الخطابات ؟ "

فى الخلفية ، استطاعت سيدنى سماع بعض الأشخاص يمرون بمكتب سارة . وبعد انقضاء تلك الجلبة ، تكلمت سارة وقد أصبح

صوتها أقل انخفاضاً وقالت : " لا أدرى كيف أخبرك بهذا ولكنى سمعت أنه خطاب لإنهاء خدمتك " .

وضعت سيدنى إحدى يديها على الجدار لتثبت نفسها وقالت : " إنهاء خدمتى ؟ إننى حتى لست متهمة بأى شىء . وقد قاموا بمحاكمتى وإدانتى والآن يصدرون الحكم علىَّ ؟ كل هذا بسبب خبر واحد منشور ؟ "

" أعتقد أن الجميع هنا قلق بشأن وضع المؤسسة . فغالبية الناس يشيرون بأصابع الاتهام إليك " . أضافت سارة سريعاً : " وإلى زوجك . إن اكتشاف أن جاسون مازال على قيد الحياة ... لقد شعر الجميع بالخيانة ، وهذا هو ما يحس به الكل هنا " .

أخذت سيدنى نفساً عميقاً وسرى فى جميع أركان جسدها إرهاق رهيب .

" يا إلهى كيف تظنين أننى مجرمة يا سارة ؟ " ، لم تقل سارة أىٍ شىء . تحسست سيدنى القرص فى جيبها . وكان المسدس يكون كتلة غير مريحة تحت الجزء الأمامى من المعطف الذى ترتديه . حيث لم تعتد بعد على ذلك الشىء .

" كنت أتمنى أن أشرح لك الأمر يا سارة ، ولكنى لا أستطيع . كل ما أستطيع إخبارك به أننى لم أرتكب جرماً ولا أعلم ماذا حدث لحياتى بحق الجحيم . ولكن ليس لدى وقت كافٍ . أيمكن أن تعرفى وبحذر إذا كان جيف موجودا ؟ أرجوك يا سارة " .

توقفت سارة عن الكلام ثم قالت : " انتظرى يا سيدنى " . توصلت سارة إلى أن جيف فى إجازة لبضعة أيام ، ولذلك أعطت إلى سيدنى رقم هاتف منزله . أخذت سيدنى تدعو ألا يكون خارج المدينة . وأخيراً تمكنت من الوصول إليه حوالى الساعة الثالثة . وكانت خطتها الأساسية أن تقابله فى الشركة . ولكن هذا غير ممكن

الآن . وبدلاً من ذلك قامت سيدنى بإعداد ترتيبات لمقابلته فى بيته فى الإسكندرية . لم يسمع جيف جميع الشائعات الرائجة حول سيدنى بالرغم من عدم وجوده فى المؤسسة فى اليومين الماضيين . وعندما أخبرته سيدنى بأن لديها مشكلة فى الحاسب كان متلهفاً على مساعدتها . ولكن كان لديه بعض الأعمال التى يجب عليه إنجازها ، على أن يكون فى المنزل فى حوالى الثامنة .

بعد ساعتين لاحقتين أفزعت سيدنى طرقة على الباب حينما كانت تذرع غرفة المعيشة جيئة وذهاباً بعصبية ، نظرت من العين السحرية ثم فتحت الباب ، وأصابتها دهشة خفيفة . لم ينتظر لى سوير أن تسمح له سيدنى بالدخول ، بل مشى بخطى واسعة عبر البهو ثم جلس على أحد المقاعد المجاورة للمدفأة ، وكانت نار المدفأة قد مر عليها وقت طويل منذ أن انطفأت .

" أين زميلك ؟ " .

تجاهل سوير سؤالها وقال : " لقد كنت فى تريتن . إنك لم تخبرينى بأنك أجريت اتصالاً بهم هذا الصباح " .

وقفت سيدنى أمامه وعقدت ذراعيها عند صدرها . كانت قد أخذت حماماً وبدلت ملابسها . وكان شعرها المشط إلى الخلف مازال مبللاً . وكانت ترتدى جورباً طويلاً ، وحذاؤها الخفيف كان بجوار الأريكة . وقالت له : " إنك لم تسألنى . "

" إذن ما رأيك فى تسجيل الفيديو القصير الخاص بزوجك ؟ "

" إننى لم أفكر فيه طويلاً فى حقيقة الأمر " .

" حسناً " .

جلست سيدنى على الأريكة ووضعت رجليها تحتها قبل أن تتكلم بفتور قائلة : " ماذا تريد بالضبط ؟ "

" إن البدء بالحقيقة لن يكون سيئاً ، ومنها نستطيع أن نصل إلى بعض الحلول " .

ألقت سيدنى بهذه الكلمات إليه : " كأن تزج بزوجى إلى السجن مدى الحياة ؟ أهذا هو الحل الذى تريده ؟ "

لمس سوير الشارة الموجودة على حزامه وهو شارد الذهن ، وقد اختفت تعبيراته الصارمة . وعندما نظر إليها كانت عيناه متعبتين ، وجسده الضخم مائلاً على أحد جانبيه ، وقال : " اسمعى يا سيدنى ، كما قلت ، إننى كنت فى موقع تحطم الطائرة فى تلك الليلة . وكنت أمسك بذلك الحذاء الصغير فى يدى أيضاً " . بدأ صوته ينهار ، وظهرت الدموع فى عينى سيدنى ولكنها استمرت فى النظر إليه على الرغم من الرعشة التى بدأت تسرى فى جسدها .

استكمل سوير حديثه ، وكان صوته منخفضاً لكن واضحاً ، وقال : " لقد شاهدت صوراً فى جميع أرجاء منزلك تدل على عائلة سعيدة جداً . زوج وسيم ، واحدة من أجمل الأطفال التى وقعت عيناى عليها و ... " ، توقف لحظة ثم قال : " وزوجة وأم جميلة جداً " . احمرت وجنتا سيدنى عند سماعها تلك الكلمات .

شعر سوير بالإحراج فأسرع قائلاً : " إن فكرة اشتراك زوجك فى تفجير تلك الطائرة ليست ذات أهمية بالنسبة لى ، حتى وإن كان قد قام فعلاً بسرقة بعض المعلومات من الشركة التى يعمل بها " . وسقطت دمعة من فوق وجنة سيدنى على الأريكة بينما كانت تستمع له . واستطرد سوير قائلاً : " لن أكذب عليك الآن وسأخبرك بأننى أعتقد أن زوجك برئ تماماً . ومن أجلك ، أدعو الله أن يكون كذلك ، ويمكننا إزالة كل هذا اللبس الذى حدث بطريقة ما . ولكن وظيفتى هى العثور على ذلك الشخص الذى

تسبب فى إسقاط تلك الطائرة وقتل كل هؤلاء الأشخاص " . أخذ نفساً طويلاً ثم قال : " بمن فيهم صاحب هذا الحذاء الصغير " .

توقف سوير عن الكلام ثانية ثم قال : " وسأقوم بعملى " .

شجعته سيدنى قائلة : " استمر فى عملك " . وكانت تمسك بيدها حاشية الأريكة بعصبية .

" إن زوجك أفضل طريق للإيقاع بهؤلاء المجرمين ، وأنت الطريق الوحيد الذى أعرفه لاكتشاف مكان زوجك " .

" إذن ، تريدنى أن أساعدك فى إحضار زوجى ؟ " .

" أريدك أن تخبرينى بأى شىء تعرفينه ويمكن أن يساعدنى فى الوصول إلى الحقيقة . ألا ترغبين فى ذلك أيضاً ؟ " .

استغرقت سيدنى دقيقة كاملة حتى تجيبه . وعندما تكلمت أخيراً ، كان النحيب مصاحباً لكلماتها ، فقالت : " نعم " .

ولم تتفوه بكلمة واحدة لعدة لحظات ، ثم نظرت إليه أخيراً وقالت : " لكن ابنتى الصغيرة تحتاج إلىَّ . إننى لا أعلم أين جاسون . وإذا فقدتنى أنا أيضاً ... " ، وانخفض صوتها وهى تقول هذه الكلمات .

بدا على سوير الارتباك للحظة ثم أدرك ما تقوله . مشى إليها وأمسك يدها برفق وقال : " لا أظن أنك قد اشتركت فى أى شىء فيما يخص هذا الموضوع يا سيدنى ، كما أننى متأكد من أننى لن ألقى القبض عليك وأبعدك عن ابنتك . ربما لم تخبرينى بالقصة كلها من قبل ، ولكنك إنسانة . ولا أستطيع أن أتخيل الضغوط التى تتعرضين لها . أرجوك صدقينى وثقى بى " . ثم ترك سوير يدها وجلس .

مسحت سيدنى عينيها وابتسمت ابتسامة خفيفة ، وتمالكت نفسها ، ثم أخذت نفساً عميقاً أخيراً قبل أن تدخل فى الموضوع

وقالت : " إن زوجى هو من كان معى على الهاتف فى اليوم الذى حضرت فيه إلى هنا " . نظرت إلى سوير بحدة بعدما قالت ذلك كما لو كانت مازالت خائفة من أنه قد يخرج أصفاده ليكبلها بها . ولكن سوير مال فقط إلى الأمام وكان وجهه يملؤه التجاعيد .

" ماذا قال ؟ أخبرينى بأقصى دقة ممكنة " .

" قال إنه يعلم أن الأمور تبدو سيئة ولكنه سيوضح لى كل شىء بمجرد أن يرانى . كانت مشاعرى مثارة للغاية بعدما علمت أنه مازال حياً .لم أسأله الكثير من الأسئلة ، كما أنه قد اتصل بى من المطار قبل أن يركب الطائرة فى يوم الحادث " . انتعش سوير وأضافت سيدنى : " ولكن لم يكن لدى وقت لأتكلم معه " .

تمالكت نفسها مرة أخرى حينما شعرت بالذنب عندما تذكرت ما حدث ، ثم حكت لسوير عن الليالى التى كان يتأخر فيها جاسون فى المكتب وعن الحوار الذى دار بينهما صباحاً قبل مغادرته إلى المطار .

سألها سوير : " أهو الذى اقترح عليك الرحلة إلى نيو أورليانز ؟ " .

أومأت سيدنى : " قال إذا لم يتمكن من مقابلتى فى الفندق الذى سأذهب إليه فى ميدان جاكسون ، سيترك لى رسالة هناك " .

" من خلال ماسح الأحذية ، صحيح ؟ " .

أومأت سيدنى ثانية .

تنهد سوير وقال : " إذن ، إنه كان جاسون الذى اتصلت به من الهاتف العام ؟ " .

" فى الواقع ، قالت الرسالة إن علىّ الاتصال برقم مكتبى ثم أجابنى جاسون ، وطلب منى أن أذهب للمنزل وسيتصل بى لاحقاً " .

" لكنه لم يفعل بعد ؟ " .

هزت سيدنى رأسها ببطء وقالت : " لم أتلق منه مكالمات منذ ذلك الحين " .

تخير سوير كلماته بحذر وقال : " أتعلمين يا سيدنى أن ولاءك رائع فعلاً . لقد كنت زوجة وفية لوقت طويل " .

نظرت سيدنى إليه نظرة فاحصة وقالت : " لكن ماذا ؟ " .

" لكن سيأتى وقت يجب أن تنظرى فيه إلى ما وراء الإخلاص ، وما وراء المشاعر التى تكنيها لزوجك وتضعى فى اعتبارك الحقائق القاسية . إننى لست فصيحاً بما يكفى ، لكن إذا ارتكب زوجك جرماً ما - وأنا لا أقول إنه فعل - فيجب ألا تنزلقى معه . وكما قلت ، إن لديك طفلة صغيرة فى حاجة إليك . أنا لدى أربعة أولاد ، وأنا لست أعظم أب فى العالم ، ولكنى لاأزال أستطيع أن أقول إننى أب جيد " .

كان صوت سيدنى هادئاً وهى تتساءل : " إذن ماذا تقترح ؟ " .

" التعاون ، وليس أكثر من ذلك . أنت تعطينى معلومات وأنا أعطيك معلومات أيضاً . هناك بعض المعلومات لك ، فالخبر المنشور بالجرائد يلخص ما نعرفه . لقد شاهدت شريط الفيديو ، حيث تقابل زوجك مع شخص وحدثت عملية تبادل بينهما . وشركة تريتن مقتنعة بأنه قد أعطى الطرف الآخر معلومات تضر بفرصهم فى الحصول على صفقة سيبركوم ، كما أن لديهم دليلاً قوياً يربط بين جاسون والاحتيال على البنك " .

" أعلم أن الدليل يبدو قوياً جداً ، ولكنى لا أستطيع تصديق ذلك ، لا أستطيع فعلاً " .

" حسناً ، أحياناً ما تشير أوضح الأدلة إلى الاتجاه الخطأ . ووظيفتى أن أوضح لهم الطريق الذى يجب أن يسلكوه . وعلىّ أن

أعترف بأننى لا أصدق براءة زوجك تماماً ، ولكن على الجانب الآخر ، لا أظن أنه الشخص الوحيد المتورط فى هذا الموضوع " .

" إنك تعتقد أنه يعمل مع شركة آر . تى . جى ، أليس كذلك ؟ " .

اعترف سوير بصراحة قائلاً : " من الجائز ، إننا نتبعه حتى يوصلنا إلى الآخرين . وذلك يبدو أقصر طريق مباشر ، ولكن أيضاً قد لا يكون لذلك أساس من الصحة " . توقف سوير عن الكلام ثم قال : " هل لديك أى شىء آخر تودين إخبارى به ؟ "

ترددت سيدنى للحظة بينما تفكر فى الحوار الذى دار بينها وبين إدوارد بيدج قبل قتله مباشرةً . وعندما استقرت عيناها على المعطف المصنوع من الصوف الموضوع فوق المقعد ، سرت بجسدها رعشة . فقد تذكرت حقيقة القرص ومقابلتها مع جيف فيشر التى رتبت لها . ابتلعت سيدنى ريقها ثم احمر وجهها وقالت : " لا ، ليس هناك شىء آخر " .

استمر سوير فى النظر إليها للحظة طويلة ثم نهض ببطء وقال : " بما أننا نتبادل المعلومات ، أعتقد أنك ربما ترغبين فى أن تعرفى أن بول بروفى قد تبعك إلى لوزيانا " .

تسمرت سيدنى عند سماع هذه الكلمات .

" لقد قام بتفتيش غرفتك فى الفندق عندما ذهبت لتناول القهوة . لك مطلق الحرية فى استخدام تلك المعلومة كيفما ترين " .

وهمَّ سوير بالانصراف ثم التفت إليها مرة أخرى وقال : " وإلى أن يحدث ذلك لا ترتكبى أى خطأ ، إننا نضعك تحت المراقبة على مدار الأربع والعشرين ساعة " .

" إننى لا أخطط للقيام بمزيد من الرحلات ، إذا كان ذلك ما يثير قلقك " .

أدهشتها إجابته حين قال : " لا تضعى ذلك المسدس فى مكان مغلق يا سيدنى ، بل ضعيه فى مكان يسهل الوصول إليه وأبقه محشواً فى جميع الأوقات . فى الحقيقة ... " ، فتح سوير معطفه ، ثم فتح جراب المسدس المثبت بحزامه وأخرج مسدسه ثم أعطى سيدنى الجراب وقال : " من واقع تجربتى أرى أن الاحتفاظ بالمسدسات داخل الحقائب غير فعال على الإطلاق . أرجوك توخى الحذر " .

ثم ترك سيدنى عند مدخل الباب المفتوح وقد تركزت أفكارها حول المصير القاسى الذى لاقاه الرجل الأخير الذى أعطاها تلك النصيحة .

الفصل الحادى والأربعون

نظر سوير إلى الأرضية والجدران المصقولة بالرخام الأبيض والأسود ، التى كانت تأخذ أشكال مثلثات متناسقة . وكان يرى أنها مقتبسة من لوحة فنية رفيعة ، ولكنها عملت على إصابة عميل المباحث الفيدرالية بالصداع . ومن خلال الخطوط اللطيفة المنحوتة من خشب البتولا المصنوع منها الأبواب المزدوجة والتى بها ألواح زجاج محفور عليها بعض الصور ومدعمة بزوجين من الأعمدة الملفوفة وصلت إليه الأطباق وأدوات المائدة الفضية من قاعة العشاء الرئيسية . خلع سوير معطفه وأزال قبعته وأعطاهما إلى شابة جميلة ترتدى ملابس أنيقة . أعطته هذه السيدة إيصالا بالاستلام مصحوباً بابتسامة دافئة جداً .

ظهر النادل ورأى عميل المباحث الفيدرالية .

" أريد مقابلة فرانك هاردى " .

حرك الرجل عينيه ذهاباً وجيئة على مظهر سوير غير المهندم . استغرق سوير لحظة فى رفع بنطاله ثم تساءل : " ما مدى جودة البورجر هنا يا صاح ؟ " . وأخرج قطعة من العلكة ووضعها فى فمه .

بدا الرجل وكأنه سيغشى عليه من ذلك السؤال وقال : " بورجر ؟ إننا نقدم هنا المأكولات الفرنسية يا سيدى ، وهو أرقى مطعم فى المدينة " . وكانت اللهجة التى يتكلم بها الرجل تحمل معنى التذمر .

" مأكولات فرنسية ؟ عظيم ، على ذلك لابد أن البطاطس المقلية لديكم جيدة جداً " .

أسرع النادل عبر صالة الطعام الواسعة حيث كانت تصطف مجموعة من النجف الكريستال اللامع فوق الزبائن الذين كانوا يتناسب مظهرهم مع بريق التركيبات الضوئية للمكان .

نهض فرانك هاردى الذى كان دائماً يرتدى ملابس أنيقة من مائدة فى الزاوية وانحنى لتحية زميله السابق ، وظهرت النادلة بعد سوير بلحظات .

" ماذا تشرب يا لى ؟ " .

استقر سوير بجسمه الضخم على المقعد ودمدم دون أن ينظر لأعلى وقال : " شراب البوربون ومعه لعاب " .

نظرت إليه النادلة وقد شحب وجهها وقالت : " معذرة ؟ " .

ضحك هاردى وقال : " هكذا هو دائماً فظ ، صديقى يعنى شراب البوربون ، وسآخذ أنا شراب المارتينى مرة أخرى " .

انصرفت النادلة وهى مندهشة .

امتخط سوير فى منديله ثم واصل النظر فى أرجاء المطعم وقال :

" إننى سعيد يا فرانك من انتقائك هذا المكان " .

" لماذا ؟ " .

" لأنه إذا قمت أنا بالاختيار لاخترت مطعم شونيز . ولكن ربما كان ذلك أفضل . لقد سمعت أنه يستحيل الحجز فيه فى هذا الوقت من العام " .

ضحك هاردى ضحكة خافتة واحتسى باقى شرابه ثم قال :

" إنك لا تحب الجلوس فى الأماكن الفارهة ، أليس كذلك ؟ " .

" اللعنة ، يمكننى قبول ذلك طالما لا أدفع شيئاً . إن حجز العشاء لفردين فى هذا المطعم قد يقضى على ما لدىَّ من أموال بعد تقاعدى " .

تجاذب الرجلان أطراف الحديث لبضع دقائق حتى عادت النادلة ووضعت الشراب الذى طلباه ثم انتظرت لتأخذ طلباتهما للعشاء .

ألقى سوير نظرة على قائمة الطعام التى كانت واضحة جداً ولكن لسوء الحظ كانت مكتوبة باللغة الفرنسية ، فوضع القائمة على المنضدة ثم سأل النادلة : " ما أغلى صنف فى هذه القائمة ؟ " .

ذكرت النادلة سريعاً اسم أحد الأطباق بالفرنسية .

قال سوير : " أهذا طعام حقاً ؟ ليس قواقع أو سرطان البحر أو شيئًا من هذا القبيل ؟ " .

رفعت النادلة حاجبيها وأكدت له بصرامة أن القواقع متوفرة فى القائمة وهى ممتازة ، لكن ما ذكرته ليس قواقع .

ابتسم سوير ابتسامة عريضة وهو ينظر إلى هاردى وقال :

" سآخذ هذا الطبق إذن " .

بعدما انصرفت النادلة ، ابتلع سوير علكته وانتزع قطعة ضخمة من الخبز الموضوع فى السلة الموجودة فى منتصف المنضدة وأخذ يمضغه بصوت مرتفع ثم قال بين القضمات : " هل توصلت إلى أى شىء خاص بشركة آر . تى . جى ؟ "

وضع هاردى يديه على المنضدة وفرد المفرش المصنوع من الكتان ثم قال : " إن فيليب جولدمان هو المستشار الأعلى لدى شركة آر . تى . جى منذ سنوات عديدة إلى الآن " .

" أليس ذلك غريباً ؟ " .

" ماذا ؟ " .

" إن شركة آر . تى . جى تستخدم نفس المحامين مثل شركة تريتن والعكس صحيح . أقصد أننى لست محامياً ، ولكن ألا يعد ذلك خطراً ؟ " .

" ليس بهذه البساطة يا لى " .

" إننى لم أصب بالدهشة " .

تجاهل هاردى هذه الملحوظة وقال : " إن جولدمان يتمتع بشهرة محلية ويعمل كمستشار قانوني لشركة آر . تى . جى منذ فترة طويلة . وتعتبر شركة تريتن وافداً جديداً نسبياً لمؤسسة تايلر ستون . وقد تولى هنرى وارتون عمليات فى المؤسسة . ولم يكن لدى الشركتين فى ذلك الوقت منازعات مباشرة . ومنذ ذلك الحين كانت هناك بعض المشاكل ، حيث اتسعت أعمال كلتا الشركتين . ولكن دائماً ما كانا يعملان معاً ويكشف كل منهما للآخر عن أسراره بالكامل ، كما أن تايلر ستون مؤسسة كبرى وأعتقد أن كلتا الشركتين لا ترغب فى أن تخسر تلك الخبرة التى تتمتع بها تلك

المؤسسة . وقد استغرق الأمر وقتاً طويلاً للحفاظ على تلك الاستمرارية والثقة " .

" الثقة ، هذه الكلمة مضحكة الآن إذا استخدمت فى مثل هذه الحالة " . وأخذ سوير يحرك أصابعه بلا هدف ممسكاً بفتات الخبز الموجودة أمامه بينما كان يستمع إلى هاردى .

" على أية حال ، ظهر نزاع مباشر للحصول على صفقة سيبركوم . وكل من آر . تى . جى وتريتن كانت ترغب فى الحصول على سيبركوم . وقد مُنعت شركة تايلر ستون من خلال مجموعة من القوانين من تمثيل كلتا الشركتين " .

" ولذا فقد اختاروا تمثيل تريتن إذن ، كيف حدث ذلك ؟ "

هز هاردى كتفيه وقال : " إن وارتون شريك فى الإدارة . وهو يمثل تريتن . أليس ذلك سبباً كافياً ؟ ومن المستحيل أن يجعلوا كلتا الشركتين يتم تمثيلهما من قبل أحد آخر غيرهم فى تلك الصفقة . ومن الطبيعى أن يكون الأمر مغرياً جداً بالنسبة لمؤسسة قانونية أخرى لأن تنتهز الفرصة وتتولى أعمال أى من الشركتين " .

" أعتقد أن جولدمان قد غضب عندما تخلت المؤسسة عن الشركة التى يمثلها بهذه الطريقة " .

" مما توصلت إليه ، لقد وصل النزاع إلى حد كبير " .

" ولكن من يقول إنه لا يستطيع أن يعمل خلف الكواليس لكى تحصل آر . تى . جى على الصفقة ؟ "

" كلا . إن ناثان جامبل ليس غبياً فهو يعلم ذلك جيداً . وإذا تمكنت آر . تى . جى من التغلب على تريتن ، فإنك تعلم ما الذى قد يحدث . ألا تعلم ؟ " .

" دعنى أخمن . قد يبحث جامبل عن محامين جدد ؟ " .

أومأ هاردى قائلاً : " بالإضافة إلى ذلك ، لقد قرأت عناوين الأخبار . إنهم يشعرون بغضب شديد تجاه سيدنى آرتشر . وأعتقد أن احتمال بقائها فى وظيفتها احتمال ضعيف للغاية " .

" حسناً ، فالسيدة ليست خائفة على نفسها حتى الآن " .

" هل تحدثت إليها ؟ "

أومأ سوير وأنهى شراب البوربون ، وقد قرر ألا يخبر هاردى بالاعترافات التى أدلت بها سيدنى آرتشر إليه لأن هاردى يعمل لدى جامبل ، وكان سوير متأكداً أن جامبل سيستخدم تلك المعلومات لتدمير السيدة . وقد ألقى إليه بنظرية بدلاً من الحقيقة وقال : " ربما تكون قد ذهبت إلى نيو أورليانز لتقابل زوجها " .

حك هاردى ذقنه وقال : " أعتقد أن ذلك صحيح " .

" هذه هى المشكلة يا فرانك ، لأن ذلك لا يبدو صحيحاً " .

نظر إليه هاردى وتساءل : " كيف ذلك ؟ "

وضع سوير مرفقيه على المنضدة وقال : " فكر فى الأمر بهذه الطريقة . لقد ذهبت إليها المباحث الفيدرالية واستجوبتها بعدد من الأسئلة . فهل يعقل أن تستقل طائرة فى نفس اليوم لتقابل زوجها ؟ " .

" ربما لم تكن تعلم أنها مراقبة " .

هز سوير رأسه وقال : " إن هذه السيدة حادة الذكاء . لقد سألتها عن أمر المكالمة الهاتفية التى تلقتها فى صباح يوم مراسم العزاء الخاصة بزوجها ولكنها تفادت الإجابة عن ذلك بتفسير مقنع للغاية . وفعلت نفس الشىء عندما اتهمتها أنها قد ضللت رجالى واستطاعت الإفلات منهم . لقد كانت تعلم أنها مراقبة ومع ذلك استمرت فى رحلتها " .

" ربما لم يكن جاسون آرتشر يعلم أنك تراقبها " .

" إذا كان ذلك الرجل قد فعل كل هذا ، ألا تعتقد أنه ليس بالذكاء الكافى ليعرف أن الشرطة سوف تضع زوجته تحت المراقبة ؟ " .

" ولكنها قد ذهبت فعلاً إلى نيو أورليانز يا سوير ولا يمكنك تغيير تلك الحقيقة " .

" إننى لا أحاول ذلك . أعتقد أن زوجها قد اتصل بها وأخبرها بأنها مراقبة " .

" ولماذا فعل هذا بحق الجحيم ؟ " .

أمسك سوير بمنديل المائدة الورقى ولم يرد على هاردى ، ثم وصل العشاء .

نظر سوير إلى طبقه المرتب بدقة وقال : " يبدو جيداً " .

" إنه كذلك . كما أنه سيؤدى إلى ارتفاع نسبة الكوليسترول لديك بدرجة كبيرة ، ولكنك ستموت سعيداً " .

نقر هاردى بسكينه على طبق سوير وقال : " إنك لم تُجب عن سؤالى : لماذا فعل جاسون آرتشر ذلك ؟ " .

تناول سوير قطعة من الطعام بشوكته وقال : " إنك لم تكن تمزح بشأن هذه الوجبة يا فرانك ، فقد كنت أعتقد أننى ذاهب إلى الشيف بويادرى عندما اتصلت بى ودعوتنى إلى تناول العشاء " .

" اللعنة ، هيا تكلم يا لى ! " .

وضع سوير الشوكة وقال : " عندما ذهبت سيدتى آرتشر إلى نيو أورليانز سحبنا جميع رجالنا لأنه كان علينا تغطية أكثر من جهة . ولكنها أفلتت منا . وفى الحقيقة ، لولا الحظ الذى حالفنى فى

المطار لم نكن لنعلم أين ذهبت . والآن أعتقد أننى أعرف سبب ذهابها إلى هناك وهو أن تحول انتباهنا بعيداً " .

بدا على هاردى عدم تصديق ما يسمع وقال : " ماذا تقصد بحق الجحيم ؟ تحويل انتباهكم عن ماذا ؟ " .

" عندما قلت إننا سحبنا كل رجالنا فقد كنت أعنى ذلك بالضبط كل رجالنا يا فرانك . لم يكن هناك من يراقب منزل عائلة آرتشر عندما ذهبنا خلفها " .

شهق هاردى ورجع بظهره إلى المقعد قائلاً : " اللعنة ! " .

نظر إليه سوير بضجر وقال : " أعلم أننى قد خدعت ، لقد فات الأوان للبكاء على اللبن المسكوب " .

" إنك تعتقد إذن أن ـــــ " .

" أعتقد أن شخصاً قد قام بزيارة ذلك المنزل عندما كان رجالى يتعقبون تلك السيدة " .

" انتظر لحظة ، ألا تعتقد أن ذلك الزائر هو ... " .

" لنقل إن جاسون آرتشر فى مقدمة قائمة تضم خمسة أشخاص " .

" وماذا كان يريد ؟ " .

" لا أدرى . لقد قمت أنا وراى بتفتيش المكان ولم نعثر على شىء " .

" هل تعتقد أن الزوجة كانت مشتركة فى عملية التمويه هذه ؟ " .

أخذ سوير قضمة أخرى من الطعام قبل أن يجيبه ثم قال : " لو سألتنى هذا السؤال منذ أسبوع مضى ، ربما قلت لك نعم . أما الآن ، فأعتقد أنه ليس لديها أية فكرة عما يحدث " .

رجع هاردى إلى الخلف فى مقعده وقال : " أتعتقد ذلك فعلاً ؟ "

" لقد أفزعها الخبر المنشور فى الصحف . وهى تتعرض لمأزق كبير مع شركتها القانونية . ولم يظهر زوجها مطلقاً ورجعت إلى المنزل بدون أى شىء . ما الذى حصلت عليه سوى المزيد من المشاكل ؟ "

بدأ هاردى يأكل ثانية ولكنه كان مستغرقاً فى التفكير .

هز سوير رأسه وقال : " يا إلهى ، إن هذه القضية مثل حلوى الجيلى . كل مرة تأخذ قضمة منها تزداد اللزوجة فى جميع أجزاء جسدك " . ثم ملأ فمه بالطعام .

ضحك هاردى ونظر حول مائدة الطعام وتركزت عيناه فجأة على شىء فقال : " أظن أنه كان خارج المدينة " .

تبع سوير نظرته وتساءل : " من ؟ " .

" كونتين رووى " . وأشار بحذر قائلاً : " هناك " .

كان رووى يجلس إلى مائدة فى زاوية نائية . وكان ضوء الشمعة الهادئ يعطى المائدة شعوراً بالخصوصية فى المطعم الواسع المزدحم بالزبائن . كان رووى يرتدى معطفاً حريرياً باهظ الثمن ، وقميصًا دون ياقة مزرراً حتى آخره وبنطالاً حريريًا يتناسب مع المعطف . وكان شعره المعقود إلى ذيل حصان منسدلاً على عنقه من الخلف ؛ حيث كان منهمكاً فى محادثة مع رفيقه الذى يشاركه العشاء وهو شاب فى أوائل العشرينات يرتدى حلة باهظة . جلس الرجلان جنباً إلى جنب وكانت عين كل منهما ثابتة على الآخر . وكانا يتكلمان بصوت منخفض ، وكانا رووى يربت على رفيقه من آن لآخر .

استمر هاردى فى مراقبة الرجلان وقال : " حسناً ، إن كونتين رووى يمتلك حوالى ثلاثمائة مليون دولار تقريباً ، وبهذه الطريقة التى تسير بها الأمور سيصبح مليارديراً قبل أن يصل إلى سن الأربعين . وذلك ما يجعله جديرًا لأن يكون أعزب جذابًا للعديد من النساء " .

" إننى متأكد من أن هناك جيشاً من النساء يلقين بأنفسهن فى طريق هذا الرجل " .

" حقاً ، ولكن هذا الرجل يستحق النجاح ؛ فهو يتمتع بقدر عال من الذكاء " .

" نعم ، لقد قادنى فى جولة قصيرة للشركة . ولم أفهم نصف ما كان يتحدث عنه ، ولكن كان حديثه ممتعاً . وعلى الرغم من ذلك لا أستطيع أن أقول إننى قد أعجبت بما ذكره لى عن التقدم التكنولوجى الهائل الذى تتمتع به شركته " .

" إنك لا تستطيع إيقاف التقدم يا لى " .

" إننى لا أريد إيقافه يا فرانك . ولكنى أريد أن أعرف إلى أى مدى يمكننى المشاركة فيه فحسب . وطبقاً لكلام رووى ؛ فلا يبدو أنه ستتاح لى هذه الفرصة " .

" هذا مخيف بعض الشىء . ولكن المؤكد أنه سيدر عليه ربحاً كبيراً " .

نظر سوير ثانية فى اتجاه رووى وقال : " إذا تحدثنا عن رووى وجامبل ، فكل منهما غريب الأطوار " .

ابتسم هاردى ابتسامة عريضة وتساءل : " حقاً ، ما الذى جعلك تقول هذا ؟ "

" إننى جاد ، لقد اشتركا معًا فى أنسب الأوقات ، وسارت الأمور بينهما منذ ذلك الحين على نحو طبيعى " .

" لقد فهمت إذن ، أتقصد أن جامبل كان لديه المال أما رووى فكان لديه الذكاء ؟ " .

هز هاردى رأس وقال : " لا تقلل من قدر ناثان جامبل ؛ فالأموال التى حصل عليها من البورصة لم يكن ليحصل عليها بسهولة . فهو رجل ذكى ورجل أعمال بارع " .

مسح سوير فمه بالمنديل الورقى وقال : " جميل ؛ لأن الرجل لن يستمر فى الحصول على التقدير اعتماداً على جاذبيته " .

الفصل الثانى والأربعون

كانت الساعة الثامنة عندما وصلت سيدنى إلى منزل جيف فيشر ، وهو منزل جديد فى ضواحى مدينة الإسكندرية القديمة يقع فى المنطقة السكنية المخصصة للصفوة . ظهر فيشر مرتدياً ملابس رياضية وحذاء تنس ، وكان يضع على رأسه الصلعاء تقريباً قبعة ، وكان قصيراً وبديناً . رحب فيشر بسيدنى وقادها إلى حجرة كبيرة تمتلئ من الأرض للسقف بأجهزة الحاسبات بجميع مواصفاتها ، وكانت الأسلاك تمتد فى كل مكان على الأرض الخشبية للحجرة ، والعديد من المنافذ الكهربائية تمتلئ بالأقباس . كانت سيدنى تعتقد أن هذا المكان يبدو وكأنه ينتمى إلى غرفة الحرب فى البنتاجون أكثر من كونه حجرة فى منزل فى هذا الحى الهادئ .

شعر فيشر بفخر عندما لاحظ دهشتها الواضحة وقال وهو يبتسم ابتسامة عريضة : " فى الحقيقة لقد قمت بتخفيض عدد الحاسبات ؛ لأننى اعتقدت أننى سأفقد السيطرة على كل هذا " .

أخرجت سيدنى القرص من جيبها وقالت : " أيمكن أن تضع هذا يا جيف ، داخل حاسبك وتقرأ المكتوب عليه ؟ "

أخذ فيشر القرص وظهرت ملامح الإحباط على وجهه ثم قال :
" أهذا كل ما تريدينه ؟ يمكن لحاسبك الموجود فى مكتبك قراءة هذا القرص يا سيدنى " .

" أعلم ، ولكنى أخشى عليه . فقد أتى بالبريد وقد يكون تعرض للتلف . فإننى لست خبيرة مثلك فى الحاسبات ولن أضاهيك أبداً يا جيف . وأريد الوصول إلى أفضل نتيجة ممكنة دون متاعب " .

أشرق وجه فيشر حيث أرضى ذلك غروره وقال : " حسناً سيستغرق الأمر ثانية فحسب " .

بدأ فيشر بإدخال القرص فى الحاسب .

وضعت سيدنى يدها عليه لتوقفه وقالت : " هل هذا الحاسب متصل بالإنترنت الآن يا جيف ؟ "

نظر فيشر إلى الحاسب ثم إليها وقال : " نعم ، لماذا تسألين هذا السؤال ؟ "

" أيمكن أن تستخدم جهازاً ليس متصلاً بالإنترنت ؟ أقصد ألا يمكن لأشخاص آخرين الوصول إلى الأشياء الموجودة على قاعدة البيانات الخاصة بك إذا كنت متصلاً بالإنترنت ؟ "

" نعم ، إنه مثل الشارع ذى الاتجاهين . أنت ترسلين معلومات يمكن للآخرين التقاطها . وهذا ما يُعرف بإرسال المعلومات إلا إذا كنت لا ترغبين فى الدخول على الإنترنت حتى لا يستولى أحد على المعلومات الخاصة بك " .

" ماذا تقصد ؟ "

" ألم تسمعى مطلقاً عن إشعاع فان إيك ؟ "

هزت سيدنى رأسها .

" فى الواقع إنه سقوط أشعة كهرومغناطيسية على إفريز بارز من السطح " .

ظهر على وجه سيدنى الحيرة وقالت : " ما هذا ؟ "

التف فيشر فى مقعده ونظر إلى المحامية المتحيرة وقال :
" جميع التيارات الكهربائية تصدر مجالاً مغناطيسياً ولذلك فالحاسبات تصدر مجالات مغناطيسية نسبياً . ويمكن التقاط تلك الانبعاثات وتسجيلها بسهولة . والأهم من ذلك أن الحاسبات تصدر أيضاً نبضات رقمية " . وأشار فيشر إلى شاشة حاسبه وقال :
" تعمل على نقل الصور بوضوح إذا كان لديك أجهزة استقبال معينة ، وهى متوفرة فى كل مكان . حيث يمكننى التقاط المعلومات من على شبكة الإنترنت وذلك باستخدام هوائى موجه ، وتلفاز أبيض وأسود وبعض الأجزاء الإلكترونية وبذلك يمكننى التقاط المعلومات من كل حاسب متصل بشبكة الإنترنت فى كل شركة قانونية ، أو شركة حاسبات أو الشركات الحكومية فى المدينة بكل سهولة " .

لم تكن سيدنى قادرة على تصديق ما تسمع وقالت : " إنك تقول إذا كانت المعلومات على شاشة شخص آخر يمكنك رؤيتها ، كيف ذلك ؟ "

" ببساطة ، تتكون الأشكال والخطوط الموجودة على شاشة الحاسب من ملايين من النقاط الدقيقة تسمى عناصر الصورة أو باختصار بيكسال . فعندما تقومين بالكتابة على الحاسب تخرج الإلكترونيات إلى المنطقة المناسبة على الشاشة لتضىء البيكسال

المناسبة ـ مثل رسم صورة . ويجب أن يتم إنعاش شاشة الحاسب باستمرار بالإلكترونيات للإبقاء على البيكسال مضيئة . وسواء كنت تلعبين إحدى الألعاب أو تقومين بالكتابة على الحاسب أو أياً كان ما تفعلينه عليه ، فإن ذلك هو ما يحدث حتى يمكنك رؤية الأشياء على الشاشة . هل أنت معى حتى الآن ؟ " . أومأت سيدنى .

" حسناً ، فى كل مرة تخرج فيها الإلكترونيات إلى الشاشة يصدر عنها انبعاث كهرومغناطيسى ذو فولت عال وشاشة التلفاز يمكنها استقبال نبضات كل نقطة من نقاط البيكسال . ولكن بما أن شاشة التلفاز العادية لا تستطيع تنظيم نقاط البيكسال هذه بدقة لإظهار الصور على شاشتك ، فإنه يتم استخدام إشارات تزامنية صناعية حتى يتم إظهار الصورة بالضبط " .

توقف فيشر لينظر إلى حاسبه ثانية ثم استكمل كلامه قائلاً : " ولكن ماذا عن الطابعة ؟ وماذا عن الفاكس ؟ نفس الشىء . الهاتف الجوال ؟ أعطينى دقيقة واحدة فى استخدام الماسح الضوئى ويمكننى الحصول على الرقم التسلسلى الإلكترونى الداخلى الخاص بك ، ورقم هاتفك الجوال ، وبيانات الشبكة التى تتعاملين معها ، وصانع الهاتف . وسأقوم ببرمجة تلك البيانات على هاتف جوال آخر باستخدام رقاقات تم تغيير شكلها ، ثم أبدأ بعد ذلك بإرسال الشحنات الكهربية إليك . وبذلك يمكن الحصول على أية معلومات تمر خلال الحاسب أو خلال خطوط الهاتف أو خلال الهواء . وما الذى لا يمكن فعله فى هذه الأيام ؟ لا يوجد شىء آمن على الإطلاق " .

" أتعلم ما النظرية التى أومن بها ؟ قريباً جداً سوف نوقف استخدام الحاسبات بسبب كل المشاكل التى تتعلق بالأمن ونرجع مرة أخرى لاستخدام الآلات الكاتبة والبريد العادى " .

بدا على وجه سيدنى الحيرة والارتباك .

" البريد العادى مصطلح غير لائق بالمرة فى الولايات المتحدة الأمريكية . وقد يكون ذلك موضعاً للسخرية . تذكرى كلماتى هذه لك لأن ذلك اليوم سيأتى " .

خطرت فكرة مفاجئة على بال سيدنى فقالت : " ماذا عن الهواتف العادية يا جيف ؟ كيف يمكننى الاتصال برقم ، وأذكر رقم شركتى وشخص آخر يرد علىّ وأنا أعلم جيداً أن هذا الشخص لا يمكن أن يكون موجوداً بالشركة ؟ " .

قال فيشر فى الحال : " يقوم أحد بالدخول على السويتش " .

ظهر على سيدنى الارتباك التام وهى تقول : " السويتش ؟ " .

" إنها شبكة من الأجهزة الإلكترونية التى يتم خلالها جميع الاتصالات من الهواتف العامة إلى الهواتف الجوالة عبر الولايات المتحدة . فإذا دخلت عليها ، يمكنك الاتصال دون أن ينكشف أمرك " . التفت فيشر ثانية إلى حاسبه ، ثم قال : " ولكن ، ومع كل ما قلته لك ، فإن لدى نظاماً أمنياً جيداً جداً على حاسبى يا سيدنى " .

" ألا يمكن أن يتعرض للاختراق مطلقاً ؟ ألا يمكن لأى شخص اقتحامه ؟ " .

ضحك جيف قائلاً : " لا أعرف أى شخص يستطيع القيام بهذا العمل يا سيدنى " .

نظرت سيدنى إلى القرص متمنية لو تستطيع إخراج الصفحات التى بداخله وقراءتها ثم قالت : " آسفة إذا كان يبدو على أننى مريضة بالوسواس القهرى " .

" ليست هناك مشكلة على الإطلاق ، ولكنى أعلم أن معظم المحاميين يكادون يصابون بهذا المرض . ويجب أن يتلقوا دروساً

عنه فى كلية الحقوق . ولكن يمكننا أخذ الاحتياطات اللازمة لذلك على الأقل " . قام فيشر بخلع خط الهاتف من وحدة التشغيل المركزية بحاسبه وقال : " لسنا متصلين بالإنترنت الآن ، ولدى ماسح للفيروسات من الدرجة الأولى على جهازى فى حالة إذا ما دخل أى فيروس عليه ، ولذلك أعتقد أننا فى مأمن " .

طلب فيشر من سيدنى الجلوس ، وقد جذبت أحد الكراسى وتفحص كل منهما الشاشة . ثم قام فيشر بالضغط على مجموعة من المفاتيح ثم ظهر دليل للملفات الموجودة على القرص ، ونظر إلى سيدنى قائلاً : " ما يقرب من اثنى عشر ملفاً . فمن خلال عدد البايت الموجود يمكننى أن أقول إنه يتكون من أربعمائة صفحة تقريباً إذا كانت النصوص كتابية . ولكن إذا كان هناك العديد من الرسومات لا يمكننا فعلا قياس الحجم " . ضغط فيشر على المزيد من المفاتيح ، وعندما امتلأت الشاشة بالصور لمعت عيناه .

شحب وجه سيدنى بينما كانت تحملق فى الشاشة . كان كل ما يظهر على الشاشة كلاماً غير مفهوم ، كالرموز الهيروغليفية .

نظرت سيدنى إلى فيشر متساءلة : " هل هناك مشكلة فى حاسبك ؟ "

أخذ فيشر يكتب بسرعة ، وأصبحت الشاشة فارغة ثم ظهرت نفس الرموز غير المفهومة مرة أخرى ، ثم ظهر فى أسفل الشاشة مربع به سطر الأوامر يطلب إدخال كلمة السر .

فقال فيشر : " لا ، كما أنه ليس هناك مشكلة فى القرص أيضاً ، من أين حصلت على هذا القرص ؟ "

أجابته سيدنى على نحو غير مقتنع : " لقد تم إرساله إلىَّ بواسطة عميل " .

ومن حسن الحظ أن فيشر كان ضليعاً فى الألغاز ذات التقنية العالية مما جعله لا يطرح عليها مزيداً من الأسئلة عن أصل هذا القرص .

ظل فيشر يضغط على عددٍ من المفاتيح لعدة دقائق أخرى ، حيث حاول فتح جميع الملفات الأخرى . ولكن فى كل مرة تظهر الرموز غير المفهومة على الشاشة ، وكذلك الرسالة التى تطلب إدخال كلمة السر . وأخيراً التفت إلى سيدنى وعلى وجهه ابتسامة عريضة وقال ببساطة : " إنها مشفرة " .

حملقت سيدنى إليه متسائلة : " مشفرة ؟ "

استمر فيشر فى النظر إلى الشاشة وقال : " إن عملية التشفير هى أن تأخذ نصاً مقروءاً وتضعيه فى شكل غير مقروء قبل إرساله " .

" ما فائدة هذا إذا كان الشخص الذى ترسله إليه لا يستطيع قراءته ؟ "

" لا ، يمكنه قراءته إذا كان لديه المفتاح الذى يمكنك من خلاله فك شفرة الرسالة " .

" كيف يمكنك الحصول على هذا المفتاح ؟ "

" يجب أن يقوم الراسل بإرسال هذا المفتاح لك أو أن يكون لديك هذا المفتاح بالفعل " .

رجعت سيدنى إلى الخلف فى مقعدها . لابد أن جاسون يعرف هذا المفتاح اللعين وقالت : " ليس لدىَّ هذا المفتاح " .

" هذا يعنى أنك لن تستطيعى فعل أى شىء إذن " .

سألته سيدنى : " أيمكن أن يرسل شخص رسالة مشفرة إلى نفسه ؟ "

نظر إليها فيشر قائلاً : " لا ، أقصد من الطبيعى لا . فإذا كانت الرسالة بالفعل بين يديك ، فلن تقومى بتشفيرها ثم إرسالها عبر شبكة الإنترنت إلى نفسك فى مكان آخر . ولكن هذا قد يعطى الفرصة لشخص آخر كى يعترض هذه الرسالة وربما ليحطمها . ولكنى أعتقد أنك قلت إن أحد العملاء قد أرسل لك ذلك الشئ " .

ارتعشت سيدنى فجأة وقالت : " هل لديك قهوة يا جيف ؟ فالجو بارد جداً هنا " .

" فى الحقيقة ، لدىَّ براد من القهوة الطازجة . وأنا أجعل هذه الغرفة أكثر برودة قليلاً من باقى غرف المنزل بسبب الحرارة التى تنبعث من الأجهزة . سأعود بعد دقيقة " .

" شكراً لك " .

عندما عاد فيشر ومعه كوبان من القهوة كانت سيدنى تحملق فى الشاشة .

أخذ فيشر رشفة من القهوة الساخنة بينما كانت سيدنى ترجع إلى الخلف فى مقعدها وتغمض عينيها . مال فيشر إلى الأمام وتفحص الشاشة . وعاد إلى سلسلة الأفكار الأخيرة فى ذهنه وقال : " نعم ، لن تقومى بتشفير رسالة تريدين إرسالها إلى نفسك " . وارتشف رشفة أخرى من القهوة . ثم قال : " إنك ستقومين بعمل ذلك إذا كنت سترسلين هذه الرسالة إلى شخص آخر " .

اتسعت عينا سيدنى وقفزت فى مقعدها ، حيث تذكرت علامة البريد التى كانت تومض على حاسب جاسون كالطيف الإلكترونى . لقد كان هناك ثم اختفى ، المفتاح . هل كان ذلك هو المفتاح ؟ هل أرسله إليها ؟

أمسكت سيدنى بذراع فيشر وقالت : " كيف يمكن أن يظهر بريد إليكترونى على شاشة حاسبك ثم يختفى يا جيف ؟ ولا يكون

داخل مربع البريد الخاص بك ولا يوجد أيضاً فى أى مكان على جهازك . كيف يمكن حدوث ذلك ؟ " .

" فى منتهى السهولة ، إن الراسل يكون لديه إطار به خيار إلغاء الإرسال . أقصد ، لا يمكنه فعل ذلك بمجرد فتح الرسالة وقراءتها . ولكن فى بعض الأجهزة وبالاعتماد على تركيبها ، يمكنك استدعاء الرسالة إلى أن يتم فتحها بواسطة المتلقى . وبهذه الطريقة يكون أفضل من بريد الولايات المتحدة " . ابتسم فيشر ابتسامة عريضة واستكمل قائلاً : " أتعرفين ؟ إنك إذا كتبت رسالة إلى شخص وأرسلتها بالبريد العادى ثم ندمت على فعل هذا ، فبمجرد وضع الرسالة داخل صندوق البريد المعدنى لن يمكنك استرجاعها على الإطلاق بأية وسيلة . ولكن باستخدام البريد الإلكترونى يمكنك عمل ذلك إلى حد ما " .

" ماذا إذا كانت خارج الشبكة ؟ كأن تكون عبر الإنترنت ؟ "

حك فيشر ذقنه قائلا : " يكون الأمر أصعب بسبب سلسلة الأشياء التى يجب أن تجتازها هذه الرسالة " . حملقت إليه سيدنى ثانية وقد شحب وجهها ، واستطرد فيشر قائلاً : " أتعرفين عندما تصعدين فى جانب وتتأرجحين ثم تنزلين من الجانب الآخر ، فهذا تمثيل لما يحدث عندما تنتقل الرسالة عبر الإنترنت ، حيث يتم انتقال الأجزاء فى كل ثانية ، ولكن ليس بالضرورة أن تقوم بتكوين وحدة واحدة متماسكة . وتكون النتيجة أنه لا يمكن أحيانا استرداد البيانات التى تم إرسالها " .

" لكن هذا جائز ؟ " .

" إذا ما كان البريد الإلكترونى الذى تم إرساله يتم باستخدام شبكة توزيع واحدة مثل شبكة أمريكا أون لاين وبذلك يمكنك استرجاعها " .

فكرت سيدنى سريعاً ، لديهم شبكة أمريكا أون لاين فى المنزل . ولكن لماذا قام جاسون بارسال المفتاح إليها ثم استرده مرة أخرى ؟ ارتعشت سيدنى . إلا إذا لم يكن هو الذى قام بإلغاء إرسال الرسالة .

" إذا كنت تقوم بارسال رسالة عبرة البريد الإلكترونى يا جيف ، ولكن لا يرغب فى ذلك شخص آخر ، أيمكنه إيقاف إرسالها ؟ أى الغاء الإرسال كما قلت حتى لو كان الراسل يريد إرسالها ؟ "

" هذا سؤال محرج ، لكن الإجابة عنه هى نعم . وكل ما تحتاجين إليه هو لوحة المفاتيح . لماذا تسألين ؟ "

نظر اليها فيشر بحيرة متسائلاً : " هل هناك مشكلة يا سيدنى ؟ "

تجاهلت سيدنى سؤاله وقالت : " هل يمكن قراءة الرسالة بدون المفتاح ؟ "

نظر فيشر إلى الشاشة ثم التفت ببطه إلى سيدنى وقال : " هناك بعض الوسائل التى يمكن استخدامها " . وبدا عليه التردد وكان صوته أكثر جدية .

" أيمكنك محاولة ذلك يا جيف ؟ "

نظر جيف لأسفل وقال : " اسمعى يا سيدنى ، بعد أن اتصلت بى اليوم مباشرة ، اتصلت أنا بالمكتب فقط لأتفحص بعض المشاريع الجارية . وقد أخبرونى ... " .توقف فيشر عن الكلام ونظر إليها بعينين مضطربتين وأكمل قائلاً : " لقد أخبرونى بموضوعك " .

هبت سيدنى واقفة وأطرقت لأسفل .

قال جيف : " لقد قرأت أيضاً الجريدة قبل أن تحضرى إلى هنا . هل لهذا القرص علاقة بما يحدث ؟ إننى لا أريد التعرض للمشاكل " .

جلست سيدنى مرة أخرى ونظرت إلى فيشر مباشرة وأمسكت يده ثم قالت : " لقد وصل بريد إلكترونى إلى حاسبى فى المنزل يا جيف . وأعتقد أنه من زوجى ، ولكنه اختفى . أعتقد أنه ربما كان يوجد مفتاح لهذه الرسالة لأن جاسون قد قام بإرسال هذا القرص عبر البريد العادى إلى نفسه . فمهما يكن على هذا القرص يجب أن أقوم بقراءته . إننى لم أرتكب جرماً على الرغم ما تقوله الشركة أو الجريدة أو أى شخص آخر ، وليس لدىَّ أى شىء لإثبات ذلك . فكل ما لديك هو ما أقوله فحسب " .

نظر فيشر إليها للحظة طويلة ثم أومأ أخيراً وقال : " حسناً ، إننى أصدقك ، فأنت إحدى المحامين القلائل فى الشركة الذين أحبهم " . والتفت إلى الشاشة مرة أخرى ثم قال : " ربما تحتاجين المزيد من القهوة . وإذا كنت جائعة فهناك بعض الشطائر فى الثلاجة ، فقد يستغرق ذلك الأمر بعض الوقت " .

الفصل الثالث والأربعون

كان العشاء مع فرانك هاردى فى وقت مبكر ، وكانت الساعة حوالى الثامنة عندما أوقف سوير سيارته عند حافة الرصيف أمام شقته . وعندما خرج من السيارة كان يشعر براحة كبيرة فى معدته ، ولكن عقله لم يشاركها ذلك الإحساس الجميل . فهذه القضية متشابكة الخيوط ولم يكن يعرف من أين يبدأ ليمسك بأطرافها .

عندما دفع باب السيارة بقوة ليغلقه لاحظ سوير سيارة رولز ـ رويس فضية مسرعة تتجه نحوه . قلما كان يشاهد مثل هذه السيارات فى حيه ، وقد استطاع أن يرى من خلال زجاج السيارة الأمامى سائقاً خلف عجلة القيادة يرتدى قبعة سوداء والغريب أنها كادت تصدمه . كان السائق على الجانب الأيمن ـ إنها سيارة ذات

طراز إنجليزى . أبطأت السيارة ثم توقفت بجانبه . لم يتمكن سوير من رؤية الجزء الخلفى من السيارة لأن الزجاج كان داكناً ، وتساءل إذا ما كان طراز هذه السيارة قديماً أم حديثاً للغاية . ولم يكن لديه الوقت ليتساءل أكثر من ذلك . فقد فتح الزجاج الخلفى وحملق سوير فى ملامح ناثان جامبل . خرج السائق فى غضون ذلك من السيارة ووقف مستعداً ليفتح الباب .

نظر سوير إلى طول السيارة الفارهة قبل أن تستقر عيناه على رئيس شركة تريتن ، وقال : " سيارة جميلة ، كم تحرق من البنزين فى كل ميل ؟ "

" مثلما أشاء . أتلعب كرة السلة ؟ " ، استخدم جامبل آلة قاطعة ليقص نهاية سيجاره ثم استغرق لحظة لإشعاله .

قال سوير : " معذرة ؟ " .

" فى دورى كرة السلة ، هناك رجال سود طوال يجرى كل منهم مرتدياً سروالاً قصيراً فى مقابل المال " .

" سألتحق بهم عندما تحين لى الفرصة " .

" حسناً لتصعد إذن " .

" لماذا ؟ "

" ستعرف ، وأعدك ألا تشعر بالملل " .

نظر سوير إلى الشارع جيئة وذهاباً وهز كتفيه ، ووضع مفاتيح سيارته داخل جيبه ثم نظر إلى السائق وقال : " سأفتح الباب بنفسى " . فتح سوير باب السيارة وصعد إليها . وعندما استقر على المقعد الجلدى لاحظ ريتشارد لوكاس فى المقعد الخلفى المواجه له . أومأ سوير برأسه قليلا لتحيته ، ورد عليه رئيس أمن شركة تريتن تحيته بنفس الطريقة . أسرعت السيارة الرولز فى طريقها .

أمسك جامبل بسيجاره وقال : " أترغب فى واحد ؟ إنه كوبى ، إن هذا النوع محظور استيراده إلى هنا . وأعتقد أن ذلك هو سبب حبى الشديد له " .

أخذ سوير السيجار وقطع نهايته بآلة القطع التى ناولها له جامبل . وقد بدا عليه الدهشة حينما أمسك لوكاس بولاعة ليشعل السيجار له ، ولكنه قبل هذه الخدمة .

أخذ سوير بضعة أنفاس سريعة ثم نفساً طويلاً حتى تمكن من إشعاله وقال : " ليس سيئاً ، إننى سأسمح لك بخرق القانون وتدخين هذا السيجار غير القانونى " .

" شكراً جزيلاً " .

" بالمناسبة كيف عرفت عنوانى ؟ أتمنى ألا تكون قد راقبتنى ؛ فأنا أنفعل بشدة عندما يفعل الناس ذلك " .

" لدىَّ وسائل أفضل من مراقبتك ، صدقنى " .

" إذن ؟ " .

نظر إليه جامبل متسائلاً : " إذن ماذا ؟ " .

" إذن كيف عرفت عنوانى ؟ " .

" ماذا يهمك فى ذلك ؟ " .

" يهمنى كثيراً فى الواقع . ففى مجال عملى لا أفصح عن عنوانى " .

" حسناً دعنى أحاول التذكر . ماذا فعلنا ؟ بحثنا عن عنوانك فى دليل الهاتف ؟ " ، هز جامبل رأسه فجأة ونظر إلى سوير قائلاً : " لا لم نفعل هذا " .

" جيد ، لأننى لست مدرجاً به " .

" صحيح ، حسناً ، أعتقد أننا قد عرفنا بطرقنا الخاصة " ، ونفث جامبل دخان سيجاره إلى السقف واستطرد : " تعلم أن لدينا

تقنية حاسبات عالية . ونحن رواد ذلك المجال ؛ لذا فإننا نعلم كل شىء " . ضحك جامبل بهدوء بينما كان ينفث دخان سيجاره ونظر إلى لوكاس .

نظر لوكاس إلى سوير وقال : " فى الواقع لقد أخبرنا فرانك هاردى عن عنوانك . فهو يثق بنا بالطبع . ونحن لا ننوى نشر هذه المعلومة . فأنا أتفهم سر اهتمامك بإخفاء محل إقامتك " . وتوقف ريتشارد لوكاس عن الكلام ثم استطرد : " سيكون ذلك سراً بيننا " . ثم أضاف قائلاً : " لقد عملت مع وكالة الاستخبارات الامريكية لمدة عشر سنوات " .

" إن الرجل قد وصل إلى بيته تواً يا ريتشارد " . فتح جامبل باباً صغيراً فى الجدار الخشبى فى السيارة الرولز فظهرت أنواع متعددة من المشروبات . وقال : " أترغب فى شراب دافئ ؟ " .

" إننى قد تناولت العشاء وبطنى ممتلىء " .

ملأ جامبل كوباً عليه نقوش صينية بالقهوة الساخنة . ونظر سوير إلى لوكاس الذى بدا عليه الهدوء .

قال سوير : " فى الواقع ، كنت أظن أننى لن ألتقى بك بعد محادثتنا القصيرة فى ذلك اليوم " .

" إن الإجابة البسيطة على ذلك الكلام هى أنك قد عاملتنى كالخنزير وربما كنت أستحق ذلك . فى الواقع ، لقد كنت أختبرك بطريقتى الخاصة وقد نجحت فى الاختبار بجدارة . وأنا لا أقوم بعمل ذلك مع الكثير من الأشخاص . ولكن عندما أفعل ذلك يكون قصدى التعرف على ذلك الشخص عن قرب . بالإضافة إلى ذلك كنت أود التحدث إليك بشأن القضية فى ضوء التطورات الأخيرة " .

" التطورات الأخيرة ؟ " .

ارتشف جامبل رشفة من القهوة وقال : " إنك تعلم عما أتكلم . سيدنى آرتشر ؟ نيو أورليانز ؟ آ ر . تى . جى ؟ لقد كنت أتحدث للتو مع هاردى هاتفياً " .

" إنك تعمل بمنتهى السرعة . لقد تركته تواً منذ أقل من عشرين دقيقة " .

جذب سوير هاتفا محمولاً صغيراً من داخل مكان لحفظ الأشياء من اللوحة الخلفية الموجودة داخل السيارة الرولز وقال : " تذكر يا سوير ، إننى أعمل فى القطاع الخاص . إنك لا تتحرك بسرعة بل إنك لا تتحرك على الإطلاق هل فهمت ما أريد ؟ " .

أخذ سوير نفساً من سيجاره قبل أن يجيبه وقال : " إننى سأبدأ . بالمناسبة إنك لم تذكر مطلقاً المكان الذى سنذهب إليه " .

" ألم أفعل ؟ حسناً ، عليك الانتظار . وسنصل إلى هناك بعد وقت قصير . وحينئذٍ يمكننا تجاذب أطراف الحديث " .

.

كانت صالة يو . إس . إير مقر استضافة مباراة كرة السلة لفريقى بوليتس ونيكس إلى أن يتم الانتهاء من إنشاء الاستاد الجديد المقام فى وسط المدينة . استقل كل من ناثان جامبل ولوكاس وسوير المصعد الخاص إلى الدور الثانى حيث توجد المقصورات الفخمة الخاصة بالشركة . عندما خرج سوير إلى الردهة ثم إلى الباب المكتوب عليه تريتن جلوبال كان يشعر وكأنه قد صعد على متن طائرة فارهة . لم تكن تلك مجرد مقاعد لجمهور كرة السلة ؛ فقد كانت مساحة المكان مثل مساحة شقة تقريباً .

قادتهم امرأة شابة إلى مائدة طويلة تحتوى على كل ما لذ وطاب من الطعام والشراب . كانت هناك دورة مياه خاصة ، والعديد من الأرائك والمقاعد ، وشاشة تليفزيونية ضخمة فى أحد

الأركان تظهر عليها مباراة كرة السلة . ومن فوق مجموعة من درجات السلم المؤدية إلى مكان المشاهدة ، استطاع سوير أن يسمع صياح الجماهير فرحاً وتشجيعاً ، وحينما نظر إلى شاشة التلفاز ، وجد أن الفريق بوليتس وهو الفريق المضيف متقدم على فريق نيكس الذى كان يؤيده معظم الحاضرين بفارق سبع نقاط .

خلع سوير قبعته ومعطفه وتبع جامبل إلى المقصورة .

" يجب أن تشرب شيئاً الآن . لا يمكنك مشاهدة مباراة كرة السلة دون أن تمسك بشراب فى يدك " .

أومأ سوير للنادلة ثم قال : " شراب مثلج " .

توجهت النادلة إلى الثلاجة وأخرجت عُلبة من الشراب وفتحتها وسكبتها فى كوب .

" كانت الزجاجة أفضل ، شكراً لك " .

نظر سوير إلى الغرفة الواسعة ثانيةً . لم يكن هناك أحد غيرهم بها ، مشى إلى مائدة الطعام . مازالت معدته ممتلئة من العشاء إلا أنه يرغب فى تناول بعض بطاطس الشيبسى والصلصة .

سأل سوير جامبل بينما تناول حفنة من الطعام وقال : " هل هذا المكان خال دائماً هكذا ؟ " . وكان لوكاس مستنداً إلى الجدار ولا يشترك معهما فى الحديث .

أجاب جامبل : " إنه ممتلىء دائماً . إنه يعمل على تجديد نشاط الموظفين بشكل جيد . ويجعلهم سعداء ويعملون بجد " .

ناولت النادلة جامبل شرابه ، فأخرج رزمة من الأوراق المالية تقدر بمائة دولار من جيبه وأخذ كوباً من على المنضدة ثم وضع النقود بداخلها ثم قال : " يجب أن تحصل النادلة على إكرامية كبيرة ، اذهبى واشترى بعض السندات " . كادت النادلة تفقد وعيها من الفرحة عندما مشى جامبل ليلحق بسوير .

أشار سوير إلى التلفاز وقال : " يبدو أن المباراة عظيمة . إننى مندهش من عدم وجود أحد من موظفى شركة تريتن هنا " .

" إننى كنت سأندهش لو وجدت أحداً منهم ، لأننى قد أصدرت تعليمات بعدم ذهاب أى منهم لمباراة الليلة " .

أخذ سوير رشفة من الشراب وتساءل : " لماذا فعلت ذلك ؟ " .

أمسك جامبل بذراعه وقال : " لأننى أريد التحدث إليك على انفراد " .

صعد سوير السلم المؤدى إلى منطقة المشاهدة حيث كان ذلك المكان يطل مباشرة على أرض الملعب . وشعر بوخزة حسد وهو يشاهد فريقين من الشباب الطوال ، ذوى العضلات والأثرياء جداً يجرون جيئة وذهاباً في الملعب . كانت مساحة الجلوس بها محاطة بزجاج بليكس جلاس من ثلاثة جوانب . وعلى كلا الجانبين كان يوجد المشاهدون فى المقصورات الأخرى الفارهة . لكن مع عدم وجود الحواجز الزجاجية كان المرء يستطيع إجراء محادثة خاصة فى وسط هذا الحشد الذى يصل عدده إلى خمسة عشر ألف متفرج .

استقر الرجلان في مقعدهما . لف سوير رأسه إلى المكان الذى قد أتيا منه تواً وقال : " هل ريتشارد لا يحب كرة السلة ؟ " .

" لوكاس فى عمل الآن " .

" أليس لديه وقت يكون فيه خارج العمل مطلقاً ؟ " .

" عندما يكون نائماً ، أتركه يفعل ذلك من حين لآخر " . أسند جامبل ظهره إلى المقعد المريح وابتلع شرابه .

نظر سوير حوله بفضول ، لم يجلس مطلقاً في مكان كهذا من قبل ، وكان يشعر بعد تناول العشاء الفاخر مع هاردى أن ذلك شىء فوق مستوى إدراكه . على الأقل سيكون لديه بعض الحكايات

ليرويها لراى . عندما نظر إلى جامبل توقف عن الابتسام . فلكل شىء ثمنه ورأى أنه قد حان الوقت لمعرفة ثمن ما يحدث .

" إذن ، عما تريد التحدث ؟ " .

نظر جامبل إلى المباراة دون أن يرى أى شىء منها فعلاً ، وقال : " الحقيقة أننا نريد الحصول على سيبركوم ، فنحن فى حاجة ماسة لها " .

" اسمع يا جامبل ، إننى لست مدير أعمالك . إننى شرطى ، ولا يعنينى الأمر فى شىء إن حصلت على سيبركوم أم لا " .

مص جامبل مكعباً من الثلج وبدا كما لو أنه لم يسمع ما قيل ثم قال : " إنك تعمل بجد لتشييد بناء عال ، ولكن هذا لا يكفى ، أتعلم ؟ يحاول شخص آخر دائماً أن يهدم ما تبنيه . يحاول شخص آخر دائماً خداعك " .

" إذا كنت تنتظر منى العطف ، فابحث عنه عند أحد غيرى . إنك لا تستطيع إنفاق جميع الأموال التى جمعتها بالفعل . فلماذا تهتم بحق الجحيم ؟ " .

انفجر جامبل قائلاً : " لأننى قد اعتدت على هذا ، ذلك هو السبب " . وهدأ سريعا ثم قال : " لقد اعتدت أن أكون فى القمة ، أرى الجميع يقيسون حجمهم بى . ولكن الكثير من ذلك مرجعه إلى المال " . نظر جامبل إلى سوير وقال : " أتريد أن تعرف مجموع دخلى السنوى ؟ " .

كان سوير فضولياً وقال : " إذا قلت لا ، فلماذا أشعر بأنك ستخبرنى على أية حال ؟ " .

كان جامبل غير مغرم بالشكليات فألقى بمكعب الثلج من فمه إلى كأسه وقال : " مليار دولار " .

ازدرد سوير كمية من شرابه حينما سمع هذه المعلومة المذهلة .

" إن قيمة الضرائب على الدخل المستحقة هذا العام فقط ستقدر بأربعة ملايين دولار . مع كل هذا ، أتظن أننى أنتظر منكم شيئاً رجال المباحث الفيدرالية " .

حملق إليه سوير قائلاً : " ماذا تعنى ؟ " .

حدق إليه جامبل قائلاً : " اللعنة ، إنكم لا ترون الصورة كما يجب أن تكون ، أليس كذلك ؟ " .

" لماذا لا تعلمنى ما هى بالضبط ؟ " .

وضع جامبل كأسه وقال : " إنك تعامل الجميع بنفس الطريقة " . وظهر فى صوته نبرة عدم التصديق .

" معذرة ! أتعتقد أن ذلك خطأ ؟ " .

" إنه ليس خطأ فحسب بل يعد غباءً شديداً " .

" أعتقد أنك لم تكبد نفسك العناء لقراءة دستور الاستقلال - أتعلم هذا الجزء الذى يذكر أن جميع الناس قد خلقوا متساوين " .

" إننى أتكلم عن الواقع . إننى أتكلم عن الوضع الاجتماعى للمرء " .

" إننى لا أفرق فى معاملتى بين الناس " .

" هل ينبغى أن أقوم مثلاً بمعاملة رئيس شركة سيتى كورب بنفس الطريقة التى أعامل بها حارس المبنى ؟ الأول يمكن أن يقرضنى مليارات الدولارات والثانى ينظف لى المرحاض " .

" وظيفتى هى إلقاء القبض على المجرمين سواء كانوا أغنياء أو فقراء أو بين هذا وذاك . ذلك لا يمثل أى فرق بالنسبة لى " .

" نعم ، حسناً ، أنا لست مجرماً . أنا دافع ضرائب ، وربما أكبر دافع ضرائب فى هذا البلد ، وكل ما أطلبه قليل من الاحترام الذى أحصل عليه فى القطاع الخاص بدون أن أطلب هذا " .

" مرحى بالقطاع العام " .

" هذا ليس مضحكاً " .

حدق سوير إليه وقال : " ولا للحظة واحدة يفترض أن يكون هكذا " . وعندما نظر جامبل أخيراً ، نظر سوير إلى يديه ثم احتسى كمية كبيرة من الشراب مرة أخرى . ففى كل مرة يكون فيها مع هذا الشخص تزداد ضربات قلبه .

على أرض الملعب ، جاءت رمية من الفريق المضيف أوقفت جميع المتفرجين .

" بالمناسبة ألم تفكر مطلقاً أن هناك مشكلة فى كونك أغنى أغنياء العالم ؟ " .

ضحك جامبل وقال : " مثل هؤلاء اللاعبين ؟ " . وأشار إلى ملعب كرة السلة ثم قال : " فى الواقع ، أعتقد أننى هذا العام أغنى شخص فى العالم " . ثم فرك عينيه واستطرد : " وكما قلت من قبل ، فإن المسألة لم تعد مسألة جمع أموال وحسب ، فلدىَّ منها أكثر مما أحتاج . ولكنى أحب أن أكون على القمة ، حيث ينظر إلىّ الجميع باحترام وتقدير " .

" لا تخلط بين الاحترام والخوف " .

" إنهما يسيران جنباً إلى جنب . اسمع ، لقد وصلت لما أنا فيه بعد مشقة . وإذا أصبتنى بسوء ، سأرد لك الصاع صاعين . لقد نشأت فقيراً معدماً ، وركبت حافلة إلى نيويورك عندما كنت فى الخامسة عشرة ، بدأت العمل فى بورصة وول ستريت أنقل الأوراق وكنت أحصل على بضعة دولارات فى اليوم ، ثم استمررت فى العمل إلى أن وصلت إلى القمة ، ولم أنظر إلى الخلف مطلقاً . قمت بتكوين ثروات ، وفقدت ثروات ثم كونت غيرها مرة أخرى . حصلت على ست درجات فخرية من كليات مرموقة ، بينما لم أنه

دراستى الثانوية . كل ما علىَّ فعله هو أن أقوم بتقديم تبرعات " .

رفع جامبل حاجبيه وابتسم ابتسامة عريضة .

استعد سوير للنهوض وقال : " تهنئتى لك . أعتقد أن علىَّ الاستمرار إذن " .

أمسك جامبل بذراعه وتركه فى الحال وقال : " اسمع ، لقد قرأت الصحف ، وتكلمت مع هاردى . وأشعر بأن آر . تى . جى تلف يدها حول رقبتى " .

" كما قلت من قبل هذه ليست مشكلتى " .

" إننى لا آبه بالانضمام إلى ساحة العدالة ، ولكن ستلحق بى اللعنة إذا خسرت لأن موظفاً قد باعنى " .

" يُزْعَم أنه باعك ، ولكننا لم نثبت أى شىء بعد . ورضيت أو لم ترض سيتم ذلك فى ساحة القانون " .

" إنك شاهدت شريك الفيديو . هل تحتاج دليلاً أكثر من ذلك ؟ اللعنة ، كل ما أطلبه منك هو القيام بعملك . ما الخطأ فى ذلك ؟ "

" لقد رأيت جاسون آرتشر يعطى بعض المستندات إلى بعض الأشخاص . وليست لدىَّ فكرة عن طبيعة تلك المستندات أو عن هؤلاء الأشخاص " .

هب جامبل واقفاً وقال : " المشكلة تكمن فى أنه إذا عرفت آر . تى . جى أسرار الصفقة وأخرجتنى من سيبركوم ؛ فهذا يعنى أننى قد تعرضت للخيانة . أريدك أن تثبت أنهم قد سطوا على أسرار شركتى قبل أن يستغلوها فى الحصول على سيبركوم ؛ إذ لو حصلوا عليها فلن تكون الطريقة التى اتبعوها ذات أهمية فلن تكون طريقة حصولهم عليها مهمة ، أعرفت ما الذى يشغلنى ؟ "

" إننى أبذل قصارى جهدى يا جامبل . ولكن لا يمكن أن أقوم بتفصيل التحقيقات التى أقوم بها حتى تتناسب مع مصالحك . إن

قتل مائة وثمانين شخصاً بريئاً يعنى الكثير بالنسبة لى وأكثر من الضرائب التى تدفعها " . لم يجب جامبل . أضاف سوير : " أعرفت ما الذى يشغلنى ؟ " . هز جامبل كتفيه أخيراً . واستطرد سوير قائلاً : " إذا اتضح لى أن آر . تى . جى لها يد فيما حدث فعليك أن تتأكد من أننى سأقضى كل لحظة للإيقاع بهم " .

" لكن ألا يمكنك فعل أى شىء معهم الآن ؟ إن استجواب المباحث الفيدرالية لهم ربما يلهيهم عن الدخول فى صفقة سيبركوم " .

" إننا نبحث الموضوع يا جامبل ؛ فمثل هذه الأمور تستغرق وقتاً . فالبيروقراطية تهيمن علينا . أتدرك ذلك ؟ " .

زمجر جامبل وقال : " ليس لدىَّ الكثير من الوقت " .

" آسف ، فالإجابة مازالت لا . والآن ، أهناك شىء آخر يمكننى فعله لك ؟ "

شاهد الرجلان المباراة فى صمت لبضع دقائق . رفع سوير نظارة مكبرة من فوق المنضدة التى أمامه . وبينما كان يرى اللاعبين من قرب الآن قال : " ماذا حدث مع مؤسسة تايلر ستون إذن ؟ "

تجهم جامبل وقال : " لو لم ندخل إلى صفقة سيبركوم حتى الآن لأوقفت التعامل معهم فى الحال . ولكنى فى الحقيقة أحتاج إلى خبرتهم القانونية على أية حال " .

" لكن ليست خبرة سيدنى آرتشر " .

هز جامبل رأسه نفياً وقال : " لن أطلب من هذه السيدة عمل شىء لنا مطلقاً . هناك المحامية هيلوفا ، وهى محامية ممتازة أيضاً " .

" أتظن ذلك ؟ "

" ألا تظن أنت ذلك ؟ "

هز سوير كتفيه وقد أنهى شرابه .

استكمل جامبل قائلاً : " فهذه سيدة تسافر بعد انتهاء مراسم عزاء زوجها مباشرة . ولقد أخبرنى هاردى بأنها حاولت التهرب من رجالك ، وأنك تبعتها حتى وصلت إلى نيو أورليانز . وكانت تصرفاتها مريبة فقد عادت لمنزلها مباشرة بعد أن تلقت مكالمة هاتفية . ولقد قال هاردى أيضاً إنك تعتقد أن شخصاً قد دخل منزلها بينما ترك كل رجالك المكان ليلحقوا بها . بالمناسبة ، كيف جعلت هذا يحدث أيها الذكى ؟ " .

" سأكون حذراً فيما أقول لهاردى فى المستقبل " .

" إننى أدفع له أموالاً كثيرة . ومن الأفضل له أن يخبرنى بما يحدث " .

" إننى متأكد من أنه يستحق كل سنت " .

نظر سوير إلى جامبل بطرف عينيه وقال : " على الرغم مما يفعله من أجلك لا يبدو أنك تقدر فرانك حق قدره " .

ضحك جامبل بهدوء وقال : " أتصدق ما أقول أم لا ، لدى مقاييس عالية حقاً ؟ " .

" إن فرانك كان من أفضل العملاء الذى عملوا بمكتب التحقيقات الفيدرالية " .

" ليس لدىَّ ذاكرة قوية لمن يؤدى عمله جيداً . ويجب أن تُذكرنى باستمرار " .

تحولت ابتسامة جامبل سريعاً إلى نظرة محملقة وقال : " ومن ناحية أخرى ، إننى لا أنسى الخيانة أبدًا " .

شاهد الرجلان المباراة فى صمت ، تحرك سوير أخيراً وقال :

" هل يضايقك كونتين رووى فى شىء ؟ "

ظهرت الدهشة على جامبل من هذا السؤال وقال : " لماذا تسأل ذلك السؤال ؟ " .

" لأن الرجل يعد بمثابة الدجاجة التى تبيض لك ذهباً ، ومع جميع الاعتبارات فإنك تعامله معاملة سيئة " .

" من قال إنه دجاجة تبيض ذهباً بالنسبة لى ؟ " .

أسند سوير ظهره إلى المقعد وعقد يديه عند صدره ثم قال :

" أتقول إنه ليس كذلك ؟ " .

لم يرد جامبل مباشرة وأطال التفكير ناظراً إلى الكوب الذى يمسكه ثم قال : " لدىَّ العديد من الدجاج الذى يبيض ذهباً فى شركتى " .

" ولكن رووى يمثل قيمة خاصة بالنسبة لك " .

" إذا لم يكن كذلك لم أكن لأستمر فى صحبته " .

" إنك تصبر عليه إذن ؟ " .

" طالما يجعلنى أكسب الكثير من الدولارات " .

" إنك محظوظ " .

نظر جامبل بقسوة وقال : " لقد تعرفت عليه حينما كان لا يستطيع أن يكسب عشرة سنتات وجعلته من أغنى الرجال فى البلاد . والآن ، من فى رأيك المحظوظ ؟ " .

التفت سوير برأسه ناحية الرجل وقال : " إننى لا أحاول أخذ أى شىء منك يا جامبل . لقد كنت تحاول تحويل الحلم إلى حقيقة ، وقد فعلت " .

" إننى أشم رائحة المجاملة فى كلامك بما أنك أحد عملاء المباحث الفيدرالية " . ركز جامبل مرة أخرى فى مباراة كرة السلة .

هب سوير واقفاً وثنى علبة المشروب التى كانت معه .

حدق إليه جامبل وسأله : " أين تذهب ؟ " .

" إلى البيت . لقد كان يوماً طويلاً " . أمسك سوير علبة المشروب المجعدة وقال : " شكراً على الشراب " .

" سأجعل سائقى يقوم بتوصيلك إلى بيتك . وسأمكث هنا قليلاً " .

نظر سوير إلى المنصة الفخمة وقال : " أعتقد أننى قضيت وقتاً من الحياة الفارهة اليوم . سأستقل الحافلة . ولكن شكراً على دعوتك " .

قال جامبل بسخرية شديدة : " نعم ، لقد استمتعت أنا بذلك أيضاً " .

بدأ سوير فى صعود السلم حينما استوقفه جامبل قائلاً : " سوير ؟ " . فالتفت إليه .

كان جامبل ينظر إليه مباشرة ثم تنهد بقوة وقال : " لقد عرفت ما الذى يشغلك وهو كيف علمت من أين أتيت ، حسناً ؟ " .

حدق سوير إليه للحظة قبل أن يجيب قائلاً : " حسناً " .

" لم أكن بهذا الثراء من قبل ، وأتذكر جيداً كيف يكون الإنسان معدماً وعاجزاً . وقد يكون ذلك هو السبب الذى يجعلنى أغضب بشدة عندما يتعلق الأمر بالعمل ، فإننى مرعوب من العودة للفقر " .

أخذ سوير يفكر فى ذلك للحظة ثم قال : " استمتع بمشاهدة باقى المباراة " . وقد ترك جامبل محدقاً فى كوبه ، مستغرقاً فى التفكير .

وبينما كان سوير ينزل درجات السلم كاد يصطدم بريتشارد لوكاس الذى كان يقف هناك . تساءل سوير بينه وبين نفسه إذا ما كان لوكاس قد سمع أى جزء من حواره مع جامبل . أومأ برأسه إلى لوكاس تحية له ثم توجه إلى سلة المهملات حيث رمى بعلبة المشروب التى طارت فى الهواء ثم نزلت إلى سلة القمامة .

نظرت إليه النادلة بإعجاب وقالت وهى تبتسم : " يجب أن يعمل فريق بوليتس على انضمامك إليه " .

" نعم ، يمكن أن أكون أمهر لاعب فيهم أيتها الشقراء " .

التفت سوير إلى الخلف قبل مغادرته للغرفة وقال : " عليك أن تبتسم دائماً يا ريتشارد " .

الفصل الرابع والأربعون

حدق جيف فيشر إلى شاشة الحاسب ، وكانت تجلس بجانبه سيدنى آرتشر التى أنهكها التعب . وقد أعطته جميع المعلومات الشخصية التى تتعلق بجاسون حتى يتمكن من الوصول إلى كلمة السر الصحيحة ، ولكن لم ينفع أى منها .

هز فيشر رأسه وقال : " حسناً ، لقد جربنا جميع الاحتمالات السهلة . فقد قمت بتشغيل برنامج قوى لمعرفة أى شىء ولكن دون جدوى ، كما جربت أحرفاً عشوائية وبعض الأرقام ، لكن هناك الكثير والكثير من الاحتمالات التى يمكن استخدامها فى حياتنا " . ثم التفت إلى سيدنى واستطرد قائلاً : " أخشى أن زوجك لم يكن يعرف حقاً ما يفعل . وربما استخدم مجموعة من الأرقام والأحرف

العشوائية تتكون من عشرين أو ثلاثين رمزاً . وبذلك لن يمكننا التوصل إليها مطلقاً " .

هوت جميع آمال سيدنى . إنه شىء يشعرها بالجنون ؛ فهى تمتلك بين يديها قرصاً به العديد من المعلومات التى قد توضح لها الكثير عن مصير زوجها ولا تستطيع معرفة ما به .

هبت واقفة وتمشت فى الغرفة بينما استمر فيشر فى النقر على لوحة المفاتيح . وتوجهت بعد ذلك إلى النافذة ووقفت عندها . كانت هناك رزمة من البريد موضوعة على منضدة بالقرب من النافذة . كان فى الأعلى مجلة فيلد آند ستريم . نظرت إلى رزمة البريد دون اكتراث ثم إلى المجلة ثم نظرت إلى فيشر . كانت سيدنى ترى أنه من النوع الذى لا يحب الخروج من المنزل . نظرت إلى العنوان المدون على الغلاف العلوى حيث تم إرسال هذا البريد إلى فريد سميثرز ولكن العنوان كان لهذا المنزل التى هى به الآن . أمسكت سيدنى بالمجلة .

نظر فيشر إليها حينما انتهى من عمله ، وعندما رأى المجلة بيدها ظهر على وجهه العبوس وقال : " دائما ما أتلقى بريد هذا الرجل . العديد من الشركات تتعامل مع هذا الرجل ولكنهم يراسلونه على عنوانى الذى هو ٦٢١٥ ثورن دايك ، أما هو فعنوانه ٦٢٥١ ثورن درايف وهو فى الجانب الآخر من فيرفاكس كاونتى ، فكل هذه الرزمة له . لقد أخبرت ساعى البريد المسئول عن توزيع البريد فى هذه المنطقة عن هذا الخطأ لكى يخبر جميع الشركات التى تقوم بإرسال البريد الخاص بهذا الرجل إلىّ ، ولكنهم مازالوا مستمرين فى ذلك " .

التفتت سيدنى ببطء إلى فيشر وقد قفزت إلى ذهنها فكرة بعيدة الاحتمال .

" إن البريد الإلكترونى مثله مثل أى عنوان آخر أو رقم هاتف يا جيف ، أليس كذلك ؟ وإذا كتبت العنوان خطأ قد يذهب إلى شخص آخر لم ترد مطلقاً إرساله إليه ؛ مثل هذه المجلة " .

رفعت سيدنى مجلة فيلد آند ستريم وقالت : " أليس كذلك ؟ " .

أجاب فيشر : " نعم ، بالتأكيد . وهذا يحدث دائماً فكثيراً ما أقوم بإرسال رسائل بطريق الخطأ " .

" ولكن ماذا إذا قمت بكتابة عنوان البريد الإلكترونى بالكامل ؟ " .

" حسنا ، سيكون هناك احتمال أكبر للخطأ حينما تكون العناوين أطول " .

" وإذا ضغطت على مفتاح خطأ سيتم إرسال الرسالة التى تريد إرسالها إلى شخص آخر لا تعرفه ؟ " .

أومأ فيشر بينما أخذ قضمة من رقائق البطاطس وقال : " إننى أتلقى رسائل من هذا النوع دائماً " .

نظرت إليه سيدنى وقد بدت عليها الحيرة وقالت : " ماذا تفعل عندما يحدث ذلك ؟ " .

" حسنا ، إن ما يحدث بسيط جداً . أقوم فقط بالنقر على أمر رد إلى الراسل وأقوم بإرسال رسالة قياسية تقول إن لديهم عنواناً خطأ وأقوم بإرجاع الرسالة لهم مرة أخرى حتى يعرفوا ما الرسالة التى أتحدث عنها . وبهذه الطريقة لا أحتاج لمعرفة العنوان . حيث يتم إرجاع الرسالة تلقائياً إلى الراسل " .

" أتعنى يا جيف إذا قام زوجى بإرسال رسالة إلى موقع خطأ ، يمكن لمتلقى هذه الرسالة إرجاعها ببساطة على عنوان جاسون الإلكترونى حتى يجعله يعرف أنه قد أرسلها بطريق الخطأ ؟ " .

" صحيح ، أقصد أنك إذا كنت على نفس الموقع ، وليكن مثلاً أمريكا أون لاين ، سيكون الأمر بسيطاً نسبياً " .

" وإذا قام هذا الشخص بإرجاع الرسالة مرة أخرى ، حتماً ستكون داخل صندوق بريد جاسون الإلكترونى الآن . أليس كذلك ؟ " .

نظر فيشر إليها وقد بدا فى عينيه نظرة خوف من نبرة صوتها ثم قال : " حسناً ، نعم " .

جمعت سيدنى حقيبتها .

نظر إليها فيشر وسألها : " إلى أين تذهبين ؟ " .

" لأبحث عن ذلك البريد الإلكترونى فى الحاسب المنزلى لدىَّ ، وإذا وجدت كلمة السر عليه ، يمكننى قراءة هذا القرص " . وأخرجت القرص المرن ووضعته داخل حقيبتها .

" إذا أعطيتنى اسم كلمة السر الخاصة به يمكننى فتح البريد الإلكترونى الخاص به من هنا يا سيدنى . فأنا مشترك فى موقع أمريكا أون لاين وعلى جهازى . سأقوم بإدخالك عليه كضيف . وإذا كان المفتاح الخاص بفك الرموز موجوداً داخل صندوق البريد الإلكترونى ؛ يمكننا قراءة القرص هنا " .

" أعلم ذلك يا جيف ، ولكن هل يمكن تعقب دخولك على بريد جاسون الإلكترونى من هذا المكان ؟ " .

ضاقت عينا فيشر وقال : " هذا جائز ، إذا كان من يبحثون يعرفون ما يفعلون جيداً " .

" أعتقد أنه يجب أن نفترض أن هؤلاء الأشخاص يعرفون ما يفعلون جيداً ، وسيكون من الأفضل لك ألا يعرف من يتعقب هذا البريد الإلكترونى أنه قد تم الدخول عليه من عندك " .

شحب وجه فيشر ثم تكلم ببطء وكانت العصبية واضحة فى صوته وعلى ملامحه ثم قال : " ما الذى تتورطين فيه يا سيدنى ؟ " .

التفتت بعيداً عنه وهى تقول : " سأتصل بك " .

بعد أن غادرت جلس فيشر أمام شاشة الحاسب لبضع دقائق أخرى ، ثم قام بتوصيل خط الهاتف بحاسبه مرة أخرى .

جلس سوير على الأريكة ونظر مرة أخرى إلى الخبر المنشور عن جاسون آرتشر فى جريدة بوست وهز رأسه ، ثم وضع الجريدة جانباً وقد فغر فاه عندما لاحظ العنوان الآخر . استغرق منه الخبر دقيقتين حتى انتهى من قراءته . قفز سوير إلى الهاتف وأجرى عدة مكالمات وعندما انتهى ، نزل السلم مسرعاً ، وبعد دقيقة أخرى كانت سيارته السيدان تشق الشارع .

* * *

أوقفت سيدنى سيارتها الفورد فى ممشى السيارات وأسرعت إلى منزلها وألقت بمعطفها وتوجهت مباشرة إلى حجرة مكتب زوجها . كادت تدخل على صندوق البريد الإلكترونى من على موقع أمريكا أون لاين حين قفزت فجأة وقالت : " يا إلهى ! " ؛ فهى لا يمكنها عمل ذلك من المنزل ، مهما يكن ما ستحصل عليه . فكرت سيدنى سريعاً وتوصلت إلى أن تايلر ستون مشتركة فى موقع أمريكا أون لاين على أجهزة الحاسبات لديها . ويمكنها الدخول إلى صندوق البريد الإلكترونى من هناك . فأمسكت بمعطفها وهرعت إلى الباب الأمامى وفتحته بقوة . وكان صوت صراخها مسموعاً فى أرجاء الشارع .

وكان لى سوير واقفا هناك ولا يبدو عليه الرضا .

التقطت سيدنى أنفاسها وقبضت على صدرها وقالت : " ماذا تفعل هنا ؟ " .

رفع سوير الجريدة رداً على هذا السؤال ثم قال : " هل قرأت هذا الخبر ؟ " . حملقت سيدنى إلى صورة إدوارد بيدج وتعرفت على كل ملامحه . وتلعثمت وهى تقول : " لا ... فقط ... " .

دخل سوير إلى المنزل ثم أغلق الباب بقوة . تراجعت سيدنى إلى حجرة المعيشة وصاح سوير قائلاً : " أعتقد أن لدينا اتفاقاً . هل تتذكرين ؟ تبادل المعلومات ؟ حسنا ، سنتكلم معاً الآن " .

جرت سيدنى ناحية الباب ، فأمسك سوير بذراعها ودفعها إلى الأريكة . نهضت سريعاً وقالت وهى تصرخ : " اخرج من هنا ! " .

هز سوير رأسه ورفع الجريدة وقال : " أتريدين الخروج من هنا بمفردك ؟ إذن من الأفضل أن تبحث ابنتك الصغيرة عن أم أخرى " .

اندفعت سيدنى بسرعة إلى الأمام وصفعته على وجهه ثم رفعت يدها لتفعل ذلك ثانية . أمسك سوير كلتا ذراعيها وضغط عليها جيداً . وقاومته سيدنى بغضب .

" إننى لست هنا لمحاربتك يا سيدنى . سواء ارتكب زوجك أى جرم أم لا ، سأظل أساعدك . ولكن يجب أن تكونى صريحة معى " .

قاومته سيدنى ثم سقطت على الأريكة وكانت فى حضنه محاولة بكل ما تستطيع أن تفلت من قبضته ، ولكنه ظل ممسكاً بها بقوة إلى أن خارت قواها ثم تركها ، فابتعدت عنه فى الحال إلى الطرف الآخر من الأريكة ، ثم وضعت وجهها فى راحتيها . تراجع سوير ثم انتظر . نهضت سيدنى ومسحت دموعها المنهمرة بكمها ، ثم

نظرت إلى الجريدة الملقاة على الأرض ، حيث كانت صورة إدوارد بيدج تظهر بها .

سألها سوير بمنتهى الهدوء قائلاً : " لقد تحدثت إليه فى الطائرة حينما كنت عائدة من نيو أورليانز ، أليس كذلك ؟ " .

كان سوير قد رأى بيدج يركب على متن الطائرة فى أورليانز وقد اتضح من كشف الركاب أن بيدج كان يجلس بجوار سيدنى من جهة اليمين . لم تكن هذه الحقيقة ذات أهمية حتى الآن .

تساءل سوير : " ألم تتحدثى معه على الإطلاق ؟ " . أومأت سيدنى ببطء . ثم استكمل سوير كلامه وقال : " أخبرينى بما دار بينكما . وفى هذه المرة أعنى كل شىء " .

أخبرته سيدنى بكل شىء بما فى ذلك القصة التى أخبرها بها بيدج عن عملية التبديل التى أجراها جاسون فى المطار مع رجل آخر ، ومراقبة بيدج لها وتنصته على خط هاتفها .

قال سوير عندما انتهت من كلامها : " لقد تحدثت إلى مكتب الفحص الطبى . وقد عرفت أن بيدج قد قتل على يد قاتل محترف كان يعرف بالضبط ماذا يفعل ، فقد أصابه بطعنتين نافذتين فى كلتا الرئتين ، وقطع عميق فى الشريان السُباتى وفى الوريد الودجى . ومات بيدج فى خلال دقيقة . من يكون إذن ذلك الشخص الذى يهيم فى الشارع ويستخدم مطواة بهذه المهارة من أجل الحصول على بعض الأموال ؟ " .

أخذت سيدنى نفساً عميقاً وقالت : " ذلك هو السبب الذى جعلنى هممت بإطلاق الرصاص عليك فى الجراج ، لقد اعتقدت أنهم جاءوا إلىَّ " .

" أليس لديك فكرة من يكون هؤلاء ؟ "

هزت سيدنى رأسها وحكت وجهها مرة أخرى . وأسندت ظهرها إلى الأريكة ونظرت إليه ثم قالت : " لأننى فعلاً لا أعرف أى شىء غير حقيقة أن حياتى قد تحولت إلى جحيم " .

أمسك سوير بإحدى يديها وقال : " حسناً ، لنر إذا ما كان يمكننا إصلاح حياتك وإعادتها إلى ما كانت عليه " . ثم هب واقفاً وأخذ معطفها من على الأرض ثم قال : " إن مقر شركة برايفت سوليوشنز يقع فى آرلينجتون ، أمام المحكمة . سأقوم بزيارتها . والآن يجب أن تكونى حيث يمكننى حراستك . هل ستلتزمين بالقواعد ؟ "

ابتلعت سيدنى آرتشر ريقها بصعوبة حيث شعرت بالذنب لوجود القرص داخل جيبها . فقد كان ذلك سراً لم تستطع إفشاءه له إلى الآن وردت عليه قائلة : " سألتزم بما تقول " .

كان مكتب إدوارد بيدج يقع فى مبنى منخفض فى مواجهة مبنى محكمة آرلينجتون . لم يظهر حارس الأمن الموجود فى الخدمة كثيراً من المجاملة بعد ما رأى أوراق إثبات الشخصية الخاصة بسوير . قادهما حارس الأمن إلى المصعد ، وبعد دقيقة ، وبعد أن توقفوا أمام باب صلب من خشب البلوط حيث كان محفوراً على لوحة معدنية بجانبه اسم الشركة ، أخرج الحارس مفاتيحه وحاول فتح الباب .

" اللعنة " .

سأله سوير : " ماذا حدث ؟ " .

" المفتاح لا يعمل " .

سألته سيدنى : " أليس من المفترض أن يفتح المفتاح الرئيسى الذى تحمله أى باب فى هذا المكان ؟ "

رد الحارس قائلاً : " من المفترض ، هذا صحيح . ولكن كانت هناك مشكلة مع هذا الرجل من قبل " .

سأله سوير : " كيف ذلك ؟ " .

نظر الحارس إليه وقال : " لقد قام بتغيير القفل . وقد ضغط عليه المسئولون عن الإدارة ، ولذلك أعطاهم مفتاحاً آخر وقال لهم إنه مفتاح القفل الجديد . ولكنى أستطيع اخباركم الآن بأنه ليس هو المفتاح " .

نظر سوير إلى الممر جيئة وذهاباً ثم قال : " أليست هناك طريقة أخرى للدخول ؟ "

هز الحارس رأسه وقال : " لا فائدة ، ربما على الاتصال بالسيد بيدج فى مسكنه وأطلب منه أن يأتى ليفتح الباب . وسأقنعه بإزالة هذا القفل . ماذا لو حدثت مشكلة وكنت أحتاج الدخول إلى المكتب ؟ " ووضع الحارس بعنف جراب مسدسه على نحو يوحى بالأهمية ثم قال : " أتعرف ماذا أقصد ؟ " .

قال سوير بهدوء : " لا أعتقد أن الاتصال بالسيد بيدج قد يكون له أية فائدة ؛ لأنه قد مات ، قُتل " .

جفت الدماء ببطء من وجه الحرس وقال : " يا إلهى ! " .

سأله سوير : " ألم تحضر الشرطة إلى هنا ؟ "

هز الحارس رأسه نفياً .

تساءل الحارس : " كيف سندخل ؟ " . كان صوته أعلى قليلاً من الهمس ، وعيناه متسعتين ، وكان ينظر فى الممر جيئة وذهاباً خشية احتمال وجود قتلة مترصدين هناك .

استجابة لما قاله الحارس ، قام لى سوير بدفع الباب بجسمه الضخم وقد انقسم إلى شظايا من قوة الدفعة .

قام سوير بدفع الباب مرة أخرى فانخلع القفل واندفع الباب مفتوحاً واصطدم بالجدار الداخلى للمكتب ثم نظر إلى الحارس الذى ظهرت عليه علامات الدهشة ، بينما كان ينظف معطفه وقال له : " إننا سنقوم بفحص المكتب وعليك الانتظار بالخارج ، شكراً جزيلاً " .

وقف الحارس وفمه مفتوح لعدة ثوان بينما دخل الاثنان إلى المكتب ، ثم مشى ببطء ناحية المصعد وهو يهز رأسه .

نظرت سيدنى إلى الباب المكسور ثم إلى سوير وقالت : " لا أصدق أنه لم يسألك حتى عن إذن التفتيش . بالمناسبة ، ألديك واحد ؟ "

نظر سوير إليها وتساءل : " ماذا يهمك فى ذلك ؟ " .

" بما أننى محامية ، فأنا لست موظفة فى المحكمة . أعتقد أنه يجب أن أسأل فحسب " .

هز سوير كتفيه العريضتين وقال : " إننى سأعقد صفقة معك أيتها الموظفة : إذا وجدنا شيئاً عليك الاحتفاظ به ، وسأذهب أنا لإحضار إذن التفتيش " . كانت سيدنى ستنفجر ضحكاً لو كانت فى ظروف مختلفة عن هذه ، لكن رد سوير قد رسم بسمة على وجهها ؛ الأمر الذى أدى إلى ارتفاع روحه المعنوية .

كان المكتب بسيطاً ونظيفاً وبه أثاث جيد . قام سوير وسيدنى بتفتيش المكتب فى النصف ساعة التالية ، ولم يجدا أى شىء غير عادى فى المكان ، كما أنهما لم يعثرا على أدوات مكتبية مدون عليها عنوان منزل إدوارد بيدج . وقد كانت شقته تقع فى جورج تاون . جلس سوير على حافة المكتب وفحصه ثم قال : " أتمنى أن يكون مكتبى مرتباً هكذا . ولكنى لا أجد أى شىء قد يساعدنا " .

جال سوير ببصره فى الغرفة وكانت تظهر على وجهه علامات التجهم ثم قال : " كنت سأشعر براحة أكثر إذا كان قد تم تفتيش المكان بدقة . وكنا سنعرف على الأقل شخصاً آخر مهتماً بذلك " .

وبينما كان سوير يتحدث ، قامت سيدنى بجولة أخرى فى المكان . رجعت فجأة إلى إحدى زوايا المكتب ، حيث كانت توجد مجموعة من الدواليب الرمادية المصنوعة من النحاس والقصدير معاً وتستخدم لحفظ الملفات . نظرت سيدنى إلى الأرض التى كانت مغطاة بسجادة بنية اللون . وجثت على ركبتيها وقالت : " ذلك غريب " . وقد استقرت عيناها على السجادة ، ونظرت إلى فجوة صغيرة بين الدولابين القريبين من المنطقة التى تقوم بفحصها . كانت الدواليب الأخرى ملتصق بعضها ببعض . وضعت سيدنى كتفها على أحد الدواليب ودفعته بقوة . ولكن الدولاب الثقيل لم يتزحزح من مكانه . نظرت إلى سوير وقالت : " أيمكنك مساعدتى ؟ " . تمايل سوير من جانب لآخر ، وأبعدها من مكانها ثم قام بدفع الدولاب بقوة . قالت سيدنى بإشارة : " ادفع ذلك الدولاب الخفيف الذى هناك " .

فعل سوير ذلك ثم لحق بها وقال : " ما هذا ؟ " .

تحركت سيدنى جانباً حتى يتمكن عميل المباحث الفيدرالية من الرؤية . كان هناك مكان به صدأ على الأرض حيث كان يوضع الدولاب ، ولم يكن ذا حجم كبير ولكن كان من الممكن رؤيته بوضوح الآن . نظر سوير إليها وهو حائر وقال : " ماذا فى هذا ؟ يمكننى أن أريك العديد مثل هذا فى مكتبى ، فالمعادن تصدأ ، وتترك أثراً على السجادة ، بسرعة ، فهذه بقع من الصدأ " .

لمعت عينا سيدنى وأشارت وهى تشعر بالنصر وقالت : " حقاً ؟ " . كانت هناك فراغات باهتة ولكن واضحة على السجادة

تظهر أن ذلك الدولاب قد برز فى الأصل عن الدولاب الذى يجاوره وكان يجب أن تكون هناك فجوات .

توجهت سيدنى إلى الدولاب الذى حركه سوير وقالت : " اقلبه وافحصه من أسفل " .

فعل سوير ذلك وقال : " لا توجد بقع للصدأ " ، ثم نظر إليها ثانية وقال : " إذن ، قام شخص بتحريك هذا الدولاب ليغطى بقعة الصدأ . لكن لماذا ؟ " .

" لأن بقعة الصدأ هذه كانت بسبب دولاب آخر ، لم يعد موجوداً هنا . من قام بأخذه حاول بقدر ما يستطيع إخراج بقعة الصدأ التى نتجت منه ولكن لم يستطع . ولذلك حاول بقدر استطاعته إزالة آثار فعلته ، أى قام بتغطية هذا الجزء بدولاب آخر على أمل ألا يلاحظ أحد تلك الفجوة " .

" لا أستطيع أن أعرف لماذا يكون لدى شخص منظم جداً مثل السيد بيدج فجوة بين الدواليب وبين الجدار . والإجابة هى أن شخصاً آخر غيره قد فعل ذلك " .

" وهذا يعنى أن هناك شخصاً مهتماً بإدوارد بيدج وبما لديه فى هذا الدولاب . وذلك يعنى أننا نسير فى الطريق الصحيح " . التقط سوير الهاتف الموجود على مكتب بيدج . وبإيجاز طلب من راى جاكسون معرفة كل شىء عن إدوارد بيدج . ثم وضع سماعة الهاتف ونظر إلى سيدنى وقال : " بما أننا لم نتوصل إلى أى شىء من مكتبه ما رأيك فى زيارة منزل بيدج الراحل ؟ " .

الفصل الخامس والأربعون

كان مسكن بيدج عبارة عن شقة فى الطابق الأرضى من منزل ذى طراز قديم فى جورج تاون والذى قد تم تحويله إلى مجموعة من الشقق الصغيرة . لم يسأل صاحب العقار عن سبب رغبة سوير فى رؤية محل إقامة بيدج . لقد قرأ الرجل فى الصحف خبر مقتل بيدج وعبر عن فزعه منه . وقد حضر عميلان من المباحث إلى الشقة وتقابلا مع صاحب العقار والعديد من المستأجرين ، كما تلقى صاحب العقار أيضاً مكالمة هاتفية من ابنة بيدج المقيمة فى نيويورك . لقد كان المحقق الخاص مستأجراً مثالياً . كانت مواعيده غير منتظمة إلى حد ما ، وأحياناً كان يغيب عن المنزل بالأيام ، ولكن كان يدفع الإيجار دائماً فى بداية كل شهر ، كما كان هادئاً ومنظماً . ولم يكن لديه أصدقاء مقربون يعرفهم صاحب العقار .

فتح سوير باب الشقة مستخدماً مفتاحاً كان مع صاحب العقار الذى يعيش فى نفس المبنى ، ثم دخل هو وسيدنى إلى الشقة . وأضاء المصابيح . ثم أغلق الباب خلفه وقد كان يأمل أن يعثر على أى شىء فى شقة الرجل .

لقد قاما بفحص أجهزة المراقبة قبل مغادرة مكتب بيدج ، ووجدا أن دولاب الملفات فى اليوم السابق قد نقل بواسطة رجلين يرتديان زى الحمالين ويحملان معهما تصريحاً يبدو أنه قانونى وكذلك مفاتيح المكتب . استنتج سوير أن الشركة التى قامت بعملية النقل زائفة على الأرجح ، وأن محتويات دولاب ملفات بيدج من الجائز ألا تكون أكثر من كومة من الرماد كالتى توجد فى قاع جهاز إحراق القمامة .

كانت شقة بيدج تشبه مكتبه من حيث البساطة والنظافة والترتيب . تجول سوير وسيدنى فى الغرف المختلفة للتعرف على الشكل العام للشقة . كانت هناك مدفأة جميلة ذات رف من الطراز الفيكتورى تحتل غرفة المعيشة . وكانت أرفف الكتب تملأ أحد الجدران . لقد كان إدوارد بيدج قارئاً نهماً . ولم تكن هناك أية جرائد أو سجلات أو إيصالات قد توضح أين كان بيدج مؤخراً ، أو الأشخاص الذين كانوا يراقبهم غير سيدنى وجاسون آرتشر . وبعد أن قاما بتفتيش حجرة المعيشة وحجرة الطعام ، استمرا فى عملهما فى باقى أرجاء الشقة .

لم يتوصل سوير إلى أى شىء ذى أهمية فى المطبخ والحمام . وكان قد قام بتفتيش الأماكن المعتادة كالخزان الموجود خلف المرحاض ، وفى الثلاجة حيث فحص علب المشروبات ورؤوس الخس ليتأكد من أنها حقيقية ولا يتم استخدامها كأماكن تخبئة لبعض الألغاز التى تم قتل إدوارد بيدج من أجلها . دخلت سيدنى

إلى غرفة النوم حيث قامت بتفتيش كامل بدءاً من تحت السرير ، وتحت المرتبة وختاماً بالدولاب . لم تحمل حقائب السفر القليلة بطاقات قديمة من شركات الطيران . وكانت سلة المهملات فارغة . جلست سيدنى مع سوير على السرير وتفحصا الغرفة . نظر سوير إلى حامل صغير للصور موجود أعلى منضدة جانبية ؛ كانت تلك الصور لإدوارد بيدج والعائلة فى أسعد الأوقات .

أمسكت سيدنى بإحدى الصور وقالت : " يبدو أنها عائلة لطيفة " . وقد تذكرت فجأة الصور الموجودة فى منزلها ، لقد فات وقت طويل منذ أن قيلت مثل هذه العبارة على عائلتها . ناولت سيدنى الصورة إلى سوير .

كانت الزوجة تتمتع بالجمال الأخاذ والابن صورة طبق الأصل من أبيه ، والابنة فى غاية الجمال ، كانت ذات شعر أحمر ، وساقين طويلتين ، وكان يبدو أن عمرها أربعة عشر عاماً فى هذه الصورة ، وكان التاريخ المطبوع على الصورة يوضح أنها أخذت منذ خمس سنوات . وكان سوير يعتقد أنها الآن لابد أن تكون كسيرة القلب ، ولكن تبعاً لما قاله صاحب العقار فهم يعيشون جميعاً فى نيويورك وأن بيدج يعيش هنا بمفرده . لماذا ؟

حينما همَّ سوير بوضع صورة عائلة بيدج مكانها شعر ببروز بسيط فى ظهر الصورة . فتح سوير ظهر الصورة ، فسقط العديد من الصور على الأرض فى نصف حجم الصورة التى بها برواز . التقط سوير الصور من على الأرض وفحصها . كانت كلها لشخص واحد ، رجل فى منتصف العشرينات ، ذى مظهر جيد ، وسيم جداً ، كان سوير يرى أنه ولد جميل ، كما كان يرتدى ملابس على أحدث صيحة من خطوط الموضة ، وشعره منمق جداً . ظن سوير أنه لاحظ آثاراً من ملامح إدوارد بيدج عند صدغه وحول العينين البنيتين

العميقتين . أدار سوير جميع الصور فيما عدا واحدة كان مكتوباً عليها ستيفى . ربما يكون أخو بيدج . وإذا كان كذلك ، فلماذا يخفى هذه الصور إذن ؟

نظرت سيدنى إلى سوير وقالت : " ماذا تعتقد ؟ " .

هز سوير كتفيه وقال : " أعتقد أحياناً أن هذه القضية برمتها ستحتاج مزيداً من التفكير أكثر مما أعطيه لها " . وضع جميع الصور ماعدا الصورة المكتوب على ظهرها الاسم ؛ فوضعها فى جيب معطفه . وألقيا نظرة حول الغرفة مرة أخرى ثم نهضا وغادرا الشقة ، وقد أغلقا الباب جيداً خلفهما .

قام سوير باصطحاب سيدنى إلى منزلها ، ولمزيد من الحرص ، قام بتفتيش البيت ليتأكد من أن المنزل ليس به أحد ، وأن جميع الأبواب والنوافذ محكمة الغلق . قال سوير : " إذا سمعت أى شىء سواء بالليل أو بالنهار أو كان لديك أية مشكلة ، أو كنت تريدين التحدث فقط ، اتصلى بى على الفور . أفهمت ؟ " . أومأت سيدنى ، واستكمل سوير قائلاً : " لقد وضعت رجلين فى الخارج ، يمكنهما الدخول إلى هنا فى ثوان " . مشى سوير إلى الباب الأمامى ثم قال : " علىَّ أن أقوم بتدبير بعض الأمور وسأعود فى الصباح " . ثم التفت لينظر إليها وقال : " هل ستكونين على ما يرام ؟ " .

لفت سيدنى ذراعيها حول كتفيها وقالت : " نعم " .

تنهد سوير واستند إلى الباب وقال : " أتمنى أن يأتى اليوم الذى أقدم لك فيه تلك القضية بعد انتهائها على طبق من فضة يا سيدنى . أتمنى ذلك فعلاً " .

" مازلت تصدق أن جاسون مذنب ، أليس كذلك ؟ لا أستطيع لومك ، فكل شيء يؤكد ذلك " . ونظرت بعين فاحصة إلى ملامح سوير المضطربة . تنهد الرجل ونظر بعيداً للحظة . وعندما نظر إلى وجهها مرة أخرى استطاعت أن تلمح لمعة فى عينيه .

" دعينا لا نتكلم فى هذا الموضوع الآن يا سيدنى ، فهناك بعض الشكوك التى بدأت تساورنى " .

بدا عليها الحيرة وتساءلت : " بخصوص جاسون ؟ " .

" بخصوص كل شيء . أستطيع أن أعدك بأن يكون العثور على زوجك سليماً على رأس أولوياتى ، ثم يمكننا بعد ذلك حل أى مشكلة أخرى . اتفقنا ؟ " .

ارتعشت سيدنى قليلاً ثم أومأت إليه قائلة : " اتفقنا " . وعندما استدار سوير ليغادر ، ربتت سيدنى ذراعه وقالت : " شكراً لك يا لى " .

شاهدت سوير من النافذة وهو يتوجه ناحية السيارة السيدان السوداء التى تحمل بداخلها عميلى المباحث الفيدرالية . التفت سوير ونظر إلى المنزل ، فرأى سيدنى ولوح لها . قامت بمحاولة ضعيفة لترد عليه وأشارت إليه بيديها . فقد كان يراودها إحساس بالذنب إلى حد ما الآن ، لما كانت تنوى عمله . تركت سيدنى النافذة ، وأطفأت جميع الأنوار ، وأخذت معطفها الرمادى وحقيبة يدها وهرعت من الباب الخلفى فى ثوان قبل أن يظهر أحد رجال سوير الذى يقوم بحراسة هذه المنطقة . تسللت عبر السور الخشبى الموجود على حافة الفناء وخرجت إلى الشارع المطل على المبنى المجاور . بعد خمس دقائق من المشى السريع وصلت سيدنى إلى كابينة هاتف عام . وفى غضون عشر دقائق حضرت إليها السيارة الأجرة لتستقلها .

بعد نصف ساعة أخرى وقفت سيدنى أمام المبنى الذى يضم مكتبها وفتحت الباب الزجاجى الثقيل . أسرعت إلى المصعد وبعد دقيقة وصلت إلى الطابق الذى تريده . مشت بهدوء فى الردهة ذات الضوء الخافت فى مؤسسة تايلر ستون ، وكانت المكتبة فى نهاية الردهة الرئيسية فى الطابق الذى به مكتب سيدنى . فتحت بابين بهما زجاج غير شفاف ورأت بوضوح الأرفف التى تصطف عليها الكتب التى تكون المكتبة القانونية لدى المؤسسة . كانت المكتبة تضم ساحة مفتوحة ضخمة بها عدد من القطاعات المنفصل بعضها عن بعض . كان خلف أحد الفواصل عدد من الحاسبات التى يستخدمها المحامون فى الأبحاث القانونية .

نظرت سيدنى حولها فى الظلام الذى يحيط بها داخل المكتبة قبل أن تخاطر بالعمل . لم تسمع أى صوت ولم تر أى حركة . وكانت الستائر تنسدل على جميع النوافذ التى تطل على شوارع المدينة ، وبذلك لم يتمكن أحد من رؤية ما يدور بالداخل .

جلست سيدنى أمام أحد الحاسبات وجازفت بإضاءة لمبة صغيرة على منضدة الحاسب بجوارها وأخرجت القرص من جيبها ثم وضعته على المنضدة . كان الحاسب قد بدأ يعمل خلال دقيقة ، فضغطت على الأوامر اللازمة لبدء تشغيل موقع أمريكا أون لاين ، وقد ارتعشت قليلاً عندما صدر صوت من المودم معلناً بدء عمله . بعد الانتهاء من إجراء الاتصال قامت سيدنى بكتابة اسم المستخدم الخاص بزوجها وكلمة السر . وقد شكرت زوجها فى سرها لأنه جعلها تحفظهما منذ عامين مضيا ذات مرة وهما يستخدمان الحاسب . حدقت سيدنى بقلق إلى الشاشة ، وكانت تتنفس بصعوبة ، ويبدو على ملامحها التوتر . وكانت تشعر باضطراب فى معدتها كما لو كانت متهمة تنتظر قرار المحلفين . جعلها الصوت

الإلكترونى الذى صدر من الحاسب تقفز قليلاً ، ولكن ذلك ما كانت تتمنى فقد قال : " لديك رسالة بريدية " .

وكانت هناك أقدام تتحرك بهدوء فى اتجاه المكتبة .

* * *

نظر سوير إلى جاكسون فقد كانا فى غرفة الاجتماعات الخاصة بالمباحث الفيدرالية ثم قال : " إذن ، ما سر المعلومات التى جمعتها عن السيد بيدج يا راى ؟ " .

جلس جاكسون وفتح مفكرته وقال : " لقد أجرى اتصالات مع الشرطة السرية بنيويورك ، فقد كان بيدج شرطياً هناك . وقد تحدثت أيضاً مع زوجة بيدج السابقة ، وقد أيقظتها من النوم ولكنك أخبرتنى أنه ينبغى على التحدث معها بصورة عاجلة . مازالت تعيش في نيويورك . لم تتصل به كثيراً منذ طلاقهما ، ولكنه كان مرتبطاً جداً بطفليه . كما تحدثت إلى ابنته ، إنها فى الثامنة عشرة ، وبالمناسبة هى فى السنة الأولى من الجامعة ، والآن عليها أن تدفن أباها " .

سأله سوير : " ماذا قالت ؟ " .

" الكثير ، مثل أن والدها كان عصبياً فى الأسبوعين الماضيين ، ولم يكن يرغب فى أن يقوموا بزيارته . وبدأ فى حمل مسدس بصفة دائمة ، ولم يكن يفعل ذلك لسنوات . فى الواقع ، كان يحمل مسدساً معه فى نيو أورليانز يا لى . ولقد عُثر عليه فى حقيبة بجوار جثته . يا له من مسكين لم تسنح له الفرصة لاستخدامه " .

" لماذا انتقل من نيويورك إلى هنا خاصة أن عائلته تمكث هناك ؟ " .

أومأ جاكسون برأسه قائلاً : " هذا مثير . لم تتكلم زوجته عن هذا الموضوع بطريقة أو بأخرى . وكل ما قالته هو إن زواجهما قد فشل فحسب . إلا أن ابنة بيدج كان لها رأى مختلف " .

" هل ذكرت لك سبباً لذلك ؟ " .

" إن أخا إدوارد بيدج الأصغر يعيش فى نيويورك أيضاً . وقد انتحر منذ خمس سنوات مضت . كان مريضاً بمرض السكر ، وقد أخذ جرعة زائدة من الأنسولين بعد أن تناول كمية كبيرة من الشراب . كان بيدج متعلقاً بأخيه الأصغر . وقالت ابنته إن والدها لم يعد كما كان بعد وفاة أخيه " .

" إذن ، كان يريد الابتعاد عن المكان فحسب ؟ " .

هز جاكسون رأسه وقال : " مما جمعته من خلال حديثى مع ابنته ، فإن بيدج كان مقتنعاً بأن موت أخيه لم يكن انتحارا أو حادثاً " .

" أيظن أنه قُتل ؟ " .

أومأ جاكسون موافقاً .

سأله سوير : " لماذا ؟ " .

" لقد طلبت الحصول على نسخة من ملف الشرطة السرية فى نيويورك ، لعلنى أجد إجابات لتلك الأسئلة . ولكننى تحدثت قليلاً مع المحقق الذى كان يعمل بالقضية وقال إن جميع الأدلة تشير إلى أن الوفاة جاءت نتيجة انتحار أو حادث فقط . لقد كان الرجل ثملاً " .

" إذا كان قد قتل نفسه ، هل من أحد يعرف سبب ذلك ؟ "

جلس جاكسون وقال : " كان ستيفن بيدج مريضاً بالسكر ، كما أخبرتك ، ولذلك لم تكن صحته على ما يرام . وتبعاً لما قالته ابنة بيدج فإن عمها لم يكن يحصل على جرعات الأنسولين بانتظام .

وعلى الرغم من أن عمره كان ثمانية وعشرين عاماً فقط عندما مات فإن أعضاءه الداخلية كانت تبدو أكبر من ذلك " . توقف جاكسون عن الكلام ونظر إلى مفكرته للحظة ثم قال : " أهم ما فى الموضوع أن التحاليل التى أجريت مؤخراً أثبتت إصابة ستيفن بيدج بالإيدز " .

قال سوير : " اللعنة . هذا يوضح إسرافه فى الشراب " .

" ربما " .

" أو ربما الانتحار " .

" ذلك ما تعتقده دوائر الشرطة السرية فى نيويورك " .

" كيف أصيب به ؟ " .

هز جاكسون رأسه وقال : " لا أحد يعرف ، من الناحية الرسمية على الأقل . أعنى أن تقرير المحقق فى اسباب الوفاة لم يتمكن من تحديد مصدر الإصابة . ولقد سألت الزوجة السابقة ، لكنها لم تعرف شيئاً . ولكن الابنة أخبرتنى بأن عمها كان شاذاً ، لم يكن يبوح بذلك ، ولكنها متأكدة من أنه كان كذلك وتعتقد أن ذلك هو سبب إصابته بمرض الإيدز " .

حك سوير رأسه وزفر زفيراً شديداً ثم قال : " هل هناك علاقة بين احتمالية مقتل رجل شاذ فى نيويورك منذ خمس سنوات مضت وبين خداع جاسون آرتشر لصاحب الشركة التى يعمل بها وتحطم طائرة فى فيرجينيا ؟ " .

مط جاكسون شفتيه وقال : " ربما ، لبعض الأسباب التى لا نعرفها . إن بيدج كان يعرف أن آرتشر لم يركب تلك الطائرة " .

شعر سوير بالذنب للحظة . فمن خلال حواره مع سيدنى - ذلك الحوار الذى لم يخبر به زميله - كان يعرف أن بيدج كان يعلم أن جاسون لم يكن على متن تلك الطائرة .

قال سوير : " اختفى جاسون آرتشر إذن ، وأراد بيدج اقتفاء أثره من خلال زوجته " .

" هذا مقنع لهذا الحد . وقد تكون شركة تريتن هى التى قامت باستئجار بيدج للتحرى عن تسرب المعلومات ، وكشف مكان آرتشر " .

هز سوير رأسه وقال : " بين موظفى شركتهم وشركة فرانك هاردى العديد والعديد من الأجهزة التى تقوم بهذه المهمة " .

دخلت سيدة إلى الغرفة تحمل ملفاً وقالت : "لقد وصل هذا تواً بالفاكس من الشرطة السرية فى نيويورك يا راى " .

أخذ جاكسون الملف وقال : " شكراً يا جينى " . بعدما غادرت السيدة الغرفة ، قام بفحص الملف بدقة وعناية بينما كان سوير يجرى اتصالين .

سأله سوير أخيراً وهو يشير إلى الملف : " أهذا خاص بستيفن بيدج ؟ " .

" نعم ، ويحتوى على معلومات مثيرة حقاً " .

صب سوير كوباً من القهوة وجلس بجوار شريكه .

قال جاكسون : " تم توظيف ستيفن بيدج فى شركة فيدلتى موتشوال فى مانهاتن ، وهى إحدى أكبر شركات الاستثمار فى الدولة . كان يعيش فى شقة جميلة ، وكان المكان يمتلئ بالتحف ولوحات زيتية أصلية ، كما كان لديه أيضاً محفظة هائلة للاستثمارات تحتوى على سندات ، وأسهم ، وأوراق مالية تُقدر بأكثر من مليون دولار " .

" ذلك جيد جداً بالنسبة لرجل فى الثامنة والعشرين من عمره . ولكنى أعتقد أن هؤلاء المستثمرين يحرزون نجاحات مالية عظيمة .

وأنت تسمع دائماً عن هؤلاء الحثالة الذين يتكسبون مبالغ طائلة ليفعلوا ما لا نعرفه . وربما يقومون بخداعنا " .

" نعم ، لكن ستيفن بيدج لم يكن من المستثمرين . وإنما كان محللاً مالياً ، ومراقباً لسوق المال ، ذا دخل محدود ، وليس دخلاً كبيراً تبعاً لما ذكر فى هذا التقرير " .

رفع سوير حاجبيه وقال : " إذن من أين جاءت حافظة الاستثمار ؟ من الاختلاس من شركة فيدلتى ؟ " .

هز جاكسون رأسه وقال : " إن الشرطة السرية فى نيويورك قد فحصت هذه الزاوية ، ولم يجدوا أموالاً ناقصة من شركة فيدلتى " .

" إذن ماذا استنتجت الشرطة السرية فى نيويورك ؟ "

" لا أعتقد أن الشرطة السرية الخاصة قد توصلت إلى أى شىء . لقد وُجد بيدج وحيداً فى شقته ، وكان الباب والنوافذ مغلقة من الداخل . وبمجرد أن وصل تقرير الفحص الطبى الذى وضح سبب الوفاة على أنه انتحار من خلال أخذ جرعة أنسولين زائدة فقدت الشرطة اهتمامها بالقضية . وإذا لم تكن تعلم ، فلديهم الكثير والكثير من القضايا التى تتعلق بالقتل يا لى " .

قال سوير : " شكراً على إخبارى بالمشاكل التى تتعرض لها مدينة نيويورك يا راى " .

أخذ جاكسون يفحص بعناية التقرير وقال : " لم يترك ستيفن بيدج وصية ، فقد توفى والداه ، ولم يكن لديه أولاد . وكان أخوه إدوارد بيدج هو الوحيد الذى تبقى من أهله وبذلك قد حصل على كل شىء " .

أخذ سوير رشفة من القهوة وقال : " هذا مثير " .

" ولكنى لا أعتقد أن إدوارد بيدج قد قتل أخاه الأصغر ليمكنه من تمويل التعليم الجامعى لأولاده . وإننى أرى أنه قد فوجئ مثل أى شخص آخر بأن أخاه مليونير " .

" ألم يلفت انتباهك أى شىء فى تقرير تشريح الجثة ؟ "

أخرج جاكسون ورقتين من الملف وناولهما إلى سوير ثم قال :

" كما قلت لك ، سبب الوفاة جرعة كبيرة من الأنسولين أدت إلى قتل ستيفن بيدج ؛ حيث قام بحقن نفسه فى فخذه ، وهو المكان الذى يأخذ فيه مرضى السكر حقن الأنسولين دائماً . وقد وضحت بعض الأماكن تحت الجلد حول منطقة الفخذ أن ذلك المكان الدائم هو الذى كان يأخذ فيه الحقنة أيضاً . وأظهر تقرير الفحص الطبى وجود نسبة من الكحول فى دمه ، ولم تكن لهذه النسبة أية علاقة بوفاته عندما أخذ الجرعة الزائدة . وقد ذكر التقرير أن درجة حرارة جسمه كانت ثمانين درجة تقريباً . كما أشار التقرير أيضاً إلى أن الوفاة حدثت بين الساعة الثالثة والساعة الرابعة صباحاً فى المكان الذى وجدوا فيه الجثة " .

" من الذى عثر عليه ؟ "

قال جاكسون : " صاحبة العقار . وبالتأكيد لم يكن منظراً جميلاً على الإطلاق " .

" نادرا ما يكون للموتى منظر جيد . ألم يترك أى رسائل ؟ "

هز جاكسون رأسه نفياً .

" هل أجرى بيدج أية مكالمات هاتفية قبل وفاته ؟ " .

" كانت آخر مكالمة هاتفية أجراها ستيفن بيدج من شقته فى الساعة السابعة والنصف مساءً " .

" إلى من تحدث ؟ "

" أخيه " .

" هل استجوبت الشرطة إدوارد بيدج ؟ "

" طبعاً ، خاصة بعدما عرفوا بأمر الأموال التى كان يمتلكها ستيفن بيدج " .

" ألم يقدم إدوارد بيدج إثباتاً بوجوده فى غير مكان الجريمة ؟ " .

" قدم إثباتاً قوياً جداً . فكما تعرف ، كان إدوارد يعمل ضابط شرطة فيما سبق . وقد كان يقوم بهجوم مفاجئ على تجار المخدرات مع فريق من الضباط فى لور إيست سايد حينما مات أخوه " .

" هل سألت الشرطة إدوارد بيدج عن المكالمة الهاتفية الأخيرة التى أجراها مع أخيه ؟ "

" لقد قال إن أخاه كان مضطرباً . فقد أخبره ستيفن بأنه مريض بالإيدز . وقال إدوارد بيدج إنه كان يبدو على أخيه أنه ثمل للغاية " .

" ألم يحاول الذهاب لرؤيته ؟ " .

" قال إنه كان يرغب فى ذلك ، ولكن أخاه رفض . وأغلق الخط معه فى النهاية . حاول إدوارد بيدج الاتصال ثانيةً ، ولكنه لم يرد عليه . وكان عليه الذهاب إلى عمله فى الساعة التاسعة . وقال إنه فكر فى أن يترك أخاه بمفرده تلك الليلة على أن يحاول التحدث إليه فى اليوم التالى . ولم ينته من نوبة عمله حتى العاشرة صباحاً " .

أمسك سوير بكتف جاكسون وقال : " راى . راى ؟ ما هذا بحق الجحيم ؟ "

جرى جاكسون إلى منضدة أخرى فى الغرفة ، وأمسك بعض الملفات بحدة ، وتفحصها قبل أن يلقى بها ، ثم أمسك غيرها .

وأصبح يتحرك باضطراب شديد . توقف جاكسون أخيراً وقد فتح أحد الملفات وثبتت عيناه على شئ فى الورق الموجود بداخله .

فى لحظة توجه سوير ليقف بجانبه وقال بغضب : " اللعنة يا راى ما هذا ؟ "

فما كان من جاكسون إلا أن قام بإعطاء زميله شيئاً من الملف ، حدق سوير إلى الصورة غير مصدق ، فقد ظهر أمامه وجه ستيفن بيدج الوسيم ولكن فى وضع آخر .

أمسك سوير بالصورة التى أخذها من شقة إدوارد بيدج من على المنضدة حيث وضعها جاكسون ونظر إلى الصورة مرة أخرى . والتفت بعينه إلى الصورة الموجودة داخل الملف .

نظر سوير بعينين متسعتين إلى جاكسون وتساءل ببطء ، وكان صوته يشبه الهمس : " من أين حصلت على هذه الصورة يا راى ؟ "

مص جاكسون شفتيه بعصبية ، وكان رأسه يلتفت من جهة إلى أخرى ثم قال : " لا أستطيع تصديق ذلك " .

تساءل سوير : " من أين يا راى ، من أين ؟ "

قال جاكسون : " من شقة آرثر ليبرمان " .

الفصل السادس والأربعون

الموضوع : الرسالة : ليس أنا .

التاريخ : ٢٦ - ١١ - ٩٥ الساعة ٥٢ : ٤١ : ٨ بتوقيت الولايات الشرقية .

الراسل : آرتشى كيه دبليو ٢

المرسل إليه : آرتشى جيه دبليو ٢

عزيزى آرتشى الآخر : انتبه لما تقوم بكتابته . بالمناسبة هل تقوم دائماً بإرسال رسائل إلى نفسك ؟ رسالتك مثيرة قليلاً بالرغم من احتوائها على كلمة سر لطيفة . ربما يمكننا أن نتكلم عن تقنيات تشفير الرسائل . ولقد سمعت أن من أفضل الخدمات فى ذلك هى سيكريت سيرفس . أراك فى سيبرسبيس . إلى اللقاء .

الموضوع : ليس أنا .

التاريخ : ١٩ – ١١ – ٩٥ الساعة ٠٦ : ٣٠ : ١٠ بوقيت الولايات الغربية .

الراسل : آرتشى جيه دبليو ٢

المرسل إليه : آرتشى كيه دبليو ٢

ستعرفين ما سيحدث من القرص يا سيدنى فى البريد ٠٩٩١٢١،١٩٨٢٢،٢٩٦٢٩،٢٩٥١١١،٣٩٦١٤ مخزن سياتل .

حدقت سيدنى إلى شاشة الحاسب وعرفت أنها كانت على حق ، فقد أخطأ جاسون وضغط على زر الحرف كيه بدلا من زر الحرف جيه . شكراً لك يا آرتشى كيه دبليو ٢ مها تكن . ولقد كان فيشر محقاً أيضاً فيما ذكره عن كلمة السر ـ فهى تصل إلى ثلاثين رقماً تقريباً . حيث إنها افترضت أن تلك الأرقام هى التى تمثل كلمة السر .

هبط قلبها عندما نظرت إلى تاريخ الرسالة الأصلية . فقد كان زوجها يتوسل إليها أن تسرع ، ولم يكن بوسعها فعل شىء ، وكان لديه شعور قوى فى أنها ستخذله . قامت سيدنى بطباعة هذه الورقة ثم وضعتها داخل حقيبتها . على الأقل إنها ستتمكن أخيراً من قراءة القرص . وارتفعت نسبة الأدرينالين فى جسدها بسبب هذه الفكرة .

ارتفعت هذه النسبة أكثر فجأة عندما سمعت سيدنى صوت شخص يدخل المكتبة . خرجت من الموقع بحذر وأغلقت الحاسب . كانت يداها ترتعشان بينما كانت تضع القرص داخل حقيبتها مرة أخرى . وانتظرت لكى تسمع صوتاً آخر ، وكانت أنفاسها متثاقلة وتمسك المسدس بيدها .

عندما سمعت سيدنى صوتاً يأتى من ناحية اليمين ، نزلت من على المقعد ، وانحنت لأسفل وتحركت بهدوء إلى جهة اليسار . ثم دخلت فى إحدى الزوايا وتوقفت . رأت أمامها مباشرة رف الكتاب إف . ٢ دى وهى مجلدات كانت تدرسها فى كلية الحقوق وفى السنة الأولى من ممارستها للعمل . نظرت سيدنى من بين الفجوات إلى الرجل الواقف فى الظلام . لم تستطع أن تميز ملامحه ولم تكن تجرؤ أن تتحرك ثانية خشية إحداث أى صوت . بدأ الرجل فى التوجه إليها مباشرة . أحكمت سيدنى قبضتها على المسدس وأخرجته من الجراب ، ثم زحفت واتخذت مكاناً خلف أحد الفواصل . كانت أذناها تنصتان لأى صوت ، فقد كانت تحاول على نحو يائس التفكير فى مخرج لها . كانت المشكلة فى وجود باب واحد فقط للمكتبة . فكانت فرصتها الوحيدة أن تلف محاولة التسلل من هذا الشخص مهما يكن حتى تصل للباب وحينها تجرى بأقصى سرعة ، فقد كانت المصاعد عند الردهة مباشرة .

تقدمت سيدنى وتحركت بضع أقدام ثم انتظرت ، ثم كررت العملية . كان عليها أن تفترض أنها تحدث ضوضاء بالقدر الذى يجعله يعرف مكانها . كانت تحاول بقدر الإمكان مطابقة خطواتها مع خطوات الرجل التى تسمعها من الخلف . وكان ذلك كافياً ليطمئنها . أوشكت سيدنى على الوصول إلى باب المكتبة واستطاعت بالفعل أن ترى رتاج الباب فى الضوء الخافت . ثم استجمعت شجاعتها وأعصابها لتخطو بضع خطوات أخرى ثم بدأت تركض . بعد خمس أقدام أخرى أصبحت عند باب المكتبة تقريباً . وعندئذ وقفت عند الجدار وقد ألصقت جسدها به وبدأت تعد ببطء إلى ثلاثة .

ولكنها لم تعد أكثر من واحد .

كاد النور الساطع يفقدها بصرها ، وعندما ركزت بصرها رأت الرجل بجوارها مباشرة . اتسعت حدقتا عينيها وأدارت المسدس فى اتجاه الرجل .

طرف فيليب جولدمان بعينه سريعاً حتى يتكيف مع مستوى الضوء الجديد وقال : " يا إلهى ، هل جننت ؟ "

فغرت سيدنى فاها .

قال جولدمان : " ماذا تقصدين بحق الجحيم ، لتتسللين إلى هنا بهذه الطريقة ؟ ومعك مسدس ؟ " .

توقف جسد سيدنى عن الارتعاش ووقفت مستقيمة وقالت : " إننى موظفة فى هذه الشركة يا فيليب . ولدى الحق الكامل فى أن أكون هنا " . كان صوتها يرتعش ، ولكنها تلقت نظرته لها بقوة .

كان صوت جولدمان ساخراً حين قال : " لكن ، ليس لفترة طويلة " . أخرج جولدمان ظرفاً من جيبه الداخلى وقال :" فى الواقع سيوفر ذلك ثمن حامل الرسالة " . وقدم الظرف إلى سيدنى ثم قال : " هذا خطاب إنهاء خدمتك من الشركة . أيمكن أن تتفضلى بالإمضاء عليه الآن ، لأنه سوف يخلص الجميع من المشاكل الكثيرة ، كما سيخلص الشركة من ورطتها الكبرى " .

لم تأخذ سيدنى الظرف ولكنها أبقت عينيها والمسدس على جولدمان .

أمسك جولدمان الظرف بين إصبعيه قبل أن ينظر إلى المسدس وقال : " ألن تبعدى هذا المسدس قبل أن تزيدى جرائم إضافية لسيرتك الذاتية ؟ " .

قالت سيدنى بغضب : " إننى لم أفعل شيئاً ألبتة ، وأنت تعلم ذلك " .

أدار جولدمان عينيه وقال : " بالطبع ، إننى متأكد من أنك لم تكونى على علم مطلقاً بمخططات زوجك العزيز غير القانونية " .

" وجاسون أيضاً لم يرتكب أى جرم " .

" حسناً ، إننى لن أتجادل معك بينما تمسكين بيدك سلاحاً نارياً موجها إلىَّ . أيمكن أن تبعديه من فضلك ؟ "

بدأت سيدنى أخيراً فى خفض المسدس ، ثم خطر على بالها شىء . من الذى أضاء النور ؟ فلم يكن جولدمان قريباً من أى مفتاح للنور .

وقبل أن يتوفر لديها الوقت ليصدر منها أى رد فعل ، قبضت يد قوية على ذراعها وقد اهتز المسدس من يدها بقوة . دفعتها قوة هائلة وألقت بها إلى الجدار . سقطت سيدنى على الأرض وكادت رأسها تنشطر من قوة الصدمة . وعندما نظرت لأعلى رأت رجلاً ضخماً قوى البنية يقف أمامها فى ملابس سائق سوداء ، موجهاً مسدسها الخاص صوب رأسها . ظهر رجل آخر من وراء ذلك الرجل الذى كان يحمل المسدس .

ضحك بول بروفى قائلاً : " مرحباً يا سيدنى ، هل تلقيت أية مكالمات هاتفية أخرى من زوجك الراحل ؟ "

استطاعت سيدنى أن تقف وهى ترتعش وأسندت إلى الجدار بينما كانت تحاول التقاط أنفاسها مرة أخرى .

نظر جولدمان إلى الرجل الضخم وقال : " عمل طيب يا باركر . يمكنك الذهاب لإحضار السيارة . سننزل بعد بضع دقائق " .

أومأ باركر ووضع مسدس سيدنى داخل جيب معطفه . ولاحظت سيدنى أنه يحمل مسدساً داخل جراب خاص به . ومما أصابها بالدهشة أكثر أنه التقط حقيبة يدها من على الأرض حيث سقطت أثناء هذه المعركة الصغيرة ومشى بها .

" لقد كنتم تراقبوننى ! " .

" إننى أحب أن أعرف من الذى يأتى ويذهب بعد ساعات العمل الرسمية للشركة . وهناك جهاز إلكترونى للنقر على نظام الدخول إلى المبنى . ولقد سررت جداً حينما رأيت اسمك وقد ظهر فى الساعة الواحدة والنصف صباحاً " . نظر جولدمان إلى المجلدات القانونية وقال : " أتقومين بعمل بعض الأبحاث القانونية أو ربما تحتذين حذو زوجك وتحاولين الاستيلاء على بعض الأسرار ؟ " .

كانت سيدنى ستصفع جولدمان على وجهه لولا أن بول بروفى أسرع إليها .

لم يكن جولدمان منزعجاً وقال : " ربما يمكننا الآن التحدث عن العمل " . تحركت سيدنى لتندفع بقوة من الباب ، ولكن سد بروفى عليها الطريق ودفع بها داخل المكتبة ثانية . حدقت سيدنى إليه قائلة : " إن تحولك من زميل فى إحدى المؤسسات الكبرى إلى سارق فى فندق فى نيو أورليانز يعد تحولاً كبيراً يا بول " . اختفت ابتسامة بروفى من على وجهه .

نظرت سيدنى إلى جولدمان : " إذا صرخت الآن ، قد يسمعنى أحد " .

رد عليها جولدمان ببرود وقال : " فى الواقع يا سيدنى ، ربما نسيت أن جميع المحامين قد غادروا مبكراً اليوم لحضور المؤتمر السنوى للمؤسسة فى فلوريدا . ولن يعودوا لعدة أيام . وللأسف فقد تم استدعائى للقيام بعمل غير متوقع وعلىَّ أن أسافر فى الصباح الباكر . وبول يقع فى نفس المأزق ، أما الآخرون فغير موجودين " .

ثم نظر جولدمان إلى ساعته وقال : " لذلك يمكنك أن تصرخى كما تشائين ، ومع ذلك فمن الأفضل أن تتعاونى معنا فى حقيقة الأمر " .

ضاقت عينا سيدنى ونظرت إلى كلا الرجلين وتساءلت : " عم تتحدث ؟ " .

" يجدر بنا أن نعقد ذلك الحوار فى مكتبى " . وتحرك جولدمان إلى الباب ثم أخرج مسدساً ليعمل على تدعيم ما قاله .

أغلق بروفى باب المكتب بالقفل . ناوله جولدمان المسدس وجلس خلف مكتبه ،وأشار إلى سيدنى أن تجلس أمامه ثم قال : " من المؤكد أنه كان شهراً مثيراً بالنسبة لك يا سيدنى " . أخرج جولدمان خطاب إنهاء خدمتها مرة أخرى وقال : " ولكننى أخشى أن يكون ارتكابك للجرائم مؤخراً قد أدى إلى إنهاء فترة تولى منصبك فى المؤسسة . ولن أندهش إذا قامت المؤسسة مع شركة تريتن جلوبال برفع دعوى مدنية ضدك . وربما دعوى جنائية أيضاً " .

ركزت سيدنى بصرها على جولدمان وقالت : " إنك تحتجزنى رغماً عنى باستخدام مسدسك ، وتحدثنى عن الأعمال الإجرامية ؟ "

" أنا وبول زميلان فى تلك المؤسسة ، وقد لاحظنا شخصاً غريباً داخل مكتبة المؤسسة يفعل شيئاً . وقد حاولنا معرفة ماذا يدور وماذا يفعل ؟ فقام بإخراج مسدس وصوبه نحونا . وتمكنا من أخذ المسدس منه ـ لحسن الحظ ـ قبل أن يصيب أحداً . ونحتجزه الآن إلى أن تصل الشرطة " .

" الشرطة ؟ " .

" أوه هذا صحيح ، إننى لم أتصل بالشرطة بعد . أليس كذلك ؟ كم أنا شارد الذهن " . توجه جولدمان إلى الهاتف ورفع السماعة ثم جلس على مقعده بدون أن يطلب الرقم . وقال : " أوه ، إننى تذكرت الآن لماذا لم أتصل بهم " . جاءت نبرته مستفزة لها : " أتريدين معرفة السبب ؟ " . لم ترد عليه سيدنى ، ولكنه استطرد

قائلاً : " إنك محامية الصفقة يا سيدنى . حسناً ، ماذا لو عرضت عليك صفقة ؟ طريقة تخلصك من هذا الوضع وأيضاً تحصلى منها على مكسب مادى ، بما أنك لست موظفة الآن " .

" تايلر ستون . ليست المؤسسة الوحيدة فى المدينة يا فيل " .

أجفل جولدمان عند سماعه اختصار اسمه وقال : " حسناً ، فى الواقع ، هذا ليس صحيحاً بالقدر الكافى فى موقفك ، كما ترين فليست هناك مؤسسات أخرى يمكن أن تقبلك ، لا هنا ، ولا فى أى مكان فى هذا البلد ، وربما فى العالم بأسره " .

كشف وجه سيدنى عن ارتباكها .

" لنكن عقلاء يا سيدنى " . ولمعت عينا جولدمان سريعاً حينما نطق بتلك الكلمات : " إن زوجك مشتبه به فى تفجير طائرة ، مما أدى إلى مقتل ما يقرب من مائتى شخص . والأدهى من ذلك أنه قد سرق أموالاً وأسراراً تقدر بمئات الملايين من الدولارات من أحد عملاء الشركة التى يعمل بها . ومن الواضح جداً أنه قد خطط لتلك الجرائم منذ فترة طويلة " .

" لم أسمعك تذكر اسمى بعد فى هذا السيناريو السخيف " .

" أنت على دراية كاملة بأكثر السجلات أهمية والتى تخص تريتن جلوبال ، وربما حتى زوجك لم يكن على علم بتلك السجلات " .

" هذا كان جزءاً من عملى . وهذا لا يديننى فى شىء " .

" كما يقال فى الدوائر القانونية ، وكما هو معروف فى أخلاقيات المهنة فإنه يجب تجنب الشبهات . أعتقد أنك قد خرقت هذا العرف منذ زمن " .

" كيف ؟ بأن أفقد زوجى ؟ بأن يتم طردى من عملى بدون تقديم أدنى دليل على جرمى ؟ لماذا لا نتحدث عن القضايا ؟ كأن

ترفع سيدنى آرتشر دعوى ضد تايلر ستون لأنها فصلتها من عملها بدون وجه حق ؟ ".

نظر جولدمان إلى بروفى وأومأ قليلاً . أدارت سيدنى رأسها لتنظر إليه ، وقد بدأت ذقنها ترتعش حينما رأت جهاز تسجيل صغيراً يخرج من جيبه .

قال بروفى بينما كان يضغط على زر التشغيل : " إن صوت التسجيل واضح جداً يا سيدنى كما لو كنت هناك فى نفس الغرفة ".

بعد دقيقة من الاستماع لحديثها مع زوجها ، التفتت سيدنى لتواجه جولدمان ، وتساءلت : " ماذا تريد بحق الجحيم ؟ "

" حسناً ، لنر . أعتقد أنه يجب علينا أولاً تحديد سعر السوق . ما قيمة هذا الشريط ؟ إنه يؤكد أنك كذبت على المباحث الفيدرالية ، وذلك فى حد ذاته جريمة ، ثم أنك قد ساعدت أيضاً على ارتكاب إحدى الجرائم ، وهذا شيء إضافى . لا أحد فينا ضليع فى القانون الجنائى ، ولكنى أعتقد أن الصورة اتضحت أمامك : لقد ذهب الأب ، والأم إلى السجن . كم يبلغ عمر ابنتك الصغيرة ؟ مأساة " . هز جولدمان رأسه بتعاطف مشوب بالسخرية .

قفزت سيدنى من على مقعدها وقالت : " عليك اللعنة يا جولدمان . عليكما اللعنة " . صرخت وهى تقول تلك الكلمات بغضب ثائر ، ثم اندفعت بقوة عبر المكتب ، وقبضت على رقبة جولدمان بكلتا يديها وكادت تخنقه لولا أن تقدم بروفى مرة أخرى لينقذ الرجل العجوز .

أخذ جولدمان يسعل ونظر إلى سيدنى بغضب بمجرد أن ابتعدت عنه واندفع قائلاً : " إذا لمستنى مرة أخرى سأزج بك إلى السجن " .

كانت سيدنى تتنفس بصعوبة وحدقت بشراسة إلى الرجل . وأخذت تحاول الإفلات من قبضة بروفى القوية ولكنها لم تستطع حيث أبقى المسدس مصوباً ناحيتها . أرخى جولدمان رابطة عنقه وفك قميصه ثم استعاد نبرته الواثقة وقال : " على الرغم من رد فعلك غير المهذب ، فإننى مستعد لأن أكون كريماً معك . وإذا نظرت إلى الأمور بعقلانية ، فسوف تقبلين العرض الذى سأعرضه عليك " . رفع جولدمان رأسه إليها ثم نظر لأسفل إلى المقعد .

جلست سيدنى أخيراً وقد كانت ترتعش وتتنفس بشكل غير منتظم .

" جيد ، الآن ، وبإيجاز بقدر الإمكان ، إليك الوضع الذى نحن فيه : أعلم أنك تحدثت مع روجر إيجرت ، المسئول حالياً عن صفقة سيبركوم . وأنت على دراية بآخر عرض قدمته تريتن للحصول على سيبركوم . هذا أيضاً أعلمه كحقيقة واقعة . والآن أنت أيضاً تمتلكين كلمة السر الخاصة بملف الحاسب الرئيسى الخاص بصفقة سيبركوم " . نظرت سيدنى بتجهم إلى جولدمان حيث قفزت أفكارها قبل كلماته . ثم استكمل قائلاً : " إننى أريد آخر شروط العرض وكذلك كلمة السر لملف الحاسب ، فى حالة إذا ما حدثت تغييرات فى آخر لحظة فى المفاوضات التى تجريها شركة تريتن " .

كان صوت سيدنى منخفضاً ومتأنياً ، وقد عاد تنفسها الآن إلى صورته الطبيعية . وقالت : " لابد أن شركة آر . تى . جى فى حاجة ماسة لسيبركوم بما أنهم سيدفعون لك أكثر من المعدل الطبيعى بالساعة حتى تخل بشرف المهنة ، فضلاً عن سرقة أسرار الشركة " .

استمر جولدمان وقال : " فى مقابل ذلك إننا مستعدون لأن ندفع لك عشرة ملايين دولار خالصة الضرائب طبعاً " .

" لضمان استقرارى الاقتصادى الآن بما أننى بدون وظيفة ؟ وكذلك لضمان صمتى ؟ " .

" شىء كهذا . عليك الاختفاء فى إحدى البلاد الأجنبية الصغيرة وتنشئة ابنتك فى رفاهية . حتى يتم الانتهاء من صفقة سيبركوم . وستستمر تريتن جلوبال . وستبقى تايلر ستون مؤسسة كبيرة . ولن يكون أحد أسوأ حالاً . أما البديل ؟ حسناً ، إنه شىء غير ممتع قليلاً بالنسبة لك . ولكن الوقت هو جوهر الموضوع . أريد ردك خلال دقيقة واحدة " . حدق الرجل فى ساعته وهو يعد الثوانى .

رجعت سيدني إلى الخلف في مقعدها وقد ارتخت مناكبها بينما كانت تفكر سريعاً فى الاحتمالات القليلة المتبقية لها . إذا وافقت ستصبح ثرية . وإذا لم توافق ربما قد تذهب للسجن . وماذا عن آمى ؟ فكرت فى جاسون وجميع الأحداث المزعجة التى حدثت الشهر الماضى والتى كانت أكثر من أن يتحملها شخص بمفرده . تصلبت سيدنى فجأة وهى تنظر إلى ملامح جولدمان التى كان يظهر عليها شعوره بالانتصار ، وشعرت بوجود بول بروفى والذى كان يقف خلفها مبتسماً فى سخرية .

كانت تعلم الخطوات التى ستتخذها .

إنها ستوافق على شروطهم ثم ستلعب بورقتها الخاصة . إنها ستعطى جولدمان المعلومات التى يريد الحصول عليها ، ثم ستذهب مباشرة إلى سوير وتخبره بكل شىء بما فى ذلك القرص . إنها تتمنى الحصول على أفضل صفقة وأن ينال جولدمان وعميله ما يستحقانه . إنها لن تصبح ثرية وربما ستقضى وقتاً بعيداً عن ابنتها فى

السجن ، ولكنها لن تربى آمى بنقود جولدمان المختلسة.. والأهم من ذلك أنها ستتمكن من تحمل مسئولية العيش بمفردها .

أعلن جولدمان : " لقد انتهى الوقت " .

ولم تتكلم سيدنى .

هز جولدمان رأسه ببطء ورفع سماعة الهاتف مرة أخرى . أخيراً أومأت سيدنى برأسها بشكل لاإرادى ، فنهض جولدمان من خلف مكتبه وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه وقال : " ممتاز ، ما الشروط وكلمة السر ؟ " .

هزت سيدنى رأسها وقالت : " إن موقفى ضعيف فى هذه الصفقة . المال أولاً ثم المعلومات . أو يمكنك الاتصال برقم ٩١١ " .

تردد جولدمان للحظة وقال : " حسناً كما تقولين ، إن موقفك ضعيف ، ولكن بسبب هذه الحقيقة تحديداً ، يمكننا أن نتحلى بالمرونة إلى حد ما . أليس كذلك ؟ " . هب جولدمان واقفاً وتحرك إلى الباب . وبدت الحيرة على سيدنى . شرح جولدمان قائلاً : " الآن وبعد أن توصلنا إلى اتفاق ، إننى أريد إبرام الاتفاق معك بالكامل قبل أن أتركك تذهبين . فقد لا نستطيع الوصول إليك فيما بعد " .

بينما نهضت سيدنى واستدارت ، وضع بروفى المسدس فى حزام الوسط الذى يرتديه ولمس كتفها بخفة عن عمد وكانت شفتاه قريبة من أذنها ، ثم قال : " بعدما تستقرين فى حياتك الجديدة ، قد ترغبين فى شريك وأرى إن لدى الكثير من وقت الفراغ والكثير من الأموال التى لا أعرف ماذا أفعل بها . فكرى فى الأمر " .

ضربت سيدنى بركبتها بروفى فى أعلى فخذه فطرحته أرضاً وقالت : " لقد حصلت تواً على شريك يا بول . وإننى لأحاول

جاهدة ألا أغضب . ابتعد عنى إذا كنت تريد الحفاظ على ما تبقى من رجولتك " .

مشت سيدنى مسرعة إلى الردهة وتبعها جولدمان مباشرة ، واستطاع بروفى أخيراً أن يتماسك ونهض من مكانه وكان وجهه شاحبًا ثم ترنح خلفهم .

كانت السيارة الليموزين تنتظرهم عند الطابق الأسفل عند الجراج بجوار المصعد ، وكان المحرك دائراً . أمسك جولدمان الباب بينما صعدت سيدنى إلى السيارة . كان بروفى لا يزال يحاول التقاط أنفاسه وقد مال وهو يتألم ودخل السيارة بعدهما وجلس أمام جولدمان وسيدنى . وكان الفاصل الزجاجى الداكن من خلفه مرفوعًا إلى آخره .

" لن يستغرق الأمر طويلاً حتى نعد الترتيبات اللازمة . وأرى أنه من مصلحتك أن تبقى فى منزلك الآن إلى أن تهدأ الأمور قليلاً ، ثم سنعمل على نقلك إلى مكان آخر فى غضون ذلك . ويمكنك أن ترسلى إلى ابنتك وتستدعيها وتعيش فى سعادة إلى الأبد " . كانت نبرة جولدمان يملؤها المرح .

جاء رد سيدنى عمليًا بشكل قاطع وقالت : " ماذا عن تريتن والمؤسسة ؟ ماذا عن القضايا التى يمكن أن تلاحقنى ؟ "

" أعتقد أننا سنهتم بكل هذه الأمور . لماذا تريد المؤسسة إقحام نفسها فى مثل تلك الورطة القانونية ؟ كما أن تريتن لا تستطيع حقًا إثبات أى شىء . أيمكنها ذلك ؟ "

" إذن . لماذا أعقد أنا اتفاقاً ؟ "

أمسك بروفى جهاز التسجيل الصغير ورفعه ، وكان وجهه مازال محمراً وقال : " بسبب هذا ، أيتها اللعينة . إلا إذا كنت تريدين قضاء باقى حياتك فى السجن " .

ظلت سيدنى هادئة وقالت : " إننى سآخذ هذا الشريط " .

هز جولدمان كتفيه وقال : " مستحيل فى الوقت الحالى . ربما فيما بعد ، عندما تعود الأمور إلى مسارها الطبيعى " .

نظر جولدمان إلى الفاصل الزجاجى وقال : " باركر ؟ "

انزلق الفاصل لأسفل .

" يمكننا الذهاب الآن يا باركر " .

امتدت الذراع خلال المساحة المفتوحة الآن بين الجانبين الأمامى والخلفى من السيارة حاملاً مسدساً . انفجر رأس بروفى وسقط ووجهه على أرض السيارة الليموزين . تلطخ جولدمان وسيدنى بدمائه التى تناثرت فى أجزاء السيارة . فغر جولدمان فاه وبات غير مصدق حيث تحول المسدس فى اتجاهه .

" يا إلهى ! لا يا باركر ! " .

استقرت الرصاصة فى جبهته وقد انتهت حياة فيليب جولدمان الطويلة كمحام متغطرس . ارتمى إلى الخلف فى مقعده من أثر صدمة الرصاصة ، وكان الدم يغطى وجهه والزجاج الخلفى ثم سقط فجأة على سيدنى التى صرخت ، حيث تحول المسدس الآن فى اتجاهها . غاصت أظافرها فى المقعد الجلدى من شدة رعبها . نظرت للحظة إلى الوجه الذى كان مغطى بقناع أسود ثم نظرت إلى فوهة المسدس اللامعة التى كانت تبعد عن وجهها مسافة خمس أقدام فقط ، وقد حفرت كل تفصيلة من تفاصيل المسدس فى ذاكرتها بينما كانت تنتظر موتها .

أشار المسدس فى اتجاه الباب الأيمن من السيارة الليموزين . وبينما جلست سيدنى متجمدة تحرك الذراع بصلابة أكثر ناحية الباب . كانت سيدنى ترتعش وغير قادرة على فهم ما يحدث غير الحقيقة الواضحة وهى أنها لن تموت ، واستطاعت دفع جسم جولدمان بصعوبة بعيداً عنها وأن تصعد على جسم بروفى . وبينما كانت تتخذ طريقها عبر المحامى القتيل ، انزلقت يدها على بقعة دم فسقطت فوقه . لمست يدها شيئاً صلباً تحت كتف بروفى . لفت سيدنى أصابعها حول المعدن . وبينما كانت تعطى ظهرها للرجل الذى يحمل المسدس ، استطاعت أن تأخذ مسدس بروفى وتدسه داخل جيب معطفها دون أن يلاحظ ذلك .

عندما همت سيدنى بفتح الباب ، ضربها شىء فى ظهرها . وبالرغم من الرعب الذى تملكها إلا أنها استطاعت أن تلتفت وتنظر إلى حقيبة يدها التى سقطت فوق جثة بروفى بعد أن سقطت منها ، ثم رأت قرص الحاسب الذى أرسله لها جاسون بينما اختفت اليد التى كانت تمسك به خلال الفاصل الزجاجى . وبيد مرتعشة التقطت سيدنى حقيبتها ، ودفعت لتفتح الباب الثقيل ثم سقطت خارج السيارة ، ثم ترنحت واقفة وجرت بكل ما لديها من قوة .

فى الخلف داخل السيارة الليموزين كان الرجل يميل من خلال الفاصل ، وبجواره فى المقعد الأمامى ، باركر وقد سقط فجأة وقد اخترقت صدغه الأيمن رصاصة . التقط الرجل بحذر جهاز التسجيل الصغير حيث سقط على مقعد الليموزين وسمع جزءاً صغيراً من الشريط . أومأ برأسه عندما سمع الأصوات ثم حرك جثة بروفى بحرص إلى الجانب ، ووضع جهاز التسجيل تحت جسده بعدة بوصات ثم تركه يسقط إلى وضعه الأصلى كما كان . ثم وضع الرجل القرص فى جيب بنطاله الخلفى . وكان آخر ما فعله هو أن قام

بحرص بالتقاط الرصاصات الثلاث الفارغة التى خرجت من المسدس ، فهو لن يجعل الأمر سهلاً للشرطة ، ثم خرج من السيارة ، وكان المسدس الذى استخدمه لقتل ثلاثة أشخاص محمولاً فى حقيبة واسعة ليتم تخبئتها بعيداً عن مسرح الجريمة ، ولكن ليس بعيداً جداً لدرجة أن تفشل الشرطة فى اكتشافها .

خلع كينيث سكاليز القناع الذى كان يرتديه . وتحت الأضواء الكاشفة فى الجراج الخالى لمعت العينان الزرقاوان اللتان تشعان بالرضا البالغ . فقد تم الانتهاء من عمل ليلة أخرى بنجاح .

ضغطت سيدنى على زر المصعد مرة تلو الأخرى إلى أن فتحت الأبواب أخيراً . اندفعت بقوة وارتمت على جدار المصعد . كانت مغطاة بالدم . وكانت تشعر به على وجهها ويديها . كان كل ما تستطيع فعله ألا تبدأ فى الارتعاش . وكانت تريد إزالته من عليها فحسب ، وبيد مرتعشة ضغطت على زر الطابق الثامن .

بمجرد أن دخلت إلى دورة المياه الخاصة بالسيدات ورأت صورتها المغطاة بالدم فى المرآة ، تقيأت فى البالوعة ثم سقطت على الأرض حيث أخذت تئن ، وكانت التنهدات الجافة تسحقها دون رحمة . استطاعت أخيراً أن تنهض وتغسل الدم بقدر المستطاع . واستمرت فى سكب الماء الساخن على وجهها إلى أن بدأت حرارته فى تهدئة جسدها المرتعش ، وظلت تخلل أصابعها المرتعشة فى شعرها باحثة عن أى شىء لا ينتمى إليها .

غادرت سيدنى دورة المياه وجرت فى الردهة إلى غرفة مكتبها وأمسكت بمعطف لا ينفذ إليه الماء كانت تحتفظ به هناك . وقد غطى بكفاءة بقايا الدم التى لم تستطع إزالتها ، ثم التقطت الهاتف وهمت أن تطلب رقم الطوارئ ٩١١ ، وكانت تمسك بيدها الأخرى

المسدس ، ففى أى لحظة قد تجد المسدس اللامع مصوباً فى اتجاهها مرة أخرى وعندها لن يتركها الرجل ذو القناع الأسود تعيش مرة ثانية . ضغطت سيدنى على رقمين ثم تجمدت يدها حيث تذكرت فجأة ما حدث . فى السيارة الليموزين : ماسورة المسدس التى كانت مصوبة إلى وجهها ، ثم صورتها وهى تلتف ناحية الباب ، ذلك حينما رأتها .

الحقيبة الصغيرة . الحقيبة الصغيرة المتشققة . لقد تشققت حينما أعادت المسدس إلى منزلها . لقد استولى الرجل على مسدسها الـ ٩ مللى وقتل به رجلين للتو .

تذكرت شيئاً آخر . الشريط الذى يحتوى على المحادثة التى دارت بينها وبين جاسون . لقد تمت إعادة ذلك الشريط أيضاً إلى هناك مع الرجلين المقتولين . اتضح الآن بجلاء السبب الذى كان وراء إبقاء سيدنى آرتشر على قيد الحياة . لقد تركوها حية ليزج بها إلى السجن بتهمة القتل . وكطفل يرتعد خوفاً زحفت إلى زاوية بعيدة من غرفة المكتب وارتمت بقوة على الجدار . كان جسدها يرتعش بدون أن تستطيع السيطرة عليه ، وكانت الدموع تنهمر من عينيها ويصدر منها الأنين بدون أدنى علامة للتوقف .

الفصل السابع والأربعون

كان سوير لا يزال يحدق فى صورة ستيفن بيدج . كان وجه الرجل الميت يكبر فى مخيلته أكثر فأكثر إلى أن ترك الصورة أخيراً والتفت بعيداً عنها قبل أن تبتلعه بالكامل .

صفع جاكسون جبهته وقال : " لقد افترضت أنها صورة لأحد أبناء ليبرمان وحسب . لقد كانوا جميعاً على مكتبه معاً . إننى لم أفكر مطلقاً أن لديه اثنين وليس ثلاثة أبناء ، ولم يبد لى حينها أن كل ذلك كان مهماً ، ثم عندما تحولت التحريات من ليبرمان إلى آرتشر ـــ " ، هز جاكسون رأسه فى أسى واضح .

جلس سوير على طرف المنضدة ، كان المقربون له فقط سيلاحظون أن عميل المباحث الفيدرالية المحنك كان أكثر ذهولاً من أى مرة فى حياته المهنية .

" إننى آسف يا لى " ، ألقى جاكسون نظرة سريعة على الصورة وانكمش من الخوف . ربت سوير برفق ظهر زميله وقال : " إنها ليست غلطتك يا راى . ففى ظل تلك الظروف لم تكن تلك الصورة تبدو ذات أهمية بالنسبة لى أيضاً " . هب سوير واقفاً وبدأ يتمشى : " ولكن الآن من المؤكد أنها ذات أهمية " ، وعلينا أن نتأكد أنها صورة ستيفن بيدج ، على الرغم من أننى لا يساورنى أدنى شك فى ذلك " . توقف سوير عن المشى فجأة ثم قال : " لم تتمكن الشرطة السرية فى نيويورك من استنتاج المصدر الذى حصل منه ستيفن بيدج على كل هذه الأموال ، أليس كذلك يا راى ؟ "

كان جاكسون مستغرقاً فى التفكير وقال : " ربما قام بيدج بابتزاز ليبرمان ، فقد كانا يعملان فى المجال المالى وفى نفس الدوائر المهنية . وقد يفسر ذلك مصدر الأموال التى حصل عليها بيدج " .

هز سوير رأسه : " يبدو أن هناك عدداً من الأشخاص يعرفون بأمر عشيقته ـ ليس هناك فرصة كبيرة للابتزاز . بالإضافة إلى أن معظم الناس لا يحتفظون بصور مبتزيهم ويعرضونها هكذا يا راى " .

بدا على جاكسون السذاجة واستطرد سوير قائلا : " إننى أعتقد أن الأمر أعقد من ذلك . ثم استند إلى جدار غرفة الاجتماعات وعقد ذراعيه وغاص برأسه على صدره وقال : " بالمناسبة ، ما آخر المعلومات التى حصلت عليها بشأن تلك العشيقة ؟ "

استغرق جاكسون دقيقة ليتفحص ملفاً ثم قال : " لا شىء على الإطلاق . لقد عثرت على عدد من الأشخاص الذين سمعوا بعض الإشاعات . ولقد أشاروا سريعاً إلى انها إشاعات غير حقيقية وقد انزعجوا بشدة بسبب ذكر أسمائهم أو دخولهم فى هذا الموضوع وكان علىّ أن أعاملهم باللين حتى يهدأوا . وكان ذلك أصعب ما فى الموضوع . كما أنهم جميعاً سمعوا عن تلك المرأة ويصفونها بأنها

جميلة ، بالرغم من أن كل وصف لها حصلت عليه كان يختلف قليلاً عما قبله . لكن ـــــ " .

" لكن لم يخبرك أحدهم بالتحديد بأنه قد تقابل فعلاً بتلك السيدة الغامضة " .

امتعض وجه جاكسون وتساءل : " نعم ، هذا صحيح ، ولكن كيف عرفت ذلك ؟ " .

أخذ سوير نفساً عميقاً وقال : " ألم تلعب تلك اللعبة عندما كنت طفلاً يا راى ، حيث يخبرك شخص بشىء ما وأنت تخبر شخصاً آخر ثم يخبر هو بدوره شخصاً آخر ؟ وعندما تصل إلى نهاية اللعبة ، تجد أنك لم تحصل على المعلومة التى قدمتها فى بداية اللعبة . وهكذا تبدأ الإشاعة وتنتشر ويصدق كل شخص أن هذه هى الحقيقة لدرجة أنهم يقسمون بأنهم رأوا ذلك الشىء بأنفسهم ، ولا يكون أى مما يقولون حقيقياً " .

" اللعنة ، نعم . إن جدتي تقرأ الأبراج وتعتقد بكل ما فيها وتتكلم كما لو كانت رأت فعلا ليز تايلور وهى تركب سفينة الفضاء مع ألفيس " .

" صحيح ، هذا ليس حقيقياً ، ولا مقدار خردلة منه مطلقاً ، ولكن الناس سيقولون لك إنه صحيح ، ويعتقدون بشدة فى أنه كذلك ، لأنهم ـ وببساطة ـ قرأوا عنه أو سمعوه ، خاصة إذا كانوا سمعوه من أكثر من شخص " .

" أتعنى أن ... " .

" أعنى أننى لا أعتقد بوجود السيدة الشقراء أصلاً يا راى . والأهم من ذلك ، إننى أعتقد أنه قد تم اختلاقها لغرض معين " .

" مثل ماذا ؟ " .

أخذ سوير نفساً عميقاً جداً قبل أن يجيبه : " لتغطية حقيقة أن آرثر ليبرمان وستيفن بيدج كانا شاذين جنسياً " .

ارتمى جاكسون على أحد المقاعد بينما كان يحدق إلى سوير وتساءل : " هل أنت جاد ؟ "

" لقد كانت صورة بيدج فى شقته بجوار صور أبنائه ؟ الرسائل الغرامية التى وجدتها فى الشقة ؟ لماذا لم يوقع عليها ؟ ولقد أثبت الفحص أن خط الرسائل يتطابق مع خط ستيفن بيدج . وأخيراً وليس آخراً ، بما أن بيدج مليونير ما الذى يجعله يعمل لديه ويتقاضى مرتباً منه ؟ "

" حسناً ، لكن لماذا يختلق قصة عن وجود سيدة ؟ إن هذا الموضوع قد يطيح بطلب ليبرمان للحصول على منصب رئاسة مجلس بنك الاحتياطى الاتحادى ؟ "

هز سوير رأسه وقال : " فى عصرنا هذا ، من يدرى يا راى ؟ لو كان ذلك هو معيار الحكم ، فإن عدداً كبيراً من القيادة السياسية فى هذا البلد كانوا سيحزمون أمتعتهم ويعودون إلى منازلهم . الحقيقة أن ذلك لم يمنعه من الحصول على أعلى منصب فى الحكومة الفيدرالية ، ولكن هل تظن أن النتيجة كانت ستكون هكذا إذا عُرف أن ليبرمان كان مصاباً بشذوذ جنسى ولديه عشيق رجل فى سن أبنائه ؟ ولتضع في اعتبارك أن المجتمع المالى فى هذا البلد من أكثر المجتمعات تحفظاً " .

" حسناً ، كان ذلك سيتسبب فى الإطاحة به من منصبه ، وذلك أمر مؤكد لاشك فيه . ولكن إذا تحدثنا عن معيارك المزدوج فى الحكم على الأمور ، فإن هذا يعنى أن لا بأس بارتكاب جريمة الزنا طالما يتم ذلك مع شخص من الجنس الآخر " .

" صحيح ، يقومون باختلاق علاقة كاذبة مع الجنس الآخر لتغطية العلاقة الشاذة الحقيقية . وقد اعتادوا عمل ذلك فى هوليوود مع الرجال الذين لم ينجذبوا إلى الجنس الآخر ، كما يقومون بتنظيم عقود زواج زائفة من أجل تيسير تلك العلاقات . لم يكن تدبير ليبرمان المضلل محكماً بالقدر الكافى . وربما تكون زوجته على دراية بتلك الحقيقة ، ولكنهما انفصلا منذ وقت طويل ولذلك لن تتكلم " .

مسح جاكسون حاجبه وقال : " يا إلهى ! " . ونظراً متحيراً إلى سوير . ثم أضاف : " إذا كان الموضوع هكذا ، إذن فإن موت ستيفن بيدج كان انتحاراً ؛ إذ ليس هناك سبب يدعو لقتله " .

هز سوير رأسه قائلاً : " بل هناك أسباب عديدة لقتله يا راى " .

" لماذا ؟ "

صمت سوير للحظة ، ونظر لأسفل وتحدث بهدوء قائلاً : " أتريد أن تخمن تخميناً علمياً عن كيفية إصابة ستيفن بيدج بفيروس الإيدز ؟ "

جحظت عينا جاكسون وتساءل : " ليبرمان ؟ "

نظر سوير لأعلى وقال : " إننى سأهتم فعلاً لكى أعرف ما إذا كان ليبرمان مصاباً بالإيدز أم لا " .

وظهرت فجأة الحيرة التى يشعر بها جاكسون قائلاً : " إذا كان بيدج يعلم أنه سينتهى ، ما كان ليظل صامتاً " .

" صحيح ، فالعدوى بمرض قاتل من أحد العاشقين لا يدعو أبداً لإظهار الولاء . وبما أن مستقبل آرثر ليبرمان المهنى مرهون بصمت بيدج ، فإننى أعتقد أن ذلك دافع كاف لقتله " .

" إذن يبدو أننا سنحتاج للتعامل مع هذه القضية من زاوية جديدة تماماً " .

" إننى أتفق معك . وحتى الآن ، لدينا العديد من التخمينات ، ولكن ليس لدينا شىء يمكننا تقديمه للنائب العام " .

نهض جاكسون من مقعده ، وبدأ فى ترتيب الملفات . ثم قال :

" إذن ، إنك تظن فعلاً أن ليبرمان قد استأجر من قام بقتل بيدج ؟ "

حينما لم يرد سوير على هذا السؤال ، التفت جاكسون ليجده محدقاً فى الفراغ .

" لى ؟ " ، نظر إليه سوير أخيراً وقال : " إننى لم أقل ذلك مطلقاً يا راى " .

" لكن ـــــ " .

" سأراك فى الصباح . احصل على قسط من النوم ، فإنك سوف تحتاج إليه " . نهض سوير ومشى إلى الباب المؤدى إلى خارج غرفة الاجتماعات .

وقال : " لدى شخص أريد التحدث إليه " .

" من ؟ " .

استدار سوير إلى الخلف سريعاً وقال : " تشارلز تايدمان رئيس بنك الاحتياطى الاتحادى فى سان فرانسيسكو . فلم تتح الفرصة لليبرمان للتحدث إليه " .

وخرج سوير تاركاً جاكسون منحنياً على كومة الملفات مستغرقاً فى التفكير .

الفصل الثامن والأربعون

نهضت سيدنى آرتشر من على الأرض حيث اختفى شعورها باليأس والخوف ، واستبدلتهما بدفعة قوية وهى رغبتها فى البقاء . فتحت أحد أدراج مكتبها وأخرجت جواز سفرها . لقد تم استدعاؤها خارج البلاد أكثر من مرة من خلال عملها كمحامية ، ولكنها الآن تريد السفر لأمر شخصى يتعلق بحياتها . ذهبت إلى المكتب المجاور لمكتبها ، وهو ينتمى إلى زميل شاب من مشجعى فريق أتلانتا برافز للبيسبول ، وقد عكس جزء من مكتبه ولاءه لهذا الفريق . أخذت قبعة لعبة البيسبول من على الرف ، ولفت شعرها الطويل إلى كعكة وثبتته بمشبك الرأس ، وأحكمت وضع القبعة على رأسها جيداً .

فكرت سيدنى فى فحص حقيبة يدها ، وما أثار دهشتها أنها وجدت أن محفظتها لاتزال تمتلئ بأوراق نقدية بمئات الدولارات باقية من رحلة نيو أورليانز . إن القاتل لم يلمس هذه النقود . خرجت سيدنى من المبنى ، وأوقفت سيارة أجرة ، وأخبرت السائق عن وجهتها ، وانزلقت بإعجاب فى مقعدها حيث كانت السيارة تسرع فى طريقها ، ثم أخرجت بحرص مسدس الراحل فيليب جولدمان من جيبها وأدخلته فى جراب الحزام الذى قد أعطاه لها سوير ثم زررت المعطف الواقى من المطر .

توقفت السيارة الأجرة أمام محطة يونيون وخرجت هى منها . لم تكن سيدنى لتمر خلال أمن المطار ومعها المسدس ، ولكن لن تقلق بهذا القدر إذا سافرت بالقطار . لقد كانت خطتها بسيطة ؛ حيث كانت ترغب فى الهروب إلى مكان آمن وتحاول فهم ما يحدث . ولقد خططت للاتصال بـ " لى سوير " ، ولكنها لم ترغب فى أن تكون فى نفس البلد حينما تتصل بعميل المباحث الفيدرالية . والمشكلة أنها قد حاولت مساعدة زوجها ، وكذبت على المباحث الفيدرالية ، وهو تصرف أحمق بالنظر إلى أحداث الماضى ، ولكن كان ذلك الشيء الوحيد الذى استطاعت عمله فى تلك الآونة . كان عليها مساعدة زوجها . كان يجب أن تقف بجانبه . والآن ؟ إن مسدسها الخاص موجود فى مسرح الجريمة ، وشريط محادثتها مع جاسون هناك أيضاً . وعلى الرغم من أنها كانت تبدو بريئة جزئيًا أمام سوير ، ماذا سيظن بها الآن ؟ إنها متأكدة الآن من أنه سيضع الأصفاد فى يدها . بدأت تغوص فى يأس مرة أخرى ، ولكنها استجمعت شجاعتها ، وقلبت ياقتها لمواجهة الرياح الثلجية ودخلت محطة القطار .

اشترت سيدنى تذكرة للنوم فى إحدى عربات القطار ميترولينر الذى سيتحرك بسرعة إلى مدينة نيويورك . كان القطار سيغادر فى غضون عشرين دقيقة وسيوصلها إلى مطار جيه . إف . كيه حيث ستشترى تذكرة ذهاب فقط فى الرحلة التى ستقلع فى الصباح الباكر إلى أى بلد ، ولم تكن متأكدة بعد أى بلد سيكون هذا . توجهت سيدنى إلى آلة سحب النقود فى الطابق الأسفل من محطة القطار ، ثم سحبت بعض الأموال النقدية . فبمجرد أن يتم إرسال نشرة إلى جميع المناطق سيتم التبليغ عنها وإلقاء القبض عليها . ثم خطر على بالها فجأة أنه ليس لديها ملابس أخرى وأنها يجب أن تسافر متسترة بقدر المستطاع والمشكلة التى واجهتها أنه لم يكن هناك أى من متاجر الملابس العديدة مفتوحاً فى المحطة فى ذلك الوقت ؛ لذا كان يجب عليها الانتظار حتى تصل إلى نيويورك .

ذهبت سيدنى إلى كابينة هاتف وفتحت مفكرتها الصغيرة فظهرت البطاقة الخاصة بالعميل لى سوير . ظلت تحدق إليها لفترة طويلة . " اللعنة ! يجب أن أفعل ذلك ، إننى مدينة للرجل " . اتصلت سيدنى برقم منزل سوير . وبعد أربع رنات سمعت آلة الرد تجيب عليها . ترددت قليلاً ثم أغلقت الهاتف . ثم اتصلت برقم آخر ، ظل الهاتف يرن عدداً غير محدد من الرنات إلى أن أجاب صوت يبدو على صاحبه النعاس .

" جيف ؟ " .

" من المتحدث ؟ "

" سيدنى آرتشر " .

استطاعت سيدنى أن تسمع فيشر وهو تحت غطائه ويتحسس بيده ربما يبحث عن المنبه وقال : " لقد انتظرت مكالمتك . ولكن يبدو أننى نمت " .

" ليس أمامى وقت طويل يا جيف . ولكن حدث شىء مرعب " .

" ماذا ؟ ماذا حدث ؟ " .

" من الأفضل ألا تعرف الكثير الآن " . توقفت سيدنى عن الكلام وظلت تعتصر ذهنها ثم قالت : " سأعطيك الرقم الذى يمكن أن تتصل بى عليه الآن يا جيف . أريدك أن تذهب إلى أى هاتف عمومى وتتصل بى ثانية " .

" يا إلهى ، إنها ... لقد تجاوزت الساعة الثانية صباحاً " .

" أرجوك يا جيف أن تفعل ما أطلبه فحسب ".

بعد قليل من التذمر وافق فيشر وقال : " أمهلينى خمس دقائق تقريباً . ما الرقم ؟ "

بعد ست دقائق رن الهاتف . التقطته سيدنى سريعاً وقالت : " هل تتحدث من هاتف عمومى ، أتقسم بذلك ؟ " .

" لقد حصلت على كلمة السر يا جيف . لقد كانت فى بريد جاسون الإلكترونى . لقد كنت محقة ، فقد تم إرسالها إلى العنوان الخطأ " .

" هذا رائع ، يمكننا قراءة الملف الآن" .

" لا ، لا نستطيع ".

" لِمَ لا ؟ " .

" لأننى فقدت القرص " .

" ماذا ؟ . كيف حدث ذلك ؟ " .

" لا يهم ، لقد ضاع . ولا يمكننى استرجاعه مرة أخرى " .

كان شعور سيدنى بالأسى واضحاً فى صوتها . ثم استجمعت أفكارها ورأت أنه يجب عليها أن تخبر فيشر بضرورة مغادرة المدينة لفترة من الوقت ، لأنه قد يكون فى خطر ، وخطر محدق ، وهذا ما

تعلمته من التجربة التى مرت بها فى المرآب . تجمدت سيدنى عند سماع كلمات فيشر .

" حسناً ، إنك محظوظة أيتها السيدة " .

" عمَّ تتحدث ؟ "

" إننى على وعى بالإجراءات الأمنية . فلقد فقدت العديد من الملفات على مر السنين والتى لم يتم عمل نسخ احتياطية لها يا سيدنى " .

" هل تعنى أنك فعلت ما أفكر فيه الآن يا جيف ؟ "

" حينما كنت بالمطبخ عندما كنا نحاول فك شفرة الملف ... " توقف جيف عن الكلام بطريقة تمثيلية ثم استطرد : " قمت بعمل نسختين من الملف . قمت بوضع واحدة على القرص الصلب الخاص بى ، والأخرى على قرص مرن آخر " .

لم تتمكن سيدنى من الكلام فى بادئ الأمر . وحينما تكلمت ، جاء ردها الذى جعل وجه فيشر يحمر خجلاً حيث قالت : " إننى أحبك يا جيف " .

" متى تريدين المجىء حتى يمكننا معرفة ما على القرص ؟ "

" لا أستطيع يا جيف " .

" لِمَ لا ؟ " .

" يجب أن أخرج من المدينة . أريدك أن ترسل القرص على العنوان الذى سأعطيه لك . أريدك أن ترسله إلىَّ بواسطة شركة فيدكس . أرسله أول شىء فى الصباح . أول شىء يا جيف " .

" إننى لا أفهم يا سيدنى " .

" لقد قدمت لى خدمة جليلة يا جيف ، ولكنى لا أريدك أن تتورط أكثر من ذلك . أريدك أن تعود للبيت ، وتأخذ القرص ، ثم

تذهب للإقامة فى أى فندق . فندق هوليدى إن فى أولد تاون ثم أرسل إلىَّ الفاتورة " .

" سيدنى ـــــ " .

" بمجرد أن يفتح مكتب فيدكس الموجود فى أولد تاون ، أريد أن تقوم بإرسال الطرد على الفور " . ثم كررت قائلة : " ثم اتصل بالمكتب وأخبرهم بأنك مددت فترة إجازتك لبضعة أيام أخرى . أين تعيش عائلتك ؟ " .

" فى بوسطن " .

" جيد ، اذهب إلى بوسطن وابق معهم . اركب الدرجة الأولى فى الطائرة إذا اضطررت لذلك . عليك أن تذهب وحسب " .

" سيدنى ! " .

" يجب أن أرحل خلال دقيقة يا جيف ، لذا ، لا تجادل معى . يجب أن تفعل كل شىء قلته لك تواً . إنها الطريقة الوحيدة حتى تظل آمناً " .

" إنك لا تمزحين ، أليس كذلك ؟ " .

" هل لديك شىء تكتب فيه ؟ " .

" نعم " .

" أخذت سيدنى تقلب صفحات مفكرتها وقالت : " اكتب هذا العنوان . وأرسل الطرد عليه " . فأعطته العنوان البريدى لوالديها ورقم هاتفهما فى بيل هاربور فى ماين . وقالت : " إننى حقاً آسفة لأنى ورطتك فى كل هذا ، ولكنك الوحيد الذى يمكن أن يساعدنى ، شكراً لك " ؛ ثم أغلقت سيدنى الخط .

وضع فيشر الهاتف فى مكانه ونظر في حذر حوله فى المساحة المظلمة ، ثم جرى إلى سيارته وقادها عائداً إلى بيته .

كاد فيشر يوقف سيارته عند حافة الرصيف حينما لاحظ شاحنة سوداء خلفه . وبينما كان يحدق فى الضوء الداكن ، استطاع أن يلمح رجلين فى المقعد الأمامى من الشاحنة . تسارعت أنفاسه فى الحال ، وقد انعطف ببطء عند منتصف الشارع وأسرع عائداً إلى قلب مدينة أولد تاون . لم ينظر إلى السائق حينما مر بجوار الشاحنة . وعندما نظر فى المرآة ثانية كانت السيارة تتعقبه .

أوقف فيشر سيارته فى أحد مواقف الانتظار أمام المبنى المكون من طابقين والمبنى بالطوب . ثم نظر إلى العلامة CYBER@CHAT . كان فيشر صديقاً مقرباً لمالك هذا المبنى وقد قام بإعداد أنظمة الحاسبات المتوفرة فى هذا المبنى " .

ظل المقهى مفتوحاً طوال الليل ، حتى فى هذه الساعة المتأخرة كان يعج برواده الذين كان معظمهم فى سن الجامعة والذين لم يكونوا مضطرين للاستيقاظ مبكراً والذهاب إلى العمل فى الصباح التالى . ولكن بدلاً من الموسيقى الصاخبة ، والرواد المشاكسين ، والجو المعبأ بدخان السجائر (كان التدخين ممنوعاً بسبب وجود أجهزة الحاسبات الحساسة) كان المكان من الداخل يمتلئ بأصوات ألعاب الحاسب ، والمناقشات القوية حول ما يمر على شاشات الحاسبات ولكن بصوت منخفض .

وجد فيشر صديقه ، مالك المقهى ، وهو شاب فى العشرينات كان يجرى حواراً لتكوين صداقة جديدة . شرح فيشر إلى صديقه موقفه حتى يتمكن من مساعدته . وناوله بحذر الورقة المدون بها العنوان فى ماين والذى قد أعطته له سيدنى . اختفى مالك المقهى فى الغرفة الخلفية . وفى غضون خمس دقائق كان فيشر جالساً أمام أحد الحاسبات . وبينما كان يحدق من نافذة المقهى ، وجد

الشاحنة السوداء وقد وقفت فى ممر ضيق عبر الشارع . التفت فيشر مرة أخرى إلى الحاسب .

أحضرت النادلة كوباً من القهوة ، وبينما كانت تضع الكوب بجانب الحاسب ، وضعت منديلاً من الكتان بجواره . كان بداخل المنديل المثنى جيداً قرص مرن فارغ سعته ثلاث بوصات ونصف البوصة . قام فيشر بفك المنديل بهدوء دون أن يبدى أى اهتمام ، وأدخل القرص سريعاً إلى مشغل الأقراص المرنة بالحاسب ، ثم ضغط على مجموعة من الأرقام حتى تم سماع الاتصال بمودم الهاتف . فى دقيقة واحدة كان فيشر متصلاً بحاسبه الموجود بالبيت . وقد استغرق الأمر منه حوالى ثلاثين ثانية لتحميل ملفات الحاسب التى قام بنسخها من قرص سيدنى على القرص الفارغ . ثم ألقى نظرة من النافذة ثانية ، فوجد أن الشاحنة لم تتحرك .

حضرت النادلة إلى منضدته ، وكان واضحاً أنها على دراية بخطته وسألته إذا ما كان يريد أى شىء آخر . كان على الصينية التى تحملها ظرف مبطن من أظرف فيدكس وقد دُوِّن عليه العنوان ببيل هاربور . نظر فيشر من النافذة مرة أخرى . وفى الشارع لمح شرطيين يقفان بجوار سيارة الدورية يتجاذبان أطراف الحديث .

عندما مدت النادلة يدها لتتناول القرص ، حيث كان ذلك جزءاً من الخطة والتى أخبرها بها مالك المقهى سريعاً ، هز فيشر رأسه ، وقد تذكر تحذير سيدنى له . لم يكن يرغب فى توريط أصدقائه بدون داعٍ فى أى من هذه المشاكل ، والآن ربما يجب عليه ألا يفعل ذلك . همس إلى النادلة التى أومأت وأخذت ظرف فيدكس إلى الغرفة الخلفية وعادت بعد دقيقة ، وناولت فيشر ظرفاً مبطناً آخر . نظر إليه وابتسم حينما رأى علامة البريد على الظرف . لقد كان صديقه ذكياً جداً فى تقديره لعواقب إرسال هذا الطرد الصغيرة

بالبريد العادى ، حيث لن يتم إرجاعه بسبب أجرة البريد غير الكافية . لن يكون ذلك سريعاً مثل فيدكس ، ولكن يجب فعل ذلك فى مثل هذه الظروف ، وهذا ما استنتجه فيشر . فوضع القرص داخل الظرف وأغلقه بإحكام ثم وضعه داخل جيب معطفه . دفع بعد ذلك فاتورة حسابه ، تاركاً إكرامية ضخمة للنادلة .

بينما خرج فيشر من المقهى ومشى ناحية سيارته ، أضىء نور الشاحنة الأمامى واستطاع فيشر أن يسمع صوت المحرك يعمل . توجهت الشاحنة ناحيته . بدأ فيشر يترنح فى مشيته ثم يغنى بصوت عال . أدار الشرطيان الواقفان فى الشارع رأسيهما ناحيته ، وقد حياهما بطريقة مبالغ فيها ثم انحنى لهما قبل أن يسقط داخل سيارته ، وبدأ تشغيل محرك السيارة وقادها ناحية الشرطيين على الجانب الخطأ من الشارع .

بينما كان الشرطيان يندفعان إليه بقوة وسرعة زادت سرعة سيارته عن السرعة المسموح بها وأخذت إطارات سيارته تصدر أصواتاً صاخبة نتيجة احتكاكها بالأرض . أسرع الشرطيان وقفزا داخل سياراتهما . كانت الشاحنة تتبعه من مسافة آمنة ولكنها ابتعدت عنه عندما لحقت سيارة الشرطة بفيشر . كانت قيادته الخطرة تؤكد أنه سيتم إلقاء القبض عليه وارساله فى رحلة سريعة إلى قسم الشرطة .

صرخ الشرطى من المقعد الأمامى : " أتمنى أن تعرف محامياً جيداً أيها الرجل " .

كان رد فيشر واضحاً جداً وتشوبه مسحة من الدعابة والمرح : " فى الواقع إننى أعرف عدداً منهم أيها الشرطى " .

تم أخذ بصمات أصابع فيشر داخل قسم الشرطة وتم مصادرة متعلقاته . وقد تم السماح له بإجراء مكالمة هاتفية واحدة فقط . وقبل

ذلك طلب من الضابط الجالس على المكتب أن يسديه معروفاً . وبعد دقيقة شاهد فيشر الظرف المبطن وقد تم وضعه داخل ممر البريد الخاص بقسم الشرطة ، وهو البريد المعروف باسم " البريد الحلزونى " . ولو استطاع أصدقاؤه الآن رؤيته لوجدوا فيشر متخذاً طريقه إلى زنزانة الحجز وهو يصفر بمرح وسعادة .

لمفاجأته السارة ، لم يكن لى سوير مضطراً للسفر إلى كاليفورنيا للحديث مع تشارلز تايدمان . فبعدما أجرى مكالمة هاتفية ببنك الاحتياطى الاتحادى ، علم سوير أن تايدمان فى واشنطن بالفعل لحضور أحد الاجتماعات . وعلى الرغم من أن الساعة قاربت الثالثة صباحاً ، إلا أن تايدمان مازال يعمل ساعته على توقيت الولايات الغربية وقد وافق سريعاً على التحدث إلى عميل المباحث الفيدرالية فى الحقيقة ، كان يبدو لسوير أن مدير بنك الاحتياطى الاتحادى بسان فرانسيسكو متلهف على التحدث إليه .

كان تايدمان يقيم بفندق فور سيزونز فى مدينة جورج تاون حيث جلس سوير وتايدمان فى مقابل بعضهما فى غرفة خاصة مجاورة لمطعم الفندق والذى قد أغلق قبل عدة ساعات من ميعاده . كان تايدمان رجلاً ذا جسم ضئيل ، ذقنه محلوقة جيداً ، فى أوائل الستينات ، والذى كان لديه عادة القبض على يديه وبسطها بعصبية . حتى فى هذه الساعة من الليل كان يرتدى قميصاً مقلماً رمادياً وعليه صُدرة وبابيون ، وتمتد على الصُدرة سلسلة ساعة ذهبية ذات ذوق رفيع . وكان مظهره المتحفظ يتناسب أكثر مع الولايات الشرقية أكثر من الغربية . علم سوير سريعاً من الحوار المبدئى الذى أجراه مع تايدمان أنه قد قضى سنوات عديدة فى نيويورك قبل أن يتوجه إلى كاليفورنيا . وفى الدقائق القليلة الأولى

من مقابلتهما كان تايدمان من حين لآخر يحاول النظر إلى عين عميل المباحث الفيدرالية مباشرة ، مبقياً دائماً عينيه الرماديتين الباهتتين - واللتين كانتا تعلوهما نظارة ذات إطار سلكى ضعيف - مباشرة على الأرضية المغطاة بالسجاد .

قال سوير : " أعتقد أنك تعرف آرثر ليبرمان جيداً " .

" لقد التحقنا بجامعة هارفارد معاً . وبدأنا معاً فى نفس المؤسسة البنكية . كنت أنا المسئول عن تنظيم حفل زفافه ، وهو كان المسئول عن تنظيم حفل زفافى . لقد كان واحداً من أقدم وأعز أصدقائى " .

استغل سوير فرصة فتح هذا الموضوع وقال : " لقد انتهى زواجه بالطلاق ، صحيح ؟ " .

نظر تايدمان إلى العميل وأجاب : " هذا صحيح " .

فتح سوير مفكرته وقال : " فى الواقع ، كان ذلك فى نفس الوقت الذى ترأس فيه مجلس بنك الاحتياطى الاتحادى ؟ " .

أومأ تايدمان .

" توقيت سيء " .

" يمكنك قول ذلك " . سكب تايدمان كوباً من الماء من الوعاء الزجاجى الموضوع فوق المنضدة المجاورة لمقعده ، وارتشف رشفة كبيرة ، حيث كانت شفتاه الرفيعتان جافتين ومتشققتين " .

" لقد علمت أن موضوع الطلاق كان مكروهاً فى بادئ الأمر بالنسبة لهما ولكنهما توصلا إلى ذلك سريعاً ، إلا أنه لم يؤثر فى حقيقة الأمر على ترشيحه لرئاسة المجلس . أعتقد أن ليبرمان كان محظوظاً " .

لمعت عينا تايدمان وتساءل : " أتريد أن تسمى ذلك حظاً ؟ "

" كل ما قصدته هو أنه قد حصل على وظيفة رئاسة المجلس . إننى أفترض بما أنك صديق شخصى ومقرب إلى آرثر ربما تعلم

الكثير عن ذلك الموضوع أكثر من أى شخص آخر " . ونظر سوير إلى تايدمان بعينين متسائلتين صريحتين .

لم يقل تايدمان أى شىء لمدة دقيقة كاملة ، ثم زفرة زفرة عميقة وخلع نظارته واستقر للخلف فى مقعده وعندئذ نظر إلى سوير مباشرة .

" بما أنه قد أصبح فعلاً رئيساً للمجلس ، فإن ذلك قد كلف آرثر من أمواله التى دفعها لزوجته السابقة لتسوية طلاقهما ، يا سيد سوير . ولم يكن ذلك منصفاً لرجل كافح كثيراً من أجل اكتساب هذه الأموال " .

" لكنه كان يتقاضى مقابلاً نظير رئاسته للمجلس . لقد عرفت مرتبه الشهرى ، فقد كان يبلغ مائة وثلاثين ألفاً وستمائة دولار سنوياً . إنه كان أفضل من الكثيرين غيره " .

ضحك تايدمان قائلاً : " قد يكون ذلك صحيحاً ، لكن قبل أن ينضم إلى مجلس بنك الاحتياطى الاتحادى ، كان يكسب مئات الملايين من الدولارات . ونتيجة لذلك ، كان لديه ذوق غال فى كل شىء ، وتعرض لبعض الديون " .

" الكثير من الديون ؟ "

تحولت عينا تايدمان إلى الأرض ثانية وقال : " لنقل إن ديونه كانت أكثر مما كان يستطيع سداده من المرتب الذى يتقاضاه من البنك ، بالرغم من ضخامته الكبيرة نسبياً " .

ترك سوير هذه المعلومة جانباً حينما سأل سؤالاً آخر : " ما معلوماتك عن والتر بيرنز ؟ "

نظر تايدمان بحدة إلى سوير وقال : " ماذا تريد أن تعرف ؟ "

أجاب سوير ببراءة : " مجرد خلفية عامة عنه " .

حك تايدمان شفته متحيراً ونظر إلى مفكرة سوير . لاحظ سوير نظرته فأغلق المفكرة فجأة وقال : " إننى لا أقوم بتسجيل ما نقول " .

نظر السيد تايدمان بإذعان إلى سوير وقال : " ليس لدى شك فى أن بيرنز سيخلف آرثر كرئيس للمجلس ؛ فهو مناسب لذلك المنصب . لقد كان يوافق على آراء آرثر دائماً . فأى شىء يصوت عليه آرثر ، يصوت عليه والتر " .

" هل كان ذلك شيئاً سيئاً ؟ "

" ليس دائماً " .

" ماذا يعنى ذلك ؟ "

أصبحت تعبيرات الرجل الضئيل يبدو عليها الاندهاش بشدة حينما ركز على وجه العميل وقال : " إن ذلك يعنى أنه ليس من الحكمة مطلقاً أن توافق أحداً ببساطة حينما يفرض الرأى الصائب شيئاً آخر " .

مال سوير إلى الخلف فى مقعده وقال : " ذلك يعنى أنك لم تتفق مع ليبرمان دائمًا " .

لم يكن تايدمان ينظر للعميل الآن . غير أن قسماته قد كشفت عما كان يدور بذهنه . كان واضحاً جداً أنه قد ندم بشدة على الموافقة على تلك المقابلة .

" هذا يعنى أن أعضاء مجلس بنك الاحتياطى الاتحادى قد تم اختيارهم لهذا المجلس ليعبروا عن أفكارهم الخاصة وآرائهم الخاصة وليس للإذعان دون تفكير للمجادلات التى لا يكون لها أساس من الصحة والتى قد تؤدى إلى نتائج خطيرة " .

" هذا تصريح مهم جداً " .

" حسناً لأن العمل الذى نقوم به فى غاية الأهمية أيضاً " .

أشار سوير إلى ملاحظاته عن الحوار الذى أجراه مع والتر بيرنز وقال : " قال بيرنز إن ليبرمان قد أمسك بزمام الأمور جيداً منذ البداية ليجذب انتباه سوق المال ، ولكى يزلزله . أعتقد أنك لا تحسب ذلك فكرة جيدة " .

" إذا قلنا إنها تدعو إلى السخرية فإن ذلك سيكون مصطلحاً أفضل " .

" إذا كانت بعيدة عن ذلك جداً ، فلماذا يتبعها الغالبية العظمى ؟ " ، وكان سوير مرتاباً بعض الشىء .

" هناك عبارة يرددها منتقدو نظرية التنبؤات الاقتصادية تقول : " أعط عالم الاقتصاد النتيجة التى تريدها ، وهو سيوجد الأرقام التى تبررها . وهذه المدينة تمتلئ بمحترفى استخدام الأرقام الذين ينظرون إلى نفس البيانات ويفسرونها بطرق مختلفة ويطبقونها على كل شىء بدءاً من عجز الموازنة فى الحكومة الفيدرالية إلى الفائض من المال فى التأمين الاجتماعى " .

" هذا يعنى أن تلك البيانات يمكن استغلالها " .

" طبعاً يمكن ذلك ، بالاعتماد على من الذى سيدفع والذى يتم تأييد البرنامج السياسى الخاص به " . قال تايدمان بعنف : " من المؤكد أنك سمعت عن النظرية التى تقول إن لكل فعل رد فعل مساو له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه ؟ " أومأ سوير . واستطرد تايدمان : " حسناً ، إننى مقتنع بأن منشأها سياسى وليس علمياً " .

" ليس هناك ازدراء ، ولكن هل من الممكن أنهم كانوا يظنون أن آراءك خاطئة ؟ " .

" إننى لست معصوماً من الخطأ أيها العميل سوير . ولكننى كنت أعمل فى مجال الأسواق المالية على مدار الأربعين سنة

الماضية . ورأيت الأسواق وهى ترتفع وتهبط . ورأيت العديد من النظم الاقتصادية القوية وأخرى غير ثابتة حتى انهارت . ولقد رأيت أيضاً رؤساء لمجلس بنك الاحتياطى الاتحادى يأخذون خطوات فورية وفعالة عندما تواجههم إحدى المشاكل ورأيت آخرين يتعثرون ويتخبطون بشدة ؛ الشىء الذى أدى إلى أن ينقلب الاقتصاد رأساً على عقب . وأنه ليس من الحكمة أن نعمل على زيادة معدل عائد استثمارات بنك الاحتياطى ، فهذه النسبة يمكن أن تكلفنا مئات الآلاف من الوظائف وحتمياً تعمل على تدمير جميع قطاعات الاقتصاد . إنها قوة هائلة لا يجب الاستهانة بها . إن تذبذب آرثر فى معدل الفائدة التى يفرضها بنك الاحتياطى الاتحادى قد وضع المستقبل الاقتصادى لكل مواطن أمريكى فى خطر محدق . لم أكن مخطئاً " .

" كنت أظن أنك وليبرمان مقربان . ألم يطلب منك النصيحة ؟ "

لمس تايدمان زر معطفه بإصبعه بعصبية وقال : " كان آرثر يتحرى مشورتى سابقاً . ولكنه توقف عن ذلك منذ ثلاث سنوات تقريباً " .

" هل هذه هى الفترة التى تذبذب فيها آرثر فى المعدلات بالارتفاع والانخفاض ؟ "

أومأ تايدمان وقال : " ذلك ما استنتجته أخيراً ، مثل الآخرين فى بنك الاحتياطى الاتحادى ، إن آرثر قد وجه ضربة قوية إلى السوق المالى . ولكن لم يكن ذلك مهمة مجلس إدارة البنك ، فإن ذلك خطر بدرجة كبيرة . لقد عشت خلال المراحل الأخيرة من الكساد الاقتصادى الهائل ، وليس لدىَّ رغبة فى أن أشهد ذلك ثانية " .

" أعتقد أنه لم يخطر على بالى أبداً مدى القوة التى كان يستخدمها مجلس إدارة بنك الاحتياطى الاتحادى بمهارة " .

نظر تايدمان إلى سوير متجهماً : " هل تعلم أننا حين نقرر زيادة معدل الفائدة يمكننا معرفة ـ وبالتحديد ـ عدد الشركات التى ستعلن إفلاسها ، وعدد الأشخاص الذين سيفقدون وظائفهم ، وعدد المنازل التى ستغلق مقدماً ؟ لدينا كل تلك البيانات التى تمت دراستها بدقة وعناية . بالنسبة لنا إنها مجرد أرقام . وإننا لا ننتظر أبداً ، بصورة رسمية ، إلى ما وراء تلك الأرقام وإذا فعلنا ذلك ، فإننى لا أعتقد أن من بيننا من يستطع تحمل هذه الوظيفة . وأنا شخصياً ، أعلم أننى لن أستطع . وربما إذا بدأنا تعقب إحصائيات جرائم الانتحار والقتل والجرائم الأخرى ، سنكون أكثر دراية بالقوى الهائلة التى نملكها ونؤثر بها على المواطنين " .

نظر إليه سوير بانتباه متسائلاً : " قتل ؟ انتحار ؟ "

" من المؤكد أنك ستكون أول من يعترف بأن الأموال هى.أساس كل شر . أو ربما بصورة أدق فإن نقص الأموال هو أساس كل شر " .

" يا إلهى . إننى حقاً لم أفكر بهذه الطريقة مطلقاً . إنكم تملكون المقدرة على ... " .

" يا إلهى ! " . لمعت عينا تايدمان واستطرد : " هل تعلم كم يساوى حجم الأموال التى ينفقها بنك الاحتياطى الاتحادى للحفاظ على سياسته وليضمن أن الأنظمة البنكية التجارية تعمل بسهولة ؟ "

هز سوير رأسه . واستطرد تايدمان قائلاً : " تريليون دولار يومياً " .

جلس سوير مذهولاً ثم قال : " هذه أموال طائلة يا تشارلز " .

" لا ، إنها مزيد من القوة يا سوير . إننا من أفضل من يحافظ على الأسرار فى هذا البلد . فى الحقيقة ، لو كان بعض المواطنين

على دراية كاملة بما يمكننا عمله وما كنا نقوم بعمله بصفة مستمرة فى الماضى ، أعتقد أنهم سيقتحمون الجدران ، وسيقذفون بنا جميعاً إلى سجن تحت الأرض إن لم يكن ما هو أسوأ من ذلك . وربما يكونون على حق فى ذلك " .

نظر سوير لأسفل إلى ملاحظاته وقال : " هل تعلم التواريخ التى حدث بها تلك التغيرات فى المعدلات ؟ " .

أفاق تايدمان من تأملاته وقال : " لا أستطيع الإجابة من الذاكرة . وهذا اعتراف مذهل بالنسبة لموظف فى بنك ، لكن لم أعد أتذكر الأرقام جيداً ، وبالرغم من ذلك يمكننى إحضار المعلومات التى تريدها " .

" إننى أقدر لك هذا . هل هناك سبب آخر وراء تغيير ليبرمان لمعدلات الفائدة ؟ " ـ استطاع سوير أن يرى الآن وبوضوح علامات القلق الممتزج بالخوف على قسمات الرجل .

" ماذا تقصد ؟ " .

أسند سوير ظهره إلى المقعد وقال : " إنك قلت إن ذلك كان غريباً عليه ، ثم عاد فجأة إلى حالته الطبيعية . ألم يبد ذلك التصرف غامضاً بالنسبة لك ؟ " .

" أعتقد أننى لم أفكر فى ذلك الأمر مطلقاً فى تلك الليلة . وأخشى ألا أفهم قصدك " .

" لأوضح لك . ربما كان آرثر يقوم بالتلاعب فى معدلات الفائدة رغماً عن إرادته " .

ارتفع حاجبا تايدمان متسائلاً : " كيف يمكن لأى شخص أن يجعل آرثر يفعل ذلك ؟ " .

قال سوير ببساطة : " الابتزاز . ألديك أية نظريات ؟ "

استعاد تايدمان تجميع أفكاره ثم بدأ يتكلم بعصبية : " لقد سمعت بعض الإشاعات عن أن آرثر كان على علاقة بسيدة منذ سنوات . سيدة ــــ " .

قاطعه سوير قائلاً : " إننى غير مقتنع بذلك ولا أنت أيضاً . لكن ليبرمان قد دفع لزوجته ليتجنب الفضيحة حتى يمكنه تولى إدارة هيئة الادخار الفيدرالية ، ولكن لم يكن الأمر متعلقاً بسيدة " .

ومال سوير إلى الأمام حتى أصبح وجهه على بعد بوصات من وجه تايدمان . وقال : " ما المعلومات التى يمكنك أن تخبرنى بها عن ستيفن بيدج ؟ " .

تجمد وجه تايدمان ولكن للحظة فقط ثم قال : " من ؟ " .

" قد تذكرك هذه " . مد سوير يده داخل جيبه وأخرج الصورة التى عثر عليها راى جاكسون داخل شقة ليبرمان . ورفع الصورة لأعلى أمام تايدمان .

أخذ تايدمان الصورة بيدين مرتعشتين ، ومالت رأسه لأسفل بينما تجعدت جبهته . بيد أن سوير استطاع أن يرى تعرف الرجل على الصورة من خلال نظرته .

سأله سوير بهدوء : " منذ متى كنت تعرف بهذا الأمر ؟ "

تحرك فم تايدمان ولكن دون أن يتفوه بأية كلمة . ناول تايدمان أخيراً الصورة ثانية إلى سوير ثم ارتشف رشفة ماء أخرى . ولم يكن ينظر إلى سوير بينما كان يتكلم ، مما جعل الكلمات تخرج بسهولة أكثر : " لقد كنت أنا ، فى الواقع ، الذى عرفتهما ببعض " .

وكان ذلك رد تايدمان المفاجئ ثم أكمل قائلاً : " كان ستيفن يعمل لدى شركة فيدلتى موتشوال كمحلل مالى . وكان آرثر مازال رئيساً لبنك الاحتياطى الاتحادى بنيويورك فى ذلك الوقت . ولقد قدمته إلى ستيفن فى ندوة مالية ، ولقد مدحه كثير من زملائى الذين

أحترمهم . كان شاباً ذكياً على نحو ممتاز لديه بعض الأفكار عن الأسواق المالية أثارت فضول الحاضرين وعن الدور الذى تقوم به هيئة الادخار فى تنمية الاقتصاد العالمى . كان حسن المظهر ، ومثقفاً ، وجذاباً وقد كان من ضمن الأوائل فى كليته . وقد علمت أن آرثر قد وجده إضافة حميدة إلى دائرة معارفه المثقفين . وقد تكونت بينهما صداقة سريعاً " . وتلعثم تايدمان .

سأله سوير فوراً : " صداقة تتطورت أخيراً إلى شىء آخر ؟ " .

أومأ تايدمان .

" هل كنت تعلم فى ذلك الوقت أن ليبرمان كان مصاباً بشذوذ جنسى ؟ " .

" كنت أعلم أن زواجه كانت تواجهه العديد من المشاكل ، ولكننى لم أكن أعلم فى ذلك الوقت أن تلك المشاكل قد نشأت بسبب شذوذه الجنسى " .

" يبدو أنه حل هذه المشاكل بتطليق زوجته " .

" لا أعتقد أن هذه كانت فكرة آرثر . وأظن أن آرثر سيكون سعيداً جداً إذا ما حافظ على المظهر الخارجى للزواج الطبيعى السعيد على الأقل . أعلم أن هناك العديد والعديد من الأشخاص من هذه النوعية فى هذه الأيام ، ولكن آرثر كان رجلاً خاصاً جداً كما أن المجتمع المالى متحفظ بشكل كبير " .

" إذن أرادت زوجته الطلاق ، هل كانت تعلم بأمر بيدج ؟ "

" هويته المحددة ؟ لا ، لا أعتقد ذلك . ولكنى أعتقد أنها كانت تعلم أن آرثر كانت لديه علاقة سرية ، وأنها لم تكن علاقة مع امرأة . وأعتقد أيضاً أن لهذا السبب أصرت على الطلاق . وكان على آرثر التحرك بسرعة خشية أن تخبر زوجته محاميها عن شكوكها . وقد كلفه ذلك كل سنت كان يمتلكه . وقد أخبرنى آرثر

بهذه المعلومة على أنها أكبر سر شخصى يمكن لصديق أن يطلع صديقه عليها . وإننى أخبرك به أيضاً تحت نفس شروط السرية القصوى " .

قال سوير : " إننى أقدر لك ذلك يا تشارلز . وعليك أن تفهم جيداً أنه إذا كان ليبرمان هو السبب وراء تفجير تلك الطائرة وسقوطها ، فعلى التحرى وراء جميع الاحتمالات لحل لغز تلك الجريمة . ولكننى أعدك بأننى لن أستخدم هذه المعلومة التى أخبرتنى بها تواً إلا إذا كانت تؤثر مباشرة على التحريات التى أقوم بها . وإذا اكتشفت أن شذوذ ليبرمان ليس له أية صلة فلن يعرف أى شخص منى عما أخبرتنى به حالاً . هل ذلك يكفى ؟ "

قال تايدمان أخيراً : " هذا يكفى جداً . شكراً لك " .

لاحظ سوير الارهاق البادى على تايدمان وقرر الاستمرار سريعاً فسأله : " هل تعلم بظروف وفاة ستيفن بيدج ؟ "

" لقد قرأت عنها فى الصحف " .

" هل تعلم أنه كان مصاباً بفيروس الإيدز ؟ " .

هز تايدمان رأسه .

رجع سوير إلى الخلف فى مقعده وتساءل : " سؤالان آخران . هل تعلم أن ليبرمان كان مصاباً بسرطان البنكرياس ؟ " . أومأ تايدمان . وسأل سوير : " كيف كان شعوره تجاه هذا المرض ؟ هل كان مدمراً ؟ أو كان يشعر بالألم ؟ "

لم يرد تايدمان فى الحال وجلس هادئاً ، ضاماً يديه فى حجره ، ثم نظر إلى سوير وقال : " فى الواقع ، كان يبدو على آرثر أنه سعيد " .

" كان يموت ويبدو سعيداً ؟ " .

" أعلم أن ذلك يبدو غريباً ، ولكنها الطريقة الوحيدة التى يمكننى وصفه بها . كان سعيداً ويشعر بارتياح " .

شكر عميل المباحث الفيدرالية المتحير تايدمان وتركه ؛ وكانت رأسه تسبح فى مجموعة جديدة بالكامل من الأسئلة التى لم يكن هناك طريقة للإجابة عنها .

الفصل التاسع والأربعون

جلست سيدنى وحيدة داخل عربة الطعام بينما كان القطار يدمدم خلال الليل فى طريقه إلى نيويورك ، وبينما كانت الصور المظلمة تمر بالنوافذ ، كانت سيدنى منشغلة ترتشف كوباً من القهوة وتقضم قطعاً صغيرة من فطيرة تمت تدفئتها فى الميكروويف . كانت حركة عجلات القطار الثابتة واهتزاز العربة بهدوء بينما كان القطار يتجه إلى الممر الشمالى الشرقى يشعرها بالراحة .

كان ذهن سيدنى متعلقاً بابنتها خلال رحلتها بالقطار . كانت تشعر وكأن دهرًا قد مضى منذ أن حملت ابنتها الصغيرة آخر مرة . والآن ليس لديها أدنى فكرة متى سيمكنها رؤيتها ثانيةً . وكان الشىء الوحيد الذى يبعدها هو تأكدها من أنها إذا حاولت رؤية آمى ، قد تلحق الضرر بالطفلة الصغيرة . لن تفعل ذلك مطلقاً ،

حتى لو كان ذلك يعنى أنها لن تراها أبدًا ثانيةً . ولكنها ستتصل بها بمجرد أن تصل إلى نيويورك . كانت تتساءل بين نفسها كيف يمكنها أن تفسر لوالديها الكابوس التالى الذى ينتظرهما : عناوين الأخبار التى تعلن التطورات الأخيرة فى القضية ، وكذلك نشر خبر البحث عنها على اعتبار أنها قاتلة . لا تستطيع سيدنى عمل أى شىء لحمايتهما من الأضواء الشديدة التى ستسلط عليهم ، وكانت متأكدة من أن هذه الأضواء ستجد طريقها إلى بيل هاربور فى ماين ؛ لكن ربما رحلة والديها إلى الشمال قد توفر لهما بعض الأوقات الثمينة بعيداً عن الأضواء البشعة .

كانت سيدنى تعلم أن لديها محاولة واحدة فقط لتفسير هذا الشىء المستجد والذى قد ألقى بحياتها إلى الجحيم . وكانت هذه الفرصة تكمن فى المعلومات المخزنة على قرص الحاسب والذى كان يسرع فى طريقه إلى الشمال بمثل السرعة التى كانت شركة فيدرال إكسبرس سترسله بها . وهذا القرص هو كل ما تملك . كان جاسون يعتقد أنه فى غاية الأهمية . ماذا لو كان مخطئاً ؟ ارتعدت سيدنى وأجبرت أفكارها على الابتعاد عن هذا الكابوس . كان عليها أن تثق بزوجها فى ذلك . وحدقت خارج النافذة حيث كانت توجد الأشجار الجافة ، والمنازل المتواضعة ذات أجهزة الاستقبال الهوائية المعوجة ، والمبانى الخشبية القبيحة والمهجورة والتى كان القطار يسرع بجوارها . لفت معطفها حولها واضجعت للخلف فى مقعدها بينما كان القطار يدخل إلى الأنفاق المظلمة فى محطة بين ستاشين ، وقفت سيدنى بجوار باب الخروج . وقد أعلنت ساعتها الخامسة والنصف صباحاً. لم تكن تشعر بالتعب فعلاً ، بالرغم من أنها لم تتذكر آخر مرة خلدت فيها للنوم . كانت محطة بين ستاشين مزدحمة إلى حدٍ ما فى هذه الساعة من الصباح . انتظرت

سيدنى فى طابور السيارات الأجرة ، ثم قررت إجراء مكالمة هاتفية سريعة قبل أن تذهب إلى مطار جيه . إف . كيه وخططت للتخلص من المسدس قبل مغادرتها للمطار . غير أن هذا المعدن البارد الذى كان يعطيها إحساساً بالأمان كانت فى حاجة ماسة له الآن . لم تقرر سيدنى بعد المكان الذى ستسافر إليه ، ولكن على الأقل فالطريق الذى ستقطعه إلى المطار بالسيارة الأجرة سيوفر لها الوقت للتفكير فى الوجهة التى ستتجه إليها .

وفى طريقها إلى أحد الهواتف العامة ، أمسكت بنسخة من جريدة واشنطن بوست وتفحصت العناوين . لم يظهر شىء عن جرائم القتل بعد ، ولكن ربما تم العثور على الجثتين إلا أن مراسلى الأخبار لم يتوفر لهم الوقت لنشر الخبر قبل موعد صدور الجرائد . وإذا لم يتم العثور على جثتى زميليهما الراحلين حتى الآن ، فلن يمضى وقت طويل حتى يتم العثور عليهما . وكان الجراج يفتح للعامة فى السابعة صباحاً ولكن سكان المبنى يمكنهم الدخول إليه فى أى وقت .

اتصلت سيدنى برقم والديها فى بيل هاربور . سمعت صوت رسالة إليكترونية تحيها وتخبرها بأن هذا الرقم مرفوع من الخدمة . تأوهت حيث تذكرت فجأة السبب . فوالدها دائماً ما يجعل الهاتف مرفوعاً من الخدمة خلال فصل الشتاء ، وربما قد نسى والدها إعادة الخدمة إليه ثانية . ومن المؤكد أنه سيفعل ذلك بمجرد وصوله إلى هناك . وبما أن الهاتف لا يعمل فذلك يعنى أنهم ربما لم يصلوا بعد إلى هناك .

حسبت سيدنى سريعاً ساعات السفر . فعندما كانت طفلة ، كان والدها يقطع المسافة فى ثلاث عشرة ساعة تقريباً ، وكان يتوقف فقط على الطريق من أجل الحصول على الطعام والبنزين .

وعندما تقدم فى السن قليلاً أصبح أكثر صبراً . ولكن منذ تقاعده أصبح يتوقف عن القيادة ليلاً ويقطع الرحلة فى يومين . فإذا كانوا قد غادروا فى عصر الأمس ، كما كانوا مخططين لذلك ، سيصلون إلى بيل هاربور فى منتصف عصر اليوم تقريباً كما هو مخطط . وخطر على بالها فجأة أنها لم تتأكد من مغادرة والديها بعد . وقررت أن تصحح هذا السهو فى الحال . رن الهاتف ثلاث مرات ثم سمعت صوت جهاز الرد على المكالمات ، فتكلمت فى الهاتف لتجعل والديها يعلمان أنها هى . فهم دائماً ما يتحققون من المكالمات قبل الرد عليها . ولكن ، لم يرد أحد على الهاتف . وضعت سيدنى السماعة مكانها على أن تحاول مرة أخرى من المطار . نظرت إلى ساعتها وقررت إجراء مكالمة هاتفية أخرى . لقد عرفت الآن تورط بول بروفى مع شركة آر . تى . جى ولم يكن ذلك الأمر يعنى شيئاً بالنسبة لها . كان هناك شخص واحد فقط كانت تفكر فى السؤال عنه ، وعليها أن تفعل ذلك قبل أن تصل أخبار جريمتى القتل إلى العامة .

" كاى ، أنا سيدنى آرتشر " .

كان الصوت على الجانب الآخر من الخط ناعساً فى البداية ثم استيقظ جيداً حيث جلست كاى فينسينت فى السرير وقالت :

" سيدنى ؟ "

" آسفة لاتصالى فى هذه الساعة المبكرة ، ولكننى أريد فعلاً مساعدتك فى أحد الأمور " . لم ترد كاى : " إننى أعلم كل ما تذكره الصحف عن جاسون يا كاى " .

قاطعها صوت كاى قائلة : " إننى لا أصدق أياً من هذه الأخبار يا سيدنى ؛ فلا يمكن أن يكون جاكسون متورطاً فى أى من ذلك " .

تنفست سيدنى الصعداء قالت : " شكراً لك على قول ذلك يا كاى كنت بدأت فى الاعتقاد بأننى الوحيدة التى لم تفقد ثقتها فى براءته " .

" ليس ذلك تخميناً صائباً يا سيدنى . كيف يمكننى مساعدتك ؟ " .

استغرقت سيدنى لحظة لتهدأ ، محاولة الإبقاء على صوتها دون أن يرتعش كثيراً . لقد رأت شرطياً يمر فى ردهة محطة القطار ، فأعطته ظهرها وانحنت على الجدار ثم قالت : " إنك تعلمين يا كاى أن جاسون لم يكن ليتحدث معى عن الأمور المتعلقة بعمله مطلقاً " .

صاحت كاى قائلة : " هذا ليس غريباً ، فذلك محفور فى أذهاننا جميعاً ؛ كل شىء بمثابة سر كبير " .

" صحيح ، ولكن الأسرار لم تقدم لى الآن شيئاً ذا فائدة . إننى أحتاج أن أعرف ما الذى كان يعمل به جاسون الأشهر الماضية هل كان يعمل فى أية مشروعات كبرى ؟ " .

نقلت كاى الهاتف إلى أذنها الأخرى ، حيث كان زوجها يغط فى نومه على الجانب الآخر من السرير وقالت : " حسناً ، إنك تعلمين أنه كان ينظم السجلات المالية الخاصة بصفقة سيبركوم ، وقد أخذ ذلك الكثير من وقته " .

" صحيح ، فقد عرفت شيئاً من هذا القبيل " .

ضحكت كاى ضحكة خافتة وقالت : " لقد عاد من ذلك المستودع وكأنه قد تصارع مع تمساح فى الوحل ، متسخاً من رأسه إلى أصابع قدميه . ولكنه استمر فى العمل وحقق إنجازاً عظيماً . وكان يبدو عليه أنه مستمتع حقاً بما يفعل . وكان الشىء الآخر

الذى قضى فيه أوقاتاً كثيرة هو توحيد نظام عمل نُسخ الشرائط فى الشركة " .

" أتقصدين أن يقوم نظام الحاسب تلقائياً بتخزين نُسخ من رسائل البريد الإلكترونى والمستندات وأشياء كهذه ؟ " .

" صحيح " .

" لماذا كانوا يحتاجون إلى توحيد نظام نسخ الشرائط ؟ " .

" حسناً ، كان لدى شركة كونتين رووى نظام من الدرجة الأولى قبل أن تقوم بشرائها شركة تريتن ولم يكن ذلك متوافراً لدى ناثان جامبل وتريتن . ولا أخفيك سرًا ، فإننى لا أعتقد أن ناثان جامبل يعرف ما نسخ الشرائط . على أية حال ، كان عمل جاسون هو توحيد أنظمة النسخ السابقة والتى كانت موجودة فى تريتن مع أنظمة كونتين ولكن بعد تطويرها " .

" ماذا كان يستلزم هذا التوحيد بالضبط ؟ " .

" مراجعة جميع ملفات النسخ الخاصة بتريتن وإعدادها بشكل يتوافق مع النظام الجديد ، كالبريد الإلكترونى ، والمستندات ، والتقارير ، والرسومات ، وأى شىء يتم عمله على نظام الحاسب . ولقد أنهى ذلك العمل أيضاً ، وأصبح النظام بأكمله الآن موحداً بالكامل " .

" أين كانوا يحتفظون بالملفات القديمة ؟ فى المكتب ؟ " .

" أوه ، لا ، فى مستودع فى رستون ، حيث تتكدس الصناديق فوق بعضها . فى نفس المكان حيث يتم تخزين السجلات المالية . لقد قضى جاسون وقتاً طويلاً هناك " .

" من كان المسئول عن تلك المشروعات ؟ " .

" كونتين رووى " .

" وليس ناثان جامبل ؟ " .

" لا أعتقد أنه حتى كان يعرف بها فى البداية . ولكنه يعرف بها الآن " .

" ما الذى يجعلك متأكدة من ذلك ؟ " .

" لأن جاسون تلقى بريداً إلكترونياً من ناثان جامبل يمتدحه على ما أنجزه من عمل " .

" حقاً " ؟ لا أعتقد أن ناثان جامبل يفعل ذلك " .

" نعم ، لقد أدهشنى ذلك أيضاً . ولكنه فعل " .

" أعتقد أنك لا تتذكرين تاريخ ذلك البريد الإلكترونى . أليس كذلك ؟ " .

" فى الواقع إننى أتذكره بسبب شىء فظيع " .

" ماذا تقصدين ؟ " .

تنهدت كاى فينسينت بعمق وقالت : " إنه يوم تحطم الطائرة " .

تحركت سيدنى لأعلى وتساءلت : " هل أنت متأكدة ؟ " .

" لا يمكن أن أنسى ذلك يا سيدنى " .

" لكن ناثان جامبل كان فى نيويورك فى ذلك اليوم . وكنت معه هناك " .

" أوه ، هذا لا يهم . لأن لديه سكرتيرة تقوم بإرسال بريده الإلكترونى بحسب جدول مسبق بغض النظر إذا كان موجوداً فى مكتبه أم لا " .

لم تقتنع سيدنى بهذا الكلام وقالت " أعتقد أنه ليس هناك المزيد من الأخبار عن صفقة سيبركوم يا كاى ، أليس كذلك ؟ أمر السجلات مازال يعلق الموضوع ؟ " .

" أية سجلات ؟ " .

" لم يرغب جامبل فى تقديم السجلات المالية إلى سيبركوم " .

" أنا لا أعلم أى شىء عن ذلك . ولكننى أعلم أن السجلات المالية قد تم تقديمها إلى سيبركوم " .

" ماذا ؟ " ، كادت سيدنى تصرخ بهذه الكلمة وسألت قائلة : " هل قام أى من محاميّ تايلر ستون بفحصها أولاً ؟ " .

" لا أعلم شيئاً عن هذا الموضوع " .

" متى تم إرسالها " .

" فى نفس اليوم الذى أرسل فيه ناثان جامبل ذلك البريد الإلكترونى إلى جاسون " .

كان رأس سيدنى يدور وتساءلت : " يوم تحطم الطائرة ؟ هل أنت متأكدة من ذلك تماماً ؟ " .

" تربطنى صداقة حميمة بأحد موظفى غرفة البريد . فقد وظفوه ليساعد فى نقل السجلات إلى قسم النسخ ثم يساعد فى توصيلها إلى سيبركوم . هل ذلك مهم لبعض الأسباب ؟ " .

تكلمت سيدنى أخيراً : " إننى لست متأكدة إذا كان مهماً أم لا " .

" أوه ، حسناً ، هل تريدين معرفة أى شىء آخر ؟ " .

" لا ، يا كاى ، لقد قدمت لى خدمة كبيرة " . شكرتها سيدنى وأغلقت الخط ثم توجهت إلى موقف السيارات الأجرة .

نظر كينيث سكاليز إلى الرسالة الممسك بها فى يده . وقد ضاقت عيناه ؛ فالمعلومات الموجودة على القرص مشفرة . إنهم يحتاجون إلى كلمة السر . أخذ يفكر فى الشخص الذى يعرفون أنه قد تلقى ذاك البريد الإلكترونى الثمين . لم يكن جاسون ليرسل إلى زوجته القرص بدون إرسال كلمة السر أيضاً . لابد أن تكون تلك الرسالة الإلكترونية التى أرسلها من المستودع هى كلمة السر . وقفت سيدنى فى طابور

السيارات الأجرة خارج محطة بين ستايشن . كان يجب عليه أن يقضى عليها فى السيارة الليموزين . لم يكن من طباعه ولا يجب أبداً أن يترك أى شخص حياً . ولكن الأوامر هى الأوامر . يجب على الأقل إبقائها تحت سيطرتهم لفترة قصيرة إلى أن يعرفوا أين ذهب البريد الإلكترونى . وعليه الآن اتباع التعليمات بدلاً من أن يغرز نصله المميت ، فى قلبها .

عندما توقفت السيارة الأجرة التى كانت ستستقلها سيدنى لمحت انعكاساً على نافذة السيارة . ظل الرجل مركزاً عليها للحظة فقط ، ولكن بما أنها كانت متوترة ، كان ذلك يبدو بالنسبة لها وكأنه فترة طويلة . التفتت سيدنى فالتقت عيونهما للحظة مرعبة ، إنهما نفس العينين الشيطانيتين اللتين كانتا فى السيارة الليموزين . قفزت سيدنى داخل السيارة الأجرة وانطلقت مصدرة صوتاً كصوت الزئير . دفع سكاليز بعض الأشخاص الذين كانوا ينتظرون أمامه فى الطابور جانباً ، وألقى بأصحاب السيارات الأجرة المحتجين على الرصيف واندفع إلى السيارة الأجرة التالية المتاحة ، والتى أسرعت خلف سيدنى .

نظرت سيدنى خلفها ، ولكنها لم تتمكن من الرؤية جيداً بسبب الظلام والمطر المصحوب بالثلج . غير أن الشوارع كانت خاوية نسبياً فى تلك الساعة من الصباح ، ورأت سيدنى زوجين من الأضواء الأمامية لسيارة تقترب مسرعة . استدارت سيدنى ثانية وقالت : " أعلم أن ذلك يبدو جنوناً ، لكن هناك من يتبعنا " . وأخبرت السائق بوجهة أخرى . انحرف السائق فجأة يساراً ، ثم يميناً ثم دلف إلى شارع جانبى خال ثم خرج منه إلى شارع فيفث أفينيو .

توقفت السيارة الأجرة التى تستقلها سيدنى أمام ناطحة سحاب . خرجت مسرعة وهرعت إلى المدخل وأخرجت شيئاً من حقيبة يدها ، وأدخلت بطاقة الدخول فى الفتحة الموجودة بالجدار ففتح الباب ، ودخلت ، ثم أغلقت الباب خلفها .

نظر حارس الأمن الجالس أمام المائدة الجرانيت فى البهو وكان يغلبه النعاس . أدخلت سيدنى يديها فى حقيبتها مرة أخرى وأخرجت بطاقة إثبات الشخصية الخاصة بشركة تايلر ستون . أومأ الحارس وارتمى للخلف فى مقعده . نظرت سيدنى ثانية وهى تضغط على زر المصعد . وقد كان هناك مصعد واحد فقط يعمل فى هذه الساعة المبكرة من الصباح . توقفت السيارة الأجرة الأخرى أمام المبنى وقفز منها رجل وهرع إلى الأبواب الزجاجية وأخذ يدق عليها بعنف . ونظرت سيدنى ورأت الحارس ينهض من مقعده .

نادته سيدنى : " أعتقد أن هذا الرجل يتعقبنى . قد يكون مختلاً عقلياً ، أرجوك كن حذراً " .

نظر إليها الحارس للحظة ثم أومأ . ونظر إلى المدخل ثانية . وضع إحدى يديه على المسدس الموضوع داخل الجراب بينما كان يتجه نحو المدخل . نظرت سيدنى مرة أخرى قبل أن تستقل المصعد . كان الحارس ينظر ذهاباً وجيئة فى الشارع . تنفست سيدنى الصعداء ثم استقلت المصعد وضغطت على زر الطابق الثالث والعشرين . بعد بضع لحظات دخلت جناح تايلر ستون المظلم وهرعت إلى أحد المكاتب . أضاءت النور ، وأخرجت مفكرتها وتأكدت من أحد أرقام الهاتف .

كانت سيدنى تتصل بإحدى جيران والديها منذ زمن طويل وصديقة العائلة البالغة من العمر سبعين عاماً وهى روث تشايلدز . ردت روث على الهاتف بعد الرنة الأولى ، وكان واضحاً من نبرتها

السريعة فى الحديث ـ بالرغم من أن الساعة قد تجاوزت السادسة صباحاً بقليل ـ أنها قد استيقظت منذ فترة . أخذت روث تواسى سيدنى بعطف على فقدانها زوجها ، ثم ـ وإجابة عن استفسار سيدنى ـ ذكرت أن والديها وآمى قد غادرا أمس حوالى الساعة الثانية بعد أن حزموا حقائبهم لرحلتهم سريعاً . كانت تعلم إن بيل هاربور هو مقصدهم ولكن كان هناك شىء .

قالت روث باشمئزاز : " لقد رأيت والدك يضع علبة البارود فى السيارة يا سيدنى " .

جاء رد سيدنى ضعيفاً : " إننى أتساءل لماذا ؟ " . وأوشكت سيدنى أن تودع روث حينما قالت روث شيئاً جعل قلبها يخفق .

" أعترف أننى كنت قلقلاً فى الليلة السابقة لرحيلهم . فقد كانت هناك سيارة تجوب المكان طوال الليل . ولم أنم كثيراً ، وعندما خلدت للنوم ، لم أستغرق وقتاً طويلاً حتى أيقظتنى . أنت تعلمين أنها منطقة هادئة . لا يحدث شىء هنا إلا عندما ترين أحداً قادماً للزيارة ، وقد عادت السيارة صباح أمس " .

سألتها سيدنى بصوت يرتعش : " هل رأيت أحداً بداخل السيارة ؟ " .

" لا ، لم تعد عيناى كما كانت ، حتى بارتداء نظارة ثلاثية البؤر " .

" هل مازالت السيارة هناك ؟ " .

" أوه ، لا ، لقد غادرت بعد مغادرة والديك مباشرة . وأقول لا ردها الله . إننى أضع مضرب كرة البيسبول بجانب الباب ، فإذا حاول أحدهم اقتحام منزلى سيتمنى لو أنه لم يفعل " .

قبل أن تغلق سيدنى الخط ، أخبرت روث تشايلدز أن تكون حذرة وأن تتصل بالشرطة إذا ظهرت السيارة مرة أخرى ، مع أن

سيدنى كانت متأكدة من أنها لن تظهر ثانية . فالسيارة بعيدة جداً عن هانوفر فى فيرجينيا . إنها كانت متأكدة من أن السيارة الآن فى طريقها إلى بيل هاربور فى ماين .

أغلقت سيدنى الهاتف واستدارت لترحل ، وحين ذلك سمعت صوت المصعد يصل إلى الطابق الذى هى به . لم تتوقف لتتساءل مَن الذى قد يصل فى هذه الساعة المبكرة . وقد افترضت الأسوأ فى الحال ، فأخرجت مسدسها وهرعت خارجة من المكتب فى الاتجاه المعاكس من المصعد .

كانت هناك أقدام تتعقبها بسرعة وذلك ما أكد لها شكوكها السيئة . واستطاعت أن تسمع صوت أنفاس الرجل حينما دخل إلى المر المظلم التى كانت به . أخذ يقترب أكثر فجرت أسرع من أى وقت منذ أيام ممارستها للعبة كرة السلة أيام الجامعة ، ولكن يبدو أن ذلك لم يكن بالسرعة الكافية ، وعليها أن تحاول تجربة خطة أخرى . اتجهت سيدنى إلى زاوية ، وتوقفت ، واستدارت ثم جثت على ركبتها فى وضع التصويب . اندفع الرجل بقوة إلى الزاوية وتوقف على بُعد قدمين منها بالكاد . نظرت سيدنى إلى السكين التى بيده ، كان الدم مازال يلمع على نصله . وكان جسده مشدوداً فى وضع الاستعداد للهجوم عليها ، فضربت سيدنى طلقة عبرت بجانب صدغه الأيسر بالضبط .

" الضربة الثانية ستكون فى رأسك " . وقفت سيدنى وكانت عيناها مثبتتين على وجهه ، وأشارت إليه ليسقط السكين من يده ، وذلك ما فعله . صرخت وقالت : " تحرك " ، وكانت تشير إلى ظهره من الخلف بالمسدس ـ دفعت به إلى الردهة إلى أن وصلا إلى باب معدنى .

" افتحه " .

كانت عينا الرجل ثابتتين عليها . وبالرغم من إمساكها بالمسدس موجهاً إلى رأسه مباشرةً ، كانت تشعر وكأنها طفلة تمسك بعصى ضعيفة لمواجهة كلب مسعور . فتح الرجل الباب على مصراعيه ونظر بالداخل . أضاء النور تلقائياً . لقد كانت الحجرة التى تتم بها عملية نسخ الورق ، وهى عملية كبيرة وتتم بواسطة ماكينات ضخمة . وكان بها رزم الورق وجميع العناصر الأخرى التى تحتاج إليها مؤسسة قانونية ضخمة . تحركت سيدنى إلى مدخل باب آخر فى آخر حجرة نسخ الورق وقال : " إلى هناك " . مشى الرجل إلى المدخل . ولاحظت الباب وتركته مفتوحاً بينما كانت تراقب الرجل وهو يتحرك إلى الغرفة . ونظر الرجل إليها بينما كان يفتح الباب الآخر ؛ فقد كانت غرفة صغيرة لتخزين أدوات المكتب .

" إذا فتحت ذلك الباب سأرديك قتيلاً " . ظلت سيدنى تسند الباب بكتفها للإبقاء عليه مفتوحاً ، ومازال المسدس مصوباً على الرجل ، ثم وصلت إلى مكتب بداخل الغرفة وتظاهرت بالتقاط هاتف . وما أن أغلق الرجل الباب ، وضعت الهاتف ، وبهدوء أغلقت باب غرفة نسخ الورق وهرعت إلى الردهة ثم إلى المصعد . ضغطت سيدنى على الزر ففتح الباب فى الحال . حمدًا لله على أنه ظل باقياً فى الطابق الثالث والعشرين . قفزت سيدنى بداخله وضغطت على الزر إلى الطابق الأول ، وكانت تنصت طوال الوقت كى تعرف إذا ما كان الرجل يتوجه إليها . أبقت المسدس مصوباً على المدخل ، ولكن ظل المكان هادئاً . وبمجرد أن وصلت إلى الطابق الأول ضغطت على جميع الأزرار للطوابق الأعلى من الثالث والعشرين ، ثم خرجت مسرعة من المصعد . تنفست سيدنى الصعداء وابتسمت قليلاً ، ولكن سرعان ما أصابها الهلع والذعر حينما

استدارت من الزاوية وكادت تسقط على جثة حارس الأمن ، ومنعت نفسها من الصراخ ثم هرعت خارج المبنى إلى الشارع .

كانت الساعة السابعة والربع صباحاً وكان لى سوير قد أغلق عينيه تواً حينما رن جرس الهاتف . مد يده الكبيرة والتقط السماعة .

" نعم " .

" لى ؟ "

كان سوير غير فائق وسرعان ما عمل عقله وجلس وقال : " سيدنى ؟ "

" ليس لدى كثير من الوقت " .

" أين أنت ؟ " .

" اسمع فحسب " . كانت سيدنى تقف مرة أخرى عند أحد الهواتف العمومية فى محطة قطار بين ستايشن .

نقل سوير الهاتف إلى أذنه الأخرى وألقى بغطاء السرير وقال : " حسناً ، إننى أسمعك " .

" حاول رجل قتلى الآن " .

" مَن ؟ أين ؟ " ، اندفع سوير وانتزع بنطاله من على السرير وأخذ يرتديه بسرعة .

" لا أعلم من هو " .

سألها سوير بقلق : " هل أنت بخير ؟ "

نظرت سيدنى إلى محطة القطار المزدحمة ، وكان هناك عدد من عظماء نيويورك ، والمشكلة هى أن هناك عدواً بينهم الآن أيضاً .

قالت سيدنى : " نعم أنا بخير " .

تنفس سوير الصعداء وقال : " حسناً ، ماذا يحدث ؟ "

" لقد أرسل جاسون بريداً إلكترونياً إلى منزلنا بعد تحطم الطائرة . وكان ذلك البريد الإلكترونى يحتوى على كلمة سر " .

" ماذا ؟ " ، ثار سوير ثانية . " يا إلهى ، أتقولين بريداً إلكترونياً ؟ " ، واحمر وجهه بشدة الآن .

أخذ يسير فى أرجاء الغرفة وهو يدق الأرض بقدميه مسرعاً بارتداء القميص والجوارب والحذاء بينما يمسك الهاتف اللاسلكى .

" ليس لدىَّ وقت لأخبرك كيف استلمت هذا البريد بالمصادفة ، ولكنى حصلت عليه الآن " .

وبمجهود ضخم للتحكم فى نفسه ، استطاع سوير أن يهدأ وتساءل : " حسناً ، ماذا يقول بحق الجحيم ؟ "

أخرجت سيدنى من جيب معطفها الورقة التى تحتوى على البريد الإلكترونى وقالت : " هل لديك ما تكتب به ؟ "

" انتظرى " .

هرع سوير إلى المطبخ وجذب ورقة وقلماً من الدرج وقال : استمرى . ولكن تأكدى من أنك تعطيه إلىَّ كما هو مكتوب بالضبط " .

فعلت سيدنى ذلك ، حتى مع ذكر المسافات بين بعض الكلمات والفواصل العشرية التى كانت تفصل بين أجزاء من كلمة السر بالضبط كما ظهرت على الصفحة المطبوعة التى كانت تمسك بها . حدق سوير بشدة فيما كتبه وراجعه معها مرة أخرى للتأكد من صحته .

" هل لديك أية فكرة عما تقصده هذه الرسالة يا سيدنى ؟ "

" لم يكن لدىَّ متسع من الوقت لأركز فى فحواها . أعلم أن جاسون قال إنها جميعها خطأ ، وأنا أصدقه فجميعها خطأ " .

" ولكن ماذا عن هذا القرص ؟ هل تعلمين ماذا به ؟ " ، قرأ سوير الرسالة سريعاً ثانية وتساءل : " هل حصلت عليه من البريد ؟ " .

ترددت سيدنى قليلاً ثم قالت : " لم أحصل عليه بعد " .

" هل كلمة السر هذه كما فى القرص ؟ هل الملف مشفر ؟ " .

" لم أكن أعلم أنك خبير فى الحاسب هكذا ؟ " .

" إننى ملىء بالمفاجآت " .

" نعم ، إننى أصدق هذا " .

" متى تتوقعين الحصول عليه ؟ "

" لست متأكدة ، اسمع ، علىَّ أن أذهب " .

" انتظرى دقيقة . الرجل الذى حاول قتلك . ماذا كان شكله ؟ " .

أعطته سيدنى وصفاً للرجل ، وسرت فى جسدها رعشة حينما تذكرت عينيه الزرقاوتين المخيفتين . ودوّن سوير ما قالته .

" سأدخل ذلك الوصف على النظام وأنتظر النتيجة " . تحرك سوير لأعلى بقوة وقال : " انتظرى ، لقد كنت أضعك تحت المراقبة . ماذا حدث لرجالى بحق الجحيم ؟ ألست فى منزلك ؟ "

ابتلعت سيدنى ريقها بصعوبة وقالت : " إننى لست تحت المراقبة بالضبط الآن . على الأقل ليس من قبل رجالك . كما أننى لست فى منزلى " .

" والآن ، هل تمانعين إخبارى أين أنتِ الآن ؟ " .

" كان علىَّ الذهاب " .

غضب سوير قائلاً : " اللعنة ، كان عليك ألا تحاولى الهرب من رجالى . والآن أريد أن أعرف ماذا يحدث ؟ " .

" لى " .

هدأ سوير قليلاً وتساءل بفظاظة : " ماذا ؟ " .

" مهما يحدث ، أريدك أن تعرف أننى لم أرتكب أى جرم . لا شىء على الإطلاق " . اختفى صوت سيدنى قليلاً بسبب بعض الدموع ثم أضافت برفق : " أرجوك ، صدقنى " .

" عمَّ تتحدثين ؟ ماذا تقصدين بذلك ؟ " .

" إلى اللقاء " .

" لا ، انتظرى ! " ، سمع سوير صوت الخط وهو يُغلق وألقى بالهاتف بغضب . نظر إلى الرسالة ثم وضعها على المنضدة بجوار الهاتف ومال للأمام . كانت ركبتاه تهتزان ومعدته أكثر توعكاً من الطبيعى . توجه إلى دورة المياه وابتلع قليلاً من دواء مالوكس ومسح فمه بظهر يده ثم عاد إلى المطبخ ، وأمسك بالورقة التى كتب بها البريد الإلكترونى ثم جلس إلى المائدة الصغيرة . كان يحرك فمه بصمت بينما كان يقرأ الكلمات وكان أول جزء فى الرسالة : " انتبه لما تكتب " يدل على أن آرتشر قد أرسل الرسالة إلى شخص خطأ .

قرأ سوير اسم المرسل إليه ثم الراسل . لقد قالت سيدنى إن جاسون قد أرسل البريد الإلكترونى إلى منزلهم . من المؤكد أن آرتشى جيه دبليو ٢ هو بريد جاسون آرتشر الإلكترونى ، ويدل على اسمه الأخير وبدايات اسمه أما آرتشى كيه دبليو ٢ هو الشخص الذى وصل إليه البريد بطريق الخطأ . لقد ضغط جاسون على مفتاح حرف كيه بدلاً من حرف جيه وهذا واضح بما يكفى . وقام آرتشى كيه دبليو ٢ بإرسال الرسالة مرة أخرى إلى الراسل ومعها رسالة أخرى توضح الخطأ الذى وقع فيه ، ولكنه حينما فعل ذلك ، قد أرسلها بالفعل إلى سيدنى آرتشر .

كانت الإشارة إلى مستودع سياتل ذات مغزى . لقد واجه جاسون بعض المشاكل الخطيرة مع من قابله فعلاً . لقد فشلت عملية

التبادل بطريقة أو بأخرى . **جميعها خطأ** ؟ من الواضح أن سيدنى قد قالت ذلك كدليل على براءة زوجها . ولكن لم يكن سوير متأكداً من ذلك . " فى الاتجاه المعاكس ؟ " هذه العبارة تبدو محيرة .

حدق سوير بعد ذلك فى كلمة السر . يا إلهى ، إن جاسون لديه فعلاً عقل جبار إذ استطاع أن يخرج كلمة سر بهذا الطول من رأسه . لم يتمكن سوير أن يصل إلى أى مغزى من تلك الرسالة .

حدق بشدة واقترب أكثر إلى الورقة وقد كان من الواضح أن جاسون لم تُتح له الفرصة لإنهاء الرسالة . فرد سوير رقبته الملتوية من جانب إلى آخر ومال للخلف فى مقعده . القرص ، يجب أن يحصلوا على القرص . أو بشكل أكثر دقة ، يجب أن تحصل سيدنى آرتشر عليه . قطع أفكاره رنين الهاتف . من المؤكد أن سيدنى تتصل ثانية ، خطف الهاتف قائلاً : " نعم ؟ " .

" أنا فرانك يا لى " .

" يا إلهى ، يا فرانك ، ألا يمكنك أبداً الاتصال أثناء أوقات العمل الطبيعية ؟ " .

" حدث شىء يا لى . حقيقى سىء . فى مؤسسة تايلر ستون القانونية ، فى المرآب الأسفل " .

" ما هذا ؟ " .

" ثلاثة قتلى . من الأفضل أن تأتى إلى هنا " .

وضع سوير الهاتف . لقد كانت كلمات سيدنى الأخيرة له ذات معنى حقيقى . الوغد !

كان الشارع المؤدى إلى المرآب السفلى يمتلئ بالأضواء الحمراء والزرقاء ، حيث كانت سيارات الشرطة والإسعاف تقف فى كل مكان . أظهر سوير وجاكسون بطاقتيهما عند خط الأمن . قابلهما

فرانك هاردى عند المدخل بمظهر يبدو عليه الاهتمام وقادهما إلى الطابق الأسفل من المرآب ، أربعة طوابق تحت الأرض ، وقد كانت درجة الحرارة فى المرآب تحت درجة التجمد .

قال هاردى : " يبدو أن القتل قد حدث فى ساعة مبكرة جداً هذا الصباح . وهذا ما تدل عليه آثار الجريمة . والجثث فى شكل جيد أيضًا فيما عدا وجود بعض الثقوب بها " .

" كيف عرفت بأمرهم يا فرانك ؟ "

" لقد قامت الشرطة بإخطار هنرى وارتون وهو شريك فى إدارة المؤسسة وكان فى فلوريدا للقيام ببعض الأعمال الخاصة بالمؤسسة ولقد اتصل بـ " ناثان جامبل " ، وقام جامبل بدوره بإخبارى فى الحال " .

تساءل سوير : " من لديه المصلحة فى قتل أحد ينتمى إلى هذه المؤسسة القانونية ؟ "

" كما ترى بنفسك يا لى ، فالجميع مازالوا هنا ، ولكن لنقل إن تريتن لها مصلحة خاصة فى تلك الجرائم . ولذلك السبب اتصل وارتون بجامبل بهذه السرعة . وقد اكتشفا حالاً مقتل حارس الأمن الخاص بمكتب تايلر ستون فى نيويورك فى ساعة مبكرة هذا الصباح " .

حدق سوير إليه متسائلاً : " نيويورك ؟ "

أومأ هاردى .

" هل هناك شىء آخر ؟ "

" ليس بعد ، لكن هناك تقارير تشير إلى امرأة هرعت جرياً خارج المبنى قبل اكتشاف الجثة بحوالى ساعة تقريباً " .

أخذ سوير يفكر فى تلك التطورات الجديدة بينما مر الرجال خلال حشد الشرطة ، ورجال الطب الشرعى إلى الجانب الخاص

بسائق السيارة الليموزين الملساء . تم فتح البابين . ولاحظ سوير انتهاء عمل الفنيين من رفع البصمات من خارج الليموزين . كما قام المصور بتصوير مسرح الجريمة فوتوغرافياً ، بينما قام آخر بتصوير المكان بكاميرا للفيديو . وكان من يقوم بالفحص الطبى رجلاً متوسط العمر يرتدى قميصاً أبيض وقد شمر عن ساعديه ، وأدخل رابطة عنقه داخل قميصه ، وكان مرتدياً قفازات بلاستيكية وقناعاً جراحياً وكان معه رجلان يرتديان معاطف واقية من المطر ذات لون أزرق داكن ، ثم مشى بعد ذلك الرجلان لينضما إلى هاردى وعميلى المباحث الفيدرالية .

قدم هاردى سوير وجاكسون إلى رويس وهولمان وهما ممن يقومون بأعمال التحقيق فى جرائم القتل فى واشنطن . وقال : " لقد أخبرتهما بإيجاز عن مدى اهتمام مكتب التحقيقات الفيدرالية بهذه القضية يا لى " .

سأل جاكسون رويس قائلاً : " من الذى عثر على الجثث ؟ "

" محاسب يعمل فى المبنى وصل قبل السادسة بقليل . وكان المكان المخصص لإيقاف سيارته هناك . وقد اعتقد أنه شىء غريب أن يرى سيارة ليموزين فى هذا الوقت هنا ، خاصة أنها تأخذ الكثير من المساحة الخاصة بسيارات أخرى . كان زجاج السيارة داكناً من جميع الجهات كما ترى فطرق على الباب ولكنه لم يتلق أى رد ، فقام بفتح الباب الخلفى . وكان ذلك القرار الخطأ . أعتقد أنه مازال يتقيأ فى الطابق العلوى حتى الآن . لكنه قد تمكن من الاتصال بالشرطة على الأقل " .

مشى الرجلان إلى السيارة الليموزين ، وتحرك هاردى حتى يتمكن عميلا المباحث الفيدرالية من إلقاء نظرة . وبعد أن نظرا

داخل المقعد الأمامى والخلفى ، نظر سوير إلى هاردى قائلاً : " إن الرجل الملقى على الأرض يبدو مألوفاً " .

نظر سوير إلى جاكسون .

قال هاردى : " الرجل الذى يجلس فى المقعد الخلفى هو فيليب جولدمان " .

قال جاكسون : " إنه مستشار شركة آر . تى . جى " .

أومأ هاردى قائلاً : " أما الضحية فى المقعد الأمامى فهو جيمس باركر ، موظف فى المكتب المحلى التابع لشركة آر . تى . جى ، بالمناسبة إن السيارة الليموزين مسجلة باسم شركة آر . تى . جى " .

قال سوير : " إذن تربتن لها مصلحة فى القضية " .

قال هاردى : " إنك فهمت " .

مال سوير داخل السيارة الليموزين متفحصاً الجرح البادى فى جبهة جولدمان قبل أن يقوم بفحص جثة بول بروفى . وقف هاردى خلف كتفى سوير واستكمل كلامه ، كانت نبرته هادئة ومنتظمة . لقد عمل هو وسوير معاً فى عدد لا حصر له من قضايا القتل . فالجثث لم تكن على هذه الحالة .

قال هاردى : " مات الثلاثة بسبب الجراح الناتجة عن طلق نارى . ويبدو أنه ذو نوعية ثقيلة ، أطلقت من قرب . يبدو على جرح باركر أن ماسورة المسدس كانت تلامسه ، بينما يبدو من جرح بروفى أن ماسورة المسدس كانت قريبة منه . وقد تمكنت من رؤية القليل منه . أما جولدمان فيبدو أن الماسورة كانت على بعد ثلاث أقدام من مكان إصابته ، أو ربما أكثر ، بالأخذ فى الاعتبار الجرح الموجود على الجبهة " .

أومأ سوير موافقاً : " إذن ، ربما كان الشخص الذى أطلق النار جالساً فى المقعد الأمامى ، فأطلق النار أولاً على السائق ، ثم بروفى ثم جولدمان أخيراً " .

لم يبد على هاردى اقتناعه فقال : " ربما ، بالرغم من أن القاتل ربما كان جالساً بجوار بروفى ، فى مواجهة جولدمان . وقد أطلق النار على باركر من خلال الفاصل المفتوح ، ثم أطلق النار على بروفى ثم جولدمان ، أو العكس . علينا أن ننظر لقرار تشريح الجثث حتى نحصل على مسار منحنى الرصاصة بالضبط . وقد يمنحنا ذلك فكرة أفضل عن ترتيب قتلهم " . توقف عن الكلام قليلاً ثم أضاف : " بالإضافة إلى بعض الأشياء الأخرى الباقية " . كان المنظر داخل السيارة الليموزين مفزعاً حقاً .

سأل جاكسون : " ألم تتعرف بعد على وقت الوفاة تقريباً ؟ "

فحص رويس ملاحظاته وقال : " لم يتوصل ريجور لأى شىء بعد . ولم يتم أيضاً تحديد العلامات على الجثث ؛ لأن كلها فى نفس المراحل التى تحمل آثار ما بعد الموت ، ولذلك يبدو جميعاً وكأنهم ماتوا فى نفس الوقت . ووفقاً لدرجة حرارة الجسم ، لقد ذكر التقرير الطبى تقريراً مبدئياً أن الوفاة حدثت من أربع إلى ست ساعات " .

نظر سوير إلى ساعته وقال : " إنها الثامنة والنصف الآن . إذن لقد حدث ذلك فى أى وقت بين الثانية والرابعة هذا الصباح " .

أومأ رويس .

ارتعد جاكسون حيث هبت عليهم ريح باردة حينما فتحت أبواب المصعد لإخراج دفعة إضافية من الشرطة . وعبس وجه سوير حينما رأى سحباً من بخار الأنفاس المحلقة فى كل مكان . ابتسم

هاردى قائلاً : " أعلم فيما تفكر يا لى . فإنك تريد إبقاء المكان بارداً بقدر الإمكان كما هو عليه هنا ـــــ " .

استكمل سوير العبارة له قائلاً : " لست متأكداً من مدى دقة توقيت الوفاة " . ثم أضاف : " وإننى متأكد من أن كل دقيقة نكون فيها بعيدين عن الوقت الحقيقى ستكون ذات دلالة حقيقية " .

تطوع رويس قائلاً : " فى الحقيقة ، إننا لدينا وقت لدخول السيارة الليموزين إلى المرآب بالضبط يا سيد سوير . فالدخول مقصور على هؤلاء ممن لديهم بطاقات دخول صحيحة ، ويقوم نظام الأمن الخاص المرآب بتسجيل الأشخاص الذين يدخلون مستخدمين البطاقات الخاصة بهم إلى مقر المؤسسة ولقد تم إدخال البطاقة الخاصة بجولدمان فى الساعة الواحدة وخمس وأربعين دقيقة هذا الصباح " .

أدلى جاكسون برأيه قائلاً : " إذن لم يظل هنا طويلا قبل أن يلقى حتفه . وقد يعطينا ذلك بعض الدلائل لعقد المقارنة " .

لم يرد سوير . وحك فكه بينما جال ببصره فى مكان مسرح الجريمة وقال : " السلاح ؟ " .

قام المحقق هولمان بانتزاع شىء موضوع داخل حقيبة بلاستيكية مغلقة وقال : " أحد العمال وجد هذا داخل بالوعة مجارى قريبة . ومن حسن الحظ أنه علق فى بعض الأنقاض الموجودة هناك وإلا لم نكن لنعثر عليه مطلقاً " . وناول الحقيبة إلى سوير واستطرد : " إنه مسدس من طراز سميث آند ويسون ، وعليه الرقم المسلسل وبذلك لم يكلفنا ذلك عناء فى تعقب الجانى " . وتمكن جميع الرجال من رؤية آثار الدماء الموجودة على المسدس بسهولة ، وكان ذلك كافياً جداً ليؤكد أنه تم ارتكاب جريمة بواسطته . استكمل هولمان كلامه : " من المؤكد أن ذلك هو سلاح الجريمة . وقد التقط القاتل

أغطية الرصاصات التى تم إطلاقها ، ولكن استقرت الطلقات داخل جميع الضحايا ، وبذلك سنحصل على مطابقة دقيقة لحركة المقذوفات بالاعتماد على مدى تشوه الرصاصات " .

حتى قبل أن يناول المسدس إلى سوير ، تمكن سوير من ملاحظته بالفعل وكذلك جاكسون . ونظرا إلى بعضهما البعض بشعور من الخوف : القبضة المشروخة .

لاحظ هاردى تبادل النظرات بينهما وتساءل : " هل توصلتما إلى شىء ؟ " .

تنهد سوير قائلاً : " اللعنة " . وكان ذلك كل ما استطاع أن يفكر فيه فى تلك اللحظة . وأدخل يديه بعمق إلى جيوبه ، ونظر إلى السيارة الليموزين ثم إلى سلاح الجريمة ثانية وقال : " إننى متأكد بنسبة تسعة وتسعين بالمائة من أن ذلك المسدس يخص سيدنى آرتشر يا فرانك " .

" ما هذا الاسم ثانية ؟ " ، تساءل كلا المحققين فى جرائم القتل فى نفس الوقت تقريباً .

أخبر سوير المحققين بهوية سيدنى وصلتها بالمؤسسة القانونية .

قال رويس : " صحيح ، لقد ذكرت الصحف قصتها وزوجها . كنت أعلم أن اسمها مألوف . وهذا يعنى الكثير " .

تساءل جاكسون : " كيف ذلك ؟ " .

تفحص رويس مفكرته وقال : " يتم من خلال المدخل الأمامى للمبنى تسجيل الأشخاص الذين يدخلون ويخرجون بعد ساعات العمل الرسمية . وفى الساعة الواحدة وواحد وعشرين دقيقة ، هل تستطيع تخمين صاحب بطاقة الأمن الخاصة التى تم إدخالها ؟ " .

قال سوير بصوت منهك : " بطاقة سيدنى آرتشر " .

" اللعنة ، زوج وزوجة ، ثنائى رائع ، يجب أن نحضرها ، فالجثث مازالت بحالة جيدة . علينا أن نبدأ فوراً " . كان يبدو على رويس ثقته فيما يقول وأضاف : " لقد رفعنا بالفعل العديد من الجزيئات من السيارة الليموزين . وسنقوم بفحص ما يخص القتلى منها بغرض استبعاده ثم نركز على المتبقى منها " .

قال هولمان : " لن أفاجأ إذا ظهرت بصمات آرتشر فى المكان . وأدخل رأسه داخل السيارة الليموزين وقال : " خاصة مع وجود كل هذه الدماء بالداخل " .

التفت سوير إلى المحقق متسائلاً : " هل حصلت على الدافع لارتكاب ذلك ؟ "

رفع رويس جهاز التسجيل قائلاً : " لقد عثرنا على ذلك تحت جثة بروفى " . ضغط المحقق زر التشغيل ، واستمعوا جميعاً إلى الشريط إلى أن توقف بعد بضع دقائق .

احمر وجه سوير .

قال هاردى : " ذلك صوت جاسون آرتشر ، إننى أعرفه جيداً " . وهز رأسه ثم قال : " والآن إذا كان لدينا الدليل فعلينا البحث عن صاحب هذا الصوت " .

أضاف جاكسون : " وذلك صوت سيدنى " . ونظر إلى زميله الذى كان يستند إلى أحد الأعمدة ، ويبدو عليه البؤس .

استوعب سوير جيداً المعلومات الجديدة وربطها ببعضها ووضعها ضمن أحداث تلك القضية وما وصلت إليه من تغير . لقد قام بروفى بتسجيل هذه المكالمة فى صباح ذلك اليوم الذى ذهبا فيه لمقابلة سيدنى . ولذلك كان هذا الوغد يبدو فرحاً بنفسه . وذلك يوضح أيضاً سبب رحلته إلى نيو أورليانز ، وتسلله إلى داخل غرفة سيدنى فى الفندق . عبس سوير . لم يكن ينوى أن يعلن بإرادته عما

أخبرته به سيدنى بخصوص المكالمة الهاتفية . وقد ظهر هذا السر الآن فقط ، لقد كذبت سيدنى على المباحث الفيدرالية . حتى لو أعلن سوير - وذلك ما كان سيفعله بعد دقيقة - بإنها قد أخبرته بتفاصيل تلك المكالمة الهاتفية ، فإنها مازالت تخطط لمساعدة أحد الهاربين من العدالة والتستر عليه . إنها تنتظر الآن السجن بين لحظة وأخرى . اقتحم وجه آمى آرتشر الصغير أفكاره وارتجفت أكتافه أكثر .

بينما انصرف رويس وهولمان لاستكمال تحقيقهما توجه هاردى إلى سوير وسأله : " هل تريد معرفة ما عندى ؟ "

أومأ سوير ، وانضم إليهما جاكسون .

قال هاردى : " ربما أعرف شيئين لا تعرفهما أنت ، الأول هو أن تايلر ستون قد أنهت التعامل مع سيدنى آرتشر " .

" حسنا " . ظلت عينا سوير ثابتة على هاردى .

" من مفارقات القدر ، لقد تم العثور على خطاب إنهاء خدمة سيدنى على جثة جولدمان . وقد يكون ذلك ما حدث : ذهبت سيدنى إلى المكتب بنفسها لأحد الأسباب البريئة أو غير البريئة . وتقابلت مع جولدمان وبروفى سواء بالمصادفة أو بترتيب مسبق . وربما قام جولدمان بإخبار سيدنى آرتشر عن فحوى ما يتضمنه خطاب إنهاء الخدمة ثم أظهر لها الشريط . ومن المؤكد أنه كان مصدراً كافياً لابتزازها " .

" أتفق معك فى أن الشريط غاية فى الأهمية ، ولكن لماذا سيبتزاها ؟ " ، وكانت عينا سوير مازالتا ثابتين على صديقه .

" كما قلت لك من قبل ، حتى حادث تحطم الطائرة كانت سيدنى آرتشر لا تزال المستشار الخاص بصفقة سيبركوم . وكانت على علم بمعلومات سرية . وهى معلومات كانت شركة آر . تى .

جى فى حاجة ملحة للحصول عليها ، وكان الشريط هو ثمن هذه المعلومات . إما أن تعطيهم المعلومات الخاصة بالصفقة أو يكون مصيرها السجن . وكانت الشركة قد أنهت التعامل معها على أية حال ، فبم ستهتم بحق الجحيم ؟ "

بدت الحيرة على سوير وقال : " ولكننى أعتقد أن زوجها قد أدلى بتلك المعلومات بالفعل إلى شركة آر . تى . جى ، وذلك هو ما حدث فى عملية التبادل التى تم تصويرها على شريط الفيديو " .

" لقد تغيرت شروط الصفقة يا لى . وإننى متأكد أنه منذ اختفاء جاسون آرتشر قد تم تغيير شروط عرض تريتن من أجل الحصول على سيبركوم . وما أعطاه لهم جاسون كان معلومات قديمة . وهم يريدون معلومات جديدة . ومن مفارقات القدر أن ما لم يتمكن الزوج من إعطائه لهم ، تمكنت الزوجة من توفيره " .

جادله سوير قائلاً : " إذن يبدو أنهم قد عقدوا اتفاقاً ما . فما الذى دفعها لقتلهم يا فرانك ؟ ومجرد أن السلاح يخصها لا يعنى أنها هى التى أطلقت النار " .

تجاهل هاردى نبرته واستكمل فى سرد تحليله : " ربما لم يتفقوا على الشروط . وربما ساءت الأمور . وربما قرروا أن أفضل طريقة هى الحصول على المعلومات التى يحتاجون إليها ثم يتخلصون منها . وربما كان ذلك هو سبب مقتلهم فى الليموزين . كان باركر يحمل مسدساً ، كان ولا يزال داخل جرابه ، ولم يطلق منه أية رصاصة . ومن المحتمل أن صراعاً دار بينهم ؛ فجذبت هى مسدسها وأطلقت النار وقتلت أحدهم دفاعاً عن نفسها . وتملكها الخوف الشديد فقررت ألا تترك أى شاهد ضدها " .

كان سوير يهز رأسه بعنف قائلاً : " ثلاثة رجال أشداء فى مقابل سيدة ؟ لا يعقل أن يكون الموقف قد خرج عن سيطرتهم .

بافتراض أنها كانت داخل الليموزين ، إننى لا أصدق أنها تستطيع قتل الثلاثة ثم تنصرف هكذا " .

" ربما لم تنصرف فحسب يا لى . ربما تكون قد جُرحت وهذا ما نعرفه جميعاً " .

نظر سوير إلى الأرض الخرسانية بجانب الليموزين . فقد كان هناك العديد من بقع الدم ولكن لم يكن هناك منها ما يمكن رؤيته فى مكان بعيد من الليموزين . وعلى أقل تقدير يكون ذلك دليلاً غير قاطع ، ولكن السيناريو الذى ذكره هاردى كان مقنعاً .

" إذن ، قتلت الثلاثة ثم غادرت بدون الشريط . لماذا ؟ "

هز هاردى كتفيه قائلاً : " وجد الشريط تحت جثة بروفى . وكان الرجل ضخماً ، وقد يصل وزنه إلى مائتى رطل على الأقل بعد الوفاة . وقام شرطيان أشداء بتحريك جثته بالكاد حينما كانوا يحاولون التعرف على هويته ، ووقتها عثروا على الشريط . والإجابة البسيطة عن ذلك أنها ربما لم تكن قادرة على الوصول إليه ، أو ربما لم تكن تعلم أن الشريط تحته . ويبدو أن الشريط قد سقط من جيبه حينما سقط هو على الأرض ، ثم أصابها الذعر وجرت فحسب . وألقت بالمسدس فى البالوعة وبذلك تكون قد تخلصت منه بالحيلة . كم مرة رأينا ذلك يحدث ؟ "

نظر جاكسون إلى سوير قائلاً : " هذا معقول يا لى " .

بيد أن سوير كان مرتاباً ؛ فمشى إلى المحقق رويس الذى كان يوقع على بعض الأوراق الخاصة بالعمل . وسأله : " هل تمانع إذا ما استدعيت بعضاً من المختصين بالطب الشرعى لدينا إلى هنا لفحص بعض الأشياء ؟ "

" اللعنة ، سيكونون ضيوفى . نادراً ما أرفض المساعدة من المباحث الفيدرالية . أنتم أيها الرفاق تحصلون على كل هذه

الدولارات من الحكومة الفيدرالية ، أما نحن ؟ نكون محظوظين إذا كان لدينا بنزين فى سياراتنا " .

" أريد إجراء بعض الفحوص على الليموزين من الداخل . وسأحضر الفريق الخاص بى إلى هنا فى غضون عشرين دقيقة . وأريدهم أن يقوموا بفحص الجثث وهى لا تزال فى أماكنها ، ثم أريد عمل تفتيش كلى إضافى ـ فيما عدا الجثث طبعاً ـ فى المعمل . وسيكون ذلك تحت إشرافنا " .

أخذ رويس يفكر فى هذا الطلب للحظة ثم قال : " سأعد الأوراق اللازمة " . ونظر إلى سوير فى ريبة وقال : " اسمع ، تسعدنى دائماً مساعدة مكتب التحقيقات الفيدرالية ، ولكن هذه هى سلطتنا القضائية . وسأكون على حق إذا ما منحت ثقة لمن لا يستحقها لكى يحل لغز هذه القضية . أتسمع ما أقول ؟ " .

" بصوت عال وواضح يا أيها المحقق رويس . إنها قضيتك . ومهما نصل إليه ونعرفه سيكون لك الحق فى أن تستخدمه فى حل هذه الجريمة . وأتمنى لك بإخلاص أن تمنحك تلك القضية ترقية وزيادة كبيرة فى راتبك " .

" أنت وزوجتى تتمنيان ذلك " .

" أيمكن أن تسدى لى معروفاً ؟ " .

أجاب رويس : " يمكنك دائماً طلب ذلك " .

" أتمانع فى أن يأخذ أحد الفنيين العاملين معك عينات من بقايا الطلقات النارية من كل جثة من الثلاث جثث . ولكى ننهى ذلك الموضوع ؛ يمكننى جعل رجالى يقومون بتحليل العينات " .

" أتظن أن أحدهم ربما هو الذى أطلق النار ؟ " .

بدا على رويس الارتياب الشديد وقال : " ربما نعم ، وربما لا . فنحن لا نستطيع الوصول إلى الحقيقة إلى الآن " .

هز رويس كتفيه وأشار إلى إحدى الفنيين للحضور . وبعدها أخبرها بالمطلوب ، رأوها وهى تحمل أدوات ثقيلة وضخمة وفتحتها وبدأت تقوم بالاستعدادات اللازمة لاختبار بقايا الطلقات النارية . غير أن الوقت كان يمضى ، ويجب أن يتم تجميع العينات خلال ست ساعات من إطلاق الطلقات النارية . وكان سوير يخشى أنهم على وشك أن يفقدوا آخر وقت .

أدخلت الفنية عدداً من القطع القطنية فى محلول حامض النيتريك المخفف . وقامت بفصل كل قطعة استخدمتها لمسح أيدى كل جثة من أعلى وأسفل . إذا قام أى منهم بإطلاق النار حديثاً سيكشف الفحص إذن تراكم الباريوم والأنتمون ، وهى مكونات الأعيرة النارية الأولية المستخدمة فى صناعة جميع أنواع الذخيرة الحية . لم يكن ذلك مقنعاً . وإذا ظهرت النتيجة بالإيجاب ، لن يعنى ذلك بالضرورة أن أحدهم قد أطلق النار من السلاح المستخدم فى الجريمة ، بل يعنى أنه يمسك بسلاح نارى خلال الست ساعات الأخيرة . بالإضافة إلى أنهم قد يكونون قاموا فقط بلمس السلاح النارى بعد أن تم إطلاق النار منه ، مثلاً فى صراع ، ولصقت البقايا بأيديهم من جسم السلاح الخارجى بعد أن تم إطلاق النار منه مباشرة . ولكن إذا أظهرت اختبارات بقايا الطلقات النارية نتيجة إيجابية قد يكون ذلك عوناً لسيدنى آرتشر . ذلك ما استنتجه سوير وحتى مع كل هذه الأدلة التى تبدو وكأنها تشير إلى تورطها فى القتل ، كان سوير متأكداً جداً من أنها لم تجذب الزناد وتطلق النار .

سأل سوير المحقق رويس قائلاً : " أيمكن أن تسدى لى خدمة أخرى ؟ " . ارتفع حاجبا رويس وقال سوير : " إننى أريد نسخة من هذا الشريط " .

" من المؤكد مهما كان الأمر " .

استقل سوير المصعد لأعلى إلى الردهة ومشى إلى سيارته واتصل بفريق الطب الشرعى التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالية . وبينما كان ينتظر وصولهم خطرت على باله فكرة أخذت تلح عليه وهى أين كانت سيدنى آرتشر بحق الجحيم ؟

الفصل الخمسون

عادة ما كانت سيدنى تتجنب وضع أية مساحيق تجميل ، إلا القليل منها ؛ بيد أنها الآن بذلت مجهوداً كبيراً لترسم على وجهها تفاصيل دقيقة ، محاولة أن تتماسك حينما وقفت أمام المرآة فى دورة مياه السيدات بمحطة بين ستايشن . فلقد توصلت إلى أن الرجل الذى يطاردها لن يتخيل أنها قد تعود إلى هنا ثانيةً ، ثم وضعت على رأسها قبعة من الجلد المدبوغ من طراز قبعات رعاة البقر ، وجذبت طرفها إلى أسفل جبهتها . والآن وقد أكملت وضع كمية كافية من مساحيق التجميل الصناعية جعلتها تبدو مختلفة تماماً ، ووضعت ثيابها الملطخة بالدماء فى حقيبة من حقائب التسوق استعداداً للتخلص منها فى أقرب مقلب قمامة . خرجت سيدنى من دورة مياه السيدات مرتدية تشكيلة مختلفة من الملابس

التى قضت الجزء الأكبر من النهار فى شرائها : وكانت عبارة عن بنطلون جينز أزرق اللون ، وحذاء مدبب من طراز أحذية رعاة البقر ، وقميص قطنى سميك أبيض اللون ، وكذلك معطف جلدى رقيق أسود اللون عازل للمياه والحرارة : لم تبد بأى شكل من الأشكال أشبه بهيئة تلك المحامية المحافظة التى تعمل بواشنطن ، والتى سرعان ما سوف يلاحقها رجال الشرطة قريباً بتهمة القتل . وتأكدت من أن المسدس عيار ٣٢ كان مخبأً بشكل محكم بعيداً فى جيب داخلى ، إذ إن قوانين السلاح بولاية نيويورك كانت من أكثر القوانين صرامة عبر البلاد .

أخذت سيدنى القطار المتنقل بين المدينة والضواحى المتجه إلى شمال شرق ستامفورد ، بولاية كونكتيكت فى رحلة لم تستغرق سوى نصف ساعة ، لواحدة من سلاسل المجموعات السكنية عبارة عن غرف نوم تلبى رغبة سكان نيويورك فى العيش خارج حدود المدينة المفعمة بالحيوية والصخب . استقلت سيدنى سيارة أجرة وبعد دقيقة وصلت إلى منزل رائع مبنى من الطوب الأبيض تزينه نقوش سوداء ، ويقع فى حى هادئ وسط مجموعة مماثلة من المساكن . كان اسم باترسون محفوراً على صندوق البريد . دفعت سيدنى الأجرة لسائق السيارة ، غير أنها بدلاً من أن تتجه للباب الأمامى مشت إلى الخلف حيث منطقة الجراج . وبجانب باب الجراج كان هناك صندوق خشبى منمق مخصوص لأكل الطيور . نظرت سيدنى حولها ثم دست يديها داخل صندوق الأكل وهى تدفع يديها داخل الجزيئات الخشنة حتى وصلت إلى قاع الصندوق . وأخرجت مجموعة من المفاتيح فى القفل فانفتح الباب . كان شقيقها كينى وأسرته فى فرنسا . كان شقيقها شخصاً ألمعياً بارعاً ، يدير أعمالاً مستقلة ناجحة فى مجال النشر ، بيد أنه فى

ذات الوقت كان شارد الذهن للغاية . فكثيراً ما كان يغلق الباب وينسى المفاتيح بالداخل ؛ ومن ثم فالمفاتيح دائماً توضع فى صندوق أكل الطيور ، وهى الحقيقة المعروفة جيداً لدى أفراد عائلته .

كان المنزل قديماً ، مبنياً بشكل متين ومنمقاً بصورة جميلة ، يوجد به حجرات كبيرة وأثاث مريح . لم يحن الوقت لسيدنى للاستمتاع بالأشياء الموجودة من حولها . ذهبت إلى حجرة مكتب صغيرة ، وعلى جانب أحد الجدران استندت خزانة خشبية كبيرة مصنوعة من خشب البلوط . باستخدام مفتاح آخر من سلسلة المفاتيح ، فتحت سيدنى البابين الثقيلين وجالت بنظرها داخل محتويات المكتبة التى كانت بها مجموعة كبيرة مذهلة من بنادق الرش والمسدسات التى ظهرت أمامها . واستقر رأيها على سلاح من طراز وينشستر ١٣٠٠ ديفندر . وكانت بندقية الرش عيار اثنا عشر خفيفة نسبياً ، تزن حوالى سبعة أرطال . وقد كانت خزنتها معبأة بطلقات ماجنام ٣ بوصة التى باستطاعتها أن توقف أى شىء يسير على قدمين ، ولعل الأهم من ذلك أن خزنتها تستوعب ثمانى طلقات . وضعت سيدنى العديد من الصناديق التى تحتوى على طلقات ماجنام فى إحدى حقائب الذخيرة التى تخص شقيقها ، والتى أخرجتها من درج داخل الخزانة ، ثم ألقت نظرة على المسدسات المعلقة على حوامل مثبتة أعلى جدار الخزانة بجانب مجموعة الطلقات . كان يساورها الشك بشأن قوة المسدس عيار ٣٢ . التقطت سيدنى عديداً من المسدسات وقامت بفحصها فيما يتعلق بالوزن والشعور بالراحة ، ثم ابتسمت حين أطبقت بيديها على مسدس قديم مألوف لديها من طراز سميث آند ويسون الرفيع ذى التسع طلقات كاملاً دون أن تشوب قبضته أية شائبة . انتزعت سيدنى المسدس وصندوق الذخيرة ، وقامت بحشوه داخل نفس

الحقيبة التى تحوى عشرة من الأسلحة وأغلقت الخزانة كما كانت . وبعد أن انتزعت منظاراً من رف آخر ، غادرت الحجرة .

صعدت سيدنى إلى الحجرة الرئيسية وقضت بها بضع دقائق تبحث فى ملابس زوجة أخيها وسرعان ما جمعت حقيبة سفر مليئة بالملابس الدافئة والجوارب . داهمها خاطر مفاجئ . قامت بتشغيل التلفاز الصغير الموجود بحجرة النوم وتنقلت بين القنوات حتى وجدت محطة إخبارية ، تقص أهم حادث وقع اليوم ، وعلى الرغم من أنها كانت تتوقع أن ترى الخبر مذاعاً ، إلا أن قلبها خفق حينما رأت وجهها يتصدر الشاشة بجانب صورة السيارة الليموزين . كانت قصة الخبر موجزة لكن مدمرة حيث صورت جرمها الذى لا يمكن الفكاك منه . تلقت سيدنى صدمة أخرى لطمتها حينما انقسمت الشاشة إلى نصفين ووضعت صورتها مقترنة بصورة جاسون ، وقد بدا متعباً فى الصورة ، وأدركت هى حينها أنها ذات الصورة التى كانت موضوعة على شارة الأمن فى شركة تريتن . ومن الواضح أن وسائل الإعلام وجدت فى ثنائى الزوج والزوجة الإجرامي مادة خصبة للأخبار . تفحصت سيدنى وجهها على الشاشة أيضاً ، كانت تبدو هى الأخرى متعبة ، ويبدو شعرها متدلياً إلى أسفل على جانبى رأسها . بدت هى وجاسون مجرمين ، هذا ما توصلت إليه حتى وإن لم يكونا كذلك . ولكن فى الوقت الراهن ، يرى معظم الناس فى البلاد أنهما شريران ونسخة حديثة من ثنائى الشر بونى وكلايد .

وقفت سيدنى على قدمين غير ثابتتين ، وبدافع مفاجئ ذهبت إلى الحمام ، وخلعت ملابسها وأخذت حماماً . ذكرها مشهد الليموزين بأنه مازالت هناك آثار عالقة بذهنها من هول تلك اللحظات الرهيبة . لقد أغلقت الباب وأحكمت القفل عقب دخولها

الحمام . وأبقت ستارة الحمام مفتوحة ولم تعط ظهرها للباب أبداً . ولقد وضعت السدس عيار ٣٢ فى متناول يدها . انتزعت المياه الساخنة البرودة من عظامها ؟ وبالمصادفة لمحت وجهها الهزيل المرهق فى المرآة الصغيرة المثبتة بجدار الحمام . وارتعدت أوصالها من المنظر . شعرت بالوهن والكبر . وقد نال ما عانته نفسياً وعقلياً من قواها الجسدية ثم ضغطت على أسنانها وصفعت نفسها على وجهها . لا يمكن أن تستسلم الآن . لقد كانت هى الجندى الوحيد فى جيشها ، لكنه جندى مستبسل ذو عزيمة لا تهن . إن لديها آمى ، وهذا شىء لا يمكن أن يأخذه منها أحد . وبعد أن انتهت من حمامها ، ارتدت ملابسها وشعرت بالدفء ، ثم هرعت إلى الحجرة المصنوعة من الطين ، حيث انتزعت منها كشافاً للضوء كان معلقاً على خطاف . ولقد تنبهت فجأة إلى أن الشرطة قد تستجوب عائلتها وأصدقاءها جميعاً . أخذت كل شىء معها إلى الجراج ، حيث لمحت السيارة لاند روفر ديسكفرى السوداء ، واحدة وهى من أقوى السيارات التى أُنتجت فى العالم . وضعت يدها تحت الدرابزين الأيسر وأخرجت مجموعة من مفاتيح السيارة . كان شقيقها حقاً فريداً من نوعه . استطاعت سيدنى أن تغلق نظام الأمن المعقد بالسيارة عن طريق ضغط الزر الصغير الموجود فى مفتاح السيارة ، وبخفة تمكنت من إقفال الصوت الذى يشبه صوت العصفور الذى يحدثه وقف عمل الجهاز . لقد كانت حريصة على أن تضع الطلقات على دواسة الكرسى الخلفى وتغطيه ببطانية سميكة . وضعت سيدنى المسدسات فى حقيبة الذخيرة التى دستها أسفل المقعد الأمامى .

انطلقت السيارة وبعد أن تأكدت بحرص من عدم وجود أى بشر أو سيارات ، أطلقت سيدنى العنان للسيارة وأخرجتها

من الممشى إلى الطريق العام . وسرعان ما زادت من سرعتها وغادرت حى ستامفورد الهادئ .

خلال عشرين دقيقة وصلت سيدنى إلى طريق إنترستيت ٩٥ وكان المرور مزدحماً ، واستغرقت بعض الوقت إلى أن تركت ولاية كونكتيكت خلفها . شقت طريقها إلى رود أيلاند وأخذت دورة حول بوسطن حوالى الساعة الواحدة صباحاً . وكانت السيارة التى تستقلها مجهزة بجهاز هاتف جوال ، إلا أنها عقب الحديث الذى أجرته مع جيف فيشر وأخبرته فيه بالمعلومات ، كانت عازفة عن استخدامه . وبالإضافة إلى ذلك ، من عساها أن تتصل به ؟ توقفت مرة واحدة فى هامبشاير لتحتسى بعض القهوة وتتناول قالب حلوى وتملأ خزان الوقود . بدأ الثلج يتساقط بسرعة فائقة إلا أن السيارة استطاعت أن تشق طريقها جارفة الثلج ، وكان صوت المساحات وهى ترفرف على حاجب الرياح بالسيارة كان يبقيها متيقظة . وعندما جاءت الساعة الثالثة صباحاً ، كانت سيدنى تحنى رأسها من شدة النعاس على عجلة القيادة بكثرة لدرجة أنها اضطرت أخيراً إلى أن تتوقف بين سيارتين وأغلقت الأبواب ، وانزلقت فى المقعد الخلفى ، وأحكمت قبضتها على المسدس ، وراحت فى سبات عميق . وحينما استيقظت كانت الشمس قد أشرقت منذ فترة . تناولت سيدنى إفطاراً سريعاً وبعد ساعات قليلة كانت قد غادرت بورتلاند بمسافة لا بأس بها . وبعد مضى ساعتين رأت المخرج الذى كانت تحاول العثور عليه ، ثم استدارت لتمضى فى الطريق السريع وكانت تسير فى ذاك الوقت على طريق يو إس روت . وفى هذا الوقت من العام لم يكن أحد يسير غير سيدنى على هذا الطريق .

وفى وسط ضباب الثلج الكثيف مرت سيدنى على اللافتة التى تشير إلى وصولها إلى مدينة بيل هاربر ، والتى يبلغ تعداد سكانها ١٦٥٠ نسمة ، وحينما كانت طفلة صغيرة كانت تقضى مع أسرتها أحلى فترات الصيف وتتناول الشطائر الشهية الدسمة المقدمة فى المطاعم التى لا تعد ولا تحصى المنتشرة فى هذه البلدة ، وكذلك العروض التى تُقدم على مسرح البلدة ، والنزهات الطويلة دراجات ، والمشى على طريق جرانيت بوينت ؛ حيث يستطيع المرء أن يراقب عن قرب القوة الخارقة للمحيط الأطلنطى فى مساء عاصفٍ . فقد كانت تخطط هى وجاسون يوماً ما أن يبتاعا منزلاً صيفياً بالشاطئ بالقرب من والديها . فقد كان كلاهما يتمنى أن يقضى الصيف هنا ، يشاهدان آمى وهى تلعب بطول الشاطئ وتحفر حمامات سباحة فى الرمل مثلما كانت تفعل سيدنى منذ خمسة وعشرين عاماً . كان حلماً جميلاً ، وتمنت لو كان مازال يمكن تحقيقه ، إلا أنه لم يبد ثمة احتمال ولو بعيداً يشير إلى إمكانية تحقيقه .

شقت سيدنى طريقها عبر المحيط ، إلا أنها استدارت إلى الجنوب إلى شارع بيتس ستريت حيث هدأت من سرعة سيارتها . كان منزل والديها كبيراً ، مكوناً من طابقين ، مصنوعاً من ألواح خشبية مقاومة للرياح رمادية اللون ، وبه نوافذ قوية ، وظهر مركب يدور حول عرض المنزل من كلا الجانبين . الجانب العلوى المطل على المحيط والجانب الآخر المطل على الشارع . وكان الجراج يحتل الجزء الأسفل ؛ أى بدروم المنزل . وكان باستطاعة الهواء العاصف القادم من المحيط والذى يجرى فى طرقات بين منازل الشاطئ المتلاصقة أن يهز السيارة الدبابة الـ " لاند روفر " بعنف . لم تتذكر سيدنى أنها جاءت إلى ماين أبداً فى هذا الوقت من العام .

بدا الماء عدائياً بشدة . وحينما لمحت سيدني الظلام اللانهائي للمحيط الأطلنطى خطر ببالها أنها لم تر أبداً الثلج يتساقط فى المحيط الأطلنطى من قبل .

هدأت سيدنى من سرعتها قليلاً حينما رأت منزل والديها يلوح فى الأفق . كانت جميع المنازل بالشاطئ بطول الشارع غير آهلة بالسكان . وفى الشتاء كان مرفأ بيل هاربور أشبه بمدينة للأشباح . وبالإضافة إلى ذلك ، كانت أعداد رجال شرطة بيل هاربور قليلة أثناء هذه الفترة من السنة . فإذا كان الرجل الذى ارتكب جريمة قتل بهدوء فى السيارة الليموزين بواشنطن قد اقتفى أثرها إلى نيويورك ، وقرر أن يأتى فى إثرها ثانية ، فسوف يكون أسوأ أشباح بيل هاربور . انتزعت سيدنى حقيبة الذخيرة من تحت المقعد ووضعت رصاصة عيار ٩ ميللى بمسدسها . وشقت طريقها عبر الممشى الخاص بوالديها والذى كان يغطيه الثلج . ولم يكن هناك أية إشارة إلى أن والديها قد وصلا . لابد وأن يكونا توقفا فى طريقهما نتيجة لسوء الأحوال الجوية . أدخلت سيارتها داخل الجراج ثم أغلقت الباب . قم أفرغت حمولتها وحملت أمتعتها أعلى الدرج الداخلى من الجراج إلى داخل المنزل .

لم تكن تعلم أن الثلج الكثيف قد غطى آثار الإطارات التى طبعت لتوها على ممشى منزل والديها . ولم تدخل أيضاً حجرة النوم ؛ حيث تم جمع الكثير من الأمتعة . وحين دخلت المطبخ ، لم تستطع أن ترى السيارة التى مرت ببطء بجانب المنزل وأكملت طريقها .

* * *

كان القسم الداخلى الخاص بعملية الفحص بالمباحث الفيدرالية يعمل بهمة ونشاط بالغين . وكانت الفنية التى ترتدى معطفاً أبيض

تسير حول الجزء الخارجى من الليموزين ، ويتبعها كل من سوير وجاكسون . كان الباب الخلفى لمقعد الراكب على اليسار مفتوحاً . ولحسن الحظ ، كان ركاب الليموزين قد نُقلوا لتوهم إلى المشرحة . وكان بجانب الليموزين حاسب شخصى بشاشة واحد وعشرين بوصة . وقفت الفنية أمامها وبدأت تضغط على المفاتيح لتعطى أوامر معينة وهى تتكلم . كانت عريضة الخصر وبشرتها زيتونية رائعة ، وفم يعلوه الكثير من البسمات ، وتدعى ليز مارتن ، وكانت واحدة من أكفأ وأكثر العاملين بالعمل اجتهاداً فى مكتب التحقيقات الفيدرالية .

" قبل أن نتمكن من إزالة أى أثر ، قمنا بعمل مسح شامل للسيارة من الداخل باستخدام صخر اللوما كما طلبت يا لى . وقد اكتشفنا بعض الأشياء المثيرة للاهتمام . وقد قمنا بتسجيل النتائج على شريط فيديو وقمنا بإدخال محتويات الشريط على الكمبيوتر ؛ وهو الأمر الذى يسهل علينا علمية المتابعة " . قدمت ليز للعميلين زوجين من النظارات الواقية بينما أخذت زوجاً لنفسها . وقالت : " أهلاً بكما فى مسرح الجريمة ، هذه من أجل أن تستمتعا بالمشاهدة " . ابتسمت ليز ثم أضافت : " فى الواقع ، إنها تحجب الكثير من الموجات التى ربما تكون قد صدرت أثناء الفحص والتى قد تحجب ما تم التقاطه عن الفيلم " . وبينما هى تتكلم ، أُضيئت الشاشة . وكانوا ينظرون إلى المناظر الملتقطة داخل السيارة الليموزين . كانت السيارة مظلمة للغاية ، وهى الظروف التى يجرى من خلالها اختبار الصخور . وباستخدام أشعة ليزر قوية بطاقة عالية ، تم تصميم الاختبار ليبرز مجالاً واسعاً من الأشياء الكامنة التى لم تكن لتُرى بمسرح الجريمة لولا هذا الاختبار .

استخدمت ليز الفأرة المتصلة بجهاز الحاسب وشاهد العميلان سهماً أبيض كبيراً يظهر على الشاشة . قالت : " لقد بدأنا

باستخدام مصدر ضوء واحد ، دون استخدام كيماويات . وقد كنا نبحث عن الإشعاعات الفلورية الصادرة عن الأجسام الغريبة داخل السيارة ، ثم انتقلنا إلى مجموعة من الصبغات والمساحيق " .

" لقد قلتِ إنكم وجدتم بعض الأشياء المثيرة يا ليز أليس كذلك ؟ " . كانت نبرة صوت سوير بها مسحة نفاد صبر ، وقد ثبتت عيناه على الشاشة وهو يطرح السؤال .

قالت ليز وقد نظرت سريعاً إلى الليموزين : " من الصعب ألا نجد شيئاً ما فى هذا الفراغ المحدود ، مع الوضع فى الاعتبار ما حدث داخله " . وبينما كانت أصابعها تستخدم الفأرة بمهارة ، استقر السهم الأبيض على مؤخرة المقعد الخلفى للسيارة الليموزين . ضغطت ليز على بعض الأزرار فظهرت مجموعة من الشبكات الإحداثية على الشاشة وقامت بتكبيرها حتى أصبحت جاهزة للرؤية ، وعلى الرغم من رؤيتها بالعين المجردة ، فإن عميلى المباحث الفيدرالية لم يستطيعا تحديد كنهها بسهولة .

التفت سوير إلى ليز قائلاً : " ما هذا يا ليز ؟ بدا السهم وكأنه يشير إلى خيط رفيع ، ولكن بعد تكبيره أصبح فى سمك القلم الرصاص .

" ببساطة هذا خيط ليفى " ، ضغطت ليز على زر آخر من أزرار الحاسب ، واتخذ الخيط الليفى (الفيبر) شكلاً ثلاثى الأبعاد . وقالت : " يبدو من مظهره أنه مصنوع من الصوف الحقيقى المستخرج من فراء الحيوان ، صوف طبيعى وليس صناعياً ، ولونه رمادى ، هل هذا يبدو مألوفاً لأى منكما ؟ " .

طقطق جاكسون أصابعه ثم قال : " كانت سيدنى آرتشر ترتدى معطفاً فضفاضاً ذلك الصباح ، وكان رمادى اللون " . أومأ سوير موافقاً : " بالفعل هذا صحيح " .

نظرت ليز إلى الشاشة مرة أخرى وأومأت بتأمل : " معطف صوفى ، هذا ينطبق على الوضع هنا " .

سأل سوير : " أين وجدته بالضبط يا ليز ؟ " .

" فوق المقعد الخلفى من ناحية اليسار ، بالقرب من الوسط فى الحقيقة " . وباستخدام الفأرة رسمت ليز خطاً عبر الشاشة لتقوم بقياس طول الخيط الليفى من البقعة التى وُجدت فى أقصى الجانب الأيسر للمقعد الخلفى ، وقالت : " سبع وعشرين بوصة من نهاية المقعد الخلفى الأيسر ، وسبع بوصات من أعلى المقعد . ومن هذا الموقع يبدو منطقياً أن الفيبر مصدره المعطف . ولقد جمعنا أيضاً بعض الألياف الصناعية بالضبط بالقرب من باب الجانب الأيسر . وقد تطابقت هذه الألياف مع القماش الذى وجد على الرجل المتوفى الذى كان يجلس فى هذا الموضع " .

نظرت ليز إلى الشاشة مرة أخرى قائلة : " لم نكن نحتاج إلى أشعة ليزر لإيجاد العينة التالية . لقد كانت مرئية بوضوح " . تغيرت الشاشة واستخدمت ليز السهم لتشير إلى العديد من خصل الشعر الفردية .

قال سوير : " دعينى أخمن ، طويلة وشقراء . لونها طبيعى وليست مصبوغة وجدت قريبة جداً من الخيط الليفى " .

" جيد جداً يا لى ، سوف نجعل منك عالماً " . ابتسمت ليز بلطف ثم أضاف : " ثم استخدمنا بعد ذلك بلورة بنفسجية اللون لاختبار الدم ووجدنا الكثير منه . ولك أن تتخيل ، كانت آثار الرذاذ واضحة للعيان وأيضاً حية للغاية فى هذه القضية ، وهذا على الأرجح نتيجة للقياسات الدقيقة التى استخدمت لمسرح الجريمة " .

نظروا جميعاً إلى شاشات الحاسب حيث ظهر الجسم الداخلى لليموزين وقد شع ضوء براق فى العديد من الأماكن . ولبرهة بدا لهم

وكأنهم داخل منجم عميق تتلألأ فيه قطع من الذهب من كل صوب وحدب . وضعت ليز علامات على العديد من البقع باستخدام مؤشر وقالت : " استنتاجى هو أن السيد الذى وجد مُسجى على أرضية المقعد الخلفى كان يجلس إما موجهاً وجهه للخلف أو متجهاً جزئياً ناحية الجانب الأيمن من النافذة . فقد وجد الجرح الناجم عن الطلقة النارية بالقرب من الصدغ الأيمن . وقد كان هناك الكثير من الدماء ، والعظم ، والأنسجة المتناثرة فى كل مكان . يمكنك أن ترى المقعد الخلفى وقد غطاه الحطام " .

أشار سوير إلى الجانب الأيسر للكرسى الخلفى وقال : " نعم ، بيد أنه هناك ثغرة فى الدليل هناك " .

قالت ليز : " لديك قوة ملاحظة ، هذا صحيح تماماً " . واستخدمت جهاز القياس الخاص بمهارة مرة ثانية ثم أضافت : " لقد وجدنا عينات موزعة بصورة غير منتظمة على الإطلاق على المقعد الخلفى . هذا ما جعلنى أذكر أن الضحية " ـ ألقت ليز نظرة على بعض الملاحظات المدونة فى ورق بجانب الحاسب ـ " بروفى ، قد انقلب ناحية جنبه الأيسر . وهذا يترك مساحة للطلقة النارية فى الصدغ الأيمن ، والذى كان مواجهاً للمقعد الخلفى مباشرةً ، وهذا يفسر وجود الكثير من الآثار التى تغطى المعقد الخلفى " .

أجاب سوير بجفاف : " هذا أشبه بطلقة المدفع " .

" هذا ليس بالضبط المصطلح الفنى ولكنه جيد بالنسبة إلى شخص غير متخصص فى المهنة يا لى " . عقدت ليز حاجبيها ثم استطردت : " على أية حال ، النصف الأيسر من المقعد الخلفى لا يوجد به أى أثر ، سواء أية دماء ، أو أية أنسجة ، أو أية شظايا عظام بمساحة ما يقرب من أربع وخمسين بوصة ، أى أربع أقدام

تقريباً ، لماذا هذا ؟ " ، ونظرت ليز إلى العميلين كمعلمة تنتظر من تلاميذها أن يبدأوا فى رفع أيديهم .

أجاب سوير : " نحن نعلم أن أحد المجنى عليهم كان يجلس أقصى الجانب الأيسر ، ألا وهو فيليب جولدمان . فقد وُجد فى هذا المكان . غير أنه كان شخصاً متوسط الحجم . ومن المستحيل أن يكون قد احتل كل هذه المساحة . وبالنظر إلى حجم الثغرة ، وآثار الشعر ، والخيط الليفى الذى التقطوه بالفعل ، فإنه يمكن القول بأن هناك شخصاً آخر كان يجلس بجانب جولدمان مباشرةً " .

أجابت ليز : " هذا تفسيرى للمسألة أيضاً ، فإن جرح جولدمان يمكن أن يكون قد ألقى كمية لا بأس بها من الدم أيضاً . كما أننا لم نجد شيئاً على المقعد بجانبه . وهذا يدعم الاستنتاج القائل بأن شخصاً آخر كان يجلس بجانبه ، وتلقى عنه كمية الدم كاملة . وأقل ما يمكن أن يقال بهذا الشأن إنه أمر غير ممتع . فإنى أفضل أن أُنقع داخل حوض استحمام لمدة أسبوع على أن يحدث لى شىء كهذا ، لا قدر الله " .

بدأ جاكسون يتحدث قائلاً : " معطف صوفى ، وشعر طويل أشقر " .

قاطعته ليز وأشارت إلى الشاشة قائلة : " وهذا أيضاً " . حدقوا جميعاً حيث تغيرت الشاشة وظهر عليها المقعد الخلفى مرة ثانية ، وقد تقطع الجلد الذى يكسوه فى العديد من الأماكن وكان هناك ثلاثة خطوط متوازية تقريباً تجرى من الأمام إلى الخلف فى بقعة قريبة للغاية من المكان الذى وجد به جولدمان وفى وسط الدمار استقر شىء غريب " . نظر العميلان إلى ليز .

" هذا جزء من ظفر . ولم يكن لدينا الوقت لإجراء تحليل الحمض النووى لتحديد صاحبه . ولم نكن نحتاج له فى الواقع ، فهو بلا جدال ظفر أنثى " .

تساءل جاكسون : " وكيف عرفت هذا ؟ " .

" إن الموضوع ليس بهذا التعقيد يا راى . الظفر طويل وعليه طلاء أظافر وضع باحتراف ، ونادراً ما يفعل الرجال مثل هذه الأشياء بأنفسهم " .

" أوه " .

" والخطوط المتوازية على الجلد ــ " .

قال سوير : " خدوش ، لقد خدشت المقعد وكسرت ظفرها " .

علقت ليز قائلة : " هذا صحيح . فلابد أنها كانت مذعورة حقاً

أضاف جاكسون قائلاً : " ليس غريباً على الإطلاق ، أليس كذلك ؟ " .

وجه سوير سؤالاً لها قائلاً : " أهناك شىء آخر يا ليز ؟ " .

" أوه ، نعم . هناك الكثير من البصمات . لقد استخدمنا مركباً يعمل بكفاءة خاصة بالنسبة للبصمات الملتقطة بأشعة الليزر . وقد حصلنا على نتائج جيدة للغاية . وقد قمنا برفع بصمات الضحايا الثلاث ، ووجدنا أن آثار بصماتهم موزعة فى كل مكان . وقد وجدنا عدداً من البصمات الأخرى ، غير أن بعضها يتطابق مع تلك الخدوش ، وهو الأمر الذى يبدو طبيعياً إلى حدٍ ما . ووجدنا أيضاً شيئاً آخر ذا أهمية خاصة " .

تساءل سوير وأنفه يرتعش تقريباً فى ترقب : " ما هذا ؟ "

" كانت ملابس بروفى مبقعة بكثافة بدم وبقايا بشرية أخرى ناتجة عن جرحه . كانت كتفه اليمنى ، على وجه التحديد ، مغطاة بالدم . وهذا منطقى حيث إن صدغه الأيمن كان ينزف بغزارة

ولقد وجدنا عدداً من البصمات ، الإبهام ، السبابة ، الخنصر ، ومجموعة عينات من يد كاملة غاصت فى الدماء على كتفه اليمنى " .

تساءل سوير وقد بدت عليه علامات الدهشة : " وما تفسيرك لها ؟ أكان أحدهم يحاول قلبه ؟ "

" لا يمكن الجزم بهذا ، على الرغم من أنه ليس لدى أى دليل يدعم قولى هذا . إلا أن تفسيرى الشخصى للموضوع ، إذا حكمنا حسب بصمات الكف ، بأن شخصاً كان يحاول التسلق عليه أو على الأقل يحاول أن يباعد ما بين رجليه . بيد أن القرب بين الأصابع ، وزاوية الكف وغيره ، يشير بقوة حقاً لما حدث " .

بدا سوير متشككاً بدرجة عالية وقال : " يتسلق عليه ؟ قطعاً لم يكن ذلك بغرض التريض ؟ أليس كذلك يا ليز ؟ لا يمكنك حقاً الجزم بذلك من البصمات ، أليس كذلك ؟ " .

" إننى لا أبنى استنتاجاتى ببساطة على ذلك . لقد وجدنا هذا أيضاً " . وأشارت ليز إلى الشاشة مرة ثانية . وظهر عليها شىء غريب وقد بدا الشكل وكأنه ذو أبعاد . وقد جعلت الخلفية المظلمة من حولها من الصعب استيعاب ما يلاحظونه على الشاشة .

" كانت هذه صورة قد التقطت لجسم بروفى . أوضحت ليز قائلة : " كان وجهه متجهاً ناحية الأرضية وكنا ننظر إلى ظهره . يمكنكما أن تشاهدان فى منتصف ظهره هذا الشكل . وقد كان ذلك واضحاً مرة أخرى ببقعة دم " .

حدق كل من جاكسون وسوير ومالا ناحية الشاشة محاولين أن يميزا ماهية الصورة وأخيراً يئسا ونظرا إلى ليز .

" إنها ركبة " . كبرت ليز الصورة حتى ملأت الشاشة بأكملها .

" إن الركبة البشرية تعطى شكلاً فريداً من نوعه للغاية ، وخاصة حينما يكون لديك وسط لين مثل الدم " . ثم ضغطت ليز على أحد الأزرار فظهرت صورة أخرى على الشاشة وقالت : " لقد وجدنا هذا أيضاً . "

نظر جاكسون وسوير مرة ثانية إلى الشاشة . وهذه المرة كان الشىء المعروض واضحاً للغاية . قال جاكسون : " إنها آثار أقدام " .

بدا سوير غير مقتنع فقال : " نعم ، لكن لماذا يتسلق الشخص كل هذه المسافة فوق الرجل الميت وتلطخه الدماء وغيرها من الأشياء التى لا يعلمها إلا الله ، ويترك وراءه آثاراً فى حين أنه كان يستطيع فتح الباب الأيسر والخروج منه ؟ أعنى أن الشخص الذى كان يجلس بجوار جولدمان كان جالساً بالجانب الأسر " .

نظر جاكسون وليز إلى بعضهما البعض ولم يكن لدى أى منهما إجابة لذلك . هزت ليز كتفيها وابتسمت قائلة : " لهذا السبب يدفعون لكم مبالغ طائلة أيها الرفاق . أما أنا فمجرد فأر تجارب " .

ابتسم جاكسون قائلاً : " كم أود أن يكون لدىّ خمسون شخصاً مثلك يا ليز " .

ابتسمت ليز لمجاملته وقالت : "سوف أعطيكما تقريراً بكل هذا فى وقت لاحق اليوم ".

خلع جميعهم النظارات الواقية .

نظر سوير إليها قائلاً : " أفترض أنك قمت اليوم باختبار البصمات بالفعل ؟ " .

" يا إلهى ! إنى آسفة . إننى لم أتحدث عن المسار الأساسى . جميع البصمات ـ والبصمة التى شاهدناها على الشاشة ، الموجودة على سلاح الجريمة ، وجميع البصمات الموجودة بالسيارة الليموزين

بدءاً من السيارة ووصولاً إلى الطابق الثامن ومنه إلى أسفل ثانية ـ كانت كلها لنفس الشخص " .

قال جاكسون : " سيدنى آرتشر ؟ " .

أجابت ليز : " هذا صحيح . وكان المكتب الذى قادنا إليه أثر الدم كان مكتبها أيضاً " .

دخل سوير إلى الليموزين ونظر بداخلها وأشار إلى ليز وجاكسون أن ينضما إليه .

" حسناً بناءً على ما عرفناه الآن ، هل يمكن لنا أن نفترض أن سيدنى آرتشر كانت تجلس هنا تقريباً ؟ وأشار إلى البقعة قرب اليسار الأوسط للمقعد الخلفى .

" وهذا يبدو منطقياً ، استناداً إلى الآثار التى اكتشفناها حتى الآن . وسوف يدعم الأسلوب الذى تناثرت به الدماء ، ودليل ضبط الخيط الليفى ، والبصمة ، هذا الاستنتاج حتمياً " .

" حسناً ، وبالنظر إلى المكان الذى انتهت به الجثة ، وجد أن بروفى كان على الأرجح جالساً ووجهه للخلف . وأنت تقولين إنه يمكن أن يكون قد استدار برأسه ، وهذا يفسر بقايا الدم الكثيفة على المقعد الخلفى أليس كذلك ؟ " .

" هذا صحيح " . هكذا أومأت ليز برأسها حينما كانت تحاول أن تتابع إعادة تصور الموقف الذى كان يرسمه سوير .

" والآن ، لقد كانت ماسورة السلاح تلامس جرح بروفى عندما أطلق عليه النار فى السيارة . ولا يوجد شك كبير فى هذا . إلى أى مدى يمكنك القول بأن الجالس فى هذا المكان هو من أطلق الرصاص ؟ " . وكان سوير يشير إلى الفراغ بين الكرسى الأمامى والكرسى الخلفى لمنطقة الركاب .

قالت ليز : " لسنا مضطرين للتخمين " . ومشت إلى المكتب وجذبت شريطاً للقياس وعادت مرة ثانية . وقامت بمساعدة جاكسون بقياس الفراغ ، ثم نظرت إلى النتيجة على شريط القياس ، ثم قطبت حاجبيها . ونظرت إلى حيث أشار سوير ، ثم قالت : " المسافة ست أقدام وست بوصات من منتصف المقعد إلى المقعد الآخر " .

" حسناً ، بناء على غياب بقايا الدماء فى المقاعد الخلفية ، كانت آرتشر وجولدمان يجلسان هناك . وظهراهما محاذيان للمقعد ، متفقين على ذلك ؟ " ، أومأت ليز وكذلك جاكسون ثم قال سوير : " حسناً ، فكيف يمكن إذن لسيدنى آرتشر إذا كانت تجلس وظهرها محاذ للمقعد أن تحدث جرحاً فى صدغ بروفى الأيمن ؟ " .

أجابت ليز أولاً : " لا ، لا يمكن إلا إذا كانت تجر ذراعها خلفها وهى تمشى " .

نظر سوير إلى ليز برفق : " ماذا لو أن بروفى كان يميل ناحية آرتشر ملاصقاً لها ، ثم سحبت المسدس وأطلقت النار ، فارتمى جسده عليها ، مثلاً ، إلا أنها دفعته وألقت به على الأرض . ما الخطأ فى هذا التصور ؟ " .

فكرت ليز لبرهة : " إذا كان مائلاً للأمام ـ وكان عليه تقريباً أن يترك مقعده ـ كان على القاتل أن يفعل نفس الشىء ، فمن الممكن أن يتقابلا فى المنتصف ، وهذا من أجل أن يكون التلامس بين ماسورة السلاح ومكان الجرح ممكناً . ولكن لو مال القاتل إلى الأمام ، لاختلف شكل رذاذ الدم ومن ذلك نستنتج أن من أطلق الرصاص لم يكن ظهره محاذياً للمقعد . وحتى مع افتراض أن جسدها قد تلقى معظم بقايا الدم ، فسيكون من المرجح جداً أن

ينتهى الأمر بالبعض بالسقوط خلفها على المقعد . ولكن إذا ما كانت محاذية للمقعد وقت إطلاقها للرصاص ، لسقط بروفى على الأرجح تقريباً على حجرها . وهذا لا يبدو معقولاً على الإطلاق . أليس كذلك ؟ " .

قال سوير : " أوافقك الرأى . لنتحدث عن جرح جولدمان لبرهة . كانت هى تجلس على يسار جولدمان ، حسناً ؟ ألا تعتقدان أن مكان اختراق الرصاصة كان يجب أن يكون على الصدغ الأيمن وليس فى منتصف الجبهة ؟ " .

" ألا يمكن أن يكون قد استدار بوجهة ناحيتها " . هكذا قالت ليز ثم توقفت ثم أكملت كلامها قائلة : " غير أنه فى هذه الحالة فإن أشكال رذاذ الدم لا تتوافق مع هذا الافتراض . كان جولدمان حتماً ينظر إلى مقدمة السيارة الليموزين حينما أصابته الرصاصة . ولكن مازال الأمر ممكناً يا لى " .

" حقاً ؟ " . جذب سوير مقعداً ، وجلس عليه ، وتخيل أنه يحمل مسدساً فى يده اليمنى ، لفه ثم وجهه إلى الخلف وكأنه على وشك أن يطلق الرصاص على جبهة شخص يجلس على يساره ووجه إلى الأمام مباشرة . ثم نظر إلى كل من ليز وجاكسون قائلاً : " غريب للغاية أليس كذلك " .

رد جاكسون وهو يهز رأسه : " للغاية " .

قال سوير وهو يعيد تمثيل الموقف وهو ممسك بالمسدس الخيالى فى يده اليسرى وقال : " ومما يزيد الموضوع غرابة يا رفاق أن سيدنى آرتشر تعمل بيسراها . ألم تذكر يا راى وهى تتناول قهوتها ، وتناولك المسدس؟ إنها تستخدم يدها اليسرى " .

وكانت نتيجة التمثيل التحليلى مضحكة حينما لوى العميل الضخم جسده بشدة .

قال جاكسون : " يمكن أن يكون هذا محتملاً ، إلا أنه عليها أن تستدير وتواجهه لتحدث فيه جرحاً كهذا . هذا احتمال ، والاحتمال الآخر أن تكون دفعت ذراعها خارج التجويف . ولن يستطيع أحد أن يطلق الرصاص من مسدس على هذا النحو ".

" إذن ، إذا افترضنا أن آرتشر هى التى أطلقت الرصاص ، فإنها تمكنت من إطلاق الرصاص على السائق فى المقعد الأمامى ، ثم قفزت إلى المقعد الخلفى ، وفجرت بروفى وهو الشىء الذى وضحنا مسبقاً أنه غير ممكن ، ثم إذا افترضنا أنها استخدمت زاوية مختلفة تماماً لإطلاق النار على جولدمان فيعد ذلك مستحيلاً فى الواقع " . وهب سوير واقفاً من مقعده ثم هز رأسه .

" لقد طرحت بعض النقاط المنطقية يا لى ، بيد أنه مازال هناك بعض الآثار التى لا يمكن النقاش فيها وتربط سيدنى آرتشر بمسرح الجريمة " . هكذا اشتركت ليز ثانية فى الحديث .

قال سوير بحرارة : " تواجد المرء فى مسرح الجريمة ، يختلف تمام الاختلاف عن ارتكابه لجريمة مثل هذه يا ليز " . وبدت ليز متألمة من صد العميل الحاد لها .

وبينما كانوا يغادرون المعمل طرح سوير سؤالاً أخيراً وقال : " ألديك إجابة بشأن اختبار بقايا الرصاص حتى الآن ؟ "

قالت ليز برفق : " أرجو أن تتفهم أن قسم الأسلحة النارية بالمكتب لم يعد يقوم باختبارات كهذه ثانيةً ، منذ أن اتضح أن نتائج الاختبارات لا تسفر عن أية دلائل مهمة ، إلا أنه مادمت أنت الذى يطلب إجراء الاختبار ، لن يستطيع أحد إعاقتى . أمهلنى دقيقة واحدة ، أيها العميل سوير ، وسوف أبحث الأمر " . لم يبد سوير منتبهاً حيث كان يتفحص الأرض وقد ارتسمت على وجهه علامات الكآبة .

عادت ليز إلى مكتبها والتقطت سماعة الهاتف . كان سوير يحدق إلى الليموزين ، ناظراً إليها وكأنه يريده أن يختلى بها بعيداً عن العالم . نظر جاكسون إلى زميله بحذر وأفلت من عينيه نظرة بها مسحة اهتمام .

عادت ليز ثانية قائلة : " لم يقم أى من المجنى عليهم بإطلاق النار أو حمل سلاح أُطلقت منه النيران حديثاً بأيديهم فى الست ساعات قبيل وفاتهم " .

تساءل سوير وقد عقد حاجبيه : " هل أنت واثقة ؟ لا يوجد خطأ بشأن هذا ؟ "

تحول وجه ليز المشرق دائماً إلى العبوس وقالت : " يعرف الموظفون الذين يعملون معى كيفية القيام بعملهم يا لى . إن اختبار فحص بقايا الرصاص ليس معقداً ، على الرغم من أنه لم يعد يتم بشكل روتينى ، كما قلت لكما من قبل ؛ وذلك لأن النتائج الإيجابية ليست دقيقة دائماً ، فهناك الكثير من المواد التى تعطى عملياً نتيجة خاطئة . إلا أن المسدس من الممكن أن يلقى نسبة كبيرة من البقايا ، وجاءت نتيجة الاختبار سلبية . وأستطيع القول بأن مستوى الثقة فى هذه النتيجة مرتفع للغاية . إلا إذا لم تكن قد انتبهت لما قلته . فقد أضفت عازلاً حول أيديهم العارية . فمن الممكن أن يكونوا قد ارتدوا قفازات بالطبع " .

أشار جاكسون إلى هذه النقطة : " لكن لم يتم العثور على أية قفازات معهم " .

قالت ليز : " هذا صحيح " . ونظرت إلى سوير بانتصار .

تجاهل سوير النظرة ثم تساءل : " هل كانت هناك أية بصمات على المسدس التسعة ميللى ؟ "

أجابت ليز : " بصمة إبهام واحدة ، غامضة جزئياً ، إلا أنها كانت لباركر ، السائق " .

تساءل سوير : " لم تكن هناك أية بصمات لأى شخص آخر ؟ هل أنت متأكدة ؟ " . لم تقل ليز شيئاً ، إلا أن الانطباع الذى ارتسم على وجهها أجاب عن السؤال .

" حسناً ، أنت تقولين إن بصمة باركر كانت غامضة جزئياً . ماذا عن بصمات آرتشر ؟ إلى أى مدى كانت واضحة ؟ "

" على ما أتذكر ، كانت واضحة بدرجة كافية . فعلى الرغم من عدم وضوح بصماتها على القبضة والزناد ، إلا أنها كانت واضحة على الماسورة " .

قال سوير بصوت يكاد لا يسمعه أحد إلا هو : " الماسورة ؟ " ثم نظر إلى ليز قائلاً : " نحن لدينا تقرير بشأن حركة وسرعة المقذوفات الآن ؟ إننى مهتم حقاً بالأساليب الخاصة بمنحنى مسار القذيفة ؟ "

" أجريت تشريحات الجثة حسب ما تكلمنا . وسوف نعرف قريباً . ولقد طلبت منهم أن يطلعونى على النتائج . وسوف يتصلون بى غالباً ، إلا أنه فى حالة عدم اتصالهم سوف أعلمك قطعاً حينما ترغب فى التأكد من أنهم لم يقوموا بأى خطأ " .

نظر سوير إليها للحظة وقال : " شكراً جزيلاً يا ليز ، لقد قدمت لنا مساعدة كبيرة " . ولم يجد أى من ليز وجاكسون صعوبة فى إدراك نبرة السخرية فى صوته . انغمس سوير بعمق فى أفكاره وقد تقوست كتفاه العريضتان الهائلتان ، ومشى ببطء وإجهاد .

تخلف جاكسون للحظة مع ليز ، والتى شاهدت سوير وهو يغادر ، ثم نظرت إلى جاكسون متسائلة : " ماذا يشغل باله إلى هذه الدرجة يا راى ؟ لم يعاملنى هكذا من قبل " .

لم يجب جاكسون على الفور . وأخيراً هز كتفيه واستدار ليغادر قائلاً : " لست متأكداً من قدرتى على إجابة هذا السؤال الآن يا ليز . لست متأكداً على الإطلاق " . ثم تبع زميله مغادراً فى هدوء .

الفصل الحادى والخمسون

ركب جاكسون السيارة ونظر إلى زميله . كان سوير جالساً فى السيارة ، ويداه على عجلة القيادة محدقاً فى الظلام . نظر جاكسون فى ساعته وقال : " مرحى ، يا لى ، ما رأيك فى أن نتناول بعض الطعام ؟ " . وحينما لم يرد سوير ، أضاف جاكسون : " إنه على حسابى ؟ لا تجعل هذا العرض يمر سُدى . قد لا يتكرر مرة ثانية أبداً طوال عمرك " . ثم أمسك بذراع سوير وضغط عليه ضغطة ودية .

نظر سوير إليه أخيراً . وللحظة ارتسمت على شفتيه ابتسامة سرعان ما اختفت ، وقال : " أترغب فى وجبة ؟ أتعتقد أنى فشلت حقاً في حل هذه القضية يا رايموند ، أليس كذلك ؟ "

قال جاكسون : " إننى أخشى أن تصاب بالنحافة الشديدة ".

ضحك سوير ثم انطلق بالسيارة .

التهم جاكسون وجبته بنهم شديد بينما تلاعب سوير بالكاد بكوب من القهوة بين يديه . كان العشاء فى مطعم مجاور للغاية لمبنى المقر الرئيسى للمباحث الفيدرالية ومن ثم كان مشهوراً للغاية لدى العاملين بالمبنى . حيا العميلان عدداً من زملائهما الذين كانوا يلتهمون وجبة سريعة قبل أن يتوجهوا إلى بيوتهم أو قبل أن يذهبوا إلى وردية عملهم .

نظر جاكسون إلى سوير قائلاً : " لقد قمت بعمل جيد فى المعمل ، إلا أنك قد عاملت ليز بشدة . لقد كانت فقط تؤدى عملها " .

لمعت عينا سوير فجأة وهو ينظر إلى شريكه وقال : " إنك تعامل أطفالك بهذه الشدة حينما يتأخرون عن موعد العودة إلى المنزل أو عندما يضغط أحدهم على آلة التنبيه بسيارتك . وإذا أراد أحدهم الكسل أو الخمول فأنا أقترح وبشدة ألا يحاول الحصول على وظيفة بالمباحث الفيدرالية " .

" أنت تعرف ما أعنيه . إن ليز تقوم بعملها جيداً وبكفاءة " .

بدأت قسمات سوير تلين وقال : " أنا أعرف يا راى . سوف أرسل إليها بعض الزهور ، حسناً ؟ " ، ثم نظر سوير بعيداً ثانية .

قال جاكسون من بين القضمات التى كان يتناولها : " إذن ما الخطوة القادمة ؟ ".

نظر إليه سوير قائلاً : " لست متأكداً حقاً . لقد كانت هناك بعض القضايا التى تحدث بها منعطفات ومتغيرات أثناء سير القضية ، ولكن ليس بهذه الدرجة " .

" أنت لا تصدق أن سيدنى آرتشر هى التى قتلت هؤلاء الرجال ، أليس كذلك ؟ "

" بصرف النظر عن الدليل المادى الذى يقول باستحالة أن تكون سيدنى هى التى ارتكبت جريمة القتل ، فإننى أنا لا أصدق أنها ارتكبت هذه الجريمة " .

" لكنها كذبت علينا بالفعل يا لى . هل نسيت الشريط ؟ لقد كانت تساعد زوجها على الهرب . لا يمكن أن تغفل هذه الحقائق " .

شعر سوير بالذنب يتسرب إليه مرة أخرى . فهو لم يحجب معلومات عن شريك له من قبل . نظر إلى جاكسون ثم قرر أن يطلعه على ما كشفته سيدنى له . وبعد خمس دقائق جلس جاكسون مندهشاً .

حدق سوير إليه بقلق وقال : " لقد كانت خائفة ، لا تدرى ماذا تفعل . إننى على يقين من أنها أرادت أن تخبرنا منذ البداية . اللعنة ، لو كنا فقط نعرف أين هى الآن . إنها يمكن أن تكون فى خطر محدق يا راى " . ضرب سوير بقبضة يده على كفه وقال : " لو جاءت فقط إلينا ، وعملنا معاً ، لكنا حللنا لغز هذه القضية من أساسها " .

انحنى جاكسون إلى الأمام ، وبدا على وجهه التصميم وقال : " اسمع يا لى ، لقد قمنا بالتحقيق فى العديد من القضايا معاً ، إلا أنك كنت دائماً بالرغم من كل شىء تحفظ مركزك جيداً . كنت ترى الأشياء على حقيقتها " .

قال سوير بنبرة واثقة : " وهل تعتقد أن هذه القضية مختلفة ؟ "

" إنى أعلم أنها مختلفة ، لقد كنت قريباً من هذه السيدة منذ البداية ، وكنت قطعاً تعاملها معاملة مختلفة عن المعاملة الطبيعية التى تعامل بها المشتبه فيهم فى قضية كهذه . والآن تخبرنى أنها أطلعتك على الشريط وعن حديثها مع زوجها . ولقد احتفظت بهذه المعلومات لنفسك . يا إلهى ! . أنت تعلم أن تصرفاً كهذا يمكن أن يطيح بك خارج عملك من المكتب " .

" إذا كنت تشعر بأنه لابد أن تبلغ ما حدث منى يا راى ، فإننى لن أمنعك " .

ابتسم جاكسون ابتسامة خفيفة وهز رأسه نافياً وقال : " إننى لن أطيح بمستقبلك أدراج الرياح ، فأنت من أكفأ عناصر المباحث الفيدرالية حتى الآن " .

" هذه القضية ليست مختلفة بأى صورة من الصور " .

" هراء ! " . مال جاكسون إلى الأمام أكثر وأضاف : " أنت تعلم أنها مختلفة ،وأنها تربك كيانك كله . وتشير جميع الدلائل ، حتى الصغير منها ، إلى أن سيدنى آرتشر ضالعة فى بعض الجرائم الخطيرة ، ومع ذلك فإنك تدافع عنها بكل السبل وتقف فى صفها . لقد قمت بهذا مع فرانك هاردى ، ومع ليز ، والآن تحاول أن تفعل ذلك معى . إنك لست بسياسى يا لى ، إنك رجل تنفذ القانون وحسب . قد لا تكون سيدنى متورطة فى كل شىء ، ولكنها ليست ملاكاً . وهذا شىء مؤكد لا خلاف عليه " .

" أنت تختلف إذن مع استنتاجاتى بشأن جريمة القتل الثلاثية ؟ " . هكذا رد سوير الهجوم .

هز جاكسون رأسه وقال : " لا أعتقد أنك محق. بيد أنك إذا كنت تريد منى أن أصدق أن آرتشر مجرد طفلة بريئة وضعت فى شرك ، فأنت إذن لا تتحدث مع رجل المباحث الفيدرالية

المناسب . أتذكر ما قلته عن الكسل والخمول ؟ حسناً ، كان علىَّ أن أقطع منه طناً حتى أبداً أن أصدق أن سيدنى آرتشر ، الجميلة الذكية ـ كما من المفترض أن تكون ـ لا يجب أن تقضى جزءاً لا بأس به من سنوات عمرها الباقية فى السجن " . قال جاكسون هذا واعتدل فى جلسته .

" إذن ، إنك تعتقد أن الوضع هكذا ؟ غادة حسناء ، جميلة وذكية أذهبت عقل العميل المخضرم ؟ " ، لم يجب جاكسون ؛ بيد أن الجواب قد ارتسم بوضوح على وجهه . علا صوت سوير قائلاً : " عجوز مطلق وحيد يريد أن يقيم معها علاقة ، أليس كذلك يا راى ؟ ولم أكن لأقوم بذلك ما لم تكن مذنبة . أهذا ما تعتقده ؟ "

" لماذا لا تتحدث إلى يا لى ؟ " .

" ربما علىَّ أن أقذف بك خارج النافذة على الفور " .

جاءت إجابة جاكسون كهجمة مرتدة وقال : " ربما يجب عليك محاولة هذا " .

اهتز صوت سوير ثم قال : " أيها النذل اللعين " .

وصل إليه جاكسون وقبض على ذراعه وصرخ فى وجهه : " إنى أريدك أن تعود إلى رشدك . إذا كنت تريد أن تقيم علاقة معها فلا بأس . لننتظر حتى تنتهى القضية . ويثبت أنها غير مذنبة ! " .

رد سوير الصراخ وأشاح بيد جاكسون بعيداً وقال : " كيف تجرؤ على قول كهذا ؟ " . قفز سوير وهم أن يلكمه بقبضة قوية ، أوقفها فى الهواء حينما أدرك ما كان على وشك أن يفعله . وحدق العديد من رواد المطعم فى هذا المشهد مصدومين . بقيت عينا سوير وجاكسون معلقة حتى أرخى سوير أخيراً قبضته وجلس وصدره يعلو ويهبط فى انفعال وشفته السفلى ترتعد .

قال جاكسون فجأة : " أنا آسف يا لى . لقد كنت فقط قلقاً على ... " . ثم أشار له سوير بيده ليتوقف عن الحديث .

بدأ سوير حديثه ببطء وهدوء وقال : " أنت تعلم يا راى ، لقد قمت بالعمل فى المباحث الفيدرالية نصف عمرى . وحينما بدأت العمل ، كان من السهل علىَّ التمييز بين الطيبين والأشرار . وفى ذلك الوقت لم يكن الأطفال يقتلون الناس كما فعلوا فى وقت الغداء أمس . ولم يكن لديك إمبراطوريات مخدرات تدار بهدوء ويسر وتحقق مليارات الدولارات ، أموال تكفى لأن يفعل أى شخص من أجلها . كان لديهم مسدسات ، وكان لدينا مسدسات وعما قريب سيقومون بإطلاق صواريخ أرض جو " .

" وبينما كنت عند البقال أحاول أن أقرر ماذا أختار لعشائى من وجبات الإعلانات المقيتة ، وأبحث عما يبيعونه من الطعام ، ارتمت حوالى عشرين جثة لا لأى سبب وجيه غير أن أحدهم استدار فى الشارع الخطأ ، أو أن مجموعة من الشباب الصغار العاطلين عن العمل تشاجروا مع بعضهم البعض على قطعة صغيرة من المخدرات بأسلحة نارية فتاكة أكثر من تلك المستخدمة فى معارك الجيوش . نحن نلعب المساكة كل يوم ، ولكننا لا نكسب أرضاً أبداً " .

" دعك من هذا يا لى ، الخط الأزرق الرفيع لم يزل موجوداً ، طالما هناك أشرار فى الدنيا " .

" إن الخط الأزرق الرفيع أشبه بطبقة الأوزون يا راى . يوجد بها ثقوب بحجم الجبال ، وتنخر الثقوب فى جميع أجزائها . لقد كنت أمشى على هذا الخط لمدة طويلة . ماذا يمكن أن أفعله لأبين لك هذا ؟ إننى مطلق ، وأولادى يعتقدون أننى أب مقيت لأننى كنت أقتفى أثر مفجر الطائرة ، أو أطارد جزارا ذا ابتسامة ماكرة يرغب فى أن يحيط حقيبته بتذكار من عينات من أجساد بشرية ،

بدلاً من أن أساعد أولادى فى إطفاء شمع أعياد ميلادهم . أتعلم شيئاً ؟ لقد كانوا على حق . لقد كنت أباً سيئاً ، وخاصة لـ " ماجى " . لقد كنت أعمل لساعات طويلة بلا نهاية ، ولم أكن متواجدا بجانبها أبداً ، وحينما كنت أتواجد كنت إما نائماً أو أفكر فى إحدى القضايا ولم أكن غالباً أسمع نصف ما كانوا يحاولون أن يقولوه لى . والآن أعيش وحيداً فى شقة رخيصة قذرة ولا أرى معظم الفواتير التى علىّ . وأشعر بأن معدتى بها مجموعة من سواطير اللحم تقطع فى جدارها . وعلى الرغم من أننى واثق أن هذا خيالى ، إلا أننى أحمل العديد من قطع الرصاص الحقيقى بصفة دائمة معى . وفوق كل هذا ، أجد مؤخراً صعوبة بالغة فى النوم ما لم آخذ الأقراص المنومة والمهدئات " .

" يا إلهى يا لى ، أنت دائماً كالصخر فى عملك ، الجميع يحترمونك احتراماً بالغاً . حينما تبدأ فى تحقيق ترى أشياء لا أراها أبداً ، وتستطيع تجميع الصورة بأكملها بينما أنا مازلت أخرج مذكراتى من جيبى ، لديك أفضل المواهب والحواس التى لم أرها فى أحد من قبل " .

" هذا جيد يا راى . مع الوضع فى الاعتبار أن هذا هو الشىء الوحيد الذى تبقى لى . لكن لا تخدع نفسك . أنا أكبر منك بعشرين عاماً . هل تعرف ما الموهبة ؟ إنها رؤية نفس الشىء مراراً وتكراراً حتى تبدأ فى تكوين فكرة عن الأشياء . خطوة إضافية قليلة هى طريقك للوصول إلى ما كنت عليه أنا قبل ستة أعوام " .

" إننى أقدر هذا يا لى " .

" لكن لا تسئ تفسير ما بحت لك به ، فأنا لا أشعر بالأسى على نفسى ، كما أننى لا أستدر شفقة أى شخص . لقد توافرت

لدىّ خيارات وقد اخترت طريقى . وإذا كانت حياتى قد فشلت ، فقد فشلت بسببى أنا وليس بسبب أى شخص آخر " .

هب سوير واقفاً ، ومشى بطول المنضدة وتبادل بعض الكلمات القليلة مع النادلة النحيلة . وفى غضون لحظة كان يمشى مشية سريعة ويطبق يديه على شكل كوب ، وخيط رفيع من الدخان يتصاعد لأعلى ، ثم جلس وأمسك بيده السيجارة وقال : " من أجل الأيام الخوالى " . ثم وضع الكبريت ببطه فى الطفاية ، ثم جلس وأخذ نفساً طويلاً من السيجارة ، وخرجت من بين شفتيه ضحكة خافتة تسمع بالكاد .

" لقد بدأت العمل فى هذه القضية يا راى معتقداً أننى وضعت يدى على مفاتيحها منذ البداية . وكان ليبرمان هو الهدف . وقد اكتشفنا كيف سقطت الطائرة . بيد أن هناك الكثير من الدوافع ، ولكن كان القليل منها فقط الذى نستطيع أن نتتبعه ، ولقد شققنا طريقنا حتى استطعنا أن نحدد الوغد المسئول عن سقوطها . اللعنة ، لقد وجدنا مفجر الطائرة بسهولة كبيضة مقشرة وجاهزة ، حتى بعد أن عرفنا أنه قد فارق الحياة . ولقد بدأت الأمور جيدة للغاية ، ثم انهارت الأرض من تحتنا . لقد اكتشفنا أن جاسون آرتشر قد نجح فى تحقيق سرقة معلومات وتوجه إلى سياتل لبيع تلك الأسرار بدلا من أن يكون مدفوناً تحت الأنقاض فى فيرجينيا . هل كانت هذه خطتك ؟ يبدو أنها كذلك على الأرجح " .

" لقد اتضح أن مفجر الطائرة شخص استطاع بطريقة ما أن يتسلل إلى نظام الحاسب الخاص بشرطة ولاية فيرجينيا . وقد ضللتنى سيدنى بذهابها إلى نيو أورليانز . وحدث شىء ما فى منزل آرتشر مازلت أجهله . ثم وعلى حين غرة ، يزج بليبرمان فى الصورة مرة أخرى ، بشكل مثير نتيجة لانتحار ستيفن بيدج منذ

خمس سنوات . والذى لا يبدو أنه يكمل أجزاء الأحجية ، فيما عدا الحقيقة القائلة بأن أخاه الأكبر ، والذى ربما كان يستطيع أن يخبرنا بالكثير ، قتل فى موقف لانتظار السيارات . لقد تحدثت مع تشارلز تايدمان ، وربما يكون مجرد تخمين أن ليبرمان كان قد تم ابتزازه . وإذا كان هذا صحيحاً ، ماذا يربط كل هذا بجاسون آرتشر ؟ هل لدينا قضيتان غير مرتبطتين ، ولكن يبدو أنهما مرتبطتان بطريق المصادفة ، وتحديداً ركوب ليبرمان فى الطائرة ، ودفع آرتشر لشخص ما ليقوم بتفجيرها ؟ أم هى قضية واحدة ؟ وإذا كانت كذلك ما العلاقة التى تربط بينهما ؟ لأنه إذا كانت هناك علاقة ما ، فإنها غائبة عن صديقك المخلص لك دائماً " .

هز سوير رأسه في إحباط لا يستطيع إخفاءه ، ونفث دخان سيجارته ثم أخذ نفساً عميقاً ، ثم زفر الدخان الذى تصاعد إلى السقف القذر ، ثم وضع كوعه على المنضدة ، ثم نظر إلى جاكسون وقال : " لقد اكتشفنا أن هناك شخصين يحاولان أن يدمرا مستقبل تريتن جلوبال . والقاسم المشترك فى معظم هذه الأمور هو سيدنى آرتشر " . حك سوير بأصبعه ببطء على خده وقال : " سيدنى آرتشر ، اعلم أننى أحترم هذه السيدة ، غير أن حكمى قد تشوبه الشوائب . ربما تكون محقاً فى توبيخى على هذه المسألة . لكننى سأطلعك على سر صغير يا صديقى " . أطفأ سوير سيجارته فى الطفاية .

" ما هذا السر ؟ "

" إن سيدنى آرتشر كانت داخل الليموزين ، والشخص الذى قتل هؤلاء الرجال الثلاثة تركها تمضى . فانتهى الأمر بمسدسها فى يد الشرطة " . تخيل أن سوير بيده اليسرى مسدس وأشار إلى عدة أجزاء منه بسيجارته وهو يكمل حديثه : " كانت بصماتها ستظهر

على الجزء الذى أمسكت المسدس منه لو كانت هى التى أطلقت الرصاص . لكن كانت هناك بصمات واضحة على ماسورة المسدس فقط . ماذا تفهم من هذا ؟ "

فكر جاكسون سريعاً ثم قال : " نحن نعلم أنها سلمت المسدس " . وفجأة تجلت له الحقيقة ، وقال : " إذا كان شخص آخر هو من أطلق النار وكانا يستخدمان قفازاً ، لظهرت بصماتهما هما الاثنين على تلك الأماكن وليس على ماسورة المسدس " .

" حسناً . لقد بقى الشريط جانباً . لقد كانوا على الأرجح يستخدمونه كوسيلة لابتزازها ، أنا لا أجادلك فى هذه النقطة . لقد كانت تعلم أنهم يملكون الشريط ، ولابد أنهم قد شغلوا لها الشريط ليؤكدوا لها أن التهديد كان حقيقياً . أتعتقد أنها يمكن أن تترك شيئاً كهذا وراءها ؟ هذا دليل دامغ وواضح وضوح الشمس يكفى لإدانتها بعدد من الجرائم لتبقى فى السجن حتى تبلغ مائة عام من عمرها . إننى أقول لك ، هى أو أى شخص غيرها فى نفس الموقف كان سيقلب السيارة الليموزين اللعينة رأساً على عقب ليحصل على هذا الشريط . ولكنهم تركوها تذهب لسبب واحد فقط " .

قال جاكسون وهو يضع فنجان قهوته على المنضدة : " ليورطوها فى عمليات القتل " .

" وربما ليتأكدوا أن تركيزنا لن يحوم حول أشخاص آخرين ثانية " .

" ألهذا السبب كنت تريد إجراء اختبار فحص بقايا الرصاص ؟ "

أومأ سوير ثم قال : " لقد احتجت أن أتأكد إن كان أى من القتلى هو الذى أطلق الرصاص . فأنت تعلم أن من الممكن أن يكون صراع قد نشب بينهم . وعلى ما يبدو ، فإن الإصابات كانت

قاتلة ، غير أنه من عساه أن يكون متأكداً ؟ أو أن يكون أحد منهم قد فعلها ثم انتحر ، لأسباب نعلمها جميعاً . فربما أصابه الرعب من هول ما فعل وقرر أن يفجر دماغه ، ثم أمسكت سيدنى بالمسدس بعد أن أصابها الذعر ورمته فى بالوعة ما . لكن هذا لم يحدث . لم يطلق أى من المجنى عليهم الرصاص من هذا السلاح " .

جلس الاثنان فى صمت طويل قبل أن يتحرك سوير قائلاً : " سوف أطلعك على سر آخر يا راى . إنى سأكتشف هذا الوغد حتى لو كلفنى هذا خمسة وعشرين عاماً أخرى وأنا أمشى على هذا الخيط الرفيع . وحينما يأتى هذا اليوم ، سوف تكتشف شيئاً مميزاً حقاً " .

" مثل ؟ "

" إن سيدنى آرتشر ليس لديها مفتاح لحل ما يدور فى هذه القضية أكثر مما يتوافر لديك أو لدىَّ الآن . لقد فقدت زوجها ، وفقدت عملها ، وقد تمثل أمام المحكمة بتهمة القتل وغيرها ، حوالى نصف دستة جرائم . ومن ثم تقضى بقية عمرها فى السجن . إنها خائفة الآن ومرعوبة ، تجرى لتنجو بحياتها ، ولا تعرف من تثق به أو تصدق . إن سيدنى آرتشر فى حقيقة الأمر ، إذا نظرت إلى الدليل ولو بشكل سطحى ، فسوف تستنتج أنه لا يمكن أن تكون هى الفاعلة " .

" ماذا ؟ "

" بريئة " .

" أتعتقد أنها هكذا حقاً ؟ "

" لا ، أنا متأكد من ذلك . ليتنى أعرف شيئاً آخر " .

" وما هو ؟ "

أطفأ سوير سيجارته بعنف وفى نفس الوقت أطلق زفرة كثيفة من الدخان وقال : " من القاتل الحقيقى لهؤلاء الأشخاص الثلاثة ؟ " . شرد ذهن سوير وهو يلفظ بهذه الكلمات : " إن سيدنى آرتشر قد تعرف ، لكن أين هى الآن ؟ "

وحينما همَّ الاثنان بالانصراف ، وضع جاكسون يده على كتف سوير وقال : " مرحى يا لى ، ماذا يساوى كل هذا ؟ أنا لا أكترث إلى أى مدى تصل غرابات الرجال الطيبين والرجال الأشرار . ولكن طالما أنت راغب فى أن تسير على الدرب ، أنا سائر معك " .

الفصل الثانى والخمسون

ألقت سيدنى نظرة مسح شاملة على الشارع أمام منزل والديها من خلال النظارات المكبرة ، ثم نظرت إلى ساعتها . كان الغسق يحل سريعاً ، وهزت رأسها غير مصدقة . هل يمكن أن تكون شحنة البريد السريع فيديكس قد تأخرت بسبب الطقس ؟ كان سقوط الثلج عادة فى مدينة ماين الساحلية ثقيلاً ، وبسبب قربها من المحيط ، كانت دائماً موحلة للغاية . وكان هذا يشكل خطورة فى ظروف القيادة حينما يتجمد الثلج نصف الذائب . أين ذهب والداها ؟ كانت المشكلة تكمن فى عدم وجود أية طريقة للاتصال بهم وهم فى السفر . أسرعت سيدنى إلى السيارة واتصلت برقم الاستعلامات على الهاتف الجوال وحصلت على الرقم ٨٠٠ لشركة البريد السريع فيدرال إكسبريس ، ثم أعطت عامل الهاتف أسماء

وعناوين راسل الطرد والمرسل إليه . وبعد أن استمعت إلى صوت ضغط الأزرار على الحاسب . نقل عامل الهاتف إليها إجابة أصابتها بالدهشة .

وقالت : " أتعنى أنه ليس لديك سجل للطرد ؟ "

" لا يا سيدتى ، بل أعنى أنه وفقاً لسجلاتنا ، إننا لم نتلق الطرد " .

" لكن هذا مستحيل . يجب عليك أن تحضره . ولابد أن هناك خطأ ما . أرجوك تأكد مرة ثانية " . استمعت سيدنى بنفاد صبر إلى صوت أزرار لوحة المفاتيح للمرة الثانية . وكانت هى نفس الإجابة .

" ربما عليك أن تتحققى يا سيدتى من المرسل لتتأكدى من أن الطرد قد تم إرساله بالفعل ؟ "

أغلقت سيدنى الخط ، وأخرجت رقم فيشر من حقيبتها فى المنزل ، وذهبت ثانية إلى السيارة واتصلت بالرقم . وقد كانت هناك فرصة ضئيلة لأن يكون فيشر هناك ، لأنه بدون شك قد استوعب تحذيراتها قلباً وقالباً ، لكنه على الأرجح سوف يتصل ليتلقى الرسائل . كانت يداها ترتعشان . ماذا لو لم يتمكن جيف من إرسال الطرد ؟ واستحضرت فى ذهنها منظر المسدس المشهر فى وجهها فى السيارة الليموزين . ومنظر كل من بروفى ، وجولدمان وقد تفجرت دماغهما ، وتساقطت البقايا عليها . وفى لحظة ، ووسط اليأس الذى تملك منها ، أراحت رأسها على عجلة القيادة ، ثم التقطت الهاتف وطلبت الرقم .

دق جرس الهاتف ثم أجاب أحدهم عليها . كانت سيدنى قد أعدت نفسها لتترك رسالة على جهاز الرد الآلى حينما جاء صوت يقول : " مرحباً ".

بدأت سيدنى تتكلم حتى أدركت أن الصوت عبر الهاتف كان صوتاً حياً لشخص وليس تسجيلاً .

كرر الصوت : " مرحباً ؟ "

ترددت سيدنى ثم قررت أن تستمر وقالت : " جيف فيشر من فضلك " .

" من المتحدث ؟ "

" إننى ...... إننى صديقة له " .

قال الصوت : " هل تعلمين أين هو ؟ فإننى فى حقيقة الأمر أحتاج للعثور عليه " .

شعرت سيدنى وكأن شيئاً قد ضرب رقبتها من الخلف وقالت : " من المتكلم ؟ " .

" أنا الرقيب روجرز من قسم شرطة الإسكندرية " .

أنهت سيدنى المكالمة سريعاً .

لقد شهد منزل جيف فيشر فى المدينة تغيرات جوهرية منذ أن حضرت سيدنى آرتشر آخر مرة . وكان على رأس هذه التغيرات الجذرية أنه لم يتبق به قطعة واحدة تتعلق بأجهزة الحاسب أو الملفات فى المكان . وفى وسط النهار شاهد الجيران عربة النقل . وقد تحدث أحدهم مع العمال الذين كانوا يقومون بعملية نقل الأثاث والأمتعة . وكانوا يعتقدون أن الموضوع برمته قانونى وشرعى . فلم يذكر فيشر أنه كان سينتقل من منزله ؛ إلا أن عمال النقل كانوا يتصرفون بحرية مطلقة ، فكانوا يأخذون وقتهم فى عملية النقل ، ويضعون المنقولات فى صناديق ، وكانوا يضعون الأعمال الورقية فى أماكن معينة ، وحتى أخذوا وقتاً للراحة كانوا يدخنون فيه وسط العمل . وبعد أن رحلوا فقط بدأ الشك يساور الجيران . وحينما

دخل جار فيشر الساكن بجواره إلى المنزل ليتفقد الأشياء لاحظ أنه لم تختف أية قطعة من قطع الأثاث ولكن جهاز الحاسب فقط الخاص بفيشر هو الذى اختفى ، وحينها فقط قام باستدعاء الشرطة .

حك الرقيب روجرز رأسه ، وكانت المشكلة أنه لم يستطع أحد العثور على جيف فيشر . فقد تفقدوا الأمر فى عمله ، ومع عائلته فى بوسطن ، ومع أصدقائه محلياً . لم يره أحد فى غضون اليومين الماضيين . وقد تلقى الرقيب روجرز صدمة أخرى خلال التحقيق الذى أجراه . لقد تم حجز فيشر بالفعل بتهمة القيادة بسرعة جنونية داخل قسم شرطة الإسكندرية ، وفرضت عليه كفالة ، وتم تحديد تاريخ لمحاكمته ، ثم أُطلق سراحه . وكان هذا آخر ما عُرف عن جيف فيشر . أنهى روجرز كتابة تقريره ثم رحل .

هرعت سيدنى صاعدة الدرج وأغلقت باب حجرة النوم بعنف ، ثم انتزعت مسدساً من على السرير ، وأعدت السلاح فى وضع الاستعمال ، ثم رجعت إلى الركن البعيد ، وجلست على الأرض ، وصوبت المسدس ناحية الباب . انهمرت الدموع من عينيها وهى تهز رأسها غير مصدقة . يا إلهى ! لم يكن يجب أبداً عليها أن تورط جيف فى الموضوع .

كان سوير جالساً على مكتبه بمبنى هوفر حينما اتصل به فرانك هاردى . وأطلع هاردى سريعاً على آخر التطورات ، وكان على رأسها استنتاج سوير المبنى على نتائج فحوصات الطب الشرعى بأن سيدنى آرتشر لم تقتل جولدمان وبروفى .

تساءل هاردى : " هل تعتقد أنه يمكن أن يكون جاسون آرتشر ؟ "

" هذا احتمال بعيد " .

" إنك على حق ، فإنها مخاطرة كبيرة جداً أن يعود ثانية إلى هنا على أية حال " .

" إلى جانب أننى لا أستطيع أن أصدق أنه دبر لأن يورط زوجته فى تلك الجرائم " . أطرق سوير لبرهة وهو يفكر فى السؤال الثانى : " هل هناك أية أخبار من شركة آر . تى . جى ؟ "

" لقد كنت على وشك أن أقول لك إن رئيس مجلس الإدارة آلان بورتشر ، غير موجود حالياً لاستجوابه ، وقد أنكر مدير العلاقات العامة للشركة بالطبع جميع الادعاءات " .

" وماذا عن صفقة سيبركوم ؟ "

" لدينا أخبار جديدة أخيراً ، فهذا التطور الأخير مع شركة آر . تى . جى قد ألقى سيبركوم بقوة فى معسكر تريتن . فى الحقيقة من المقرر عقد مؤتمر صحفى عصر اليوم لإعلان إبرام الصفقة . هل تريد أن تحضر ؟ "

" ربما ، من المؤكد أن ناثان جامبل فى منتهى السعادة " .

" إنك على حق . سأترك شارتين من شارات الزوار لحضور المؤتمر الصحفى إذا أردت أنت وراى أن تحضرا لمشاهدة العرض . إنه سوف يقام بالمقر الرئيسى لشركة تريتن " .

فكر سوير فى الطلب للحظة وقال : " أعتقد أنك سوف ترانا هناك يا فرانك " .

دخل سوير وجاكسون وكانت شارة الزوار الصفراء تظهر براقة على سترتيهما ، ومشيا إلى الحجرة التى يبلغ حجمها مبنى الاجتماعات العامة ، وكانت الحجرة لا تزال مزدحمة .

نظر جاكسون إلى الخضم الهائل من الصحفيين ، ورجال الصناعة ، والمحللين الماليين ، والعديد من أصحاب الاستثمارات وقال : " اللعنة ، لابد وأن يكون هذا حدثاً كبيراً " .

" هكذا المال دائماً يا راى . " أخذ سوير كوبين من القهوة من على منضدة الضيافة وأعطى واحدة إلى زميله . ومد قامته التى تبلغ ست أقدام وثلاث بوصات إلى أقصى حد وهو ينظر إلى الحشد .

ظهر هاردى خلفهما وقال : " أتبحث عن أحد ما ؟ " ، ابتسم جاكسون قائلاً : " نعم ، إننا نبحث عن بعض الفقراء ، لكننى أعتقد أننا نبحث فى المكان الخطأ " .

" نعم ، لابد أن تعترفا بأنكما تشعران بالإثارة ، أليس كذلك ؟ "

أومأ جاكسون ثم أشار إلى جيش المراسلين الصحفيين وقال : " لكن أيستحق خبر شراء شركة لشركة أخرى حقاً كل هذه الضجة الإعلامية ؟ "

" المسألة أكبر منذ ذلك يا راى . إننى أجد صعوبة فى أن أذكر اسم شركة أخرى فى أمريكا تفوق إمكاناتها إمكانات سيبركوم " .

تساءل جاكسون : " ولكن إذا ما كانت سيبركوم مميزة للغاية ، فلماذا يحتاجون إلى تريتن ؟ " .

" من خلال اندماجهم مع تريتن ، فهم بذلك يشاركون شركة رائدة عالمياً ويحصلون على بلايين الدولارات التى يحتاجون إليها لإنتاج وتسويق وتوسيع قاعدة الإنتاج الخاصة بهم . وتكون النتيجة أنه فى غضون عامين ، ستهيمن تريتن على السوق مثلما فعلت كل من شركة جنرال موتورز وشركة آى . بى . إم من قبل ، وربما أكثر من ذلك أيضاً ، وسوف تسيطر على إصدار تسعين بالمائة من برامج

المعلومات فى العالم من خلال أجهزة الحاسب وبرامجه ، وغيرها من صور التكنولوجيا التى ستنشأ من اندماج الشركتين معاً " .

هز سوير رأسه وهو يحتسى قهوته وقال : " اللعنة ، يا فرانك ، هذا لا يترك مجالاً لأى شركة أخرى . ماذا سيحل بهم ؟ "

ابتسم هاردى ابتسامة ضعيفة وقال : " هذه هى الرأسمالية ، فإن مسألة البقاء للأصلح تأتى من قانون الغابة . ربما شاهدت برامج قناة الناشيونال جيوجرافيك حيث تقوم جميع الحيوانات بأكل بعضها البعض ، وتتصارع من أجل البقاء ، وهو ليس بالمنظر الجميل " .

نظر هاردى إلى المسرح الصغير حيث تم وضع منصة عليه وقال : " إن المؤتمر على وشك الانعقاد أيها الرفاق . لقد حصلت على مقاعد قرب المقدمة ، هيا بنا " ، وقادهما عبر الحشود ودخلوا إلى قطاع مسور بحبل يضم الثلاثة صفوف الأولى من المسرح . نظر سوير إلى شاغلى صف قصير من المقاعد المرصوصة يسار المنصة ، وكان كونتين رووى هناك ، ولكنه لم يكن متأنقاً اليوم كثيراً ، وبالرغم من ملايين الدولارات التى كان يمتلكها فى البنك إلا أنه كان من الواضح أن الرجل لا يملك أية رابطات عنق . وكان منخرطاً فى محادثة ساخنة مع ثلاثة رجال يرتدون سترات أنيقة ، وقد افترض سوير أنهم يمثلون شركة سيبركوم .

بدا هاردى وكأنه يقرأ أفكاره وقال : " من اليسار إلى اليمين : المدير التنفيذى ، المدير المالى ، مدير شئون العاملين بشركة سيبركوم " .

قال سوير : " قطعاً هؤلاء هم صفوة المجتمع " .

أشار هاردى إلى المسرح . من اليمين جاء ناثان جامبل متأنقاً ومبتسماً ، ومشى حتى وصل إلى المنصة . اتخذ الحشد سريعاً مقاعدهم وبسرعة مفاجئة سكتوا جميعاً . أخرج جامبل خطبة مجهزة للإلقاء وبدأ فيها بحماسة ملحوظة . لم يستمع سوير إلى نصف الخطبة ، فقد كان مشغولاً بمراقبة كونتين رووى . وكان الشاب ينظر إلى جامبل بطريقة لا تنم عن الود . ومن الكلمات القليلة التى سمعها سوير من جامبل ، كان المضمون الأساسى هو المال ، الكثير من المال الذى سوف يأتى من الهيمنة على السوق . وبعد أن انتهى جامبل بانتعاشة كان يمثل مندوب المبيعات الطلق ، المرتجل ، وكان على سوير أن يعترف بذلك ، كانت هناك موجة عارمة من التصفيق . ثم اتخذ كونتين مكانه على المنصة . وبينما مر جامبل بجواره متخذاً طريقه ليجلس ، تبادل الرجلان الابتسامات والتى كانت تبدو مصطنعة للغاية مثل تلك التى يشاهدها سوير فى أفلام السينما .

وبالمقارنة بما ذكره جامبل ، كان تأكيد رووى على الإمكانات التكنولوجية اللانهائية للشركتين المندمجتين ، تريتن وسيبركوم ، والتى تستطيعان تقديمها لكوكب الأرض . ولم يذكر أبداً موضوع المال . وعلى الأقل من وجهة نظر سوير ، فإن جامبل قد غطى موضوع المال هذا باستفاضة كاملة . والآن نظر سوير إلى جامبل الذى لم يكن ينظر إلى رووى على الإطلاق . لقد كان مشغولاً بحوار ودى مع مَن يمثلون شركة سيبركوم . لاحظ رووى تجاذبهم أطراف الحديث حينما ألقى نظرة عليهم مما جعله يفقد تسلسل أفكاره للحظة ثم استكمل كلمته . وقد ظن سوير أن خطابه قد لاقى استحسان الحاضرين .

حينما أنهى ممثلو سيبركوم كلمتهم تبادل الجميع المصافحة بالأيدى سانحين للمصورين بفرصة لالتقاط الصور . لاحظ سوير أن جامبل ورووى لم يتلامسا على الإطلاق ، حيث جعلا رجال سيبركوم يقفون بينهما . ربما كان ذلك سبب اهتمامهما بعقد الصفقة ؛ يريدان جعل الآخرين يشعرون بأنهم جزء من الشركة .

نزل الجميع من على المنصة واتخذوا طريقهم إلى الحشد المجتمع فى الحال وأصبح كل منهم محاصراً بالأسئلة . كان جامبل يبتسم ويشعر بسعادة غامرة لما تستحقه تلك اللحظة الغالية . كان ممثلو سيبركوم يتبعونه . رأى سوير أن رووى قد انفصل عن ذلك الموكب وتوجه إلى منضدة الضيافة حيث أحضر كوباً من الشاى وتحرك سريعاً إلى زاوية نائية .

جذب سوير كُم جاكسون وتوجها إلى حيث يقف رووى ، بينما توجه هادرى ليستمع إلى تنصيب جامبل لتولى رئاسة مجلس الإدارة .

" خطبة رائعة " .

رفع رووى رأسه لأعلى ليرى سوير وجاكسون يقفان أمامه .

" ماذا . آه ، شكراً لك " .

" زميلى ، راى جاكسون " .

تبادل رووى وجاكسون التحية .

نظر سوير إلى الحشد الكبير الذى يحيط بجامبل وقال : " يبدو أنه يحب أن تُسلط عليه الأضواء " .

ارتشف رووى شايه ومسح فمه بمنديله الورقى برفق . وقال بازدراء : " المال هو كل ما يرنو إليه ، ولكنه يجهل ما يمكن أن نصل إليه من تطور فى المستقبل " .

جلس جاكسون بجوار رووى وقال : " أنا شخصياً ، أُعجبت بما قلته عن المستقبل ، فأولادى يعشقون الحاسب جداً . كنت محقاً فيما قلته بشأن توفير فرص تعليمية أفضل لكل فرد خاصة الفقراء ؛ مما يساعدهم بالتالى على الحصول على وظائف أفضل ، وبالتالى تقل معدلات الجرائم ونحيا فى عالم أفضل . إننى أصدق ذلك فعلاً " .

" أشكرك ، إننى أصدق ذلك أيضاً " . نظر رووى إلى سوير وابتسم ثم استطرد : " إلا أننى لا أعتقد أن زميلك يوافقنا فى هذا الرأى " .

كان سوير يتفحص تلك الحشود ثم نظر إليه وعلى وجهه علامات الألم ثم قال : " إننى أقف فى صف كل ما يكون إيجابياً . وكل ما أقوله هو ألا تأخذ منى قلمى الرصاص وورقتى " . ثم أشار بكوب القهوة إلى ممثلى سيبركوم وقال : " يبدو أنك منسجم مع هؤلاء الأشخاص جيداً " .

ابتهج رووى قائلاً : " فعلاً ، إنهم ليسوا أصحاب أفكار تقدمية مثلى ، ولكنهم أيضاً بعيدون جداً عن رأى جامبل الذى يقول إن المال هو كل شىء . وأعتقد أنهم ربما يحدثون التوازن بيننا إلا أننا يجب أن نتحمل لمدة شهرين على الأقل حتى ينتهى المحامون من إنهاء أعمال المفاوضات على المستندات النهائية " .

سأله سوير : " محامى مؤسسة تايلر ستون ؟ " .

نظر رووى إلى سوير وقال : " نعم " .

" هل ستبقون عليهم كمستشارين قانونيين بعد الانتهاء من عقد الصفقة مع سيبركوم ؟ " .

" عليك أن تسأل جامبل بهذا الشأن . إنه صاحب الكلمة العليا ، فهو رئيس مجلس إدارة الشركة . معذرة أيها الرجال ، لكن علىَّ الذهاب " ، نهض رووى سريعاً وتركهما .

سأل جاكسون سوير : " ماذا أصابه ؟ "

هز سوير كتفيه الغليظتين وقال : " إنه أسوأ من عش الدبابير ، إذا كنت تشارك ناثان جامبل فى العمل ربما كنت فهمت " .

" إذن ماذا الآن ؟ "

" لماذا لا تأخذ كوباً آخر من القهوة وتختلط مع الجماهير يا راى فإننى أريد التحدث إلى رووى ثانية " . اختفى سوير بين الحشود ونظر جاكسون حوله ثم توجه إلى منضدة الضيافة .

بينما شق سوير طريقه بين الحشود كان قد فقد أثر رووى وبينما كان يحرك رأسه للأمام وللخلف بحثاً عنه ، رآه يخرج من الباب ، هَم سوير أن يلحق به حينما شعر بأحد يجذبه من كمه .

سأله ناثان جامبل : " منذ متى يهتم البيرقراطيون الحكوميون بما يحدث فى الأوساط المالية "

ألقى سوير نظرة أخرى فى اتجاه رووى ولكنه كان قد غاب عنه بالفعل . التفت عميل المباحث الفيدرالية إلى جامبل وقال :

" إننى أحاول تكوين ثروة ، بالمناسبة ، ألقيت خطاباً جيداً جعلنى أتوق شوقاً لكل ما يدور " .

أطلق جامبل ضحكة عالية : " ليس من اليسير عليك فهم ما يحدث . أتريد شراباً أقوى مما تحتسيه ؟ وأشار إلى كوب سوير الفلينى " .

" آسف ، فأنا فى الخدمة . بالإضافة إلى أن الوقت مازال مبكراً بالنسبة لى " .

" إننا نحتفل اليوم يا رجل المباحث الفيدرالية . ولقد أعلنت تواً عن إبرام أكبر صفقة فى حياتى " .

" إذا أردت أنت فلتفعل . إنها ليست صفقتى " .

قال جامبل بأسلوب مثير للاستفزاز : " إنك لن تعرف أبداً . لنتمش قليلاً " .

قاد جامبل سوير عبر المنصة إلى ممر قصير ثم إلى حجرة صغيرة . ارتمى جامبل على أحد المقاعد وأخرج سيجاراً من جيب معطفه وقال : " إذا لم ترغب فى الشراب ، على الأقل دخن معى " .

مد سوير يده إليه وأشعل الرجلان سيجاريهما .

لوح جامبل بكبريته ذهاباً وجيئة كنموذج مصغر لعلم عدو قبل أن يسحقه تحت قدمه . ونظر إلى سوير بتمعن خلال الدخان المنبعث من سيجار كل منهما وقال : " أخبرنى هاردى بأنك تفكر فى الانضمام إليه فى العمل " .

" فى الحقيقة ، إننى لم أفكر فى الأمر جدياً بعد " .

" إنك ستخسر الكثير إن لم تنضم إليه " .

" فى الواقع يا جامبل إننى لا أعتقد أننى سأفقد الكثير لأن لدىَّ عملى " .

عبس وجه جامبل وقال : " اللعنة ! ما دخلك السنوى ؟ "

" إنه لا يساوى شيئاً بالنسبة لعملك اللعين " .

" يا إلهى ، لقد أخبرتك بأرباحى السنوية ، أخبرنى بالتقريب عن دخلك " .

أمسك سوير بسيجارة فى يده قبل أن يقبض عليها بين أسنانه وقد ظهر الآن بعض من المتعة فى عينيه ثم قال : " حسناً ، إنه أقل مما تكسب . هل هذا يكفى ؟ " .

ضحك جامبل .

تساءل سوير : " ماذا يعنيك فى معرفة مقدار ما أكسبه من عملى ؟ "

" فى الحقيقة ، هذا لا يعنينى . ولكن من خلال ما رأيته منك ومن خلال معرفتى بالطريقة التى تقوم بها الحكومة فى أداء أعمالها ، أعتقد أنه لا يكفيك على الإطلاق " .

" إذن ؟ حتى لو لم يكن يكفينى ، فهى ليست مشكلتك " .

" إننى لست فى مشكلة ولكنى أحاول حل مشكلة . وهذا ما يفعله المديرون يا سوير . إنهم ينظرون إلى الصورة الكبيرة أو يُفترض على الأقل أن يفعلوا ذلك . ما رأيك ؟ "

" رأيى فى ماذا ؟ "

نفث جامبل دخان سيجارته وظهرت لمعة صغيرة فى عينيه . وأخيراً فهم سوير ما يريد الرجل أن يصل إليه .

" هل تعرض علىَّ وظيفة ؟ "

" يقول هاردى إنك الأفضل . وأنا أقوم بتوظيف الأفضل فقط " .

" ما الوظيفة التى تريدنى أن أشغلها بالضبط ؟ " .

" رئيس الأمن ، ماذا أيضاً ؟ "

" أعتقد أن لوكاس يشغل هذه الوظيفة بالفعل " .

هز جامبل كتفيه : " سأعتنى بأمره ، إنه من رجالى الشخصيين . على أية حال بالمناسبة إننى ضاعفت راتبه أربعة أضعاف وسأقوم بأفضل من ذلك بالنسبة لك " .

" أعتقد أنك تلوم لوكاس وتعتقد أن إهماله هو السبب فيما فعله آرتشر " .

" إنها مسئولية أحدهم . إذن ماذا تقول ؟ "

" ماذا عن هاردى ؟ "

" إنه رجل أحمق . ثم من ذا الذى يقول إننى لا أستطيع الاستفادة من خدماتك ؟ سأضعك فى مجلس الإدارة ، وربما أستغنى عن خدماته " .

" تربطنى بفرانك صداقة متينة . ولن أفعل أى شىء يضره . فهذا ليس من صفاتى " .

" إن هذا لن يقلل مما وصل إليه ويجعله يبحث فى صناديق القمامة . لقد حصل على الكثير من الأموال بالفعل ، معظمها منى " . هز جامبل كتفيه وأضاف : " لكن عليك أن تعرف أنك الشخص المناسب لتلك الوظيفة " .

هب سوير واقفاً وقال : " لأخبرك بالحقيقة ، لست متأكداً إذا ما كنت أنا وأنت نستطيع التعايش معاً " .

نظر جامبل إليه بثبات وقال : " أتعلم ، ربما تكون على حق فى ذلك " .

ترك سوير جامبل جالساً هناك وحينما خرج من الغرفة تقابل وجهاً لوجه مع ريتشارد لوكاس الذى كان خارج الغرفة .

قال سوير : " مرحباً يا ريتش ، من المؤكد أنك تدور فى أرجاء المكان " .

قال لوكاس بفظاظة : " إنه جزء من عملى " .

" حسناً ، إنك مخلص جداً فى عملك . أومأ سوير ناحية الغرفة حيث كان جامبل ينفث دخان سيجاره ومشى .

كان سوير قد رجع تواً إلى مكتبه حينما رن هاتفه فأجاب :

" نعم ؟ "

" إنه تشارلز تايدمان يا لى " .

" سأتلقى تلك المكالمة بكل تأكيد " . أضاء سوير الضوء الأحمر الوامض على هاتفه وقال : " مرحباً ، تشارلز " .

كانت نبرة تايدمان سريعة وعملية وقال : " لقد حصلت على إجابات لأسئلتك يا لى " .

قلب سوير صفحات مذكرته إلى أن وصل إلى القسم الخاص بمناقشته السابقة مع تايدمان وقال : " لقد تأكدت من التواريخ التى قام فيها ليبرمان بزيادة معدلات الفائدة ؟ "

" إننى لم أرغب فى إرسالها لك بالبريد أو بالفاكس . حيث خشيت أن يراها غيرك وليس هناك داعٍ لإثارة القلاقل " .

" إننى أفهم ذلك " . يا إلهى ، رجال بنك الاحتياطى الاتحادى يعشقون الأسرار ، أليس كذلك ؟ ذلك ما كان يفكر به سوير ، ثم قال : " لماذا لا تعطينى إياها الآن ؟ "

تنحنح تايدمان وبدأ : " حدث ذلك خمس مرات : فى التاسع عشر من ديسمبر ١٩٩٠ كان أول تعديل ، وتمت التعديلات الأخرى فى الثامن والعشرين من فبراير من العام التالى ، ثم فى السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٩٢ ، ثم فى الخامس من نوفمبر من نفس العام ، ثم أخيراً فى السادس عشر من مارس ١٩٩٣ " .

دوّن سوير تلك التواريخ وتساءل : " ماذا كان تأثير هذه التعديلات الخمسة ؟ " .

" إضافة نصف بالمائة إلى معدل فائدة قروض البنك الاحتياطى الاتحادى ؛ بيد أن الخصم الأول كان واحداً بالمائة ، وكانت الزيادة الأخيرة ثلاثة أرباع " .

" أعتقد أن ذلك كثير بالنسبة لمرة واحدة " .

" إذا تكلمنا بمنطق الأسلحة الحربية كان الواحد بالمائة هذا يعادل قنبلة نووية " .

" أعلم أنه إذا تسربت معلومات مسبقاً عن قرارات بنك الاحتياطى الاتحادى بشأن معدلات الفائدة ، فسوف يستغل البعض ذلك ويحققون أرباحاً هائلة " .

قال تايدمان : " فى الواقع ، إن الإعلان المسبق عما يقوم به بنك الاحتياطى الاتحادى حيال معدلات الفائدة عديم الفائدة وذلك بالنسبة لجميع النوايا والأغراض " .

" يا إلهى ! " . أغمض سوير عينيه وضرب جبهته ورجع بظهره إلى المقعد حتى كاد يقلبه . ربما كان يجب عليه أن يضع ثقته فى الرجل حتى يوفر على نفسه المزيد من الشقاء وسأله : " إذن ، المعذرة ، ولكن لماذا كل هذا الكتمان ؟ "

" لا تسئ فهمى . لكن من المؤكد أن معدومى الضمير يستطيعون الحصول على أرباح بطرق لا تحصى من خلال معرفتهم بالمعلومات التى تخص المباحثات التى يقوم بها البنك . بيد أن الأسواق المالية لديها العديد من الخبراء الذين يبرعون فى عملهم لدرجة أن الدوائر المالية دائماً ما تعرف مسبقاً إذا ما كان البنك سيقوم بخفض أو زيادة معدلات الفائدة ولأى مدى . وبالتالى تعرف الأسواق المالية بالفعل ما سنفعله . هل هذا واضح لك بما يكفى ؟ "

زفر سوير على نحو مسموع وقال : " واضح جداً " . ثم تحرك فى مقعده وقال : " ماذا يحدث إذا أخطأ خبراء الأسواق المالية ؟ "

أوضحت نبرة تايدمان أنه سعيد جداً بهذا السؤال : " آه ، هذا شىء مختلف تماماً . إذا أخطأ خبراء الأسواق المالية ، إذن ستحدث هزة كبيرة فى الأوساط المالية " .

" إذن ، ماذا لو علم أحدمسبقاً أن أحد تلك التعديلات غير المتوقعة قد اقتربت من الحد الأقصى ، أيمكن أن يحصل على بعض الأرباح الضخمة ؟ "

" بشرط أن يكون هذا الشخص فاهماً لما يحدث جيداً . فإذا عرف أحدهم مقدماً معلومات عن تعديل غير متوقع يقوم به البنك فى معدلات الفائدة يستطيع أن يحصل على مليارات الدولارات بعد إعلان عزم الهيئة القيام بذلك بثوان " . ظل سوير صامتاً للحظة بعد أن سمع رد تايدمان ، ثم مسح علىّ حاجبه وأحدث صفيراً بصوت منخفض . " وهناك العديد من الأساليب التى لا تحصى لعمل ذلك ، يا لى وربما أكثر ما يدر إيراداً كبيراً هى العقود التجارية باليورو - دولار والتى يتم إبرامها فى سوق النقد الدولى فى شيكاغو وتكون نسبة الزيادة ألفاً إلى واحد ، أو البورصة طبعاً . وكلما ترتفع معدلات الفائدة ، تهبط البورصة وبالعكس ، هذا ما يحدث ببساطة . يمكنك أن تربح المليارات إذا كنت على صواب وتخسر المليارات أيضاً إذا كنت مخطأً " . مازال سوير صامتاً . " أعتقد أن لديك سؤالاً آخر تريد أن تطرحه يا لى " .

أمسك سوير بسماعة الهاتف تحت ذقنه بينما دوّن سريعاً بعض الملاحظات وقال : " واحد فقط ؟ لدى الكثير منها " .

" أعتقد أن هذا الاستفسار قد لا يحتوى على شىء مهم آخر تريد معرفته " . على الرغم من أن تايدمان كان يبدو مازحاً معه إلا أن العميل شعر بأن هناك تجهماً حقيقياً وراء نبرته . ودفع بنفسه ليفكر . وكاد يصرخ عبر الهاتف عندما طرأت على ذهنه هذه الفكرة : " هل كانت جميع التواريخ التى أعطيتنى إياها تواً - حينما تم تغيير معدلات الفائدة - كانت جميعها مفاجأة بالنسبة لسوق المال " .

أطرق تايدمان قبل أن يجيب ، ثم قال : " نعم " . كاد سوير يشعر بأن هناك تياراً كهربائياً قد سرى عبر خط الهاتف . " فى الحقيقة ، إنها كانت أسوأ مفاجأة بالنسبة للأسواق المالية ، لأنها

لم تحدث نتيجة لاجتماعات مجلس إدارة البنك الاحتياطى الاتحادى المقرر عقدها بانتظام . ولكن من طرف آرثر فقط بما أنه رئيس المجلس " .

" إذن ، كان يمكنه رفع معدلات الفائدة بنفسه ؟ " .

" نعم ، يمكن أن يخول مجلس الإدارة هذه السلطة للرئيس . وذلك ما تم حدوثه على مر السنين ، لقد عمل آرثر على إقناعهم بذلك إلى أن حصل عليه . آسف لم أذكر لك ذلك من قبل ، لم يبد ذلك ذا أهمية " .

قال سوير : " لا يهم ، مع تعديل معدلات الفائدة هذه ربما يستطيع شخص ما أن يربح أموالاً أكثر " .

قال تايدمان بهدوء شديد : " نعم " . ثم قال ثانية : " نعم " . وأضاف : " والحقيقة أن هناك آخرين قد خسروا نفس مقدار الأموال على الأقل " .

" ماذا تقصد ؟ " .

" حسناً ، إذا كنت على حق فى أن هناك شخصاً قام بابتزاز آرثر ليقوم بتغيير معدلات الفائدة فالخطوات القصوى التى اتخذها بتعديل معدلات الفائدة على أموال بنك الاحتياطى الاتحادى برفعها إلى أعلى نسبة فى ذلك الوقت - جعلنى أستنتج أنه كان المقصود من ذلك خسارة أناس آخرين " .

سأله سوير : " لماذا ؟ " .

" لأنه إذا كان هدفك مجرد الحصول على ربح من تغيير معدلات الفائدة لن تكون محتاجاً لكثير من التحركات لعمل هذا ، طالما كان التغيير يزيد أو ينقص ويكون مفاجئاً للأسواق المالية . بيد أنه بالنسبة لاستثمارات الآخرين الذين يتوقعون تغييراً فى الجهة

الأخرى ، يكون أى تغيير فى معدلات الفائدة بالطرق الأخرى كارثة لهم " .

" يا إلهى ! هل من طريقة لمعرفة من الذى استغل هذا النوع من الضربات ؟ " .

ابتسم تايدمان قائلاً : " بالنسبة لتعقيدات حركة الأموال اليوم يا لى ، لن تستطيع فعل ذلك " .

لم يتكلم تايدمان لمدة دقيقة على الأقل ، ولم يستطع سوير حقاً أن يفكر فى أى شىء آخر ليقوله . وحينما قطع تايدمان الصمت أخيراً ، كان صوته مجهداً للغاية وقال : " إلى أن عقدنا مناقشتنا السابقة لم أكن أضع فى اعتبارى احتمال أن علاقة آرثر بستيفن بيدج قد استُخدمت لإجباره على فعل ذلك ولكن يبدو ذلك واضحاً الآن " .

" بالرغم من ذلك عليك أن تفهم أنه ليس لدينا ، أى دليل على أن أحدهم قام بابتزازه " .

قال تايدمان : " ربما لا نحصل على إجابة لهذا أبداً ، وأخشى من ذلك ، لأن ستيفن بيدج قد مات " .

هل تعلم ما إذا كان ليبرمان قد تقابل مع بيدج فى شقته ذات مرة أم لا " .

" أعتقد أنه قد فعل ذلك . لقد ذكر لى آرثر ذات مرة أنه قد استأجر كوخاً فى كونكتيكت وحذرنى ألا أذكر ذلك أمام زوجته " .

" أتعتقد أن ذلك كان المكان المحدد لعقد المقابلات بين بيدج وليبرمان ؟ " .

" محتمل " .

" سأخبرك بما توصلت إليه . لقد خلف ستيف بيدج بعد موته أملاكاً شخصية وأموالاً طائلة " .

جاءت نبرة تايدمان وظهر عليها ذهوله التام وقال : " لا أفهم . أتذكر أن آرثر قد أخبرنى أكثر من مرة أن ستيفن كان يشكو دائماً بخصوص المال " .

" مع هذا ، لا جدال فى أن الرجل مات وهو ثرى جداً . وإننى أتساءل أيمكن أن يكون ليبرمان مصدر هذه الثروة ؟ " .

" هذا احتمال بعيد جداً . كما قلت لك حالاً فإن محادثة آرثر معى قد وضحت أنه يعتقد أن ستيفن كان بعيداً جداً عن الثراء . بالإضافة إلى أننى أعتقد أنه من المستحيل أن يقوم آرثر بتحويل كل هذه الأموال إلى ستيفن بيدج دون أن تعلم زوجته عنها شيئاً " .

" إذن لماذا خاطر بتأجير كوخ ؟ ألم يكن من الممكن أن يتقابلا فى شقة بيدج ؟ " .

" كل ما أستطيع قوله إنه لم يذكر لى مطلقاً أنه قام بزيارة ستيفن بيدج فى شقته " .

" حسناً ، ربما كان الكوخ فكرة بيدج " .

" لماذا تقول ذلك ؟ "

" حسناً ، إذا لم يعط ليبرمان الأموال لبيدج ، فمن المؤكد أن شخصاً آخر قام بذلك . ألا تعتقد أن ليبرمان كان سيشك إذا ما زار شقة بيدج ورأى صورة لـ " بيكاسو " على الجدار ؟ ألم يكن ليحاول حينئذ أن يعرف من أين جاءت هذه الأموال ؟ " .

" بالتأكيد ! " .

" فى الواقع إننى متأكد من أن بيدج لم يقم بابتزاز ليبرمان ، ليس بطريقة مباشرة على الأقل " .

" كيف تأكدت من ذلك ؟ " .

" لقد احتفظ ليبرمان بصورة بيدج فى شقته . ولا أعتقد أنه كان سيحتفظ بصورة مَن يبتزه . والأهم من ذلك أننا عثرنا على مجموعة من الخطابات فى شقة ليبرمان . لم يكن عليها توقيع ولكنها كانت رسائل رومانسية . ومن الواضح أنها كانت ذات قيمة كبيرة لدى ليبرمان " .

" أتظن أن بيدج هو الذى كتب تلك الخطابات ؟ "

" لدى طريقة لأتأكد منها . إنك كنت صديقاً لبيدج ، هل لديك عينة من خطة ؟ "

" فى الواقع ، احتفظت بالعديد من الخطابات التى كتبها لى بخط يده حينما كان يعمل فى نيويورك . ويمكننى إرسالها إليك " ، توقف تايدمان عن الكلام . واستطاع سوير أن يسمعه وهو يدّون سريعاً ملاحظة ثم أضاف : " لقد وضحت ببراعة يا لى أن بيدج لم يستطع جَنى هذه الملايين . إذن ، من أين حصل على ثروته ؟ "

" فكر فى ذلك . إذا كانت هناك علاقة غير مشروعة بين بيدج وليبرمان فذلك يكفى جداً لأن تكون مصدراً لابتزاز الرجل ، هل توافقنى فى ذلك ؟ "

" أكيد " .

" اتفقنا ، ماذا لو كان هناك شخص آخر ، طرف ثالث ، قد شجع بيدج ليدخل فى علاقة غير مشروعة مع ليبرمان ؟ " .

" ولكن أنا الذى قدمتهما إلى بعض ، أتمنى ألا تتهمنى بارتكاب هذه المؤامرة الفظيعة " .

" ربما تكون أنت الشخص الذى عرفهما ببعض ، لكن هذا لا يعنى أن بيدج ومَن كان يقوم بتمويله لم يساعدا على أن يتم هذا

التعارف ، وإظهار تألق وذكاء بيدج فى النواحى المالية إلى الأشخاص الصحيحين " .

" استمر " .

" إذن انسجم بيدج وليبرمان معاً . وربما اعتقد الطرف الثالث أن ليبرمان قد يرأس مجلس إدارة بنك الاحتياطى الاتحادى يوماً ما ، وارتقب بيدج ومن يموله الفرصة المواتية ، ودفع الممول إلى بيدج بالوثائق بكل الطرق من خلال تسجيل المكالمات الهاتفية ، وتصوير الفيديو وكذلك الصور الفوتوغرافية " .

" إذن لقد كان بيدج جزءاً من خطة ولم يأبه مطلقاً بآرثر . لا أستطيع تصديق ذلك " . بدا على الرجل الإحباط الشديد .

" ثم أصيب بيدج بفيروس الإيدز ويُدعى أنه قد انتحر " .

" يُدعى ؟ هل تساورك الشكوك فى طريقة موته ؟ "

" إننى شرطى يا تشارلز وتساورنى الشكوك في كل شىء . لقد مات بيدج ، ولكن مازال شريكه فى الجريمة حياً . أصبح ليبرمان رئيس مجلس إدارة بنك الاحتياطى الاتحادى ثم بدأ ابتزازه " .

" لكن ماذا عن موت آرثر ؟ " .

" حسناً ، إن تعليقك عن أنه كان يبدو سعيداً من إصابته بالسرطان يخبرنى بشىء واحد فقط " .

" ألا وهو ؟ "

" إنه قد أوشك على إخبار الشخص الذى يبتزه أن يعلن مكيدته على الملأ " .

حك تايدمان حاجبه بعصبية وقال : " هذا كلام منطقى تماماً " .

أخفض سوير صوته قائلاً : " إنك لم تذكر أى شىء مما تناقشنا فيه إلى أى شخص ، أم تراك فعلت ؟ "

" لا ، لم أفعل " .

" حسناً ، ابق على هذه الحالة ، ولا تدع حارسك يتركك أبداً " .

" ماذا تعنى بالضبط ؟ " . وكان هناك احتباس مفاجئ فى صوت تايدمان .

" إننى أنصحك بأقوى الطرق المكنة أن تكون حريصاً جداً وألا تخبر أى شخص - لا أحد من أعضاء مجلس إدارة بنك الاحتياطى الاتحادى بمن فيهم والتر بيرنز ، ولا سكرتيرتك ، ولا مساعدوك ، ولا زوجتك ، ولا أصدقاؤك - أى شىء عن ذلك الموضوع " .

" أتعنى أنك تعتقد أننى فى خطر ؟ إننى أجد أنه من الصعوبة تصديق ذلك " .

كانت نبرة سوير يظهر بها الضجر وقال: " إننى متأكد أن آرثر ليبرمان كان يعتقد ذلك أيضاً " .

أمسك تشارلز تايدمان بقلم رصاص من على مكتبه بقوة لدرجة أنه انشطر إلى نصفين وقال : " من المؤكد أننى سأتبع نصيحتك إلى آخرها " . ثم أغلق الخط وكان يتملكه الخوف والذعر .

أسند سوير ظهره إلى المقعد وتاق إلى سيجارة أخرى حيث أجهد ذهنه أكثر مما يجب . من الواضح أن شخصاً ما قام بدفع أموال لستيفن بيدج . اعتقد سوير أن لديه إجابة معقولة لهذا السبب : استغلال ليبرمان . كان السؤال الذى يلح عليه الآن هو من كان ذلك الشخص ؟ ثم أهم سؤال : من الذى قام بقتل ستيفن بيدج ؟ كان عميل المباحث الفيدرالية مقتنعاً الآن - على الرغم من أن هناك دليلاً يثبت عكس ذلك - بأن ستيفن بيدج قد قتل . التقط الهاتف وقال : " راى ؟ أنا لى ، أريدك أن تتصل بطبيب ليبرمان الخاص مرة أخرى " .

الفصل الثالث والخمسون

نظر بيل باترسون إلى الساعة الموجودة على تابلوه السيارة وفرد جسمه الضخم . إنه كان مسافراً إلى الحدود الجنوبية قرابة ساعتين شمال بيل هاربور . كانت زوجته إلى جواره مستغرقة فى نوم عميق . إنها رحلة إلى السوق أطول بكثير مما كانا يتوقعان . ولم تكن سيدنى آرتشر على صواب ؛ فهما لم يتوقفا فى طريقهما إلى بيل هاربور . وقد وصلا إلى البيت القابع على الشاطئ قبل العاصفة مباشرةً . وبعدما جمعا حقائبهما فى غرفة النوم الخلفية ، توجها لإحضار الطعام قبل أن تشتد قوة العاصفة . لقد تم بيع السوق الذى كان موجوداً فى بيل هاربور ، ولذلك كانا مضطرين للذهاب شمالاً إلى بائع الخضر البعيد فى بورت فيستا . وفى طريق عودتهما ، فوجئا بشاحنة ضخمة تسد الطريق بسبب عطل أصابها . وقد قضيا

الليلة الماضية فى استراحة للمسافرين بالسيارات ولم يشعرا بالراحة قط .

نظر باترسون إلى المقعد الخلفى حيث كانت آمى نائمة أيضاً وكان فمها الصغير مشكلاً دائرة كاملة ، وكان الثلج يتساقط بغزارة . من حسن الحظ أنه لم يكن على دراية بآخر الأخبار المنشورة والتى أعلنت أن ابنته هاربة من العدالة ، فقد كان لديه ما يكفى من الشعور بالقلق . وفى أثناء شعوره بالقلق كان يقرض أظافره إلى أن تنزف وتمتلئ معدته بالحامض . كان يريد حماية سيدنى الآن ، كما كان يفعل دائماً حينما كانت طفلة صغيرة . فقد عادت الأشباح التى كانت عدوه الرئيسى ثانيةً . ولكن الأشباح الحاليين مهلكون أكثر ، ذلك ما كان يفترضه . على الأقل لأن آمى معه . ولن يجرؤ أحد على إيذاء حفيدته مادامت معه ، وليكن الله مع سيدنى .

وقف راى جاكسون صامتاً عند مدخل باب مكتب سوير الضيق . كان لى سوير جالساً خلف مكتبه غارقاً فى التفكير فى أحد الملفات . وبراد كامل من القهوة الساخنة كان موضوعاً أمامه ، وإلى جواره وجبة قد تناول نصفها . لم يستطع جاكسون أن يتذكر آخر مرة قد تعرض الرجل فيها للفشل فى عمله . بيد أن سوير كان يشعر بغضبٍ شديد داخلياً من مدير المباحث الفيدرالية ، ومن الصحافة ، وكذلك من البيت الأبيض ومن مجلسى النواب والشيوخ . عبس جاكسون . اللعنة ! إذا كانوا يعتقدون أن الأمر سهل لماذا لم يجوبوا الشوارع ويحاولوا حل القضية ؟

" مرحباً ، يا لى ؟ "

تحرك سوير لأعلى وقال : " مرحباً يا راى . هناك براد من القهوة الطازجة ، تفضل " .

صب جاكسون لنفسه كوباً وجلس : " لقد لاقيت تعنيفاً من المسئولين بسبب هذه القضية " .

هز سوير كتفيه قائلاً : " لقد نسيت ما حدث " .

استقر جاكسون على أحد المقاعد المجاورة له وقال : " أتريد أن تتحدث عن هذا الموضوع ؟ "

" ماذا هناك لنتحدث عنه ؟ حسناً ، الجميع يريدون أن يعرفوا من كان وراء حادث تفجير الطائرة . وأنا أيضاً . وأريد أن أعرف أيضاً أشياء أكثر من ذلك بكثير . أريد أن أعرف من الذى قتل ستيف وإدوارد بيدج . وأريد أن أعرف من الذى أطاح بهؤلاء الثلاثة الذين كانوا فى السيارة الليموزين . وأريد أن أعرف أين جاسون آرتشر " .

" وسيدنى آرتشر ؟ "

" نعم ، وسيدنى آرتشر . ولن يمكنننى الوصول إلى أى شىء من خلال الاستماع إلى كل هؤلاء الأشخاص الذين لديهم العديد من الأسئلة فحسب بدون إجابة . وبما أننى تحدثت عن ذلك ، هل توصلت إلى أى شىء من أجلى ، إجابات مثلاً ؟ "

نهض جاكسون وأغلق باب مكتب سوير .

" وفقاً لما ذكره طبيب آرثر ليبرمان فإنه لم يكن مصاباً بفيروس الإيدز " .

انفجر سوير قائلاً : " ذلك مستحيل . إنه يكذب " .

" لا أظن ذلك يا لى " .

" لماذا لا بحق الجحيم ؟ "

" لأنه قد أطلعنى على الملف الطبى لليبرمان " .

جلس سوير وقد أصابه الذهول والدهشة . استمر جاكسون قائلاً : " عندما سألت الرجل ، كنت أظن أنه سيخبرنى بما فكرنا

فيه وتحدثنا عنه ـ بأن تعبيراته ستفصح لنا عن الحقيقة ، ولأن من المؤكد أن الرجل لم يكن ليطلعنى على أية سجلات بدون أن يكون لديه أمر قضائى بين يديه لذلك . ولكنه فعل يا لى . لا من ضرر فى أن يؤكد طبيبه الخاص أن ليبرمان لم يكن مصاباً بالفيروس . لقد كان ليبرمان ممن يهتمون بحالتهم الصحية وكان يقوم بعمل الفحوصات الطبية اللازمة سنوياً ، كما كان يتبع جميع الإجراءات الوقائية ، وكان أيضاً يقوم بعمل اختبار فيروس الإيدز بصفة دورية ، وقد أطلعنى الطبيب على النتائج من سنة ١٩٩٠ إلى السنة الماضية ، وكانت جميعها سلبية يا لى ، لقد رأيتها بنفسى " .

أغلقت سيدنى عينيها المحتقنة بالدماء للحظة ، واضجعت على سرير والديها وأخذت نفساً عميقاً . ونتيجة لما أصابها من ضجر وملل قد اتخذت قراراً . أخرجت الكارت من حقيبة يدها وحدقت إليه لبضع دقائق . وشعرت باحتياج جارف لأن تتكلم مع أحد ، ولعدد من الأسباب قررت أنه يجب أن يكون هو الذى تتحدث إليه . نزلت إلى السيارة اللاند روفر وطلبت الرقم بحذر .

كان سوير قد فتح باب شقته تواً حينما سمع الهاتف يرن ، التقط الهاتف سريعاً بينما كان يخلع معطفه .

" مرحباً ؟ "

ظل الخط ساكناً للحظة وكاد سوير يغلق السماعة ثم سمع صوتاً من الجانب الآخر ، فأمسك السماعة بكلتا يديه وترك معطفه يسقط على الأرض ، ووقف بثبات فى منتصف حجرة المعيشة .

" سيدنى ؟ " .

جاء صوتها ضعيفاً ولكنه ثابت وقالت : " مرحباً " .

سألها سوير بطريقة تلقائية : " أين أنت ؟ " ، ولكنه شعر بندم على ذلك فى الحال .

" آسفة يا لى ، إنه ليس درساً للجغرافيا " .

" حسناً ، حسناً " ، جلس سوير على المتكأ وقال : " لا أريد أن أعرف أين أنت . ولكن هل أنت فى أمان ؟ "

ضحكت سيدنى تقريباً : " أعتقد كذلك ، ولكنه مازال اعتقاد وحسب . إننى مسلحة ، إذا كان ذلك سيحدث فرقاً " . توقفت عن الكلام ثم قالت : " لقد شاهدت النشرة الإخبارية بالتلفاز " .

" أعلم أنك لم تقتليهم يا سيدنى " .

" كيف ؟ " .

" ثقى بى فحسب " .

تنهدت سيدنى بعمق حيث تذكرت تلك الليلة المفزعة وقالت :

" إننى آسفة لأننى لم أخبرك حينما اتصلت بك من قبل . فإننى لم أستطع " .

" أخبرينى ماذا حدث فى تلك الليلة يا سيدنى " .

ظلت سيدنى صامتة وتقلب الأمر فى ذهنها إذا ما كانت تغلق الخط أم لا . وشعر سوير بما يدور فى عقلها فقال : " إننى لست الآن فى مبنى هوفر بيلدينج يا سيدنى ولا أستطيع تعقب أثر مكالمتك ، كما أننى أقف فى صفك . يمكنك التحدث مادمت تريدين " .

" حسناً ، إنك الوحيد الذى أثق به . ماذا تريد أن تعرف ؟ " .

" كل شىء . ابدئى من الأول فحسب " .

استغرق الأمر من سيدنى حوالى خمس دقائق لتروى أحداث تلك الليلة .

" إنك لم ترى القاتل ؟ "

" لقد كان يرتدى قناعاً يغطى وجهه . أعتقد أنه نفس الشخص الذى حاول قتلى فيما بعد . أو على الأقل أتمنى ألا يكون هناك شخصان يسيران بهذه الأعين الرهيبة " .

" كان ذلك فى نيويورك ؟ ".

" ماذا ؟ " .

" حارس الأمن يا سيدنى ، لقد قُتل " .

حكت سيدنى جبهتها قائلة : " نعم ، فى نيويورك " .

" ولكن هل أنت متأكدة من أنه رجل ؟ " .

" نعم ، من بنيته ومما استطعت رؤيته من ملامح وجهه من خلال القناع ، كما أن أسفل رقبته كان ظاهراً فتمكنت من رؤية لحيته القصيرة الخشنة " .

تأثر سوير بملاحظاتها وأخبرها بذلك .

" إن المرء يتذكر أدق التفاصيل عندما يظن أنه على وشك الموت " .

" أعلم ماذا تقصدين . لقد جربت فعلاً هذا الموقف بنفسى . اسمعى ، لقد عثرنا يا سيدنى على شريط مكالمتك مع جاسون ؟ " .

نظرت سيدنى إلى الظلام المخيم داخل السيارة وللجراج من الخلف وقالت : " إذن ، عرف الجميع أن — " .

" لا تقلقى بشأن ذلك . كان زوجك يبدو فى الشريط متوتر الأعصاب . ولقد أجاب عن بعض أسئلتك ولكن ليس جميعها " .

" نعم ، كان مضطرباً ومصاباً بالذعر " .

" وماذا كانت حالته عندما تحدثت إليه من الهاتف العمومى فى نيو أورليانز ؟ هل كان مختلفاً أم كما هو " .

ضاقت عينا سيدنى حيث أخذت تتذكر وقالت أخيراً : " كان مختلفاً " .

" كيف ؟ صفى لى بأقصى دقة " .

" حسناً ، لم يكن عصبياً . فى الواقع كان يتكلم على وتيرة واحدة تقريباً . وقال لى إنه لا يمكننى قول أى شىء لأن الشرطة تراقبنى وقد أعطانى بعض التعليمات فقط وأغلق الخط . وقد كان أشبه بدرس أكثر من كونه محادثة ، حيث إننى لم أقل أى شىء ".

تنهد سوير قائلاً : " إن كونتين رووى مقتنع بأنك كنت فى مكتب جاسون فى تريتن بعد تحطم الطائرة . هل ذهبت فعلاً إلى هناك ؟ " .

ظلت سيدنى صامتة .

" إننى لن أحاول إفشاء سرك يا سيدنى حقاً إذا ذهبت إلى هناك ، ولكنك إذا كنت قد فعلت ، أريد أن أسألك سؤالاً واحداً فقط عن شىء ربما فعلته حينما كنت هناك " .

ظلت سيدنى صامتة .

" سيدنى اسمعى ، إنك اتصلت بى . وقلت إنك تثقين بى على الرغم من أنى أستطيع أن أفهم أنك فى هذه النقطة بالتحديد لاتريدين أن تثقى فى أى شخص ، ولن أنصحك بعمل ذلك ، ولكن يمكنك إغلاق السماعة الآن ، وعليك أن تحاولى عندئذ حل الأمر بمفردك " .

قالت بصوت خفيض : " لقد كنت هناك ".

" حسناً ، لقد حدثنى رووى عن الميكروفون الذى كان على حاسب جاسون " .

تنهدت سيدنى وقالت : " لقد اصطدمت به بالمصادفة فانثنى ولم أستطع فرده مرة أخرى " .

جلس سوير على الأريكة وقال : " هل كان جاسون يستخدم خاصية الميكروفون في الحاسب ؟ هل كان لديه - على سبيل المثال - واحد في المنزل ؟ "

" لا ، إنه كان يكتب بشكل أسرع مما يتكلم . لماذا ؟ "

" إذن لماذا كان لديه ميكروفون على حاسبه في العمل ؟ "

فكرت سيدنى في الأمر للحظة وقالت : " لا أدرى . أعتقد أنه كان اختراعاً حديثاً وقد تم استخدامه من بضعة أشهر أو شىء كهذا ، وربما منذ فترة أطول قليلاً . ولقد لاحظت وجود الميكروفونات فى مكاتب أخرى فى تريتن ، إذا كان ذلك يساعدك فى الوصول إلى شىء . لماذا ؟ "

" لقد ذهبت إلى هناك يا سيدنى ، اصبرى قليلاً على رجل عجوز متعب " . شد سوير بقوة على شفته العليا وقال : " عندما تحدثت إلى جاسون فى كلتا المرتين ، هل كنت متأكدة من أنه هو ؟ "

" بالطبع كان هو . أعلم صوت زوجى جيداً " .

كانت نبرة سوير متمهلة وثابتة كما لو كان يحاول أن يمنح تلك السمات إلى سيدنى وقال : " إننى لا أسألك إذا كنتِ متأكدة من أنه كان صوت زوجك " . توقف للحظة وأخذ نفساً عميقاً ثم استطرد : " إننى أسألك إذا كنت متأكدة من أنه كان زوجك فى كلتا المرتين " .

تجمدت سيدنى وحينما استطاعت أن تتكلم أخيراً ، خرج صوتها بهمس غاضب وقالت : " فيم تفكر ؟ " .

" لقد استمعت إلى محادثتك الأولى مع جاسون ، لقد كنت على حق فى أنه كان يبدو عليه أنه مصاب بالذعر يتنفس بصعوبة . وقد دارت بينكما محادثة حقيقية . ولكنك الآن تخبرينى بأنه فى المرة

الثانية كان مختلفاً تماماً وبأنها لم تكن محادثة حقاً بل إنه تكلم وأنت استمعت فحسب . ولم يكن مذعوراً كما كان من قبل والآن ، نحن نعلم بأمر الميكروفون الموجود فى مكتب جاسون والذى لم يستخدمه مطلقاً من قبل . فإذا لم يستخدمه أبداً ، لماذا يوجد هناك حقاً ؟ "

" أنا ..... فى رأيك ، ما الذى يجعله موجوداً هناك ؟ "

" الميكروفون يا سيدنى يستخدم لتسجيل الأشياء كصوت أى شىء أو صوت شخص يتحدث " .

قبضت سيدنى على الهاتف الجوال بشدة حتى أحمرت يداها وقالت : " أتعنى .... " .

" أعنى أننى أعتقد أنك استمعت إلى صوت زوجك فى كلتا المرتين ، كان تجميعاً للكلمات التى قالها زوجك وتم اشتقاقها من تسجيلات تم أخذها من الميكروفون لأن ذلك هو الغرض الحقيقى لاستخدامه . وأكاد أجزم بذلك . إنه تسجيل " .

" مستحيل . لماذا ؟ "

" لا أدرى سبب ذلك بعد . ولكنه واضح جداً . وذلك يفسر لماذا كانت محادثتك الثانية معه مختلفة تماماً . ففى المرة الثانية على ما أظن كانت مفرداته عادية جداً " . لم ترد سيدنى .

" سيدنى ؟ " . سمع سوير صوت نحيبها يأتى عبر الأثير .

" إذن إنك تظن ... إنك تعتقد أن جاسون قد مات ؟ " . غالبت سيدنى دموعها . لقد عاشت فعلاً ضمن سلسلة من الأحداث مقتنعة بموت زوجها ، إلى أن عرفت فجأة أنه على قيد الحياة أو هكذا ظنت . أخذت الدموع تنهمرعلى وجنتيها حينما توقعت أن تمر بحالة الحزن الرهيب على جاسون ثانيةً .

" لست متأكداً من ذلك يا سيدنى . في الواقع إنني أعتقد أنه قد تم استخدام صوت جاسون المُسجل بدلاً منه شخصياً وأعتقد أيضاً أنه لم يكن موجوداً ليتحدث بنفسه . لماذا ، لا أدرى . دعينا نترك الأمر عند هذا الحد الآن " .

وضعت سيدنى الهاتف وأمسكت برأسها . كانت جميع أطرافها الآن تهتز كشجرة ضعيفة فى مهب الريح .

انتبه سوير فتكلم بجدٍ فى الهاتف وقال : " سيدنى ؟ سيدنى ؟ لا تغلقى الخط . أرجوك ! سيدنى ؟ " .

وعندئذ أُغلق الخط .

ألقى سوير بالسماعة بعنف وقال : " اللعنة ! اللعنة ! " .

مضت دقيقة وسوير يجول فى أرجاء الغرفة الصغيرة شاعراً بغضب جامح فضرب أخيراً بقبضته على الجدار بقوة . ووثب إلى الهاتف حينما رن " .

قال بصوت يرتعش من التوقع : " مرحباً ؟ " .

كان صوت سيدنى مجرداً من المشاعر وقالت : " دعنا لا نتكلم ثانيةً عما إذا كان جاسون حياً أم لا ، اتفقنا ؟ " .

قال سوير بهدوء : " حسناً " . جلس وصمت لدقيقة مقرراً الأسئلة التى ينبغى أن يطرحها عليها .

" لماذا يريد أحد فى شركة تريتن تسجيل صوت جاسون ثم يستخدم ذلك التسجيل ليتصل بى يا لى ؟ " .

" لو كنت أعرف الإجابة عن ذلك السؤال يا سيدنى لكنت أسرعت بعمل اللازم . إنك قلت إن هناك عدداً من المكاتب قد تم تثبيت تلك الميكروفونات بها حديثاً ، وذلك يعنى أن أى شخص فى الشركة يستطيع استخدام الميكروفون الخاص به ويوصله بجهاز تسجيل . أو ربما قامت إحدى الشركات المنافسة لتريتن بعمل ذلك

بطريقة أو بأخرى . أقصد ، إذا كنت تعلمين أنه لم يستخدم الميكروفون من المؤكد أن آخرين يعلمون ذلك أيضاً . وإننى متأكد من أن الميكروفون لم يعد بمكتبه الآن . وربما يكون الأمر متعلقاً ببعض الأسرار التى باعها إلى شركة آر . تى . جى " . حك سوير فروة رأسه بينما كان يفكر فى نوع الأسئلة الإضافية التى يريد طرحها عليها .

أجابته سيدنى فى الحال قائلة : " إن مسألة بيع جاسون الأسرار إلى آر . تى . جى ليس لها معنى على الإطلاق الآن " .

اندهش سوير وهب واقفاً : " لِمَ لا ؟ " .

" لأن بول بروفى كان يعمل فى صفقة سيبركوم أيضاً ، وكان موجوداً فى جميع جلسات وضع الشروط . وقد حاول أيضاً أن يأخذ دور القائد فى عمل الصفقة . وإننى أعلم الآن أن بروفى كان يعمل مع جولدمان وشركة آر . تى . جى ليعرف الموقف النهائى للمفاوضات التى أجرتها تريتن من أجل الحصول على الصفقة ويضربها فى مقتل . وكان يعرف أكثر مما يعرفه جاسون عن وضع تريتن من الصفقة . وقد تم الاحتفاظ بالشروط الدقيقة للصفقة فعلياً فى مؤسسة تايلر ستون وليس فى تريتن " .

اتسعت عينيا سوير وقال : " إنك تعنين " .

" إننى أعنى ببساطة أنه بما أن بروفى كان يعمل لحساب آر . تى . جى فإنهم لم يكونوا فى حاجة إلى جاسون " .

جلس سوير وأصابته الدهشة لأنه لم يتوصل إلى ذلك الربط بين الأمور من قبل وقال : " لقد رأى كل منا يا سيدنى شريط فيديو لزوجك وهو يقدم معلومات لمجموعة من الرجال فى أحد المستودعات فى سياتل فى نفس اليوم الذى تحطمت فيه الطائرة .

فإذا لم يكن يعطيهم معلومات خاصة بصفقة سيبركوم ماذا كان ذلك بحق الجحيم ؟ "

هزت سيدنى رأسها وقد أصابها الإحباط وقالت : " لا أدرى ! ولكنى أعلم جيداً أن بروفى حين استبعد من الاشتراك فى الجولات الأخيرة للصفقة ، حاول هو ابتزازى من أجل معرفة أسرارها منى ، ولقد تظاهرت بموافقتى لهم ، وكانت خطتى الحقيقية هى الذهاب إلى المسئولين ، ولكن ذهبنا بعد ذلك فى السيارة الليموزين " . سرت فى جسد سيدنى رعشة وقالت : " أنت تعلم الباقى " .

أدخل سوير يده فى جيبه وأخرج سيجارة . وأمسك بالهاتف تحت ذقنه بينما كان يشعل سيجارته وقال : " هل توصلت إلى أى شىء آخر ؟ "

" لقد تحدثت إلى سكرتيرة جاسون وتدعى كاى فينسينت . قالت إن هناك مشروعاً آخر كان جاسون يعمل به غير صفقة سيبركوم وهو توحيد ملفات النسخ لدى تريتن " .

سألها سوير : " نسخ الشرائط ؟ هل ذلك مهم ؟ "

" لا أدرى ، ولكن كاى أخبرتنى أيضاً بأن تريتن قد نقلت سجلات مالية إلى سيبركوم ، فى نفس يوم تحطم الطائرة " . وقد بدا على سيدنى السخط .

" إذن ما الشىء غير العادى فى ذلك ؟ إنهم يتفاوضون لإبرام صفقة " .

" فى نفس ذلك اليوم عنفنى ناثان جامبل بشدة فى نيويورك لأنه لم يكن يرغب فى تقديم نفس تلك السجلات إلى سيبركوم " .

حك سوير جبهته قائلا : " هذا لا يعنى أى شىء هل تعتقدين أن جامبل قد عرف بأمر تقديم السجلات لهم ؟ "

" لا أدرى ، أقصد ، إننى لست متأكدة من ذلك " . توقفت سيدنى قليلاً حيث أخذ البرد القارس يشتد وأصبح مؤلماً ثم استطردت : " فى الواقع كنت أعتقد أن صفقة سيبركوم ربما تضيع بسبب رفض جامبل " .

" حسناً ، أستطيع أن أخبرك بحقيقة أنها لم تضع . لقد حضرت المؤتمر الصحفى اليوم الذى أعلن عن إبرام الصفقة . وكان جامبل يبتسم كقط تشايشر " .

" حسناً ، إننى أعرف أنه سيكون فى منتهى السعادة بعد عقد تلك الصفقة " .

" ألا تقولين نفس الشىء بالنسبة لكونتين رووى ؟ "

" من المؤكد أنهما ثنائى غريب " .

" صحيح ، مثل آل كابونى وغاندى " .

تنفست سيدنى بقوة فى السماعة ولكنها لم تقل شيئاً .

" إننى أعلم أنك لن تحبى ذلك يا سيدنى ، ولكنى سأقوله على أية حال . من الأفضل لك بكثير أن تحضرى . يمكننا حمايتك " .

قالت سيدنى بمرارة فى صوتها : " تقصد ، تزجون بى إلى السجن ، أليس كذلك ؟ "

" إننى أعلم يا سيدنى أنك لم تقتلى أحداً " .

" هل تستطيع إثبات ذلك " .

" أعتقد أننى أستطيع " .

" تعتقد ؟ آسفة يا لى . إننى أقدر حقاً ثقتك ببراءتى ، ولكنى أخشى ألا يكون ذلك كافياً . أعلم كيف تكون الأدلة دامغة وكذلك مدى إدراك وفهم العامة للأمور . إنهم يسيرون خلف الإشاعات " .

" قد تكونين فى خطر محدق فعلاً وأنت بعيدة " ، لمس سوير ببطء الزر الخاص بالمباحث الفيدرالية والمثبت على حزامه وقال :

" اسمعى ، أخبرينى أين أنت وسآتى وليس معى أى شخص آخر ، ولا حتى شريكى فى هذه القضية ، أنا فحسب . وإذا أرادوا الوصول إليكِ ، لابد من الاتصال بى أولاً . وفى أثناء ذلك ، يمكننا حل هذه المسألة معاً " .

" إنك أحد رجال المباحث الفيدرالية يا لى . وهناك تفويض بإلقاء القبض علىّ . وإنه من مهام عملك الرسمى أن تزج بى إلى السجن فى اللحظة التى تقع عيناك علىّ فيها . والأهم من ذلك ، أنك قد غطيت علىّ مرة من قبل " .

ابتلع سوير ريقه بصعوبة . كان يدور فى ذهنه صورة العينين الزمردتين اللتين كانتا تأسرانه وقال : " إذن لنقل إنها جزء من عملى غير الرسمى فحسب " .

" وإذا اكتشف ذلك أحد سينتهى عملك ، والأهم من ذلك أنه قد يُزج بك إلى السجن " .

" إنى رجل كبير . سأعتنى بتلك الأمور . وسأعدك أن آتى بمفردى " . ارتعش صوت سوير لما كان يكتم من إثارة . ولم تتمكن سيدنى من الكلام .

" إننى سأنطلق إليك حالاً يا سيدنى . إننى أريدك أن تكونى على ما يرام حقاً . اتفقنا ؟ " .

احتبس الصوت فى حنجرة سيدنى ثم قالت : " إننى أصدقك يا سوير . ولا يمكننى إخبارك كم يعنى ذلك بالنسبة لى . ولكننى لن أدعك تلقى بحياتك أيضاً فى غياهب الضياع " .

" سيدنى ـــ " .

" علىّ أن أذهب الآن يا لى " .

" انتظرى ! لا ! " .

" سأحاول الاتصال بك ثانية " .

" متى ؟ " .

حدقت سيدنى مباشرةً خلال الزجاج الأمامى للسيارة وقد تجهم وجهها فجأة ، واتسعت عيناها وقالت بغموض : " إنى .... إنى لست متأكدة " ، ثم انقطع الخط .

وضع سوير الهاتف وأخذ يبحث داخل جيبه عن علبة السجائر وأشعل سيجارة أخرى . واستخدم يده المتكورة كطفاية بينما كان يمشى حول الغرفة . توقف ولمس الفتحة الموجودة فى الجدار والتى يبلغ حجمها حجم قبضة يده وأخذ يتأملها بتمعن وأحدث مثيلتها ، ثم توجه إلى النافذة ونظر من خلالها إلى ليلة شتوية باردة جداً وقد تملكه الإحباط .

* * *

ما إن عادت سيدنى إلى المنزل ثانيةً ، خطا الرجل من ظلال الجراج المظلمة . كانت أنفاسه باردة جداً بسبب الجو المتجمد . فتح باب السيارة . وما إن أُضىء نورها الداخلى لمعت العينان الزرقاوان المهلكتان كالمجوهرات المنحوتة ببراعة فى الضوء الخافت . فتشت يدا كينيث سكاليز ، اللتان كان يرتدى بهما قفازات ، السيارة ببراعة ولكنه لم يجد شيئاً ذا أهمية ، ثم أمسك بالهاتف الجوال وضغط على زر إعادة الاتصال . رن الهاتف مرة واحدة فقط قبل أن يظهر صوت لى سوير الذى ظهرت فى نبرته الإثارة على الخط . ابتسم سكاليز حينما استمع إلى نبرة عميل المباحث الفيدرالية العاجلة ، والذى كان يظن أن سيدنى آرتشر قد عاودت الاتصال به ثانية . قطع سكاليز المكالمة ، وأغلق باب السيارة بهدوء وصعد الدرج إلى المنزل . وأخرج من غمد جلدى على حزامه نصل الخنجر الصغير الذى كان قد استخدمه لقتل إدوارد بيدج وكان سيتولى أمر سيدنى آرتشر حينما خرجت من السيارة لولا أنه لم يكن

متأكداً إذا ما كانت مسلحة أم لا ؛ حيث إنه قد رأى بالفعل مهارتها فى استخدام المسدس . بالإضافة إلى أن طريقته فى القتل تعتمد على المفاجأة التامة لضحاياه .

شق طريقه خلال الطابق الأول باحثاً عن المعطف الجلدى الذى كانت ترتديه سيدنى ولكنه لم يجده . كانت حقيبة يدها على المنضدة ، ولكن ما كان يريده لم يكن بها . تقدم بخطواته إلى السلم المؤدى إلى الطابق الثانى . وتوقف عند هذه النقطة ومد رأسه لينظر . ومع صوت اندفاع الريح ، جعله الصوت الذى ترامى إلى مسامعه من الطابق الثانى يبتسم ثانيةً ، حيث استمع إلى صوت مياه تجرى فى حوض الاستحمام . فى هذه الليلة الشتوية الشديدة البرودة فى ماين ، كان الشخص الوحيد الذى يشغل المنزل يستعد لأخذ حمام ساخن مهدئ لطيف . شق سكاليز طريقه بهدوء لأعلى . كان باب غرفة النوم فى أعلى مغلقاً ، ولكنه استطاع أن يسمع بوضوح صوت المياه الجارية فى الحمام المجاور ، ثم سمع صوت المياه وقد أُغلقت . انتظر سكاليز بضع ثوان أخرى فقد تخيل سيدنى آرتشر تصعد إلى حوض الاستحمام المليء بالمياه الساخنة لكى تريح جسدها المنهك ، ثم تقدم بعد ذلك إلى باب غرفة النوم . كان ينوى أن يحصل على كلمة السر أولاً ثم يشغل نفسه بعد ذلك بأمر صاحبة المنزل . وإذا لم يتمكن من العثور على ما يريد ، سيهددها بأن تكون حياتها فى مقابل إعطائه السر الذى يريده ثم سيقتلها بعد ذلك .

وقف سكاليز بجانب الباب معطياً ظهره للجدار ، خنجره على استعداد ، واضعاً يده على مقبض الباب ، محاولاً فتحه دون أن يحدث أى صوت مسموع .

كان انفجار صوت البندقية التى حطمت الباب وأدخلت جزءاً من طلقتها فى ذراعه اليسرى عالياً . صرخ سكاليز وألقى بنفسه على

السلم وبطريقة رياضية لف ونزل على الأرض منتصباً ، ممسكاً بذراعه الدامية . حرك عينيه لأعلى حيث خرجت سيدنى آرتشر من غرفة النوم بكامل ملابسها . ثم أطلقت رصاصة أخرى من البندقية ، وتمكن سكاليز بالكاد من إلقاء نفسه بعيداً عن مسار الطلقة قبل أن تصيبه . كان المنزل مظلماً بالكامل تقريباً ، ولكن إذا تحرك ثانيةً ستتمكن من إصابته إصابة قاتلة . جثم سكاليز خلف الأريكة وكان فى مأزق جلى . فى إحدى اللحظات كانت سيدنى آرتشر ستخاطر بإضاءة النور لتقوم القوة المدمرة للبندقية سريعاً بتدمير كل شيء فى الغرفة الصغيرة وهو أيضاً .

تنفس الرجل بهدوء وأمسك بيده القوية بخنجره ونظر فى أرجاء غرفة المعيشة وانتظر . كانت ذراعه تؤلمه ألماً حاداً ؛ وكان معتاداً على إنزال الألم بالآخرين ولا يصاب هو بأذى . استمع إلى خطوات سيدنى بينما كانت تتقدم بحذر نازلة السلم . كان متأكداً من أنها كانت تستخدم البندقية فى عمل مسح شامل للمكان . ومن خارج الظلام رفع رأسه بحذر لأعلى لمسافة بوصة أو أعلى قليلاً من حد الأريكة . انجذبت عيناه فى الحال إليها . كانت الآن قد نزلت إلى منتصف السلم . وبما أنها كانت مصممة على تحديد موقع فريستها ، لم تر جزءاً من باب غرفة النوم الذى كان ملقى على السلم . وعندما وضعت رجلها ولم تكن على دراية بوجوده انزلقت هذه القطعة وانزلقت قدماها معها . تدحرجت من على الدرج ، وتحطمت البندقية عند اصطدامها بسور الدرج ، وفى لحظة انقض عليها سكاليز انقضاضاً مفاجئاً ، وبينما كانا يتدحرجان على الأرض الخشبية الصلبة ، كان يدق رأسها بعنف . وأخذت سيدنى تركله بغضب فى صدره وضلوعه بحذائها ، ثم انحرفت بعيداً حينما ضرب بخنجره بوحشية . استطاعت أن تفلت من تلك الضربة

بالكاد ، والتى أحدثت قطعاً وصل إلى الجاكيت الذى ترتديه ولكن لم ينفذ إلى لحمها . سقط شىء أبيض كان بداخل جيبها من أثر الضربة واستقر على الأرض .

تمكنت سيدنى من الإمساك بالبندقية وتسديد ضربة قوية فى وجه سكاليز بمؤخرة البندقية الصلبة ، أدت إلى كسر أنفه وخلع بعض الأسنان الأمامية . وقف سكاليز وقد فقد صوابه من شدة الضربة وألقى بخنجره وتراجع للحظة ومن شدة الغضب الذى سيطر عليه انتزع البندقية منها بعنف وأدارها ناحية سيدنى آرتشر التى تملكها الذهول ، فاندفعت بسرعة مبتعدة عنه لعدة أقدام إلا أنه مازال يستطيع الوصول إليها وقد أصابتها حالة من الذعر . ضغط سكاليز على الزناد ولكن ظلت فوهة البندقية ساكنة . فقد كان سقوط البندقية من على السُلم والمعركة التى نشأت له أثره فى تعطلها . زحفت سيدنى بعيداً فى يأس وكانت رأسها تكاد تنفجر من شدة الألم الذى نتج من الضربات السابقة . وبزمجرة شرسة ، ألقى سكاليز بالبندقية بعيداً حيث أصبحت عديمة الفائدة ونهض ، كان الدم يتدفق على قميصه من فمه المجروح وأنفه الذى أعاده إلى مكانه ثانية . التقط خنجره مرة أخرى من مكانه الذى سقط به وتقدم إلى سيدنى بعينين تملؤهما الرغبة فى القتل ، وحينما رفع النصل استعداداً لطعنها اندفعت بسرعة فى حركة دائرية وصوبت إليه المسدس . ولكن فى جزء من الثانية وقبل أن تطلق عليه النار ، قفز سكاليز بحركة بهلوانية لأعلى واستقر على منضدة الطعام . أخذت سيدنى تضغط على الزناد وتطايرت الطلقات فى أرجاء الردهة مُحاولة تعقب تحركاته الارتجالية التى اتبعها لتفادى الطلقات والفرار منها . اصطدم سكاليز بالأرض الخشبية اللامعة بقوة وقد أرسلته قوة الدفعة ليرتطم رأسه بالجدار . وحينما ارتخى جذعه من

أثر ارتطامه بالجدار اصطدم بعنف بأرجل بوفيه مزخرف مصنوع من خشب الماهوجني فانكسرت الأرجل الضعيفة كأعواد الكبريت محدثة صوتاً حاداً ، وانهار البوفيه الثقيل فوقه مباشرةً وقد تفرغت محتوياته فى أرجاء الغرفة ، حيث فُتحت أدراجه جميعها من أثر سقوطه . لم يتحرك سكاليز بعد ذلك .

قفزت سيدنى سريعاً وهرعت إلى المطبخ وانتزعت حقيبة يدها من على المنضدة ونزلت سريعاً على الدرج إلى الجراج . بعد دقيقة كان باب الجراج قد فتح واندفعت السيارة إلى الخارج ودارت ١٨٠ درجة فى الممر ثم اختفت فى العاصمة الثلجية .

وبينما كانت سيدنى تنظر فى المرآة التى أمامها والتى تمكنها من رؤية ما خلفها رأت كشافات سيارة ، وقد خفق قلبها حين شاهدت السيارة الكاديلاك الكبيرة تقف فى ممشى المنزل الذى قد غادرته تواً . جف الدم من وجهها . يا إلهى ! لقد وصل والدها أخيراً فى وقت لم يكن هناك أسوأ منه . انعطفت سيدنى بالسيارة وشقت أكوام الثلج المتكدسة وأسرعت عائدة إلى منزل والديها ، ثم تعقدت مشكلتها فجأة حيث لمحت كشافات سيارة أخرى آتية على الطريق من نفس الاتجاه الذى أتى منه والدها . نظرت سيدنى بشدة وقد ازداد خوفها حينما مرت السيارة السيدان السوداء بالشارع ، وعبرت عجلاتها ببطء على الآثار التى خلفتها السيارة الكاديلاك تواً . إنهم الأشخاص الذين تعقبوا والدها من فيرجينيا . وبسبب كل ما حدث نسيت أمرهم . ضغطت سيدنى على دواسة البنزين بأقصى قوة ، فانزلقت السيارة فى الثلج للحظة وأخذ نظام الدفع الرباعى يقاوم بشدة دافعاً بقوة السيارة إلى الأمام . وبينما كانت تندفع نحو السيارة السيدان ، رأت السائق وهو يتحرك حيث وضع يده داخل

معطفه ، ولكنه تأخر لجزء من الثانية ، حيث فرت سيدنى سريعاً إلى منزل والدها وغيرت اتجاهها عبر الطريق واندفعت بقوة إلى السيارة الأصغر ودفعت بها عبر الطريق المنزلق إلى منحدر صخرى شديد الانحدار . انتفخ كيس الهواء الموجود داخل سيارتها ، وبمجهود هائل استطاعت سيدنى أن تمزقه من فوق عجلة القيادة ، واندفعت بالسيارة فى الاتجاه المعاكس .

لفت سيدنى ثم حدقت فى غير تصديق . فقد تولى هجومها السريع أمر هؤلاء الذين كانوا يتعقبون والدها ، وكان له نتيجة أخرى أيضاً . نظرت فى فزع حينما انعطفت السيارة الكاديلاك وخرجت من شارع بيتش ستريت لتعود مرة أخرى إلى شارع روت ١ . دفعت سيدنى بدواسة الوقود وتعقبتهم .

وحاول الرجل جاهدا للخروج من السيارة ونظر بدهشة عارمة إلى السيارة التى اختفت بسرعة شديدة .

.

رأت سيدنى الكشافات الخلفية للسيارة الكاديلاك أمامها مباشرة . كان شارع روت ١ طريقاً ذا حارتين . أوقفت سيارتها خلف سيارة والديها وضغطت على آلة التنبه مراراً وتكراراً . أسرعت السيارة الكاديلاك فى الحال . كان والداها الآن فى حالة من الرعب الشديد لا تجعلهما يتوقفان مهما كان السبب ، ولكن استمرت سيدنى فى الضغط على آلة التنبيه بطريقة جنونية .

حبست أنفاسها لحظة ثم تمايلت بالسيارة إلى الجانب الخطأ من الطريق ، وانطلقت بسيارتها بأقصى سرعة إلى أن وصلت إلى جوار سيارة والديها مباشرة . رأت والدها يتحرك حينما رأى السيارة اللاند روفر ظهرت على يساره . كانت السيارة الكاديلاك تتمايل من جهة إلى أخرى حينما كانت تسرع ، وكان على سيدنى

أن تنطلق بأقصى ما لديها من سرعة حتى تلحق بها ، وحينما لحقت بهما ، قام بيل باترسون بوضع السيارة الكاديلاك الضخمة فى وسط الطريق مباشرةً حتى لا يلحق بهم من يطاردهم . أنزلت سيدنى زجاج النافذة وقادت سيارتها إلى جزء من الطريق يشبه الكتف ويمتلئ بالقاذورات والحصى . ومن حسن حظها أن الطريق لم يصبه انهيار ، وحينما كانت على بُعد عدة بوصات من جانب راكب السيارة الكاديلاك . انحرف والدها إلى الجانب الأيمن ، مرغماً سيدنى على أن تخرج من الطريق نهائياً . وبينما كانت السيارة اللاند روفر تعلو وتهبط بانحراف على الطريق الردىء ، نظرت سيدنى إلى عداد السرعة لديها والذى ارتفع إلى ثمانين كيلو متراً تقريباً . سرى الرعب فى جميع أوصالها ونظرت أمامها ، كانوا يقتربون من منحنى شديد الانحدار وكادت تخرج عن الطريق . ضغطت على دواسة البنزين إلى آخرها ، لم يتبق لها سوى ثوان . صرخت عبر الرياح الضارية والثلوج المتساقطة : " آمى ! " . ثم خرجت من نافذتها بقدر ما تستطيع بينما تحاول أن تبقى على سيطرتها على السيارة وصرخت : " آمى ! " . وأخذت نفساً عميقاً ثم صرخت بأعلى صوتها : " آمى " .

رأت سيدنى أمها تحدق خلال الثلوج المتساقطة وكانت عيناها متسعتين فزعاً ، وأخيراً التفتت أمها إلى والدها ، وأبطأت السيارة الكاديلاك من سرعتها فى الحال وسمحت لسيدنى أن تعود إلى الطريق أمامها . كان الثلج يغطى وجهها وشعرها ، وأشارت لهما سيدنى بيدها ليتبعاها . أسرعت السيارتان فى الدوامة البيضاء التى يصعب رؤية ما خلفها .

بعد ساعة تقريباً كانوا قد غيروا اتجاهم إلى أحد المخارج . وخلال عشر دقائق دخلت السيارتان الكاديلاك واللاند روفر إلى ساحة الانتظار الخاصة بأحد الفنادق الصغيرة .

وكان أول شيء فعلته سيدنى آرتشر أن قفزت خارج سيارتها وهرعت إلى سيارة والديها وفتحت الباب الخلفى سريعاً على مصراعيه وحملت ابنتها بين ذراعيها . كانت الدموع تنهمر على وجه سيدنى بشدة كالثلج المنهمر . وأمسكت بابنتها النائمة وهى تعد نفسها بألا تتركها ثانيةً . لم تكن آمى تعلم أنها كادت تفقد أمها هذه الليلة . ماذا لو انحرف نصل الخنجر بوصة واحدة للجهة الأخرى ؟ أو ماذا لو تأخرت والدة سيدنى فى التعرف عليها ثانية ؟ ولم تكن الطفلة الصغيرة تعلم ذلك مطلقاً بيد أن سيدنى آرتشر كانت تعلم ذلك جيداً ، وذلك ما جعلها تحتضن ابنتها بقوة إلى صدرها وبأقصى ما لديها من حنان وقوة حيث كان جسدها يهتز من الألم . لف بيل باترسون حول السيارة واحتضن ابنته بقوة ، كان الرجل الضخم يرتعش بشدة أيضاً بعد هذا الكابوس الأخير . وانضمت إليهما زوجته ووقفوا جميعاً مكونين دائرة صغيرة ، ممسكين ببعضهم البعض بقوة ، يسودهم جميعاً الصمت . وبالرغم من أن الثلج قد غطى ملابسهم سريعاً إلا أنهم لم يتحركوا من أماكنهم وظلوا متماسكين معاً .

استطاع الرجل أن يخلص سيارته ثم أسرع إلى منزل باترسون حيث كان لا يزال هادئاً . وبعد دقيقة لم يعد المنزل هادئاً حيث تم رفع البوفيه ببطء من على الأرض ثم اندفع بعيداً بقوة ثانية محدثاً ضجة ضخمة وقد انشطر خشبه . نهض سكاليز بمساعدة زميله وكان جسده يؤلمه . كانت النظرة التى ظهرت على وجهه

توضح أنه من حسن حظ سيدنى آرتشر الوفير أنها لم تكن موجودة فى متناول قبضته المهلكة . وحينما عاد ليسترد خنجره لاحظ قطعة الورق التى سقطت من سيدنى - إنها رسالة البريد الإلكترونى الخاصة بجاسون . التقطها سكاليز وتفحصها بدقة للحظة . وبعد خمس دقائق أخرى شق هو وزميله طريقهما إلى السيارة التالفة . التقط سكاليز هاتفه الجوال واتصل سريعاً بأحد الأرقام . لقد حان الوقت لطلب الدعم .

الفصل الرابع والخمسون

فى الثانية والنصف صباحاً قاد لى سوير الثائر سيارته إلى مكتبه فى خضم تلك العاصفة الثلجية والتى كانت الأرصاد قد تنبأت بأنها ستصبح عاصفة ثلجية عنيفة مصحوبة بالرياح الشديدة بحلول العصر . كان الشاطئ الشرقى بأكمله تجتاحه عاصفة شتوية رهيبة ، وكان من المتوقع أن تستمر حتى حلول رأس السنة .

توجه سوير مباشرة إلى غرفة الاجتماعات حيث قضى الساعات الخمس التالية فى دراسة جانب من جوانب القضية ، من الملفات ، ومن ملاحظاته ومن ذاكرته . كان هدفه الأساسى هو تجميع خيوط القضية فى يده ، حيث إنه قد أدرك الآن أنها بدأت تأخذ اتجاهاً منطقياً . وكانت المشكلة هى أنه كان بها الكثير من الأشياء غير المفهومة ؛ وكان السبب الرئيسى فى ذلك أنه لم يكن متأكداً ما إذا

كان يواجه قضية واحدة أم اثنتين : ليبرمان وآرتشر معاً ، أو ليبرمان وآرتشر منفصلين . وكان ذلك ما يثير غضبه حقاً . دوَّن سوير سريعاً بعض الأفكار الجديدة التى خطرت على باله ، ولكن جميعها لم يكن مبشراً بخير ، ثم التقط الهاتف بعد ذلك واتصل بالمعمل وسأل عن ليز مارتن وهى الفنية التى أجرت عملية الفحص على السيارة الليموزين .

قال سوير : " إننى أدين لكِ بالاعتذار يا ليز ، لقد تعقدت هذه القضية وأصابتنى بالضيق ، وقد أفرغت غضبى فيك أنت . إننى آسف حقاً " .

ابتسمت ليز قائلة : " اعتذارك مقبول ، إننا جميعاً نتعرض لضغوط مثل هذه . ماذا هناك ؟ "

" إننى أحتاج إلى خبرتك فى استخدام الحاسب ، ماذا تعرفين عن أنظمة نسخ شرائط الحاسب ؟ "

" إنه لأمر مضحك أن تسأل عن ذلك . إن صديقى محام وقد أخبرنى بأنه أهم موضوع فى قاعات المحاكم حالياً " .

" لماذا ذلك ؟ "

" حسناً ، يتم استخدام نظام نسخ الشرائط فى الإجراءات القضائية . على سبيل المثال : إذا قام موظف بكتابة مذكرة أو بريد إلكترونى داخل مكتبه ويحتوى على معلومات مهمة عن الشركة التى تعمل بها ثم قام ذلك الموظف بإلغاء هذا البريد الإلكترونى فيما بعد أو أتلف جميع النسخ المادية الخاصة بتلك المذكرة ستظن أن الموضوع قد انتهى عند هذا الحد . صحيح ؟ لا ، لأن مع نظام نسخ الشرائط يقوم النظام بحفظ هذه الأشياء قبل أن يتم إلغاؤها . وتنصح الشركة التى يعمل بها صديقى عملاءها بأنهم إذا لم يريدوا أن يطلع

أحد على هذه المستندات التى يتم إنشاؤها على الحاسب عليهم ألا يقوموا بإنشائها أصلاً " .

أخذ سوير يقلب الصفحات التى أمامه وهو يتمم : " مممم ، شىء جيد أننى لا أزال أفضل الحبر السرى " .

" إنك تحفة يا لى . ولكنك على الأقل تحفة لطيفة " .

قال سوير : " حسناً ، يا أستاذة ليز لدى شىء آخر لك " . ثم قرأ عليها كلمة السر .

" هذه كلمة سر رائعة ، أليس كذلك يا ليز ؟ " .

" فى الواقع إنها ليس كذلك " .

" ماذا ؟ " ، كان ذلك آخر رد يتوقع سوير أن يسمعه .

" إنها طويلة جداً . من السهل أن تنسى جزءاً منها أو بدلاً من ذلك تقوم بإدخالها بشكل خطأ . أو إذا قلتها لشخص آخر شفهياً يمكن أن يخطىء فى كتابتها بسهولة أو يبدل رقماً مكان الآخر وأشياء من هذا القبيل " .

" لكن بسبب طولها ، لا يمكن معرفتها ؟ أعتقد أن ذلك أجمل ما فيها " .

" أكيد . لكن يجب ألا تستخدم كل هذه الأرقام لإنجاز هذا الهدف ، عشرة أرقام ستكون كافية لهذا الغرض . ولكن باستخدامك خمسة عشر رقماً سيتعذر معرفتها بسهولة " .

" ولكن فى هذه الأيام هناك حاسبات تستطيع تولى أمر تلك التركيبات وتتعامل معها " .

" إنك باستخدام خمسة عشر رقماً ، تتعامل أيضاً مع أكثر من تريليون نوع من التركيبات ومعظم المجموعات المشفرة تأتى مع خاصية الإغلاق إذا كان يتم استخدام الكثير من التركيبات فى نفس الوقت . حتى إذا لم تكن تحتوى على خاصية الإغلاق ، لن يقوم

أسرع حاسب فى العالم والذى يقوم بتحليل الأرقام بإدخال كلمة السر هذه لأن وجود ووضع هذه الفواصل العشرية يجعل المزيج الممكن عالياً جداً ، لدرجة أن هجوم القوة الوحشية التقليدية لن يفيد شيئاً " .

" إذن ، إنك تعنين ـــــ "

" أقول إن الشخص الذى وضع كلمة السر إذا قد رحل ، فسلبياتها تفوق عدم تأثرها لأن يتم اختراقها . ببساطة إنها لا تحتاج لأن تكون بهذا التعقيد حتى يتم تجنب اختراقها . وربما يكون الشخص الذى جعلها ، عديم الخبرة بالحاسب " .

هز سوير رأسه قائلاً : " أعتقد أن هذا الشخص يعلم جيداً ما يفعل " .

" حسناً ، إذن إنها لم تُستخدم لأغراض الحماية فقط " .

" فيم يمكن استخدامها أيضاً ؟ " .

" لست متأكدة يا لى . إننى لم أر واحدة كهذه من قبل " .

لم يقل سوير أى شىء .

" هل هناك أى شىء آخر ؟ " .

" ماذا ؟ أوه ، كلا يا ليز هذا كل شىء " . وبدا على سوير الإحباط بشدة :

" آسفة لأننى لم أكن عوناً لك بما يكفى " .

" لا ، لقد عاونتنى فعلاً ، ومنحتنى الكثير لأفكر فيه . شكراً يا ليز " . ازداد سوير بهجة وقال : " إننى أدين لكِ بغداء ، اتفقنا ؟ " .

" سأجعلك تقوم بذلك وتدفع الحساب ولكن علىّ اختيار المكان هذه المرة " .

" حسناً ، ولكن تأكدى من أنهم يقبلون كارت إيكسون . فهو الكارت البلاستيكى الوحيد الذى أحتكم عليه " .

" إنك تعرف جيداً كيف تجعل أى فتاة تقضى وقتاً ممتعاً يا لى " .

أغلق سوير الخط ونظر إلى كلمة السر ثانية . إذا كان نصف ما سمعه عن مهارة جاسون آرتشر العقلية الخارقة صحيحاً ، إذن فمن المؤكد أن التعقيد الذى تتسم به كلمة السر لم يكن مصادفة . نظر إلى الأرقام مرة أخرى ، وكاد يصاب بالجنون ، إلا أنه لم يستطع أن يبعد إحساسه بأن تلك الأرقام تبدو مألوفة بعض الشىء . سكب لنفسه كوباً آخر من القهوة ، وأخذ قطعة من الورق وأخذ يشخبط عليها وهى عادة تساعده على التفكير . كان يشعر وكأن هذه القضية ظلت معه لسنوات . بداية نظر إلى التاريخ الموجود على البريد الإلكترونى الذى أرسله آرتشر إلى زوجته وقد كان : ١٩ - ١١ - ٩٥ . دوّن ذلك التاريخ فى الورقة التى أمامه : ١٩ - ١١ - ٩٥ . وابتسم . فقد كان يفكر فى أن كون الحاسب يصدر التاريخ بهذا الشكل فى حد ذاته أمر محير أكثر من أى شىء آخر ، ثم وجد نفسه يحدق إلى الأرقام بإمعان أكثر . وتلاشت ابتسامته . وكتبها سريعاً بطريقة أخرى : ١٩ / ١١ / ٩٥ . ثم أخيراً بهذا الشكل : ١٩ ١١ ٩٥ . وأخذ يشخبط سريعاً ثانية . وقد أحدث خطأ فشطب ما كتب واستمر ثانية . نظر سوير إلى ما كتبه أخيراً : ٥٩٩١١١ .

شحب وجه سوير وأصبح أكثر بياضاً من الورقة التى يكتب عليها . وتذكر كلمة فى الاتجاه المعاكس . وقد قرأ البريد الإلكترونى الذى أرسله جاسون آرتشر ثانية . لقد قال آرتشر ، " الجميع فى الاتجاه المعاكس " . ولكن لماذا ؟ إذا كان آرتشر تحت هذا الضغط

الكبير الذى جعله يُخطئ فى كتابة العنوان ولم يكمل الرسالة ، لماذا استغرق وقتاً ليكتب هاتين العبارتين - " الجميع خطأ " و " الجميع فى الاتجاه المعاكس " - هل لهما نفس المعنى ؟ تجلت الحقيقة فجأة أمام سوير : لابد أن للعبارتين معنى مختلفاً تماماً ، نظر إلى الأرقام التى تتكون منها كلمة السر مرة أخرى ثم أخذ يكتب بغضب . وبعد عدة أخطاء انتهى أخيراً . شرب سوير كوب القهوة إلى آخره دون أن يشعر حيث كان مشغولاً بكتابة الأرقام بترتيبها الأصلى (وليس بالعكس) : ١٢ - ١٩ - ٩٠ ، ٢ - ٢٨ - ٩١ ، ٩ - ٢٦ - ٩٢ ، ١١ - ١٥ - ٩٢ ، ٤ - ١٦ - ٩٣ . لقد كان آرتشر دقيقاً جداً فى اختياره لكلمات السر . هناك لغز حقيقى فى كلمة السر نفسها . لم يكن سوير محتاجاً لاسترجاع ملاحظاته ، لقد كان يعرف ما تمثله تلك الأرقام . وأخذ نفساً عميقاً .

إنها التواريخ الخاصة بالخمس مرات التى قام فيها آرثر ليبرمان بتغيير معدلات الفائدة بنفسه . وفى الخمس مرات هذه كان يستطيع أى شخص أن يكسب ما يكفيه من الأموال التى تجعله قادراً على شراء أحد البلدان أو ربما كان سيخسر مثلها .

توصل سوير أخيراً إلى إجابة عن سؤاله . إنها قضية واحدة ، وليست اثنتين . لقد كانت هناك علاقة بين جاسون وليبرمان . ولكن ما طبيعة هذه العلاقة ؟ خطرت على باله فكرة أخرى . لقد أخبر إدوارد بيدج سيدنى بأنه لم يكن يتعقب جاسون آرتشر فى المطار ، قد يكون الشخص الآخر الذى كان يتعقبه هو ليبرمان . ربما كان بيدج يقتفى أثر رئيس مجلس إدارة بنك الاحتياطى الاتحادى ثم تحول إلى آرتشر . ولكن لماذا كان يتبع ليبرمان ؟ بوجه عابس وضع سوير أخيراً الرسالة جانباً ونظر إلى شريط الفيديو الموجود على المنضدة والذى تم تسجيله لآرتشر أثناء عملية التبادل

التى تمت داخل المخزن . إذا كانت سيدنى محقة فيما قالته عن أن بروفى كان يعرف أكثر مما يعرفه جاسون آرتشر ، إذن فماذا كان يحدث فى ذلك المخزن بحق الجحيم ؟ أيمكن أن تكون هذه هى العلاقة بآرثر ليبرمان ؟ لم ينظر إلى الشريط لفترة ، وقرر أن يشاهد هذه اللقطة مرة أخرى .

أدخل سوير الشريط داخل جهاز العرض الموضوع تحت شاشة التلفاز الضخمة فى إحدى زوايا الغرفة . وسكب مزيداً من القهوة ثم ضغط على زر التشغيل وبدأ الشريط يدور . شاهد سوير المشهد مرتين ثم شاهده مرة ثالثة بالحركة البطيئة . وظهر العبوس على قسماته . وعندما شاهد الشريط لأول مرة فى مكتب هاردى كان هناك شىء جعله يعبس أيضاً . ما هذا بحق الجحيم ؟ استرجع الشريط ثانية ثم ضغط على زر التشغيل . كان جاسون والرجل الآخر ينتظران وكانت حقيبة جاسون مرئية ، وكذلك الطرق على الباب ثم دخول الرجال الآخرين ، والرجل العجوز وكذلك الرجلان الآخران اللذان يرتديان نظارات شمسية . هذا ذكاء حقيقى . نظر سوير إلى الرجلين الضخمين ثانيةً . كانا مألوفين بالنسبة له ، ولكنه لم يستطع أن ..... هز سوير رأسه واستمر فى المشاهدة وحدث التبادل الآن ، وكان يبدو على جاسون قمة العصبية ، ثم مرت الطائرة ، حيث كان المخزن يقع فى مسار الطيران عند المطار وذلك ما عرفه سوير . نظر الجميع لأعلى مستمعين إلى صوت الرعد المدوى . تحرك سوير بقوة حتى سكب بعضاً من قهوته على قميصه . ولم يكن هذه المرة من صوت الطائرة فقط .

" اللعنة " ، ثبت الصورة ، ثم اقترب بوجهه حتى أصبح على بُعد بوصة من الشاشة . التقط الهاتف وقال : " إننى سأحتاج إلى

مهاراتك السحرية فى هذه المرة يا ليز ، سنتقابل على العشاء يا أستاذة " ، وأخبرها سريعاً بما يريد .

استغرق سوير دقيقتين ليصل إلى المعمل . كان الجهاز مُعداً وليز تقف إلى جواره مبتسمة . ناولها سوير الشريط وهو ينفخ بشدة ، ثم قامت هى بوضعه داخل جهاز عرض آخر . وجلست على لوحة التحكم وبدأ الشريط يدور على شاشة ستين بوصة .

" حسناً ، حسناً ، استعدى يا ليز . هناك ! هناك بالضبط ! " . قفز سوير تقريباً من على الأرض من شدة إثارته .

ثبتت ليز الصورة ثم ضغطت على بعض الأزرار من على لوحتها . زاد حجم الأشخاص الظاهرين على الشاشة حتى ملأوا الشاشة بالكامل . كان هناك شخص واحد ينظر إليه سوير وقال : " أيمكن أن تكبرى هذا الجزء يا ليز ؟ " ، ووضع إصبعه الغليظ على جزء بعينه من الشاشة ، وفعلت ليز ما طلبه منها .

هز سوير رأسه فى دهشة صامتة . انضمت إليه ليز لمشاهدة المشهد الغريب ، ونظرت إليه قائلة : " إنك كنت على حق يا لى . ماذا يعنى هذا ؟ "

حدق سوير إلى الرجل الذى كان قد عرف نفسه إلى جاسون آرتشر باسم أنتونى ديبازا . فى ذلك الصباح المشئوم من شهر نوفمبر فى سياتل ، وعلى وجه الخصوص ركز سوير على رقبة ديبازا التى كانت ظاهرة بوضوح حينما رفع رأسه لأعلى عندما مرت الطائرة فوق المخزن . حدق كل من سوير وليز فى خط واضح على رقبة الرجل فقد كان هناك جلد طبيعى وآخر صناعى .

" إننى لست متأكداً يا ليز ولكن لماذا يتخفى الرجل الذى مع آرتشر بحق الجحيم ؟ "

حدقت ليز إلى الشاشة بلهفة ثم قالت : " لقد كنت معتادة على استخدام أشياء كهذه عندما كنت أقدم عروضاً مسرحية أثناء الجامعة " .

" ماذا تقصدين ؟ "

" كنت أستخدم ملابس ومكياجاً وأقنعة حينما كنا نقدم أحد العروض . ولقد قدمت دور زوجة ماكبيث الشريرة " .

نظر سوير إلى الشاشة ، وفغر فاه على آخره حينما دارت برأسه الكلمة التى قد تفوهت بها فى الحال : " العروض ؟ "

بعد إدراكه لهذه المعلومة الجديدة أسرع سوير عائداً إلى غرفة الاجتماعات . كان راى جاكسون جالساً هناك ومعه العديد من المستندات بيده ، والتى أشار بها إلى زميله قائلاً : " إنها وصلت بالفاكس من تشارليز تايدمان . عينات من خط بيدج . ولقد حصلت على نسخ من الخطابات التى عثرت عليها داخل شقة ليبرمان . وأنا لست خبيراً ، ولكنى أعتقد أن هناك توافقاً فى الخط " .

جلس سوير ونظر إلى الخطابات عاقدا مقارنة بين الخط وقال : " إننى أتفق معك يا راى ، ولكن أرسلها إلى المعمل حتى يعطونا رداً قاطعاً " .

" حسناً " . هم جاكسون بالخروج لأداء هذا العمل ، ولكن استوقفه سوير فجأة قائلاً : " دعنى ألق نظرة على تلك الخطابات مرة أخرى يا راى " .

ناوله جاكسون إياها .

كان سوير يريد حقاً النظر إلى خطاب واحد منهم فقط . كانت مقدمة الخطاب مؤثرة : رابطة خريجى جامعة كولومبيا . لم يذكر تايدمان أن ستيفن بيدج كان ملتحقا بجامعة كولومبيا ، كان من

الواضح أن بيدج كان عضواً ناشطاً فى رابطة الخرجين إلى حد ما . أخذ سوير يراجع بعض التواريخ فى رأسه . كان ستيفن بيدج فى الثامنة والعشرين حينما توفى منذ خمس سنوات ، معنى ذلك أن عمره سيكون الآن ثلاثة وثلاثين أو أربعة وثلاثين وفقاً لتاريخ ميلاده . وإذن ربما تخرج فى الجامعة عام ١٩٨٤ . خطرت فكرة مفاجئة على رأس سوير .

" انطلق يا راى يجب أن أقوم بإجراء بعض المكالمات الهاتفية " .

بعدما خرج جاكسون ومعه المستندات ، اتصل سوير بالاستعلامات وحصل على رقم مكتب استعلامات جامعة كولومبيا . وقد اتصل بهم خلال دقيقتين . وعلم أن ستيفن بيدج قد تخرج فى الجامعة فعلاً عام ١٩٨٤ بتفوق ، نظر سوير إلى يديه استعدادا لطرح سؤاله التالى ، وكان كل إصبع يرتعش . وحاول جاهداً أن يضع مشاعره تحت السيطرة حينما كان ينتظر السيدة على الجانب الآخر من الخط لتراجع سجلاتها . وقد أخبرت سوير قائلة : " نعم ، فقد تخرج الطالب الآخر أيضاً عام ١٩٨٤ " . سألها سوير سؤالاً آخر وأخبرته بأن عليه الاتصال بالمدينة الجامعية الخاصة بالطلاب ليحصل على الإجابة . انتظر سوير وكانت تسرى بأوصاله رعشة كالكهرباء . وحينما توصل أخيراً إلى شخص فى مدينة الطلاب حصل على رد لسؤاله فى دقيقة واحدة . شكر سوير بهدوء ذلك الشخص على تعاونه ثم ألقى بالهاتف . قفز عميل المباحث الفيدرالية المحنك من مقعده وصاح فى الغرفة الخالية : " اللعنة ! " ، تحت تلك الظروف كانت إثارة سوير تعد طبيعية إلى حد ما .

تنفست سيدنى الصعداء بينما مالت للخلف فى مقعدها ، فهى الآن ليست وحيدة .

نظر والدها بحدة خارج النافذة . من يطارد ابنته عليه أن يقتله أولاً ليصل إليها ، لأنه قد عاد لحمايتها من الأوغاد .

كانت الشاحنة البيضاء التى تتعقبهما خلفهما بمسافة نصف ميل تقريباً إلا أنها لم تواجه أية مشكلة فى اقتفاء أثر حركات السيارة الكاديلاك . كان هناك ثمانية رجال يستقلون الشاحنة . وكان واحد منهم على الأخص فى حالة نفسية غير جيدة وقال : " أولاً تترك آرتشر يرسل بريداً إليكترونياً ثم تترك زوجته تهرب منك . إننى لا أصدق هذا الهراء " . هز ريتشارد لوكاس رأسه ونظر بغضب إلى كينيث سكاليز ، الذى جلس إلى جواره وكان ذراعه وفمه معصوبين بقوة وكان أنفه متورماً ولونه أحمر قرمزياً على الرغم من أنه قد أعاده إلى مكانه بيديه .

نظر سكاليز إلى لوكاس وقال : " عليك أن تصدق الأمر " . كان الصوت المنخفض الذى خرج من خلال فمه المجروح يحمل ما يكفى من التهديد الذى يجعل لوكاس ـ الذى يشبه المسامير فى صلابتها ـ يطرف بعينيه ويغير طريقة كلامه سريعا .

مال رئيس الأمن الداخلى لشركة تريتن إلى الأمام فى مقعده وقال فى عجلة : " حسناً ، ليست هناك فائدة من التحدث عما مضى " .

" إن جيف فيشر المسئول عن الحاسبات فى مؤسسة تايلر ستون لديه نسخة من محتويات القرص المرن على القرص الصلب الخاص به . وقد أشار دليل الملفات الموجود على حاسوبه أنه قد تم الدخول إليه فى نفس الوقت الذى كان فيه فيشر فى مقهى الإنترنت . من

المؤكد أنه قد حصل على نسخة أخرى بهذه الطريقة . يا له من ذكى ولعين . ولقد تحدثنا قليلاً مع النادلة فى المقهى الليلة الماضية ، وقالت إنها قد أعطت فيشر ظرفاً لبريد مُسجل مدون عليه عنوان بيل باترسون فى بيل هاربور فى ماين وهو والد سيدنى آرتشر ، إنه فى طريقه إلى هناك . ذلك مؤكد ، ويجب أن نحصل عليه . مفهوم ؟ " أومأ الرجال الستة الآخرون الجالسون فى الشاحنة والذين كانت وجوههم عابسة . كان كل منهم يضع على ظهر يده وشماً على شكل نجمة يخترقها سهم وهى شارة لمجموعة المرتزقة المحترفين الذين كانوا ينتمون إليها جميعاً ، كانت هذه المجموعة قد تكونت من حثالة المجتمع بعد انتهاء الحرب الباردة . وبما أن لوكاس كان يعمل مع المخابرات المركزية الأمريكية سابقا ، فقد وجد أنه من السهل أن يعيد الأواصر القديمة مع إغراء الدولارات الأمريكية . نظر لوكاس حوله وقال : " إننا سنترك باترسون يستلم الطرد ، ثم ننتظر وصولهم إلى منطقة منعزلة ثم ننقض عليهم ساعتها بقوة وبسرعة " ، ثم أضاف . " هناك مكافأة مليون دولار لكل رجل حينما نحصل عليه " . لمعت عينا الرجل بشدة ، ثم نظر إلى الرجل السابع قائلاً : " هل تفهم يا سكاليز ؟ "

لم ينظر سكاليز إليه وجذب سكينة وأشار بطرف نصلها إلى مقدمة الشاحنة وتكلم ببطء من خلال فمه المجروح قائلاً : " يمكنك الحصول على القرص ، أما أنا فسأعتنى بأمر السيدة ، هى ورجلها العجوز دون أن آخذ أجراً إضافياً " .

قال لوكاس بغضب : " نحصل أولاً على القرص ، ثم يمكنك فعل ما يحلو لك بعد ذلك " . لم يرد عليه سكاليز وكان يحدق بعينيه إلى الأمام مباشرة . ثم بدأ يتكلم ثانية وفكر فى أفضل خطة

يقومون بها . أسند ظهره إلى الخلف وتخلل بأصابعه شعره الخفيف .

فى غضون العشرين دقيقة التى استغرقوها للوصول إلى الإسكندرية ، حاول جاكسون الاتصال برقم فيشر ثلاث مرات من هاتف السيارة ، لكن لم يرد عليه أحد .

شاهد جاكسون نهر بتوماك المتعرج والذى كانوا ينطلقون بسرعة على ضفافه متجهين إلى جى دبليو بارك واى وقال : " إذن أنت تعتقد أن هذا الرجل قد ساعد سيدنى فى معرفة كلمة السر ؟ " .

حدق إليه سوير قائلاً : " طبقاً لتقارير المراقبة ، فقد أتت سيدنى آرتشر إلى هنا فى نفس الليلية التى حدثت فيها جريمة القتل فى تايلر ستون . لقد بحثت الأمر معهم وعرفت أن فيشر هو المسئول الدائم عن قسم الحاسبات فى المؤسسة " .

" نعم ، لكن يبدو أن الرجل ليس بالبيت " .

" أعتقد أننا إذا قمنا بتفتيش منزله قد يساعدنا ذلك كثيراً يا راى " .

" إننى لا أتذكر أن لدينا إذناً بالتفتيش يا لى " .

انعطف سوير من شارعٍ واشنطن وانطلق إلى قلب مدينة الإسكندرية وقال : " إنك دائماً ما تتمسك بالتفاصيل يا راى " ، صمت جاكسون ولم يجبه .

توقفا بالسيارة فى أحد المواقف أمام منزل فيشر وخرجا من السيارة وهرعا صاعدين الدرج . نادتهما سيدة شابة كان شعرها الأسود يتطاير فى العاصفة الثلجية بينما خرجت سيارتها .

" إنه ليس بالمنزل " .

نظر إليها سوير وتساءل : " إنك تعرفين أين هو ، أليس كذلك ؟ " ، ونزل الدرج متوجهاً إلى السيدة التى كانت تخرج حقيبتين بهما مواد بقالة من سيارتها . ساعدها سوير ثم أخرج أوراق إثبات شخصيته الرسمية وكذلك فعل جاكسون .

بدا على السيدة الارتباك وتساءلت : " المباحث الفيدرالية ؟ إننى لا أعتقد أنهم اتصلوا بالمباحث الفيدرالية للإبلاغ عن سرقة " .

" سرقة يا آنسة .. ؟ " .

" آه ، آسفة أماندا ، أماندا رينولدز . لقد سكنا هنا منذ حوالى عامين وهذه أول مرة تأتى الشرطة إلى منطقتنا . إنهم سرقوا جميع الحواسب الخاصة بجيف ؟ " .

" أعتقد أنكم قد تحدثتم إلى الشرطة بالفعل ، أليس كذلك ؟ "

بدت عليها السذاجة وقالت : " لقد انتقلنا من مدينة نيويورك . وهنا إن لم تثبت سيارتك بسلسلة فى المرساة لن تجدها فى الصباح . هل أنتم حذرون ؟ " ، هزت السيدة رأسها واستطردت قائلة : " إننى لا أزال أشعرٍ وكأننى حمقاء . لأننى اعتقدت أنه من المؤكد أن المكان هنا آمن جداً ، ولم أتخيل أبداً أن تلك أشياء قد تحدث فى منطقة كهذه " .

" هل رأيت السيد فيشر مؤخراً ؟ "

قطبت السيدة حاجبيها وقالت : " منذ ثلاثة أو أربعة أيام على الأقل . الجميع يبقى داخل منزله نظراً لحالة الطقس السيئة هذه الأيام " .

شكرها العميلان ، ثم قاد سوير سيارته وتوجها إلى قسم شرطة الإسكندرية وعندما استفسرا عن حادث السرقة الذى تعرض له منزل جيف فيشر ، قام الضابط الجالس على المكتب بالضغط على بعض أزرار حاسبه .

" نعم ، ذلك صحيح : اسمه فيشر . فى الواقع ، إننى كنت فى خدمة تلك الليلة التى أحضروه فيها إلى هنا " . وحدق الضابط إلى الشاشة متصفحاً بياناتها بينما كان سوير وجاكسون يتبادلان نظرات تنم عن حيرتهما ، ثم قال : " لقد أتى إلى هنا بتهمة القيادة بسرعة جنونية ثم ذكر لنا أن هناك أشخاصاً يتبعونه . ولقد وضعناه تحت الاختبار لنعرف ما إذا كان ثملاً أم لا واكتشفنا أنه لم يكن ثملاً . وحجزناه لليلة لنتأكد من ذلك ثم دفع الكفالة فى اليوم التالى وحصل على تاريخ محاكمة ثم غادر " .

حدق سوير إلى الرجل وتساءل : " إنك تقول إن جيف فيشر قد ألقى القبض عليه ؟ "

" ذلك صحيح " .

" وفى اليوم التالى تمت سرقة منزله ؟ "

أومأ الضابط برأسه ثم مال على المكتب وقال : " إنه من سوء حظه على ما أعتقد " .

سأله سوير : " هل ذكر أوصاف الأشخاص الذين كانوا يطاردونه ؟ " .

نظر الضابط إلى عميل المباحث الفيدرالية كما لو كان يريد شم رائحة نفسه أيضاً وقال : " لم يكن هناك أشخاص يطاردونه " .

" هل أنت متأكد ؟ "

أدار الضابط عينيه وابتسم .

وضع سوير يديه على المكتب وقال : " حسناً ، إنك تقول إنه لم يكن ثملاً وبالرغم من ذلك قمتم باحتجازه طوال الليل ؟ "

" حسناً ، إنك تعرف هؤلاء الأشخاص . إن الاختبارات لا تجدى على أية حال معهم . لقد قاد فيشر سيارته بجنون وتصرف

كما لو كان ثملاً " . واعتقدنا أنه من الأفضل أن نبقيه طوال الليل فإذا كان فى حالة سُكر كان سيشفى منها على الأقل بالنوم " .

" ألم يمانع هو ؟ " .

" اللعنة ، لا . وقال إنه لم يقض ليلة فى السجن من قبل . ويعتقد أنه نوع من التجديد " ، وهز الضابط الأصلع رأسه وقال : " أليس ذلك غريباً ؟ تجديد داخل السجن " .

" أليس لديك أية فكرة عن مكانه الآن ؟ "

" اللعنة ، إننا حتى لم نعثر عليه لنخبره بأن منزله قد تعرض للسرقة . وكما قلت لك فإنه قد دفع الكفالة وحصل على تاريخ محاكمته وإذا لم يحضر يوم المحاكمة ساعتها سأهتم بالبحث عنه وإحضاره " .

بدت على ملامح سوير اليأس والإحباط وتساءل : " هل لديك أى شىء آخر فى ذهنك ؟ "

أخذ الضابط يطقطق بأصابعه على المكتب محدقا فى الفراغ .

نظر سوير أخيراً إلى جاكسون وهما بالمغادرة ، وقالا : " حسناً ، شكراً لمساعدتك " .

كانا فى منتصف طريقهما إلى الباب حينما فاق الرجل من حالة الذهول التى كان عليها وقال : " لقد أعطانى الرجل طرداً لأرسله له بالبريد ، هل تصدق هذا الهراء ؟ أقصد أننى أرتدى زياً رسمياً ، ولكن هل يبدو من منظرى أننى ساعى بريد ؟ "

اندفع كل من سوير وجاكسون فجأة إلى المكتب متسائلين : " طرد ؟ "

أخذ الضابط يهز رأسه حينما تذكر الواقعة وقال : " لقد أخبرته أن بإمكانه إجراء مكالمة هاتفية فطلب منى أن ألقى بذلك الطرد فى شاحنة البريد له " . وضحك الرقيب .

حدق سوير إلى الرجل وقال : " الطرد ، هل قمت بإرساله بالبريد ؟ ".

توقف الضابط عن الضحك الخافت وطرف بعينه إلى سوير قائلاً : " ماذا ؟ نعم ، لقد وضعته فى شاحنة البريد بعدها مباشرة . أقصد أنه لم يكن هناك أى مشكلة فى ذلك . ولقد فكرت فى مساعدة الرجل ".

" ماذا كان شكله ؟ الطرد ؟ ".

" حسناً ، إنه لم يكن خطاباً . إنه كان داخل أحد الطرود المنتفخة ذات اللون البنى ، تلك التى تعرفها ".

اقترح جاكسون : " إنها الطرود المبطنة من الداخل ".

أشار الضابط إليه قائلاً : " ذلك صحيح ، لقد شعرت به من الخارج ".

" ماذا كان حجمه ؟ "

" حسناً ، ليس كبيراً ، حوالى هكذا عرضاً وهكذا طولاً ".

وأشار الضابط بيديه النحيلة إلى شكل طول ضلعيه ثمانية فى ست بوصات ثم قال : " لقد أرسلته ببريد الدرجة الأولى واستلمت الإيصال ".

وضع سوير كلتا يديه مرة أخرى على المكتب ونظر إليه وكانت ضربات قلبه متسارعة ثم سأله : " هل تتذكر العنوان المكتوب على الطرد ؟ ما اسم الراسل أو المرسل إليه ؟ "

استأنف الرجل نقره على المكتب مرة أخرى ثم قال : " إننى لا أتذكر اسم الراسل ولكننى افترضت أنه فيشر فحسب . ولكنه كان مرسلاً إلى ماين ، هذا صحيح ، ماين . أعلم ذلك لأننى ذهبت بصحبة زوجتى إلى هذه المنطقة فى خريف العام الماضى . إذا سنحت لك الفرصة لابد وأن تذهب إلى هناك للاسترخاء قليلاً ".

حاول سوير الإبقاء على صبره قدر الإمكان وسأله : " أين فى ماين ؟ "

هز الرجل رأسه وقال أخيراً : " أعتقد شىء هاربور ".

تحطمت آمال سوير . فقد كان يتذكر أن هناك على الأقل ست مدن فى ماين بها هذه الكلمة فى اسمها .

" هيا ، فكر ! ".

اتسعت عينا الضابط فجأة وقال : " هل كانت هناك مخدرات فى ذلك الطرد ؟ هل فيشر هذا بائع مخدرات ؟ لقد أعتقدت أيضاً أن هناك ما يدعو للضحك ، ولهذا السبب تهتم المباحث الفيدرالية ؟ "

هز سوير رأسه بضجر وقال : " لا ، لا ، ليس شيئاً من هذا القبيل . اسمع ، ألا تتذكر على الأقل اسم المرسل إليه الطرد ؟ ".

أخذ الرجل يفكر لدقيقة أخرى ثم هز رأسه قائلاً : " إننى آسف يا رفاق ، لا أتذكر مطلقاً ".

قال جاكسون : " ماذا عن آرتشر ؟ هل تم إرساله إلى أى شخص بهذا الاسم الأخير ؟ ".

" نعم ، فأحد الضباط العاملين معنا هنا تنتهى عائلته بهذا الاسم ".

ناوله جاكسون الكارت الخاص به وقال : " حسناً ، إذا تذكرت أى شىء آخر ، أى شىء ، اتصل بنا على الفور . فالأمر فى غاية الأهمية ".

" من المؤكد أنى سأفعل ذلك ، على الفور ، يمكنكما الاعتماد علىَّ ".

جذب جاكسون كُم سوير وقال : " لنذهب يا لى ".

توجها إلى باب الخروج ، وانصرف الضابط إلى عمله مرة أخرى . استدار سوير فجأة مشيراً بإصبعه الغليظ عبر الغرفة كما لو كان مسدساً مصوباً ناحية الضابط وقد تذكر فجأة عبارة " ماين فاكشين لاند " المكتوبة على خلفية السيارة الكاديلاك .

نظر الضابط إليه مندهشاً .

سأله سوير : " هل تم إرساله إلى شخص يدعى باترسون فى ماين ؟ " .

أشرق وجه الضابط وطقطق أصابعه ثانية ثم قال : " هذا صحيح ، بيل باترسون " . ثم اختفت ابتسامته سريعاً حينما رأى عميلى المباحث الفيدرالية يعدوان سريعاً خارج قسم الشرطة .

الفصل السادس والخمسون

نظر بيل باترسون إلى ابنته بينما كانت تقود السيارة عبر الشوارع المغطاة بالثلج حيث أصبح سقوط الثلج غزيراً للغاية خلال النصف ساعة الأخير وقال : " إذن إنك تقولين إن هذا الرجل كان من المفترض أن يرسل طرداً إلىّ لأسلمه لك ؟ ، نسخة من شىء من على قرص مرن كان جاسون قد أرسله لك ؟ " . أومأت سيدنى . واستطرد هو قائلاً : " ولكنك لا تعرفين ما هذا ؟ " .

" إنه مشفر يا أبى . لدىَّ كلمة السر الآن ولكن علىَّ أن أنتظر الطرد " .

" ولكنه لم يأت أبداً ؟ هل أنت متأكدة ؟ " .

بدا على سيدنى السخط وقالت : " إننى اتصلت بشركة فيدكس ، ليس لديهم سجل خاص بالطرد ، ثم اتصلت بمنزله

وأجابني شرطي . أوه ، يا إلهي " . ارتعدت سيدني حينما فكرت في مصير جيف فيشر المحتمل . " إذا حدث أي مكروه لجيف ... " .

" حسناً ، هل حاولت الاتصال بآلة الرد في منزلك ؟ ربما اتصل بك وترك رسالة " .

فغرت سيدني فاها عند سماعها اقتراح والدها وقالت : " يا إلهي ! لماذا لم أفكر في ذلك ؟ " .

" لأنك كنت تحاولين النجاة بنفسك في اليومين الماضيين ، ذلك هو السبب " . كان صوت والدها أجش ، وقد مال للأمام وأمسك بالبندقية الموضوعة في دواسة السيارة .

أوقفت سيدني السيارة الكاديلاك عند محطة البنزين بالقرب من كابينة هاتف ، وهرعت إليه . كان الثلج يتساقط بسرعة جداً لدرجة أنها لم تلحظ الشاحنة البيضاء التي عبرت أمام محطة البنزين ، وانعطفت إلى شارع جانبي ثم استدارت وانتظرت عودتها إلى الطريق السريع الرئيسي .

أدخلت سيدني كارت الاتصال بالأرقام . كان يبدو وكأن دهراً قد مر وهي تنتظر آلة الرد التلقائي حتى تجيب عنها . كان هناك عدد كبير من الرسائل ، من أخواتها ، وأعضاء آخرين من العائلة ، وأصدقاء شاهدوا الأخبار فاتصلوا للاستفسار عما حدث ومنها ما كان مسيئاً للغاية ومنها ما كان فيه تدعيم لها . انتظرت بنفاد صبر وهي تستمع للرسائل ثم احتبست أنفاسها حينما سمعت صوتاً مألوفاً بالنسبة لها .

" مرحباً سيدني ، أنا عمك جورج . أنا ومارثا في كندا هذا الأسبوع . ومستمتعان للغاية على الرغم من أن الطقس بارد جداً . لقد أرسلت لك ولآمي هدايا العيد ، كما وعدتك بذلك من قبل .

ولكنها قادمة في البريد لأننا قد فاتتنا شركة فيدرال إكسبريس للبريد السريع ولم أكن أرغب في الانتظار . عليك أن تنتظري وصولها . لقد أرسلناها في بريد الدرجة الأولى وهو بريد مُسجل ، إذن لابد وأن توقعي بالاستلام . أتمنى أن تكون كما تتوقعين . إننا نحبك كثيراً ونأمل أن نلقاك قريباً جداً . قبلي آمي بالنيابة عنا " .

وضعت سيدني الهاتف ببطء . لم يكن لديها عم يُدعى جورج ولا السيدة مارثا ، ولكن لم يكن هناك لغز في شأن المكالمة الهاتفية . لقد قلد جيف فيشر صوت رجل عجوز بشكل بارع . أسرعت سيدني عائدة إلى السيارة واستقلتها .

نظر والدها إليها محدقاً وتساءل : " هل اتصل بك ؟ " .

أومأت سيدني بينما كانت تدير السيارة وانطلقت مسرعة محدثة صوتاً مزعجاً بإطاراتها حتى أن والدها قد ارتمى إلى الخلف في مقعده وسألها : " أين نذهب بحق الجحيم بهذه السرعة ؟ " .

" إلى مكتب البريد " .

كان مكتب بريد بيل هاربور يقع في منتصف مركز المدينة وكان علم الولايات المتحدة الموضوع عنده يرفرف بشدة في تلك الرياح العاتية . أوقفت سيدني السيارة وقفز والدها خارجاً منها . ودخل إلى مكتب البريد وخرج بعد دقيقتين يجر أذيال الخيبة وركب السيارة . كانت يداه خاليتين وقال : " لم تصل شحنة بريد اليوم بعد " .

حدقت سيدني إليه متسائلة : " هل أنت متأكد ؟ " .

أومأ الرجل قائلاً : " إن جيروم مدير مكتب البريد هنا على ما أتذكره من قبل ، قال يجب أن نأتي حوالي الساعة السادسة لنتأكد من وصوله . وسيبقى المكتب مفتوحاً لنا . تعلمين إنه ربما لم يصل في طرد اليوم إذا كان فيشر قد أرسله من يومين " .

ضربت سيدنى عجلة القيادة بعنف بكلتا يديها قبل أن تضع رأسها بتعب عليها . وضع والدها يده الكبيرة برفق على كتفها وقال : " إنه سيصل لا محالة يا سيدنى ، إننى أتمنى فقط أن يخلصك ذلك القرص من هذا الكابوس ويبعده بعيداً عنك " .

رفعت سيدنى عينيها ونظرت إليه ، كان وجهها شاحباً وعيناها زائغتين ثم قالت : " لابد يا أبى . لابد " . كان صوتها يرتعش من شدة التعب . ماذا إذا لم يصل ؟ لا ، لم تستطع سيدنى أن تفكر فى هذا الاحتمال . رفعت شعرها من على وجهها وأدارت السيارة وانطلقت .

انتظرت الشاحنة البيضاء لدقيقتين ثم انطلقت من طريق صغير جانبى وتبعتها .

صرخ سوير قائلاً : " لا أستطيع تصديق هذا أبداً " .

نظر إليه جاكسون بإحباط بادٍ وقال : " ماذا يمكن أن أقوله لك يا لى . تجتاح المنطقة عاصفة ثلجية عنيفة مصحوبة برياح قوية . ولذلك فإن مطار ناشيونال دويلز ومطار بى . دبليو . آى مغلقان . كذلك تم إغلاق مطارات كينيدى ، ولا جارديا ، ولوجان أيضاً ، وكذلك نيوآرك ومطار فيللى . لقد توقفت حركة الطيران فى البلد بأكمله . ويبدو الساحل الشرقى بالكامل مثل سيبيريا ، ولن يطلق المكتب طائرة لتطير فى هذا الطقس " .

" يجب أن نذهب إلى بيل هاربور يا راى . يجب أن نكون متواجدين هناك الآن . ماذا عن القطارات ؟ "

" إن قطار أمتراك قد غادر تواً . بالإضافة إلى أننى علمت أن القطار لن يصل إلى هناك ، إذن يجب أن نأخذ حافلة بعد آخر محطة ننزل بها . وفى مثل هذا الطقس السيئ تكون المواصلات الداخلية مقطوعة . بالإضافة إلى أننا لن نسلك طريقاً سريعاً طوال الوقت ولكن علينا أن نسلك طرقاً فرعية ، سنستغرق خمس عشرة ساعة على الأقل " .

نظر سوير كما لو كان سينفجر وقال : " قد يموتون جميعاً فى ساعة واحدة ، أقل بكثير من خمس عشرة ساعة " .

رد عليه جاكسون بسرعة وحدة قائلاً : " لا يجب أن تقول لى هذا . لو كنت أستطيع أن أفرد ذراعاً وأطير لفعلت ، لكن اللعنة ، لا أستطيع " .

هدأ سوير سريعاً وقال : " حسناً ، إننى آسف يا راى " . وجلس ثم قال : " أى حظ هذا الذى جعل هذه المناطق محاصرة بهذا الشكل ؟ "

" لقد أجريت بعض الاتصالات ووجدت أقرب مكتب ميدانى تابع لنا هو مكتب بوسطن . يبعد عن هنا بمسافة خمس ساعات وأكثر . وفى هذا الطقس ؟ من يدرى ؟ هناك بعض الوكالات الصغيرة فى بورتلاند وأوجستا . وقد تركت لهم رسائل ، ولكنهم لم يردوا علىَّ بَعد . قد يمكننا الاتصال بشرطة الولاية على الرغم من أنهم قد يكونوا منشغلين بحوادث الطريق الكثيرة " .

" اللعنة ! " ، هز سوير رأسه فى إحباط ونقر بأصابعه بنفاد صبر على المنضدة وقال : " إن الطائرة هى السبيل الوحيد ، يجب أن يكون هناك مَن هو على استعداد للطيران فى هذا الطقس البشع " .

هز راى رأسه وقال: " ربما طيار محارب " . وتساءل بسخرية : " هل تعرف أحدهم ؟ " قفز سوير : " من المؤكد " .

توقفت الشاحنة السوداء بالقرب من مهبط للطائرات فى مطار مقاطعة ماناسيس . كان الثلج يتساقط بغزارة لدرجة أنه كان صعباً جداً أن ترى أكثر من بضع بوصات أمامك . خرج عن الصف ستة من أعضاء فريق إنقاذ الرهائن الذين كانوا يرتدون ملابس سوداء بالكامل كل منهم يحمل بندقية للهجوم ، ولحقهم سوير وجاكسون ، وجروا إلى الطائرة التى كانت بانتظارهم على الأسفلت وكان محركها يعمل . استقر سوير إلى جوار الطيار بينما ربط جاكسون وأعضاء فريق إنقاذ الرهائن أنفسهم بالأحزمة فى المقاعد الخلفية .

صاح جورج كابلن فى الضوضاء المنبعثة من المحركات وابتسم إلى الرجل الضخم قائلاً : " كنت أتمنى أن أراك ثانية قبل أن تنتهى تلك القضية يا لى " .

" اللعنة ، إننى لا أنسى أصدقائى يا جورج ، بالإضافة إلى أنك الوغد الوحيد الذى أعرفه ولديه ما يكفى من الجنون ليطير فى مثل هذا الطقس " . نظر سوير خارج الزجاج الأمامى للطائرة ساب ثم حدق إليه ثانية ، كان الثلج يغطى كل شىء كالبطانية البيضاء . ونظر إلى كابلن الذى كان يدير محركات الطائرة التى انطلقت على المشى . كان البلدوز قد انتهى تواً سريعاً ثانيةً من جرف الثلج المتراكم علي المر . لم تكن هناك طائرات أخرى تدور لأن المطار كان مغلقاً رسمياً . وقد أنصت جميع من كانوا يتمتعون بالعقل إلى هذا القرار .

فى الخلف أدار راى جاكسون عينيه وقبض على المقعد بينما كان يحدق خلال النافذة إلى الثلج المتساقط فى الخارج . ونظر إلى أحد أعضاء فريق إنقاذ الرهائن وقال : " أتعلم أننا جميعاً مجانين ، أليس كذلك ؟ " .

استدار سوير فى مقعده وعبس وجهه وقال : " تعرف أنه يمكنك البقاء هنا . ويمكننى أن أخبرك بكل ما كان لطيفاً حين عودتى " .

اندفع جاكسون متسائلاً : " إذن من الذى سيهتم بك بحق الجحيم ؟ " .

ضحك سوير ضحكة خافتة واستدار لينظر إلى كابلن . وفجأة اختفت ابتسامته وحل محلها نظرة بها خوف وتساءل : " هل ستتمكن من الإقلاع بهذه الطائرة ؟ " .

كشر كابلن عن أنيابه قائلاً : " إننى لن أتردد فى الطيران وسط النابلم لإنقاذ أحد الأحياء " .

ابتسم سوير ابتسامة ضعيفة ، ولكنه لاحظ أيضاً كم كان كابلن مركزاً على أجهزة التحكم فى الطائرة ، وكم كان ينظر إلى الثلج المتساقط باستمرار . استقرت عينا سوير أخيراً على الوريد الذى كان ينبض على الصدغ الأيمن للرجل . زفر سوير بقوة وجذب حزام الأمان بقدر ما يستطيع وقبض على مقعده بكلتا يديه حينما دفع كابلن صمام الدفع للأمام . زادت سرعة الطائرة فى الحال وانطلقت على المر المغطى بالثلج . حدق سوير للأمام . كانت كشافات الطائرة الأمامية تنير حقل قاذورات والذى كان يشير إلى انتهاء المر ، وكانوا يتقدمون إليه بسرعة . وبينما كانت الطائرة تصارع الثلج والرياح ، نظر سوير ثانيةً إلى كابلن . كانت عينا الطيار تفحص بثبات ما يظهر أمامه ثم وثب بسرعة وخفة إلى لوحة التحكم حينما نظر سوير للأمام ثانيةً ، ارتعد من شدة الخوف . لقد كانوا فى آخر المر ، وكان محركا الطائرة ساب يدوران بأعلى طاقتهما ، إلا أنه لم يبد أن ذلك كان كافياً .

فى الخلف ، أغلق جميع أعضاء فريق إنقاذ الرهائن أعينهم . وأخذ راى جاكسون يدعو الله من بين شفتيه حيث تذكر حقل قاذورات آخر أدى إلى انفجار طائرة وموت كل من كان على متنها . فجأة ارتفعت مقدمة الطائرة لأعلى لتطير فى الجو . نظر كابلن بوجه عابس إلى سوير الذى أصبح وجهه شاحباً أكثر مما كان عليه منذ دقيقة وقال : " أرأيت ، لقد قلت لك إن ذلك سيكون يسيراً " .

بينما كانوا يرتفعون بثبات فى الجو ، لمس سوير يد كابلن وقال : " قد يكون ذلك السؤال ساذجاً ، لكن عندما نصل إلى ماين ، هل سنجد مكاناً للهبوط ؟ " .

أومأ كابلن قائلاً : " هناك مطار إقليمى فى بورتسماوث ، ولكنه يبعد عن بيل هاربور بعدة ساعات بالسيارة . وذلك فى ظروف الطقس الجيدة ، لقد فحصت الخرائط حينما وضعت خطة طيراننا ، ووجدت أن هناك مطاراً حربياً مهجوراً يبعد عن بيل هاربور بعشر دقائق . كما تأكدت من شرطة الولاية أنه ستكون هناك وسيلة مواصلات بانتظارنا " .

" هل قلت مهجور ؟ "

" مازال يمكن استخدامه يا لى . الشىء الجميل هو أنه ليس هناك ملاحة جوية لنقلق بشأنها وذلك بسبب ظروف الطقس السيئ ، حيث سيكون الطريق خالياً أمامنا " .

" أتقصد أنه لن يكون هناك أحد غيرنا فى هذا الطقس اللعين ؟ " .

عبس وجه كابلن : " على أية حال ، إن الأخبار السيئة هى أنه ليس هناك برج مراقبة عند الممر . وسنعتمد على أنفسنا عند

الهبوط بالطائرة ، على الرغم من أنهم سيضعون أضواء لنا لتحديد الممر . هذا جيد ، سأعتمد على نفسى وقد حدث ذلك كثيراً " .

" فى مثل هذا الطقس ؟ "

" هناك مرة أولى لكل شىء . فى الحقيقة ، إن هذه الطائرة صلبة كالصخر ، كما أن أجهزتها ممتازة . سنكون بخير " .

" حسناً ، لنر " .

خلال عدة آلاف قدم انطلقت الطائرة وانحرفت بصعوبة حيث كان الثلج والرياح العاتية يضربانها . وقد فاجأتها ضربة كادت تخرجها عن مسارها . لهث كل من كان على متن الطائرة بصورة جماعية حينما اهتزت الطائرة من ضربة الرياح ثم انخفضت فجأة بضع مئات من الأقدام قبل أن تصدمها عصفة ريح أخرى . استدارت الطائرة جانباً وكادت تسقط ثم انخفضت ثانية ، ولكن أكثر فى هذه المرة . نظر سوير خارج النافذة ، كان كل ما رآه أبيض : الثلج والسحب ، واللذين لم يستطع فعلاً التمييز بينهما . ولقد فقد شعوره بالاتجاهات والارتفاع نهائيًا . كان كل ما يعرفه أن الأرض تبعد مسافة ست أقدام وأنهم كانوا يقتربون منها بمنتهى السرعة . نظر كابلن إلى سوير وقال : " حسناً ، إننى أعترف ، هذا سيئ جداً . تماسكوا يا رفاق . إننى سأرتفع لمسافة عشرة آلاف قدم . إن هذه العاصفة قوية حقاً ولكن ليس بهذه الشدة . لنر إذا ما كنت أستطيع التصرف بطريقة أفضل " .

كانت الدقائق القليلة التالية بنفس الطريقة حيث أخذت الطائرة ترتفع لأعلى وتهبط لأسفل ثم تنحرف جانباً . وفى النهاية اقتحموا مجموعة السحب وانغمسوا سريعاً فى سماء مظلمة . وخلال دقيقة حلقت الطائرة بسلام واتخذت طريقها إلى الشمال .

من مطار خاص فى منطقة ريفية تبعد أربعين ميلاً غرب مدينة واشنطن ، انطلقت طائرة خاصة إلى السماء قبل سوير ورجاله بحوالى عشرين دقيقة . كانت تلك الطائرة تحلق على ارتفاع اثنين وثلاثين ألف قدم وتبلغ سرعتها ضعف السرعة التى تنطلق بها الطائرة ساب . وبذلك كانت تلك الطائرة ستصل إلى بيل هاربور فى أقل من نصف الوقت الذى سيستغرقه رجال المباحث الفيدرالية للوصول إلى هناك .

فى الساعة السادسة والنصف توقفت سيدنى ووالدها أمام مكتب بريد بيل هاربور . دخل بيل باترسون إلى هناك وخرج فى هذه المرة يحمل طرداً . أسرعت السيارة الكاديلاك . فتح باترسون جنباً من الطرد وحدق إلى داخله ، ثم أضاء النور الداخلى حتى يستطيع أن يرى بطريقة أفضل .

نظرت سيدنى إليه وقالت : " هل هو بحالة جيدة ؟ " .

" إنه على ما يرام " .

هدأت سيدنى قليلاً ، وأدخلت يدها فى جيبها لتخرج الورقة المكتوب بها كلمة السر . شحب وجهها حينما أخذت تبحث خلال الفتحة الكبيرة فى جيبها . ولأول مرة ، لاحظت أن جيبها مقطوع . أوقفت السيارة وأخذت تبحث داخل جميع جيوبها الأخرى بدقة . وقالت : " يا إلهى ! لا أصدق هذا " . وضربت بقبضتها على المقعد وقالت : " اللعنة ! " .

أمسك والدها إحدى يديها وقال : " ما الخطب يا سيدنى ؟ " .

اندفعت بقوة إلى ظهر المقعد وقالت : " كان لدى كلمة السر داخل المعطف . والآن لا أجدها ، لابد أن أكون قد فقدتها فى المنزل ، حينما حاول ذلك الرجل أن يقتلنى " .

" ألا تتذكرينها ؟ " .

" إنها طويلة جداً يا أبى ، وكلها أرقام " .

" ألم يحصل عليها أى شخص ؟ " .

لعقت سيدنى شفتيها بعصبية وقالت : " نعم ، لى سوير " . نظرت فى المرآة الأمامية لتتمكن من رؤية ما خلفها حيث عادت بالسيارة إلى الخلف وقالت : " سأحاول الاتصال به " .

" سوير ، أليس هو ذلك الرجل الضخم الذى أتى إلى المنزل ؟ " .

" نعم " .

" لكن المباحث الفيدرالية تبحث عنك . لا يمكنك الاتصال به " .

" سأكون بخير يا أبى ، إنه فى صفنا . انتظر ! " . انعطفت إلى محطة البنزين وتوقفت عند كابينة الهاتف . وبينما جلس والدها حاملاً بندقيته داخل السيارة ، اتصلت سيدنى برقم منزل سوير . وحينما كانت تنتظر أن يجيبها سوير رأت شاحنة بيضاء تتوقف عند محطة البنزين ، وكان عليها لوحة ترخيص رود آيلاند . نظرت إلى الشاحنة بريبة للحظة ثم نسيت أمرها بالمرة حينما رأت سيارة بها جنديان من ماين وقد توقفت عند محطة البنزين ، وخرج واحد من السيارة . وقد تجمدت حينما رأته ينظر فى اتجاهها ، ثم دخل إلى المبنى الصغير لمحطة البنزين التى كانت تقدم الوجبات الخفيفة والمشروبات . استدارت سيدنى سريعاً عن الجندى الآخر ورفعت ياقة معطفها . بعد دقيقة عادت إلى سيارتها .

قال باترسون وقد تثاقل صدره : " يا إلهى ، كنت أظن أننى سأصاب بسكتة قلبية حينما رأيت سيارة الشرطة تتوقف " .

أدارت سيدنى محرك السّيارة وتحركت ببطء بعيداً . كان الجندى مازال فى مَحطة البنزين ليتناول قهوة كما ظنت هى .

سألها والدها : " هل توصلت إلى سوير ؟ "

هزت سيدني رأسها قائلة : " يا إلهى ، إننى لا أستطيع تصديق هذا . أولاً كان لدىَّ القرص بدون كلمة السر ، ثم حصلت على كلمة السر وفقدت القرص . والآن معى القرص لكننى فقدت كلمة السر مرة أخرى . أكاد أفقد صوابى " . ثم جذبت شعرها .

" من أين حصلت على كلمة السر أصلاً ؟ "

جلست سيدنى معتدلة فى مقعدها وقالت : " من البريد الإلكترونى الخاص بجاسون من على أمريكا أون لاين . يا إلهى ! " .

" ماذا ؟ "

" يمكننى الحصول على الرسالة ثانية من البريد الإلكترونى " .

انهارت سيدنى ثانيةً وقالت : " لا ، إننى سأحتاج إلى حاسب لأقوم بذلك " .

ظهرت ابتسامة على وجه والدها وقال : " لدينا واحد " .

لفت رأسها إليه وتساءلت : " ماذا ؟ " .

" إننى أحضرت حاسبى المحمول معى . إنك تعرفين كيف جعلنى جاسون مهووساً بالحاسبات . إننى أضع ملفات الاستثمار الخاصة بي ، والألعاب والوصفات ، حتى المعلومات الطبية عليه . ولدىَّ أيضاً موقع أمريكا أون لاين . وجميع البرامج موجودة عليه أيضاً ، كما أن حاسبى المحمول مُجهز بمودم هاتف " .

قبلته سيدنى على وجنته وقالت : " إنك رائع يا أبى " .

" هناك مشكلة واحدة فقط " .

" ما هى ؟ "

" إنه فى المنزل الموجود على الشاطئ مع جميع أغراضنا الأخرى " .

ضربت سيدنى على جبهتها وقالت : " اللعنة ! " .

" حسناً ، لنذهب ونحضره " .

هزت رأسها بعنف وقالت : " إن هذا ينطوى على مخاطرة كبيرة جداً يا أبى " .

" لماذا ؟ نحن مسلحون جيداً . كما أننا هربنا ممن يقتفون أثرنا ، وربما يعتقدون أننا خرجنا من المنطقة نهائياً . سأستغرق دقيقة واحدة للدخول وإحضاره ثم يمكننا بعد ذلك الذهاب إلى الفندق ، ونقوم بتشغيله والحصول على كلمة السر " .

كانت سيدنى مترددة وقالت : " لا أدرى يا أبى " .

" اسمعى ، إننى لا أعرف شيئاً عنك ، ولكننى أريد أن أعرف ماذا يوجد على ذلك الشىء " .

ورفع الطرد بيده وقال : " ألا تريدين أنت أيضاً ذلك ؟ " .

نظرت سيدنى إلى الطرد وعضت على شفتيها ، وأخيراً ، أضاءت إشارة انعطاف السيارة وتوجهت إلى المنزل الواقع على الشاطئ .

اخترقت الطائرة السحب المنخفضة ثم هبطت فى المطار الخاص . لم يكن المنتجع الممتد بماين به أحد فى ذلك الوقت من العام ؛ ففى شهر ديسمبر يكون مهجوراً فيما عدا بعض أعمال الصيانة الأسبوعية التى تقوم بها الشركات المحلية . خرجت مجموعة من الأشخاص الذين يبدو على وجوههم العبوس الشديد من الطائرة . وقابلتهم سيارة كانت بانتظارهم وتوجهت من الممر حيث تم فتح بابها مرة أخرى وخرج منها رجل آخر ومشى مسرعاً إلى مبنى المنتجع .

جاهدت سيدنى مع السيارة الكاديلاك وهى تشق طريقها عبر الطرق الممتلئة بالثلج . كانت المحاريث قد شقت عدداً من الممرات على السطح الصلب ولكن كان واضحاً أن الطبيعة لها اليد العليا . حتى السيارة الكاديلاك الضخمة كانت تتمايل على سطح الأرض غير المستوية . التفتت سيدنى إلى والدها وقالت : " إننى لا أحب هذا يا أبى . لنتجه إلى بوسطن . يمكننا أن نصل إلى هناك خلال أربع أو خمس ساعات ، سنكون مع أمى وآمى وسنجد حاسباً آخر فى صباح الغد " .

ظهرت على وجه والدها نظرة عنيدة وقال : " فى مثل هذا الطقس ؟ قد يكون الطريق السريع مغلقاً . اللعنة ، معظم ما فى ولاية ماين يكون مغلقاً فى هذا الوقت من العام . لقد أوشكنا على الوصول تقريباً . ابقى أنت فى السيارة ، واتركى محركها يعمل وسأعود قبل أن تعدى إلى عشرة " .

" لكن يا أبى ـــ " .

" ليس هناك أحد يا سيدنى إننا بمفردنا . وسآخذ بندقيتى معى . هل تعتقدين أن أحدهم يجرؤ على فعل أى شىء ؟ ابقى على جانب الطريق فحسب . لا تتوقفى فى المشى حتى لا تنغرز السيارة " .

استسلمت سيدنى أخيراً وفعلت كما قيل لها . خرج والدها من السيارة ، ومال إليها ثانيةً وعلى وجهه ابتسامة عريضة وقال : " ابدئى العد إلى عشرة " .

كانت سيدنى تنظر إليه بقلق وهو يمشى ببطه ، وتثاقل فى الثلج ومعه بندقيته بيده ، ثم أخذت تتفحص الشارع ؛ ربما كان والدها على حق . ثم نظرت إلى الطرد الذى يحتوى على القرص وأخذته ووضعته داخل حقيبة يدها . لن تفقده مرة أخرى . تحركت

فجأة حينما رأت نوراً أتى من المنزل . وحبست أنفاسها . كان والدها يحتاج إلى هذا الضوء ليرى طريقه . إنهم هناك تقريباً . بعد دقيقة نظرت إلى المنزل حيث أُغلق الباب الأمامى واقتربت خطوات أقدام من السيارة . كان والدها يحاول تضييع بعض الوقت .

" سيدنى ! " . رفعت سيدنى رأسها وحدقت فى فزع حيث انطلق والدها مسرعاً إلى سطح الطابق الثانى وقال : " اهربى ! " .

فى الثلج الكثيف استطاعت أن ترى أيدى تمسك بوالدها وتجذبه بعنف لأسفل . سمعته يصرخ ثانيةً فى الرياح ثم لم تعد تسمعه بعد ذلك . ضربت كشافات نور فى وجهها . وحينما استدارت لتحدق خارج الزجاج الأمامى للسيارة ، كانت الشاحنة البيضاء عندها . من المؤكد أن تلك السيارة كانت تمشى وراءهما من قبل بدون أن تضىء كشافاتها .

رأت بعد ذلك شخصاً غير واضح الملامح بجوار السيارة ونظرت فى فزع ؛ حيث كانت فوهة بندقية آلية مصوبة إلى رأسها . فى حركة واحدة ضغطت على زر إغلاق الأبواب الذاتى ، واستدارت بالسيارة فى الاتجاه العكسى وعملت على زيادة السرعة . وحينما ألقت بنفسها إلى أسفل المقعد خرجت طلقة من فوهة البندقية وأصابت نافذة زجاج النافذة المقابلة لها فى السيارة الكاديلاك وهشمت نصف الزجاج الأمامى . تحرك الطرف الأمامى من السيارة بشدة جانباً بسبب الاندفاع المفاجئ وضرب الرجل الذى يمسك بالبندقية وأطاح به فى الهواء إلى أكوام الثلج المتكدس . شقت عجلات السيارة الكاديلاك طريقها خلال طبقات الثلج وضربت بالأسفلت وانطلقت مسرعة إلى الخلف . كانت سيدنى مغطاة بقطع من الزجاج ، جلست ثانيةً فى مقعدها وحاولت جاهدة أن تتحكم فى دوران السيارة حيث رأت الشاحنة تندفع نحوها . تراجعت فى

الشارع إلى أن مرت بالتقاطع الذى يؤدى إلى الشاطئ ، ثم قادت السيارة بأقصى سرعة ، وخرجت من ذلك التقاطع . انطلقت السيارة إلى الأمام ، ضاربة الثلج والحصى والرمال . بعد دقيقة كانت تندفع بقوة فى الطريق ، وكانت الرياح والثلج يحدثان دوياً عبر الفتحات المتعددة التى حدثت فى السيارة الكاديلاك .

نظرت سيدنى فى المرآة الأمامية . ولم تجد شيئاً خلفها . لماذا لم يتعقبوها ؟ أجابت عن سؤالها فى الحال تقريباً حيث بدأ عقلها يعمل ثانيةً ، لأن لديهم الآن والدها .

الفصل السابع والخمسون

" ها قد وصلنا يا رفاق ، تماسكوا " . أوقف كابلن السرعة الديناميكية الهوائية مستخدماً أنظمة التحكم فى الطائرة ، وبعد أن تأرجحت الطائرة واهتزت ، انطلقت فجأة خلال السحب المنخفضة . وبعد أن انطلقت بعض الأميال القليلة للأمام كانت هناك قطع خشبية مضاءة ملتصقة بالأرض الصلبة مشيرة إلى الحدود الخارجية لمهبط الطائرات . نظر كابلن إلى ممر الأمان المضىء وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة فخر وقال : " اللعنة ، إننى ماهر " .

هبطت الطائرة ساب بالكاد بعد دقيقة داخل دوامة من الثلج . وقد فتح سوير الباب قبل حتى أن تتوقف الطائرة عن الدوران . واستنشق كميات كبيرة من الهواء المتجمد وسرعان ما تلاشى الشعور بالغثيان الذى كان يعتريه . تعثر أعضاء فريق إنقاذ الرهائن وجلس

العديد منهم على الأسفلت المغطى بالثلج يتنفسون بعمق . وكان جاكسون آخر من نزل من الطائرة . لمحه سوير الذى كان قد تعافى وقال : " اللعنة يا راى . تبدو تقريباً شاحب الوجه " . شرع جاكسون فى أن يقول شيئاً ثم أشار بإصبع مهتز إلى زميله ، وغطى فمه بيده الأخرى ثم انطلق للأمام فى سكون مع بقية أعضاء فريق إنقاذ الرهائن إلى السيارة التى كانت تنتظر بالقرب منهم ، وقد وقفت بجانبها سيارة تابعة لشرطة ولاية ماين تشير إليهم بوميض كعلامة إرشادية .

التفت سوير إلى الطائرة وقال : " شكراً على توصيلنا يا جورج هل ستبقى هنا كثيراً ؟ لست أدرى كم سيستغرق هذا الأمر " .

لم يستطع كابلن أن يخفى ابتسامته وقال: " أتمزح ؟ أتريدنى أن أفوت الفرصة فى توصيل رجالك ثانيةً إلى منازلهم ؟ سأبقى هاهنا منتظراً " .

ابتسم سوير كرد فعل على كلام جورج ثم أغلق الباب وأسرع متجهاً إلى السيارة . كان الباقون متجمعين فى انتظاره . وحينما رأى ماهية السيارة التى ستنقلهم ، توقف متجمداً فى مكانه . ونظروا جميعاً إلى السيارة المخصصة لنقل السجناء .

نظر الشرطى الراكب إليهم وقال : " آسف يا رفاق ، هذا هو كل ما استطعنا توفيره حينما جاءنا الإخطار ، ليستوعبكم أنتم الثمانية " .

استقل عناصر المباحث الفيدرالية السيارة وكان بها نافذة صغيرة مصنوعة من سلك على هيئة شباك ، وزجاج يوصل الجزء الخلفى بالأمامى . فتح جاكسون الزجاج حتى يتمكن الشرطى الراكب من سماعهم ثم سأله : " هل تستطيع تشغيل جهاز التدفئة هنا فى الخلف من فضلك ؟ " .

أجاب الرجل : " أعتذر ، فالسجين الذى كنا ننقله جن جنونه ودمر منافذ التهوية ، ولم يتم إصلاحها حتى الآن " .

شاهد سوير وهو يهتز على الدكة المكتظة بعناصر المباحث الفيدرالية سحباً كثيفة للغاية أحدثها التنفس ، حتى أنها بدت وكأن هناك حريقاً قد اندلع فى السيارة . أنزل سوير بندقيته وفرك أصابعه المتيبسة معاً ليدفئها . وشعر بتيار هواء بارد قادم من شق غير مرئى بجسم السيارة لفحه فيما بين عظام كتفيه . ارتجف سوير ، وقد اعتقد أن أحدهم قد أدار جهاز التكييف على أقصى درجة برودة . لم يشعر بهذه البرودة منذ أن كان يحقق فى وفاة كل من بروفى وجولدمان فى جراج السيارات . وفى هذه اللحظة ، تذكر سوير لقاءه القريب مع المؤثرات الباردة القادمة من جهاز التكييف فى شقة عامل تزويد الطائرات بالوقود الذى لقى حتفه . وقد ارتسمت على وجهه نظرة ذهول حينما أعمل فكره ثم قال : " أوه ، يا إلهى ! " .

توصلت سيدنى إلى فكرة أن هناك طريقة واحدة يستطيع من خلالها مَن قاموا باختطاف والدها الاتصال بها . توجهت إلى استراحة وأسرعت إلى الهاتف واتصلت بمنزلها فى فيرجينيا . وحينما سمعت جهاز الرد ، بذلت قصار جهدها لتتعرف على الصوت ، ولكنها لم تتمكن . وتم إعطاؤها رقم هاتف جوال وليس مكاناً ثابتاً . أخذت سيدنى نفساً عميقاً ثم اتصلت بالرقم . جاء الرد فورياً . وكان الصوت مختلفاً عن ذلك الذى جاء عبر جهاز الرد بمنزلها ، لكنها لم تتبين هذا الصوت أيضاً . وكان عليها أن تقود لمدة عشرين دقيقة شمال بيل هاربور عبر شارع روت ١ ثم تأخذ أول مخرج مؤدٍ إلى بورت هافين ، ثم تم إعطاؤها توجيهات مفصلة

قادتها إلى منطقة معزولة ممتدة من الأرض بين ميناء بورت هافين وبلدة باث الأضخم .

قالت سيدنى : " أريد أن أتحدث إلى أبى ". إلا أن طلبها قوبل بالرفض . فقالت : " إذن ، لن آتى ، على حسب ما أرى فإنه قد مات بالفعل " . قوبلت بصمت مطبق . ودقت ضربات قلبها دقات عنيفة كاد يخر على أثرها من بين ضلوعها . وتنفست الصعداء حينما سمعت صوته .

" سيدنى ، حبيبتى " .

" أبى ، هل أنت بخير ؟ " .

" ابتعدى يا سيدنى ولا تأتى إلى هنا ـــــــ " .

صرخت سيدنى عبر الهاتف : " أبى ؟ أبى ؟ " . خرج رجل من الاستراحة ، حاملاً فنجاناً وحملق إليها ، ونظر إلى السيارة الكاديلاك المدمرة بشدة ، ثم نظر إليها مرة أخرى . حدقت سيدنى إليه أيضاً ، بينما دست يدها بعمق تتحسس المسدس التسعة مللى الموجود بداخل جيبها . أسرع الرجل إلى شاحنته الخفيفة وانطلق بعيداً .

جاء الصوت ثانيةً وكان على سيدنى أن تصل لوجهتها خلال ثلاثين دقيقة .

" كيف لى أن أعرف أنكم ستتركونه يذهب إذا ما أعطيتكم إياه ؟ " .

لم يتحمل المتحدث أية اعتراضات وقال : " لن تعرفى " .

قالت سيدنى حينما عاودتها روح المحامية : " هذا ليس بكافٍ . إنكم تريدون هذا القرص بشدة ؛ إذن لابد أن نتفق على بعض الشروط " .

" لابد أنك تمزحين . أتريدين أن تستلمى جثة والدك موضوعة فى حقيبة ؟ " .

" إذن نلتقى فى منتصف الطريق ، أنا أعطيكم القرص ، وأنتم تتركوننى وإياه نرحل ونذهب بعيداً عن وجهكم الكريم ! حسناً ؟ ووفق هذا العرض سوف تحصلون على القرص وسوف نصبح أنا وأبى فى مكان ما بالمحيط الأطلنطى طعاماً مغذياً لأسماك القرش . لابد وأن تقدموا عرضاً أفضل من هذا إذا أردتم الحصول على ما ترغبون " .

وعلى الرغم من أن الرجل غطى السماعة ، إلا أن سيدنى تمكنت من سماع أصوات على الجانب الآخر من الخط . وعلا صوتان منها فى غضب .

" إنها طريقتنا وإلا فلا " .

" حسناً إننى سأكون فى طريقى إلى مركز الشرطة الرئيسى التابع للولاية تأكدوا من أن تنتبهوا إلى أخبار المساء . إننى متأكدة من أنكم لا تريدون أن يفوتكم شىء . إلى اللقاء " .

" انتظرى ! " .

لم تقل سيدنى شيئاً لمدة دقيقة ، وحينما نطقت ، تكلمت بثقة أكبر مما كانت قبل دقيقة واحدة : " سوف أكون عند تقاطع شارعى شابلن وميرشانت مباشرةً فى وسط بيل هاربور . بعد ثلاثين دقيقة سوف أجلس بسيارتى . وسيكون من السهل تمييزها ـ فهى الوحيدة المزودة بجهاز تكييف إضافى . وتقومون بإضاءة الكشافات الأمامية مرتين ، وإخراج أبى . فهناك مطعم صغير على الضفة الأخرى من الشارع ، وحينما أراه يذهب إلى هناك ، سوف أفتح باب السيارة وأضع القرص على المشى الجانبى وأقود السيارة . من

فضلك ضع فى اعتبارك أننى مسلحة تسليحاً ثقيلاً . والأهم من ذلك أننى مستعدة أن أرسل أكبر عدد منكم إلى الجحيم مباشرةً " .

" كيف لنا أن نعرف أنه القرص المطلوب " .

" إننى أريد استعادة أبى . سيكون هو القرص الصحيح . وأتمنى أن تأخذوه وتختفوا . اتفقنا ؟ " . الآن بدت نبرة صوتها وكأنها لا تحمل أية اعتراضات .

انتظرت الإجابة بقلق . وقالت فى نفسها : " أرجوك يا إلهى لا تدعهم يخدعونى " . ثم أطلقت زفرة ارتياح حينما جاءت الإجابة أخيراً : " ثلاثون دقيقة " .

استقلت سيدنى سيارتها وأحكمت قبضتها على عجلة القيادة فى يأسٍ . كيف تسنى لهم ملاحقتها هى ووالدها ؟ كان ذلك مستحيلاً . بدا الأمر وكأنهم كانوا يراقبون سيدنى ووالدها طيلة الوقت . كانت الشاحنة البيضاء موجودة عند محطة البنزين . ربما كان من المفترض أن يتم الهجوم هناك لولا وصول سائق الدورية التابع لشرطة الولاية . انحنت سيدنى على المقعد الأمامى وهى تقاوم لتبقى هادئة الأعصاب . وأبعدت حقيبتها عن الطريق ثم فتحت لتتأكد فقط من أن القرص مازال موجوداً بها . كان القرص من أجل استرداد والدها . لكن إذا ما اختفى القرص سوف تقضى بقية حياتها هاربة من الشرطة ، أو على أقل تقدير حتى يتمكنوا من القبض عليها . يا له من خيار ، بيد أنه لم يكن هناك خيار آخر أمامها غيره . بينما هى جالسة وظهرها إلى الوراء بدأت فى غلق حقيبتها ، ثم توقفت ، فد أخذتها أفكارها بعيداً إلى تلك الليلة ، ليلة السيارة الليموزين . لقد حدث الكثير منذ أن قامت بهذا الهروب المخيف . وفى الحقيقة ، لم يكن هروباً حقاً ، أكان كذلك ؟ لقد تركها القاتل ترحل وسمح لها أيضاً بكل كياسة أن

تحتفظ بحقيبتها . فى الواقع ، كانت هى ستنساها تماماً لولا أن قذفها إليها . فقد كان كل ما يشغلها أن تنجو بحياتها ، فهى لم تفكر أبداً حقاً لماذا أقدم على فعل شىء كهذا ..... بدأت تبحث داخل محتويات حقيبتها . وقد استغرق الأمر دقيقتين ، إلا إنها وجدته أخيراً فى قاع الحقيبة ، منذ تم إدخاله فى فتحة فى بطانة الحقيبة . أمسكته وحدقت إليه ، كان جهاز تتبع دقيق .

نظرت سيدنى خلفها حينما اعترت عمودها الفقرى رعشة . وأدارت السيارة ، ثم انطلقت . وكان أمامها شاحنة قمامة قد تم تحويلها إلى محراث ثلج قد توقف عند حافة الرصيف . نظرت فى المرآة ، لم يكن هناك أحد خلفها . أنزلت النافذة ، ومشت ناحية الشاحنة ومالت بيديها ، بينما كانت تستعد لترمى بجهاز التتبع داخل الجزء الخلفى من الشاحنة . وبنفس السرعة ، أوقفت الذراع المتأرجحة ، ورفعت زجاج النافذة لأعلى مرة ثانية . كان جهاز التتبع مازال بيدها . اصطدمت بدواسة البنزين ، وتركت الشاحنة سريعًا خلفها . ونظرت ثانيةً إلى رفيقها الصغير الدقيق الذى رافقها خلال الأيام القليلة الماضية . ماذا يمكن أن تخسر ؟ انطلقت سريعاً فى اتجاه البلدة ، فقد كان عليها أن تتجه إلى النقطة التى تم الاتفاق عليها لتسليم القرص بأسرع ما يمكن ، بيد أنها احتاجت شيئاً أولاً من محل البقالة .

كان المطعم الصغير الذى ذكرته سيدنى فى حديثها عبر الهاتف مملوءاً بالزبائن الجوعى . وعلى بُعد عمارتين من النقطة التى تم الاتفاق عليها مسبقاً ، توقفت السيارة الكاديلاك وقد انطفأت أنوارها على حافة الرصيف بجوار مساحة مزروعة بالورود محاطة بسور

منمق من الحديد . كان ما بداخل السيارة الكاديلاك مظلماً وكانت الصورة الظلية للسائق مرئية بالكاد .

مشى رجلان سريعاً على جانب الطريق ، بينما مشى رجلان آخران موازيان لهما على الجانب الآخر من الشارع . نظر أحد الرجلين إلى أسفل على الآلة الصغيرة التى قبض بيديه عليها ، وكان يظهر على الشاشة الصغيرة شبكة . ومض ضوء براق على الشاشة ، أشار مباشرةً إلى الكاديلاك ، فتحرك الرجال بسرعة . لمع سلاح واحد خلال المكان الذى كان موجوداً به النافذة الجانبية للركاب . وفى ذات الوقت انفتح باب السائق الجانبى على مصراعيه . نظر الرجال المسلحون باندهاش إلى السائق الذى كان واحداً من الغوغاء مرتدياً معطفاً جلداً ، وعلى رأسه قبعة بيسبول .

توقفت الشاحنة المغلقة البيضاء عند تقاطع شارعى شابلن وميرشانت وكان محركها دائراً . نظر السائق إلى ساعته وتفقد الشارع ثم أضاء الكشافات الأمامية مرتين . وفى مؤخرة الشاحنة رقد بيل باترسون على الأرض ، وقدماه ويداه مقيدتان بإحكام ، وتم وضع شريط لاصق على فمه . ارتجت رأس السائق ورجعت إلى الخلف حينما فتح باب الركاب على مصراعيه ووجد مسدس ٩ مللى مصوباً نحو رأسه . صعدت سيدنى داخل الشاحنة ونظرت إلى الخلف لتتأكد من سلامة أبيها . فقد رأته من قبل من خلال النافذة حينما لمحت الشاحنة قبل دقيقة ، وقد تيقنت من أنهم لابد وأنهم استعدوا لتسليم أبيها .

" ضع مسدسك أرضاً . أمسكه من الفوهة أولاً ، إذا حاول إصبعك أن يصل إلى الزناد ، سأفرغ محتويات خزانة المسدس بأكملها فى رأسك . هيا افعل ! " .

فعل السائق ما أمرته به سريعاً .

" والآن اخرج ! " .

" ماذا ؟ "

غرست المسدس فى عنقه ، حيث ضغط بألم عبر أحد أوردته وقالت : " اخرج ! " .

حينما فتح الباب ودار برأسه إليها ، طوحت سيدنى قدميها فى الهواء إلى الخلف وضربته بكل قوتها . تدحرج الرجل فوق الرصيف . أغلقت سيدنى الباب ، وجلست على مقعد السائق وضغطت على البنزين . أحالت إطارات الشاحنة الثلج الأبيض إلى اللون الأسود ثم انطلقت بسرعة كالصخرة . وبعد أن خرجت سيدنى من البلدة بعشر دقائق ، أوقفت السيارة وقفزت إلى مؤخرتها واجتمعت بأبيها . جلس الاثنان لعدة دقائق واستند كل منهما على الآخر ، واهتز جسداهما فى خليط من الخوف والانتيارح .

" إننا نحتاج إلى سيارة أخرى . لن أضعها أمامهم لابد أنهم سيبحثون عن الشاحنة " ، هكذا قالت سيدنى وهى تسرع على الطريق .

" هناك مكان لتأجير السيارات على بُعد خمس دقائق من هنا . لكن لماذا لا نذهب للشرطة فحسب يا سيدنى ؟ " . فرك والدها معصميه ، وقد شهدت عينا الرجل المتورمتان ومفاصله المتعبة على الصراع الذى تحمله هذا الرجل العجوز .

تنفست سيدنى بعمق ونظرت إليه قائلة : " أبى ، أنا لا أعرف ماذا يوجد على هذا القرص . ماذا لو لم يكن كافياً ؟ " .

نظر إليها والدها وأدرك أنه قد يفقد فتاته الصغيرة فى النهاية .

" سيكون كافياً يا سيدنى . إذا كان جاسون تكبد كل هذا العناء ليرسله إليك ، لابد وأن يكون كافياً " .

ابتسمت سيدنى له ثم أصبح وجهها حزيناً وقالت : " لابد وأن نفترق يا أبى " .

" مستحيل أن أتركك الآن " .

" وجودك معى يجعل منك شريكاً فى الجريمة . سأقول لك شيئاً : لن يذهب كلانا إلى السجن " .

" حسناً ، ماذا عن أمى ؟ ماذا سيحل بها ؟ وآمى ؟ من سيكون متوجداً من أجلها ؟ ".

هم باترسون أن يقول شيئاً ثم توقف . وقطب جبينه وهو ينظر عبر النافذة ثم نظر إليها أخيراً وقال : " سنذهب إلى بوسطن معاً ، ثم نناقش الأمر هناك . وإذا ما أردت وقتها أن نفترق ، سنفعل " .

بينما جلست سيدنى داخل الشاحنة المقفلة ، دخل باترسون ليستأجر سيارة . وحينما خرج بعد دقائق معدودة ومشى إلى الشاحنة أنزلت سيدنى زجاج النافذة وتساءلت : " هل استأجرت سيارة ؟ "

أومأ باترسون قائلاً : " سيقومون بتجهيزها خلال خمس دقائق . " لقد استأجرت لنا سيارة فسيحة بأربعة أبواب . يمكنك النوم فى الخلف ، وسأقود أنا " .

" إننى أحبك يا أبى ". رفعت سيدنى زجاج النافذة إلى أعلى ثانيةً وانطلقت بالسيارة . جرى والدها المدهوش خلفها ، بيد أنها كانت قد اختفت عن الأنظار تماماً " .

حدق سوير خارج النافذة حيث كانت الرؤية منعدمة تقريباً وصرخ عبر النافذة فى السائق قائلاً : " يا إلهى ، ألا يمكننا أن نسير بسرعة أكثر ؟ " . فقد رأوا الدمار الذى حل بمنزل الشاطئ الخاص بعائلة باترسون ، وهم الآن يبحثون باستماتة فى كل مكان عن سيدنى آرتشر وعائلتها .

صرخ السائق مجيباً : " إذا ما أسرعنا أكثر من ذلك سينتهى بنا الأمر موتى فى حفرة ما " .

" موتى . هل ماتت سيدنى آرتشر بالفعل الآن ؟ " ، نظر سوير إلى ساعته وبحث فى جيوبه عن سيجارة .

نظر إليه جاكسون وقال : " اللعنة ، يا لى . لا تشرع فى التدخين هنا . هناك صعوبة فى التنفس بالفعل " .

فغر فاه سوير حينما تحسس الشئ الصغير الذى كان بجيبه ، ثم أخرج ببطء الكارت .

حينما توجهت سيدنى خارج المدينة ، قررت أن تتمالك نفسها وتعيد التفكير بترو فى كل ما حدث . كان يبدو وكأن دهراً قد مضى وهى تتصرف كرد فعل لسلسلة من الكوارث دون أن تتوافر لها فرصة للتفكير فيما حدث . إنها محامية ، مدربة على أن تنظر إلى الحقائق بطريقة منطقية ، وتنظر إلى التفاصيل ، وتحاول أن تضعها فى منظومة كاملة . وكان لديها بعض المعلومات التى يمكنها استغلالها . كان جاسون يعمل فى سجلات تريتن للحصول على صفقة سيبركوم . وهذا ما كانت تعرفه . اختفى جاسون فى ظروف غامضة وأرسل إليها قرصاً عليه بعض المعلومات وكانت هذه حقيقة أيضاً . ولم يكن جاسون يبيع الأسرار إلى شركة آر . تى . جى ، خاصة مع وجود بروفى فى الصورة . وكان هذا واضحاً بالنسبة لها أيضًا . ثم كانت هناك السجلات المالية . وكان من الواضح أن تريتن قد قامت بتسليمها ، إذن لماذا هذه المسرحية الكبيرة التى تعلقت بعقد اجتماع فى نيويورك ؟ لماذا طلب جامبل أن يتحدث إلى جاسون حول عمله بالسجلات ، خاصةً بعد أن أرسل إلى جاسون بريداً إلكترونياً يهنئه فيه على أدائه الجيد

لوظيفتـه ؟ لمـاذا تكبـد كـل هـذا محـاولاً الاتصـال بجاسـون علـى الهاتف ؟ لماذا وضعها فى موقف صعب كهذا ؟

ابطأت سيدنى من سرعتها وتوقفت بجانـب الطريـق . هـذا هـو المقصود من البداية ؛ وضعها فى موقف صعب ، وجعل الأمـر يبـدو وكأنها تكذب ، فقد أصبحت مصدر شك منذ ذلك الحين . ماذا كان داخل هذه السجلات الموجودة بالمخزن تحديداً ؟ هـل هـذا مـا كـان موجوداً على القرص ؟ شىء اكتشفه جاسون ؟ ففـى تلـك الليلـة قـد نقلتها سيارة جامبل الليموزين إلى ضيعته ، فقـد كـان واضحـاً أنـه يحتاج إلى بعض الإجابات . هل كان يحاول أن يعـرف مـا إذا كـان جاسون قد أخبرها بشى أم لا ؟

كانت شركة تريتن عميلاً لعدة سنوات الآن ؛ شركة كبيرة قويـة ذات نفوذ ، ولها تاريخ عريق . ولكـن مـا علاقـة كـل هـذا بجميـع الأشياء الأخرى ؟ موت الأخوين بيدج ، فـوز تـريتن علـى آر . تـى جى وحصولها على سيبركوم . وكـان أكثـر شـىء أثـار سيدنى مما تذكرته عن هذا اليوم البشع فى نيويورك هو نفـس مـا جـال بخـاطر سوير من قبل ولكن لسبب آخر : العرض .

يا لله ! عليها أن تتصل بسوير ، وضعت سيدنى الشـاحنة فـى وضع القيادة وعادت تقودها على الطريـق . كانـت حلقـات الصقيـع تقطع أفكارهـا . نظـرت حولهـا داخـل الشـاحنة بحثـاً عـن مصـدر للاتصال إلى أن وقعت عيناها على الهاتف الجوال المستقر على لوحة ممغنطـة مستندة إلى الجـزء الأسـفل مـن تـابلوه الشـاحنة . لم تكـن تلحظه حتى تلك اللحظة . كان الهاتف يـرن . مـدت يـدها تلقائيـاً لترد عليه ثم سحبتها مرة ثانية . وأخيراً أمسكت به ثـم أجابـت : " نعم ؟ "

جاء الصوت مفعماً بالغضب وقال : " كنت أظن أنـك لا تحـبين المغامرات " .

" نعم ، وأنت أيضاً نسيت أن تذكر أنك قد وضعت جهاز تتبـع داخل حقيبتى وكنت تنتظر للتخلص منى " .

" حسناً ، لنتكلم عن المستقبل . نريد القرص وأنت ستحضـرينه إلينا الآن ! " .

" ما سأفعله هو أن أغلق الخط الآن ! " .

" لو كنت مكانك لما فعلت " .

" اسمع إذا كنت تحاول أن تبقينى على الهاتف حتى تستطيع تحديد مكانى ، فهـذا لـن يجـ " . انقطـع صـوت سيدنى وارتعـد جسدها كله حينما سمعت صوت صغير يأتى عبر الخط .

" أمى ؟ أمى ؟ " .

شعرت سيدنى بغصة فظيعة فـى حلقهـا ولم تسـتطع الإجابـة . أزاحـت قـدمها مـن علـى دواسـة البنـزين ، ولم تسـتطع ذراعاهـا المتجمدان أن تستمرا فى قيادة الشاحنة المغلقة بعـد ذلـك . أبطـأت الشاحنة ودخلت داخل كومة من الثلج على الطريق .

" أمـى ؟ أبـى ؟ تعـالا إلىّ ؟ " ، جـاء الصـوت مفزوعـاً ومـثيراً للشفقة .

وفجأة شعرت سيدنى بغثيان فى معـدتها ، وكـان جسـدها كلـه ينتفض بطريقة لا يمكن التحكم فيه ، استطاعت سيدنى أن تتكلم : " آآآمى . حبيبتى " .

" أمى ؟ " .

انهمـر مـن عينيهـا شـلال غزيـر مـن الـدموع علـى وجههـا وقالت : " حبيبتى ، أنا أمك . أنا هنا " .

سمعت سيدنى صوت الهاتف وهو يؤخذ بعيداً .

" عشر دقائق ، وهذه هى التعليمات ".

" أرجوك دعنى أتحدث إليها ثانيةً ، من فضلك ! " .

" تبقى لديك الآن تسع دقائق وخمسون ثانية " .

خطرت على بال سيدنى فكرة مفاجئة . ماذا لو كان هذا مجرد شريط ؟ فقالت : " كيف لى أن أعرف أنها لديكم فعلاً ؟ فقد يكون هذا مجرد تسجيل " .

" حسناً إذا كنت ترغبين فى أن تخوضى المغامرة ، فلا تأتى " . بدا الصوت فى منتهى الثقة . ولم تكن هناك أية فرصة على وجه البسيطة تجعل سيدنى تخوض مغامرة كهذه . وكان الشخص الذى على الخط الآخر يعلم هذا أيضاً .

" إذا قمت بإيذائها " .

" نحن لا تعنينا الطفلة . فهى لم تتمكن من التعرف علينا . بعد أن ينتهى كل هذا ، سننزلها فى مكان آمن " ، صمت للحظة ثم قال : " لن تلحقى بها يا سيدة آرتشر . فأماكنك الآمنة قد اُستنفدت " .

" دعها تذهب . أرجوك دعها تذهب فهى مجرد طفلة " .

كانت سيدنى ترتعد واستطاعت بالكاد أن تجعل الهاتف يضغط على فمها .

" من الأفضل أن تكتبى هذه التعليمات . فيجب ألا تضلى طريقك . وإذا لم تظهرى ، فلن يتبقى الكثير من طفلتك لتتعرفى عليها " .

" سأكون هناك " . هكذا قالت فى صوت متهدج ثم أُغلق الخط . ثم قادت الشاحنة ثانية على الطريق وقد قفز خاطر إلى ذهنها . أمها ! أين والدتها ؟ بدأ الدم يتدفق فى عروقها وهى تحكم قبضتها حول عجلة القيادة . وجاء صوت رنين آخر عبر

الهاتف ، وبيدين مرتعشتين أمسكت سيدنى الهاتف لكن لم يكن هناك رد . فى الواقع ، كان صوت الرنين مختلفاً . انطلقت على الطريق ثانية وبيأس بحثت فى كل مكان . توقفت عيناها أخيراً على المقعد الموجود بجانبها تماماً . بحثت فى حقيبتها ، ووضعت يدها ببطء داخل حقيبتها وأخرجت جهاز الاستدعاء منها . وكان مكتوباً على الشاشة الصغيرة رقم هاتف لم تتعرف عليه . أغلقت جرس جهاز الاستدعاء ، كان على ما يبدو رقماً خطأ . لم تستطع أن تتخيل أن أحداً من شركتها القانونية أو أن عميلا يحاول الاتصال بها ، لقد خرجت لتوها من مجال إعطاء النصائح القانونية . كانت على وشك أن تمحو الرسالة ، إلا أن إصبعها توقف . أيمكن أن يكون جاسون ؟ إذا كان جاسون ، فإنه سيكون أسوأ توقيت فى تاريخ البشرية . توقف إصبعها فوق زر الإلغاء . وأخيراً وضعت جهاز الاستدعاء فى حجرها ، وأمسكت بالهاتف الجوال وطلبت الرقم الذى ظهر على شاشة جهاز الاستدعاء .

كان الصوت الذى جاء على الخط الآخر كافياً بأن يوقف أنفاسها . من الواضح أن المعجزات تحدث بالفعل .

كان المنزل الأساسى للمنتجع مظلماً ، وكونه منعزلاً جعله أكثر ظلمة . وحينما دخلت الشاحنة المغلقة عبر المشى ظهر حارسان مسلحان من المدخل لملاحقتها . وقد خفت حدة العاصفة الثلجية فى الدقائق القليلة الماضية . وكان خلف المنزل مظلماً ، وقد هاجمته مياه المحيط الأطلنطى .

قفز أحد الحراس إلى الخلف حينما استمرت الشاحنة فى السير تجاههما دون أية علامة فى الإبطاء وصرخ الرجل : " اللعنة " . بينما أسرع الرجلان ينأيان بنفسيهما عن الطريق . واندفعت مباشرة

إلى الباب الأمامى ثم توقفت فجأة ، ومازالت إطاراتها تدور ، حينما ارتطمت بالجزء الداخلى من جدار سمكه أربع أقدام . وبعد مضى دقيقة ، أحاط عدد من الرجال المسلحين بالشاحنة ، وفتحوا الباب المحطم على مصراعيه . لم يكن هناك أحد بالداخل . التفتت أعين الرجال إلى المساحة الخاصة بحفظ الأشياء حيث عادة ما يكون الهاتف الجوال . كان الهاتف الجوال أسفل المقعد الأمامى تماماً ، وكان سلك الهاتف غير مرئى فى ظل الإضاءة الضعيفة لضوء القبة . اعتقد الرجال أن الهاتف ربما سقط من مكانه إثر الصدمة أكثر من كونه وُضع هناك عن عمد .

دخلت سيدنى المنزل من الخلف . فحينما أعطى الرجل تعليماته لها عن المكان ، تعرفت عليه فوراً . كانت قد مكثت فيه هى وجاسون عدة مرات ، وكان الشكل الداخلى معروفاً بالنسبة لها . اختصرت سيدنى الطريق ووصلت قبل منتصف الوقت الذى حدده لها محتجزو ابنتها . واستغلت هذه الدقائق الثمينة فى تجهيز عجلة القيادة بالشاحنة المغلقة ودواسة البنزين عن طريق شدهما بالحبال التى وجدتها فى مؤخرة الشاحنة . انتزعت مسدسها وضعت إصبعها بخفة على الزناد حينما تقدمت فى ظلام حجرات المنتجع . وكانت متأكدة تسعين بالمائة أن آمى لم تكن بالمبنى . والعشرة بالمائة الشك قد قادتها إلى استخدام الشاحنة المجهزة بالحبال كعملية تمويه حتى تتمكن من محاولة الإنقاذ ، التى لم تكن مؤكدة ، لابنتها . كانت واثقة من أن هؤلاء الرجال لم يكونوا ليوافقوا على إطلاق سراح آمى .

سمعت فى الأمام أصواتاً متصاعدة ووقع أقدام تجرى ناحية مقدمة المنزل . مالت برأسها إلى اليسار حينما سمعت صوت زوج من خطوات الأقدام يأتى من أسفل الصالة . لم يكن هذا الشخص

يجرى ، المشية كانت بطيئة ويسير وفق منهج مدروس . تراجعت سيدنى إلى الخلف فى الخفاء وانتظرت حتى يمر هذا الشخص . وحينما فعل ، ضغطت بفوهة مسدسها مباشرة على رقبته .

قالت سيدنى ببرود شديد : " حاول أن تحدث أى صوت ، وسوف أرديك قتيلاً ، ضع يدك فوق رأسك " .

أذعن الأسير لها . كان طويلاً ، وذا كتفين عريضين . تحسست مسدسه وعثرت عليه فى جراب تحت كتفه . دست مسدس الرجل فى جيب معطفها ودفعته إلى الأمام . كانت الحجرة الكبيرة الموجودة بأعلى مضاءة جيداً ولم تتمكن سيدنى من أن تسمع أية أصوات تأتى من المساحة الخالية ، لكنها لم تفكر فى أن الصمت سيستمر للأبد . فسرعان ما سوف يكتشفون خدعتها ؛ إن لم يكونوا قد اكتشفوها بالفعل . اقتادت الرجل بعيداً عن الضوء إلى ردهة مظلمة . وصل الاثنان إلى باب الخروج فقالت : " افتح الباب وتحرك إلى الداخل " .

فتح الرجل الباب ثم دفعته إلى الداخل . كانت إحدى يديها تتحسس مفتاح المصباح الكهربائى . وحينما أضيئت الحجرة ، أغلقت الباب خلفها ثم نظرت إلى وجه الرجل .

حدق إليها ريتشارد لوكاس .

قال لوكاس بصوت هادئ ورزين : " لا تندهشى " .

أجابت سيدنى : " لنقل إنه لم يعد هناك ما يفاجئنى ، اجلس " . وأشارت بمسدسها إلى مقعد ذى ظهر مستقيم وقالت : " أين الآخرون ؟ " .

هز لوكاس كتفيه : " هنا ، هناك ، وفى كل مكان . هناك العديد منهم يا سيدنى " .

" أين ابنتى ؟ وأين أمى ؟ " ، ظل لوكاس صامتاً . وضعت سيدنى يديها على زناد مسدسها وأشارت به مباشرة ناحية صدره وقالت : " لا تعبث معي . أين هما ؟ " .

" حينما كنت عميلاً فى المخابرات المركزية الأمريكية أُسرت وعُذبت من قِبل وكالة المخابرات السوفيتية لمدة شهرين قبل أن أتمكن من الهروب . ولم أقل لهم أى شىء ، ولن أقول لكِ أى شىء " . هكذا قال لوكاس فى هدوء وأضاف قائلاً : " وإذا كنت تفكرين فى أن تقايضين بى للحصول على ابنتك ، انسى الأمر . وعليك إذن أن تضغطى على الزناد يا سيدنى " .

ارتعش إصبع سيدنى على الزناد بينما انخرطت هى ولوكاس فى مباراة فى التحديق . وأخيراً ، أخذت تلعنه وهى لا تستطيع أن تأخذ نفسها وأنزلت مسدسها . وارتسمت على شفتى لوكاس ابتسامة .

فكرت سيدنى سريعاً ، حسناً أيها اللعين وقالت : " ما لون القبعة التى كانت ترتديها آمى يا ريتش ؟ إذا كانت عندك لابد وأنك تعرف هذا " .

اختفت الابتسامة من على وجه لوكاس . وصمت للحظة ثم أجاب : " تقريباً بيج " .

" إجابة جيدة . لون محايد ، قد ينطبق على العديد من الألوان المختلفة " ، صمتت سيدنى للحظة وشعرت براحة تسرى فى جسدها وقالت : " الحقيقة أن آمى لم تكن ترتدى قبعة " .

حدق لوكاس وحاول أن يفر من المقعد . ولكنها كانت أسرع منه بثانية وضربته على رأسه بمسدسها ، فسقط على الأرض فاقداً للوعى . وقفت فوق جسده وقالت : " يا لك من أحمق غبى " .

خرجت سيدنى من الحجرة ومشت إلى الممر . ومن الاتجاه الذى دخلت به المنزل ، سمعت صوت رجال يقتربون . غيرت مسارها وتوجهت مرة أخرى إلى الحجرة المضاءة التى قامت بتفقدها من قبل . وحدقت بعينيها إلى الزاوية وكان الضوء القادم من الداخل كافياً لتنظر فى ساعتها . دعت الله فى صمت ودلفت إلى الحجرة محاولة أن تختبئ خلف أريكة ذات ظهر خشبى . نظرت حولها ، وقعت عيناها على حائط مصنوع من أبواب فرنسية يمكن رؤيتها من ناحية المحيط . كانت الحجرة ضخمة ، بأسقف مرتفعة تصل إلى عشرين قدماً على الأقل . وكان هناك شرفة داخلية فى الدور الثانى تمتد على أحد جانبى الحجرة . وكان هناك حائط آخر معلق عليه مجموعة من الكتب التى تم ربطها بعناية . وكان هناك أثاث مريح موزع فى الأرجاء .

انكمشت سيدنى إلى الخلف بقدر ما تستطيع حينما دخل الحجرة مجموعة رجال مسلحين يرتدون حُللا سوداء من الباب . تكلم أحدهم بصوت مخيف فى جهاز اللاسلكى ومن خلال سماعها لكلماته عرفت أنهم على دراية بوجودها . شقت طريقها عبر الحجرة والدم يكاد يضرب فى طبلة أذنيها . وفور وصولها إلى الممر ، مشت بسرعة إلى الخلف فى اتجاه الحجرة التى تركت بها لوكاس بنية استخدامه كورقة للخروج . قد لا يعبأون بقتل لوكاس ليحصلوا عليها ، ولكنه كان الخيار الوحيد أمامها الآن .

تعثرت خطتها على الفور لأنها لم تجد لوكاس فى الحجرة . لقد ضربته بقوة وعنف ، وتعجبت من قدرته على الاستفاقة . من الواضح أنه لم يكن يمزح بشأن ما قاله عن وكالة المخابرات السوفيتية . من المؤكد أن لوكاس قد دق جرس الإنذار . ومن المرجح

أنه متبق لها ثوان لتخرج من البوابة ، وكانت على بُعد عدة أقدام من الباب حينما سمعت صوتًا ينادى : " أمى ، أمى " .

قفزت سيدنى ، واستمرت صرخات آمى تدوى فى الردهة . استدارت سيدنى بسرعة ناحية الصوت وحدقت : " يا إلهى ! آمى ؟ آمى ! " . وكان باب الحجرة التى كانت بها مغلقاً . دفعت الباب وفتحته واندفعت داخل الحجرة ، كان صدرها يرتفع وينخفض ، وكانت عيناها متسعتين بوحشية تبحث عن ابنتها .

حدق ناثان جامبل فيها وظهر ريتشارد لوكاس خلفه ولم يكن يبتسم . كان وجهه متورماً بشدة . ثم نزع سلاح سيدنى بسرعة وأمسكها رجلان . وأخذ القرص من حقيبتها وسلمه لجامبل : أمسك جامبل جهاز تسجيل وجاء عليه صوت آمى مرة ثانية قائلاً : " أمى ؟ أمى ؟ " .

شرح جامبل قائلاً : " طالما اكتشفت أن زوجك يخدعنى قمت بوضع أجهزة التنصت بمنزلك . ويمكنك أن تحصلى على الكثير من الأشياء الجيدة بهذه الطريقة " .

صاحت به سيدنى غاضبة : " أيها اللعين ، لقد كنت أعرف أنها خدعة " .

" كان يجب أن تتبعى حدسك منذ البداية . أنا أفعل ذلك دائماً " . أغلق جامبل الشريط ومشى حتى وصل إلى مكتب موضوع بحوار الحائط . ولأول مرة لاحظت سيدنى حاسباً محمولاً موضوعاً هناك . أخذ جامبل القرص ووضعه به ، ثم سحب قصاصة ورق من جيبه ونظر فيها وقال : " لمسة جميلة تلك التى وضعها زوجك لكلمة السر الخاصة به . " الكل للوراء " . أنت ذكية للغاية ، ولكنى أراهن أنك لم تفهمى القصد من هذه العبارة ، أليس كذلك ؟ " انكشف وجهه عن ابتسامة بينما كان ينظر إلى سيدنى

عبر الورقة ، ثم قال : " طالما عرفت أن جاسون شخص ذكى " ، وباستخدام إصبع واحد ، ضرب جامبل عدداً من الأزرار على لوحة المفاتيح وتفحص الشاشة . وبينما كان يفعل ذلك ، أشعل سيجارة ، وكان راضياً عن محتويات القرص ، فجلس على المقعد وعقد ذراعيه عند صدره ، ورمى برماد السيجارة على الأرض .

ظلت عينا سيدنى ثابتين عليه وقالت : " إن الذكاء سمة تتسم بها العائلة . أنا أعلم ذلك يا جامبل " .

أجاب بهدوء : " أعتقد أنك لا تعلمين شيئاً ألبتة " .

" ماذا عن مليارات الدولارات التى قمت بالاتجار فيها عن طريق التغيير فى معدلات سعر الفائدة ؟ نفس المليارات التى استخدمتها لتكوين شركة تريتن جلوبال " .

" كشف مثير . كيف قمت بذلك ؟ "

" كنت تعرف القرارات قبل أن تتخذ . كنت تبتز آرثر ليبرمان . رجل الأعمال المعروف لم يستطع أن يجنى سنتاً واحداً دون أن يغش " . أخرجت سيدنى الكلمات الأخيرة ، فلمعت عينا جامبل بحدة عليها . ثم استطردت : " ثم هددك ليبرمان بأنه سيفضحك ففجرت به الطائرة " .

نهض جامبل وتقدم ببطء ناحية سيدنى . وقبض بيديه قبضة غاضبة ثم قال : " لقد كونت المليارات بمجهودى ، ثم قام بعض المنافسين الحقودين برشوة اثنين ممن كانوا يعملون معى ليخدعانى سراً . لم أستطع إثبات أى شىء ، لكن انتهى الأمر بهما بوظائف مرموقة . أما أنا فخسرت كل شىء كان لدىَّ ، أتسمين ذلك عدلاً ؟ ، " توقف جامبل عن السير وأخذ نفساً عميقاً ثم استطرد : " لكنك محقة بالرغم من كل شىء . لقد اطلعت على حياة ليبرمان السرية الصغيرة . وقمنا بتجميع ما يكفى من المال بعد عناء معاً

لنبنى مُجمعاً صغيراً فارهاً وأحيا حياة سعيدة . بيد أن الأمر لم يكن بهذه السهولة " . التفت شفتاه فى ابتسامة شريرة : " انتظرت حتى اطمأن هؤلاء الذين خدعونى ثم ضربت ضربتى وجعلت ليبرمان يغير معدلات الفائدة بالطريقة التى تجعلهم يتكبدون خسائر فادحة ، وفى المقابل تجعلنى أربح مبالغ طائلة . وبعد أن انتهى الموقف ، أصبحت أنا فى القمة ثانية وهؤلاء الأشخاص لا يملكون ثمن فنجان قهوة ".

أشرق وجهه حينما تذكر انتصاره الشخصى وقال : " من يعبث معى ، أرد له الصاع صاعين ، وربما أسوأ أيضاً مثلما حدث مع ليبرمان . وبما أننى شخص لطيف ، فقد دفعت للسافل أكثر من مائة مليون دولار ليقوم بهذا العمل فيما يخص معدلات الأرباح . وماذا فعل ليظهر عرفانه بالجميل ؟ حاول أن يدمرنى . هل كانت غلطتى أنه أصيب بالسرطان ؟ لقد ظن أنه يمكن أن يفوقنى ذكاءً ، ألم يخطر بباله أنى أعرف أنه كان يحتضر . حينما أدخل فى عمل مع شخص ما ، أعرف كل شىء عنه ، كل شىء " . ولمع وجهه للحظة ثم كشف عن ابتسامة ماكرة وقال : " الشىء الوحيد الذى أندم عليه هو أننى لم ألتقط له صورة أثناء ارتطام هذه الطائرة ".

" لم أكن أعرف أنك متورط فى عمليات إبادة جماعية يا ناثان ، الرجال ، والنساء ، والأطفال " . بدا جامبل متوتراً فجأة وعصبياً وأخذ ينفث دخان سيجارته ، ثم قال : " أتعتقدين أننى أردت ذلك ؟ عملى هو صنع الأموال ، وليس قتل الناس . كانت لدى مشكلتان : ليبرمان وزوجك . لو كنت أستطيع شراء كل التذاكر فيما عدا تذكرة ليبرمان ، لفعلت ". وصمت للحظة ثم نظر إليها وقال : " إذا كان هذا سيجعلك تشعرين بالارتياح ، لقد تبرعت مؤسستى الخيرية بعشرة ملايين دولار لأسر الضحايا " .

" حسناً ، لقد أحرزت بعض النقاط التى تخفف من حدة عملك القذر . هل تعتقد أن المال كل شىء ؟ "

زفر جامبل الدخان وقال : " ستندهشين إذا قلت لك إن المال هو كل شىء فى كثير من الأحيان . وكما قلت لصديقك وارتون . حينما ألاحق شخصاً قد عبث بى ، لا أكترث بمن آخذه فى طريقى . هذا سيئ للغاية ".

أصبح وجه سيدنى حاداً فجأة وقالت : " مثل جاسون ؟ أين هو ؟ أين زوجى ، أيها النذل ؟ " ، أطلقت سيدنى هذه الكلمات فى صرخات رغماً عنها وكادت تقفز على جامبل لولا أن تدخل الرجال وأبعدوها للخلف .

وقف جامبل مباشرةً أمامها ولطمها على وجهها قائلاً : " اخرسى " .

استعادت سيدنى وعيها سريعاً ، وحررت ذراعها وخدشت وجه جامبل بأظافرها . وعلى أثر الصدمة تعثر للخلف ، وأمسك بجلده الممزق وصرخ قائلاً : " عليك اللعنة " . وضغط بمنديله على وجهه ، وعيناه تطلقان شرراً عليها . حدقت إليه سيدنى أيضاً ، وجسدها يهتز بغضب عارم أكثر مما شعرت به طوال عمرها . أشار جامبل أخيراً إلى لوكاس . غادر لوكاس الحجرة لدقيقة ، وحينما عاد ، لم يكن بمفرده .

قفزت سيدنى لاإرادياً حينما دلف كينيث سكاليز إلى الحجرة . حدق إلى سيدنى آرتشر بعينين تنمان عن كراهية مميتة . نظرت سيدنى إلى جامبل الذى نظر لأسفل وتنهد بينما كان يضع منديله داخل جيبه ، ولس وجهه بحذر شديد ثم قال : " أعتقد أننى أستحق ذلك . تعلمين أنه لم يكن لدى النية فى أن أقتلك ، لكنك لم تتركى لى خياراً آخر ، أليس كذلك ؟ " ، وحرك يديه خلال

شعره وقال : " لا تقلقى ، سوف أضع مبلغاً كبيراً من المال كوديعة لابنتك لابد أنك ممتنة لأنى أفكر فى كل شىء " ، ثم لوح بيديه لسكاليز ليتقدم .

صاحت سيدنى : " أوه ، حقاً ؟ هل فكرت فى حقيقة أنه ربما كما اكتشفت أنا الحقيقة ، يمكن أن يكتشفها سوير أيضاً ؟ " .

حدق إليها جامبل بحيرة : " مثلما اكتشف حقيقة أنك قمت بابتزاز آرثر ليبرمان عن طريق تورطه فى علاقة مع ستيفن بيدج . لكن حينما رُشح ليبرمان لرئاسة مجلس إدارة بنك الاحتياطى الاتحادى ، أصيب بيدج بالإيدز وهدد بتفجير الموقف بأكمله . ماذا فعلت أنت ؟ لقد فعلت معه مثلما فعلت مع ليبرمان ، لقد أمرت بقتل بيدج " .

جاءت إجابة جامبل مدهشة بالنسبة لها : " لماذا آمر بقتله ؟ لقد كان يعمل لحسابى ! " .

" إنه يقول الحقيقة يا سيدنى " . استدارت سيدنى برأسها وحدقت إلى مصدر تلك الكلمات ؛ فقد كان كونتين رووى الذى دلف إلى الحجرة .

حدق جامبل إليه وقد اتسعت عيناه وقال : " كيف دخلت إلى هنا ؟ " . بالكاد نظر رووى إليه وقال : " أعتقد أنك نسيت أن لدى جناحاً خاصاً بطائرة الشركة . بالإضافة إلى أننى أحب أن أرى المشروعات وهى تكتمل " .

" هل هى على حق ؟ هل أمرت بقتل حبيبك ؟ " .

نظر إليه رووى بهدوء وقال : " هذا ليس من شأنك " .

" هذه شركتى . كل شىء يعنينى " .

" شركتك ؟ لا أعتقد ذلك . الآن وقد أصبح لدينا سيبركوم لم أعد أحتاجك . أخيراً انتهى الكابوس الذى طالما أرقنى " .

احمر وجه جامبل ، وتحرك نحو ريتشارد لوكاس وقال : " أعتقد أننا نحتاج أن نعلم هذا الفارس الحقير كيف يبدى الاحترام لمن هم أعلى منه " .

سحب ريتشارد لوكاس سلاحه .

هز جامبل رأسه وقال : " أظهر بعض الخشونة فقط للنذل الوضيع " . قال هذا ولمعت عيناه بالشر ، وزادت حدة لمعانها حينما غير لوكاس اتجاه سلاحه وصوبه إلى جامبل . وسقطت السيجارة من فم رئيس تريتن وقال : " ما هذا ؟ أيها الخائن الوضيع " .

صرخ لوكاس هادراً : " اخرس ! أغلق فمك وإلا سأفجر رأسك . أقسم بالله سأفعل " . وثبتت عينا لوكاس على وجه جامبل فأغلق فمه بسرعة .

" لماذا يا كونتين ؟ " ، تناقلت الكلمات برفق عبر الحجرة . " لماذا ؟ " .

التفت رووى ليرى عينا سيدنى مثبتة عليه . أخذ نفساً عميقاً وقال : " حينما دخل جامبل فى شركتى سحب المستندات القانونية التى يمكن من خلالها أن يتحكم فنياً فى أفكارى ، وفى كل شىء . وبمعنى أصح ، يمتلكنى " . ولدقيقة حدق إلى جامبل الذى أصبح رقيقاً الآن . وباشمئزاز لم يحاول إخفاءه ، نظر رووى إلى سيدنى قارئاً أفكارها ، فقال : " أغرب ثنائى فى العالم ، أنا أعرف " .

جلس رووى على المكتب أمام الحاسب ، وحدق بالشاشة واستكمل كلامه . بدت دقة الجهاز عالى التقنية وكأنها هدأت من روع رووى فقال : " لكن بعد ذلك خسر جامبل جميع أمواله . وشركتى لم تجد مكاناً تذهب إليه . رجوته أن يتركنى خارج اللعبة ، لكنه قال إنه سوف يزج بى فى السجن لأعوام طويلة . لقد

أصبحت عاجزاً تماماً ثم تقابل ستيفن مع ليبرمان وبدأت المؤامرة " .

" لكنك أمرت بقتل بيدج . لماذا ؟ "

لم يجب رووى .

" ألم تعرف أبداً من الذى نقل له فيروس الإيدز ؟ " .

لم يجب رووى وانهمرت الدموع على جهاز الحاسب المحمول .

" كونتين ؟ "

" أنا الذى نقلته له ، أنا الذى فعلتها ! " . انتفض رووى من على مقعده ، وترنح لمدة دقيقة ، ثم انهار ثانية على مقعده . وبصوت يعتصره الألم أكمل حديثه : " حينما أخبرنى ستيفن أن نتيجة الاختبار جاءت إيجابية ، لم أستطع تصديق الأمر . لقد كنت دائماً مخلصاً له وأقسم على الولاء لى أيضاً . اعتقدنا أنه ربما يكون ليبرمان وحصلنا على نسخة من تقاريره الطبية ووجدنا أنه كان سليماً وساعتها أجريت أنا بعض الفحوص " . بدأت شفتاه ترتعشان . " وهنا علمت أن نتيجة التحليل إيجابية وأننى مصاب بفيروس الإيدز . الشىء الوحيد الذى يتبادر إلى ذهنى كانت عملية نقل الدم اللعينة . لقد أجريت لى حينما تعرضت لحادث سيارة خطير . تفقدت الأمر مع المستشفى واكتشفت أن العديد من المرضى الآخرين قد أصيبوا بالفيروس أثناء نفس الفترة . أخبرت ستيفن بكل شىء . لقد كنت أهتم بأمره كثيراً . ولم أشعر بمثل هذا الإحساس بالذنب في حياتي كلها . لقد اعتقدت أنه سيتفهم الأمر " . وأخذ رووى نفساً عميقاً ثم أضاف : " لكنه لم يتفهم " .

تساءلت سيدنى : " هدد أن يفضحك ؟ " .

" كنا قد تمادينا إلى النهاية ، ولم يكن ستيفن يفكر جيداً ، كان .... " ، هز رووى رأسه بإحساس تام بالكآبة وقال : " جاء إلى شقتى ذات ليلة ، وقد شرب كثيراً . وأخبرنى بما كان ينوى فعله . كان ينوى أن يشى بكل شىء عن ليبرمان ، خطة الابتزاز . كنا سنذهب جميعاً إلى السجن . وقد أخبرته أنه يجب أن يفعل ما يشعر بأنه صحيح " . صمت رووى لحظة ، وقد تهدج صوته : " لقد كنت أعطيه عادة جرعته اليومية من الأنسولين ، واحتفظت بمخزون فى بيتى لقد كان دائماً ينسى هذا الموضوع " . نظر رووى إلى أسفل على الدموع التي تساقطت فى يديه . " نام ستيفن على الأريكة . وبينما كان نائماً ، أعطيته جرعة زائدة من الأنسولين ، وأيقظته واركبته سيارة أجرة لتوصله إلى المنزل " . أضاف رووى بهدوء " : وتوفى . لقد حافظنا على سرية علاقتنا منذ أيام الجامعة . لم تستجوبنى الشرطة أبداً " .

نظر رووى إلى سيدنى وقال: " أنت تتفهمين ، أليس كذلك ؟ كان عليَّ أن أفعل ذلك . أحلامى ، رؤية المستقبل " . كان صوته مستعطفاً تقريباً . لم تجب سيدنى . وقف أخيراً ومسح دموعه ثم قال : " كانت سيبركوم آخر شىء أحتاج إليه ، لكن كل هذا كان له ثمنه . ارتبطنا أنا وجامبل ببعضنا البعض مدى الحياة بسبب الأسرار التى كانت تجمع بيننا " . عبس وجه رووى ثم ابتسم فجأة وهو ينظر إلى جامبل وقال . " ولحسن الحظ سوف أعيش من بعده " .

" أيها السافل ذو الوجهين ! " ، بذل جامبل قصارى جهده لكى ينال من رووى لكن لوكلس حجزه .

قالت سيدنى : " لكن جاسون اكتشف كل شىء بينما كان يتفحص السجلات فى المخزن ، أليس كذلك ؟ "

انفجر رووى ثانية وصب كل غضبه على جامبل قائلاً : " أيها الأحمق ! لم تحترم التكنولوجيا أبداً . وأنت السبب فى كل هذا الخراب . لم تعرف أبداً أن رسائل البريد الإلكترونى التى كنت ترسلها إلى ليبرمان يمكن أن يتم الاحتفاظ بنسخة منها ، حتى ولو ألغيتها لاحقاً . لقد كنت دائماً مهووساً بشأن المال ، وكنت تحتفظ بمجموعتك الخاصة من المكتب التى توثق أرباح صفقاتك التجارية بشأن ما يقوم به ليبرمان ، وكذلك خسائر أعدائك . وكانت كلها مدفونة فى المخزن ، أيها الأحمق " . تعجب رووى ثانيةً ، ونظر إلى سيدنى قائلاً : " لم أرغب أبداً فى أن يحدث أى شىء لزوجتك أرجوك صدقينى " .

بدأت سيدنى فى الحديث : " إذا تعاونت مع الشرطة يا كونتين ــ " .

قاطعها كونتين بضحكة أطاحت بآمالها تماماً ، وذهب إلى الحاسب المحمول ووضع به القرص وقال : " أنا الآن رئيس شركة تريتن جلوبال ولقد حصلت على الميزة الوحيدة التى ستمكننى من أن أحقق مستقبلاً أفضل لنا جميعاً . ولست أعتزم أن أستكمل هذا الحلم داخل زنزانة السجن " .

" كونتين ... ؟ " ، تجمدت سيدنى حين استدار إلى كينيث سكاليز .

" افعلها سريعاً ، لا تجعلها تتألم . إننى أعنى هذا " . ثم أومأ فى اتجاه جامبل وقال : " تذهب الجثث إلى المحيط ، عند أبعد مسافة ممكنة . سيكون اختفاء فى ظروف غامضة . وفى غضون ستة أشهر لن يتذكر أحد " . قال هذا لجامبل ولمعت عيناه حينما فكر بهذا الأمر .

تم اقتياد جامبل ببطء ، وهو يقاوم بقوة ويسب ويلعن .

صرخت سيدنى حينما اقترب منها سكاليز : " كونتين ! " ، ولم يستدر رووى كوينتين إليها .

" كونتين أرجوك من فضلك ! " ، نظر إليها أخيراً وقال : " سيدنى ، إننى آسف ، أنا فى غاية الأسف حقيقة " . ثم أمسك بالقرص وهَم بمغادرة الحجرة ، وبينما هو يمر بها ربت بحنان على كتفها .

تخدر جسدها وعقلها ، وسقط رأسها على صدرها ، وحينما نظرت لأعلى مرة أخرى ، كانت العيون الزرقاء الباردة تنظر إليها ، وكان الوجه خالياً تماماً من الأحاسيس . نظرت سيدنى حولها . كان الجميع فى الحجرة يترقبون حركات سكاليز المدروسة ، ينتظرون ليروا كيف سيقتلها . صرت سيدنى بأسنانها وتراجعت إلى الخلف حتى أصبحت ملاصقة للحائط . وأغلقت عينيها وبذلت قصارى جهدها أن تبقى صورة ابنتها فى مخيلتها . كانت آمى فى أمان ، ووالدها فى أمان . وتحت هذه الظروف كان هذا أفضل ما تستطيع أن تقوم به . وداعاً يا حبيبتى فأمك تحبك . انهمرت الدموع من عينيها على وجهها . أرجوك لا تنسى أمك . أرجوك يا آمى .

رفع سكاليز السكين واحتفظ بالابتسامة المرتسمة على وجهه وهو ينظر إلى النصل اللامع ، انعكس ضوء ما على النصل أحال المعدن إلى اللون الأحمر ، ذلك اللون الذى كانت عليه فى عدة مرات فى الماضى . انحسرت الابتسامة عن وجه سكاليز . وحينما نظر إلى مصدر هذا الضوء الملون ، رأى نقطة حمراء من أشعة الليزر على صدره . فهناك وميض يكاد يُرى وكأن قلم رصاص رفيع ، القلم ينبعث من النقطة .

تراجع سكاليز وتسمرت عيناه على لى سوير الذى كان يصوب عليه بندقية هجوم مزودة بتلسكوب من الليزر . نظرت مجموعة المرتزقة باندهاش إلى الأسلحة المصوبة إليهم من سوير وجاكسون وفريق إنقاذ الرهائن والفرقة العسكرية من شرطة ماين . صاح سوير وأحكم قبضته على البندقية وقال : " ألقوا بأسلحتكم أيها السادة ، وإلا سنفجر رءوسكم وترونها متناثرة على الأرض " .

خطى سوير بضع خطوات أخرى داخل الغرفة وقال : " ضعوا أسلحتكم ! الآن ! " . وكان إصبعه قريباً من الزناد . بدأ الرجال يضعون أسلحتهم . ومن طرف عينيه تمكن سوير من رؤية كونتين رووى يحاول الاختفاء بحذر . وجه سوير فى اتجاه الرجل وقال : " لا تفكر فى هذا يا سيد رووى . اجلس ! " .

تملك الخوف الشديد كونتين رووى فجلس على المقعد وكانت حافة المكتب تلامس صدره . نظر سوير إليه وقال : " لننه الموضوع " . توجه سوير إلى سيدنى . فى هذه اللحظة خرجت طلقة وسقط أحد عملاء المباحث الفيدرالية . بدأ تبادل إطلاق النار حيث استغل رجال رووى الفرصة لالتقاط أسلحتهم وفتح النيران ، وأسرع رجال الشرطة للبحث عن ساتر يحميهم وأطلقوا عليهم النيران . كانت أفواه المسدسات تومض بشدة فى أرجاء الغرفة فى لحظة واحدة من أكثر من اثنى عشر موقعاً . وقد استغرق الأمر مجرد ثوان لإطلاق النار على كل مصباح بالغرفة من كلا الجانبين حتى انغمست الغرفة فى ظلام دامس .

ألقت سيدنى بنفسها على الأرض حينما أحاطها الرصاص من كل جانب ووضعت يديها على أذنيها حيث كانت الطلقات تصدر صوت أزيز فوق رأسها .

جثا سوير على ركبتيه وتوجه ناحية سيدنى . ومن الجانب الآخر زحف سكاليز على بطنه على الأرض ناحيتها وقد أمسك بسكينة بين أسنانه . وصل سوير إليها أولاً وأمسكها من يدها ليجذبها إلى مكان آمن . صرخت سيدنى حينما رأت نصل سكين سكاليز يلمع فى الهواء . لوى سوير ذراعه وتلقى الضربة ، قطع السكين المعطف السميك وأصاب ذراعه ، فصرخ من شدة الألم وركل سكاليز ركلة جعلته يفقد صوابه ويسقط على الأرض . قفز سكاليز على عميل المباحث الفيدرالية وضربه فى صدره مرتين . علق نصل السكين فى درع سوير الواقى وفقد نهائياً . وجه سوير لكمة قوية بقبضته الضخمة إلى فم سكاليز بينما ضربته سيدنى بمرفقها فى مؤخرة رقبته . مال الرجل من شدة الألم حيث أصيب فمه وأنفه بجروح إضافية علاوة على ما كان بهما .

ثار سكاليز من شدة الغضب فألقى بسيدنى فانزلقت على الأرض واصطدمت بجدار . وأخذ يوجه اللكمات المتتالية إلى وجه سوير . ثم رفع السكين وكان هدفه منتصف جبهة عميل المباحث الفيدرالية العريضة . قبض سوير على معصم سكاليز وارتفع ببطء إلى أعلى . شعر سكاليز بالقوة المدهشة فى جسم سوير الضخم والتى لم تكن قوة جسمه تضاهيها أبداً . لقد كان سكاليز معتاداً على ألا يقاومه أحد من الضحايا الذين كان يقتلهم من قبل وقد لاحظ فجأة أنه يواجه قوة تشبه قوة القرش الأبيض الضخم . أخذ سوير يضرب بيد سكاليز على الأرض إلى أن أطاح بالسكين فى الظلام . تراجع سوير للخلف ثم اندفع بقوة وسدد لكمة قوية إلى وجه سكاليز أطاحت به إلى الخلف فى الغرفة صارخاً من شدة الألم وقد تحرك أنفه ناحية خده الأيسر .

كان راى جاكسون فى أحد أركان الغرفة يتبادل النيران مع اثنين من المرتزقة . وتوجه ثلاثة من أعضاء فريق إنقاذ الرهائن إلى إحدى الشرفات . وبسبب هذا التكتيك البارع تمكنوا من التصويت الجيد سريعاً . ومات اثنان من المرتزقة بالفعل . وكاد آخر يموت متأثراً بجرح نتيجة لرصاصة أصابت ساقه فى الشريان الفخذى . وقد أصيب اثنان من شرطة الولاية أحدهما إصابته خطيرة . وأصيب أيضاً اثنان من فريق إنقاذ الرهائن ولكن مازالا مشتركين فى تلك المعركة .

توقف جاكسون عن إعادة ملء مسدسه ونظر حول الغرفة ورأى سكاليز يقف على قدميه ، ورفع سكينه واندفع بقوة ناحية ظهر لى سوير العريض حيث كان يحاول عميل المباحث الفيدرالية أن يجذب سيدنى ثانية إلى مكان آمن .

لم يكن هناك وقت ليقوم جاكسون بإعادة ملء بندقيته ، كما أن مسدسه الـ ٩ ميللى كان فارغاً ، ولم يكن معه ذخيرة . وإذا حاول أن يصرخ ؛ لم يكن سوير ليستطيع أن يسمعه بسبب النيران الكثيفة ، فقفز عالياً . وبما أنه كان أحد اللاعبين اللامعين فى فريق كرة القدم فى جامعة ميتشجان ؛ فقد كان معتاداً على الجرى بسرعة فى الملاعب ، والآن كان على وشك القيام بقفزة عمره . أسرع جاكسون وكانت الطلقات تنطلق فى كل مكان وأخذ يعدو بأقصى سرعة .

كان سكاليز يتمتع بعظام وعضلات قوية ، إلا أن وزنه كان أقل من وزن عميل المباحث الفيدرالية بخمسين رطلاً . وعلى الرغم من أنه كان شخصاً فى غاية الخطورة ، إلا أن كينيث سكاليز لم يجرب مطلقاً القوة العنيفة التى يتمتع بها عميل المباحث الفيدرالية لاعب الكرة السابق .

كان نصل سكين سكاليز يبعد عن ظهر سوير بأقل من بوصة حينما اصطدم كتف جاكسون الصلب بعظام صدره ، وسُمع تقريباً صوت الكسر الذى لحق بصدر سكاليز على الرغم من صوت معركة النيران . رُفع جسد سكاليز من على الأرض ولم يتوقف عن الحركة إلى أن ألقى به بعنف على جدار من خشب البلوط الصلب يبعد حوالى أربع أقدام فاصطدم به . جاء الكسر الثانى ، بالرغم من أن صوته لم يكن عالياً كالأول ، معلناً خروج كينيث سكاليز من عالم الأحياء حيث كُسرت عنقه إلى نصفين ، وحين ارتطم بالأرض واستقر على ظهره ، كانت هذه آخر حركة له وحدق لأعلى بعينى شخص ميت .

دفع جاكسون ثمن أعماله البطولية ، حيث أصيب برصاصة فى ذراعه وأخرى فى ساقه قبل أن يتمكن سوير من إطلاق وابل من الرصاص من مسدسه العشرة مللى على الشخص الذى أطلق النار على جاكسون ، ثم قبض على ذراع سيدنى ودفع بها إلى زاوية خلف منضدة ثقيلة قلبها على جنبها ، ثم أسرع إلى جاكسون الذى سقط بجوار الجدار متنفساً بصعوبة وأخذ يجذبه إلى مكان آمن . أُطلقت رصاصة على الجدار بعيداً عن رأس سوير ببوصة واحدة ، بينما أصابته رصاصة أخرى فى قفصه الصدرى . سقط مسدسه من يده وزحف على الأرض إلى أن سقط عند الجدار ، وأخذ يسعل سعالاً به دم . قامت الدرع الواقية التى يرتديها بوظيفتها ثانيةً ، ولكنه سمع صوت انكسار بعض أضلعه عند إصابته . أخذ يجذب نفسه لينهض إلا أنه لم يستطع هذه المرة .

فجأة خرج وابل من الرصاص بالقرب من المنضدة المقلوبة ، وسُمع صوت صرخة مفاجأة من الاتجاه الذى صُوبت منه الرصاصة التى أصابت سوير . نظر سوير إلى المنضدة واتسعت عيناه فى

اندهاش حيث رأى سيدنى آرتشر تضع المسدس العشرة مللى الذى مازال يتصاعد منه الدخان فى حزامها . وأسرعت من خلف المنضدة وقامت مع سوير بجذب جاكسون إلى خلف المنضدة وأجلسا جاكسون مستنداً على الجدار .

فحص سوير زميله سريعاً ليتأكد من أن هناك جرحين فقط وليس أكثر وقال : " اللعنة يا راى ، كان يجب ألا تفعل ذلك يا رجل " .

" صحيح ، وأتركك تلعنى من قبرك لباقى سنوات عمرى ؟ لا فائدة يا لى " . عض جاكسون شفته بقوة حين مزق سوير رابطة عنقه واستخدم نصل سكين سكاليز ليعقد رابطة العنق بقوة فوق الجرح الذى أصاب ساق جاكسون .

أمسك سوير بيد جاكسون وأخذ يتحسس مقبض السكين ضاغطاً بأصابعه عليها بقوة وقال : " لا تحرك يدك يا راى " .

شق سوير معطفه بعد ذلك وكوّره وأزال الدماء من على الجرح الذى فى ذراع جاكسون وقال : " الرصاصة ستخرج يا راى . ستكون على ما يرام " .

" أعلم ، وأشعر بخروجها " . تصبب العرق من جبهة جاكسون وقال " لقد أصبت أنت برصاصة أيضاً ، أليس كذلك ؟ " .

" لا ، إنها لم تخترق الدرع الواقية . إننى بخير " . وحينما جلس سوير بدأت ذراعه تنزف بشدة من جديد .

حدقت سيدنى إلى تدفق الدم وقالت : " يا إلهى يا لى ، ذراعك " .

خلعت سيدنى كوفيتها ولفتها حول ذراع سوير المصابة .

نظر سوير إليها وقال : " أشكرك ولست أتكلم عن الكوفية " .

استندت سيدنى على الجدار وقالت : " حمداً لله أننا تمكنا من معاونة بعضنا البعض . لقد أتحفت جامبل باستنتاجاتى الذكية لأمنحكم بعض الوقت . ومع ذلك ، لم أكن أعتقد أن ذلك سيكون كافياً " .

جلس سوير إلى جوارها وقال : " لقد فقدنا الإشارة من الهاتف الجوال لدقيقتين . وحمداً لله على أننا استعدناها مرة أخرى " . اعتدل فى جلسته فجأة مما زاد من شعوره بالألم فى أضلعه المكسورة ونظر إلى وجهها المتورم من الضرب قائلاً : " إنك بخير ، أليس كذلك ؟ يا إلهى ، لم أفكر حتى فى الاطمئنان عليك " .

دلكت سيدنى بحذر فكها المتورم قائلة : " لن يجدى استخدام أدوات التجميل لإخفاء ذلك " . ثم لمست خده المتورم وقالت : " ماذا عنك ؟ " .

انتابت سوير هزة عنيفة مفاجئة وقال : " يا إلهى ! آمى ؟ والدتك ؟ " ، فشرحت له سريعاً موضوع التسجيل الصوتى .

زمجر سوير قائلاً : " الأوغاد " .

نظرت إليه سيدنى بلهفة وكآبة : " إننى لست متأكدة عما كان سيحدث إذا لم أرد على جهاز الاستدعاء الخاص بك " . ابتسم قائلاً : " المهم أنك فعلت . إننى سعيد أنى حصلت على إحدى بطاقات العمل الخاصة بك ، ربما يكون لهذه التقنية المتطورة استخداماتها " .

فى زاوية أخرى من الغرفة تكوّر كونتين رووى خلف المكتب وقد أغمض عينيه ووضع يديه على أذنيه محاولاً تجنب الأصوات المتفجرة حوله فى كل مكان . ولم يلحظ الرجل الذى أتى من خلفه حتى اللحظة الأخيرة وقد جذب شعره المعقود كذيل الحصان بعنف

إلى الخلف رافعاً ذقنه ليرتفع لأعلى وأعلى ، ثم لوت يدا الرجل رأس رووى وقبل أن يسمع صوت طرقعة عموده الفقرى كان يحدق إلى ملامح ناثان جامبل التى تميزت بالعبوس والشر .

ترك رئيس شركة تريتن جسد الرجل فسقط رووى على الأرض قتيلاً . انتزع جامبل الحاسب المحمول من على المكتب وسحقه بقوة على جثة رووى حتى انشطر إلى نصفين .

انتظر جامبل عند جثة رووى للحظة أخرى ثم استدار ليهرب . فأصابته طلقات مباشرةً فى صدره . نظر بعينين متسعتين إلى قاتله غير مصدق وظهرت علامات الغضب على ملامحه . تمكن جامبل من الإمساك بكُم الرجل للحظة قبل أن يسقط على الأرض .

أخذ القاتل القرص من حيث سقط بجوار جثة كونتين رووى وخرج مسرعاً .

سقط رووى على جنبه ثم استقرت جثته ثانية على ظهره وقد التفت برأسه ناحية جامبل ، ومن المفارقات العجيبة ، أنه وجامبل كانا يبعدان عن بعضهما ببضع بوصات فقط ، وأكثر قرباً مما كانا عليه الرجلان طوال حياتهما .

رفع سوير رأسه فوق المنضدة لبعض بوصات وتفحص الغرفة . أسقطت مجموعة المرتزقة المتبقية أسلحتهم وخرجوا من مخابئهم رافعين أيديهم . تقدم فريق إنقاذ الرهائن وفى لحظة كان الرجال ملقين على الأرض والأصفاد بأيديهم . لاحظ سوير جثتى كل من رووى وجامبل . ولكن خارج الأبواب الفرنسية سمع وقع أقدام تجرى ، فالتفت إلى سيدنى وقال : " اعتنى براى ، فالعرض لم ينته بعد " ، ثم اندفع مسرعاً خارج الغرفة .

الفصل الثامن والخمسون

هاجمت الرياح والثلج ورذاذ المحيط لى سوير بينما كان يجرى على الرمل . كان وجهه دامياً ومتورماً ، وذراعه المجروحة وضلوعه تئن من شدة الألم القاتل الذى كان يشعر به ، وكانت أنفاسه متقطعة . استغرق سوير دقيقة لخلع الدرع الواقية الثقيلة عن جسمه ثم ضغط بيده بقوة على ضلوعه المكسورة ليعيدها إلى مكانها . التوت قدماه ولفت تحته على السطح الرخو فسقط . تعثر وسقط مرتين . ولكنه ظن أن الشخص الذى كان يريد هو اللحاق به لديه نفس المشكلة . وكان سوير لديه مصباح ضوئى ولكنه لم يرغب فى استخدامه ، ليس بعد على الأقل . جرى مرتين فى المياه الباردة جداً حيث شرد واقترب من حدود المحيط الأطلنطى ذى الأمواج

العاتية . أبقى سوير عينيه مباشرة لأسفل متتبعاً آثار الأقدام العميقة فى الرمل .

واجهت سوير صخرة ضخمة بارزة عن سطح الأرض ، وكانت من ضمن كثير من الصخور التى تنتشر على شاطئ ماين . أخذ يفكر للحظة كيف يتخطى ذلك الحاجز إلى أن رأى ممراً متعرجاً يقطع منتصف هيكل الجبل المصّغر . صعد عليه جاذباً مسدساً فى نفس اللحظة . ضربت سوير موجات من رذاذ المحيط حيث كانت تضرب المياه الصخور العتيقة بقوة وعنف . التصقت ملابسه على جسده كالبلاستيك . مازال يتقدم ، وأخذ يلهث حيث كان يصارع الممر الذى أصبح عمودياً أكثر وأكثر . ونظر إلى المحيط للحظة ، كان أسود وليس له نهاية . ثم التفت ومال قليلاً ليرى الممر ، ثم توقف . أضاء مصباحه إلى الأمام حتى الحد الأخير للجرف قبل أن ينتهى باستقامة لأسفل إلى المحيط الأطلنطى البعيد .

أظهر النور الرجل الذى حدق بعينين شبه مغمضتين ورفع يده ليحجز النور المفاجئ عن عينيه . التقط سوير أنفاسه ، وكذلك فعل الرجل الآخر نفس الشىء بعد المطاردة الطويلة . وضع سوير يده على ركبته ليثبت نفسه حيث كان مثنياً للأمام وقد ارتفعت أمعاؤه . جاء صوت سوير به إنذار ولكن كان واضحاً وسأل الرجل : " ماذا تفعل هنا ؟ "

حدق فرانك هاردى إليه . كانت أنفاسه متلاحقة وتخرج من رئة متعبة . وكان مثل سوير ؛ ملابسه مبللة ومتسخة وشعره مشعث بسبب الرياح .

قال هاردى : " سوير ؟ أهذا أنت ؟ " .

تكلم سوير بصوت به أزيز وقال : " من المؤكد أننى لست بابا نويل يا فرانك ، أجب عن سؤالى " .

أخذ هاردى نفساً عميقاً أخيراً وقال : " لقد حضرت مع جامبل لحضور اجتماع . وفى منتصف الاجتماع بالضبط أخبرنى أن أصعد لأعلى لأن لديه بعض الأعمال الشخصية التى يريد القيام بها . والشىء التالى الذى عرفته أن كل شىء قد انهار وتحطم . خرجت من هناك بأسرع ما أستطيع . هل تمانع إذا ما أخبرتنى ماذا يحدث ؟ "

هز سوير رأسه بإعجاب وقال : " دائماً ما تستطيع التفكير سريعاً . وهذا ما جعلك أحد أعظم رجال المباحث الفيدرالية . بالمناسبة هل قتلت جامبل ورووى ، أم أن جامبل قد أقنعك بقتل رووى ؟ "

نظر إليه هاردى بعبوس وقد ضاقت عيناه .

" أخرج مسدسك يا فرانك وألق به من على الجرف " .

" أى مسدس يا لى ؟ إننى لست مسلحاً " .

" المسدس الذى استخدمته لقتل أحد رجالى وبدأت به تلك المعركة الصغيرة لتبادل النيران هناك " . صمت سوير قليلاً وأحكم قبضته على مسدسه ثم قال : " لن أقول لك ذلك ثانية يا فرانك " .

أخرج هاردى المسدس ببطء وألقى به من على الجرف .

أخرج سوير سيجارة من جيبه وأمسك بها بين أسنانه . ثم أخرج ولاعة ورفعها قائلاً : " ألم تر واحدة كهذه من قبل يا فرانك ؟ مثل هذا النوع يظل مشتعلاً حتى لو كان هناك إعصار . إنها كتلك التى استخدموها لتفجير الطائرة " .

قال هاردى بغضب : " إننى لا أعلم شيئاً عن تفجير الطائرة " .

توقف سوير عن الكلام ليشعل سيجارته ثم أخذ نفساً عميقاً وقال : " إنك لم تعلم أى شىء عن تفجير الطائرة . ذلك صحيح ،

ولكنك كنت تعلم كل شىء آخر . فى الواقع ، إننى أراهن أنك قدمت لـ " ناثان جامبل " جائزة صغيرة . هل حصلت على شىء من الربع مليار الذى اتهمت جاسون بسرقته ؟ لقد زورت توقيعه وكل شىء آخر . عمل رائع " .

" إنك مجنون ! لماذا يسرق جامبل نفسه ؟ "

" إنه لم يفعل . قد تكون تلك الأموال منتشرة فى مئات الحسابات المختلفة التى لديه فى العالم بأسره . إنه غطاء ممتاز . مَن الذى سيشك فى الرجل الذى ظنوه قد سرقت منه كل تلك الأموال ؟ إننى متأكد من أن كونتين رووى قد تلاعب بنموذج بنك ترست وكذلك اقتحم قاعدة بيانات مكتب البصمات فى فيرجينيا ليعبث ببصمات ريكر . وكان جاسون آرتشر لديه الدليل على خطة الابتزاز التى دبرها لليبرمان وكان عليه أن يخبر أحداً . من ؟ ريتشارد لوكاس ؟ ألا تعتقد ذلك إنه كان رجل جامبل المخلص . رجل المهام الداخلية " .

كانت عينا هاردى الآن محدقة تمامًا وتساءل : " إذن قال لمن ؟ "

أخذ سوير نفساً عميقاً من سيجارته قبل أن يجيب قائلاً : " لقد قال لك أنت يا فرانك " .

قال هاردى باشمئزاز : " صحيح ؟ أثبت ذلك " .

" لقد ذهب إليك يا رجل المهام الخارجية . رجل المباحث الفيدرالية السابق صاحب قائمة الأعمال العظيمة والطويلة مثل ذراعه " . نطق سوير هذه الجملة الأخيرة قائلاً باستياء : " لقد لجأ إليك لتساعده على فضح المؤامرة . ولكنك لم تجعل ذلك يحدث ، لأن تريتن جلوبال هى الدجاجة التى تبيض لك ذهباً . لقد وفرت

لك طائرات خاصة ، ونساء حسناوات وملابس أنيقة ، لهذا لم يكن أمامك خيار ، أليس كذلك ؟ " .

استكمل سوير حديثه : " إنكم جميعاً خدعتمونى ، وقدمتم لى جاسون على أنه الرجل الشرير . وأخذتم تفكرون كيف تستقطبونى واعتقدتم أنكم نجحتم فى مهمتكم ، ولكن عندما اكتشفتم أننى لا آبه بكم تملككم الغيظ . هل كانت فكرتك أن يعرض علىّ جامبل وظيفة . لم أظن مطلقاً أن الأمر كان معروفاً بينك وبينه " . بقى هاردى صامتاً . وأضاف سوير : " لكن لم يكن ذلك دورك الوحيد يا فرانك " .

أدخل سوير يده داخل جيبه وأخرج زوجاً من النظارات الشمسية ووضعهما . كان الأمر يبدو مدعاة للسخرية فى ذلك الظلام

" أتذكر هذه يا فرانك ؟ الرجلان فى شريط الفيديو فى المخزن فى سياتل ؟ كانا يرتديان نظارات شمسية فى الداخل ، فى حجرة مظلمة تقريباً . لماذا سيفعل أى شخص ذلك ؟ " .

جاء صوت هاردى كالهمس الآن : " لا أدرى " .

" من المؤكد أنك تعلم . إن جاسون كان يظن أنه يسلم الإثبات الذى لديه إلى .... المباحث الفيدرالية . فى الأفلام ـ على الأقل ـ جميع عملاء المباحث الفيدرالية يرتدون نظارات شمسية ، والرجال الذين استأجرتهم ليلعبوا دور عملاء المباحث الفيدرالية من المؤكد أنهم كانوا يحبون الذهاب إلى السينما . لم تستطع قتل جاسون . كان يجب أن تكسب ثقته ، وتتأكد من أنه لم يخبر أى شخص . وكانت الأولوية العظمى أن تستعيد جميع الأدلة المادية التى لديه . وكان لابد أن يكون شريط الفيديو الذى تم تسجيل عملية التبادل عليه أن يكون على حاله كما لو كان جديداً لأنك كنت تعلم أنك ستعطيه لنا كدليل على ارتكاب جاسون لتلك الجريمة . ولولا شىء

واحد لكان كل شىء على ما يرام . ولكن ظل جاسون مرتاباً ، وذلك هو السبب الذى جعله يحتفظ بنسخة من المعلومات التى حصل عليها على قرص آخر وقد أرسله إلى زوجته فيما بعد . هل أخبرته بأنه سيحصل على مكافأة كبيرة من الحكومة ؟ أليس كذلك ؟ وربما أخبرته أن ذلك أكبر عملية تقوم بها المباحث الفيدرالية " .

ظل هاردى صامتاً .

نظر سوير إلى زميله القديم وقال : " ولكنك لم تكن تعرف يا فرانك أن جامبل كانت لديه مشكلته الكبرى . وهى أن آرثر ليبرمان كان قد أوشك على إفشاء السر والبوح به . ولذلك قام جامبل باستئجار ريكر لتفجير الطائرة التى كان ليبرمان على متنها . إننى متأكد من أنك لم تكن تعرف هذا الجزء من الخطة . وانصعت لأوامر جامبل فى أن ترتب لحجز تذكرة لآرتشر فى الرحلة المتجهة إلى لوس أنجلوس ، ثم تجعله يجرى تغييراً ويركب الطائرة المتجهة إلى سياتل بدلاً من ذلك ، حتى يمكنك تسجيل عملية التبادل على شريط للفيديو . أما ريتشارد لوكاس فهو عميل سابق فى المخابرات المركزية العامة ، وربما كانت تربطه علاقات مع عملاء سريين سابقين من أوروبا الشرقية ، ليس لديهم عائلات ولا ماض ، لذلك كان متأكداً من أنه لا يسأل أحد عن الرجل الذى حل محلَّ آرتشر لم يكن لديك فكرة أن ليبرمان كان على الرحلة المتجهة إلى لوس أنجلوس ، أو أن جامبل كان سيقتله . لكن جامبل كان يعرف أن الطريقة الوحيدة هى إلقاء اللوم فى مقتل ليبرمان على آرتشر وبهذه الطريقة ضرب جامبل عصفورين بحجر واحد : آرتشر وليبرمان . ولقد أحضرت لى شريط الفيديو وحولت أنا كل جهودى للقبض على جاسون ونسيت كل ما يخص المسكين العجوز آرثر ليبرمان . ولولا

إدوارد بيدج الذى ظهر فى الصورة ، لا أعتقد أننى كنت سألتقط خيط ليبرمان ثانيةً " .

" ولا ننس شركة آر . تى . جى ، والتى ألقى عليها اللوم فى كل شىء ، بينما حصلت تريتن على صفقة سيبركوم . لقد أخبرتك بأن بروفى كان فى نيو أورليانز . وقد علمت أنت أنه يتصل فعلاً بشركة آر . تى . جى . وأنهم ربما يقومون فعلاً بتنفيذ ما اتهمت جاسون به أى أنه يعمل مع شركة آر . تى . جى . ولذلك أرسلت من يتبع بروفى ، وجولدمان ، وحينما حانت الفرصة قتلتهما معاً وجعلت سيدنى آرتشر تُتهم بقتلهما . ولِمَ لا ؟ فقد فعلت نفس الشىء بالفعل مع زوجها " . توقف سوير عن الكلام ثم استطرد قائلاً : " إنها مرحلة انتقال من حال إلى حال لعينة يا فرانك ؛ من عميل بالمباحث الفيدرالية إلى التورط فى جريمة خيانة عظمى . ربما يجب أن آخذك فى زيارة إلى موقع تحطم الطائرة . هل تريد أن تفعل ذلك ؟ " .

تكلم هاردى بصوت مرتفع : " ليس لى أية صلة بحادث تفجير الطائرة ، أقسم بذلك " .

" أعلم ، ولكنك كنت متورطاً بطريقة غير مباشرة " ، خلع سوير نظارته الشمسية وقال : " لقد قتلت الشخص الذى قام بتفجيرها " .

لمعت عينا هاردى وهو ينظر إليه وقال : " هل ستهتم بإثبات ذلك ؟ " .

" لقد أخبرتنى يا فرانك بينما كنا فى الجراج حينما كان يتم فحص جثتى جولدمان وبروفى . كان المكان شديد البرودة ومتجمداً . لقد كنت مهتماً بعملية تحلل الجثث ، حيث إن درجة التجمد هذه قد تجعل تأكيد وقت الوفاة مستحيلاً . هل تذكرت ما

قلته يا فرانك ؟ إنك قلت إنها نفس المشكلة التى تعرض لها مفجر الطائرة . وأن مكيف الهواء قد جعل الشقة شديدة البرودة مثلما كانت درجة الحرارة الخارجية فى الجراج " .

" إذن ؟ "

" إننى لم أخبرك قط بأن مكيف الهواء كان مفتوحاً فى شقة ريكر . فى الواقع ، لقد أرجعت درجة الحرارة إلى صورتها الطبيعية بعدما عثرنا على الجثة . ولم يُذكر مطلقاً أن مكيف الهواء كان يعمل فى أى من تقارير المكتب ـ والتى لم تكن على دراية بها على أية حال " . تحول وجه هاردى إلى اللون الأسود ، وأضاف سوير : " لقد عرفت يا فرانك ، لأنك أنت الذى أدرت مكيف الهواء وحينما عرفت بأمر تفجير الطائرة ، علمت أن جامبل قد استغلك . اللعنة ، ربما قد خططوا لقتل ريكر من البداية . ولكن كنت على استعداد لنيل هذا الشرف . لم يخطر على بالى هذا إلى أن ركبت سيارة شرطة أوصلتنى إلى هنا " .

تحرك سوير للأمام وقال : " اثنتا عشرة طلقة يا فرانك . أعترف بأن ذلك قد أصابنى بالحيرة . إنك كنت غاضباً للغاية مما فعله الرجل حتى انتابتك نوبة من الغضب الشديد ، فأفرغت خزانة المسدس بالكامل فيه . أعتقد أنه مازال لديك شىء باقٍ بداخلك من كونك كنت شرطياً . ولكن الأمر انتهى الآن " .

ازدرد هاردى لعابه بصعوبة ، وجاهد ليبقى متحكماً فى أعصابه وقال : " اسمع يا لى ، إن كل من يعرف بتورطى فى ذلك الموضوع قد مات " .

" ماذا عن جاسون آرتشر " .

ضحك هاردى : " كان جاسون آرتشر أحمق . لقد أراد المال ، مثلنا جميعاً . ولم يكن يتمتع بأعصاب قوية مثلك ومثلى . ظل يحلم

أحلاماً مفزعة " . تسلل هاردى للأمام وقال : " إنك يجب أن تنظر إلى الجانب الآخر يا لى . هذا كل ما أهتم به . ستبدأ العمل فى شركتى الشهر القادم . مليون دولار سنوياً ، بجانب الحصول على خيارات للحصول على أسهم ، ستكون مؤهلاً لعيش حياة كريمة " .

ألقى سوير بسيجارته بعيداً وقال : " دعنى أوضح لك أمراً يا فرانك . إننى لا أحب أن أطلب طعامى بلغة أجنبية ، وكذلك لا أحب الحصول على أسهم " . رفع سوير مسدسه وقال : " أين تذهب ؟ الخيار الوحيد سيكون لأعلى أو لأسفل " .

زمجر هاردى قائلاً : " ليس بواسطة رصاصة منك أيها الرجل العجوز " . أخرج القرص من جيبه وقال : " تريد هذا ، إذن ضع مسدسك جانباً " .

" إنك تمزح معى ـــــ " .

صرخ هاردى : " ضعه جانباً ، أو سألقى بقضيتك بالكامل إلى المحيط . دعنى أذهب ، سأرسله لك بالبريد من أى مكان غير معروف " .

ابتسم هاردى حينما بدأ مسدس سوير ينخفض . وعندما حدق سوير إلى ملامحه الباسمة أعاد فجأة المسدس إلى وضعه الأول ، وقال : " أولاً ، أريد إجابة عن سؤال واحد ، وأردها الآن " .

" ما هى ؟ " .

تحرك سوير للأمام وأحكم قبضته على الزناد ثم قال : " ماذا حدث لجاسون آرتشر ؟ " .

" اسمع يا لى ، ماذا يهم ـــ ؟ " .

صرخ سوير وكان صوته أعلى من صوت الأمواج المتلاطمة وتساءل : " أين جاسون آرتشر ؟ لأن هذا ما تريد أن تعرفه السيدة بالضبط ، وإنك سوف تخبرنى يا فرانك ، بالمناسبة يمكنك أن تلقى

بذلك القرص إلى أبعد مكان تريده . فريتشارد لوكاس مازال حياً " . وقد كذب سوير عليه ، فقد رأى لوكاس ميتاً فى وسط ميدان المعركة التى تحولت إليها ردهة الفندق . وأصبح الحارس الصامت الآن صامتاً للأبد . " أتريد أن تراهن على مدى حرصه على الوشاية برفاقه ؟ " .

تجمد وجه هاردى وأصبح كالصخرة حينما لاحظ أن خياره الوحيد للخروج مما هو فيه قد تبخر وقال : " خذنى إلى المنزل ثانيةً يا لى . أريد الاتصال بالمحامى الخاص بى " . تقدم هاردى للأمام وتوقف فجأة حينما اتخذ سوير وضع الاستعداد لإطلاق النار .

" الآن يا فرانك ، أخبرنى حالاً " .

" اذهب للجحيم ! اقرأ علىّ حقوقى إذا أردت ، ولكن أغرب عن وجهى اللعين " .

كان رد سوير أن حوّل مسدسه قليلاً إلى اليسار وأطلق طلقة . صرخ هاردى فقد أزالت الطلقة الجلد والجزء العلوى من أذنه اليمنى . سال الدم على جانب وجهه وسقط على الأرض ثم قال : " هل جننت ؟ " . كان سوير يصوب مسدسه الآن إلى رأس هاردى مباشرة وقال له : " سأجعلك تفقد شارتك ومعاشك ، وسيُزج بك إلى السجن لسنوات أكثر من التى ستعيشها أيها اللعين " . صرخ هاردى : " ستخسر كل شيء " .

" لا ، لن أخسر شيئاً ، إنك لست الشخص الوحيد الذى يستطيع خداع الشرطة يا رجل المباحث القديم " . نظر هاردى بدهشة متزايدة حيث فتح سوير حقيبة المسدس الموجودة على حزامه وأخرج مسدساً آخر ١٠ مللى ، ورفعه ، إنهم سيجدونه وأنت قابض عليه بيدك . وسيكون هناك العديد من الطلقات التى أُطلقت منه ، والتى تكون الدليل على توافر نية القتل لديك " . أشار ناحية

المحيط الواسع . " من الصعب العثور على الطلقات هناك " . ورفع المسدس الآخر وقال : " لقد اعتدت أن تكون محققاً من الدرجة الأولى يا فرانك . عليك أن تستنتج الدور الذى سيلعبه هذا المسدس ؟ " .

" اللعنة ، يا لى ، لا ! " .

استكمل سوير بهدوء وقال : " سيكون ذلك هو المسدس الذى أستخدمه لقتلك " .

" يا إلهى ! يا لى " .

" أين آرتشر ؟ " .

" انتحب هاردى قائلاً : " أرجوك يا لى لا تفعل " .

حرك سوير فوهة المسدس حتى أصبح على بُعد بضع بوصات من رأس هاردى . وحينما غطى هاردى وجهه بيديه ، خطف سوير القرص من بين أصابعه المرتعشة ونظر إلى القرص ثم قال : " فكر فى الأمر ، لقد حصلت عليه الآن " . وضع سوير القرص فى جيبه وقال : " الوداع يا فرانك " . واقترب إصبعه من الزناد .

تلجلج هاردى للحظة ثم نظر إلى وجه سوير العابس وقال : " انتظر ، انتظر أرجوك ! سأخبرك ، سأخبرك " .

صرخ هاردى : " جاسون مات " .

فاجأت لى سوير تلك الكلمات القليلة وأصابته كاندفاع البرق السريع المفاجئ . وقد ارتخت كتفاه الضخمتان وشعر كأن آخر نسمة متبقية لديه قد فارقت جسمه ؛ كما لو كان قد مات . لقد كان متأكداً من هذه النتيجة تقريباً ، ولكنه كان يأمل فى حدوث معجزة وذلك من أجل سيدنى آرتشر وابنتها الصغيرة . شىء ما جعله يستدير وينظر خلفه .

كانت سيدنى تقف فى أعلى المر على بُعد خمس أقدام منه ، مبتلة وترتعش . التقت أعينهما تحت ضوء القمر الهادئ الذى ظهر فجأة خلال السماء الملبدة بالغيوم . لم يحتاجا للتكلم . لقد سمعت هى الحقيقة المزعجة وهى أن زوجها لن يرجع ثانيةً .

جاءت صرخة من عند الجرف . إن المسدس جاهز ، استدار سوير سريعاً حينما تحرك هاردى إلى الجرف . جرى سوير إلى الحافة فى الوقت المناسب ليرى صديقه القديم وسبب نقمته الحديثة يقفز من فوق الصخور الحادة إلى أسفل ويختفى فى الأمواج العاتية .

حدق سوير لأسفل إلى الهاوية ثم بقوة غاضبة ألقى بمسدسه إلى أبعد ما يستطيع فى المحيط . مزقت هذه الحركة أضلعه المصابة ، ولكنه لم يشعر بالألم . أغلق سوير عينيه ثم فتحهما ليحدق إلى أمواج المحيط الأطلنطى الثائرة . " اللعنة ! " . مال جسم سوير الضخم بتثاقل على الجنب حيث جاهد ليمنع أضلعه المكسورة من التحرك وأن تقوم رئتاه المنهكتان بوظائفهما . بدأ ذراعه المزقة ووجهه المتورم من الضرب ينزفان ثانيةً .

تماسك سوير حين شعر بألم ذراعه . فى مثل هذه الظروف لم يكن ليندهش إذا ما رأى سيدنى آرتشر تجرى بأسرع ما يمكنها من هذا المكان . من يستطيع لومها على ذلك ؟ ولكنها بدلاً من ذلك وضعت إحدى ذراعيها حول خصره وإحدى ذراعيه حول كتفها وساعدت عميل المباحث الفيدرالية المُصاب أن ينزل من هذا المكان .

الفصل التاسع والخمسون

تم تشييع جنازة جاسون آرتشر ليرقد فى سلام أخيراً فى يوم صافٍ من أيام شهر ديسمبر على هضبة صغيرة هادئة تبعد عن منزله المبنى بالطوب بعشرين دقيقة تقريباً . وأثناء مراسم الجنازة ، بقى سوير فى الخلفية حيث حضر أفراد العائلة والأصدقاء المقربون لتقديم العزاء مرة أخرى للأرملة الحزينة . بقى عميل المباحث الفيدرالية عند القبر بعدما انصرف الجميع . وبينما كان يحدق إلى شاهد القبر المحفور حديثاً ، أراح سوير جسمه الضخم على أحد الكراسى المطوية التى استُخدمت فى طقوس الدفن المختصرة والبسيطة . لقد شغل جاسون آرتشر كل دقيقة أثناء استيقاظ العميل لأكثر من شهر بالرغم من أنهما لم يتقابلا أبداً . ودائماً ما كان يحدث ذلك فى عمله ، بيد أنه فى هذه المرة كانت مشاعر العميل المخضرم مختلفة

للغاية . كان سوير يعلم أنه لم يكن بوسعه الحيلولة دون موت الرجل ، إلا إنه مازال يشعر بالحزن الدفين لخذلان زوجة الرجل وابنته الصغيرة ، وأن عائلة آرتشر قد تحطمت دون رجعة بسبب عدم قدرته للوصول إلى الحقيقة فى الوقت المناسب .

غطى سوير وجهه بيديه ، وعندما أزالهما بعد عدة دقائق كانت الدموع تتلألأ فى عينيه . لقد أنهى قضية حياته ، إلا أنه لم يشعر بمثل هذا الفشل من قبل . وقف ، ووضع قبعته ومشى ببطء ناحية سيارته ، ثم ثبت فى مكانه . كانت السيارة الليموزين السوداء الطويلة تقف عن حافة الرصيف ، لقد عادت ثانيةً . رأى سوير الوجه المُحدق من النافذة الخلفية للسيارة . كانت سيدنى تنظر إلى كومة التراب الموضوعة حديثاً على الأرض ، وأدارت رأسها فى اتجاه سوير حيث كان يقف هناك مرتعشاً ، غير قادر على الحركة وقلبه يدق بعنف ورئتاه تعلوان وتهبطان ، غير متمن أى شىء فى الدنيا سوى أن يكون قادراً على الوصول إلى تلك التربة الباردة وأن يعيد جاسون آرتشر إلى زوجته ثانية . انزلق الزجاج لأعلى ثانيةً حينما مشت السيارة الليموزين .

قاد لى سوير سيارته السيدان ببطء إلى مورجان لين فى الليلة التى تسبق ليلة عيد الميلاد . كانت المنازل على طول الشارع مزينة بالأنوار ، والأكاليل ، وبابا نويل . وبين مجموعة من المساكن كانت هناك مجموعة ممن يرددون أغانى الأعياد ويضحكون بمرح . كانت المنطقة بأسرها فى حالة احتفالية ما عدا منزلاً واحداً فقط ، والذى كان مظلماً إلا من ضوء واحد فى الغرفة الأمامية .

توقف سوير فى ممشى منزل عائلة آرتشر وخرج من سيارته . كان يرتدى حُلة جديدة . كانت خصلة شعره الأمامية مثبتة جيداً .

أخرج صندوق هدايا صغيراً من سيارته ومشى إلى المنزل ، وكانت مشيته جامدة قليلاً ولم تكن أضلعه قد برأت بعد .

فتحت سيدنى الباب حين دقه سوير . كانت ترتدى بنطلوناً أسود فضفاضاً وقميصاً أبيض ، وكان شعرها منسدلاً على كتفيها . لقد استردت بعضاً من وزنها ثانية ولكن لا تزال ملامحها متجهمة بالرغم من أن الجروح والكدمات قد شفيت .

جلسا فى غرفة المعيشة أمام المدفأة . قبل سوير عرضها لتناول شراب ونظر حول الغرفة حينما ذهبت لتحضره . وعلى المنضدة الجانبية كان هناك صندوق لأقراص الحاسب وفى أعلاه قوس أحمر . وضع سوير الصندوق الذى أحضره معه على المنضدة .

سألها حينما جلست أمامه : " أتذهبين إلى أى مكان لقضاء الإجازة ، على ما أتمنى ؟ " . أخذ كل منهما رشفة من الشراب الدافئ .

" إلى منزل والدىَّ . لقد أعدا المكان للاحتفال بالعيد ، أحضرا شجرة كبيرة وزينات . وسيرتدى والدى زى بابا نويل . وسيكون أخواى وعائلتهما هناك . سيكون ذلك جيداً لآمى " .

نظر سوير إلى صندوق الأقراص المرنة وقال : " أتمنى أن تكون هذه هدية " .

تبعت سيدنى نظرته وابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت : " إنها من جيف فيشر . لقد شكرنى على أكثر ليلة مثيرة قضاها فى حياته وقدم لى نصيحة مجانية فيما يتعلق بالحاسبات " . نظر سوير بعد ذلك إلى المنشفة الصغيرة المبللة التى أحضرتها سيدنى معها ووضعتها على المنضدة ، وقد حرك الهدية أمامها وقال : " أعطى هذه لآمى ، هل ستفعلين ؟ إنها منى ومن راى . لقد اختارتها زوجته . إنها دمية تقوم بعمل عدد من الحركات ، تعرفين ، إنها تتكلم ،

وتتبول ـــــ " ، صمت فجأة ، وبدا عليه الإحراج . وأخذ رشفة أخرى من الشراب . ابتسمت سيدنى قائلة : " شكراً جزيلاً يا لى . إنها ستعجبها . سأعطيها لها الآن إذا لم تكن نائمة " .

" من الأفضل فتح الهدايا فى العيد على أية حال " .

" كيف حال راى ؟ " .

" اللعنة ، إنك لا تستطيعين إيذاءه حتى لو حاولت . لقد توقف بالفعل عن استخدام العكاز ـــــ " .

تغير لون سيدنى فجأة وأسرعت لالتقاط المنشفة ووضعتها على فمها ، ونهضت وهرعت خارج الغرفة . وقف سوير ولكنه لم يتبعها وجلس ثانية . بعد دقيقتين عادت إليه وقالت : " آسفة ، يبدو أننى أُصبت ببرد " .

سألها سوير : " منذ متى تعرفين أنك حامل ؟ " . جلست سيدنى مندهشة . " لدى أربعة أولاد يا سيدنى . صدقينى ، فأنا أعرف تعب الحمل هذا عندما أراه " .

كان صوت سيدنى متوترا وهى تقول : " منذ أسبوعين تقريباً . فى صباح اليوم الذى غادر فيه جاسون ..." ، أخذت تتمايل للأمام وللخلف واضعة يدها على وجهها وقالت : " يا إلهى ، لا أستطيع تصديق هذا . لماذا فعل ذلك ؟ لماذا لم يخبرنى ؟ كان يجب ألا يعرض نفسه للخطر . اللعنة ! لا يجب ! " .

نظر سوير إلى الكوب الذى بيديه وقال : " لقد حاول عمل الصواب يا سيدنى . إنه لم يستطع أن يتجاهل ما عرفه مثلما كان سيفعل الكثير من الناس . ولكنه قرر أن يفعل شيئاً بدلاً منه . إنه بطل حقيقى . لقد تحمل الكثير من المخاطر ، ولكنى أعلم أنه فعل ذلك من أجلك وأجل آمى ، لم تُسنح لى الفرصة لمقابلته مطلقاً ، ولكنى أعرف أنه كان يحبك " . لم يستطع سوير أن يفصح لسيدنى

أن آمال المكافأة الحكومية التى كانت سيحصل عليها قد لعبت دوراً رئيسياً فى اتخاذ جاسون آرتشر القرار بجمع الأدلة التى تدين شركة تريتن .

نظرت إليه بعينين تملؤهما الدموع وقالت : " إذا كان يحبنا للغاية لماذا اختار أن يفعل شيئاً خطيراً جداً ، .... هذا ليس له معنى . يا إلهى ! كأنى فقدته مرتين . هل تعلم هذا الشعور ؟ " .

فكر سوير فى ذلك لدقيقة ، وتنحنح وبدأ يتكلم بهدوء جداً : " لدىَّ صديق ذو نوع مناقض . إنه يحب زوجته وأولاده للغاية إلا أنه لم يفعل شيئاً لهم . أقصد أى شىء " .

" لى " .

رفع يده وقال : " أرجوك يا سيدنى ، دعينى أكمل كلامى صدقينى ، لقد استغرقت الكثير لأصل إلى هذه النقطة " . جلس بينما أكمل قائلاً : " لقد أحبهم كثيراً وقضى كل وقته محاولاً أن يجعل من العالم مكاناً أكثر أماناً لهم . حتى انتهى بإيذاء الأشخاص الذين أحبهم جداً . ولم يعرف ذلك إلا بعد فوات الأوان " . أخذ رشفة من الشراب حيث جف حلقه واستطرد : " أرأيت إذن ؟ أحياناً يفعل الناس أحمق الأشياء للحصول على أفضل النتائج " .

ثم تلألأت عيناه وقال : " إن جاسون كان يحبك يا سيدنى . وهذه هى الذكرى الوحيدة التى يجب أن تحتفظى بها للأبد " .

لم يكسر أحد الصمت الذى ساد لعدة دقائق فقد كانا يحدقان إلى اللهب .

نظر سوير إليها أخيراً وقال : " ماذا ستفعلين الآن إذن ؟ "

هزت سيدنى كتفيها وقالت : " لقد خسرت تايلر ستون أكبر عميلين لديها ، تريتن وشركة آر . تى . جى . ولكن هنرى وارتون كان لطيفاً للغاية وقال يمكننى العودة ، ولكنى لا أعرف إذا ما كنت

سأفعل أم لا " . غطت فمها بالمنشفة ثم سقطت يدها على حجرها وقالت : " ربما ليس لدىَّ خيار . لأن جاسون ليس لديه الكثير من التأمين على الحياة . وعلينا أن نتفحص مدخراتنا خاصة مع انتظار المولود القادم ..... " ، وهزت رأسها فى أسى .

انتظر سوير للحظة ثم أدخل يده فى جيب سترته وأخرج ببطء ظرفاً وقال : " ربما سيساعدك هذا " .

مسحت عينيها وقالت : " ما هذا ؟ "

" افتحيه " .

جذبت سيدنى الورقة من الداخل ونظرت أخيراً إلى سوير وقالت : " ما هذا ؟ " .

" إنه شيك بمليون دولار . لا أعتقد أنه يمكن رده فقد تم إصداره من خزانة الدولة " .

" لا أفهم يا لى " .

" كانت هناك مكافأة بمليون دولار مقدمة من الحكومة لأى معلومات تؤدى إلى إلقاء القبض على الشخص أو الأشخاص المسئولين عن تفجير الطائرة " .

" ولكنى لم أفعل أى شىء . لم أفعل أى شىء لأحصل على هذا المبلغ " .

" فى الواقع ، إننى متأكد للغاية أنها ستكون المرة الأولى فى حياتى التى أقدم فيها شيكاً بهذا المبلغ الضخم لشخص ثم أخبره بما سأخبرك به الآن " .

" ما هو ؟ " .

" إن هذا لا يعتبر كافياً . وأن أموال العالم كلها لا تكفى " .

" لا أستطيع أن أقبله يا لى " .

" لقد قبلته بالفعل ، فالشيك نفسه رسمى . وقد تم إيداعه بالفعل فى حساب خاص باسمك . وقد خصص تشارلز تايدمان - رئيس بنك الاحتياطى الاتحادى فى سان فرانسيسكو - مجموعة من أعلى الخبراء الماليين لاستثمار هذا المبلغ لك ، بالمجان . كان تايدمان أقرب أصدقاء ليبرمان . وقد طلب منى أن أنقل لك خالص تعازيه وشكره الحار لك " .

لم تكن حكومة الولايات المتحدة ترغب فى بادئ الأمر أن تعطى المكافأة إلى سيدنى آرتشر . وقد استغرق الأمر من لى سوير يوماً كاملاً مع مندوبى الكونجرس والبيت الأبيض حتى يجعلهم يغيرون رأيهم . كان كل منهم متمسكاً برأيه فى أن التفاصيل الكاملة الخاصة بتعمد استغلال الأسواق المالية الأمريكية يجب ألا يعرفها أحد . وكان اقتراح سوير الماكر بأنه سيشترك مع سيدنى آرتشر فى استغلال القرص الذى أخذه من فرانك هاردى أثناء وجودهم على الجرف فى ماين ويعطيانه لمن يقدم أعلى عرض قد جعلهم يغيرون رأيهم فجأة بشأن المكافأة .

أضاف سوير قائلاً : " إن المكافأة مدفوعة الضرائب . عليك أن تستعدى للحياة " .

مسحت سيدنى عينيها ووضعت الشيك داخل المظروف ثانية . لم يتكلم أحد منهما لعدة دقائق . وأخذت النيران المشتعلة فى المدفأة فى التزايد . نظر سوير أخيراً إلى ساعته ووضع الكوب وقال : " لقد تأخر الوقت ، وأنا متأكد أن لديك أشياء يجب أن تقومى بها ، كما أن لدىَّ بعض الأعمال فى المكتب " . ثم نهض من مكانه .

" ألا تأخذ فترة راحة أبداً؟ "

" كلا مادمت قادراً على العمل ، بالإضافة إلى ذلك ، ما الذى سأفعله غير ذلك ؟ "

نهضت سيدنى أيضاً وقبل أن يودعها لفت ذراعيها حول كتفيه العريضتين واحتضنته ثم قالت : " شكراً لك " . استطاع أن يسمع تلك الكلمات بالكاد ، فلم يكن ذلك ما يحتاج إليه . لقد انبعثت هذه المشاعر من سيدنى آرتشر كالدفء المنبعث من نيران المدفأة . ولف ذراعيه حولها وبقيا واقفين هكذا لعدة دقائق أمام وميض ضوء النيران ممسكين ببعضهما البعض في حين أخذت أصوات الأغانى في الشوارع تقترب أكثر وأكثر .

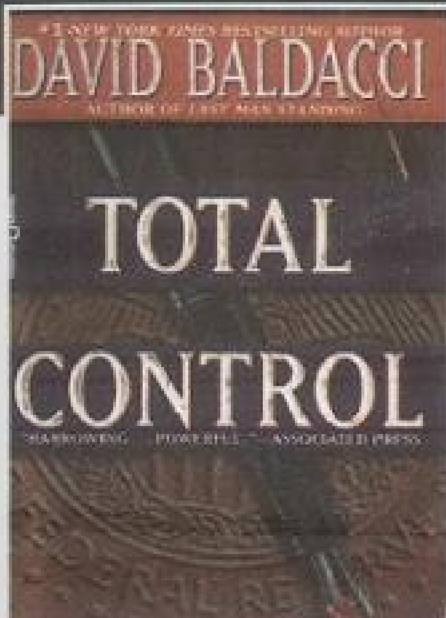
حينما ابتعدا عن بعضهما البعض أخيراً ، أمسك سوير بيدها وقال : " سأكون دائماً في خدمتك يا سيدنى . دائماً " .

جاء صوتها أخيراً وكان كالهمس وقالت : " أعلم ذلك " .

وبينما هم بالذهاب إلى الباب نادته سيدنى : " اعلم يا لى أن الوقت لم يفت بعد " .

وبينما كان يقود سوير سيارته رأى القمر بدراً وقد بزغ في سماء مظلمة . أخذ يردد بهدوء أغنية من أغانى العيد . إنه لم يكن عائداً إلى المكتب ثانية . كان متجهاً ليتشاجر مع راى جاكسون قليلاً ويلعب مع أطفاله وربما يحتسى مع شريكه وزوجته شراب البيض المخفق مع الحليب والسكر وقليل من القهوة . وغداً سيقوم بالتسوق لشراء بعض الهدايا ليفاجئ أولاده . ما هذا بحق السماء ؟ إنه ظالعيد . خلع سوير شارة المباحث الفيدرالية من حزامه وأخرج مسدسه من جرابه ووضعهما على المقعد المجاور له . ابتسم ابتسامة واهنة بينما كانت السيارة السيدان تشق طريقها عبر الشارع . وكان على القضية التالية أن تنتظر قليلاً .

الإثارة التامة



كانت سيدني آرتشر تمتلك العالم بين يديها؛ فقد كان لها زوج تعشقه، ووظيفة تتفوق فيها، وطفلة مدللة، أي كل شيء. وعندئذٍ، تحطمت طائرة في ريف فيرجينيا، وتغير كل شيء. وفجأة لم تجد سيدني آرتشر أي شخص حولها يمكنها الوثوق به.

الخطر التام

كان جاسون آرتشر مديراً تنفيذياً شاباً له مستقبل واعد في شركة تريتن جلوبال رائدة الصناعات التكنولوجية في العالم. ومصمماً على أن يجعل عائلته تعيش في أفضل مستوى؛ دخل آرتشر سراً في لعبة مميتة. واختفى تاركاً خلفه زوجة كان لا بد من أن تميز بين كذبه وصدقه، وفريق بحث يريد أن يعرف سبب انفجار الطائرة التي كان من المفترض أن يكون على متنها، وعميلاً مخضرماً يعمل في المباحث الفيدرالية يريد أن يعرف كل شيء..

التحكم التام

«هذه الرواية ذات أحداث سريعة ومثيرة». صحيفة كوزموبوليتان.

«هذه الرواية تجمع بين الإثارة البوليسية والدراما الاجتماعية».

صحيفتا ديترويت نيوز، فري برس

«سائرة على درب رواية A FLYING BULLET تتميز هذه الرواية بأقصى درجات الإثارة».. صحيفة أورلاندو سينتينال


6 281072 050610
282203975


مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ... ليست مجرد مكتبة